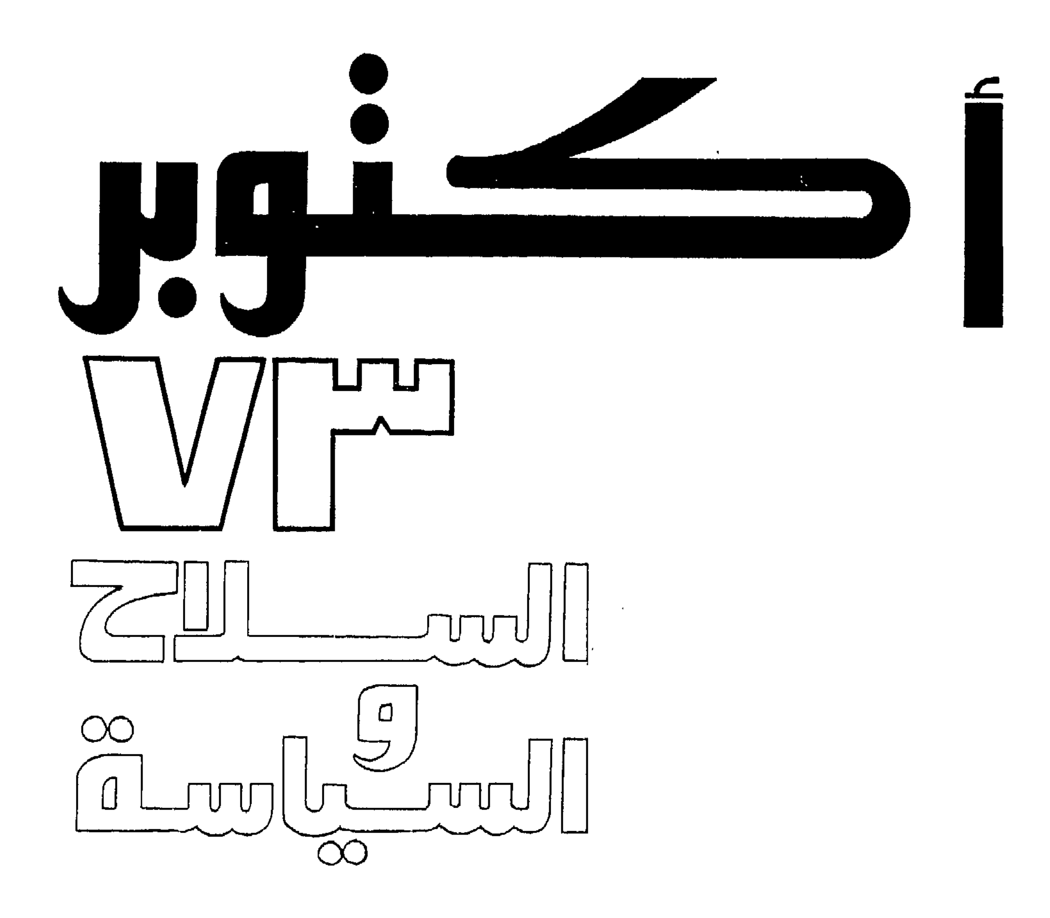
محمد حسنين هيكل



الطبعة الأولى
١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م

الناشر : مركز الأهرام للترجمة والنشر
مؤسسة الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة
تليفون ٥٧٤٧٠٨٣ - تلكس ٩٢٠٠٢ يوان

تصميم الغلاف والاشراف الفنى
ماهر الدهبى

صورة المؤلف بعدسة
فاروق إبراهيم

المحتويات

صفحة

☐ مقدمة ٥
☐ مشهد افتتاحى ٢٣

الجزء الأول : على طريق الحل

☐ الفصل الأول : البداية : مأزق رجل ٥٣
☐ الفصل الثانى : البحث عن حل ٧٣
☐ الفصل الثالث : البحث عن معجزة ١٢٥
☐ الفصل الرابع : الحرب بين القول والفعل ١٥٠
☐ الفصل الخامس : أجواء الشك ١٦٧
☐ الفصل السادس : زحام من الأزمات ١٧٨
☐ الفصل السابع : البيضة والحجر ٢٠٤
☐ الفصل الثامن : مواقع مكشوفة ٢٢٣
☐ الفصل التاسع : مرحلة الميوعة والخطر ٢٣٩
☐ الفصل العاشر : الأوهام والحقائق ٢٦٢

الجزء الثانى : على طريق الحرب

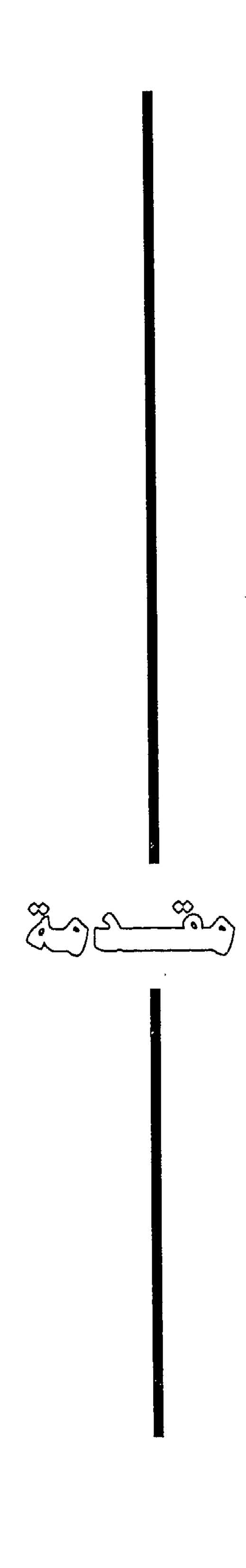
☐ الفصل الأول : الاستعداد للعاصفة ٢٩٣
☐ الفصل الثانى : المفاجأة الكاملة ٣٢٠
☐ الفصل الثالث : معجزة البشر ٣٤٢
☐ الفصل الرابع : يوم ٧ أكتوبر ٣٦٢
☐ الفصل الخامس : يوم ٨ أكتوبر ٣٧٦
☐ الفصل السادس : يوم ٩ أكتوبر ٣٩٥

□ الفصل السابع : يوم ١٠ أكتوبر ٤٠٩
□ الفصل الثامن : يوم ١١ أكتوبر ٤١٩
□ الفصل التاسع : يوم ١٢ أكتوبر ٤٢٩
□ الفصل العاشر : يوم ١٣ أكتوبر ٤٣٧
□ الفصل الحادى عشر : يوم ١٤ أكتوبر ٤٤٦
□ الفصل الثانى عشر : يوم ١٥ أكتوبر ٤٥٣
□ الفصل الثالث عشر : يوم ١٦ أكتوبر ٤٦٣
□ الفصل الرابع عشر : يوم ١٧ أكتوبر ٤٧٥
□ الفصل الخامس عشر : يوم ١٨ أكتوبر ٤٨٦
□ الفصل السادس عشر : يوم ١٩ أكتوبر ٤٩٤
□ الفصل السابع عشر : يوم ٢٠ أكتوبر ٥٠٧
□ الفصل الثامن عشر : يوم ٢١ أكتوبر ٥١٨
□ الفصل التاسع عشر : يوم ٢٢ أكتوبر ٥٢٦
□ الفصل العشرون : يوم ٢٣ أكتوبر ٥٣٩
□ الفصل الحادى والعشرون : يوم ٢٤ أكتوبر ٥٤٨
□ الفصل الثانى والعشرون : يوم ٢٥ أكتوبر ٥٥٧
□ الفصل الثالث والعشرون : يوم ٢٦ أكتوبر ٥٦٥

الجزء الثالث : منحنى على الطريق

□ الفصل الأول : متغيرات من كل اتجاه ٥٧٩
□ الفصل الثانى : عند الكيلو ١٠١ .... ٥٩٩
□ الفصل الثالث : رحلة إلى واشنطن ٦٢٣
□ الفصل الرابع : البحث عن ضمان ٦٤١
□ الفصل الخامس : كيسنجر فى القاهرة ٦٥٥
□ الفصل السادس : الساحر والسحر ٦٦٩
□ الفصل السابع : « حوارات كيسنجر » ٦٨٣
□ الفصل الثامن : ما بعد المهرجان ٧٠٤
□ الفصل التاسع : المشى نحو السراب ٧٢٢

الملحق الوثائقى



مقدمة

لقد خطر لى من البداية أن أهدى هذا الكتاب - وهو الرابع فى مجموعة « حرب الثلاثين سنة » - إلى « جمال حمدان » ، ذلك العالم المصرى الفذ الذى أعطى المكتبة العربية أثره المتميز : « شخصية مصر : دراسة فى عبقرية المكان » .

وفى تاريخ مصر مع بداية العصر الحديث كتابان لهما مذاق خاص ، وبينهما تقابل من نوع ما :

● الكتاب الأول هو : « تخليص الإبريز فى وصف باريز » الذى كتبه شيخ التنوير الجليل « رفاعة رافع الطهطاوى » فى أخريات النصف الأول من القرن التاسع عشر .

● والكتاب الثانى هو : « شخصية مصر » الذى كتبه العالم الراهب المعتزل « جمال حمدان » فى بدايات النصف الثانى من القرن العشرين .

الكتاب الأول يحكى رؤية أزهرى ريفى للحضارة الغربية . مصرى خام عبر البحر الأبيض إلى باريس ، وألقى نظرة على ما رأى ثم شهق مدهوشا منه ، ولا تزال شهقته بالانبهار تعيد أصداءها حتى الآن بعد مضى أكثر من مائة وخمسين عاما على صوتها الأصلى . وكانت القيمة الكبيرة لهذه الشهقة التى أطلقها « الطهطاوى » أن صاحبها لم يقصر انبهاره على شكل ما رأى ، وإنما غاص فيه محاولا لمس أعماقه والتعرف على مادته .

والكتاب الثانى يقدم دراسة طالب علم مصرى عبر البحر إلى بريطانيا ملتحقا بجامعة « ريدنج » يقصد التخصص فى الجغرافيا . ومن هناك راح يتأمل وطنه ، ويعيد اكتشافه .

وكل مواطن يكتشف وطنه على أساس الميلاد والتربية مرة - ثم يعيد اكتشافه على أساس الحياة فيه والتجربة معه مرة ثانية . لكن « جمال حمدان » كان حالة استثنائية ، ذلك أنه تجاوز ذاته ، وجاء اكتشافه الثانى لوطنه على أساس حياة وتجربة هذا الوطن مع الدنيا والتاريخ .

□ أولهما - « الطهطاوى » - مسافر خارج من وطنه يبحث عن أفكار ورؤى دنيا جديدة ، وعصر بازغ تضوى وتتألق فيه إشعاعات الثورة الفرنسية .

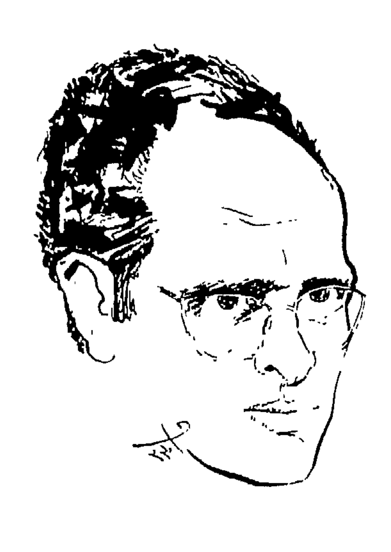
□ وثانيهما - « حمدان » - مسافر عائد إلى وطنه بمفتاح لفهم حياة وشخصية أمة تبحث عن نفسها فى أعقاب حرب عالمية ضروس هزت وزلزلت قارات ومحيطات !

وربما تقاطعت مسالك سفر الرجلين على أمواج البحر الأبيض ذهابا وعودة رغم انقضاء قرن ونصف من الزمان ، ثم تقابلت رؤى المسافرين العائدين من مواقع نظر متباينة !

□



رفاعة الطهطاوى



د . جمال حمدان

وقد تحدثت مع « جمال حمدان » فى مكتبى لآخر مرة قبل قرابة سنة ، وكنت فى ذلك الوقت على وشك أن أبدأ كتابة هذا الجزء من « حرب الثلاثين سنة » (عن معركة أكتوبر ١٩٧٣) ، وهو ينضم إلى كتب ثلاثة سبقته من ذات المجموعة : « ملفات السويس » (عن معركة السويس ١٩٥٦) ، و« سنوات الغليان » و« الانفجار » (وكلاهما عن معركة سنة ١٩٦٧) .

ثم حل موعد هذا الكتاب الرابع (أكتوبر ١٩٧٣ : « السياسة والسلاح ») .

وبطبيعة الحال فقد تحدثنا عن شواغلى فيه ، ثم تواصلت مناقشاتنا طويلا حول موضوع يستدعى اهتمامنا نحن الاثنين وهو علاقة « الجغرافيا » و« التاريخ » ، ومصر فى موازين الاثنين معا . وكان ذلك بالضبط محور كتابه عن « شخصية مصر » .

وأتذكر أننى أبديت له هواجس تراودنى ، وتساءلت :

« إذا قلنا إن المكان ليس مجرد موقع جغرافى ، وإذا قلنا إن الزمان ليس مجرد قرون تغرب شموسها أو قرون تهل مطالعها - فكيف تفسر ما يجرى أمامنا ؟

لقد حدث شىء ما لـ « عبقرية المكان » ..

« عبقرية المكان » بشكل من الأشكال تبدو لى معطلة هنا ... حتى الانشغال بهمها معطل :

– هناك من يقولون – بخفة – إن « العبقرية » كبرت على موقعها وموضعها . وإذا كان تشخيصهم صحيحا ، فلعلها كبرت إلى درجة أنها انحشرت فيه بعد أن ضاق عليها ، وبالتالى حبس حركتها !

– وهناك من يقولون – بقسوة – إن « العبقرية » صغرت على موقعها وموضعها ، وهى لذلك تتدحرج فوق ساحته لا يقر لها قرار . ولا أصدق أن يكون ذلك صحيحا ، وإذا كان ، فإنى أتصور أنها مجرد لحظة ، لأن حركة التاريخ بالطبيعة إلى أمام ... أو ... أو لعلها لم تعد كذلك ؟

دعنا من « الخفة » و« القسوة » إلى ماهو أكثر موضوعية وعلمية – قل لى ماذا جرى لـ « عبقرية المكان » وفعلها فى الزمن التاريخى للإنسان بكل ما يستلزمه من ضرورات الحركة والتغيير ، وهما الأساس فى حيوية الوجود ! » .

كان « جمال حمدان » يسمعنى ، وكنت مازلت أتساءل :

« قل لى ... أين المكان فى هذا العالم الذى أصبح قرية ؟ وأين الزمان فى هذا العصر الذى تنطلق فيه ومضة « ليزر » إلى القمر وتعود فى ثانية واحدة ؟

قل لى ... هل تملك « عبقرية المكان » أن تسافر منه أو تهاجر ؟ أو هل يمكن لها أن تنزوى وتنكمش ؟

أعرف أن عبقرية الأفراد يحدث لها مثل ذلك :

عبقرية « سقراط » انتهت بكأس شراب مسموم . وعبقرية « نابليون » جرى تسفيرها بالبحر إلى منفى فى جزيرة « سانت هيلين » . وعبقرية « نيتشة » وصلت فى النهاية إلى بيت منعزل على حافة جبل فى « سلزماريا » قرب « سان موريتز » فى سويسرا – أقام فيه العقل الشامخ بعد أن غام ضياؤه ولفه الضباب ...

لم أجد فى أثينا أثرا باقيا للسجن الذى شرب فيه « سقراط » كأسه المسمومة ... ولم أرس بشراع على شاطىء جزيرة « سانت هيلين » ... ولكنى قمت بزيارة للبيت الذى قضى فيه « نيتشة » سنوات الغيام والضباب ، وطفت بقاعاته وحدى صامتا منتظرا ، وكأن الجدران يمكن أن تنطق بشىء سمعته فى الماضى كلاما أو همسا !

قل لى ... هل يمكن لـ « عبقرية الجغرافيا والتاريخ » التى صنعت « عبقرية المكان » – على حد تعبيرك – أن يتعطل فعلها وأثرها ويبطل سرها وسحرها ؟!

قل لى ... هل يمكن للزمان أن يمشى بظهره إلى المستقبل ؟! وهل يمكن للعدد أن يتنازل بحسابه للسنين والحقب بدلا من أن يتصاعد معها بقوة الأشياء ، ويحملنا ولو بالقسر من قرن يودع إلى قرن يسلم ؟!

بعقلى وقلبى أعرف أن ذلك مستحيل . لكنى لا أستطيع أن أنكر بعض ما أراه !

على نحو ما ، تساورنى هذه اللحظة هواجس :

لست متأكدا أن هذا المكان عارف بموقعه وموضعه ، واثق من هويته ، أو واثق من دوره فى محيطه الذى هو قطعة منه ؟

لست متأكدا أن هذا المكان قائد - حيث تؤهله الجغرافيا والتاريخ أن يقود ؟

لست متأكدا أنه الملهم ، والنموذج ، والمثال .

لست متأكدا أنه العالم ، والمعلم ، والمفتى ، والمجتهد .

لست متأكدا أنه المبدع ، والمصور .

بل لست متأكدا أنه المطرب ، والمغنى .

قصارى ما يمكن أن يجيئك إذا مددت سمعك دقات طبول بدائية وغريزية تكرر نفسها ، تعطيك إحساسا موحشا بأن الحقول الخضراء تتراجع أمام عملية تصحر بطىء ، ولكن خطاه منتظمة ومتتالية ، كأنه على موعد يقصد إليه بنشاط رتيب - ! - هناك على حافة الدنيا وعلى حافة العصر ! » .

□

كان « جمال حمدان » انسانا بالغ الحساسية ، شديد الكبرياء ، وقد زادت على ذلك أخيرا مسحة حزن ضغط انطباعها على قسمات وجهه ، وشاعت فى نبرة صوته ، وقد حاول أن يعزى نفسه - أو يعزينى - قائلا : « إن حركة التاريخ دائمة ، ولكن اتجاهها ليس ثابتا ، وكان عهدنا بها أن تكون إلى أمام خطوتين وإلى وراء خطوة - ولعلنا الآن نرى بعدا مغايرا ، حركة إلى أسفل(1) ... نحن شهدنا انقلابا لأنه كان بين السكان من لم يقدّر ولم يرع حرمة وحق المكان . »

وكما حاولت دائما ، فقد حاولت تلك المرة أن أقنعه بالخروج من دير العزلة والعودة إلى دنيا الناس ... ولم يقتنع مصرا على أنه « اعتزل وحركة التيار إلى أمام ، فكيف يعود والحركة معاكسة سواء إلى وراء أو إلى أسفل ؟ » !

---

(1) لقد ترددت لبعض الوقت فى استعمال هذا الوصف ، وقد بدا لى قاسيا بعض الشىء - لكنى اكتشفت أن « جمال حمدان » استعمله بحروفه فى مقدمته للطبعة الأخيرة من كتابه « شخصية مصر .. دراسة فى عبقرية المكان » - الصادر عن دار « عالم الكتب » للنشر (صفحة ٢٠) - وبالتالى أحسست أن الحرج يرتفع عن استعمالى له .

وافترقنا ، ولم أكن أعرف أنه فراق إلى الأبد ، وانشغلت بهذا الكتاب حتى فاجأتنى وأنا غارق فيه تلك النهاية المأساوية التى انتهت إليها حياة ذلك العالم الراهب المعتزل والمهموم بشخصية مصر وعبقرية مكانها ... الموقع والموضع !

وربما من هنا خطر لى منذ البداية أن أهدى هذا الكتاب إليه !

□

إن « حرب الثلاثين سنة » موضوع ليس بعيدا عما كنت أتحدث فيه مع « جمال حمدان » عن الجغرافيا والتاريخ .. المكان والمكانة .. والشخصية والعبقرية . فهذه المجموعة من الكتب تحكى قصة صراع هذه الأمة العربية بقيادة مصر - ضد الهيمنة الأجنبية منذ منتصف الخمسينات إلى منتصف الثمانينات من هذا القرن العشرين ، بداية من وقفتها الشجاعة ضد الأحلاف العسكرية الغربية سنة ١٩٥٥ - حتى تأكد الهبوط حين تمكنت إسرائيل من احتلال عاصمة عربية هى بيروت فى النصف الأول من الثمانينات .

□ كان الفصل الأول من القصة هو التمرد ضد السيطرة ، وطلب الاستقلال والتنمية الاجتماعية . ووصل هذا الفصل إلى ذروته فى معركة السويس سنة ١٩٥٦ - وقد انتهت بفوز عربى لا شك فيه .

□ وكان الفصل الثانى هو الصراع بين الحركة القومية العربية وبين نظم الهيمنة العالمية . ووصل هذا الفصل إلى ذروته فى معركة سنة ١٩٦٧ - وقد انتهت بنكسة عربية لا شك فيها .

□ وكان الفصل الثالث هو استماتة الأمة لاستعادة إرادتها . ووصل هذا الفصل إلى ذروته فى معركة سنة ١٩٧٣ - وذلك الفصل هو موضوع هذا الكتاب .

ولست أريد أن أتحدث عنه مسبقا ، وإنما أوثر أن أتركه لقارئه وهو صاحب الحق فيه ، وإن طلبت سماحا بإبداء بعض الملاحظات :

١ - لعلى لمجرد التذكرة أعيد بعض ما سبق أن أشرت إليه فى أعمال سابقة من هذه المجموعة (« ملفات السويس » - « سنوات الغليان » - و« الانفجار ») وهو أننى لا أكتب التاريخ ولا أحاول ذلك ، وأسبابى عديدة : فالتاريخ ليس اختصاصى ، ثم أن التاريخ تصعب كتابته فى زمن وقوعه ، ثم إنه لا يكتب التاريخ من عاشوا أو شاركوا فى وقائعه - وكل هذه اشتراطات تردنى !

٢ - إن هذا الكتاب - ولو أنه جزء من مجموعة تحمل عنوان « حرب الثلاثين سنة » - ثم هو فيها يركز على معركة أكتوبر ، وهى عمل عسكرى باهر - فإن الجوانب العسكرية ليست غالبة فيه ، وذلك من منطق يفرق بين الحرب والقتال . فالحرب صراع سياسى بكل وسائل القوة ، فى حين أن القتال مرحلة معينة من الحرب يكون فيها الاحتكام إلى السلاح .

وهكذا فإن دور القتال فى الحرب ... عسكرى .

فى حين أن الحرب الشاملة ... سياسة ، وهذا مجال يغرينى !

٣ - إن أقرب وصف إلى ما أحاوله فى هذه المجموعة هو القيام بدور الشاهد . فقد أتاحت لى الظروف أن أكون قريبا من « جمال عبد الناصر » فى معركة سنة ١٩٥٦ وفى معركة سنة ١٩٦٧ - ثم إنها أتاحت لى أيضا أن أكون قريبا من « أنور السادات » فى معركة سنة ١٩٧٣ .

ولست أدعى أسبقية بوضع اليد على الحقيقة ، ولكننى أقول - كما يقول التعبير القانونى - إن « الشاهد جزء من الدليل » ، وأضيف إلى ذلك تحفظا ضروريا وهو استكمال التعبير القانونى بملحق أزيد عليه « ... إذا صدق » . ولأن الصدق قيمة إنسانية قد تتأثر بالغرض أو بالمصلحة ، فقد التزمت فى هذه المجموعة من الكتب كلها بنظام فى التوثيق طلبته صارما وسعيت إليه مصمما .

٤ - إن هدفى بالدرجة الأولى من كل مجموعة « حرب الثلاثين سنة » هو المشاركة - بقدر الطاقة والجهد - فى صد الغارات الهمجية عن ذاكرة الأمة . والأمة مثل الفرد يصاب بالجرح فيشفى ، ويصاب بالصدمة فيفيق ، ويصاب بخسارة المال فيعوضه - لكن فقدان الذاكرة كارثة بلا حدود لأنه يودى بكل شىء بما فى ذلك التاريخ والمستقبل ، ومن ثم يصبح الحاضر محاصرا ، يتم عزله وتطويقه على لوحة زجاج مسطح لا تحتفظ بشىء ولا تعى شيئا . ويصبح الفكر والثقافة صورا ملونة على شاشات تلفزيون ، وتصبح الحرية والديمقراطية حقا فى الاختيار محصورا فى المفاضلة بين سلع مستوردة معروضة على الرف فى سوبر ماركت ، ويصبح مطلب العدل والمساواة مسيرة قطيع تسوقه أجهزة إعلام واتصال تصبها الأقمار الصناعية من فوق كل سطح على رؤوس من يتصادف وجودهم - ولا أقول حياتهم - تحته !

□

وربما استطردت بعد هذه الملاحظات إلى بعض الخواطر التى أتمنى لو مررت عليها باختصار :

● لقد قلت إننى كنت قريبا من « جمال عبد الناصر » فترة معارك ١٩٥٦ و١٩٦٧ ، ومن « أنور السادات » فترة معركة ١٩٧٣ - وكنت قريبا إلى درجة اعتبرت نفسى معها « شاهدا » .

وقد أضيف أن اقتراب « الصحفى » من مواقع صنع « الحدث » ليس غريبا ... وليس فريدا .

□ ليس غريبا لأن متابعة الأحداث والاتصال بمصادرها - بالطريق الصحيح والمستوى

اللائق - يدخل بالصحفى إلى أجواء صناعة أخبارها . والتواجد فى أى جو من الأجواء نوع من المشاركة ، ولو عن طريق حركة التنفس التلقائى من نفس الهواء .

□ وليس فريدا - فى حالات أخرى غير حالتى مع « جمال عبد الناصر » و« أنور السادات » - وإنما التجربة لها نظائر مشابهة فى بلاد كثيرة مثل بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة (الصحفى الأمريكى « والتر ليبمان » مع الرئيس الأمريكى « فرانكلين روزفلت » - و« بيف ميرى » رئيس تحرير « الموند » مع الرئيس الفرنسى « شارل ديجول » - و« ويليام ريس موج » رئيس تحرير « التيمس » مع « مارجريت ثاتشر » مثلا .. وعشرات غيرهم) .

والحاصل أن هناك تداخلا شديدا فى كثير من الظروف بين السياسة والصحافة فى العالم كله ، وتداخل هذه الظروف أشد فى العالم الثالث حيث تتصل السياسة بصميم العمل الوطنى من أجل الاستقلال والتحرر الاجتماعى والاقتصادى والفكرى ، وتنشأ وتتواصل أحيانا رؤى متقاربة ، وفى أحيان أخرى تتجلى أحلام تبدو قابلة للتحقيق فى أوطان قريبة سعى ، أو قريبة عهد بالاستقلال والحرية - يواجهها سؤال أساسى : تكون أو لا تكون ؟

وأمام هذا السؤال تتداخل حدود ، وتتشابك مواقف ، وتبرز إشكاليات أهمها إشكالية الحرية - وهل البعد يضمنها ، أو هل القرب يصدها ؟

ولعلى أقول والتجربة ورائى إنه ليس من الضرورى أن يكون قرب العلاقة بين السياسة والصحافة قيدا على الحرية ، وربما تذكرنا أن الصيغة المثلى للبحث عن الحقيقة هى صيغة الحوار . وكل حوار رأيان بالاتفاق كما بالاختلاف ، خصوصا إذا كانت المرجعية أفكارا وأحلاما يحترمها طرفان ، وليست سلطة يحتكرها طرف واحد !

وبصرف النظر عن أى اعتبار فالذى حدث فعلا هو أننى اقتربت ، وهذا الاقتراب حقيقة لا أتفاخر بها ولا أعتذر عنها . وفى كل الأحوال ، فقد كان يقينى دائما أن أى صحفى ، أو أى كاتب يستحق وصف مهنته كصحفى أو كاتب - مطالب من أول النهار بأن يأتمن قارئه على كل ما يفكر فيه - ومطالب قبل آخر النهار بأن يبوح لقارئه بكل ما يعرفه . فالقارىء هو القانون ، والصداقة عاطفة . والقانون مسئولية مجتمع ، والعاطفة مشاعر فرد . وفى جوهر الحقيقة فإن التناقض بين الاثنين فى العمل العام مصطنع لا ينشأ إلا بالتعسف فى الفهم أو بالميل مع الهوى ، لأن الصداقات التى تنشأ فى إطار فكرة عامة جامعة يظل ولاؤها النهائى للفكرة العامة الجامعة ، وإلا تحول الصحفى والكاتب من صديق قضية إلى صاحب سلطان ، ومن حامل قلم إلى نديم بلاط !

. . . .

. . . .

● وربما قيل - والقول صحيح - إن الفكرة والحلم الذى تمثله مرجعية « جمال عبد الناصر » تختلف عن الفكرة والحلم الذى مثلته مرجعية « أنور السادات » ، فكيف تأتى أن أكون

قريبا من الاثنين ؟ والذى حدث هو أننى ظللت قريبا من « جمال عبد الناصر » من بداية دوره إلى نهايته ، وقد توثقت علاقاتنا مع الأيام ، واتفقت واختلفت رؤانا للحوادث والناس أحيانا ، لكن الفكرة المرجعية ، وهى المشروع الحضارى الذى قاده « جمال عبد الناصر » – ظلت هى الحكم حتى بعد أن لحقها ذلك الشرخ العميق الذى أصابها سنة ١٩٦٧ . وكان هذا الشرخ نتيجة لأخطاء فى التجربة ، ونتيجة لضغوط من الخارج فى ذات الوقت .

وكان دور « أنور السادات » أن يستكمل ما كان « جمال عبد الناصر » قد بدأه من محاولة لإصلاح هذا الشرخ بتلافى الأخطاء فى الداخل ، ومواجهة الضغوط من الخارج . ولقد أسعدنى أننى صاحبت « أنور السادات » وهو يعانى هموم مسئوليته ، ثم رأيته وقد ملك شجاعة قرار من أصعب وأخطر ما واجهته مصر فى تاريخها ، أعنى قرار أكتوبر ١٩٧٣ .

ومن ناحيته فإنى أستطيع أن أرد صحبته معى لأسباب منطقية :

– ربما كان يريد عنصر استمرار فى السياسة يعرف عن ظروفها ما كان غائبا عنه ثم وجد نفسه فجأة يحمل مسئوليته .

– ربما كانت علاقة ود متبادل قام وظل قائما لسنوات طويلة .

– ربما كان تعاطفا من جانبه مع بعض ما كنت أنادى به من ضرورات للتغيير فى وقت « جمال عبد الناصر » ، وبينه مطلب تحييد الولايات المتحدة ، وليس التناطح معها ، وبينه دعوة إلى مجتمع مفتوح تعلو فيه سيادة القانون على مراكز القوة ، وغير ذلك اجتهادات أخرى طرحتها فى أيام سابقة ولعل بينها ما صادف قبولا لديه !

ربما ... وربما .

ولكن الذى أعرفه أننا تلاقينا ، وأننا اتفقنا واختلفنا كثيرا ، وظللنا أصدقاء حتى جاءت حرب أكتوبر ١٩٧٣ وانتهت ، ثم تباعدت زوايا الرؤية لأن الرجل – وهذا حقه – وجد بعد حرب أكتوبر أنه يستطيع تأسيس شرعية مختلفة تصدر عن مرجعية مختلفة . وهناك تباعدت الطرق ، وكان طبيعيا أن تتباعد وإلا نزلت العلاقة بين السياسى والصحفى من مستوى الصداقة لفكرة أو لمشروع إلى مستوى التبعية لرجل أو لسلطة !

. . . .

. . . .

● وقد يلاحظ قارىء هذا الكتاب أن المعلومات فيه أكثر من الآراء ، وأن الوقائع أوسع من التحليل . وأتجاسر على القول أن ذلك مقصود ، وموجبه أننى أنتمى إلى مدرسة تعتقد أن صميم حرية الصحافة هو ضمان تدفق المعلومات . فليست هناك قيمة لرأى إلا إذا كانت قاعدته من المعلومات والأخبار والخلفيات واسعة وكاملة وصحيحة إلى أقصى حد . وفى هذه المدرسة فإن المعلومات والأخبار والخلفيات هى البناء التحتى الذى يمكن أن تقوم عليه حرية الرأى من اختلاف الاجتهادات .

فالخطوة الأولى (ضمان تدفق المعلومات) هى الأساس ، وبها تكون الحقائق محددة وواضحة ، مرسومة وظاهرة للجميع وموادها كتل من الخرسانة ، زلط وحديد وأسمنت ، تغوص فى عمق التربة .

والخطوة الثانية (حرية الرأى) هى البناء بعد ذلك طبقات فوق أساس . مواقع أو مساكن تعكس رأى واختيار وذوق أصحابها فى ترتيب الأشياء واتساق الأشكال ... وحتى ألوان الورد والزهر !

وإذا لم يتحقق الأساس فإن ما فوقه - مواقع أو مساكن - يصبح معلقا فى الهواء ، لا يحتاج حتى يقع إلى هزة زلزال ، وإنما هبة ريح تكفيه ليسقط .

ثم إن تدفق المعلومات ، أى المعرفة بالحقائق ، تضيف إلى حرية الرأى بعدا ثالثا يجسم الصورة ، وهو أن يكون المتابع للحوار ، قارئا أو سامعا ، على علم بما يجرى من حوله الحوار بحيث يكون بدوره قادرا على المشاركة ، موجودا فى الساحة ، على بينة تسمح له بأن يختار ... والاختيار جوهر الحرية .

نحن ننسى أحيانا أن أى وطن لا بد له أن يتحاور مع نفسه - بل يتفاوض مع نفسه - قبل أن يتحاور مع العالم ، أو يتفاوض معه !

وإذا غابت المعلومات والأخبار والخلفيات ، فإن الكتابة أو الحوار - كائنا من كان الكاتب أو المحاور - تصبح فى واقع الحال نوعا من الإنشاء (جملا مرصوصة) - أو نوعا من الإنشاد (مديحا فى هذا الطرف أو ذاك !) .

. . . .

. . . .

● وربما أن ضرورات البحث عن الحقيقة فى هذه المجموعة عن « حرب الثلاثين سنة » - وهذا الكتاب أصعبها فى رأيى - هى التى دعتنى إلى الاهتمام بزيادة التوثيق فيه إلى درجة قد تبدو لافتة للنظر . والحاصل أننى استعملت فى هذا الكتاب ما يسمونه بأسلوب « التوثيق العميق » إلى درجة أن الوثائق أصبحت بذاتها نسيج نصوصه ، وصلب روايته - فى حين أن الباقى كله تحول إلى مجرد إطار محيط ، يضم ويحدد !

وأعترف أن هناك أسبابا أخرى دعتنى إلى تشديد الضغط فى طلب التوثيق ، فقد شغلنى ، ومازال يشغلنى ما جرى للكتاب السياسى فى ظروفنا الحاضرة . فجماهير القراء يشدها الشوق إلى الحقيقة ويضنيها البحث عنها . وقد وجدها البعض - غفر الله لهم - فرصة سانحة لتعليب السراب داخل غلاف كتاب . وهكذا دارت مطابع ، وتلاشت واختفت غابات بأكملها من أشجار لب الورق ، وفاضت وغاضت أنهار من حوامض الأحبار ضارة وسامة . وأصيبت البيئة الوطنية والقومية بألف ثقب فى طبقات الأوزون الفكرى والمعنوى الذى كان يحميها !

وما حدث للكتاب ، حدث للمسرح ، وحدث للسينما . وكانت النتيجة أن الكلمات والمناظر والأشكال والألوان ساحت كلها على بعضها لتصنع لوحة كئيبة مقبضة تتجاوز اللامعقول ، حتى لقد اختنق فيها الموضوع ، ومات التعبير ، وانتحر الرمز !

وربما يسألنى أحد : وسط هذه الفوضى التى أصفها ، لمن أكتب إذن ؟ وأقول بواقعية شديدة ، وبتفاؤل أكيد فى نفس اللحظة : إننى أكتب لبعض الماضى ، ونصف الحاضر ، وكل المستقبل . وربما زدت على ذلك : إن الوطن ليس إرثا ينتقل إلينا من الأجداد ، وإنما أمانة نؤديها نحن للأحفاد !

. . . .

. . . .

● ولعلى كثفت التوثيق لسبب آخر سوف يلاحظه قارىء هذا الكتاب ، وهو أن رواياتى عن حرب أكتوبر تدور أساسا حول الرئيس « أنور السادات » ، وكان ذلك أسلوبا لا بديل عنه ، ذلك أن الرجل أدار مسئولياته من موقع « كبير العائلة » - على حد تعبيره الأثير - وكان فى ذلك صادقا مع نفسه ومخلصا . ولقد لاحظ معظم الذين عملوا معه هذه الظاهرة ، وسجلوها فيما رووا أو كتبوا عن تجربتهم بجانبه ، وكان بينهم على سبيل المثال السيد « حافظ اسماعيل » مستشاره لشئون الأمن القومى ، وذلك فى مذكراته بعنوان « أمن مصر القومى » . كذلك لاحظ نفس الظاهرة وسجلها المشير « محمد عبد الغنى الجمسى » ، وذلك فى مذكراته عن حرب أكتوبر . وهذا غير كثيرين مازالوا يذكرون تعبيرات أثيرة أخرى لدى الرئيس « السادات » عن « أرضى » - و« جيشى » - و« أولادى » - و« طائراتى » - إلى آخره .

وهكذا فإن القصة تجد لنفسها تلقائيا بطلا تدور حوله - كما كانت الحوادث نفسها تدور !

لكن الحرج أن هذا وضعنى أمام مشكلة أو معضلة مقابلة - ذلك أن دور الشاهد الذى كنته فى القصة وحوادثها ، فرض علىّ محظورا حاولت بكل جهدى تجنبه فى كتب سابقة كنت فيها شاهدا أيضا .

ففى كتب سابقة ، ولأن إدارة الأمور كانت مختلفة ، فإن دورى كان يمكن تجاوزه . فإذا حبكت المواقف واقتضت أشرت إلى هذا الدور فى ذيل هامش أو على طرف حاشية . وأما هذه المرة فلم تكن الروايات لتستقيم فى بعض المواقف إلا بالأسلوب المباشر فى الرواية .

ولقد توقفت طويلا ، وترددت كثيرا ، وحاولت مرات أن اتجاوز المأزق ، ولم أجد سبيلا .

وهكذا فإننى أتمنى على قارىء هذا الكتاب أن يغفر لى وجود اسمى فى بعض صفحاته . ومع أنى حاولت أن أتحفظ ، وأغفلت وحذفت وبنيت للمجهول - إلا أن اسمى فى النهاية لا يزال مذكورا . وقد تصورت أن أفصل نفسى عن اسمى فى مسار الاحداث ، فلم أستعمل

الضمير الأول ، وهو ضمير المتكلم ، وإنما استعملت الضمير الثالث ، وهو ضمير الغائب . أى أننى لم أتحدث عن « أنا » وإنما تحدثت عن « هو » وكأن الذى أعنيه شخص آخر لا يتصل بى ، وإنما واحد من شخوص القصة أحكى عنه كما أحكى عن غريب !

. . . .

. . . .

● وأصل إلى نقطة خاصة بالتوثيق ... ففى هذا الكتاب تعددت المصادر :

□ كانت هناك مجموعة من الوثائق أتاحها لى الرئيس « السادات » مباشرة ، وذلك من الأوراق التى ظهرت بعد واقعته الشهيرة مع مراكز القوى سنة ١٩٧١ ، وقد تضمنت تسجيلات اجتماعات وتليفونات ومذكرات ، الخ ...

وقد حصلت بإذنه على صور منها لملفاتى ، وكان هذا الكتاب موضعا طبيعيا لبعضها .

□ كانت هناك مجموعة تقارير وبرقيات ومراسلات دارت بين الرئيس « أنور السادات » وبين الدكتور « هنرى كيسنجر » طوال سنة ١٩٧٣ . وكانت مجموعة هذه الوثائق غائبة عنى رغم قربى الشديد من عملية الإعداد لحرب أكتوبر . ولقد أحسست فى بعض المراحل بوجود شىء ما خفى ، ولم أتحقق من ذلك إلا فى مرحلة لاحقة . والذى حدث هو إننى عثرت على هذه المجموعة من الوثائق أثناء زيارة لواشنطن سنة ١٩٧٥ . ويظهر أنها كانت معدة لكى تساعد بعض الكبار من إدارة الرئيس الامريكى الأسبق « ريتشارد نيكسون » على كتابة مذكراتهم بعد سقوطه المدوى سنة ١٩٧٤ بسبب فضيحة « ووترجيت » . وبالفعل فإن الدكتور « هنرى كيسنجر » استعمل عددا منها فى كتابة مذكراته .

وقد عرف الرئيس « السادات » أثناء زيارة قام بها للولايات المتحدة – فى نفس الوقت سبتمبر ١٩٧٥ – أننى حصلت على هذه الوثائق ، وأظن أن ذلك ضايقه . ولعله الأمر الذى استوجب فى ذلك الوقت حملة عنيفة علىّ ركزت على نقطة واحدة هى نقطة « المصداقية » ، وكان الهدف – على ماهو ظاهر – أن يصبح ما أقول أو أكتب فى يوم من الأيام موضع شك . وقد اعتبرت ذلك من وجهة نظر أصحابه مبررا بضرورات مواقفهم .

□ كانت هناك أيضا وثائق من أنواع أخرى . بعضها وثائق كنت طرفا فى وقائعها . وبعضها حصلت عليه من أصحابه . وبعضها استعملت قانون حرية المعلومات فى الولايات المتحدة حتى أستخرجه ليؤدى دوره فى سياق القصة وفى تتابع مشاهدها .

□ كانت هناك أيضا مذكرات كتبتها عما رأيت وسمعت . وكنت أكتبها فى حينها ، لا أنتظر ولا أعتمد على الذاكرة – عارفا أن الكتابة على الورق هى وحدها التى تحفظ التفاصيل حية ونابضة ، حتى وإن ابتعدت الحوادث وتزايد وقر السنين – ثم إن ذلك فى نفس الوقت عاصم من منزلق خطير يقع فيه الكتّاب والكتب أحيانا ، فإذا روايتهم للحوادث لا تصفها

كما كانت ، وإنما كما يجب أن تكون من موقع نظرهم . وهذا فضلا عن مخاطره على الحقيقة ، يوقع أصحابه فى محظور « الحكمة بأثر رجعى » !

□ كانت هناك أخيرا مراجع لا تعد ولا تحصى . فالذين شاركوا فى الحوادث كتبوا عنها كل من موقعه ، وربما أشرت بالتحديد إلى مذكرات كل من « هنرى كيسنجر » ، و« ريتشارد نيكسون » ، و« جولدا مائير » ، و« موشى ديان » ، و« آبا ايبان » . وفوق ذلك كانت هناك دراسة الدكتور « مايكل بريشر » الذى تخصص طول عمره الأكاديمى فى دراسة صنع القرار الإسرائيلى - إلى جانب تلك الوثيقة الهامة والخطيرة التى انتهت إليها أعمال لجنة التحقيق التى رأسها كبير القضاة « أجرانات » ، وكان تكليفها أن تحقق فى أسباب ما أصاب إسرائيل فى أكتوبر ١٩٧٣ .

□ كانت هناك أيضا لقاءات وأحاديث « كورت فالدهايم » السكرتير العام للأمم المتحدة وقتها ، و« ادوارد هيث » رئيس وزراء بريطانيا ، و« ويلى برانت » مستشار ألمانيا الغربية ، وغيرهم وغيرهم ممن أتاحت لهم مواقعهم أن يتصلوا بطرف من أحداث القصة فى مرحلة من مراحلها .

وتلك كلها مصادر ساعدتنى على رواية القصة بالطريقة التى تمنيت أن أعرضها بها ، وعلى طريقة شيخ الصحفيين العتيد « ويكهام ستيد » الذى تحفظ مراجع دراسات الصحافة نصيحته لكل من يكتب : « إذا كانت لديك قصة تريد أن تكتبها ، فابدأ معها من بدايتها ، وأمش معها إلى نهايتها ، ثم توقف تماما عند هذه النقطة » ... وذلك ما حاولت أن أفعله .

وقد أجد مناسبا هنا أن ألفت النظر إلى أنه مع وجود الوثائق كاملة فى متن الكتاب ، فإن ملحقا وثائقيا خاصا فى نهايته يصبح تكرارا ليست منه فائدة . ومع ذلك فقد أفردت فى نهاية الكتاب ملحقا لصور الوثائق . فمن يطلب الوثائق سوف يجدها فى المتن ، ومن يطلب التدقيق والمراجعة فالصور تحت تصرفه يراجعها ويدرسها كريما ومشكورا .

ومن الحق أن أعترف أن « الأهرام » كان كريما فى قبوله لهذا التأكيد بالتكرار (أى نشر نصوص الوثائق فى متن الكتاب ثم إعادة نشر صور لها فى ملحق خاص) .

ولم يكن هذا التأكيد بالتكرار مفيدا لقارىء هذا الكتاب وحده ، وإنما لعله يكون نافعا لأى قارىء للتاريخ المصرى الحديث مشغول بوقائعه ومهموم بأمره .

ولا بد أن أشهد أن حرص « الأهرام » على هذه المجموعة من الكتب عن « حرب الثلاثين سنة » - هو حرص لم يكن ممكنا بغير عطائه أن تصدر هذه المجموعة على النحو الذى صدرت به ، وفى مصر .

وهذا عطاء مشترك ساهم فيه كثيرون ابتداء من الصديق الكريم الأستاذ ابراهيم نافع رئيس مجلس إدارة « الأهرام » وتحريره ، إلى آخرين من عمد وأركان « مركز الأهرام للترجمة

والنشر » . تصرفوا جميعا مقتنعين بأنهم أصحاب الكتاب معنويا ، حتى وإن كانت مسئولية كل ما فيه تقع على كاتبه دون غيره .

وأجدنى واصلا من هنا إلى استطراد لا بد منه ، وهو أن أتقدم بعرفانى لرفاق فى مكتبى كرسوا جهدهم معى من أجل هذا الكتاب ، وأقصد بالتحديد كلا من الأستاذة جيهان عطية والأستاذ منير عساف ، فكلاهما عاش معى الكتاب فى جميع مراحله ، وكلاهما أعطى بكل ما لديه من جهد .

. . . .

. . . .

● ويرد على بالى هنا خاطر لا أجد بأسا من الوقوف معه ، ذلك أن مجموعة أوراقى الخاصة مشكلة عويصة ، فأنا لم أخف عن الناس قط حقيقة أننى أحتفظ بالمهم منها خارج مصر ، وأستحضر أحيانا صور بعض صفحاتها إذا كان عملى فى وقت من الأوقات يقتضى استخدامها لتأكيد ما أكتبه .

إننى فكرت فى ذلك مبكرا ونفذته ، ولم أندم عليه ، بل لعل الأيام أكدت لى مرة بعد مرة أننى فيما فكرت ونفذت لم أجنح كثيرا إلى الشطط .

ومع أن ذلك عبء ثقيل على مشاعرى - وحتى على متطلبات غير متوقعة تظهر أمامى بين شواغلى - إلا أن ذلك الحال المتعب خيار لم يكن له بديل . فهذه الأوراق تحتوى على كثير من التفاصيل والنصوص تحكى وقائع مرحلة مهمة فى تاريخ مصر المعاصر ، ثم إنها تتجدد حتى الآن بما يضاف إليها على مر الأيام . وأنا أول من يدرك أن ما عندى ، بما فيه ما هو مكتوب بخط يدى ، ليس ملكا شخصيا لى وإنما هو حق عام يتخطى الأفراد والأعمار ، لكن حقائق الحياة فى العالم الثالث ، ونحن جزء منه ، لها ضروراتها ولها ضرائبها . وأريد لهذه الأوراق أن تكون فى الحفظ والصون ، وهى كذلك الآن فى إطار وضمان ترتيبات معينة . ومع ذلك فسوف يظل أقصى مناى أن يجىء يوم أستطيع فيه أن أحمل هذه الأوراق كلها إلى مصر فى كفالة وضع مؤسسى يوفر ما هو ضرورى لحمايتها من ناحية - ومن ناحية أخرى يفتحها لمحاولات جادة وأمينة تبحث عن الحقيقة دون ابتذال أو استغلال ...

وكان ظنى فى وقت من الأوقات أن أودع كل مجموعة أوراقى الخاصة فى مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية فى الأهرام . ثم ناقشت جديا احتمال أن أعهد بها إلى كلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة .

وكان فى خيالى طول الوقت حجم ما رأيت من مجموعات الأوراق الخاصة لساسة ودبلوماسيين وصحفيين فى كلية « سانت أنتونى » فى جامعة « أوكسفورد » . وربما كان يكفى أن أشير إلى أن اللورد « كيلرن » السفير البريطانى السابق فى مصر (١٩٣٥ - ١٩٤٥) له مجموعة أوراق فى كلية « سانت أنتونى » وصلت إلى ٢ مليون صفحة .

كان ذلك ظنى ، وخيالى ، بل وطموحى ، لكنه - حتى الطموح يحتاج أيضا إلى حصانات توفر الحماية ولو لحزم من الورق !

. . . .

. . . .

● هناك مسألة أخرى أجد مناسبا أن أشير إليها فى هذا السياق . ذلك أننى رويت فى بعض الأحيان عن أشخاص بغير أن أستأذنهم مسبقا فيما أتيت على ذكرهم فيه من وقائع أو مشاهد . لكننى حرصت طول الوقت على أن تكون الرواية باستمرار عن أحياء يملك أى واحد منهم - إذا شاء - أن يرد علىّ : « نعم حدث » .. أو « لا لم يحدث » ! هذا مع أننى لم أتعرض إلا لما رأيت بعينى ، وسمعت بأذنى ، وسجلت فى زمانه ومناخه مضيفا إلى الرواية سند الوثائق وأمانتها ، حريصا فى كل الأحوال على مشاعر وحقوق الآخرين .

وإذا حدث وتضايق أحد من سرد أو تفصيل - فإنى أعتذر له مقدما . وإذا تقبل - صدق القول والقصد - فالفضل له فى الأول والآخر .

وكان بودى لو استأذنت ، لكن ذلك كان ضربا من المستحيل . ولو أننى حاولته لجاء ضغطا على الطبيعة البشرية لا يحتمله واقع الحال لدواع كثيرة .

. . . .

. . . .

● ولا بد أن أسجل أننى مدين للرئيس « السادات » أنه قدم إلىّ أغلى وثيقة وصلت إلىّ طول حياتى المهنية ، وكانت بكرة لفائف لأجزاء من أحد أسفار العهد القديم (سفر الخروج - التوراة) حصلت عليها القوات المصرية التى هاجمت واستولت على خط بارليف . كانت هذه اللفائف محفوظة فى قيادة ذلك الخط الحصين حين اقتحمته القوات المصرية . والذى حدث أن الفريق « أحمد اسماعيل على » القائد العام للقوات المصرية تلقى هذه اللفائف ومعها العلم الإسرائيلى الذى كان مزروعا فوق حصن القيادة ، ووجد فى الاثنين رموزا مناسبة يهديها للقائد الأعلى للقوات المسلحة . وألقى الرئيس « السادات » نظرة عليها ثم التفت إلىّ وأنا جالس بجانبه ، قائلا « إنه سوف يحتفظ لنفسه بالعلم ، ولكنه - عارفا بهوايتى لجمع هذا النوع من « الأشياء » (كذلك قال) - فإنه سوف يهدينى هذه اللفائف » . ثم أضاف كريما عبارات رقيقة . وقبلت الهدية عارفا بقيمتها وبفضل مهديها . وقد احتفظت بها سنوات طويلة ، وأظن أن الأوان قد آن اليوم كى أقدمها للأحق بها منى ، وهو « المتحف الحربى » ، حتى تظل باقية فيه دواما لأجيال قادمة سوف تعيش وفية باستمرار لفضل جيل سبق - قام شبابه ورجاله بدور بطولى مجيد ، وجعلوا يوم السادس من أكتوبر ١٩٧٣ يوما يعلو بهامته على كل الأيام .

. . . .

. . . .

ولست أعرف لماذا أعود فى آخر هذه المقدمة ، مرة أخرى إلى « جمال حمدان » وإلى « شخصية مصر » مستقرا فى النهاية على تقديم هذا الكتاب تحية لذكراه .

لقد ظهر هذا العالم المتميز فى آفاق الفكر العربى كطائر العنقاء الأسطورى ، الذى تحكى قصص الأقدمين أن موطنه الأصلى صحراء العرب ، وتروى أن طائرا واحدا منه يظهر كل مئات السنين ، وأنه يعلو فى الآفاق يملؤها محلقا بأجنحته العريضة المهيبة ، وفاردا ريشه بديعا وباهرا . لكنه عندما يحين الأوان فإن هذا الطائر الأسطورى الوحيد يقيم لنفسه تلا من النار ويهبط من الأجواء ينتصب واقفا فى كبرياء وسط لهيبه ، لكنه لا يتفحم ولا يتحول إلى رماد ، وإنما ينبعث من قلب النار مستعدا لحياة ثانية ومنتشيا بشباب عمر جديد .

وكان « جمال حمدان » « عنقاء » حلم مصرى وقومى عظيم . ولقد حوطته ألسنة النار ذات صباح من شهر أبريل سنة ١٩٩٣ . لكن الأحلام العظيمة حتى فى قلب اللهيب لا تتفحم ولا تتحول إلى رماد ، وإنما تنهض بمعجزة من معجزات البعث من وسط الحريق مجددة حياتها وشبابها ، ناشرة ضياءها وإلهامها ، فاتحة أجنحتها القوية ، ومحلقة إلى أعالى السماء ...

محمد حسنين هيكل

مشهد افتتاحي

فى الساعة الثانية من بعد ظهر يوم السبت ٦ أكتوبر ١٩٧٣ - لاحت الفرصة التى تمنتها وعملت لها وانتظرتها - أمة بأسرها من الخليج إلى المحيط :

على الجبهة المصرية تلاحقت عواصف النار : ضربة طيران ، ثم قصفة مدفعية ، ثم نزل إلى مياه قناة السويس ألف قارب مطاطى تقل ثمانية آلاف مقاتل هم الموجة الأولى من موجات العبور ، وكان وراء هذه الموجات طوفان من قوات المشاة والمدرعات يهدر فى انتظار دوره فى العبور ، وكان وراء هذا الحشد المهيب كله ، جيش المليون مقاتل . وعندما ارتفع الأذان لصلاة المغرب فى ذلك العاشر من رمضان ، كانت مصر تعيش واحدة من أمجد ساعات عمرها .

وعلى الجبهة السورية ارتسمت صورة مماثلة : تمهيد بالمدفعية ، ثم اندفعت ثلاث فرق من المشاة والمدرعات تكتسح مرتفعات الجولان وتقترب بسرعة لم يكن يتوقعها أحد من حافة المرتفعات وتطل على سهول الحولة ووراءها تلوح وديان الجليل الخضراء ، وتلمع مياه بحيرة طبرية بخيوط ذهبية عكسها نزول الشمس ومرور سحابات خريف .

وكان العالم المأخوذ بالمفاجأة ، وبالمشهد الجليل للقوة العربية ، يتجه بأنظاره إلى القاهرة باعتبارها مركز قيادة العمل العسكرى والسياسى . وكان الرئيس « أنور السادات » فى القلب من تلك الصورة التاريخية العظيمة التى راحت ألوانها وأضواؤها وظلالها تتحرك مع كل دقيقة وترسم مع كل لحظة مشهدا لا يقل فى عظمته عن مشهد سبقه .

وفى مقر قيادة العمليات فى المركز رقم ١٠ على بداية طريق القاهرة - السويس ، وبينما الإشارات تتوالى ، وتتغير معها الخطوط والعلامات على خريطة ضخمة من الزجاج لميدان القتال - تأكد الرئيس « السادات » ، وكانت الساعة الرابعة والنصف بعد الظهر ، أن عملية عبور قناة السويس التى كان الكل يخشاها ويتحسب لها ، قد تمت بنجاح يفوق أى خيال .

وعندما تحول الرئيس « السادات » باهتمامه للسؤال عن الأحوال على الجبهة السورية ، جاءه فرع العمليات المكلف بمتابعة تلك الجبهة برسالة تفيد بأن القوات السورية تشق طريقها إلى مشارف مدينة « القنيطرة » عاصمة الجولان . وأخذته الحماسة وكتب على ورقة أمامه برقية لشريكه فى المعركة الرئيس « حافظ الأسد » :

« الأخ الرئيس حافظ
مبروك عليك القنيطرة . قواتنا فى الطريق إلى القنطرة .
أنور »

وكانت الحماسة لا تزال آخذة بمشاعر الرئيس « أنور السادات » فأمسك بسماعة التليفون وطلب توصيله بالسفير السوفيتى فى القاهرة « فلاديمير فينوجرادوف » ، فى مقر سفارته . ودهش

« فينوجرادوف » الذى كان جالسا إلى مائدة غدائه ، لأن الرئيس يطلبه على التليفون العام للسفارة وليس على التليفون الخاص المباشر بين مكتب الرئيس ومكتب السفير - وكان هذا الخط حيويا وممر أسرار كثيرة فى تلك الأيام .

ولقد زالت دهشته عندما وجد صوت الرئيس « السادات » يجيئه مجلجلا بالفرحة يقول له : « **فلاديمير .. إن أبنائى عبروا قناة السويس ، وهم الآن « يركبون » خط بارليف . وأريدك أن تتصل بالصديق بريجنيف (يقصد الزعيم السوفيتى « ليونيد بريجنيف ») وتنقل إليه شكرى وعرفانى على كل ما قدمتموه لنا من مساعدات جعلت هذا اليوم الرائع فى تاريخ أمتنا - ممكنا** » .

ثم واصل الرئيس كلامه قائلا لـ « فينوجرادوف » : **خذ .. الفريق أحمد اسماعيل يريد أن يكلمك** » . وسمع « فينوجرادوف » صوت القائد العام الفريق « أحمد اسماعيل » يقول له « **إنه يريد أن يقدم له وللاتحاد السوفيتى شكره وشكر القوات ، كما أنه يريد أن يهنئه على نجاح السلاح السوفيتى وكفاءته** » !

وكان « فينوجرادوف » مأخوذا لا يعرف ماذا يقول ؟ - فقد وصلت إليه من قبل أنباء عن وقوع عمليات على الجبهة ، وتأكد منها عن طريق بعثة الاتصال السوفيتية مع القوات المصرية - لكنه لم يكن يعرف الحجم ولا المدى الذى يمكن أن تصل إليه هذه العمليات . وقد كانت لديه فكرة مسبقة عن « احتمال حدوث شىء ما كبير » فى هذا اليوم - لكنه لم يكن يتوقعه بهذه السرعة ، ولا كان ينتظر منه نتائج على المستوى الذى يسمعه الآن من الرئيس « السادات » ومن الفريق « أحمد اسماعيل» .

وقال « فينوجرادوف » : « **إنه شديد السعادة بما سمع . وإنه سوف يتصل على الفور بالكرملين ويبلغهم بالرسالة التى طلب منه نقلها الآن** » .

وقد رأى الرئيس « السادات » قرب المغرب أن يترك المركز رقم ١٠ ، وأن يتوجه إلى قصر « الطاهرة » الذى اتخذه مقرا لقيادته فى أيام معركة أكتوبر . وقبل أن ينصرف عانق القادة الكبار فى المركز ، وصافح عددا من ضباط الأركان وخرج قائلا لهم : « إنه سوف يتركهم « ليشوفوا شغلهم » ، وأما هو فإن عليه الآن أن يواجه الجانب الآخر من المعركة ، وهو الجانب السياسى » .

ووصل الرئيس « السادات » إلى قصر « الطاهرة » وقيل له : « إن الرئيس بريجنيف طلبه من موسكو قبل خمس دقائق ، وحين عرف أنه فى الطريق من القيادة إلى قصر الطاهرة - قال إنه سوف يعاود الاتصال به تليفونيا بعد عشر دقائق » .

وكان الرئيس « السادات » يغسل يديه ووجهه فى الحمام حينما أبلغ أن « بريجنيف » على الخط مرة ثانية . ومشى الرئيس « السادات » واثقا إلى التليفون ليسمع صوت « بريجنيف » يناديه

بكلمات تشيع فى ألفاظها نبرة اندفاع حماسي . وأدرك أنها كلمات تهنئة ، وحاول أن يرد بالانجليزية ، ثم سمع صوتا باللغة العربية يقول :

– « فخامة الرئيس .. إننى المترجم الخاص للرفيق بريجنيف .

هو بجانبى هنا يهديك تحيته ويقدم لك تهنئته ، **ويقول هذا يوم سعيد بالنسبة للعرب وأصدقائهم السوفيت** » .

ورد عليه الرئيس « السادات » :

– « **قل له إننا لن ننسى دور السوفيت ودوره هو شخصيا فى أننا استطعنا تحقيق ما حققناه اليوم** » .

ورد مترجم « بريجنيف » نيابة عنه يقول :

– « الرفيق بريجنيف يقول لكم : **نحن عملنا الواجب علينا تجاه أصدقاء أعزاء ، ولكن أنتم ورجالكم الذين قاتلتم اليوم وتقاتلون المعركة إلى الآخر محققين أهدافكم إن شاء الله** » .

وقهقه الرئيس « السادات » ضاحكا وقائلا : « **صديقنا بريجنيف أصبح مسلما يقول « إن شاء الله » مثلنا** » .

وكان الرئيس « السادات » يستمع إلى صوت المترجم ينقل همسا إلى « بريجنيف » الواقف بجواره ، ثم عاد المترجم ينقل إليه تعليق زعيمه :

– « **يقول لكم الرفيق بريجنيف إن كل المخلصين مهما كانت عقائدهم الدينية – من نفس المبدأ** » .

ورد الرئيس « السادات »:

– « **قل له إننى شاكر . شاكر جدا . ولن ننسى فضل أصدقائنا المخلصين .**

قل له إننى حالما تأكدت من نجاح قواتنا فى العبور و« ركوب » **خط بارليف – كان أول من اتصلت به هو** « **فلاديمير** » **لكى ينقل رسالة منى إلى صديقى وأخى بريجنيف** » .

وعاد المترجم ينقل من « بريجنيف » قوله :

– « **يقول لكم الرفيق بريجنيف مبروك . ويعبر لكم عن ثقته بالنجاح . ويقترح أن نكون على اتصال بشأن الخطوات التالية** ».

ورد الرئيس « السادات » :

– « **سوف نكون على اتصال مستمر بالسفارة هنا ، ونحن نريد أن نسمع منكم ما قد يكون لديكم ، ونحن نعرف أن الأطراف كلها سوف تكون على اتصال بكم . المهم الآن أننى شاكر ... شاكر جدا** » .



الأسد — أحمد اسماعيل — بريجنيف

بورقيبه — الحسن — هوارى بومدين

ولم يكن ذلك هو الاتصال التليفونى الوحيد الذى أجراه الرئيس « السادات » أو أجرى معه ، ففى مساء ذلك اليوم – وأيام أخرى تلته – لم يكن تليفون قصر « الطاهرة » يكف عن الرنين .

كان العالم العربى كله مشدود الأعصاب على الآخر ، وكانت المشاعر موزعة بين الفرحة العارمة وبين الرغبة فى الاطمئنان على خطوة أولى على طريق النصر تحققت وبامتياز .

وكان التليفون أسرع وسيلة رآها المسئولون – عربا وغير عرب – للاتصال ، والسؤال ، والتهنئة ، والاطمئنان – كله فى نفس واحد .

وبالطبع فإن كثيرين يعرفون أن التليفونات الخارجية كلها مسموعة ، بل هى فى معظم الأحوال مسجلة ومن جانب أطراف عديدين . ولم يكن مكتب رئيس الجمهورية أو بيته استثناءً من القاعدة ، وهكذا فإن سجل اتصالاته فى هذه الساعات حاضر بسياقه وألفاظه .

بعد قليل من تليفون « بريجنيف » ، وقد دار الحوار فيه عن طريق مترجم ، كان الاتصال التالى من الملك « حسين » ملك الأردن ، ولم يكن يحتاج إلى تدخل مترجم .

كان الملك فى عمان ، وحاول الاتصال بالقاهرة منذ الساعة الخامسة والنصف بعد الظهر ولم يستطع ، وأخيرا أجرى مكالمته عن طريق لندن ، وجرى تسجيلها فى تقرير من الرقابة مكتوب على الاستمارات الرسمية المطبوعة لتسجيل المكالمات على النحو التالى(*) :

« سرى للغاية »

رقم التقرير :	من : عمان طريق لندن الملك حسين
رقم التذكرة :	إلى : مصر السيد الرئيس أنور السادات
رقم الشريط : ٧٠٧ + ١٠١٨	رقم التليفون ٦٧٩٦٧
الوقت والمدة : الساعة ١٩	العنوان :
التاريخ : ١٩٧٣/١٠/٦	نوع الحديث : عام عربى

نص المحادثة

الملك حسين : سيادة الرئيس موجود
مصر : ألو مساء الخير أنا حسين الشافعى
الملك حسين : ياهلا يا أخ حسين كيف الإخوان
مصر : أزيك أنت وازى صحتك
الملك حسين : الله يبارك فيك الحمد لله من أحسن ما يمكن
مصر : الأخ الرئيس أنور جاى يكلمك حالا دلوقتى
الملك حسين : طيب ياسيدى
مصر : وازيكم جميعا
الملك حسين : الحمد لله الكل بخير وأفكارنا معاكم وإن شاء الله الله ياخذ باليد
مصر : الله يبارك فيك .. دقيقة واحدة يكلمك
الملك حسين : طيب يا أخى
الرئيس السادات : أيوه
الملك حسين : مساء الخير سيادة الأخ

(*) صورة الصفحة الأولى للتقرير الخاص بتسجيل المكالمة التليفونية بين الملك « حسين » والرئيس « السادات » موجودة فى ملحق صور الوثائق تحت رقم (١) - صفحة ٧٣٩ من الكتاب .

الرئيس السادات : أهلا مساء الخير يا أخ حسين أهلا
الملك حسين : كيف أحوالك
الرئيس السادات : الحمد لله بخير وكيف أحوالك أنت
الملك حسين : الحمد لله من أحسن ما يمكن سيادة الأخ وإنما أفكارنا معاكم والله ياخذ باليد
الرئيس السادات : والله أنا واثق وشاكر جدا ومقدر جدا والله
الملك حسين : الله يبارك فيك
الرئيس السادات : الحمد لله زى ما سمعت القوات عبرت
الملك حسين : الحمد لله
الرئيس السادات : والعملية ماشية الحمد لله فى طريقها المرسوم تمام
الملك حسين : عال عال ممتاز
الرئيس السادات : إن شاء الله ربنا يسهل
الملك حسين : سيادة الأخ
الرئيس السادات : نعم
الملك حسين : ياسيدى رجائى الوحيد إذا سمحت عن طريق الواسطة الأخرى اللى أضمن وأسلم
الرئيس السادات : طيب
الملك حسين : اذا أمكن تخلونا فى الصورة بس سيادة الأخ لو سمحتم
الرئيس السادات : قوى قوى قوى - قوى حاضر
الملك حسين : طيب ياسيدى ونتمنا (نتمنى) لك كل التوفيق والسلام والتحية لكل الإخوان عندك
الرئيس السادات : الله يبارك فيك وأنا شاكر قوى ومقدر خالص
الملك حسين : الله يبارك فيك ويسلمك وإحنا من جهتنا بنتخذ كل الاحتياطات اللازمة بقدر إمكاننا
الرئيس السادات : ربنا يوفقك إن شاء الله
الملك حسين : أشكرك ياسيدى
الرئيس السادات : الله يحفظك
الملك حسين : الله يبارك فيك
الرئيس السادات : أهلا
الملك حسين : تسلم ياسيدى

وانتهى الحديث »

□

ورن التليفون فى قصر « الطاهرة » ،
وجاءت مكالمة ثانية حواها تقرير ثان(*) :

(*) صورة الصفحة الأولى للتقرير الخاص بتسجيل المكالمة التليفونية بين الرئيس « هوارى بومدين » والرئيس « السادات » موجودة فى ملحق صور الوثائق تحت رقم (٢) - صفحة ٧٤٠ من الكتاب .

« سرى للغاية

رقـــم التقريـــــر :
رقـــم التذكـــــرة :١٩٠٨٣٩
رقـــم الشـــــريط : ٢٠٨١
الـوقت والمـــدة : الساعة ١٩,١٠
التاريـــــــــــخ : ١٩٧٣/١٠/٦

من : الجزاير هوارى بومدين
إلى : مصر السيد الرئيس أنور السادات
رقم التليفون ٦٧٩٦٧
العنوان :
نوع الحديث : عام عربى

نص المحادثة

الرئيس بـومـديـن : الأخ السادات
الرئيس الســادات : أهلا أهلا يا أخ هوارى
الرئيس بـومـديـن : كيف أحوالكم
الرئيس الســادات : الحمد لله بخير كيفك أنت
الرئيس بـومـديـن : لا بأس أنا ما سامعك كويس
الرئيس الســادات : أنا سامعك كويس
الرئيس بـومـديـن : كيف الحالة
الرئيس الســادات : الحمد لله الحالة طيبة
الرئيس بـومـديـن : وأيه أخباركم
الرئيس الســادات : الحمد لله طيبة يا أخ هوارى
الرئيس بـومـديـن : طيبة
الرئيس الســادات : الحمد لله القوات عبرت
الرئيس بـومـديـن : انتم عبرتم القناة
الرئيس الســادات : القوات عبرت القناة القوات الحمد لله
الرئيس بـومـديـن : إن شاء الله يكون مركزكم كويس
الرئيس الســادات : الحمد لله المركز كويس وماشيين فى الخطة زى ما عملناها الحمد لله
الرئيس بـومـديـن : الحمد لله وخسائر العدو كانت كبيرة
الرئيس الســادات : آه فعلا
الرئيس بـومـديـن : نعم
الرئيس الســادات : لا فعلا والحمد لله ماشية كل حاجة زى ما خططنا كويس
الرئيس بـومـديـن : حسب التقديرات
الرئيس الســادات : حسب التقديرات والتخطيط الحمد لله
الرئيس بـومـديـن : أنا كنت اتكلمت مع الرئيس الأسد وقاللى لا بأس عنده كذلك
الرئيس الســادات : عنده الحمد لله ماشى كويس كمان
الرئيس بـومـديـن : المعارك مستمرة الآن
الرئيس الســادات : مستمرة طبعا
الرئيس بـومـديـن : مستمرة
الرئيس الســادات : نعم نعم
الرئيس بـومـديـن : وإحنا قرينا الأخبار من تل أبيب بيقولوا القوات مازالت تعبر

الرئيس السادات : هو لسه لأن لسه العملية مستمرة لكن من .... القوات عبرت وحطت الأعلام ومشيت
الرئيس بومدين : طيب الحمد لله
الرئيس السادات : الحمد لله
الرئيس بومدين : ايه اللى تنتظره منا يا أخ أنور
الرئيس السادات : نعم
الرئيس بومدين : أنا .. فى الواقع منتظر أيش نعمل
الرئيس السادات : يعنى زى ما قلت لك
الرئيس بومدين : نعم
الرئيس السادات : يعنى من ناحية الأسلحة أنا مش عايز أفراد
الرئيس بومدين : نعم
الرئيس السادات : يعنى الأسلحة والبترول
الرئيس بومدين : طيب طيب
الرئيس السادات : بس
الرئيس بومدين : طيب
الرئيس السادات : طيب
الرئيس بومدين : ها نبقى باتصال مع بعض
الرئيس السادات : وهو كذلك
الرئيس بومدين : على كل حال إذا كان ممكن حسب المستطاع أنا عارف أنت مشغول كتير وإذا كان تطلعونا على سير المعارك
الرئيس السادات : باستمرار حاضر
الرئيس بومدين : وإذا كان عايز تحرك فى الميدان الدولى وكذا فا احنا مستعدين لكل حاجة
الرئيس السادات : أنا شاكر قوى يا أخ هوارى
الرئيس بومدين : طيب ما نخدش من وقتك يا أخ أنور
الرئيس السادات : أنا شاكر قوى
الرئيس بومدين : ونتمنا لكم انتصارات أكبر
الرئيس السادات : الله يبارك فيك
الرئيس بومدين : والقضية اللى أنت عايزها فى عنينا
الرئيس السادات : إن شاء الله
الرئيس بومدين : بلغوا تحياتنا لكل الأخوة وخصوصا الجنود
الرئيس السادات : إن شاء الله
الرئيس بومدين : تصبحوا على خير فى أمان الله
الرئيس السادات : فى أمان الله

وانتهى الحديث »

□

ثم عاود الملك « حسين » اتصاله بالرئيس « السادات » . وكان من موقعه فى عمان شديد

القلق يريد أن يعرف أكبر قدر من المعلومات . وأضيف إلى ملف المحادثات التليفونية تقرير ثالث(*) :

« سرى للغاية

رقم التقرير :	من : عمان (جلالة الملك حسين)
رقم التذكرة : ١٩٠٨٤٤	إلى : مصر عن طريق باريس
رقم الشريط : ١٨٦٠	(السيد الرئيس أنور السادات)
الوقت والمدة : الساعة ٢٠,٥٠	رقم التليفون :
التاريخ : ١٩٧٣/١٠/٦	العنوان :
	نوع الحديث : حكومى عربى

نص المحادثة

الرئيس السادات : أيوه
الملك حسين : ألو . مرحب سيادة الأخ
الرئيس السادات : أهلا أهلا . جلالة الأخ أهلا
الملك حسين : الحمد لله . كيف أحوالكم
الرئيس السادات : الحمد لله بخير . كيف أحوالك ؟
الملك حسين : كل حاجة تمام الحمد لله
الرئيس السادات : طيب عال الحمد لله
الملك حسين : الله يبارك فيكم يا سيادة الرئيس
الرئيس السادات : أنا شاكر قوى قوى قوى
الملك حسين : الله يبارك فيكم ويسلمك يا أخى
الرئيس السادات : الله يحفظك
الملك حسين : كل التوفيق . وسيادة الأخ لو أمرت الاخوان يحطونا فى الصورة باستمرار
الرئيس السادات : حاضر
الملك حسين : عن طريق الواسطة العسكرية
الرئيس السادات : حاضر . حاضر
الملك حسين : تسلم يا سيدى
الرئيس السادات : حاضر . حاضر
الملك حسين : كل التوفيق إن شاء الله
الرئيس السادات : الله يبارك فيك
الملك حسين : أشكرك

وانتهى الحديث »

□

(*) صورة الصفحة الأولى للتقرير الخاص بتسجيل مكالمة الملك « حسين » اللاحقة مع الرئيس « السادات » موجودة فى ملحق صور الوثائق تحت رقم (٣) - صفحة ٧٤١ من الكتاب .

ثم عاد التليفون إلى الرنين ، وكانت المكالمة من بغداد والمتحدث هو رئيس الجمهورية العراقية ، أحمد حسن البكر » . وأضيف إلى الملف تقرير رابع(*) :

« سرى للغاية

رقم التقريـــر :	من : بغداد أحمد حسن البكر
رقم التذكـــرة :١٩٠٨٣٥	إلى : مصر السيد الرئيس أنور السادات
رقم الشـــريط : ١١٧٦	رقم التليفون :
الوقت والمـدة : الساعة ٢٣,٣٠	العنوان :
التاريـــــــــخ : ١٩٧٣/١٠/٦	نوع الحديث : عام عربى

نص المحادثة

الرئيس البكـــر : مين بيتكلم
الرئيس الســادات : أنور الســادات . مين ؟
الرئيس البكـــر : مساء الخير
الرئيس الســادات : مساء الخير
الرئيس البكـــر : أحمد أحمد
الرئيس الســادات : أهلا أهلا يا أبو هيثم
الرئيس البكـــر : ايش لونك يا أخى
الرئيس الســادات : كيف صحتك
الرئيس البكـــر : ايش لونكم
الرئيس الســادات : الحمد لله . والله أنا عايز أهنيك على الولاد ... ولادك اللى عندى
الرئيس البكـــر : بارك الله فيك
الرئيس الســادات : هم ولادك اشتركوا اليوم كانوا مجهودهم ممتاز(**)
الرئيس البكـــر : دوله ولادكم
الرئيس الســادات : والله حقيقة نفخر بيهم كلنا
الرئيس البكـــر : إحنا بلغنا السفير ، السفير بتاعكم والسفير السورى كان وياه حاضر ، بقرار الحكومة العراقية ، فا بكره إن شاء الله يعلن وبلغنا بالموقف باستمرار والله إن أمكن
الرئيس الســادات : إن شاء الله
الرئيس البكـــر : شكرا
الرئيس الســادات : إن شاء الله
الرئيس البكـــر : موفقين
الرئيس الســادات : أهلا وسهلا وكيف صحتك يا أبو هيثم

(*) صورة الصفحة الأولى للتقرير الخاص بتسجيل المكالمة التليفونية بين الرئيس العراقى ، أحمد حسن البكر ، والرئيس ، السادات ، موجودة فى ملحق صور الوثائق تحت رقم (٤) - صفحة ٧٤٢ من الكتاب .
(**) سرب عراقى من طائرات الـ « هوكر هنتر » ، وقد أدى طياروه مهام ناجحة فى القتال .

الرئيس البكـــر : شكرا شكرا خير إن شاء الله
الرئيس الســادات : عال عال
الرئيس البكـــر : بارك الله فيك
الرئيس الســادات : الله يحفظك شكرا
الرئيس البكـــر : شكرا . فى أمان الله

وانتهى الحديث »

□

وهدأ رنين أجراس التليفون فى قصر « الطاهرة » ، لكنه مع الصباح عاد إلى الرنين ، وكان الرئيس « الحبيب بورقيبــة » رئيس الجمهورية التونسية على الخط(*) :

« سرى للغاية

رقــم التقريـــر : ١٧	من : تونس الرئيس بورقيبــة
رقــم التذكـــرة :	إلى : القاهرة الرئيس السادات
رقــم الشـــريط : ٢٣٠	رقم التليفون :
الـوقت والمـدة : الساعة ١٠,١٠ ٤ ق	العنوان :
التاريـــــــخ : ١٩٧٣/١٠/٧	نوع الحديث :

نص المحادثة

الرئيس بورقيبــة : سيادة الرئيس إن شاء الله تكون بخير
الرئيس الســادات : صبحك الله بالخير
الرئيس بورقيبــة : والله مسألة الحرب بينكم وبين إسرائيل والله اتشوشنا كثير ، لأن تونس دائما فى جانب مصر والعرب ، وأنا أذنت توا لجانب من الجيش التونسى وبيستعد للرحيل إلى ميدان القتال
الرئيس الســادات : شكرا
الرئيس بورقيبــة : وعملت تليفون « للقذافى » وقلتله إن أنا باعمل الواجب بتاعى لكن ربما جيش بالدبابات والمدافع يستلزم ٧ أيام علشان يوصل بينما فى ليبيا عندهم « الميراج » والدبابات ذات الصواريخ بحيث يقدروا يوصلوا الميدان فى أقرب وقت أقرب من وقتنا ، وكذلك كلمت « بومدين » وقال كذلك إن إحنا يد واحدة . وإن شاء الله الأمور تمشى كويسة والأخبار تكون تمام والجيش المصرى يكون احتل الضفة الشرقية

(*) صورة الصفحة الأولى للتقرير الخاص بتسجيل المكالمة التليفونية بين الرئيس التونسى « الحبيب بورقيبة » والرئيس « السادات » موجودة فى ملحق صور الوثائق تحت رقم (٥) - صفحة ٧٤٣ من الكتاب .

الرئيس السادات : الحمد لله ، الحمد لله
الرئيس بورقيبة : شيء يشرف لكن يلزم الإنسان لازم يكون محتاط لأنهم أنت تعرف غدارين يحبوا يظهروا للعالم إن العرب همه اللى هجموا عليهم ، وبعدين ينقضوا عليكم وتكون كارثة ، ربنا يقينا ويحسن الخاتمة
الرئيس السادات : إن شاء الله
الرئيس بورقيبة : المهم النتيجة
الرئيس السادات : فعلا . أنا شاكر جدا . وكيف صحتك إن شاء الله بالتوفيق وربنا يوفقنا إن شاء الله
الرئيس بورقيبة : وربنا يلطف
الرئيس السادات : اللهم أمين ، أنا شاكر جدا
الرئيس بورقيبة : أنا حبيت أحذرك من التقلبات لأن إسرائيل عندها قوة جبارة وإحنا توقعنا ضربتها لأن أمريكا طلبت وقف القتال وإسرائيل رفضت بحيث عندها نوايا كبيرة
الرئيس السادات : أيوه طيب
الرئيس بورقيبة : فالإنسان دائما وأبدا يكون بالمرصاد . بارك الله فيك
الرئيس السادات : شاكر جدا . مع السلامة . الله يبارك فيك

وانتهى الحديث »

□

وعاد الرئيس الجزائرى « هوارى بومدين » يعاود السؤال :(*)

« سرى للغاية

رقم التقرير :	من : الجزائر الرئيس بومدين
رقم التذكرة : ١٩٣٧٧٧	إلى : مصر الرئيس السادات
رقم الشريط : ٥٢٧	رقم التليفون ٦٩٧٩٦
الوقت والمدة : ٢٣,٥٠	العنوان :
التاريخ : ٧٣/١٠/٧	نوع الحديث : سياسى

نص المحادثة

الرئيس بومدين : سيادة الرئيس
الرئيس السادات : أهلا أهلا مساء الخير يا أخ بومدين
الرئيس بومدين : كيف أحوالكم
الرئيس السادات : الحمد لله بخير
الرئيس بومدين : أخبار المعركة

(*) صورة الصفحة الأولى للتقرير الخاص بتسجيل المكالمة التليفونية اللاحقة من الرئيس الجزائرى « هوارى بومدين » مع الرئيس « السادات » موجودة فى ملحق صور الوثائق تحت رقم (٦) - صفحة ٧٤٤ من الكتاب .

الرئيس السادات : طيبة خالص
الرئيس بومدين : الحمد لله
الرئيس السادات : القنطرة سقطت النهاردة الجزء الشمالى سقط كله . وكل حاجة ماشية كويس قوى
الرئيس بومدين : هادول بيتكلم على هجوم مضاد
الرئيس السادات : ده بيحضر عشان بكره حيعمل بكره إن شاء الله
الرئيس بومدين : وإحنا جاهزين
الرئيس السادات : قالوا لى
الرئيس بومدين : إحنا جاهزين على كل حال
الرئيس السادات : عظيم
الرئيس بومدين : أنا بعثت لك فى القاهرة
الرئيس السادات : نعم قالوا لى
الرئيس بومدين : طبعا الأولاد وصلوا عندك
الرئيس السادات : قالوا لى يوصلوا الليلة
الرئيس بومدين : أظن وصل هو الآن
الرئيس السادات : أيوه
الرئيس بومدين : والأشياء الأخرى اللى كنا اتكلمنا عليها فاحنا جاهزين على كل حال
الرئيس السادات : عظيم . عظيم
الرئيس بومدين : إذا كان القضية بتاع البترول تزويدكم بالقدر المناسب ، يعنى البترول وغيرها
الرئيس السادات : وهو كذلك
الرئيس بومدين : وعلى كل حال الأخ اللى وصل عندك لما تشوفه ابقى قول له كل حاجة
الرئيس السادات : طيب ، وهو كذلك
الرئيس بومدين : ماشيين طبعا
الرئيس السادات : الحمد لله فى السما
الرئيس بومدين : على كل حال إحنا ثقتنا. ثقتنا فى القاهرة
الرئيس السادات : (ضحك) أنا عارف يا أخ بومدين . أنا عارف
الرئيس بومدين : أنا عارف
الرئيس السادات : لأ خليك واثق الحمد لله كل حاجة عال
الرئيس بومدين : من ناحية سوريا مفيش اجراءات التحركات
الرئيس السادات : لسه . لسه شوية
الرئيس بومدين : لسه شوية
الرئيس السادات : الليلة دى سمعت أنا أمريكا طالبة عقد مجلس الأمن
الرئيس بومدين : نعم نعم
الرئيس السادات : آه
الرئيس بومدين : وأنا سمعت هذا . أبا ايبان بيقول أنه مستعد لوقف إطلاق النار
الرئيس السادات : طبعا . فى وكالات الأنباء الليلة . الضربة الجوية وضربة المدفعية أصابتهم بإصابات مش قادرين يتحملوها أبدا
الرئيس بومدين : أيوه
الرئيس السادات : وعمليات نقل الدم و و وعمليات صعبة قوى وهم مش راضيين يذيعوا
الرئيس بومدين : نعم

الرئيس السادات : يعنى الحمد لله ماشية كويس قوى
الرئيس بومدين : وأخونا الأسد كيف حاله
الرئيس السادات : الحمد لله طيب قوى النهارده المغرب أخدوا موقع أهم من موقع جبل الشيخ كمان
الرئيس بومدين : اللى هى فى الغرب
الرئيس السادات : اللى هى فى الغرب آه
الرئيس بومدين : يعنى المراكز ماشيين اليوم
الرئيس السادات : هم ركزوا لكن ماشيين كويس قوى المغرب كانوا ممتازين
الرئيس بومدين : وقصفوا بطائراتهم . وكالات الأنباء بتقول هاديك
الرئيس السادات : عندهم
الرئيس بومدين : نعم
الرئيس السادات : عندهم يعنى هو ده البلاغ بتاعهم الحقيقة
الرئيس بومدين : نعم
الرئيس السادات : إنما يعنى واضح لأنه عنده دفاع جوى طيب
الرئيس بومدين : نعم . آه طبعا طبعا أنا أخذت من وقتك كثير يا أخ الريس
الرئيس السادات : أبدا أبدا أنا سعيد قوى ومتشكر قوى يا أخ بومدين
الرئيس بومدين : موفقين وبكل الجهود
الرئيس السادات : الله يبارك فيك خالص
الرئيس بومدين : الله يعينكم إن شاء الله
الرئيس السادات : ألف شكر يا أخ بومدين
الرئيس بومدين : نراكم بخير
الرئيس السادات : الله يبارك فيك
الرئيس بومدين : تصبح على خير سيادة الريس
الرئيس السادات : تصبح على خير
الرئيس بومدين : أنا حتصل معاكم إن شاء الله بكره
الرئيس السادات : طيب يا أخ بومدين
الرئيس بومدين : تصبح على خير
الرئيس السادات : تصبح على خير

وانتهى الحديث .

□

وجاء دور الملك « الحسن الثانى » ملك المغرب(*) :

« سرى للغاية »

رقم التقرير : ١٨
رقم التذكرة :
رقم الشريط : ٢٤٨
الوقت والمدة : ١٠,٤٥ ٣ ق
التاريخ : ١٩٧٣/١٠/٨

من : الرباط (طريق تونس) جلالة الملك
إلى : مصر سيادة الرئيس أنور السادات
رقم التليفون : الرياسة
العنوان : الرياسة
نوع الحديث : عام عربى

نص المحادثة

الرئيس السادات : الأخ الحسن ؟
الملك الحسن : أيوه
الرئيس السادات : أهلا يا صباح الخير
الملك الحسن : حالكم بخير ؟
الرئيس السادات : أهلا وسهلا
الملك الحسن : أهلا وسهلا بك يا فخامة الرئيس
الرئيس السادات : كيف صحتك ؟
الملك الحسن : أزى الصحة فخامة الرئيس ؟
الرئيس السادات : الحمد لله بخير. كيف صحتك انت ؟
الملك الحسن : الله يعاونكم ويقويكم
الرئيس السادات : الله يحفظكم
الملك الحسن : وينصركم ويزيدكم مدد على مدد
الرئيس السادات : الله يبارك فيكم - أنا عاجز عن الشكر والله
الملك الحسن : إحنا على كل حال رهن الإشارة
الرئيس السادات : أنا عاجز عن الشكر ياجلالة الأخ خالص
الملك الحسن : لا لا فخامة الرئيس ده الواجب
الرئيس السادات : والله حقيقة يعنى مشاعرك وكل تأييدك ومساهمتك . أنا عاجز عن الشكر
الملك الحسن : ده واجب وإحنا رهن الإشارة
الرئيس السادات : وأنا وصلنى الإخطار الأخير
الملك الحسن : أيوه
الرئيس السادات : وأنا حا ابعتلك على طول إن شاء الله علشان المواعيد
الملك الحسن : أيوه
الرئيس السادات : حارسلك إن شاء الله على طول علشان المواعيد
الملك الحسن : أرسلتم برقية ؟

(*) صورة الصفحة الأولى للتقرير الخاص بتسجيل المكالمة التليفونية بين الملك « الحسن الثانى » ملك المغرب والرئيس « السادات » موجودة فى ملحق صور الوثائق تحت رقم (٧) - صفحة ٧٤٥ من الكتاب .

الرئيس السادات : لا لسه حانرسل برقية . حا أرسلك إن شاء الله مع السفارة
الملك الحسن : والجواب على البرقية اللى أرسلت ليكم ـ الثانية ؟
الرئيس السادات : لسه ـ الثانية ما شفتها
الملك الحسن : هاه ؟
الرئيس السادات : أنا ما قرأت الثانية
الملك الحسن : جاى الجواب جاى
الرئيس السادات : وصل ؟
الملك الحسن : طيب
الرئيس السادات : آه
الملك الحسن : حالتكم بتصل مع السفارة بتاعتكم هنا
الرئيس السادات : آه إن شاء الله
الملك الحسن : حالتكم بتصل مع السفارة بتاعتكم هنا فى الرباط
الرئيس السادات : طيب كويس خير
الملك الحسن : إحنا على كل حال رهن إشارتكم
الرئيس السادات : وكيف صحتك
الملك الحسن : وكيف الحال عندكم فخامة الرئيس
الرئيس السادات : الحمد لله بخير يا جلالة الأخ
الملك الحسن : نأمل أن الحالة كويسة
الرئيس السادات : الحالة طيبة جدا ، وأوضاع قواتنا فى سينا مستقرة تماما وبتنفذ الواجبات بتاعتها ، وفى سوريا أيضا ـ وكيف صحتك يا أخ حسن
الملك الحسن : لا بخير الحمد لله فخامة الرئيس بخير
الرئيس السادات : الحمد لله
الملك الحسن : على كل حال سلم لى على الجنود كلهم
الرئيس السادات : حاضر ابعت لهم
الملك الحسن : وبلغ بالله التحيات بتاعة الشعب المغربى
الرئيس السادات : وهو كذلك حاضر
الملك الحسن : وقل لهم بأن إحنا قلوبنا معاهم
الرئيس السادات : والله إحنا عاجزين عن الشكر
الملك الحسن : ودعواتنا معاهم
الرئيس السادات : إحنا متشكرين ... متشكرين جدا
الملك الحسن : وإحنا فى انتظار جوابكم على الرسالة
الرئيس السادات : وهو كذلك
الملك الحسن : بمجرد ما يوصل إحنا مستعدين
الرئيس السادات : ألف شكر
الملك الحسن : طيب
الرئيس السادات : طيب يا أفندم
الملك الحسن : والله يعاونكم فخامة الرئيس
الرئيس السادات : الله يحفظك
الملك الحسن : مع السلامة

الرئيس السادات : الله يسلمك
الملك الحسن : الله يسلمك
الرئيس السادات : الله يسلمك

وانتهى الحديث »

□

وكان الرئيس الجزائرى « هوارى بومدين » يريد أن يطمئن(*) :

« سرى للغاية

رقم التقرير :
رقم التذكرة :
رقم الشريط : ١١٣٩ + ٢٣٧٠
الوقت والمدة : الساعة ٢٣,-
التاريخ : ١٩٧٣/١٠/٨

من : الجزائر الرئيس بومدين
إلى : مصر الرئيس أنور السادات
رقم التليفون :
العنوان :
نوع الحديث : عام عربى

نص المحادثة

الرئيس بومدين : سيادة الرئيس
الرئيس السادات : أيوه أهلا أهلا
الرئيس بومدين : مساء الخير
الرئيس السادات : يا مساء الخير يا أهلا يا أخ بومدين
الرئيس بومدين : كيف حالك
الرئيس السادات : الحمد لله
الرئيس بومدين : إحنا سمعنا أن العلم المصرى موجود فى المدينة بتاعة القنطرة
الرئيس السادات : آه خلاص والمحافظة هاتروح كمان
الرئيس بومدين : يا أخ الرئيس أنا باتكلم معاك علشان نستخبر
الرئيس السادات : أيوه
الرئيس بومدين : أيه أخبارك
الرئيس السادات : الحمد لله كل خير
الرئيس بومدين : اليوم كان سخن أظن
الرئيس السادات : آه والله النهاردة كان لواءين مدرعين ، إنما الحمد لله ضربناهم وأخذنا القنطرة ، وبعدين كمان حرمتهم من البترول بتاعنا بتاع سيناء . حرقت البترول بتاعنا بتاع سيناء اللى عندهم يعنى وجعتهم النهاردة قوى . البترول بتاع سيناء بتاعنا اللى كانوا بياخدوه حرقته
الرئيس بومدين : وايه الكلام بتاع رئيس أركان الحرب الصهيونى بيقول إن إحنا عملنا هجوم كبير اليوم على الجبهة الغربية

(*) صورة الصفحة الأولى للتقرير الخاص بتسجيل المكالمة التليفونية الثالثة بين الرئيس الجزائرى « هوارى بومدين » والرئيس « السادات » موجودة فى ملحق صور الوثائق تحت رقم (٨) - صفحة ٧٤٦ من الكتاب .

الرئيس الســادات : ده كلامهم عنا وأنهم كسروا الجسور كلها ، عاملين زى أحمد سعيد(*) زمان

الرئيس بـومـديـن : أيوه

الرئيس الســادات : (ضحك) الخسائر عندهم من أول يوم يا أخ بومدين خسائر كبيرة جدا وهم اللى دفعوا أمريكا علشان عقد مجلس الأمن . ولكن لازم يعملوا حرب الدعاية دى . هم بيحاربوا بالدعاية لكن إحنا بنحارب فعلا على الأرض

الرئيس بـومـديـن : أنتم أخذتم جماعة منهم اليوم

الرئيس الســادات : نعم

الرئيس بـومـديـن : أنتم ما أخذتم أسرى اليوم

الرئيس الســادات : لا أخذنا اليوم . المجموع كله بلغ لغاية النهارده ١٢٠ لكن القتلى كتير قوى

الرئيس بـومـديـن : وأخذتم دبابات كمان

الرئيس الســادات : وأخذنا دبابات AMX وسنتيريون

الرئيس بـومـديـن : نعم بس علشان نطمئن

الرئيس الســادات : لا اطمئن ما فيش حاجة أبدا وكل خير وها أبعت لك إن شاء الله من الدبابات دى

الرئيس بـومـديـن : (ضحك)

الرئيس الســادات : (ضحك) ها أبعت لك هدية للجيش الجزائرى علشان يحطوه عندهم

الرئيس بـومـديـن : كتر خيرك

الرئيس الســادات : (ضحك)

الرئيس بـومـديـن : والله أنتم رفعتولنا رأسنا

الرئيس الســادات : الله يحفظك

الرئيس بـومـديـن : كيف إخواننا فى سوريا

الرئيس الســادات : والله أن قاعد بأتتبع الموقف يا أخ بـومـديـن ومستنى تقرير يجينى

الرئيس بـومـديـن : نعم

الرئيس الســادات : مستنى تقرير يجينى ، لكن هم كانوا مركزين عليهم من الصبح ، مركزين جدا

الرئيس بـومـديـن : لكن الظاهر أنهم أسقطوا عددا لا بأس به من الطائرات

الرئيس الســادات : الحقيقة أسقطوا عدد كويس جدا

الرئيس بـومـديـن : نعم

الرئيس الســادات : الحقيقة

الرئيس بـومـديـن : واليهود بيقولوا أنهم استرجعوا الخطوط الأولى

الرئيس الســادات : بتاعة الجولان ؟

الرئيس بـومـديـن : آه

الرئيس الســادات : أنا بعت ، لكن زى ما قلت لك هم بيعملوا حرب فى الراديو زى زمان ، لكن أنا بعت أستوثق من الكلام ده يعنى مش سهل

الرئيس بـومـديـن : وأنتم أخذتم الضفة الشرقية كاملة

الرئيس الســادات : الآن خلاص . دا أنا حتى ها أدى أمر علشان نبدأ تطهير القناة

الرئيس بـومـديـن : (ضحك)

(*) كان مذيعا فى « صوت العرب » وكان ناجحا وذا صوت مؤثر فى الجماهير ، ولكنه اتهم بالمبالغة ، ولصقت به التهمة ، ولم يكن ذلك حقا كله !

الرئيس السـادات : (ضحك)
الرئيس بومدين : ندى الخبر هذا للإذاعة الخارجية
الرئيس السـادات : أعطيه والله صحيح أنا حا أدى أمر علشان يبدأوا التطهير
الرئيس بومدين : والله أنا مسرور جدا يا أخ أنور
الرئيس السـادات : الحمد لله ما هم كانوا عايزين نستأذن إسرائيل فى فتح القناة
الرئيس بومدين : نعم
الرئيس السـادات : لا بقى
الرئيس بومدين : نعم . هم الآن يقنبلوا فى بورسعيد أظن
الرئيس السـادات : ضربوا بورسعيد اليوم لكن بقى أنا بعت لمجلس الأمن علشان ده ضرب مدن
الرئيس بومدين : نعم
الرئيس السـادات : لكن أنا اطمنت ، الحالة قبل ما تكلمنى بخمس دقائق كل حاجة ماشية كويس
الرئيس بومدين : طيب الحمد لله يا أخ الريس
الرئيس السـادات : تصبح على خير
الرئيس بومدين : تصبح على خير
الرئيس السـادات : فى أمان الله

وانتهى الحديث »

□

ولم يكن الرئيس « هوارى بومدين » قادرا على الانتظار(*) :

« سرى للغاية

رقـم التقريـر :	من : الجزائر الرئيس بومدين
رقـم التذكـرة :	إلى : مصر الرئيس أنور السـادات
رقـم الشـريط : ١١٤٨	رقم التليفون :
الـوقت والمـدة : الساعة ٢٣,٢٥	العنوان :
التاريـخ : ١٩٧٣/١٠/٩	نوع الحديث : عام عربى

نص المحادثة

الرئيس بومدين : ألو مساء الخير
الرئيس السـادات : أهلا يا مساء الخير يا أخ بومدين
الرئيس بومدين : كيف حالك
الرئيس السـادات : الحمد لله
الرئيس بومدين : كيف حال القاهرة
الرئيس السـادات : كل خير

(*) صورة الصفحة الأولى للتقرير الخاص بتسجيل المكالمة التليفونية الرابعة بين الرئيس « هوارى بومدين » والرئيس « السادات » موجودة فى ملحق صور الوثائق تحت رقم (٩) - صفحة ٧٤٧ من الكتاب .

الرئيس بومدين : والقناة
الرئيس السادات : كل خير
الرئيس بومدين : أنا شايف أنكم اتقدمتم اليوم
الرئيس السادات : إحنا يعنى واخدين الخط على ١٢ تقريبا
الرئيس بومدين : على ١٢
الرئيس السادات : آه
الرئيس بومدين : أيوه . وايش جو المعركة بتاع اليوم
الرئيس السادات : ممتاز بس كان فيه معركة فى غاية العنف
الرئيس بومدين : أيوه
الرئيس السادات : أكثر .. حوالى .. من الصبح لغاية دلوقتى دخل المعركة يمكن أربع لواءات حوالى ٥٠٠ دبابة
الرئيس بومدين : حوالى ٥٠٠ دبابة بتاع العدو
الرئيس السادات : آه
الرئيس بومدين : اعتقلتم قائد لواء أظن
الرئيس السادات : نعم نعم
الرئيس بومدين : أيوه
الرئيس السادات : وها أبعت لك الأفلام فى التليفزيون
الرئيس بومدين : لازم تبعت لى الأفلام كل الأفلام بس نبعتها لأوروبا
الرئيس السادات : أنا ها ابعتهالك
الرئيس بومدين : بس نبعتها للأوروبيين
الرئيس السادات : نعم نعم وتعرضها عندك
الرئيس بومدين : أنت تعرف بأن الجزائر إيه موقفها الآن
الرئيس السادات : نعم
الرئيس بومدين : المعركة كانت فى صالحنا طبعا
الرئيس السادات : الحمد لله إحنا مدمرين لهم النهارده بس ١٠٢ دبابة
الرئيس بومدين : ١٠٢
الرئيس السادات : ١٠٢ النهاردة بس
الرئيس بومدين : وكان فيه أسرى طبعا
الرئيس السادات : كان فيه أسرى طبعا وأنا ها أبعت لك الأفلام تشوفهم
الرئيس بومدين : نعم
الرئيس السادات : الأسرى بقى حطيت ايديهم على رأسهم من فوق
الرئيس بومدين : لازم تبعتهم لى ولو حتى بطيارة خاصة
الرئيس السادات : والله أنا أديتهم تعليمات النهاردة أول ما شفتها فى التليفزيون قلت لهم ابعتوا للجزائر للأخ بومدين لازم يعرضها هناك
الرئيس بومدين : انت تعرف شايف أنا متذكر الصورة اللى طلعوها الفرنساويين بتاع الجنود بتاعنا فى ٦٧
الرئيس السادات : تمام تمام
الرئيس بومدين : نعم . وضرورى تبعتولنا الأفلام هادى
الرئيس السادات : أنا ها ابعتهالك جيالك على طول
الرئيس بومدين : والمعركة مستمرة

الرئيس السادات : المعركة مستمرة دلوقتى حتى دلوقتى فيه
الرئيس بومدين : أنا شايف اليهود غيروا اللهجة بتاعتهم بيقولوا العشية بيقولوا لازم ندخل فى حرب استنزاف
الرئيس السادات : هم
الرئيس بومدين : نعم
الرئيس السادات : آه طبعا هو العملية .. عملية الغرور هى اللى خلتهم بيعملوا الهجمات دى كلها لأن مش مصدقين
الرئيس بومدين : نعم
الرئيس السادات : لكن لما ابتدأوا يصدقوا خلاص لازم بيقولوا كده
الرئيس بومدين : وبيقولوا (ضحك) لازم تكون حرب طويلة
الرئيس السادات : (ضحك) طيب إحنا عاوزينها حرب طويلة
الرئيس بومدين : حرب طويلة وقاسية
الرئيس السادات : إحنا عاوزينها كدة فعلا
الرئيس بومدين : الحمد لله (ضحك)
الرئيس السادات : (ضحك)
الرئيس بومدين : هم ضربوا المطارات الحربية المصرية
الرئيس السادات : ضربوا ثلاثة عندى لكن من غير تأثير
الرئيس بومدين : وأنتم أخذتم أربع طيارات أظن
الرئيس السادات : نعم
الرئيس بومدين : أخذتم أربع طيارين أظن
الرئيس السادات : أخذنا أربعة اليوم الصبح
الرئيس بومدين : نعم
الرئيس السادات : والباقى اتحرقوا
الرئيس بومدين : أيوه
الرئيس السادات : آه
الرئيس بومدين : كيف حال إخواننا فى سوريا
الرئيس السادات : الجو طيب . طلبت . بعت أشوف ايه الموقف وبعتولى الجو كويس
الرئيس بومدين : وهم ما استطاعوش يخترقوا الحدود الدفاعية السورية
الرئيس السادات : لا ما استطاعوش . واقفين
الرئيس بومدين : نعم . الحمد لله
الرئيس السادات : آه
الرئيس بومدين : وطبعا المعنويات جيدة جدا
الرئيس السادات : الحمد لله
الرئيس بومدين : الحمد لله ، وشوف يا أخ أنور
الرئيس السادات : نعم
الرئيس بومدين : فيما يخص البترول
الرئيس السادات : آه
الرئيس بومدين : وايش مكرر أو خام
الرئيس السادات : يعنى إحنا بنفضل خام

الرئيس بومدين : خام
الرئيس السادات : آه
الرئيس بومدين : أنا قررنا بس الدفعة الأولى تكون مليون طن
الرئيس السادات : وهو كذلك كويس قوى
الرئيس بومدين : نعم
الرئيس السادات : كويس قوى
الرئيس بومدين : معقولة طبعا
الرئيس السادات : كويس قوى
الرئيس بومدين : أنا مش عارف ايه الأرقام لكن ده اللى قررناه
الرئيس السادات : لا كويس ما إحنا نبتدى بمليون .. لا كويس
الرئيس بومدين : وواخدين نفس القرار بالنسبة لحافظ
الرئيس السادات : كويس ، كويس قوى
الرئيس بومدين : والله المعركة لازم تكون على الكل
الرئيس السادات : لا كده تمام
الرئيس بومدين : واحنا بنفكر نبعت أشياء أخرى استغلها على أى حال
الرئيس السادات : والله زى ما قلت لك أى أسلحة وعتاد ابعت لى
الرئيس بومدين : نعم
الرئيس السادات : أنا جاهز آخذه
الرئيس بومدين : نعم
الرئيس السادات : وذخيرة كمان يا أخ بومدين
الرئيس بومدين : نعم
الرئيس السادات : والذخيرة مهمة
الرئيس بومدين : نعم
الرئيس السادات : آه
الرئيس بومدين : نعم والحمد لله ما دام الحالة كويسة جدا
الرئيس السادات : لا الحمد لله بس النهاردة كان شرس جدا القتال
الرئيس بومدين : ايه ايه
الرئيس السادات : القتال كان فظيع لكن الحمد لله
الرئيس بومدين : نتمنى أن الخسائر من جهتنا كانت محدودة
الرئيس السادات : محدودة
الرئيس بومدين : لكن المهم العدو يخسر
الرئيس السادات : بالضبط كده
الرئيس بومدين : المهم يعنى
الرئيس السادات : هو كده بالضبط
الرئيس بومدين : المهم
الرئيس السادات : آه
الرئيس بومدين : وأنا تتبعت وكالات الأنباء لحظة بلحظة وهم يعترفوا أنهم الآن على سبعة كيلو من القناة
الرئيس السادات : (ضحك)
الرئيس بومدين : اعترفوا بصيغة رسمية الآن

الرئيس السادات : ايه
الرئيس بومدين : هم بيعترفوا أنهم على سبعة كيلو من القناة
الرئيس السادات : دا قالوا إنهم وصلوا القناة كمان
الرئيس بومدين : لا لا (ضحك)
الرئيس السادات : (ضحك)
الرئيس بومدين : والأخبار اللى عندنا العكس
الرئيس السادات : آه
الرئيس بومدين : طيب مانا خدت كثير من وقتك
الرئيس السادات : دا أنا شاكر قوى يا أخ بومدين
الرئيس بومدين : تصبح على خير
الرئيس السادات : تصبح على خير
الرئيس بومدين : فى أمان الله
الرئيس السادات : فى أمان الله

« وانتهى الحديث »

□

وكان الرئيس « بومدين » يريد أن يتصل كل يوم ، ولو استطاع لاتصل كل ساعة(*) :

« سرى للغاية »

رقم التقرير :	من : الجزائر الرئيس بومدين
رقم التذكرة :	إلى : مصر الرئيس السادات
رقم الشريط : ١٥٢١	رقم التليفون :
الوقت والمدة : الساعة ٢٣,٣٠	العنوان :
التاريخ : ١٩٧٣/١٠/١٠	نوع الحديث : عام عربى

نص المحادثة

الرئيس بومدين : ألو مساء الخير
الرئيس السادات : أهلا مساء الخير يا أخ بومدين
الرئيس بومدين : أهلا
الرئيس السادات : أهلا كيف الحال
الرئيس بومدين : لا إحنا بنسأل عليكم على كل حال
الرئيس السادات : الحمد لله كل خير
الرئيس بومدين : والله إحنا بنتابع وكالات الأنباء على الخطاوى بنقرأها

(*) صورة الصفحة الأولى للتقرير الخاص بتسجيل المكالمة التليفونية الخامسة بين الرئيس الجزائرى « هوارى بومدين » والرئيس « السادات » موجودة فى ملحق صور الوثائق تحت رقم (١٠) – صفحة ٧٤٨ من الكتاب .

الرئيس السادات : أيوه . لا الحمد لله كل خير
الرئيس بومدين : كيفها الجبهة
الرئيس السادات : طيبة الحمد لله . لسه آخر هجوم عندى خلص من ساعة بس
الرئيس بومدين : نعم
الرئيس السادات : كانوا هاجمين بلواءين مدرعين
الرئيس بومدين : نعم
الرئيس السادات : وخلص من ساعة بس
الرئيس بومدين : خلص من ساعة
الرئيس السادات : أيوه
الرئيس بومدين : هم بيقولوا إنهم عملوا هجوم مضاد
الرئيس السادات : آه عملوا
الرئيس بومدين : هم بيقولوا إنهم عملوا هجوم مضاد ويقولوا إنهم بلغنا القناة
الرئيس السادات : آه ماهم بيحاربوا زى ما قلت لك زى أحمد سعيد
الرئيس بومدين : آه
الرئيس السادات : بيحاربوا فى الهواء . وهم غيروا القيادات انت لاحظت النهارده
الرئيس بومدين : هم غيروا وإحنا ما بنسمعش ديان فين
الرئيس السادات : آه ديان ما هواش باين أبدا
الرئيس بومدين : ما عدناش بنسمع بيه أبدا
الرئيس السادات : آه صحيح إحنا ملاحظينها إحنا كمان
الرئيس بومدين : وكل الجماعة وفيه يظهر تغييرات كثيرة
الرئيس السادات : فيه صراع جوه بس مش ظاهر دلوقتى
الرئيس بومدين : مش ظاهر
الرئيس السادات : صراع كبير قوى
الرئيس بومدين : نعم نعم
الرئيس السادات : آه
الرئيس بومدين : المهم هم الإخوان يكونوا كويسين شرق القناة هذا المهم
الرئيس السادات : لا الحمد لله يعنى كون مطمئن قوى
الرئيس بومدين : الحمد لله
الرئيس السادات : آه الحمد لله
الرئيس بومدين : فيه غارات جوية
الرئيس السادات : آه على بعض المطارات ولكن ما فيش خسائر كثير عندى يعنى
الرئيس بومدين : ما فيش خسائر
الرئيس السادات : لا مافيش خسائر كثير
الرئيس بومدين : نعم
الرئيس السادات : نعم آه
الرئيس بومدين : وكيف إخواننا فى سوريا
الرئيس السادات : والله الحال مش طيب
الرئيس بومدين : مش طيب
الرئيس السادات : لا مش طيب

الرئيس بومدين : أيوه
الرئيس السادات : آه
الرئيس بومدين : والعراقيين تأخروا شوية
الرئيس السادات : العراقيين اتأخروا شوية
الرئيس بومدين : اتأخروا شوية
الرئيس السادات : اتأخروا بدون داعى يعنى
الرئيس بومدين : آه آه .. وحسين ؟
الرئيس السادات : ماشى كويس
الرئيس بومدين : ماشى
الرئيس السادات : ماشى آه ماشى
الرئيس بومدين : بس نكون مطمننين على الجبهة الغربية طبعا
الرئيس السادات : لا .. كن مطمئن خالص يعنى هو عمال يرمى فى القوات عندى و .... بنقول بنرحب دايما كل ما يبعت
الرئيس بومدين : نعم
الرئيس السادات : آه
الرئيس بومدين : نعم والأخ الرئيس نخليكم على خير
الرئيس السادات : أنا شاكر قوى يا أخ هوارى
الرئيس بومدين : مش عايزين ناخد كثير من وقتك عندك مشاكل كثيرة دلوقتى
الرئيس السادات : أنا شاكر قوى قوى
الرئيس بومدين : تصبح على خير يا أخ الريس
الرئيس السادات : تصبح على خير يا أخ هوارى

وانتهى الحديث »

□

كانت تلك هى البداية ...

وقبل البداية طريق طويل .

ومن البداية إلى النهاية تدفقت مياه كثيرة تحت جسور قناة السويس ، وتحت جسور أخرى قريبة وبعيدة !



الجزء
الأول

على طريق الحل

الفصل الأول

البداية : مأزق رجل

١

مساء يوم الاثنين ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ كان « أنور السادات » وجها لوجه مع أدق وأصعب لحظة فى حياته .

وكان قلبه وعقله خلالها نهبا لمشاعر ونوازع مختلطة ومتداخلة بحيث يستحيل وصفها بأمانة ، لأنه كان مستحيلا توصيفها بدقة ، وفرز عناصرها ، ورد كل منها إلى أصله :

□ **من ناحية** : كانت هناك مفاجأته حين وصل إلى بيت « جمال عبد الناصر » فى الساعة السادسة وخمس دقائق بعد العصر ليجد أن الرجل الذى كان رئيسا له قد أسلم روحه لبارئها قبل أربعين دقيقة من وصوله . ودخل إلى غرفة نوم « جمال عبد الناصر » ليجد أن رهبة الموت قد غطتها وغطت معها وجه إنسان كان قبلها بساعات مالىء الدنيا وشاغل الناس . ولم يكن « جمال عبد الناصر » رئيسا لـ « أنور السادات » فقط ، ولكنه كان أيضا صديقا قديما وحاميا دائما – كانت المفاجأة صاعقة !

□ **ومن ناحية ثانية** : فإن المفاجأة ما لبثت أن أسلمت نفسها لموجة من الحزن العميق لفت الغرفة كلها ، وامتزجت فيها الدموع والدعوات والصلوات ، وكان الرجال السبعة الذين سبقوا « أنور السادات » إلى الإحاطة بفراش الموت – معه فى الصدمة وفى الحزن ، وكان من الصعب على واحد منهم أن يمسك بأعصابه ويوجه لنفسه وللآخرين ذلك السؤال الذى لم يكن منه بد : **ماذا بعد ؟ وما العمل ؟**

□ **ومن ناحية ثالثة** : فقد كان هناك الخوف من المجهول لأن الرجال السبعة الذين سبقوه ، وانضم إليهم الآن ، فى دوامة المفاجأة والحزن - أصحاب مواقع مؤثرة ، وأصحاب مواقف متباينة . ولا بد أن كلا منهم سوف يقرر لنفسه - فى أية ثانية من الآن - خطوته التالية ، ربما بالاشتراك مع آخرين ، وربما بالخلاف مع غيرهم . ولم يكن هو - « أنور السادات » - أقوى الموجودين بشخصه أو بدوره أو بتحالفاته ، وكان أقرب الاحتمالات إلى الظن أن يجد نفسه ضحية فى صراع على القوة أكثر منه طرفا - وإذا حدث ذلك ، فكيف المصير ؟

□ **ومن ناحية رابعة** : فقد كان هناك ، بعد مفاجأته ، وبعد حزنه ، وبعد خوفه - طموحه المشروع كإنسان . وقد كان لديه ما يبرر هذا الطموح ، فهو بقرار من « جمال عبد الناصر » نائب الرئيس - وحده ، ومن حقه أن يحلم رغم علمه بأن أغلبية الواقفين معه فى تلك اللحظة المفاجئة والحزينة والخائفة - لم يقتنعوا به قط ، واستخفوا به قولا وعملا ، وقد تحملوه على مضض نائبا للرئيس لأن « جمال عبد الناصر » وضعه حيث هو ، ثم مضى وتركه لهم فى موقع حسبوه أكبر منه - لكن الطموح إنسانى ، والشوق إليه غالب ، خصوصا إذا كان للطموح أساس مشروع يستند إليه - ولكن أين السبيل ؟

ولعل عنصر الطموح المتداخل مع غيره من العناصر هو الذى جعله فى ذلك الموقف يتقدم إلى الفراش المحفوف بالرهبة ، ثم يكشف الغطاء عن وجه « جمال عبد الناصر » ويقبل جبهته ، ثم يأخذ يده ويلثمها ، ثم يعيد اليد إلى مكانها ، ويعيد الغطاء إلى موضعه ، ثم يلتفت إلى الآخرين الواقفين معه فى الغرفة حيارى إلى حد الضياع ، ويقترح أن ينزلوا جميعا إلى صالون الدور الأول يتحدثون ، تاركين الغرفة للأسرة تدخل لنظرة وداع أخير على سيدها الذى يوشك أن يتركها ويترك بيته ودنياه إلى الأبد !

□

كان الحظ مع « أنور السادات » فى تلك الساعة الفاصلة ، وفى الواقع فقد كان معه ما هو أكثر من الحظ ، وهو حقائق الأشياء وضروراتها ، وقد عبر عنها - ربما دون قصد - « محمد حسنين هيكل » ، الذى كان أول[1] من دعاهم « أنور السادات » لإبداء رأيه فيما ينبغى عمله ، وكان تقديره للموقف وفق الخطوط التالية :

١ - أن انتقالا للسلطة بعد « جمال عبد الناصر » يجب أن يتم سريعا وطبيعيا إلى أقصى حد ممكن ، وأن تلك ضرورة لسلامة الجبهة الداخلية ، وسلامة الجبهة العسكرية ، كما أنها ضرورة لقيمة مصر عربيا ودوليا ، فى ظرف بالغ الدقة والحرج .

---

(١) دعانى « أنور السادات » للحديث أخذا بقاعدة جرى عليها « جمال عبد الناصر » ومؤداها أننى كصحفى كنت أعرض آرائى دون تحرج وأطرح بدائل مختلفة ، ولا أنتظر الرئيس حتى يبين اتجاهه فى موضوع المناقشة . وفى ذلك الوقت فقد كنت - إلى جانب رئاسة مجلس إدارة وتحرير « الأهرام » - عضوا فى مجلس الوزراء وزيرا للإرشاد القومى ، الى جانب عضوية مجلس الأمن القومى المصغر . ولعله كان بين دواعى قبول رأيى أن أحدا من المهتمين باحتمالات القوة والسلطة - وقتها - لم يكن قد استطاع بعد بلورة موقف يطرحه فى تلك اللحظات المبكرة .

٢ – ومما يضمن هذا الانتقال السريع والطبيعى أن يكون الاحتكام فى أمره إلى قاعدة موجودة سلفا ، تغلق الباب أمام أى احتمالات للشك أو الاحتكاك أو الصراع – والقاعدة الطبيعية الموجودة سلفا هى الدستور ، وهو صريح فى أن نائب الرئيس يخلف الرئيس فى حالة غيابه ، حتى يجرى استفتاء شعبى فى ظرف ستين يوما لاختيار خلف له .

٣ – ومما يؤكد سلامة عملية الانتقال أن تكون إجراءاتها خطوة واحدة فى الوقت الواحد (one step at a time)[٢] حتى لا ينفتح الباب لمساومات أو صفقات لا تحتملها الظروف . والمسألة أن « جمال عبد الناصر » كان يشغل ثلاثة مواقع : رئاسة الجمهورية – ورئاسة الوزارة – ورئاسة التنظيم السياسى (الاتحاد الاشتراكى) . وهكذا فإنه فى حالة القبول بهذا المنطق ، يتم التصرف أولا فى رئاسة الدولة – ثم يجىء الدور على رئاسة الوزارة – وفى النهاية رئاسة التنظيم السياسى[٣] .

ولقد بدا أن هذا الرأى لقى استحسانا من « أنور السادات » ، لكنه كتم مشاعره وطلب سماع آراء أخرى . وكانت هناك فترات صمت ، وكانت هناك إشارات وتعبيرات غير متماسكة أو متكاملة . وعلى أية حال فإنه فى غيبة تصورات أخرى لم يكن لدى أحد خيار ، خصوصا وأن قوة الأشياء – خاصة فى أجواء المفاجأة والحزن والخوف والطموحات الهائمة – فرضت مسارها .

وربما لم يعترض البعض لأنها جاءت فرصة لالتقاط الأنفاس ، واستكشاف الاحتمالات ، وترتيب الأوراق ، والاستعداد لما بعد الخطوة الانتقالية الأولى .

وبعد ساعة كان هناك اجتماع آخر فى قصر القبة ضم أعضاء اللجنة التنفيذية العليا للتنظيم السياسى مع أعضاء مجلس الوزراء ، وأمامهم جرى عرض الخطوط العريضة لما سبق الحديث فيه قبل ساعة فى صالون بيت « جمال عبد الناصر » ، ولم يختلف أحد حول ما هو معروض ، ولكن التفكير فى التطبيق طرح ثلاثة أسئلة دار حولها النقاش :

- إذا كان نائب رئيس الجمهورية القائم الآن بالمنصب (« أنور السادات ») سوف يتولاه بالنيابة لمدة الستين يوما المقررة فى الدستور كحد أقصى لإجراء الاستفتاء – فهل يكون هو بذاته المرشح الذى يطرح اسمه بعد ذلك على الناخبين ، أو أنه من الممكن – أو المستحسن – أن يطرح اسم مرشح آخر ؟

- إن ظروف البلد ، سواء فى الداخل أو على الجبهة العسكرية – قد لا تتحمل هذه الإجراءات كلها ، فلماذا لا تناقش الآن بفتح باب الاجتهاد قبل فتح باب الترشيح – امكانية أن يقوم نائب رئيس الجمهورية (على القاعدة الدستورية الأمريكية) بتكملة مدة رئيسه المنتخب ، وحين

---

(٢) نص تعبير انجليزى شائع ، وقد ورد على لسان « محمد حسنين هيكل » فى تلك اللحظة .

(٣) ربما كان الترتيب المثالى الأفضل يقتضى البدء برئاسة التنظيم السياسى ، ولكن من سوء الحظ أن حقائق الحياة فى قضايا التنظيمات السياسية فى العالم الثالث لا تتيح لأحد مراعاة التتابع المثالى !

يجيء الوقت تكون الظروف على الجبهة – وبالتالى فى الداخل والخارج – قد استقرت ، ومن ثم يكون لكل حادث حديث ؟

● أو – وثالثا – فإن نفس هذه المحاذير ، سواء من دقة الظروف أو مزالق الاجتهادات ، قد تتطلب البت فى الموضوع مرة واحدة ، ومن ثم يكون من الأنسب طرح اسم نائب الرئيس كمرشح للرئاسة على الناخبين مرة واحدة ، ودون انتظار لفترة شك يجرى فيها التراضى – أو التواطؤ – على مرشح آخر ، ولا تتعثر سنوات من القلق والتخبط فى ملاحقة بقية مدة رئاسة يستكملها رجل بالاستعارة من رجل آخر .

□

كان مناخ الجلسة المشتركة للجنة التنفيذية العليا للتنظيم السياسى ومجلس الوزراء مشدودا بالإرهاق العصبى والجسمانى ، لأن المفاجأة والحزن والشعور بالخطر أمسكت بأعصاب الجميع ، وأحيانا بألسنتهم . وقد كانت هناك تحركات ربما دفع إليها التوتر ، وبدا بعضها داعيا لغموض لعله كان بلا أساس – لكنه ، وعلى نحو ما ، كان فى وسع أى مراقب متابع ومطلع أن يستشعر ظلال خطوط لا تزال بعد تبحث عن أشكالها .

وكان باديا وسط السحاب الذى ظلل القاعة من دخان السجائر ومن حرارة الأنفاس – أن هناك :

١ – **ثلاثة رجال يراودهم الطموح مع اختلاف دواعيه** ، وهم : « أنور السادات » (على أساس أنه نائب – وحيد – لرئيس الجمهورية) ، و« حسين الشافعى » (على أساس أنه الأكبر من أعضاء مجلس قيادة الثورة الباقين فى دائرة السلطة) ، و« على صبرى » (على أساس أنه الأكثر خبرة بالخطط والمهام كمدير لمكتب « جمال عبد الناصر » مرة ، ورئيس سابق للوزراء مرة أخرى ، وأمين عام للتنظيم السياسى فى اللحظة الراهنة) .

٢ – **ثلاثة رجال يعتقدون أن فى يدهم مفاتيح القوة** ، وهم : الفريق أول « محمد فوزى » (على أساس أنه وزير الحربية) ، و« شعراوى جمعة » (على أساس أنه وزير الداخلية وأمين التنظيم الطليعى فى نفس الوقت) ، و« سامى شرف » (على أساس أنه وزير شئون رئاسة الجمهورية ولديه مصب المعلومات فى الدولة ، إلى جانب مسئوليته عن الحرس الجمهورى) .

٣ – وكان من حول هؤلاء الرجال الثلاثة الذين يعتقدون بملكيتهم لمفاتيح القوة ، **ثلاثة رجال آخرين بدوا** – ولو فى الظاهر – أقرب إليهم على نحو أو آخر باعتبار علاقات السلطة ، وهم : الدكتور « لبيب شقير » (على أساس رئاسته لمجلس الأمة) و« محمد فائق » (على أساس أنه كان وزيرا للإرشاد القومى ، ثم أصبح وزيرا للدولة للشئون الخارجية لبعض الوقت) ، ثم « أمين هويدى » (على أساس أنه كان وزيرا للدولة ، مع سابق خبرة بوزارة الحربية وبالمخابرات العامة) .



سامى شرف



شعراوى جمعه



لبيب شقير

وفى قاعة الاجتماع المشترك كان هناك – إلى جانب هذه المجموعات والتجمعات – عدد متفرق من الرجال أغلبهم من المدنيين شدهم العمل مع « جمال عبد الناصر » فى مشروعه القومى الطموح ، وربطت بعضهم به علاقات قرب تفاوتت درجاتها . وكان من أظهر هؤلاء الدكتور « محمود فوزى » مساعد رئيس الجمهورية للشئون الخارجية ووزير الخارجية لسنوات طويلة ، ونجم دبلوماسية السويس دون منازع . ثم الدكتور « عزيز صدقى » الذى قاد عملية التنمية الصناعية . ثم الدكتور « عبد العزيز حجازى » ، وقد تصدى لعملية التنظيم المالى والإدارى . ثم المهندس « سيد مرعى » الذى تولى مسئولية الإصلاح الزراعى ، وقطاع الزراعة بصفة عامة معظم سنوات الثورة . وكان هناك كثيرون آخرون .

وفى وسط جو كئيب فقد كان الهم الأول لهذا العدد من المدنيين الذين شاركوا فى التجربة ، وتحملوا مسئولية أهم إنجازاتها العملية إلى جانب « جمال عبد الناصر » وتحت قيادته – هو : كيف يمكن تحقيق انتقال للسلطة ، معقول ومأمون ، صالح للعمل وقابل للتطور على كل النواحى ؟

□

وعندما ذهب « أنور السادات » الى حجرة نوم أعدت له على عجل تلك الليلة فى قصر القبة – كانت أحواله أفضل بكثير مما كانت عليه مساء نفس الليلة .

كان قد التقى وجها لوجه مع أصعب لحظة فى حياته ، وخرج منها سليما .

وراح وقع المفاجأة يزول ، وبدأ الإحساس بالحزن يفسح المجال لإحساس آخر بالمسئولية ، كما أن الخوف من المجهول أخذ يتداخل مع احتمالات أكثر مدعاة للطمأنينة ، ثم أن طموحه يقترب من المنال ، فقد انتهى رأى الاجتماع المشترك إلى الأخذ بالاقتراح الداعى لاختصار الوقت وتجنب

الشك وترشيحه هو - « أنور السادات » - لرئاسة الجمهورية فى استفتاء عام خلال فترة أسبوعين ، وبعد استكمال إجراءات شكلية تقوم بها مؤسسات الدولة لإعلان اختياره ، وهى : اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى - مجلس الوزراء - اللجنة المركزية - مجلس الأمة .

لم يكن بعد مطمئنا بالكامل ، لكنه وضع قدما على الطريق ، وما لم يجازف أحد أو مجموعة بخطوة غير محسوبة ، فإن فوزه برئاسة الجمهورية أصبح أمرا شبه مؤكد .

وفى الواقع فإنه لم يكن هناك من هو مستعد فى تلك الظروف لخطوة غير محسوبة ، وهذه شهادة لجميع الأطراف بصرف النظر عن نواياهم المكتومة أو خططهم التى نبضت خمائرها تتخلق استعدادا لمراحل لاحقة . والمهم أنه لم يكن فيهم من هو مستعد لمغامرة ، ولا كان فيهم من هو جاهز ببديل ، فضلا عن أن يكون لديه جدول أعمال أو خطة تنفيذ .

كان الكل يريد أن يقفز على لحظة المفاجأة والحزن والخطر ، وحتى على الفرص المبررة وغير المبررة ، إلى أن يجيء يوم آخر تختلف فيه الأجواء ويتهيأ المسرح ، وكانت تلك المشاعر كلها تصب فى صالح قبول « أنور السادات » .

ولعله مما ساعد على جريان الأمور سهلة وسلسة أن كثيرين ظنوه الأضعف بين المرشحين ، وربما خطر لهم أنه من الممكن بعد ذلك استغلاله ، أو السيطرة عليه ، أو حتى إزاحته . وكان ظن البعض أن أسبابا للقصور سوف تتبدى فى تصرفاته ، وساعتها من يعرف كيف تتطور المسائل ؟

وفى محصلة ذلك اليوم المهول ، مساءه وليله ، فإن « أنور السادات » أوى إلى سريره فى قصر القبة شاعرا أنه فى موقف أحسن من كل مواقف الآخرين . ومن المفارقات أنه فى تلك الساعات كانت أسباب ضعفه هى أكبر أسباب قوته !



مساء يوم الجمعة ١٦ أكتوبر كان « أنور السادات » رجلا مطمئنا ، فقد جرى الاستفتاء ، وظهرت نتيجته . ومع أن الشكوك لم تراوده فى اتجاه النتيجة ، فقد كان يتخوف من تقديرات نسبة المشاركة الجماهيرية ، ومن حجم الموافقة على ترشيحه . ولبعض الوقت داخلته الهواجس فى أن جماعات القوة والسلطة ترغب فى تقليل حجمه عن طريق التخفيف من نبرة الدعوة إلى انتخابه ، أو الاقتصاد فيما يتعلق بنسبة المشاركة فى الاستفتاء أو نسبة الموافقة على رئاسته للدولة .

لكنه استراح أخيرا حين أبلغه وزير الداخلية بالنتائج التى سيجرى إعلانها ، وكان تقرير وزير الداخلية أن الذين شاركوا فى الاستفتاء جاءوا بنسبة ٨٥٪ من مجموع أصوات الناخبين ، كما أن عدد الذين أبدوا رأيهم بالموافقة على ترشيحه جاءوا بنسبة ٩٠,٠٤٪ من مجموع الأصوات الصحيحة .

وهكذا فإنه فى مساء يوم الجمعة ١٦ أكتوبر كان يشعر أن قدميه الاثنتين - وليس قدما واحدة - قد دخلتا وتمكنتا من نقطة البداية ، ثم أن الباقى أصبح معلقا به وبقدرته على إدارة مصير رئاسته ، وربما إدارة مستقبل حياته ، بما فى ذلك رقبته نفسها !

□

صباح يوم السبت ١٧ أكتوبر استيقظ « أنور السادات » مبكرا من نومه فى قصر الطاهرة - وكان قد اتخذه مقرا مؤقتا لإقامته - ليبدأ أول أيام رئاسته .

كانت معنوياته عالية ، ومزاجه رائقا ، لكنه كان أمام معضلة أول قرار يتحتم عليه اتخاذه . حتى الآن كانت القرارات تتخذ له ، وأما الآن فقد كان عليه أن يجرب صنع قراره .

وفى الساعة الثامنة والربع صباحا اتصل بـ « محمد حسنين هيكل » الذى كان يحضر اجتماعا يصفى فيه مهمته كوزير للإرشاد القومى . كان قد قدم استقالته لرئيس الجمهورية بالنيابة يوم ٣ أكتوبر ، وقد اعتبر أن رحيل « جمال عبد الناصر » يعفيه من مسئولية قبلها مضطرا قبل ذلك بشهور . وحاول الرئيس بالنيابة اقناعه بالعدول عنها ، لكنه وبعد ست ساعات من المناقشة لم يجد غير قبولها مشترطا تأجيل إعلانها إلى ما بعد الاستفتاء .

والآن فى هذه الساعة الباكرة من صباح يوم السبت ١٧ أكتوبر ، كان الرئيس « أنور السادات » يطلب « محمد حسنين هيكل » إلى لقائه فى قصر الطاهرة ، ويحدد له العاشرة موعدا . وانفض الاجتماع ، واصطحب « محمد حسنين هيكل » أحد ألمع الدبلوماسيين الشباب المنتدبين للعمل فى وزارة الإرشاد وقتها وهو المستشار(*) « أسامة الباز » ، متصورا أن مسافة الطريق فسحة وقت إضافية للبت فى بعض المعلقات من شواغل الوزارة .

□

وفى الموعد المحدد تماما كان السيد « فوزى عبد الحافظ » ، سكرتير الرئيس « السادات » يقود « هيكل » إلى الصالون الداخلى الصغير فى قصر الطاهرة ، وكان قد تحول إلى مكتب طوارىء للرئيس الجديد .

(*) كانت هذه درجته فى السلك الدبلوماسى وقتها ، وهى الآن - ١٩٩٣ - وصف منصبه باعتباره مستشارا لرئيس الجمهورية .

وبدأ الرئيس « السادات » – بعد مقدمة عن نتائج الاستفتاء وعن خطابه الذى كان مقررا أن يلقيه أمام مجلس الأمة فى اليوم التالى – فقال : « الآن بدأ الجد . حتى الآن مشينا كما اقترحت أنت فى سياسة « خطوة واحدة فى الوقت الواحد »(٤) – ولقد تمت الخطوة الأولى ، رئاسة الجمهورية ، وهذه اللحظة أمامى الخطوة التالية وهى رئاسة الوزارة ... »

وسكت قليلا ، ثم استطرد :

– « هم (ولم يحدد من يقصد ، وإنما تركها لاستنتاج سامعه) يطرحون علىّ اسم الدكتور لبيب شقير .

وعلى صبرى أمامى كل ساعة يظهر رغبته واستعداده .

والحاج حسين (يقصد السيد حسين الشافعى) يعرض نفسه .

وأريد أن أسمع رأيك ؟ »

وتوقف الرئيس « السادات » ينتظر رد محدثه ، وقال « محمد حسنين هيكل » : « إن له رأيا مختلفا . فلقد تحسب لهذا السؤال من الرئيس ، وفكر فى جواب عليه ، وأطال التفكير ، وتوصل إلى أن أصلح مرشح لرئاسة الوزارة فى هذا الظرف هو الدكتور محمود فوزى » .

ولم ينتظر الرئيس « السادات » وإنما قاطع مستغربا : « فوزى ؟! فوزى قدم لى استقالته من كل مناصبه بتاريخ ٣ أكتوبر ، نفس اليوم الذى أرسلت إلىّ فيه أنت استقالتك من الوزارة ، لدرجة أننى تصورت وتصوروا هم أيضا (لم يقل مرة أخرى من « هم » الذين قصدهم تحديدا ؟) أن ذلك جرى بتنسيق وترتيب بينكما » .

وأكد له « محمد حسنين هيكل » أنه « لم يكن هناك تنسيق ولا ترتيب ، وأنه الآن يسمع لأول مرة أن الدكتور « محمود فوزى » قدم استقالته ، ولكنه لا يرى أن تلك عقبة تحول دون إقناعه بقبول رئاسة الوزارة » .

وعاد الرئيس « السادات » يتساءل مستغربا :

– « فوزى ؟!.. لماذا فوزى ؟.. وهل يقدر ؟.. ثم إننى لا أناقش خبرته فى السياسة الخارجية ، ولكن رئاسة الوزارة أمر يتصل أساسا بالسياسة الداخلية ، وفوزى بعيد عنها تماما » .

وطلب « محمد حسنين هيكل » فرصة يشرح فيها وجهة نظره فى اقتراح إسناد رئاسة الوزارة إلى الدكتور « محمود فوزى » ، وعرض أسبابه بالترتيب التالى :

---

(٤) قالها الرئيس « السادات » واستعمل نفس التعبير الانجليزى (one step at a time) الذى استعمله « محمد حسنين هيكل » حين عرض اقتراحاته لمواجهة الأزمة مساء ٢٨ سبتمبر .

« ١ – إن المزاج العام فى البلد يحتاج إلى رئيس وزراء مدنى له خبرة طويلة بالعمل العام خلال فترة الثورة .

٢ – إن المرحلة القادمة قد تشهد باختلافات البشر والظروف عملية مواءمة وملاءمة مع أوضاع متغيرة ، ومن الأفضل أن يكون رئيس الوزراء ، وهو الرجل الثانى فى الدولة بعد رئيس الجمهورية ، رجلا عاقلا يضع نفسه ، ويقبل منه الآخرون ، أن يكون بعيدا عن مظان الصراعات .

٣ – إن الدكتور « فوزى » يمكن أن يمارس عمله بأسلوب رئيس مجلس الإدارة – إدارة الدولة – مع مجموعة من نواب رئيس الوزراء الأقوياء – مثل « شعراوى جمعة » و« محمود رياض » و« عزيز صدقى » و« سيد مرعى » ، إلى آخره – وهو يستطيع أن ينسق جهودهم المطلوبة دون أن يكون طرفا فى خلافاتهم المحتملة .

٤ – إن مصر تحتاج إلى وجه معروف فى العالم : فى العالم العربى ، وفى الأمم المتحدة ، وفى العالم الثالث ، وفى مجموعة عدم الانحياز . والدكتور « فوزى » مرشح تتوافر فيه هذه الشروط ، وهذا مهم لكى ينتقل إلى العالم الخارجى معنى الاستقرار والاستمرار ، وهو ما يصعب تحقيقه فى حالة ترشيح رئيس للوزارة لا يعرفه أحد خارج مصر ، مهما بلغت درجة قوته أو قدرته .

٥ – إن وجود شخصية لها طابع أبوى مثل الدكتور « محمود فوزى » على رأس الوزارة يعطى لجماهير الناس إحساسا بالاطمئنان يساعد على سلامة مرحلة الانتقال . وذلك أفضل من رئيس وزارة آخر يقف على موقع حساس من مواقع القوة ، ويدخل فى صراعات مغطاة أو مكشوفة .

٦ – وأخيرا فإن المشكلة الكبرى التى تواجه النظام ورئيسه هى أزمة الشرق الأوسط ، بكل احتمالاتها إن سلاما أو حربا . وفى هذه المشكلة فإن الدكتور « محمود فوزى » صاحب خبرة طويلة ، ووجوده فى رئاسة الوزارة بالقرب من رئيس الدولة يجعله بغير حساسيات مشاركا رئيسيا فى إدارة الأزمة » .

كان الرئيس « السادات » يسمع باهتمام ، ولم يقاطع مرة واحدة خلال هذا العرض ، وفى النهاية كان يهز رأسه شأن رجل يفكر بدقة فى كل كلمة مما استمع إليه ، بصرف النظر عن بداية استغرابه منه .

وبعد فترة من التأمل الصامت ، جاء سؤاله :

– « ولكن هل يقبل فوزى بعد أن قدم استقالته ؟ »

ثم كان سؤاله التالى :

– « هل تستطيع إقناعه ؟ »

ثم دق الرئيس « السادات » جرسا يستدعى به سكرتيره السيد « فوزى عبد الحافظ » ، وطلب إليه أن يتصل بالدكتور « محمود فوزى » فى بيته بالبدرشين ، ويقول له « إن الأستاذ هيكل يريد أن يتحدث إليه » .

وقال « محمد حسنين هيكل » للدكتور « فوزى » على التليفون « إنه يريد أن يراه على الفور » .

وكان آخر ما قاله الرئيس « السادات » فى هذا الاجتماع « إنه ينتظر ليسمع النتيجة بالتليفون أولا فور انتهاء اللقاء مع الدكتور فوزى » .

□

وخرج « محمد حسنين هيكل » من اجتماعه مع الرئيس « السادات » فى قصر الطاهرة ومعه المستشار « أسامة الباز » الذى كان ينتظره فى صالون خارجى ، وانطلقت السيارة إلى محطتها التالية ، وهى البيت الريفى الذى يعيش فيه الدكتور « محمود فوزى » فى البدرشين . وفى السيارة لم يكن الحديث عن المعلقات من أعمال وزارة الإرشاد ، وإنما اتخذ الحديث مسارا آخر . فقد قال « محمد حسنين هيكل » : « أمامنا مهمة عسيرة ، وهى إقناع الدكتور محمود فوزى بقبول رئاسة الوزارة » .

وفى الساعة الواحدة إلا عشر دقائق – ظهرا – كانت السيارة تقف أمام مدخل بيت الدكتور « محمود فوزى » . ولم يكن هناك مجال – ولا وقت – لمقدمات .

ولم يكن الدكتور « محمود فوزى » على استعداد للقبول . كان قد هيأ نفسه لاعتزال الحياة العامة ، وقدم استقالته من جميع مناصبه ، وانتهى الأمر بالنسبة له . وجرت المناقشة وطالت خمس ساعات ونصف الساعة(٥) .

وأخيرا قبل الدكتور « فوزى » مع شروط ارتآها فى ذلك الوقت .

واتصل « محمد حسنين هيكل » بالرئيس « السادات » من تليفون الدكتور « محمود فوزى » لينقل إليه القبول والشروط ، ثم انتقلت سماعة التليفون إلى الدكتور « فوزى » يتبادل عبارات سريعة مع الرئيس « السادات » ، ثم عادت السماعة إلى « محمد حسنين هيكل » وكان الرئيس « السادات » يبدى حماسته للنتيجة وسعادته بها ، مكررا أنه استغرق بفكره فى الأمر طوال الساعات الأخيرة ، وأنه كلما أدارها فى رأسه – زاد اقتناعه بها أكثر . ثم كان قوله :

– « غدا بعد جلسة مجلس الأمة وحلف اليمين ، تجىء بالدكتور فوزى ، ودون أن يعلم أحد ، إلى قصر الطاهرة ، وهناك أكلفه ونعلن التكليف » .

---

(٥) ليس هذا وقت ولا أوان رواية تفاصيل هذه المقابلة ، وربما تسنح الفرصة لذلك فى مناسبة أخرى .

وسارت الأمور كما طلب . وتم التكليف[٦] ، وتلاه تشكيل الوزارة . واستراح الرئيس « أنور السادات » إلى أن الخطوة الثانية على طريق انتقال السلطة – رئاسة الوزارة بعد رئاسة الجمهورية – تمت بسلام . ثم إن رد الفعل الشعبى والعربى والدولى لتعيين الدكتور « محمود فوزى » رئيسا للوزراء فى مصر جاء مواتيا ومشجعا .

وهكذا أحس الرئيس « أنور السادات » أنه يستطيع التقدم بالتفكير إلى أفق أوسع وأبعد .

٣

قد يتفق الناس ، وقد يختلفون مع « أنور السادات » فى توجهاته وسياساته ، ولكن الذى لا شك فيه أن الرجل كانت له حساباته ، وكانت حساباته من منظوره حريصة وحذرة ، خصوصا فى تلك الفترة المبكرة من رئاسته . فقد كان يشعر – بحسه وعقله معا – أن ما قد يتخذه من قرار وثيق الصلة بحفاظه على أمنه ، حتى بالمعنى الشخصى المباشر .

وفى الواقع فإنه اجتاز الفترة الأولى من امتحانه بدون أخطاء تقريبا .

وقد وقف فى مجلس الأمة يوم الأحد ١٨ أكتوبر ليلقى أول خطاب له بعد أن تولى سلطاته الدستورية ، وقال موجها حديثه إلى الشعب :

● **« لقد تلقيت أمركم ، وأدعو الله سبحانه وتعالى أن يكون أدائى للمهمة التى كلفتمونى بها على نحو يرضاه شعبنا وترضاه أمتنا ، ويرضاه المثل الأعلى الذى وضعه القائد الخالد (« جمال عبد الناصر ») وأعطاه كل شىء من الحياة إلى الموت » .**

● **« إننى أعتز بالنتيجة التى أسفر عنها الاستفتاء الشعبى ، فإن هناك أكثر من ستة ملايين قالوا نعم لترشيحى ، وأكثر من سبعمائة ألف قالوا لا . وأعتبر بأمانة أن هذه ظاهرة صحية ، واعتقادى أن الذين قالوا لا لم يقولوها اعتراضا على الثورة ، ولا على استمرار الطريق ، وإنما كان قولهم « لا » تحفظا على المرشح لرئاسة الجمهورية نفسه » .**

● **« إننى سأكون للجميع : للذين قالوا نعم وللذين قالوا لا . إن الوطن للجميع ، والمسئول فيه مؤتمن على الكل بغير استثناء » .**

وربما أن « أنور السادات » لم يقع إلا فى خطأ واحد ونصف خطأ .

---

(٦) كان اللقاء بين الاثنين فى جلسة التكليف ممتعا . ومرة أخرى قد لا يكون هذا هو الوقت ولا الأوان لرواية التفاصيل .

كان الخطأ أمام الجميع فى مجلس الأمة حين فرغ من إلقاء خطابه واستدار إلى تمثال لـ « جمال عبد الناصر » على منصة مجلس الأمة ، ثم انحنى أمامه . واعتبر كثيرون أن الانحناء أمام تمثال لرجل مهما كان قدره ، نوع من الوثنية . وأخذوها عليه .

وأما نصف الخطأ فقد وقع فيه أمام الدائرة المغلقة للسلطة ، ذلك أنه طلب على الفور إعداد استراحة الرئاسة فى القناطر لكى يقضى فيها عطلة الأسبوع الأول من رئاسته . ولم يرتح بعضهم لهذا الطلب ... فقد كان جلوسه على مقعد « جمال عبد الناصر » ضروريا وبسرعة لدواعى الدولة – وأما نومه على سرير « جمال عبد الناصر » بهذه السرعة ، فقد بدا لهم عجلة فى تسلم الإرث لا ضرورة لها .

وكان له ما أراد . وتوجه يوم الخميس ٢٢ أكتوبر إلى استراحة القناطر فقضى ليلته هناك . وصباح يوم الجمعة ٢٣ كان يشعر أنه بحاجة إلى تفكير عميق فيما حوله وفيما أمامه .

وكان تقديره صحيحا حين بدأ فوضع أمام نفسه ثلاث حقائق :

- **أن خيوط السلطة ليست فى يده .**
- **أن حقائق الموضوعات والمشاكل غائبة عنه .**
- **أن المسئولية عليه كلها حتى فيما لا دخل له فيه .**

وكانت تلك بداية واقعية لخصها هو تماما بوصف مصرى دارج بقوله إنها « **حوسة** » ، وهو لفظ يفيد معنى الارتباك والحيرة . لكنه بعد هذه البداية راح يحدد لنفسه مواضع ومواطن التحديات التى تنتظره ، وقد استعرضها جميعا على النحو التالى :

١ – **الجبهة الداخلية** : وهذه الجبهة تلقت فى ظرف ثلاث سنوات مجموعة متلاحقة من الصدمات بدأت بنكسة ١٩٦٧ وانتهت برحيل « جمال عبد الناصر » . ونتيجة لهذه الصدمات فإن الجبهة الداخلية يحكمها نوع من التوتر والترقب يشد أعصاب الناس ويضغط عليها . ومع ذلك فهذه الجبهة مازالت قادرة على الاحتمال ، فقد كانت هناك إرادة مصممة على إزالة آثار عدوان سنة ١٩٦٧ ، وقد عززت حرب الاستنزاف سنوات ١٩٦٨ و١٩٦٩ و١٩٧٠ – من عزيمة الناس . وساعد على ذلك أن ظروف الحياة بقيت محتملة، فقد نجح الحكم فى تحقيق ثلاثة مطالب رئيسية :

- إعادة بناء القوات المسلحة – تدريبا وعتادا – لتكون جاهزة للقتال وتصحيح الموازين .
- استكمال بناء عدد من المشروعات الضخمة فى ظل استمرار المعركة ، وأهمها مشروع السد العالى ، ومجمع الحديد والصلب ، ومجمع الألمونيوم .
- تثبيت أسعار المعيشة رغم كل الضغوط والصعوبات .

لكن الناس – ولهم الحق – بقوا غير قادرين على الانتظار إلى ما لا نهاية ، فاستمرار احتلال جزء من التراب المصرى أمر غير مقبول ، كذلك فإن وجود مليون شاب تحت السلاح

عبء إنسانى ونفسى لا يطاق ، ثم إن طول حالة الحرب يحجب عن هؤلاء الناس رؤى المستقبل ويتركهم معلقين بين الأرض والسماء !

وكانت العقدة الضاغطة على الشعور العام هى اهتزاز الثقة ، فالناس لا يعرفون ما فيه الكفاية عن القيادة الجديدة التى تدير مقاديرهم ، وما يعرفونه عن بعض عناصرها ليس داعيا إلى الاطمئنان . ولقد كانت ثقتهم – برغم صدمة ١٩٦٧ – مركزة فى « جمال عبد الناصر » ، وكان اعتقادهم أنه بشكل ما قادر على الوصول بهم إلى بر أمان ، ولكن رحيله جعل بر الأمان يبتعد وتبهت خطوطه .

وفى كل الأحوال فإن هذه الجبهة الداخلية فى حاجة إلى جرعات من الثقة . وعليه أن يعثر على وسيلة !

٢ – **جبهة القوة والسلطة** : وأمامه عليها عدد من الرجال يمسكون فى أيديهم مفاتيحها بالكامل ، سواء فى الحكومة أو فى مجلس الأمة أو فى التنظيم السياسى ، وأسباب الاحتكاك بينه وبينهم كامنة . ولقد حاول كل جهده خلال الأيام التى مضت أن يثبت لهم نفسه ، فقرأ كل ورقة أحالوها إليه ، وحرص على أن يضع تأشيراته على كل تقرير بخط كبير وواضح ، ربما ليقنعهم بأنه ليس ذلك الرجل الكسول الخامل الذى « عجنوه وخبزوه » (كما تصوروا) ، وإنما هو رجل ولد من جديد ، وهو على استعداد كامل لأن يتعلم ، بل وأن يتعلم منهم . ثم إنه حرص على أن يثبت لهم إخلاصه – فضلا عن استعداده – حتى يمنع نشوء فجوة بينه وبينهم ، أو يؤجل ظهور هذه الفجوة إذا كان لا بد من نشوئها بطبائع الرجال وطبيعة الأحوال .

ولقد شعر أنه أخذهم على غرة باختيار الدكتور « محمود فوزى » لرئاسة الوزارة ، لكنه راح يحاول إقناعهم بأن المفاتيح فى أيديهم لا تزال – بصرف النظر عن رئاسة الوزارة . وقد ركز جهده فى « الترابيط » – طبقا لتعبيره – مع ثلاثة : « شعراوى جمعة » نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية وأمين التنظيم الطليعى فى نفس الوقت ، ثم الفريق أول « محمد فوزى » وزير الحربية ، ثم السيد « سامى شرف » وزير شئون رئاسة الجمهورية .

ولقد حاول بعض الأعضاء القدامى من مجلس قيادة الثورة اختباره بدعوة إلى إعادة مجلس قيادة الثورة – لكنه واجه اختبارهم بهدوء ، وصرفهم دون عناء كبير .

ثم إنه استطاع مشاغلة زميليه الكبيرين اللذين نازعاه الرئاسة : السيد « حسين الشافعى » والسيد « على صبرى » . استعمل مع الأول أسلوب الإلهاء والتسويف ، واستعمل مع الثانى أسلوب الإرهاق والإغراق فى مهام تبدو كبيرة فى ظاهرها لكنها فى حقيقتها محصورة . وربما ساعده على ذلك أن الرجلين كان بعيدين عن المواقع الحقيقية للنفاذ والانتشار .

وكذلك فلقد تمكن من التوصل إلى صيغة للتعاون مع الدكتور « محمود فوزى » ومع مجموعة نواب رئيس الوزراء المدنيين الأكفاء ، وكان هؤلاء مستغرقين فى مسئوليات العمل التنفيذى ، بعيدين عن قمة السلطة ، وإن ظلوا مهتمين بما يحتمل أن يجرى عليها من تحركات .

لكن المواقع الحساسة فى الدولة كانت فى يد الرجال الثلاثة الأقوياء ، أو كانت تحت سلطتهم ، ابتداء من البوليس إلى المخابرات إلى الإعلام إلى الإذاعة ، ومن التنظيمات السياسية والشعبية ، وحتى القوات المسلحة والحرس الجمهورى . وكان هذا حريا بأن يثير قلقه . لكنه اعتبرها قضية مؤجلة ، وإن لم يكن بوسعه أن يقطع : حتى متى ؟!

٣ – **جبهة إسرائيل** : التى تواجهه عبر قناة السويس ، وعليها يقف العدو الرئيسى الذى يتعين عليه أن يواجهه مهما تأخر يوم المواجهة ، وفى ذلك الوقت كانت إسرائيل تشعر أنها فى أحسن أحوالها نتيجة لمجموعة من العوامل :

● قواتها المسلحة تقف على موانع طبيعية فى عمق الأراضى العربية على مشارف دمشق وعلى ضفاف قناة السويس .

● التأييد الأمريكى لها مستمر فى تدفق لم يتوقف عسكريا واقتصاديا وسياسيا .

● وفوق ذلك فقد جاءتها الأقدار وتطورات الحوادث بهديتين من السماء – على حد تعبير الجنرال « موشى ديان » وزير الدفاع الإسرائيلى :

- فقد اختفى من الساحة بالموت خصمها العتيد « جمال عبد الناصر » .
- كذلك فإن المقاومة الفلسطينية الوافدة على الساحة دخلت فى صراع مع الأردن كان من نتيجته أن وجودها فى هذا البلد أصبح مكشوفا وضعيفا ، وربما فى طريقه إلى الخروج تماما من الضفة الأخرى للنهر .

ولم يكن هناك تعقيد من أى نوع فى الاستراتيجية الإسرائيلية ، وإنما كانت خطوطها بسيطة وواضحة تتمثل فى عنصرين :

● مواصلة ترويض الشعب الفلسطينى على التعامل مع الاحتلال الإسرائيلى كحقيقة واقعة – وربط الضفة الغربية وغزة يوما بعد يوم بعجلة الاقتصاد الإسرائيلى : موردا للعمالة الرخيصة ، وسوقا للبضائع التى لا تجد لنفسها مجالا أفضل – وتعيين مناطق فى الضفة والقطاع تتهيأ للضم طبقا لما أطلق عليه « مشروع آللون » أيامها . وفى ذلك الوقت الذى جاءت فيه لإسرائيل هدايا الأقدار والحوادث فإنها بدأت ترسم الخريطة الأولى للاستيطان ، وانفتح الفك المستعد للقضم على آخره .

● استعمال الأرض المحتلة كأداة ضغط على أعصاب وكبرياء وأمن الدول المحيطة بإسرائيل (مصر وسوريا والأردن) ، وتثبيت حركتها وشل فاعليتها حتى تخضع وتخضع معها بقية الأمة العربية لكامل شروط السلام الإسرائيلى . وبشكل ما فإن إسرائيل راحت تتصور أن الجبهة المصرية التى كانت عصية عليها وعلى الولايات المتحدة الأمريكية ، يمكن أن تتحول لتصبح الجبهة المرشحة لأول محاولة للنفاذ . ولعل ما ساعدها على تمثل ذلك التصور هو إحساس بدأ يراودها بأن مصر بعد « جمال عبد الناصر » لم تعد قادرة على قرار بالقتال ، وإذا تهور أحد فيها وأقدم ، فإن عجزه عن إدارة معركة شاملة سوف يتبدى فى ظرف دقائق قليلة .

(وفيما بعد أثبتت الظروف أن ذلك التصور بالتحديد كان أهم أخطاء إسرائيل حين جاء يوم التحدى) .

لكن سنوات ثلاثا كان يجب أن تمر حتى يجىء هذا اليوم . وقد بدت السنوات الثلاث طويلة وثقيلة ، كأنها زمان بلا نهاية .

٤ - **الجبهة السوفيتية** : وكانت هذه الجبهة إلى حد ما معروفة لدى « أنور السادات » ، فقد كان هو الذى تلقى تحذيرات « نيكولاى بادجورنى » (رئيس الدولة السوفيتية) و« أليكسى كوسيجين » (رئيس وزرائها) فى الأسبوع الثانى من مايو ١٩٦٧ عن حشود إسرائيلية على الحدود السورية . وكان هو الذى رأى بعد ذلك كيف تنصل الاتحاد السوفيتى من مسئولية هذه التحذيرات عندما صارت الأمور إلى ما صارت إليه فى يونيو ١٩٦٧ . وقد أتيح له أن يشهد جولات من المفاوضات بين القيادة السوفيتية وبين « جمال عبد الناصر » ، وكان يرى مدى الجهد الذى يبذله لشد الاتحاد السوفيتى نقلة محدودة بعد نقلة محدودة . وكان « جمال عبد الناصر » بنفوذه فى العالم العربى ، وفى آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية ، قادرا على مساحة كبيرة من التأثير ، وكان من المشكوك فيه أن يستطيع أحد غيره أو بعده ملء مثل هذه المساحة . وفى الواقع العملى فإن الاتحاد السوفيتى بدأ يشعر بمزيج من التردد والقلق بعد رحيل « جمال عبد الناصر » . وحين جاء « أليكسى كوسيجين » إلى مصر لأداء واجب العزاء ، طلب أن يجتمع بما أسماه « القيادة المصرية »(٧) . وبالفعل جلس مع مجموعة من أعضاء اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى العربى وأعضاء مجلس الوزراء ، وراح يسوق لهم مجموعة من النصائح تحض : على التمسك بوحدة القيادة وتجنب الخلاف - ثم على محاذرة المغامرات غير المحسوبة والبعد عنها - وأخيرا على التفكير الجدى فى حل سلمى للصراع مع إسرائيل .

وربما كانت أهم إشارة تبدت بعد زيارة « كوسيجين » للعزاء فى « جمال عبد الناصر » - أن صفقات إضافية من السلاح سبق الإتفاق عليها وأعدت بالفعل فى موانى البحر الأسود للشحن إلى مصر - جرى تأجيل إرسالها . وكان مؤدى الإشارة لكل من يريد أن يفهم هو : أن الاتحاد السوفيتى يخشى أن يتشجع خلفاء « جمال عبد الناصر » ، ويراودهم وهم تعزيز مركزهم فى الداخل بالإقدام على مغامرة قبل الأوان مع إسرائيل .\

ولم يترك « كوسيجين » شكا لدى سامعيه ، فقد لخص كلامه كله بقوله : « نحن نريد أن نساعدكم على استعادة أراضيكم المحتلة ، ولكننا لا نعتقد أن الحرب المسلحة ضرورية لتحقيق هذا الهدف ، وإنما يجب أن تعطى الفرصة كاملة للعمل السياسى . وفى مطلق الأحوال فإننا نرجوكم أن تعرفوا أننا لسنا على استعداد لمواجهة خطرة مع الولايات المتحدة الأمريكية ، ونأمل أن يكون ذلك مفهوما لديكم جيدا باعتباركم أصدقاء للاتحاد السوفيتى » .

---

(٧) شاركت فى ذلك الوقت فى اجتماعين مع « كوسيجين » ، كما تحدثت اليه مطولا فى السفارة السوفيتية ، وذلك عندما كلفت كوزير للإرشاد بأن أكون رئيس البعثة المصرية المرافقة له أثناء زيارته لمصر .





كوسيجين جونسون نيكسون

٥ - **الجبهة الأمريكية** : وكانت هذه الجبهة منحازة بما لا يقبل الشك إلى إسرائيل ، فتلك سياسة ثابتة منذ نشأة الدولة اليهودية ، وقد جرى تكريسها فى معركة يونيو ١٩٦٧ عندما شارك « ليندون جونسون » (رئيس الولايات المتحدة من سنة ١٩٦٣ إلى سنة ١٩٦٩) مشاركة أكيدة فى التفكير والتخطيط والتنفيذ(٨) . وعندما تحقق انتصار إسرائيل فى معركة الأيام الستة ، تحولت إسرائيل من تابع للسياسة الأمريكية فى الشرق الأوسط إلى شريك كامل ، ومن ثم أصبح القرار الأمريكى فى المنطقة مرهونا بما تريد أو لا تريد ، أى أن السياسة الأمريكية تبنت كل مطالب السلام الإسرائيلى . وعلى هذا الأساس تمكنت الولايات المتحدة من إحباط كل جهود المجتمع الدولى فى الأمم المتحدة وخارجها ، بما فى ذلك تعطيل تنفيذ قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ الصادر فى نوفمبر ١٩٦٧ .

وبعد خروج « ليندون جونسون » من البيت الأبيض وبداية رئاسة « ريتشارد نيكسون » فى يناير سنة ١٩٦٩ ، فإن واقع الحال لم يتغير كثيرا ، وإن كان الاستفزاز الظاهر دواما فى تصرفات « ليندون جونسون » وكلامه قد خف بعض الشىء ، لكن الخطوط السياسية الرئيسية بقيت على حالها ، بل لعل هذه الخطوط السياسية أضافت إلى المشكلة لأن رؤية الإدارة الجديدة لـ « نيكسون » ، متأثرة فى ذلك بنظريات مستشاره للأمن القومى « هنرى كيسنجر » - راحت تنظر لمنطقة الشرق الأوسط من زاوية السباق بين القوتين الأعظم : الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى ، وبذلك فإن الصراع العربى الإسرائيلى أصبح مهددا بالاستقطاب الحاد الجارى على القمة الدولية ، والذى راح « كيسنجر » يعالجه بتجربة ما عرف بسياسة الوفاق ، وكانت هذه سياسة صفقات يتبادل فيها الكبار مطالب المصالح والأمن حتى ولو كان على الآخرين أن يدفعوا جزءا من الثمن . ومع أن الولايات

---

(٨) رجاء مراجعة كتاب « سنوات الغليان » و« الانفجار » لـ « محمد حسنين هيكل » ، وقد صدر كلاهما عن مركز الأهرام للترجمة والنشر ، أولهما سنة ١٩٨٨ ، وثانيهما سنة ١٩٩٠ .

المتحدة كانت لها مطالب استراتيجية حيوية فى المنطقة ، خصوصا مصالح البترول وفوائضه - فإنها كانت تبدو مطمئنة إلى أن هذه المطالب مصونة ومحمية فى نطاق الجزء الموالى لها فى العالم العربى .

٦ - **الجبهة العربية** : وكانت هذه الجبهة متماسكة على السطح مفككة تحته ، فقد بدا العالم العربي فى حقيقته عدة عوالم : كان هناك عالم دول الخط الأول التى تعرضت لضربة سنة ١٩٦٧ بكل آثارها العسكرية والسياسية والاقتصادية ، وأهم من ذلك آثارها الإنسانية ، وقد كانت هذه الدول ، وبالذات مصر وسوريا ، بؤر الفوران الثورى الذى اجتاح المنطقة بالنمو الظاهر والنشيط لحركة القومية العربية بكل أحلامها الوطنية والاجتماعية . والآن كان الجزء المتحرر والمتقدم والنشيط من العالم العربى يعانى وطأة النكسة ويستشعر مهما تظاهر - ذل الاحتلال . وربما أسوأ من ذلك أن هذا الجزء المتحرر والمتقدم والنشيط أصبح يعتمد بشكل أو بآخر على دعم عالم عربى ثان ، وهو عالم النظم العربية التقليدية التى كانت مصنفة قبل أسابيع مضت كبقايا متخلفة من عصور فات وقتها . وفى زحمة الأزمة فإن الجزء التقليدى من العالم العربى وجد لنفسه توجها آخر طالما فكر فيه ، وهو التوجه الإسلامى . وقد برز فجأة مشروع المؤتمر الإسلامى ، وراح يسعى إلى دول الجوار : إيران - وباكستان - وتركيا .

وفى نفس الوقت كان هناك عالم عربى ثالث تشكله تلك الدول العربية البعيدة عن أرض المعركة ، وقد راح بعضها يتحدث عن ضرورات الحرب دون أن يتفهم تكلفة هذه الضرورات أو يشارك فيها .

إلى جانب هذه العوالم العربية فقد كانت هناك قوى وأحزاب فلت عيارها ، وانتقلت فجأة من المعسكر القومى إلى ممارسة نوع من الطفولة اليسارية ، تزايد بها على كل الناس وفى كل القضايا ، فى حين أنها لا تملك وسائل دفع من أى نوع تشترى بقيمتها ما تزايد عليه .

ومما زاد الأمر تعقيدا أن السنة الأخيرة من حياة « جمال عبد الناصر » شهدت ثلاثة نظم حكم جديدة فى العالم العربى :

- نظام لحزب البعث فى العراق ، كان جهده فى ذلك الوقت منصرفا إلى تعزيز مواقعه فى بغداد .
- ونظام شاب جديد فى ليبيا ، توهج فيه جموح الشباب فى وقت كان الجموح فيه مهربا سهلا .
- ونظام فى السودان ، لم يكن يعرف ماذا يريد ؟ وإلى أين يتجه ؟

وكان هناك أمل فى جبهة شرقية فى آسيا العربية تقف أمام إسرائيل بتعاون وتنسيق مع جبهة غربية فى إفريقيا العربية - لكن هذا الأمل لم يكن قد تحقق بعد ، ورغم جهود مضنية فإن الهدف ظل عسيرا وبعيد المنال .

وبالطبع فإن إسرائيل – والولايات المتحدة فى موقعها وراءها ، والاتحاد السوفيتى فى موقعه وراء العرب – كانوا جميعا يرون من الحقيقة ما هو أكثر من الظاهر على سطحها .

٧ – **وأخيرا كانت هناك الجبهة العسكرية** – أو بمعنى أدق كانت هناك القوات المسلحة المصرية : الجيش المصرى .

كان الجيش المصرى قد عاش محنة حقيقية فى ظروف سنة ١٩٦٧ ، ولقد تماسك نفسه بعد انتهاء المعارك ، وساعدته القيادة المباشرة لـ « جمال عبد الناصر » فى تلك الظروف على هذا التماسك ، كما ساعدته عليه أيضا عملية إعادة البناء والتسليح التى اعتبرها « جمال عبد الناصر » مهمة عمره وكرس نفسه بالكامل لها . ثم جاءت حرب الاستنزاف بوقائعها فأعادت لهذا الجيش جزءا من ثقته بنفسه .

لكن هذا الجيش كان لا يزال فى حاجة إلى لوازم حيوية : سلاح أكثر تقدما – وتدريب أكثر كفاءة – وأرضية سياسية فى الداخل والخارج أكثر تقبلا للتضحيات وأوسع كرما فى المساعدات خصوصا إزاء تفوق على الخطوط المقابلة تزايدت معدلاته ووتائره .

وقد أدرك « أنور السادات » بذكاء أن هذه الجبهة الأخيرة – جبهة الجيش – هى الجبهة الرئيسية فى كل ما يواجهه .

وقد عرض مجمل خواطره على النحو التالى :

« ☐ إن الجيش هو الكتلة الحرجة فى الفترة القادمة لأن الجميع سوف « يلعبون عليه » :

- إذا تحرجت الأمور فى الجبهة الداخلية فالجيش هو العامل الذى يحسب حسابه .
- إذا ناوأت جبهة القوة والسلطة أو شاغبت فأرجح الاحتمالات استعداء الجيش كخطوة أولى تمهد – ربما – لعملية تغيير بالجراحة .
- إذا أرادت إسرائيل أن تدفع الأمور إلى حافة الهاوية فالجيش هو أول أهدافها تعيد تدمير سلاحه ، وتعيد تدمير معنوياته ، وأيضا توقع قطيعة كاملة بينه وبين قيادته السياسية .
- إذا أراد السوفيت أن « يخلعوا » – على حد تعبيره – فالأثر الأول واقع على الجيش بكل ما يمكن أن يترتب على ذلك من تداعيات تؤثر على المعنويات ، وربما تدفع بالإحباط إلى مغامرات .
- وإذا أرادت أمريكا أن « تتآمر » فالجيش قد يكون أقصر الطرق إلى القصد ، وهذه تجربة مارستها السياسة الأمريكية طويلا ، وحققت بها الكثير مع جيرانها فى الجنوب : أمريكا اللاتينية . ثم إنها جربتها فى المنطقة أيضا ، وبنجاح ، ضد نظام الدكتور « محمد مصدق » فى إيران !
- وإذا أراد بعض العرب أن « يتسللوا » فقد تكون محاولتهم فى الجيش إذا أمكن فى لحظة ملائمة استغلال ما قد يطرأ من مشاكل فى الداخل .

(وكان يتحسب من « البعث » فى سوريا أو العراق ، ومن « القذافى » فى ليبيا) .

● وفوق ذلك كله ، وربما قبله ، فإن الجيش من ذات نفسه يعيش تحت ضغوط سياسية وعسكرية ونفسية صعبة ، وقد كان انفجار ١٩٦٧ بكل شظاياه محنة مروعة ، كما أن مسئوليات لا ذنب للتشكيلات المقاتلة فيها نزلت على أكتاف الجيش بدون وجه حق . ثم إن هناك فجوة بين الوسائل الموجودة فى يد القوات والغايات التى تحددت لها ، وزاد على ذلك أن تواجد خبراء سوفيت فى الوحدات حتى مستوى الألوية ، بقصد تكثيف التدريب ، أحدث دون قصد أسبابا للاحتكاك والحساسية .

هكذا كانت جبهة الجيش متصلة بأنابيب مستطرقة على كل الجبهات ، وفى مطلق الأحوال فقد أدرك الرئيس « السادات » أن علاقته بالقوات سائرة حتما إلى اختبار :

□ فهو فى وقت من الأوقات لا بد أن يصدر أمرا إلى الجيش بالعبور إلى الضفة الأخرى ، وإذا لم يفعل ذلك فى وقت معقول ، فإن استمرار التوتر والقلق ، بل وحتى الملل ، قد يدفع الجيش إلى الارتداد إلى الوراء والعودة إلى العاصمة نفسها لتغيير نظام ثبت عجزه وتأكد فشله .

□ وهو لا يستطيع أن يصدر أمرا إلى الجيش بالعبور إلا إذا كان لدى قيادته ما يدعوها إلى الاعتقاد بأن هناك فرصة متاحة للنجاح . وإذا لم يستطع توفير هذا الشرط فإن العصيان ضده مؤكد .

□ والأخطر من هذا كله أن الجيش سوف يظل مشكلة حتى إذا تحقق انتصار ، لأن تفريغ جيش المليون وإعادته إلى حجمه الطبيعى سوف تكون مهمة محفوفة بمخاطر كثيرة ، خصوصا مع درجة الاستعداد التى يكون هذا الجيش قد بلغها ، ومع درجة التعبئة المعنوية التى يكون هذا الجيش قد امتلأ بها » .

□

كان استعراض « أنور السادات » لكل ما يواجهه على مختلف الجبهات ، صحيحا ودقيقا . لكنه – على تنوع جبهاته واتساعها – كان جزءا من الموقف ، ولم يكن الموقف كله . ذلك أن حقائق أى موقف لا تتجلى عناصرها إلا عندما يتم التفاعل بين ما هو موضوعى وما هو ذاتى ، لأن الحقيقة فى النهاية إنسانية .

وكان ذلك بالضبط ما عاناه الرئيس « أنور السادات » فى ذلك الأسبوع الأول من رئاسته ، سواء كان مدركا له بوعى ، أو كان نائيا عن الاعتراف به ولو باللا وعى فى شعوره :

● كانت لديه قناعاته التى تكونت من واقع تجربته فى سنوات التكوين الأساسى قبل الثورة – وكل كائن حى هو نتاج تجربته مهما نزل أو طلع .

● وبعد الثورة فإنه قام بتجميد نفسه (على حد تعبيره) - لأنه قبل بقيادة « جمال عبد الناصر » ووثق فيه ، وانصرف إلى قضاء بقية عمره فى ظل صديقه يريد أن يعوض ما عانى منه وقاسى فى حياته السابقة (وذلك أيضا وصفه) .

● لكنه حين وقعت المسئولية على كتفيه على غير انتظار ، كان طبيعيا أن « ما تجمد » فى مرحلة سابقة لا بد له أن « يذوب » ويستأنف حركته ، ويلتقى بها أو يصطدم مع الواقع والقائم .

ولعل هذه الحالة الفريدة كانت هى المأزق الحقيقى الذى واجهه الرئيس « أنور السادات » .

وكانت هناك مفارقات - لم تتحول بعد إلى تناقضات - بين ما اكتشفه أمامه من الموضوع - الواقع ، وبين ما استيقظ داخله من قناعات تجربته - الذات .

وبين المكتشف والمستيقظ كان الرجل - سياسيا وإنسانيا - مع بداية أزمة حقيقية :

- إنه لا يستطيع أن يتقدم إلى الأمام - وهو ما يتطلبه الموضوع .
- وهو فى نفس الوقت لا يملك العودة إلى الوراء - وهو ما توحى به تجربة الذات .
- وأخطر من هذا فهو لا يقدر على البقاء مكانه بغير حركة لأن ذلك مضاد للطبيعة ، مهما كان الموضوع ومهما كانت الذات .

ومع ذلك كان عليه أن يبدأ دوره ورئاسته وعصره ، وأن ينتظر المقادير تعطيه السبيل إلى مخرج من هذا الموقف المستعصى على الفكر والفعل .

ولم يكن فى وسع المقادير إلا أن تعطيه أحد مخرجين :

- **إما مخرج إلى حل** ، وهو ما كان يفضله بالقطع - ومعه الحق .
- **وإما مخرج إلى حرب** ، وهو ما لم يكن منه مفر إذا انسدت كل المسالك إلى الحل - لكنه حكم الضرورات لا حيلة له فيه !

ولقد كان توجهه الأول وسط أوضاعه التى وجدها شبه مستحيلة - أن يبدأ بتجربة مخرج الحل .

وراح يفكر ويبحث ويتقصى .

الفصل الثانى

البحث عن حل

١

لم يكن الرئيس « أنور السادات » فى محاولته للبحث عن حل دبلوماسى - قبل مواجهة ضرورات ومخاطر العمل العسكرى - بادئا من فراغ . والحاصل أن تجربة البحث عن حل دبلوماسى للأزمة التى نشأت بعد نكسة ١٩٦٧ فرضت نفسها من قبل رئاسته بوقت طويل ، وكان ذلك مترتبا - بالدرجة الأولى - على حقيقة لم يكن هناك سبيل إلى إنكارها فى ذلك الوقت ، وهى أن القوات المسلحة المصرية لم يعد فى يدها سلاح قادر على الحرب ، على فرض أنها كانت نفسيا - وعلى الفور - مستعدة لحمل السلاح . ومع أن صوت الرصاص كان لا يزال مسموعا على الخطوط فيما سمى بـ « معارك رأس العش » - فإن هذه المعارك كانت ذات هدف وأثر نفسى لشد عزم القوات ، ولتثبيت روح التماسك والمقاومة فى البنيان المشروخ للجبهة الداخلية .

وعندما يكون القتال مستحيلا فى لحظة من لحظات أى صراع ، فإن النشاط الدبلوماسى لا يصبح مجرد خيار ، وإنما يصبح كذلك خندقا لا بديل عن الاحتماء به لكسب الوقت لحين استعادة الزمام وإقناع الأطراف ، وإتاحة الفرصة لجهود عالمية تسعى فى الأزمة سعيها لعل وعسى ، وكذلك حتى تظل الأزمة فى حالة حركة لا تموت قضيتها بالصمت الذى يولده العجز .

وفى الفترة ما بين أواخر يونيو سنة ١٩٦٧ إلى أوائل نوفمبر من نفس السنة كانت دبلوماسية الأمم المتحدة هى النشطة والظاهرة . لكن كل مشروعات القرارات التى عرضت على المنظمة الدولية فى ذلك الوقت اصطدمت بواقع التعهدات التى قطعها الرئيس الأمريكى « ليندون جونسون » على نفسه وعلى بلده قبل بدء المعركة ، ومؤداها « أن الولايات المتحدة تتعهد بمنع صدور أى

قرار من الأمم المتحدة يدين إسرائيل على عدوانها - وبالتصدى لأى ضغط يحاول أن يفرض عليها الانسحاب من الأرض التى تحتلها والعودة إلى المواقع السابقة على العدوان إلا بعد حل سلمى تتوصل إليه الأطراف - كما أنها تضمن تعويضها عسكريا عن كل ما تخسره فى المعارك ، وبما يوفر لها باستمرار تفوقا عسكريا يتجاوز كل ما يحصل عليه جميع العرب من السوفيت أو غيرهم »(١) .

وهكذا فإن قصارى ما توصلت إليه دبلوماسية الأمم المتحدة على امتداد خمسة شهور هو قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ الذى شارك فى وضع عناصره مندوب الولايات المتحدة فى مجلس الأمن « آرثر جولدبيرج » (وهو يهودى متعصب لإسرائيل) - ثم تولى صياغته النهائية الدبلوماسى البريطانى اللورد « كارادون » (وهو قانونى بريطانى متوازن فى تفكيره إلى الحدود التى تسمح بها السياسة البريطانية) - وكان هذا القرار نموذجا « عبقريا » من نماذج الصياغات الدبلوماسية التى تعطى لكل طرف من الأطراف ما يمكن أن يستند إليه فى طلب الشىء ، ثم تعطى لكل طرف من الأطراف ما يمكن أن يتمسك به فى طلب نقيض الشىء !

ولقد قبل « جمال عبد الناصر » بهذا القرار لأنه نص على عدم جواز احتلال الأراضى بالقوة ، ولأنه طالب بالانسحاب من « أراضى محتلة » سنة ١٩٦٧ - وفى نفس الوقت فإن « ليفى أشكول » رئيس وزراء إسرائيل قبل بنفس القرار لأنه كان يربط ذلك بمفاوضات تأخذ الانسحاب إلى « حدود آمنة ومعترف بها » . وهكذا كان نصف القرار يبدو متعارضا مع نصفه الآخر ، وكانت هناك معضلة فى التوفيق بين النصفين ، أيهما يمثل نقطة البداية ؟ وفى حين أن الطرف العربى أعطى الأولوية للانسحاب تأسيسا على مبدأ عدم جواز احتلال الأراضى بالقوة - فإن إسرائيل أعطت الأولوية للسلام داخل حدود آمنة ومعترف بها ، تأسيسا على أن التفاوض بقصد التوصل إلى حالة سلام هو المقدمة التى لا بد منها .

وكان « جمال عبد الناصر » يدرك أن النصوص لا تصنع الحقائق وإنما الحقائق هى التى تصنع النصوص ، وهكذا فإنه صاغ استراتيجيته كلها فى إعلانه ذلك الوقت أن « ما أخذ بالقوة لا يسترد بغير بالقوة » ، وراح يرتب نفسه لصراع سياسى طويل يصل فى مرحلة من مراحله إلى حتمية السلاح .

□

كانت الشهور التى استغرقتها دبلوماسية الأمم المتحدة ، من يونيو إلى نوفمبر ١٩٦٧ ، فترة شديدة الكثافة والتركيز فى الفكر الاستراتيجى المصرى ، وبالذات فكر « جمال عبد الناصر » :

- ظلت الاستراتيجية العليا هى التحرير الكامل للأرض العربية ، وتحقيق شكل ما من أشكال

---

(١) رجاء مراجعة الوثائق فى كتاب الانفجار لـ « محمد حسنين هيكل » .

الوحدة فى منطقة توفرت لها كل العوامل الجغرافية والتاريخية لذلك - إلى جانب الضرورات المستقبلية .

- لكن استراتيجية العمل الآنى كان عليها أن تتواضع بعض الشىء بالنسبة للمدى الزمنى الذى يمكن أن يتحقق فيه هدف الاستراتيجية المليا .

وكانت تلك استجابة لا مفر منها مع التغيير الذى طرأ على حقائق القوة الوطنية والإقليمية والدولية - وقد راحت كلها تفصح عن نفسها - خلال التحركات والأقوال والأفعال وردود الأفعال التى ظهرت وتجلت أثناء ممارسة دبلوماسية الأمم المتحدة :

● **من ناحية** - كانت الطريقة التى حلت بها النكسة فى يونيو سنة ١٩٦٧ قد كشفت عن أوجه قصور أصابت بنيان النظام فى مصر . ومع أن الضربة كانت أساسا بفعل عوامل خارجية - إلا أنه كان من المستحيل إنكار أن حجم ما جرى والشكل الذى جرى به ، كشف أسبابا للضعف لا بد من الاعتراف بها ، كما أنه لا بد من تلافيها . وهذه ليست مهمة سهلة . وما هو أخطر أن الضربة أثرت سياسيا ومعنويا على جزء كبير مما كانت مصر تمثله حينئذ فى الحركة القومية العربية .

● **ومن ناحية ثانية** - فإن هذا التغيير فى القوة المصرية استدعى تلقائيا تغييرا مماثلا فى الأوضاع الإقليمية ، وأدى بدوره إلى تعديل فى الوزن النسبى للأنظمة التقليدية فى العالم العربى ، فهذه الأنظمة - وبصرف النظر عن سياساتها وتصرفاتها قبل سنة ١٩٦٧ - لم تكن مسئولة مباشرة عما وقع فى تلك السنة الكئيبة ، وبالتالى فقد كان فى وسعها أن تسحب نفسها بعيدا عن المواقع الجريحة والدامية ، وتتخذ موقف المتفرج الذى مسه الأسف والحزن على ما جرى . وأضيف إلى ذلك أن أهم ما أسفر عنه مؤتمر القمة العربى فى الخرطوم (أغسطس ١٩٦٧) هو أن النظم التقليدية (دول البترول) تطوعت لمساعدة الدول المتضررة من العدوان الإسرائيلى بمساعدات مادية بلغت قيمتها بالنسبة لمصر وحدها ١٢٥ مليون جنيه استرلينى سنويا .

● **ومن ناحية ثالثة** - فإن الخلل فى الموازين بين الولايات المتحدة الأمريكية من ناحية ، والاتحاد السوفيتى من ناحية أخرى ، راح يلعب دوره ، وإن لم يكن فى مقدور كثيرين فى ذلك الوقت أن يفهموا ويقدروا حجم الخلل . ولقد بانت ظواهر هذا الخلل فى مؤتمر « جلاسبورو » الذى انعقد ما بين الرئيس الأمريكى « ليندون جونسون » ، ورئيس الوزراء السوفيتى « أليكسى كوسيجين » - من ٢٣ إلى ٢٥ يونيو ١٩٦٧ ، وفى أعقاب توقف المعارك . ولقد تصور البعض فى العالم العربى أن رئيس وزراء الاتحاد السوفيتى (الصديق للعرب) سوف يذهب إلى لقائه مع رئيس الولايات المتحدة (الموالى لإسرائيل) ، ثم يوجه إليه إنذارا على طريقة سنة ١٩٥٦ بضرورة انسحاب قوات العدوان الإسرائيلى - المعزز أمريكيا - من كل الأراضى العربية المحتلة .

لكنه بعد انتهاء لقاء « جلاسبورو » تبين أن أزمة الشرق الأوسط تحولت فيه إلى مقايضة لأن « جونسون » لوح لـ « كوسيجين » بصفقة تتعلق بتحديد إنتاج الصواريخ البعيدة المدى ، وكان

« كوسيجين » على استعداد لقبولها بسرعة لأنه وهو رئيس وزراء الاتحاد السوفيتى كان يدرك أكثر من غيره فداحة تأثير سباق السلاح على الاقتصاد السوفيتى .

وانتهى الاجتماع إلى « تأكيد رغبة الطرفين فى تخفيف حدة التوتر والتوصل إلى تسوية سلمية لأزمة الشرق الأوسط » . ولم يوجه أحد إلى أحد إنذارات بسبب العدوان « الذى لا يطاق » - ! - فى الشرق الأوسط ، كما حدث فى أزمات سابقة .

إن « أليكسى كوسيجين » لم يتنبه إلى أن تخفيف حدة التوتر فى الشرق الأوسط يختصر دور الاتحاد السوفيتى فى المنطقة ، ذلك أن الحاجة إلى الدور السوفيتى تنشأ من احتياج الدول العربية - ومصر بالذات - إلى سلاحه . فإذا خف التوتر ونقصت الحاجة إلى السلاح - تقلص الدور السوفيتى وانحصر .

والعكس صحيح بالنسبة للولايات المتحدة (أو هكذا كان التصور وقتها !)

ذلك أنه إذا كانت هناك فرصة حقيقية لتسوية سلمية ، فمثل هذه الفرصة تعطى المجال واسعا للولايات المتحدة الأمريكية باعتبارها الطرف الوحيد القادر على التأثير فى سياسة إسرائيل التوسعية ، وبالتالى فإن الدور الأمريكى فى ظروف البحث عن تسوية يزداد ويتسع .

وربما تنبه « كوسيجين » إلى أنه فى « جلاسبورو » يعطى ميزة للولايات المتحدة فى الشرق الأوسط ، لكن أولوياته الاقتصادية سبقت فى تقديراته كل الاعتبارات الأخرى فى « جلاسبورو » .

والحاصل أن هذه المتغيرات الثلاثة على المستوى الوطنى والقومى والدولى أعطت للولايات المتحدة مركزا خاصا فى عملية البحث عن حل لأزمة الشرق الأوسط ، وكانت تلك واحدة من مفارقات السياسة ومفارقات التاريخ - الصارخة !

□

إن واحدا من الباحثين المرموقين فى دراسة السياسة الأمريكية فى الشرق الأوسط ، وهو « ويليام كوانت »(٢) - عين أربعة محددات للسياسة الأمريكية بصفة عامة ، وقد عدها على النحو التالى :

١ - المصالح الاستراتيجية من منظور المصالح الأمريكية .
٢ - اتجاهات العامل الداخلى المؤثر على السياسة الأمريكية .
٣ - الخطوط السياسية شبه الثابتة للبيروقراطية الأمريكية .
٤ - تصورات الرئيس الأمريكى نفسه ومستوى قيادته ونوع مستشاريه .

وإذا ماجرى تطبيق هذه المحددات للسياسة الأمريكية على الشرق الأوسط ، وفى ظروف أزمة سنة ١٩٦٧ بالتخصيص - فإن الصورة العامة التى تظهر بعد ذلك تصبح رمادية غامقة :

---

(٢) رجاء مراجعة كتاب « ويليام كوانت » بعنوان « حقبة من المفاوضات » الذى صدر عن جامعة كاليفورنيا سنة ١٩٧٧ .

● ● ● فمن ناحية المصالح الاستراتيجية الأمريكية فى المنطقة يجىء الحفاظ على موارد البترول العربى أولا – ثم يليه – ثانيا – إحكام السيطرة على المنطقة المحيطة بمنابعه والمؤثرة فيها – ثم يلى ذلك – ثالثا – تقليل وحصر وإخراج النفوذ السوفيتى منها تماما .

ولقد كان الانتصار الإسرائيلى سنة ١٩٦٧ – وبدور « ليندون جونسون » القيادى فى إعداده وتوجيهه – خدمة هائلة لهذه المصالح الاستراتيجية . فالقوى القومية الثورية فى العالم العربى كانت تشكل خطرا – كما أن الاتحاد السوفيتى كان يمثل دعما لهذا الخطر – والآن فإن عنصر الخطر وعنصر الدعم لهذا الخطر ، كليهما يتراجع ، أو يبتعد على الأقل !

● ● ● ومن ناحية العامل الداخلى المؤثر على السياسة الأمريكية – فإن هذا العامل فيما يتعلق بإسرائيل يتركز فى ثلاث قوى رئيسية :

- الكونجرس – وتعاطف أغلبية فيه مع إسرائيل واقع حال لا يحتاج إلى زيادة شرح .
- ووسائل الإعلام الأمريكى – وهواها مع إسرائيل ظاهر ، مقروء مسموع كل يوم .
- ثم جماعات الضغط اليهودى ، أو ما اصطلح على تسميته بوصف « اللوبى اليهودى » – ودور قياداتها وتنظيماتها سر ذائع ومشهور ! (٣)

وقد أدى انتصار إسرائيل بالطبع إلى تعزيز مركز كل هذه القوى الفاعلة فى القرار الأمريكى . فقد ظهر أن هواهم – وقد كانوا يلامون عليه فى بعض الأحيان – متوافق تماما مع المصالح الاستراتيجية الأمريكية ، وقد وفر للولايات المتحدة كثيرا مما كان مطلوبا وكان صعبا مناله .

● ● ● ومن ناحية الخطوط السياسية للبيروقراطية الأمريكية فإن الانتصار الإسرائيلى أحدث نتائج ضخمة بالنسبة لتوجهات أجهزة رسمية أمريكية مؤثرة ونافذة .

كانت الأجهزة البيروقراطية الأمريكية تقليديا موزعة بين أغلبية مندفعة إلى التعاطف مع إسرائيل ، وأقلية تحاول أن تتفهم قضايا العرب لأن ذلك أدعى إلى تأمين المصالح .

وعلى سبيل المثال ، فقد كان المعروف تقليديا أن وزارة الطاقة فى الولايات المتحدة شديدة الإدراك لأهمية البترول العربى ، وبالتالى أهمية الملاءمة السياسية مع أصحابه ، وكانت شركات

---

(٣) إن تأثير اللوبى الإسرائيلى والمتمثل أساسا فى منظمة « آيباك » الشهيرة تجلى والكشف فى المعركة الانتخابية الأخيرة سنة ١٩٩٢ بين « بوش » و « كلينتون » حين أذيع تسجيل نص محادثة تليفونية لمدير « الآيباك » « دافيد ستينر » تبين منها أنه قادر على تعيين وزراء الخارجية والدفاع فى إدارة « كلينتون » . وقادر على الاملاء على أقطاب إدارة « بوش » فى نفس الوقت . ثم إن مقاعد كثيرة فى مجلس الشيوخ وفى مجلس النواب تعتبر فى جيبه !

البترول الأمريكية الكبرى فى ذات الصف . كذلك فإن القيادة الأمريكية العسكرية (البنتاجون) كانت تحاول باستمرار أن تحذر من الانحياز الكامل لإسرائيل باعتبار أن معظم المطالب الاستراتيجية الأمريكية - البترول والموقع - كلها مركزة على الناحية العربية فى الشرق الأوسط .

وعلى مستوى آخر فقد كانت وكالة المخابرات المركزية منقسمة إلى معسكرين : معسكر يرى فائدة فى التعاون مع العرب (وكان يمثله فى بعض الأحيان « كيرميت روزفلت » ، مسئول الوكالة الشهير فى الشرق الأوسط ، وكانت عيناه دواما على آبار البترول) - ومعسكر آخر يرى أن الفائدة كلها فى التعاون مع إسرائيل (وكان يمثل هذا المعسكر فى وقت من الأوقات « جيمس انجلتون » ، مدير العمليات الخاصة فى الوكالة ، الذى كان بين دعاويه أن إسرائيل هى أكبر عون للغرب على جمع المعلومات عن الاتحاد السوفيتى والكتلة الشرقية اعتمادا على جاليات يهودية كبيرة هناك) .

وكانت وزارة الخارجية نفس الشىء : نصفها مع العرب ممن يسمونهم العروبيون (لأنهم من تلامذة مدارس الاستشراق ، يتحدثون اللغة ويعرفون شعوبها) - ونصفها الآخر يائس من التعامل مع العرب بتأثير نزعات تصل إلى حد العنصرية أحيانا !

وبانتصار إسرائيل سنة ١٩٦٧ - فإن الذين كانوا يحاولون تلمس سبيل إلى التفاهم مع العرب تخافتت أصواتهم ، كما أن أصوات الآخرين علت ودوت .

● ● ● وأخيرا يجىء المحدد الرابع للسياسة الأمريكية (طبقا لتشخيص « كوانت ») - وهو تصورات الرئيس الأمريكى نفسه ، ومستوى قيادته ، ونوع مستشاريه .

وكان « ليندون جونسون » لا يحتاج إلى توصية كما يقال ، وقد تحول عداؤه لـ « جمال عبد الناصر » إلى قضية شخصية فى بعض الأحيان ، كما أن سياسة إطلاق العنان لإسرائيل to unleash Israel(٤) كانت اجتهاده الشخصى . ثم إن مستشاريه جميعا وبدون استثناء كانوا من اليهود ، وأولهم « والت روستو » مستشاره للأمن القومى وشقيقه « يوجين روستو » مساعد وزير الخارجية المسئول عن الأمن القومى . بل إن أقرب أصدقائه الرجال ، وهو « آب فورتاس » (محام شهير) ، كان يهوديا . وكذلك كانت « ماتيلدة كريم » ، وهى المرأة التى كانت مستولية على عقله ومشاعره فى تلك الفترة من حياته - يهودية هى الأخرى . ولم يكن هؤلاء جميعا من اليهود فقط ، وإنما كانوا من غلاة المتعصبين للصهيونية ولإسرائيل .

□

هكذا كانت الدواعى الوطنية ، والإقليمية ، والدولية كلها تفرض على مصر نقل التركيز من أهداف الاستراتيجية العليا ، والاكتفاء مرحليا باستراتيجية عملية تستدعيها مطالب علاج حالة طارئة .

---

(٤) رجاء مراجعة كتاب « سنوات الغليان » و« الانفجار » لـ « محمد حسنين هيكل » .

وكان ذلك بالضبط هو الذى جعل « جمال عبد الناصر » يعيد توصيف هدفه الاستراتيجى بأنه « إزالة آثار عدوان سنة ١٩٦٧ » – لا أكثر ولا أقل !

وكان تقديره – كما سلف القول – أن هذا الهدف لا يمكن تحقيقه بالدبلوماسية وحدها . خصوصا دبلوماسية الأمم المتحدة . وإذا كان صحيحا ما قاله من أن « ما أخذ بالقوة لا يمكن أن يسترد إلا بالقوة » ، فإن احتياجه إلى الاتحاد السوفيتى يفرض نفسه كبند رئيسى فى جدول أولوياته !

والآن كان الاتحاد السوفيتى أمامه موزعا بالفكر والاهتمام : ما بين أزمات مكتومة فى الداخل ، إلى أزمات ثقيلة فى الخارج تمتد من حرب فيتنام – إلى سباق السلاح – إلى مأساة الصراع مع الصين – إلى هموم العالم الثالث – ثم أزمة الشرق الأوسط التى انتكس فيها بالتبعية نتيجة ما جرى لسلاحه فى معركة سنة ١٩٦٧ . وقد زاد على ذلك أن أطرافا عربية راحت توجه إليه أصابع الاتهام بالخنوع ، وحتى بالتواطؤ ، بعد اجتماع « جلاسبورو » .

ولم يكن فى وسع « جمال عبد الناصر » أن يقبل بهذا الحال السوفيتى كأمر نهائى – إلا إذا كان على استعداد لقبول نتائج معركة ١٩٦٧ كأمر واقع .

ولقد كان يريد حلا ، لكنه وسط دخان ميادين القتال وحريقها ، ووسط ضباب دبلوماسية الأمم المتحدة – كان يدرك فى أعماقه أن أى حل يحتاج إلى السلاح . وأن الحاجة إلى السلاح تفرض بدورها الحاجة إلى الاتحاد السوفيتى .

ولقد استطاع أن يضغط على الاتحاد السوفيتى بكل وسائل الإقناع المتاحة له لإعادة تعويض الخسائر المصرية فى معركة ١٩٦٧ ، ولم يجد فى نفسه حافزا يدعوه إلى قبول قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ إلا عندما أبلغه الماريشال « زخاروف » رئيس أركان حرب القوات المسلحة السوفيتية بأن القوات المصرية فى السويس أصبحت قادرة بعتادها وتدريبها وروحها القتالية – على الدفاع عن جبهتها بما يحول دون اختراقها . وكان هذا التقرير من « زخاروف » مؤيدا بتقرير مماثل من الفريق « عبد المنعم رياض » رئيس هيئة أركان الحرب المصرية والذى كان « جمال عبد الناصر » يعده لقيادة معركة إزالة آثار العدوان – إذا ما عاد الاحتكام مرة أخرى للسلاح .

لكن المطلوب لاستراتيجية « ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة » لا يتحقق باستكمال مهام الدفاع عن جبهة قناة السويس وما وراءها ، وإنما يقتضى أكثر . وإذا فإن الضرورات تفرض شد الاتحاد السوفيتى « المهموم » إلى درجة أكبر من التركيز على الشرق الأوسط وأزمته .

□

إن الاحتياج إلى الاتحاد السوفيتى لم يكن من شأنه أن ينفى ضرورات أخرى تقتضيها أسباب البحث عن حل .

□ فلم يكن من الممكن مثلا إهمال دبلوماسية الأمم المتحدة مهما كان الأمل ضعيفا فى نجاحها .

وكان مجلس الأمن الآن قد عهد بقراره رقم ٢٤٢ إلى السكرتير العام للأمم المتحدة ، الراهب البوذى من بورما وقتها ، « يو ثانت » - بمتابعة تنفيذه .

وبدوره قام « يو ثانت » بتعيين ممثل خاص له هو السفير السويدى لدى الأمم المتحدة ، « جونار يارنج » ، ليتولى الاتصال بالأطراف .

وكان الأسلوب الذى اتبعه « يارنج » هو السفر إلى العواصم المعنية بالأزمة وسماع آرائها ، وتسلم صياغاتها وعرضها على الآخرين . لكنه بعد أسابيع تبين أن هذا الأسلوب ، وقد وصفه « يارنج » نفسه بأنه أسلوب « سعاة البريد » - كسيح لا يقدر على بلوغ نتيجة .

□ ولم يكن ممكنا كذلك إهمال دور أوروبا ، وفرنسا بالذات ، فالشاطىء الآخر فى الشمال من البحر الأبيض يربطه جوار تاريخى وحضارى وثقافى مع الشواطىء العربية فى الجنوب . وأوروبا - خصوصا فرنسا تحت قيادة الجنرال « شارل ديجول » - ليست فى كل الأحوال على وفاق مع الولايات المتحدة ، كما أنها ليست على اتفاق إلى النهاية - مثل « جونسون » - مع إسرائيل .

وقد كان لـ « ديجول » موقف مبدئى بالغ الصرامة قبل معارك سنة ١٩٦٧ ، حين أعلن أن فرنسا سوف تحدد موقفها من أطراف الأزمة التى بدأت بعد سحب قوات الطوارىء فى مايو من تلك السنة ، على أساس أنها ضد الطرف الذى يبدأ بإطلاق الرصاصة الأولى ، ومن ثم يشعل نيران الحرب . وكانت إسرائيل هى التى بدأت بالطلقة الأولى . وراح « ديجول » يباعد ما بين فرنسا من ناحية ، وإسرائيل والولايات المتحدة من ناحية أخرى(٥) .

وكان « جمال عبد الناصر » يريد موقف فرنسا المستقل - ولو نسبيا - كجسر إلى الغرب ، حتى لا يجد نفسه فى النهاية « داخل صندوق واحد مع الاتحاد السوفيتى » . كان يريد تعاونا واسع المدى مع الاتحاد السوفيتى على الأرض ، ولا يريد لهذا التعاون أن يكون محصورا أو محاصرا داخل « صندوق واحد » - على حد تعبيره . وفى كل الأحوال فإن دورا أوروبيا - فرنسيا بالدرجة الأولى - كان كفيلا بمنع الاستقطاب فى الأزمة بحيث تدخل إلى دائرة الاستعصاء فى علاقات القوتين الأعظم .

□ بل إنه لم يكن ممكنا - مهما كانت الظروف - إهمال العنصر الأمريكى ذاته . ومهما كانت المرارة فى الحلوق من نتيجة سياسة « جونسون » المنحازة لإسرائيل وذات الطابع شبه الشخصى - فإن الولايات المتحدة تبقى على رأس القمة الدولية .

---

(٥) فيما بعد - سنة ١٩٦٨ - وصل الجنرال « ديجول » إلى حد حظر بيع السلاح الفرنسى لإسرائيل ، وكان ذلك بعد غارتها على مطار بيروت ، وقد اعتبرها « ديجول » إهانة لفرنسا ، بتأثير تصوراته للعلاقة الخاصة بين لبنان وفرنسا .

وفى بدايات سنة ١٩٦٨ ، وكانت مهمة « يارنج » قد أنهكت على الطريق من القاهرة إلى تل أبيب ، ومن عمان إلى نيويورك – خطا الجنرال « ديجول » خطوة جديدة . فقد بعث إلى « جمال عبد الناصر » برسالة يقول فيها « إنه يرى – مع تعثر مهمة « يارنج » – أن تتحمل الدول الكبرى دائمة العضوية فى مجلس الأمن مسئولياتها . فهذه الدول هى التى وضعت قرار مجلس الأمن المشطور نصفين والذى تعذر تحقيقه حتى الآن .

وإذن فالحل الذى يقترحه الجنرال « ديجول » هو أن تنتقل دبلوماسية الأمم المتحدة إلى الأربعة الكبار ، بحيث يتولى ممثلوها – على مستوى وزراء الخارجية أو على مستوى المندوبين الدائمين لدى الأمم المتحدة – عقد اجتماعات مع الأطراف يتوصلون فيها إلى خطوط حل ، ثم يقومون بطرحه على الجميع ، وفرض تنفيذه إذا اقتضى الأمر » .

ورد « جمال عبد الناصر » بالموافقة على دبلوماسية الأربعة ، وإن كان قد تحفظ فيما يتعلق بفرض الحل .

كان « جمال عبد الناصر » يتوقع أن ترفض إسرائيل فكرة محادثات الأربعة الكبار ومحاولتهم ، وبالتالى ترفضها الولايات المتحدة . وكذلك كان . والذى حدث هو أن « جونسون » عندما أبلغ باقتراح « ديجول » كان رده المتعالى هو : « محادثات بين الأربعة الكبار .. من هما الاثنين الآخرين ؟ » ثم بعث إلى « ديجول » ردا قال فيه « إنه يفضل أن تبقى جهود الحل فى إطار الأمم المتحدة حتى لا يبدو أن الأربعة الكبار يحتكرون القرار الدولى » .

وكان هذا حقا يراد به باطل ، وفى كل الأحوال فإن الفكرة نامت مع استمرار رئاسة « جونسون » .

لكن هذه الرئاسة كانت فى شهورها الأخيرة ، ذلك أن سنة ١٩٦٨ كانت سنة انتخابات رئاسية فى الولايات المتحدة ، وكان مؤكدا أن « جونسون » سوف يخسرها إذا دخلها أمام المرشح الجمهورى الأوفر حظا فى اختيارات حزبه ، وهو « ريتشارد نيكسون » .

وربما أدرك « جونسون » أن فرصه ضعيفة ، وكان أن أعلن انسحابه من الترشيح ، واختار الحزب بدلا منه السناتور « هيوبرت همفرى » ، وكانت كل الدلائل تشير إلى أن « نيكسون » سوف يكون الرئيس القادم للولايات المتحدة .

كان هذا تقدير « جمال عبد الناصر » .

وكذلك كان تقدير السوفيت .

□

وفى شهر يوليو ١٩٦٨ ، وأزمة الشرق الأوسط منهكة من كثرة السفر مع « جونار يارنج » طبقا لدبلوماسية الأمم المتحدة ، وفى وقت احتدمت فيه معركة انتخابات الرئاسة الأمريكية بين

« ريتشارد نيكسون » و« هيوبرت همفرى » – رأى « جمال عبد الناصر » أن يقوم بزيارة للاتحاد السوفيتى لحديث مباشر وصريح مع قيادته ، وكان الشك يساوره أحيانا بأن الاتحاد السوفيتى قانع بأن مصر وصلت إلى حالة مقدرة الدفاع ، ولا يريد أن يتحرك بعدها أكثر ، وبالتالى فإن توريدات السلاح السوفيتى أصبحت محكومة بآمال ، أو أوهام ، فى غير موضعها تتعلق بغيبية تسمى « الحل السلمى » ، فى حين أنه مع اقتناعه بالحل السلمى إذا أمكن ، واثق فى اعماقه بأن هذا الحل مستحيل بغير ضغوط عسكرية عربية وضغوط سياسية دولية .

كان هدفه من زيارة الاتحاد السوفيتى أن يقنع هذه الدولة العظمى بنفس النتيجة المنطقية التى وصل إليها من قبل – ومن ثم يتحرك بتوريدات السلاح إلى ماهو أكثر من مجرد توفير مقدرة الدفاع .

وكان لقاؤه الأول مع القيادة السوفيتية ، وقتها : « ليونيد بريجنيف » رئيس الحزب ، و« أليكسى كوسيجين » رئيس الوزراء ، و« نيكولاى بادجورنى » رئيس الدولة – صباح يوم ٥ يوليو فى قصر « زافيدوفا » على بعد ٦٠ كيلومترا من موسكو .

وقد بدأ حديثه فاستعرض أهداف ضربة سنة ١٩٦٧ وخططها ، ثم ما حدث بعدها من جهود فى مصر وفى المنطقة كلها لاستيعاب آثار الضربة ، ثم تطرق إلى الحديث عن دبلوماسية الأمم المتحدة قبل وبعد قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ ، ثم وصل إلى المأزق الذى وصل إليه السفير « جونار يارنج » .

ثم انتقل إلى الحديث عن سياسة الولايات المتحدة وسياسة إسرائيل وإصرارهما على بقاء الوضع الذى نشأ بعد معركة ١٩٦٧ كما هو وبدون تغيير ، حتى يضطر العرب إلى الخضوع الكامل لشروط الاثنين معا .

ثم وصل « جمال عبد الناصر » إلى النقطة المركزية فى حديثه ، وفى زيارته كلها – فقال :(٦)

– « إنكم معنا فى الهزيمة سواء كنتم تريدون أو لا تريدون . سواء كان لكم دخل فيها أو لم يكن لكم دخل .

لقد كنا نحن الطرف الأقرب إليكم فى المعركة .

وكنا نحمل سلاحكم سواء أحسنا استخدامه أو أسأنا .

ومهما قلتم ، أو قال غيركم ، فإن هزيمتنا فى جزء منها هزيمة لكم . ومهما كان أو يكون ، فإن هذه الهزيمة هزيمة لسلاحكم » .

---

(٦) محضر كامل لجلسة المحادثات ، وهو مكتوب بخط السفير « مراد غالب » ، سفير مصر فى موسكو وقتها ، وقد أضيفت إليه تأشيرة بطلب إرسال نسخة منه إلى كل من وزارة الخارجية ووزارة الحربية .

ثم انتقل « جمال عبد الناصر » إلى نقطة أخرى كان يعرف مقدما أنها حساسة ، ولكنه شعر بضرورة أن يقولها :

- « إن العلاقات بيننا وبينكم لم تكن طريقا من جانب واحد . نحن لم تكن عالة عليكم ، وإذا كان ذلك ظن أحد عندكم ، فنحن على استعداد لقفل الموضوع كله ، ونظل أصدقاء ، ونعود إلى بلادنا عارفين أن المستقبل للولايات المتحدة الأمريكية وللذين يتعاونون معها .

هذا أسهل الحلول ، وأما أصعبها فهو أن نواصل ما نفعله الآن لمقاومة الاستعمار والسيطرة الأجنبية .

إننا لم نختر أسهل الحلول ، وإنما اخترنا أصعبها ، وكان ذلك من إملاء مبادئنا . ولكنى أريد أن أقول لكم أيضا إن الاتحاد السوفيتى حقق لنفسه فوائد ضخمة من مواقفنا .

إن خلافنا الأول مع الولايات المتحدة كان بسبب الأحلاف العسكرية ، ونحن رفضناها حرصا على استقلال سياستنا ، ولو كنا قبلناها لأدى ذلك إلى تطويقكم ومحاصرتكم من حلف جنوب شرق آسيا وحلف بغداد وحلف الأطلنطى .

إن سياستنا المستقلة فتحت لكم أبواب البحر الأبيض والبحر الأحمر إلى المحيط الهندى ، وكنتم قبل ذلك « محبوسين » فى البحر الأسود .

أنتم أيضا بسياستنا المستقلة استطعتم الوصول إلى إفريقيا .

إن فوائد ذلك كله لم تكن استراتيجية فقط ، ولكن كانت سياسية ومعنوية وتجارية كذلك .

وأنا لا أقصد أى إساءة إذا قلت بأمانة إن الاتحاد السوفيتى تمكن من بلوغ مرحلة القوة الأعظم الثانية فى العالم بسياساته فى الشرق الأوسط ، وليس بسياساته فى أى منطقة أخرى غيره .

وهذا كله معرض للخطر الآن إذا سمحنا للولايات المتحدة ، أو لإسرائيل ، بسياسة فرض الأمر الواقع بعد عدوان ١٩٦٧ » .

كان الصمت كاملا ، وقطعه « كوسيجين » بقوله :

« إنه يرى أن صديقنا الرئيس ناصر يائس من إمكانيات الحل السلمى » .

ورد « جمال عبد الناصر » :

« بأنه لم يصل بعد إلى درجة اليأس الكامل ، ولكنه لا يريد أن يصل إلى هذه الحالة ثم يكتشف أنه لا يملك بديلا غير الاستسلام لليأس » .

وعاد « كوسيجين » يسأل :

« أليست لكم اتصالات مع الولايات المتحدة ؟ »

ورد « جمال عبد الناصر » :

« **كلها سطحية لم تصل إلى أى عمق ، والسبب هو الانحياز الكامل لإسرائيل** » .

وعاد « كوسيجين » يلح :

« إننا لا نتصور أن هذا الانحياز كامل . وعلى فرض أنه كامل الآن ، فإنه حالة غير قابلة للاستمرار لسبب منطقى وهو أن مصالحهم الحقيقية كلها عند العرب وليست عند إسرائيل . البترول أكبر مصالحهم . والعرب هم الذين يملكونه » .

وعندما ابتسم « جمال عبد الناصر » وهو يسمع هذا الشرح العقلانى للموقف الأمريكى ، استدرك « كوسيجين » وقال :

« نحن نعرف أن جونسون على استعداد للتضحية بالمصالح الأمريكية فى سبيل الشيطان ، لكن هناك الآن فى أمريكا معركة انتخابية ، وجونسون سوف يختفى من على المسرح ، وكل الدلائل تشير إلى انتخاب نيكسون ، وهو رجل له خبرة بالسياسة الدولية ويعرف أين مصالح أمريكا ، ونحن على اتصال ببعض المسئولين عن حملته الانتخابية » .

ورد « جمال عبد الناصر » قائلا « إنه يريد أن يلفت النظر إلى نقطتين :

□ **الأولى** - أن هناك مصالح أمريكية طائلة فى الشرق الأوسط ، ولكن هذه المصالح مكشوفة أمام تقدم وصعود الفكرة الاستقلالية والوحدوية للقومية العربية .

□ **والنقطة الثانية** - أن علينا ونحن نبحث عن المصالح الأمريكية فى المنطقة أن نتأكد تماما أين تقع هذه المصالح على الخريطة ... فالعالم العربى مع الأسف الشديد منقسم فى هذه المرحلة من تطوره الاجتماعى والسياسى ، ثم إن سعيه إلى نوع من الوحدة هو واحد من أهم أسباب العداء الأمريكى للحركة القومية العربية » .

وتدخل « بريجنيف » فى الحوار قائلا لـ « جمال عبد الناصر » :

« **إنه يريد أن يسأله كصديق : هل أنتم بالفعل تريدون حلا سلميا للصراع فى الشرق الأوسط ، أو أن الموضوع قد أصبح - فى جانب منه على الأقل - موضوع انتقام من هزيمة لحقت بالعرب ؟** »

ورد « جمال عبد الناصر » بقوله « **إنه لا يتصور مسئولا يستشعر أمانة مسئوليته يرضى بتعريض شعبه وأمته لخطر الحرب إذا كان فى استطاعته أن يجد طريقا مشرفا إلى سلام قائم على العدل** » .

ولم يسكت « بريجنيف » ، وإنما راح يلح قائلا : « نحن نعرف أن الكرامة لها اعتبار خاص وضاغط عندكم أنتم العرب . فهل هناك اعتبار من وجهة نظر الكرامة يمنعكم من قبول حل سلمى ؟ »

ورد « جمال عبد الناصر » أنه « ليس هناك محظور من الكرامة إذا توافر عنصر الحق » .

ثم توجه بدوره إلى « بريجنيف » قائلا « إن لديه سؤالين اثنين لا ثالث لهما ، وهو يريد من « بريجنيف » إجابة عليهما » .

وكان « بريجنيف » يصغى باهتمام ، واستطرد « جمال عبد الناصر » :

– « السؤال الأول هو : هل تتصور أننى أستطيع أن أتفاوض مباشرة مع الإسرائيليين تحت ضغط الاحتلال ؟ »

وكان رد « بريجنيف » على الفور : « لا .. هذه نقطة أفهم موقفكم فيها » .

واستأنف « جمال عبد الناصر » حديثه :

– « سؤالى الثانى هو : هل تتصور أن يكون من نتيجة مفاوضات أن أتنازل عن أرض عربية لإسرائيل ؟ »

ورد « بريجنيف » على الفور أيضا : « لا .. وهذه نقطة ثانية أستطيع فهم موقفكم فيها » .

ورأى « جمال عبد الناصر » أن يعود بالحديث إلى المجرى العملى ، فذكر أن الجنرال « ديجول » كتب إليه يسأله رأيه فى احتمال أن تقوم الدول الأربعة الكبار ذات العضوية الدائمة فى مجلس الأمن بدور إيجابى أكثر فى تنفيذ قرار مجلس الأمن .

وقال « بريجنيف » : « إن « ديجول » كتب لنا أيضا فى هذا الصدد ، وقد وافقنا على أن يكون دور الأربعة هو مساعدة جهود « يارنج » وليس أن نحل محله .

إن « جونسون » رفض الاقتراح . ولكن « نيكسون » فيما نعرف يميل إلى قبوله » .

ورد « جمال عبد الناصر » قائلا لـ « بريجنيف » :

– « إننى على استعداد لأن أقترح خطوة أكثر .

فليحاول « يارنج » ، ولتحاول الدول الأربعة الكبرى إذا وافق « نيكسون » بعد نجاحه فى الانتخابات . أما اقتراحى فهو أن تقوموا أنتم الاتحاد السوفيتى بالاتصال مباشرة مع الولايات المتحدة .

إن إجابات صديقنا « بريجنيف » على أسئلتنا أراحتنا . مادام أحد لن يطلب منا أن نتفاوض تحت وطأة الاحتلال ، ومادام أحد لن يطلب منا التنازل عن تراب عربى ، فإن الباقى كله يصبح سهلا من وجهة نظرنا .

تفاوضوا أنتم مع الأمريكيين ، وابحثوا كما تشاءوا ، وإذا وصلتم إلى حل فنحن جاهزون » .

والتفت « بريجنيف » إلى رفيقيه « كوسيجين » و« بادجورنى » ، وكان أحدهما على يمينه والآخر على يساره ، ودار بين الثلاثة حديث باللغة الروسية استغرق ٧ دقائق ، وشارك الماريشال « جريتشكو » وزير الدفاع فيه بإجابة على سؤال وجهه إليه « بريجنيف » الذى عاد عبر المائدة يوجه كلامه لـ « جمال عبد الناصر » قائلا :

– « هل نستطيع إذن أن نتصل ونتفاوض مع الولايات المتحدة على أساس ما قلنا ودون أية شروط أخرى ؟ »

ورد « جمال عبد الناصر » بأنه هو الذى اقترح ذلك .

ثم استطرد مرتبا النتيجة المنطقية قائلا : « ولكننى لا أريد أن أجد نفسى مكشوفا إذا لم تتوصلوا إلى نتيجة » .

وانتقل البحث إلى موضوعات السلاح ...

٢

فى خريف سنة ١٩٦٨ كانت معركة انتخابات الرئاسة الأمريكية على أشدها ، وكان اعتقاد كثيرين أن نتيجتها سوف تؤثر بشكل أو آخر على أزمة الشرق الأوسط ، ذلك أن أزمة الشرق الأوسط التى مضى عليها الآن قرابة العامين ، لا يمكن أن تنتظر أكثر من أربع سنوات أخرى – هى مدة الرئيس الجديد ، على فرض أنه لم يحاول أن يمهد لنفسه فرصة رئاسة ثانية – فالأزمة بكل ما يحيط بها يصعب حفظها فى ثلاجة تبريد عميق لسنوات ، وإذن فهى فى عهد الرئيس الجديد واصلة إلى حل ، أو واصلة إلى انفجار .

وكانت كل الدلائل – بما فيها استطلاعات الرأى العام – تشير إلى تفوق « نيكسون » وتراجع الحزب الديمقراطى المصنف عربيا فى معظم الأحوال باعتباره الأقرب إلى إسرائيل . وإذن فإن « ليندون جونسون » ذاهب إلى غياهب النسيان ، وربما يسبقه إلى نفس الظلمات مرشح حزبه « هيوبرت همفرى » الذى كان برنامجه الانتخابى تكملة وإضافة لسياسة « جونسون » الذى كان « همفرى » نفسه نائبه !

ويوم ٩ أكتوبر ١٩٦٨ – أعلن « جونسون » فى مؤتمر صحفى أنه قرر بالاتفاق مع نائبه ومرشح حزبه – « هيوبرت همفرى » – تقديم خمسين طائرة من طراز « فانتوم ٤ » إلى إسرائيل .

كان « جونسون » قبل عام واحد – فى أكتوبر ١٩٦٧ – قد قدم لإسرائيل مائة طائرة – خمسين منها من طراز « فانتوم ٤ » ، وخمسين من طراز « سكاى هوك » – وكانت تلك هدية

التعويض عن الخسائر ، والمكافأة على الأداء فى يونيو سنة ١٩٦٧ . والآن ، وفى ذكرى مرور عام واحد تقريبا على الهدية الأولى - جاءت الهدية الثانية . ولعل أسوأ ما فيها أنها كانت تصرف رئيس يعرف أنه خارج من منصبه ومن مسئوليته ، وأنه بهذا التصرف يقيد رئيسا آخر وإدارة أخرى ، لأن موعد تسليم الهدية كان ربيع سنة ١٩٦٩ ممتدا إلى أوائل سنة ١٩٧٠ . وهى مدة واقعة فى ولاية رئيس غيره . وكان المزعج أكثر هو أن موعد التسليم المقرر للدفعة الأولى من هذه الطائرات - وهى دفعة من ١٦ طائرة « فانتوم » - تحدد له مارس ١٩٦٩ ، أى بالضبط وسط الأيام المائة الأولى من الرئاسة الجديدة ، وهى فترة تتحدد فيها عادة توجهات هذه الإدارة وتتبين خطوطها العريضة .

□

إن كثيرين من الناس مقتنعون بالقول المأثور عن « دزرائيلى » فى وصف السياسة البريطانية حين قال « إن بريطانيا ليست لها صداقات دائمة ، وليست لها عداوات دائمة ، وانما لها سياسات ثابتة » . ثم إنهم يسحبون هذه القاعدة إلى مداها ويطبقونها على كل الحالات .

والقاعدة صحيحة إلى حد كبير ، لكنها فى حالة الولايات المتحدة بالذات تتطلب قدرا من المراجعة والتدقيق . ذلك أن عملية انتقال السلطة فى الولايات المتحدة الأمريكية ، وبسبب ظروفها التاريخية ، تختلف كثيرا عما يجرى الحال عليه فى بريطانيا مثلا .

فى بريطانيا تنتقل السلطة من حزب العمال إلى حزب المحافظين مثلا ، أو العكس ، خلال ساعات . ذلك أن زعيم المعارضة فى مجلس العموم ورئيس وزراء الظل ليس عليه فى حالة فوز حزبه إلا أن ينتظر تليفونا من الملك أو الملكة يستدعيه إلى القصر ، ثم تكون خطوته الثانية هى الانتقال بكل وزارة الظل من مجلس العموم إلى مقر رئاسة الوزارة فى رقم « ١٠ داوننج ستريت » . وتكون الخطوة الثالثة أن يلتقى برئيس الإدارة المدنية ، وهو فى العادة الوكيل الدائم لوزارة الخزانة ، ثم تصدر الأوامر إلى الوكلاء الدائمين لجميع الوزارات بأن يضعوا أنفسهم وأجهزة الدولة كلها تحت تصرف الوزراء الجدد ، ويتم الانتقال ، وتتغير السلطة فى نفس اليوم .

وفى حالة الولايات المتحدة تختلف الأمور كثيرا ، ذلك أن فترة الانتقال تستمر عادة من الثلاثاء الأول من شهر نوفمبر حتى يوم ٢٠ يناير حين يتولى الرئيس الجديد سلطاته ، أى أنها قرابة ثلاثة شهور .

وحين توصف رئاسة أى رئيس أمريكى بأنها إدارة جديدة ، فإن الوصف صحيح . فهناك إلى جانب تباين السياسات ، حقيقة أن الرئيس الجديد له الحق بالقانون أن يعين اثنى عشر ألف مسئول فى اثنى عشر ألف وظيفة :

وزراء ، ومساعدى وزراء ، وسفراء ، ومستشارين ، وقضاة محاكم ، ومسئولى أجهزة أمن بما فيها الأمن الخارجى الذى تشرف عليه وكالة المخابرات المركزية ، أو الأمن الداخلى الذى يشرف عليه مكتب التحقيقات الفيدرالى . والعصب الحساس فى هذا كله هو تعيينات مجلس الأمن

القومى ، وهى لا تخضع لأى مراجعة من الكونجرس لأنها تعتبر - على خلاف الحال مع الوزراء والسفراء - تعيينات خاصة بالرئيس .

وبالقطع فإن الولايات المتحدة مثلها مثل أى قوة كبرى لها سياساتها الثابتة المحكومة بالجغرافيا والتاريخ . لكن إيقاع السياسات فى حالة الولايات المتحدة يختلف من إدارة إلى إدارة بحكم عملية التغيير الدائمة المستمرة بين الأفكار والرجال والأجيال . واختلاف الإيقاع فى الحالة الأمريكية كفيل بإحداث فارق كبير بين عصر رئيس وعصر رئيس آخر . وتلك خاصية من أهم خواص الحيوية الدافقة التى تجعل من واشنطن مركزا فريدا فى صنع القرار العالمى منذ بدأ القرن العشرين الذى أصبح بالفعل ، وللأفضل أو للأسوأ طبقا لموقع الناظر إليه - قرنا أمريكيا !

□

وعندما أعلن فوز « ريتشارد نيكسون » برئاسة الولايات المتحدة ، بادر « جمال عبد الناصر » فأرسل إليه برقية تهنئة رقيقة - رد عليها « نيكسون » بقدر مماثل من الرقة .

كان الرجلان قد التقيا معا سنة ١٩٦٣ ، فقد جاء « نيكسون » إلى القاهرة زائرا بعد فشله فى محاولته الأولى لترشيح نفسه رئيسا ، وفاز عليه « جون كنيدى » سنة ١٩٦٠ . وحينما جاء إلى القاهرة كان يحمل معه رسالة من « كنيدى » ، وكانت الرسائل بين « كنيدى » و« عبد الناصر »(٧) قد اتصلت فى عصر بدا فيه أن السياسة الأمريكية يمكن أن تنفتح للحوار مع حضارات أخرى وتجارب مفعمة بالآمال مما ظهر فى العالم الثالث مع أواخر الخمسينات وحتى منتصف الستينات . وفى الرسالة التى حملها « نيكسون » كان « كنيدى » يوصى « جمال عبد الناصر » أن يهتم بمنافسه الحزبى السابق ، وأن يلقاه كممثل شخصى له .

وفوجىء « نيكسون » بأن معاملته فى القاهرة جرت على مستوى رؤساء الدول . وعندما ذهب للقاء « جمال عبد الناصر » أسعده أن سمع مضيفه يقول له : « إنه لا يحتفى به فقط بطلب من الرئيس كنيدى ، ولكن أيضا وقبل كل شىء لأنه كان نائبا للرئيس مع آيزنهاور فى الوقت الذى اختارت فيه الولايات المتحدة موقفها فى معارضة العدوان الثلاثى على مصر فى السويس سنة ١٩٥٦ » .

كان « جمال عبد الناصر » يتذكر لقاءه مع « نيكسون » لكنه كان يعرف بالخبرة أن آراءه التى سمعها منه وهو فى التيه بعد فشله فى الانتخابات لن تكون نفس آرائه عندما يدخل البيت الأبيض ويحيط به المستشارون ، وتحاصره المصالح ، وتدفعه الضرورات .

وهكذا فإن القاهرة راحت خلال شهرى نوفمبر وديسمبر من سنة ١٩٦٨ - تتابع مع غيرها من العواصم استقراء سياسة « نيكسون » من خلال الرجال الذين يختارهم للمناصب الكبرى المؤثرة

---

(٧) تبادل « عبد الناصر » و« كنيدى » سبعا وخمسين رسالة فى فترة أقل من ثلاث سنوات اغتيل بعدها « كنيدى » .

فى إدارته . وكانت مجموعة الأمن القومى والوزارات المتصلة بها : وزارتا الخارجية والدفاع ، ومنصب مدير وكالة المخابرات المركزية ، وشخص مستشار الرئيس للأمن القومى – هى المواقع الحساسة التى تركز عليها الاهتمام .

وكانت اختيارات « نيكسون » بصفة عامة معقولة : فقد اختار « ويليام روجرز » وزيرا للخارجية ، و« ميلفين ليرد » وزيرا للدفاع ، و« ريتشارد هيلمز » مديرا لوكالة المخابرات المركزية – ولعل المفاجأة كانت اختياره لـ « هنرى كيسنجر » مستشارا للأمن القومى .

كان « كيسنجر » يهوديا من أصل ألمانى ، مهاجرا من الجيل الأول إلى أمريكا ، وكان – ولا يزال حتى هذه اللحظة – يتحدث الانجليزية بلكنة ألمانية . وفى فترة الحرب العالمية الثانية دعى إلى الجندية ، ولمعرفته بالألمانية فقد جرى إلحاقه بالمخابرات العسكرية وتولى عمليات استجواب الأسرى من النازيين القدامى ، ثم حصل على منحة دراسية مما كان يقدم للعائدين من ميادين القتال بعد انتهاء خدمتهم ، والتحق بجامعة « هارفارد » وأصبح مدرسا بها ، ثم أصبح أستاذا بعد رسالته بعنوان « عالم يعاد بناؤه » ، وكانت عن سياسة الحلف المقدس التى قاد « ميترنيخ » توازناتها بعد سقوط امبراطورية « نابليون » على الجسر بين أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر !

ثم ذاع صيت « هنرى كيسنجر » بعد كتاب شهير له عن إمكانيات « الحرب النووية المحدودة » ، وراح يتحسس خطاه فى أروقة القوة والسلطة فى واشنطن مدفوعا بطموح ليست له حدود ، وولاء يبحث عن أمير يستخدمه ولا يخدمه كما هو المفروض !

وكان « كيسنجر » قد تنقل بين أمراء كثيرين ، فقد التحق بخدمة أسرة « روكفللر » فى البداية . ثم حاول مع « كنيدى » لكن مستشار « كنيدى » للأمن القومى « ماك جورج باندى » أبعده بهدوء بناء على معرفة سابقة حين كان « باندى » عميدا لكلية العلوم السياسية فى جامعة « هارفارد » و« كيسنجر » مدرس مساعد فيها . ثم حاول « كيسنجر » أن يقترب من « جونسون » ، ومضى فى ذلك شوطا بعيدا خصوصا فى حرب فيتنام . لكنه لمح نجمة المستقبل تلمع فوق معسكر « نيكسون » ، فاتصل بقيادة حملته الانتخابية ، واتهم من بعض زملائه بأنه ينقل الى « نيكسون » آخر أخبار الاتصالات الجارية فى باريس بحثا عن حل فى فيتنام ، وذلك حتى لا يفاجأ « نيكسون » بتطور على هذه الجبهة الحساسة يكون من شأنه إرباك حملته الانتخابية والتأثير عليها لصالح « همفرى » .

ولم يكن اختيار « كيسنجر » لمنصب مستشار الأمن القومى للرئيس مفاجأة للآخرين فحسب ، وإنما كان مفاجأة للمحيطين بـ « نيكسون » ، وبعضهم كان يعرف « كيسنجر » عن قرب ويجد فيه كفاءة لا شك فيها ، لكنه يراه شخصية بالغة التعقيد ترسبت فى وجدانها التجربة اليهودية فى ألمانيا النازية متأثرة بأجواء بلاط بيزنطى مستلهمة طول الوقت فكرا ميكيافيليا . وقد ظن كثيرون من أعوان « نيكسون » أنه اختار كيسنجر « لمنصبه الحساس بجواره مجاملة لأميره القديم « نلسون روكفللر » الذى كان هو وعائلته أكبر مؤسسات الحزب الجمهورى وقتها وأعتاها .

ومنذ اللحظة الأولى بدا واضحا أن هناك خلافا بين « ويليام روجرز » وزير الخارجية من ناحية ، و« هنرى كيسنجر » من ناحية ثانية . وعلى أى حال فإن « نيكسون » بدأ بحزم ، وأجرى عملية تقسيم للاختصاصات بين وزير خارجيته وبين مستشاره الأول فى البيت الأبيض .

كان « نيكسون » يعتبر فيتنام مشكلته الأولى ، وبعدها يجىء سباق السلاح مع الاتحاد السوفيتى ، ثم تلى ذلك مشكلة الشرق الأوسط . وكان جدول الاهتمامات هو الذى أوحى بتقسيم الاختصاصات .

وعلى هذا الأساس فإن « نيكسون » احتفظ لنفسه فى البيت الأبيض ، وبواسطة مستشاره « هنرى كيسنجر » بمنطقتين رئيسيتين : فيتنام - ثم الاتحاد السوفيتى ، وهو الطرف الآخر فى سباق السلاح .

وأما الشرق الأوسط والعلاقات مع أوروبا وآسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية ، فقد وقعت كلها فى اختصاص وزارة الخارجية ووزيرها « ويليام روجرز » .

وكانت القاهرة مازالت تتابع .

□

وحتى من قبل أن تبدأ الإدارة الأمريكية الجديدة ممارسة مسئولياتها رسميا - فإن « نيكسون » أبدى اهتماما بالشرق الأوسط وأزمته ، كذلك فإن وزير خارجيته المعين : « ويليام روجرز » اعتبر أن أزمة الشرق الأوسط هى أولى الأزمات المرشحة لاهتمامه المباشر .

وتأكيدا لاهتمام الإدارة الجديدة بأزمة الشرق الأوسط أعلن الرئيس المنتخب « ريتشارد نيكسون » - وهو لم يخط بعد عتبة البيت الأبيض - أنه قرر إرسال صديقه « ويليام سكرانتون » - حاكم ولاية « بنسلفانيا » - فى مهمة لتقصى الحقائق فى المنطقة بحيث تدخل نتائجها كعنصر فى تحديد خطة عمل أمريكية لحل الأزمة فور بداية الرئاسة الجديدة دستوريا يوم ٢٠ يناير ١٩٦٩ .

وقبل أن يتوجه « سكرانتون » إلى المنطقة ، أعلن « نيكسون » أن إدارته سوف تحاول انتهاج سياسة متوازنة فى المنطقة even-handed policy .

وبعث الرئيس المنتخب برسالة إلى الرئيس « جمال عبد الناصر » يرجوه مقابلة مبعوثه الخاص « ويليام سكرانتون » والتحدث إليه بقلب مفتوح « كما لو أنكم كنتم تتحدثون إلىّ شخصيا » - بنص تعبيره .

ووصل « ويليام سكرانتون » إلى القاهرة ، والتقى بـ « جمال عبد الناصر » .

لكن المشكلة فى مهمة « سكرانتون » أن الرجل جاء فى مهمة لتقصى الحقائق - أى أنه كان يريد أن يسمع أكثر مما هو جاهز لأن يقول .

ولقد تحدث إليه « جمال عبد الناصر » بقلب مفتوح فعلا ، وروى له قصة العلاقات مع

الولايات المتحدة من بدايتها وحتى نهايتها ، وقد ركز فى الختام على أنه يرحب بالإعلان عن السياسة المتوازنة even-handed policy – وطلب إعطاء هذه السياسة فرصة تقدم فيها نفسها إلى العالم العربى بما يدعوه إلى الاطمئنان .

وأشار « جمال عبد الناصر » إلى صفقة « الفانتوم » التى قدمها « ليندون جونسون » إلى إسرائيل ، والتى يحل موعد تسليم الدفعة الأولى منها فى شهر مارس ، وانتهى إلى «أن إتمام التسليم يمكن أن يسىء إلى فكرة السياسة المتوازنة من أصلها ، فإسرائيل لها التفوق العسكرى حتى هذه اللحظة ، ومعنى أن تقوم الولايات المتحدة تحت إدارة جديدة بتسليمها شحنات إضافية من أسلحة متقدمة هو أن الانحياز لإسرائيل على حساب العرب مستمر . وأكثر من ذلك فإن معناه الاشتراك الضمنى فى استمرار احتلال إسرائيل للأرض العربية ، وتلك هى المشكلة التى تمثل لب أزمة الشرق الأوسط . »

□

وفى أول مؤتمر صحفى عقده الرئيس الجديد يوم ٢٧ يناير ١٩٦٩ – بعد أن تولى سلطاته – قال « نيكسون » تعبيرا فى الغالب عن الفكر السائد فى وزارة الخارجية : « إن الشرق الأوسط برميل بارود قابل للانفجار فى أى لحظة ، وقد يؤدى انفجاره إلى مواجهة بين القوتين الأعظم ، وعلينا أن نقوم فى هذه المنطقة بمبادرات جديدة » .

ثم بدأ مجلس الأمن القومى يعقد سلسلة جلسات برئاسة « نيكسون » خصصت كل منها مساحة يوم كامل لمنطقة من مناطق الأزمات الساخنة .

وفى يوم أول فبراير كان الدور على أزمة الشرق الأوسط ، وأعلن رسميا أن مجلس الأمن القومى بحثها بحثا مستفيضا من « القدم إلى الرأس » .

وبدا أن الأمور فى واشنطن تتحرك ، فقد عاد الجنرال « ديجول » مرة ثانية إلى طرح فكرته بنقل دبلوماسية الأمم المتحدة الى محادثات بين الأربعة الكبار ، وكتب إلى « نيكسون » فى هذا الصدد مكررا مرة أخرى رأيه فى إمكانية فرض الحل الذى يجرى التوصل إليه بواسطة الأربعة الكبار ، لأن أطراف الأزمة المحليين لا يقدرون على المفاوضات المباشرة ، كما أنه يصعب على كل واحد منهم أن يقبل الالتزامات التى يمكن أن يرتبها الحل عليه . وفى حين أبدى « كيسنجر » معارضته ، فإن « نيكسون » أعطى موافقته على محادثات الأربعة بصرف النظر عن إمكانية فرض نتائجها – على الأقل من باب المجاملة للجنرال « ديجول » – وكان « نيكسون » شديد التقدير والاحترام له باعتباره الوحيد الباقى من جيل عمالقة الحرب العالمية الثانية .

وفى نفس الوقت فإن « ليونيد بريجنيف » بعث إلى الرئيس « نيكسون » برسالة حملها إليه السفير السوفيتى فى واشنطن « أناتولى دوبرينين » يقترح عليه أيضا فكرة محادثات ثنائية بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى .

ثم حدث فى تلك الأيام تغيير على قمة السلطة فى إسرائيل ، فقد كانت هناك انتخابات عامة توافقت تقريبا مع موعد الانتخابات الأمريكية ، ومع أن نتيجة الاقتراع فى إسرائيل لم تحدث تغييرا كبيرا فى أوضاع الحزب الحاكم ، وهو تحالف العمل ، إلا أن رئيس وزراء إسرائيل « ليفى أشكول » توفى فجأة يوم ٢٦ فبراير ، وأعلن أن تحالف العمل اختار السيدة « جولدا مائير » لرئاسة التحالف ، ومن ثم رئاسة الوزارة . وبالتالى فإن هناك تشكيلة وزارية مختلفة إلى حد ما فى إسرائيل .

☐

وفى تلك الفترة الباكرة من سنة ١٩٦٩ ، وإزاء احتمالات مستجدة ينبغى استكشافها مع بداية رئاسة جديدة فى الولايات المتحدة ، وبعد مفاتحات أمريكية عن سياسة متوازنة فى الشرق الأوسط ، وبعد لقائه مع « سكرانتون » ، ومع فرصة محادثات رباعية ، وثنائية أيضا - كان رأى « جمال عبد الناصر » أن موقف مصر يلزمه بعض التحديد لأن الاتصالات المنتظرة قد تطرح صيغا لا بد فيها من التخصيص بعد فترة طويلة من التعميم ، وبالذات عن شكل الحل الذى يمكن أن تقبله مصر لتنفيذ قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ .

وانتهى « جمال عبد الناصر » إلى الخطوط المحددة التالية :

١ - إن التفاوض المباشر مع إسرائيل مستحيل ، كما أن التنازل عن أرض عربية أكثر استحالة .

٢ - إنه من الجائز التفكير فى ترتيبات سلام طبقا لقرار مجلس الأمن ، لكنه لا القرار ولا أى طرف من الأطراف الدولية طالب أو تحدث عن عقد اتفاقية سلام . وإنما كان الكلام عن « سلام تعاقدى » .

٣ - إن الطريقة المعقولة للوصول إلى هذا « السلام التعاقدى » هى أن يحدد كل من طرفى النزاع التزاماته طبقا لقرار مجلس الأمن ، وأن يسجلها فى وثيقة لديه ، ثم يجتمع مجلس الأمن لإقرار الوثيقتين ، ويكون ذلك شكل « السلام التعاقدى » .

٤ - إذا أصرت الولايات المتحدة على ورقة واحدة يوقعها الطرفان ، فإنه يمكن النظر فى صياغة وثيقة تعتمد على قرار مجلس الأمن توضع فى مكتب السكرتير العام للأمم المتحدة ، وهناك يذهب مندوبو الأطراف فى مجلس الأمن - أو وزراء خارجيتهم - كل على حدة فى موعد مخصص لكى يوقعوا الوثيقة .

٥ - إن القبول بعودة قوات الأمم المتحدة إلى المنطقة لا يمكن تجنبه ، وإن كان الأفضل فى حالة عودة هذه القوات أن يكون تمركزها على جانبى الحدود .

☐

وفى يوم ٢٨ مارس ١٩٦٩ أعلن فى واشنطن أن الجنرال « دوايت آيزنهاور » رئيس الولايات المتحدة الأمريكية ، ورئيس « نيكسون » السابق أيضا – وصهره فى نفس الوقت – توفى بعد مرض طويل أقعده فى مستشفى « والتر ريد » .

وفى نفس اليوم أعلن فى القاهرة أن بعثة مصرية على مستوى عال برئاسة الدكتور « محمود فوزى » سوف تقصد إلى واشنطن للمشاركة فى جنازة « آيزنهاور » وفى تقديم واجب العزاء لأسرته وللرئيس « ريتشارد نيكسون » .

وقبل أن يسافر الدكتور « فوزى » إلى واشنطن دعى إلى لقاء مطول مع « جمال عبد الناصر » ، وكانت لهما معا جولة طويلة حول الأفق حاولا خلالها تصور شكل ما هو قادم ، وأفضل الأساليب لملاقاته والتعامل معه .

وقد شرح « جمال عبد الناصر » وجهة نظره فى مهمة بعثة الدكتور « محمود فوزى » . فهى لأداء واجب العزاء أولا ، لكنها بعد ذلك لعدة مهام :

● التواجد فى واشنطن فى هذه الظروف ، وإظهار « أننا لسنا فى حالة مقاطعة للولايات المتحدة » ، وإنما كانت مقاطعتنا لظروف فرضت ذلك علينا بسبب مواقف الإدارة السابقة .

● ثم استكشاف طبيعة الأرض الجديدة فى واشنطن فى عهد إدارة جديدة ، « وقياس درجة حرارة الماء الذى يحتمل أن نخوض فيه قريبا » .

● وأخيرا فإن فرصة توجه كثيرين من ساسة العالم إلى واشنطن للاشتراك فى جنازة « آيزنهاور » سوف تكون تجمعا دوليا واسعا يمكن فيه إجراء اتصالات مكثفة ، ومتابعة أفكار واتجاهات من الظاهر أنها تتبلور .

ثم قال « جمال عبد الناصر » فى ختام اللقاء « إنها مهمة استطلاعية وليست مهمة مفاوضات ، فهم ليسوا بعد جاهزين لذلك ، وإذا كانت لديهم أفكار معينة فهى أغلب الظن لا تزال قيد الدرس والمراجعة » .

□

وصل الدكتور « محمود فوزى » إلى واشنطن ، وشارك فى مراسم الجنازة ، وقدم العزاء لأسرة « آيزنهاور » ، ولـ « ريتشارد نيكسون » الذى أقام حفل استقبال فى البيت الأبيض استقبل فيه الوفود الزائرة ، ولكنه خص عددا محدودا منها بلقاءات خاصة ومنفردة ، وكان بينهم رئيس الوفد المصرى .

وكتب الدكتور « فوزى » أول تقاريره فى هذه الزيارة من واشنطن بتاريخ ٣١ مارس ١٩٦٩ :(٨)

---

(٨) كل رسائل الدكتور « محمود فوزى » من واشنطن فى تلك الفترة يحويها ملف خاص فى أرشيف رئاسة الجمهورية ، وتوجد نسخة كاملة منه فى أرشيف وزارة الخارجية .

• إلى السيد الرئيس(*)

من الدكتور محمود فوزى

١ - استقبلنى الرئيس نيكسون اليوم الاثنين (٣١ مارس) على حدة عقب الاستقبال العام الذى أقيم فى البيت الأبيض للوفود التى اشتركت فى جنازة الجنرال آيزنهاور ، وقد علمت أنه استقبل كذلك ١١ من رؤساء الوفود إما واحدا فواحدا أو فى مجموعات اثنين أو ثلاثة .

وكان استقباله لى دافئا ومتفتحا . وستبدى الأيام القادمة مدى تعبيره عن السياسة الحقيقية للولايات المتحدة . أنهيت إليه من جديد تحية سيادتكم وعزاءكم إياه . وكان بالغ المجاملة . وحيا سيادتكم أحسن تحية ، وذكر زيارته لمصر سنة ١٩٦٣ . وقال إن مسز نيكسون قابلتكم ولو أنها لم تحضر الحديث الذى دار بينكما . ثم وجه كلامه لروجرز وكيسنجر اللذين حضرا الاجتماع ، ذاكرا أن الرئيس رجل عظيم وله شخصية مؤثرة وجم النشاط . ثم أضاف قائلا لى إن لديه إحساسا بأنه والرئيس عبد الناصر شخصان يصلحان للتفاهم مع بعضهما ، وهذا إحساسه منذ أن زار مصر . ردد الرئيس نيكسون ، كما ردد روجرز وكيسنجر لى حينما لقيتهما من قبل ، القول بأنهم فى عهد جديد ، وأنهم يريدون أن نبدأ سويا بداية جديدة . ثم قال الرئيس نيكسون إنه يود أن يتحدث معى حديثا مستفيضا فى مقابلة قادمة قد تكون (إن أمكننى البقاء فى واشنطن) فى الأسبوع القادم بعد عودته من آبيلين(**) وفلوريدا .

٢ - سبق استقبال الرئيس نيكسون لى حديث مع كيسنجر تلاه لقاء قصير مع روجرز . ثم دخلنا جميعا لمقابلة نيكسون . لفت نظرى أن كيسنجر لم يتحدث معى إلا فى شئون الشرق الأوسط على غير ما تردد من أنه (يجانب) الكلام عن الشرق الأوسط . لمس كيسنجر موضوع اجتماع الأربعة وما يقال عن فرض حل(***) ، وذكرت أن كلمة « فرض » مسألة غير صحيحة ، وبدا موافقا .

سأل عما إذا كان ممكنا تصور اعتراف الدول العربية بوجود إسرائيل ، فأجبته بمثل ما ذكرته لرئيس وزراء بريطانيا ويلسون وآخرين من أننا مستعدون للاعتراف بحدود آمنه كما جاء فى قرار مجلس الأمن ، ولا يمكن أن نعترف بحدود لشىء غير موجود .

سأل عن مدى فعالية الحل الذى قد يصل إليه الأربعة مبدئيا ، وعلقت على هذا بأننا سنقبل وننفذ الحل إذا كان مما يمكن أن نتقدم به إلى شعبنا ويقبله .

سأل كذلك عن إمكان إقامة حالة سلام دائم فى المنطقة . فقلت له إن السلام يتوقف على تصرف الأطراف وما يوفر له من ضمانات . استفسر عن مدى تأثير المتطرفين العرب على قبول الحل ، وعلقت بأننا والأردن متفاهمون فيما يتصل بالحل السلمى ، ومستعدون للمضى به قدما إذا كان حلا

(*) صورة الصفحة الأولى من البرقية الأولى من الدكتور « محمود فوزى » إلى الرئيس « جمال عبد الناصر » أثناء زيارته لواشنطن ، وهى تتضمن تفاصيل لقائه المبدئى مع الرئيس « نيكسون » - موجودة فى ملحق صور الوثائق تحت رقم (١١) صفحة ٧٤٩ من الكتاب .

(**) « آبيلين » هى مسقط رأس الجنرال « آيزنهاور » فى ولاية كنساس ، وقد كانت وصيته أن يدفن فيها .

(***) أشار المندوب الفرنسى فى أحد الاجتماعات عندما لاحظ أن محادثاتهم تتعثر ، وأن الأزمة محصورة بين الاثنين الكبار ، إلى أنه يمكن رغبة فى استعجال الأمور أن يصل الأربعة إلى حل يفرضونه على الأطراف .

عادلا وأمينا . وعند كلامه عن سوريا ومعارضتها ، ذكرت له أن مشكلة سوريا متعلقة أساسا بالمرتفعات ، وأنه اتصالا بذلك لا يعقل أن تعارض سوريا فى انسحاب إسرائيل .

(إمضاء)

محمود فوزى »

وتلقى الدكتور « محمود فوزى » يوم ٢ ابريل رسالة من « جمال عبد الناصر » جاء فيها : « **أرى بقاؤكم فى واشنطن ، ومن المفيد أن تلتقوا مرة ثانية مع الرئيس نيكسون طالما لديه الاستعداد وأبدى الرغبة .**

(إمضاء)

جمـــــال»

وعاد « ريتشارد نيكسون » من آبيلين وفلوريدا كما قال ، وجرى إبلاغ الدكتور « فوزى » أنه تحدد له موعد فى الساعة الرابعة بعد ظهر يوم الجمعة ١١ ابريل للقاء مع الرئيس فى البيت الأبيض .

وفى يوم الأربعاء ٩ ابريل ، وبينما الدكتور « محمود فوزى » يقوم بسلسلة من اللقاءات مع عدد كبير من الشخصيات الأمريكية مثل وزير الخارجية « ويليام روجرز » ، و« ملفين ليرد » وزير الدفاع ، و« روبرت مكنمارا » رئيس البنك الدولى ، إلى جانب عدد من الشخصيات الأجنبية التى توافدت على واشنطن للعزاء ، مثل الملك « حسين » ، والجنرال « ديجول » ، وغيرهما - تلقى الدكتور « فوزى » تليفونا من الدكتور « هنرى كيسنجر » مستشار الأمن القومى للرئيس « نيكسون » يقترح عليه أن يلتقيا فى مكتبه فى البيت الأبيض غدا (الخميس) تمهيدا لاجتماعه مع « نيكسون » بعد غد (الجمعة) . ورحب الدكتور « فوزى » بالاقتراح خصوصا بسبب ما كان باديا من أن « كيسنجر » يمسك بزمام الأمور فيما يتعلق بالسياسة الخارجية فى الإدارة الجديدة ، طبقا لما كان يشاع فى واشنطن فى ذلك الوقت - كما أن أخبارا متسربة متعددة المصادر راحت تشير فى ذلك الوقت إلى أن « كيسنجر » عاكف على وضع تصور للسياسة الأمريكية فى البؤر الساخنة فى العالم ، بما فيها الشرق الأوسط .

وكان الدكتور « فوزى » قد سمع من السفير الهندى « على ياور يونج » (سفير الهند فى واشنطن ، وكان سفيرا لها من قبل فى القاهرة) أن الإدارة الأمريكية الجديدة تتوقع من مصر بادرة عملية على الرغبة فى تحسين العلاقات عما كانت عليه فى عهد « جونسون » . وأن البادرة التى يتصورونها هى الإعلان عن عودة العلاقات الدبلوماسية بين البلدين ، والتى انقطعت بسبب الموقف الذى اتخذه الرئيس السابق « جونسون » أثناء معركة ١٩٦٧ .

وخطر للدكتور « فوزى » أن « كيسنجر » قد يثير معه هذا الموضوع فى لقائهما غدا ، وهكذا بعث برسالة شفرية[٩] إلى القاهرة جاء فيها بالنص :[*]

---

(٩) محفوظات وزارة الخارجية المصرية .

(*) صورة هذه الرسالة من الدكتور « محمود فوزى » إلى الرئيس « جمال عبد الناصر » موجودة فى ملحق صور الوثائق تحت رقم (١٢) - صفحة ٧٥٠ من الكتاب .

« الرئيس

من الدكتور محمود فوزى

قد لا ترون مانعا من انتهاج الأسلوب التالى فى شأن العلاقات الدبلوماسية المصرية الأمريكية إذا أثارها معى باهتمام وبشكل مناسب روجرز أو الرئيس نيكسون ، وذلك بأن أرد بأننا مساهمة منا فى تحسين الجو بين دولتينا مستعدون الآن للاتصال فى هذا الشأن إيجابيا مع الدول العربية الأخرى التى قطعت علاقاتها الدبلوماسية مع الولايات المتحدة .

وقد توافقون على أن هذا الأسلوب زيادة على ما يتيحه لنا من مقدرة أكثر على التحرك وقد تنفعنا - فإنه يبقى فى يدنا زمام الأمر ، باستطاعتنا أن نطيل أو نقصر مدة الاتصال مع الدول العربية ، وكذلك مدة تقدمنا باسم سفيرنا . كما يدع لنا الخيار فى عدم التقدم باسم سفير إذا ما حدث تردد جديد فى مواقف الولايات المتحدة .

(إمضاء)

محمود فوزى »

وتلقى الدكتور « فوزى » فى نفس الليلة ردا من « جمال عبد الناصر » جاء فيه : « تصرف كما ترى مناسبا ، وإن كنت أقترح علاج هذا الموضوع بأشد درجات الحذر حتى لا نعطى قبل الأوان شيئا بلا مقابل - تمنياتى لك بالتوفيق .

(إمضاء)

جمـــــال »

□

وبعد ظهر يوم الخميس ١٠ ابريل ١٩٦٩ توجه الدكتور « محمود فوزى » إلى لقاء « كيسنجر » فى مكتبه بالبيت الأبيض . وكتب تقريره عن المقابلة وبعث به إلى القاهرة ، وجاء فيه ما يلى بالنص :(١٠)

« إلى السيد الرئيس(*)

من الدكتور محمود فوزى

قابلت كيسنجر مساء أمس الخميس بالبيت الأبيض . عبر عن سروره للالتقاء بى ، وقال إن الرئيس نيكسون مهتم جدا ببناء علاقات ود وصداقة مع العرب . قلت إننا كذلك نريدها ، ونرجو أن تحل مشكلة الشرق الأوسط . سألنى عما إذا كانت مشكلة الشرق الأوسط تقف عقبة أمام تحسين العلاقات بيننا ، وردت بالإيجاب . ذكر أن واشنطن على أية حال ليست منزعجة من عدم إعادة التمثيل الدبلوماسى معها إذ أننا نحن الذين قطعناه . تساءل عما يمكن أن نعمله سويا . قلت إننا على الأقل نشترك فى هدف واحد ، وهو الرغبة فى إقرار الأحوال السلمية فى منطقة الشرق الأوسط من أجل أن يعيش كل فرد فيه فى أمان ، وأن يعمل لزيادة رفاهيته .

---

(١٠) محفوظات رئاسة الجمهورية ، وتوجد نسخة منه فى وزارة الخارجية ووزارة الدفاع .

(*) صورة من الصفحة الأولى لهذا التقرير من الدكتور « محمود فوزى » إلى الرئيس « جمال عبد الناصر » موجودة فى ملحق صور الوثائق تحت رقم (١٣) صفحة ٧٥١ من الكتاب .

أشار إلى أنه منذ ستة شهور لم يكن يعرف أى شيء عن مشكلة الشرق الأوسط . وأنه يرجو أن أفسح له صدرى إذا بدا أن أسئلته ليست دبلوماسية ، مضيفا أن هذا ما فعله ويفعله مع الإسرائيليين أيضا .

قال إنه سمع من الملك حسين ومنى أننا نرغب فى السلام ، فهل نحن مستعدون لذكر ذلك علنا ؟

قلت إن هذا لا يمثل أى مشكلة بالنسبة لنا ، فقد أعلنا قبولنا لقرار مجلس الأمن ، وهو يتضمن بكل وضوح عناصر إقامة الحياة السلمية فى المنطقة ، ونحن مستعدون للتصريح به أمام مجلس الأمن . وأن الأسلوب الذى نقترحه هو أن نكتب نحن وثيقة بارتباطاتنا نوقعها ونقدمها لمجلس الأمن . وتفعل إسرائيل نفس الشيء بحيث يرتبط كل طرف من الأطراف فيما يخصه من التزامات أمام العالم . وعندما يتم كل ذلك ويقدم كل طرف الوثيقة المتعلقة به موقعا عليها منه ، فإن موافقة مجلس الأمن عليها تصبح الوثيقة النهائية لإقرار الحياة السلمية فى المنطقة .

أضفت أن التسوية الحقيقية هى التى يمكن أن تكون لها صفة البقاء ، وأن أى تسوية تريد إسرائيل أن تفرضها فى ضوء الأحوال القائمة لن تنجح لأنه لن يكون لها صفة الدوام .

قال إنه يتساءل إلى أى مدى يمكن لأحد الأطراف أن يتخلى عن عناصر أمنه المعتمدة على وجوده الفعلى على الأرض ، ويستعيض عنها بأقوال – لذلك فإن الإسرائيليين ينادون بعقد اتفاقية صلح أو معاهدة صلح إذا أمكن .

علقت بأن ما قاله يؤيد فى الواقع منطقى لأنه ليست اتفاقية أو معاهدة الصلح – ليست هى التى تؤمن دولة من الدول ، إذ أن كل الحروب نشأت فى الماضى بعد توقيع معاهدة صلح ، وأن المهم هو الضمانات التى تؤكد قيام حياة سلمية . وأضفت أننا مستعدون للتوقيع على وثيقة تتضمن التزاماتنا ونقدمها لمجلس الأمن ، وهى طريقة يعتقد كثير من القانونيين أنها ملزمة أكثر من اتفاقية أو معاهدة صلح .

تساءل ما الذى يمكن عمله خلال الشهور المقبلة إذا ما أعلن كل طرف التزامه بما عليه بموجب القرار ، وهل سيؤدى ذلك إلى السلام ؟ تساءل كذلك عما إذا كنا سنذكر إسرائيل بالذات فى إعلاننا . رددت بما سبق أن قلته عن أن الاعتراف بوجود إسرائيل سيصير حقيقة فى ضوء تنفيذ عناصر القرار ، وأشرت إلى عدم اعتراف أمريكى بالصين .

علق بأن الولايات المتحدة تعترف بوجود الصين . قلت نفس الموقف سينطبق علينا كذلك عندما تقوم إسرائيل بتنفيذ عناصر القرار .

سأل عما نطلبه من إسرائيل – تحدثت عن الانسحاب ، وعن الضمانات التى تكفل الحياة السلمية فى المنطقة .

قال إنه لا يثق بأى ضمان يعطيه مجلس الأمن .

ذكرت أننى لا أتحدث عن ضمانات مجلس الأمن وحده ، ولكن هناك – وهو أقوى – ضمان أن الولايات المتحدة لن تسمح للعرب بشن حرب على إسرائيل حتى ولو كانوا على حق فى ذلك . علق بأن هذه نقطة وجيهة You have a Point . استطردت ذاكرا أن الفرصة الوحيدة لإقرار الحياة السلمية فى المنطقة هى التعقل والاعتدال ، وأنه لا يمكن الحصول على الأمن بالطريقة التى تنادى

بها إسرائيل لأن هذا معناه فرض حل علينا تحت ظل الاحتلال العسكرى ، وأن الحل الذى يمكن تطبيقه هو الذى أصدره مجلس الأمن فى قراره ، وهو الذى ستكون له صفة الدوام .

ذكر أن أى تسوية لا بد أن تحظى بموافقة الأطراف لكى تكون لها صفة الدوام . قلت إنه يجب أن يأخذ هذا من ناحيتنا كذلك ، وليس فقط من ناحية إسرائيل . أشرت أنه من الأطراف التى يجب أن يحصل على موافقتها هم اللاجئون الفلسطينيون ، وهم أهم عنصر فى هذه المشكلة لأنهم يمثلون الناحية الإنسانية البشرية . قال إن هذا صحيح .

تحدثت عن أهمية السلام لنا من الناحية الاقتصادية والاجتماعية ، وأنه سيوفر لنا أموالا طائلة نتمكن من إنفاقها على المشروعات العمرانية داخل أراضينا .

قال إن هذا حقيقى ، ولكنه يريد أن يقدم شيئا ملموسا لإسرائيل من أجل أن تتخلى عن الأراضى التى تحتلها خاصة بعد تجربة إخراجهم من سيناء سنة ١٩٥٧ ، على أساس ترتيبات لم يكتب لها البقاء .

سأل هل سنقبل مناطق منزوعة السلاح ؟ قلت إننا قبلنا إنشاء مناطق منزوعة السلاح ، وأننا كتبنا بذلك إلى السفير يارنج على أن تكون على جانبى الحدود .

سأل عما إذا كنا نشترط أن المناطق على الجانبين تكون بنفس العمق ؟ قلت إنه من الممكن النظر فى ذلك فى ضوء فوارق مساحات الأراضى القائمة على الجانبين عموما . رد بأن هذا معقول Fair enough . أشار إلى سيناء ذاكرا أن إسرائيل تخشى أن تنسحب من سيناء وتبدأ مصر فى تسليحها من جديد ، وبذا تصير مصدر تهديد لهم مرة ثانية . قلت إن إجابتنا على أسئلة يارنج توضح أن المناطق المنزوعة السلاح ستشرف عليها قوة من الأمم المتحدة ، وأن هذا يكفل الأمن . قال إن هذا حقيقى ، ولكن تجربة سحب قوة الطوارىء سنة ١٩٦٧ ما زالت ماثلة أمام أعيننا . قلت له بأن قوات الطوارىء هذه المرة سوف تكون على الناحيتين ، وبذلك لا يتمكن واحد منهما من إزاحتها بقرار منفرد إلا على ناحيته ، ولكن القوات سوف تبقى حاجزا على الناحية الأخرى .

سأل عما إذا كان من الممكن تحقيق السلام بالنسبة لكل جبهة على حدة ؟ أجبت بأن ذلك صعب لأن الأساس فى الأزمة هو مشكلة تعنى كل الأطراف فى نفس الوقت ، وهى القضية الفلسطينية .

سأل عما إذا كنا نعترض على أى تسوية يمكن الوصول إليها فى شأن الجبهة الأردنية ؟ قلت فى الغالب نعم .

سأل عن سوريا ؟ قلت إن سوريا لن يكون لها الحق فى الاعتراض إذا تمكنا من الوصول إلى انسحاب إسرائيلى عن أراضينا كاملة وفق قرار مجلس الأمن . وما أظن أن السوريين سيرفضون أن تنسحب إسرائيل من المرتفعات السورية .

سألنى ما الذى أتوقعه من مقابلتى مع نيكسون غدا ؟ قلت إننى آمل وأثق فى أننا نستطيع سويا إحراز تقدم يؤدى إلى الخروج من هذه المشكلة المتفجرة .

ذكر أنه يريد أن يقول بصراحة إن هناك تناقضا فى موقفنا . فبينما نريد أن تقوم الولايات المتحدة بعمل ما ، نبدو مترددين من إعادة العلاقات الدبلوماسية معها . ومع ذلك فهذا لا يسبب مشكلة لهم ، إذ أنهم على أى حال يريدون العمل من أجل السلام بصرف النظر عن العلاقات الدبلوماسية .

قال إن هناك تناقضا آخر فى موقفنا ، فنحن نريد إخراج إسرائيل من أراضينا ، ولا نريد فى نفس الوقت أن نعطيها شيئا محددا عن نوايانا إزاءها بالذات فى المستقبل .

علقت بأننى أستغرب هذا بعد كل ما شرحته له من وجهة نظرنا .
سألنى وما الذى يمكن للرئيس نيكسون أن يفعله ؟ قلت يستعمل الوزن الكبير للولايات المتحدة من أجل سلام فى الشرق الأوسط . قال وما هو برنامج السلام ؟ ذكرت أنه تنفيذ قرار مجلس الأمن .

سأل عما إذا كان السوفيت يريدون تسوية المشكلة حقيقة ؟ ورددت بالإيجاب .

سألنى لماذا ؟ رددت بأننى أعلم ذلك من أحاديثهم معنا ومن تصرفاتهم . كذلك فإننى واثق أنهم يدركون أن من صالح الاتحاد السوفيتى وسياسته مجانبة التصادم مع الولايات المتحدة والوصول إلى تهدئة فى الجو الدولى . ولاتصال الحديث أشرت إلى وجود الأسطول السوفيتى المتزايد فى البحر الأبيض ، مضيفا أننى لا أشير إلى هذا على سبيل التهديد ، ولكن كنموذج لحالة التوتر فى المنطقة . علق موافقا ثم أضاف أن وجود الأسطول السوفيتى لا يقلقهم مطلقا ولا يسبب لهم أى ذعر . واسترسل فى كلامه يسألنى مرة أخرى عما يمكن أن أتوقعه من مقابلتى للرئيس نيكسون غدا ؟ قلت إننى أتوقع أن يذكر الرئيس نيكسون بوضوح أن الولايات المتحدة تريد انسحاب إسرائيل من جميع الأراضى العربية المحتلة . وأتوقع منه كذلك أن يطلب منا احترام السيادة الإقليمية والاستقلال السياسى لكل دول المنطقة .

سأل وما الذى سيحدث إذا قال الرئيس نيكسون هذا ؟ قلت تكون بداية صحيحة لتأمين وصول عملنا المشترك إلى حل للأزمة .

قال إننى تحدثت عن عملنا المشترك ، فهل يستطيع أن يسألنى إذن عما يمكن عمله فى شأن العلاقات الأمريكية المصرية ؟ قلت إن هذه العلاقات عائدة بلا شك . والموضوع هو إيجاد التوقيت الملائم لذلك – إذ علينا أن نقول لشعبنا وللشعوب العربية الأخرى أن موقف الولايات المتحدة الأمريكية بدأ يأخذ طريقا إيجابيا ، وبذا يمكن إقناع الجميع بأن الفرص متاحة لإعادة العلاقات . أضفت أن الاتصالات على أى حال قائمة ، والحوار مستمر ، والتعاون فى ميدان البترول كامل ونرجو له الاطراد .

ذكر فى نهاية المقابلة أنه سيكون حاضرا فى اجتماعى مع الرئيس غدا .

(إمضاء)
محمود فوزى »

□

وفى الساعة الرابعة بعد ظهر يوم الجمعة ١١ ابريل كان الدكتور « محمود فوزى » يدخل إلى المكتب البيضاوى فى البيت الأبيض للقائه المنتظر مع الرئيس « ريتشارد نيكسون » .
وكتب الدكتور « محمود فوزى » تقريره عن اللقاء(١١) :

---

(١١) محفوظات وزارة الخارجية ورئاسة الجمهورية ، وتوجد نسخة منها فى وزارة الدفاع .

• إلى السيد الرئيس(*)

من الدكتور محمود فوزى

استقبلنى الرئيس نيكسون بعد ظهر اليوم الجمعة (١١ ابريل) وكان معه كيسنجر وسيسكو وسوندرز(**) ، واصطحبت معى أشرف غربال ومحمد رياض(***) .

قال عبارات ترحيب لطيفة ، وذكر أنها فرصة طيبة لتبادل وجهات النظر حول الموقف الحاضر .

قال إنه يهمه جدا تحسين العلاقات مع العرب والوصول إلى حل عادل Fair لمشكلة الشرق الأوسط ، إذ أنها عقبة فى سبيل التعاون المثمر بين شعوبنا . وأضاف أنه لا يتكلم فقط من ناحية العاطفة التى يعتقد أنها موجودة ومتبادلة بيننا ، ولكنه يتكلم من ناحية المصالح السياسية للجميع . أشار إلى أنه زار المنطقة ويعرف تماما ظروفها وامكانياتها ، وهو لذلك لديه صورة واضحة عن المشكلة التى بها . أعربت عن الشكر لإتاحة هذه الفرصة لى لكى أنقل إليه صورة ما يحدث فى منطقتنا منذ عام ١٩٦٧ . قلت إنه يسعدنا نحن كذلك أن تكون علاقاتنا بالولايات المتحدة وشعبها قوية وطيبة ، إلا أن الأحداث التى مرت بنا منذ يونيو ١٩٦٧ تقف فى وجه هذا الاتجاه ، كما تقف فى وجه إقرار الأحوال السلمية فى المنطقة . ذكرت أنه قد أتيحت لى خلال مقابلتى مع المسئولين الأمريكيين منذ حضورى فرصة التحدث عن المشكلة الحالية بكل تفاصيلها ، وعن الجهود التى قمنا بها فى سبيل الوصول إلى تسوية لها ، واننى لا أشك فى أنهم نقلوا كل ذلك إليه . إلا أننى أود أن أتناول بعض النقاط التى لها أهمية خاصة .

قلت إننا نريد السلام العادل ، وأن هذا يتمشى مع برنامجنا فى رفع مستوى معيشة شعبنا ، وأننا من أجل هذا قبلنا قرار مجلس الأمن الذى صدر بموافقة جميع أعضائه ، وأنه تبعا لذلك فلا بد على الأخص من انسحاب القوات الإسرائيلية إلى خطوط ٤ يونيو ١٩٦٧ وحل مشكلة اللاجئين . وأضفت أننا فى نفس الوقت مستعدون تماما للالتزام بكل ما يخصنا وفق قرار مجلس الأمن .

وذكر أنه يدرك أن المشكلة الحالية تعوق فرص التعاون وتوثيق العلاقات بين الولايات المتحدة والعرب ، بالإضافة إلى أنها تقف أمام تقدم الشعب العربى اقتصاديا واجتماعيا ، وأنه لذلك - وحتى من قبل بداية عهده - كان دائم التفكير فى كيفية حلها ، إلا أنه يأمل أن نقدر الصعاب التى أمامه والتى يرجو أن تذلل على مر الوقت . وسأل عن أى شىء أقترحه بهذا الشأن أكثر مما تم فعلا من تحرك أمريكى ؟ قلت إننا نشعر أن حركة ما حدثت ولكن ينقصها التحديد . ومثال ذلك أن الولايات المتحدة أعلنت عن مساندتها لقرار مجلس الأمن ، ولكنها لم تحدد شيئا جديدا واضحا . وعند هذه النقطة طلب الرئيس نيكسون من سيسكو أن يتحدث عن التصور العملى إزاء تنفيذ قرار مجلس الأمن ، فتعمد سيسكو أن يقول إن القرار غامض وإلا لما تمت الموافقة عليه بالإجماع . والعرب يفسرون القرار على أساس أن يتم الانسحاب إلى خطوط ٤ يونيو ، بينما تفسره إسرائيل على أنه

(*) صورة من الصفحة الأولى لهذا التقرير من الدكتور « محمود فوزى » إلى الرئيس « جمال عبد الناصر » موجودة فى ملحق صور الوثائق تحت رقم (١٤) - صفحة ٧٥٢ من الكتاب .

(**) « كيسنجر » كان مستشار الأمن القومى للرئيس ، وكان « جوزيف سيسكو » مساعدا لوزير الخارجية مختصا بالشرق الأدنى ، و« هارولد سوندرز » مسئول فى مجلس الأمن القومى عن شئون الشرق الأوسط .

(***) كان السفير « أشرف غربال » وقتها مشرفا على شئون المصالح المصرية فى الولايات المتحدة الأمريكية أثناء قطع العلاقات بينهما منذ يونيو ١٩٦٧ ، كما أن السفير « محمد رياض » كان مديرا لمكتب الدكتور « محمود فوزى » .

انسحاب لحدود آمنة ومعترف بها . واستمر سيسكو يقول إنهم قدموا ورقة عمل أمريكية إلى اجتماعات الأربعة ، كما أنهم عرضوها للمناقشة فى محادثاتهم الثنائية مع الاتحاد السوفيتى . وهو يعترف أن ورقتهم لم تكن محددة بالقدر الواجب ، ولكنها على أى حال خطوة أولى .

قال نيكسون إن لديه موقفا فى هذا الصدد ، ولكن قد يصعب الإعلان عنه بغير اختيار الوقت المناسب للإعلان لأن ذلك يمكن أن يعطل الوصول إلى تسوية . علقت قائلا إننى لا أطلب أن تعلن الولايات المتحدة اليوم أو غدا موقف إدارتها الجديدة ، وإنما هى لها الحق فى اختيار التوقيت المناسب الذى أرجو ألا يتأخر كثيرا ، وقد يكون من المفيد جدا أن نعلم به ولو بيننا . ثم تابعت الكلام ذاكرا أنه إذا قيل لنا كما جاء بقرار مجلس الأمن أنه لا يجوز الاستيلاء على الأراضى بالقوة ، ثم قيل لنا فى نفس الوقت إن الاستيلاء على الأراضى بالقوة جائز بدعوى الخطوط الآمنة والمعترف بها ، فإن هذا كلام لا نقبل أن نشتريه .

قال الرئيس نيكسون إنه يريد أن يؤكد لى أن حل هذه المشكلة يجب أن يكون عادلا fair ، وأنه يريد أن يؤكد لى أيضا أنه هو الذى سيتخذ القرارات ولا أحد غيره » .

(أشار الدكتور « محمود فوزى » فى تقريره بعد ذلك إلى أنه ذكّر « نيكسون » بالموقف الرشيد الذى اتخذته الولايات المتحدة سنة ١٩٥٦ - وقد دار بين الاثنين حوار حول ذكريات ١٩٥٦) - ثم عاد الدكتور « فوزى » إلى صلب تقريره - فكتب يقول :

« قال الرئيس نيكسون إنه يرجو لو أنه كان سنة ١٩٥٦ فى محل يسمح له بمنع صدور القرار الأمريكى بسحب المساهمة من تمويل السد العالى . وانه بعد زيارته سنة ١٩٦٣ لمنطقة أسوان تمنى لو أن الولايات المتحدة هى التى بنت هذا المشروع . سألنى عما إذا كنا فى القاهرة قادرين من الناحية الداخلية على الموافقة على تسوية سلمية ؟ رددت بالإيجاب ، وأوضحت أننا أعلنا قبولنا لقرار مجلس الأمن واستعدادنا لتنفيذه ، وثبتنا كل ذلك كتابة .

أشار إلى العلاقات الثنائية بين بلدينا ، وقلت له إنه يسرنى أن أذكر أن التعاون فى ميادين عديدة قائم ومستمر ، وخاصة فى ميدان البترول .

ذكرت أننى كنت أزور مستر مكنمارا اليوم ، وأنه أشار إلى الإمكانيات الهائلة فى مصر التى يرجو أن نتمكن من استغلالها . وقلت إننى أتمنى أن نجد تعاونا مثمرا من الولايات المتحدة فى مجالات التنمية . قال لى الرئيس نيكسون إنه سوف يصدر أوامره إلى معاونيه بالاستمرار فى اتجاه تحريك الأمور . وبعد انتهاء الزيارة تفضل فنزل من مكتبه ، ونزل من الحديقة إلى باب العربة ، وانتهزت الفرصة وقلت له فى هذه الأثناء إننى واثق من أنه يوافق على وجوب التزامنا جميعا بالخطوط العريضة العميقة التى تقتضيها الحكمة السياسية الكبرى ، وأن لا نستسلم للبيروقراطية والبيروقراطيين ، بل نملى على هؤلاء ما نريد أن نفعل ولا نتركهم يملون علينا ما يريدون هم أن نفعل . ردد مرتين أنه يفهم هذا تماما ويوافق عليه .

عند مدخل الباب وجد أمامه مستشاره العلمى فقدمه لى ، وسأله إذا كان قد زار مصر ، فأجاب المستشار بأنه لم يتمكن بعد . فقال له الرئيس نيكسون إنه يود لو أنه - أى المستشار - زار مصر ورأى الامكانيات الصناعية التى أقيمت فيها ، وخاصة منطقة السد العالى بأسوان التى ازدهرت ازدهارا كبيرا .

استدعى التفاتى ما يلى :

١ – فى المقابلة مع نيكسون أو مع كيسنجر لم ترد أى إشارة إلى اجتماع ممثلى الدول الأربعة

٢ – استرعى انتباهى كذلك أنه تكلم عامة عن العلاقات بين بلدينا ، ولم يقل العلاقا الدبلوماسية بالتحديد ، وإن كان قد ألمح لها ، وبدا أن لهذا صلة بردى أمس على ما قاله كيسنج بهذا الشأن .

٣ – كانت المقابلة أمس مع كيسنجر – وأكثر من هذا اليوم مع نيكسون متسمة بالدف ومحاولة الإشعار بأن هنالك من جانب الإدارة الجديدة هنا بداية تحرك فى اتجاه سليم ، وإن لزم بعض الوقت حسب كلامهم .

٤ – إننى لا أريد المسارعة إلى التفاؤل ولا أنصح به .

(إمضاء)
محمود فوزى »

□

وسط هذه الأجواء وأحاديثها التى توحى بشىء من الأمل ، بدأت تتسرب أخبار عن المضـ فى تسليم الدفعة الأولى من طائرات « الفانتوم » الجديدة ، وأن الولايات المتحدة تنوى أن تعطي لإسرائيل بدعوى أنها عربون صداقة من الرئيس الجديد لتشجيعها على الاستجابة لمبادرته السلمية وقد استقبلت القاهرة هذه الأخبار بدهشة . وتلقى الدكتور « محمود فوزى » وهو لا يزال فـ واشنطن طلبا بأن يحاول تحرى الموضوع .

وبينما الدكتور « فوزى » يحاول بطريقته الهادئة أن يجس النبض جاءه التأكيد قاطعا ، وعلـ لسان الملك « حسين » ملك الأردن(*) أثناء لقاء بينهما فى واشنطن . وبادر الدكتور « فوزى فكتب إلى القاهرة رسالة جاء فيها ما يلى :(١٢)

« زرت الملك حسين اليوم الأحد – ١٣ ابريل – لكى نقارن ما لدينا منذ أن تلاقينا يوم الأربعاء وفى بداية لقائنا ذكر الملك أن هناك بدايات تحرك أمريكى فى الاتجاه الصحيح ، لكن هناك صعا قائمة ويمكن أن تتفاقم . ثم أكد الملك علمه بما سمع من مصادره عن صفقة من طائرات الفانتو تقدمها الولايات المتحدة إلى إسرائيل ، وأن الدفعة الأولى منها على وشك التسليم الفعلى . وأضا الملك قائلا إن الفانتوم هى ست طائرات فى طائرة واحدة . وقد تحدث عن ذلك بأسف ، مضيفا أ إسرائيل لديها من الصواريخ القوية الكثير ، كما أن لديها أجهزة حديثة لإفساد الرادار لدينا . وأضا أنه علم أيضا أن إسرائيل تنوى زيادة هجماتها على مواطن القوة والتجمع البشرى فى الأرد ومصر ، وأنه يعتقد أن هذه الأنباء صحيحة ، وأن ما يشغل باله هو عدم اكتراث العالم والدول الكبير بما يحدث لنا من ضرب وتنكيل .

(*) صورة من الصفحة الأولى من تقرير الدكتور « فوزى » عن اجتماعه بالملك « حسين » موجودة فى ملحق صور الوثائق تحت رقم (١٥) – صفحة ٧٥٣ من الكتاب .

(١٢) محفوظات وزارة الخارجية والرئاسة ووزارة الدفاع .

أعرب أيضا عن انشغاله إزاء البلبلة والتفكك فى العالم العربى ، والحماقات التى ترتكب على الأخص فى العراق مثل إعدامهم اليهود أخيرا(*) . وقال إننا مهددون بمزيد من كل ذلك أيضا .

تكلم أيضا عن أعمال المقاومة الفلسطينية ، وأنها ليست بحال من الضخامة بالقدر التى تصورها التهويلات العربية ووسائل الإعلام الأجنبية .

(إمضاء)
محمود فوزى »

كان الدكتور « محمود فوزى » قد بدأ يجنح إلى التشاؤم ، وقد عبر عن ذلك بوضوح فى آخر تقرير له من واشنطن ، وكان تقريرا كتبه عن مقابلته مع نائب وزير الخارجية « اليوت ريتشاردسون » . وقد جاءت بدايته على النحو التالى بالحرف :(**)

« إلى السيد الرئيس
من الدكتور محمود فوزى

قابلت نائب وزير الخارجية اليوت ريتشاردسون اليوم . أعرب ريتشاردسون عن أمله فى أن تكون زياراتى هنا ممتعة ومثمرة . علقت بأنها قد تكون ممتعة ، ولكنها لم تكن مثمرة لأنها لكى تكون مثمرة يجب أن تكون ناجحة ، وما أظنها كانت كذلك . »

. . . .
. . . .

٣

عاد الدكتور « محمود فوزى » إلى القاهرة ، وحضر اجتماعا بعد ظهر يوم ٢١ ابريل للجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى العربى ، وأمامها عرض تقريرا شفويا عن مهمته فى واشنطن . وبعد انتهاء الجلسة اصطحبه الرئيس « جمال عبد الناصر » معه إلى بيته ليسمع منه أدق التفاصيل عن انطباعاته . وكان الدكتور « فوزى » مقلا فى العادة فى تقاريره أثناء الاجتماعات الكبيرة ، مؤثرا باستمرار أن يتوسع فى الجلسات المغلقة .

كان رأيه أن الاجتماعات الموسعة يحضرها كثيرون بحكم الاختصاص أو بحكم المنصب ،

(*) كانت الحكومة العراقية قد أعلنت عن اكتشاف مؤامرة يقوم بها اليهود فى بغداد ، وقبضت بالفعل على عدد منهم ، وتم إعدام ١٣ من المتهمين فى شهر ديسمبر السابق .

(**) صورة للصفحة الأولى من تقرير الدكتور « محمود فوزى » عن مقابلته مع « اليوت ريتشاردسون » - موجودة فى ملحق صور الوثائق تحت رقم (١٦) على صفحة ٧٥٤ من الكتاب .

وهذا وحده ليس ضمانا لحسن المتابعة أو لمقدرة الاستيعاب ، أو حتى للمساعدة على توجيه أسئلة أو إعطاء إجابات تجيء فى صميم الموضوع الذى تجرى مناقشته . وأما فى الاجتماعات المغلقة المحدودة ، فإن المشاركين فيها عادة هم المهتمون بجد فى صميم الموضوع بالحوار أو بالرأى .

وفى حديث تلك الليلة لم يكن الدكتور « فوزى » متشائما ولا متفائلا ، لكنه كان عمليا وإخباريا ، قاصدا إلى ما يريد بغير « التعويم » الذى كان يعتمده أسلوبا ، ويراه مفيدا ، فى الاجتماعات الموسعة . وكان ملخص تقريره ، وقد بدأ به من أول لحظة :(١٣)

« إن الموقف فى واشنطن لم ينضج بعد للكلام الجاد . فهناك عوامل استمرار من نظام « جونسون » تمثلت فى قيام الولايات المتحدة بتنفيذ تعهده السابق بتسليم الدفعة الأولى من طائرات « الفانتوم » لإسرائيل ، لكن هذا التصرف وحده يصعب القياس عليه والخروج منه بنتيجة يعتد بها . وبالنسبة للإدارة الجديدة ، فإن تعهد « جونسون » يمثل التزاما على الولايات المتحدة يتخطى تباين السياسات بين إدارة وإدارة . ومن المحتمل أن إدارة « نيكسون » رأت أنها إذا تأخرت فى تسليم الطائرات ، فإن هذا التأخير يضعها من اللحظة الأولى على خط صدام مع إسرائيل وأصدقائها فى دوائر الكونجرس والإعلام وجماعات الضغط ، ومن ثم فهو يضعف موقفها - إذا كان لها موقف جديد - فى أزمة الشرق الأوسط .

يضاف إلى ذلك أن الرأى السائد باستمرار أن إسرائيل الضعيفة سوف ترفض تقديم تنازلات ، فى حين أن إسرائيل القوية تشعر بدرجة من الثقة بالنفس لا تجعلها تمانع فى تقديم تنازلات - وهذا الرأى ما زال معتمدا فى واشنطن ، ومن المحتمل أنه كان حجة ضمن الحجج التى رجحت استمرار الإدارة الجديدة - « نيكسون » - فى احترام تعهدات الإدارة السابقة - « جونسون » .

وإذن فإن تسليم ١٦ طائرة « فانتوم » لإسرائيل لا يكفى وحده للحكم على توجهات الإدارة الجديدة » .

ثم مضى الدكتور « فوزى » يقول :

« إن الإدارة الجديدة ، شأنها شأن كل إدارة جديدة فى الولايات المتحدة ، بدأت فى قراءة الملفات ، ومعظم ما يصدر عنها حتى هذه اللحظة انطباعات لم تتحول بعد إلى سياسات ، ومن ثم فإنه لا يزال مبكرا سواء للحكم على اتجاهات هذه الإدارة ، أو لبدء عملية محادثات تمهد لمفاوضات معها ، ومن الأفضل ترك فسحة من الوقت حتى تستقر الأمور . »

ثم استطرد الدكتور « فوزى » يقول :

« إن أكثر ما يشغل باله هو ما أحس به من وجود خلافات - بدأت مبكرة أكثر مما ينبغى - بين مستشار الرئيس للأمن القومى - « هنرى كيسنجر » - وبين وزير الخارجية - « ويليام

---

(١٣) كانت لى فرصة حضور الاجتماع بين الاثنين .

روجرز » . ذلك أن « كيسنجر » ليس راضيا عن توجهات وزارة الخارجية خصوصا فى أزمة الشرق الأوسط ، ولعل له فى ذلك مقاصد :

● فهو لا يريد أن يترك هذه الأزمة لوزارة الخارجية وفق تقسيم الاختصاصات الذى وضعه « نيكسون » لفض الاشتباك بين مستشاره ووزيره . وربما أن « كيسنجر » ليهوديته يريد أن يلعب دورا فى الأزمة يحلم ولا يجسر على المجاهرة به ، ربما ليهوديته أيضا . وربما أنه لم يحزم أمره على شىء حتى الآن ، فأرجح الاحتمالات أن يلجأ إلى العرقلة ، وقد بدأها فعلا بدعوى أن هذا العام - ١٩٦٩ - ليس مناسبا للاقتراب جديا من أزمة الشرق الأوسط لأن هناك حكومة جديدة فى إسرائيل برئاسة « جولدا مائير » ، وكل حكومة جديدة فى إسرائيل لا بد لها من وقت قبل أن تقترب جديا من أية مفاوضات ، خصوصا إذا كانت مفاوضات تدعوها إلى تقديم تنازلات .

ثم قال الدكتور « فوزى » :

« إن كيسنجر يرى أن أزمة الشرق الأوسط بدور الاتحاد السوفيتى فيها قد تحولت إلى بؤرة من بؤر المواجهة بين القوتين الأعظم ، ومن ثم فهى تحتاج إلى علاج فى إطار العلاقة بين الاثنين الكبار ، وهذا ينقلها إلى اختصاصه . كذلك فإن اقتناعه بنظرية الترابط linkage بين بؤر التوتر ، يرجح ظنه بأنه يستطيع أن يحولها إلى ورقة فى يده عندما يبدأ التفاوض مع السوفيت فى أزمة فيتنام .

فالسوفيت طرف مطلوب فى تسوية أزمة فيتنام ، لكنهم فى نفس الوقت طرف طالب فى أزمة الشرق الأوسط ، ولا بد لهم أن يعطوا هناك إذا أرادوا أن يأخذوا هنا ، أو العكس .

المهم أن هناك رابطة ، ولا بد - فى رأى « كيسنجر » - من الاحتفاظ بهذه الرابطة واستغلالها » .

ثم ذكر الدكتور « محمود فوزى » أنه « قبل أن يغادر واشنطن كان اهتمام البيت الأبيض قد تحول مرة واحدة عن الشرق الأوسط إلى الشرق الأقصى بسبب حادث إسقاط طائرة تجسس أمريكية من طراز « اى . سى ١٢١ » أسقطتها مقاتلات كوريا الشمالية ، واعتبروا ذلك استفزازا واختبارا لحزم الإدارة الأمريكية الجديدة ، وقد انصرف « كيسنجر » بالكامل إلى هذه الأزمة ، واستطاع أن يجر الرئيس معه . » وقد سمع الدكتور « فوزى » بنفسه فى واشنطن « شائعات وأقاويل كثيرة عن احتمالات تطور هذه الأزمة فى اتصالها بما يجرى فى فيتنام وحولها ، بما يشير إلى أن هناك مواجهة حادة قادمة فى جنوب شرق آسيا .

ومعنى ذلك أن أزمة الشرق الأوسط قد تكون حاضرة فى فكر وزارة الخارجية ، لكنها بالقطع سوف تغيب عن فكر الرئيس .

والدلائل كلها تشير إلى أن البيت الأبيض بتأثير « كيسنجر » سوف يعطل الشرق الأوسط فى انتظار الشرق الأقصى . وبما أن البيت الأبيض هو مصدر القرار الحقيقى النافذ ، فليست لنا



عبد المنعم رياض

عملية اختبار هذه الخطوط ومحاولات التدريب عليها قد بدأت فعلا عندما تحولت معارك المدافع التى لم تتوقف على جبهة القتال إلى عمليات عبور محدود إلى الضفة الأخرى من القناة - تدخل إلى المواقع ، وتواجه تحصيناتها ، وتشتبك مع قوات العدو ، وتتعرض لدورياتها .

لكن « جمال عبد الناصر » تلقى صدمة عنيفة باستشهاد الفريق « عبد المنعم رياض » فى إحدى معارك المدفعية على الجبهة ، وكان يزورها فى ٩ مارس ١٩٦٩ . كما أن الجنرال « لاشنكو » أصيب فى ذلك الوقت بنوبة قلبية سافر بعدها إلى موسكو للعلاج .

□

كان « عبد المنعم رياض » طرازا نادرا من العسكريين العرب ، فقد كانت له قدرة على الرؤية الاستراتيجية ، وكان واحدا من قلائل يملكون الثقة فى إمكانية الانتصار فى المعركة مع إسرائيل إذا أعطيت لها إمكانياتها المناسبة واختير توقيتها الملائم .

وكان إيمانه بحتمية القتال لاسترداد الأرض ثابتا ، وكان رأيه فى ضرورة القتال يمتد إلى ما هو أبعد من المطلب العسكرى ، إذ كان يعتبره قضية شرف حتى على المستوى الفردى لكل مواطن ، ولم يكن يكف عن القول بأن ضرورة القتال أمر يتصل بكل رجل وكل امرأة « فى هذا البلد » ، وكان يقول « إننا لو خرجنا من هذه الأزمة بحل دبلوماسى حتى وإن كان مقبولا ، فإن هذا البلد قد يتحول إلى مرتع للسماسرة بالنهار ، ومرتع للغوانى بالليل ! »(١٥)

---

(١٥) أحاديث ممتدة مع الفريق « عبد المنعم رياض » .

وربما كان ذلك تقديرا متعسفا ، لكن « عبد المنعم رياض » كان شديد الاقتناع به ، كما كان شديد الاقتناع بأن هناك امكانيات قيادية لدى ضباط الجيش المصرى لا بد من إعطائها الفرصة « فالقادة العسكريون الكبار يصنعون ولا يولدون ، والذى يصنعهم هو العلم والتجربة والثقة والفرصة » .

ولم يكن فى حديثه يكف عن لازمتين لم تغيبا قط عن لسانه :

- **العودة إلى سيناء حتمية .**
- **ثم إن هناك جبهة شرقية ، وهى قائمة ويمكن أن تكون مؤثرة .**

وكان « جمال عبد الناصر » يعتبر لأسباب كثيرة أن « عبد المنعم رياض » هو « قائد المعركة الكبيرة المنتظرة .. ورجلها » .

وهكذا كان استشهاده صدمة حاول استيعابها ، وراح بعدها يتابع ويراقب ويفرز تصرفات القادة باحثا عن رجل جديد للمعركة الكبيرة القادمة ، وفى ذلك الوقت كانت تقديراته لها : **ربيع سنة ١٩٧١ .**

□

وعندما لاحت أمامه الشواهد تقنعه بأن يترك أزمة الشرق الأوسط واحتمالات حلها سلميا فى نيويورك ، سواء للأربعة الكبار ، أو للاثنين الأكبر على القمة الدولية - زاد اقتناعه بأن جبهة السويس - وليس جبهة نيويورك - هى الجبهة التى تستحق أكبر قدر من التركيز .

وتزايدت كثافة العمليات العسكرية واتسع نطاقها .

وفى الأيام الأخيرة من شهر ابريل ١٩٦٩ كانت الجبهة على مسافة ١٣٥ كيلومترا من رأس العش فى الشمال إلى خليج السويس فى الجنوب مشتعلة بالنار ، ودخلت قوات وصل حجم بعضها إلى مجموعة كتيبة تحت القيادة المباشرة للعقيد « ابراهيم الرفاعى » ، القائد الأسطورى للعمليات الخاصة للصاعقة - حتى منطقة ممر متلا .

كان عبور قوات بحجم كتيبة كاملة ووصولها إلى ممر متلا إشارة واضحة للقيادة الإسرائيلية بأن الجبهة المصرية أصبحت الآن قادرة على ماهو أكثر من معارك المدافع التى أصبحت حياة كل يوم . كما أنها أخطر من عملية إغراق المدمرة « إيلات » بصاروخ بعيد المدى - فالقتال الآن يحدث عن قرب .. قوات تقاتل قوات على الأرض ، وليس مدافع يجرى التراشق بها من بعد مسافات ، أو صواريخ تنطلق من قارب سريع لا يكاد يظهر حتى يختفى . ومع الأهمية الكبرى لتراشق المدافع ولإغراق المدمرة « إيلات » ، فإن عمليات العبور إلى سيناء مثلت نقلة نوعية فى إمكانيات الجيش المصرى على القتال المباشر .

وطوال شهر يونيو كانت جبهة القتال حريقا لا ينطفىء ، وقد حاولت القوات الإسرائيلية أن ترد بعملية مفاجئة قصدت بها احتلال الجزيرة الخضراء على قناة السويس لتثبت أنها لا تزال قادرة

على مواصلة احتلال أرض مصرية – لكن الهدف هذه المرة كان عسير المنال ، واضطرت القوات الإسرائيلية إلى التراجع حاملة معها جثث أربعة عشر قتيلا وواحدا وستين جريحا .

ثم جاءت عملية هجوم للضفادع البشرية على ميناء إيلات بعد ذلك ، وفقدت البحرية الإسرائيلية ثلاث قطع فى ليلة واحدة بفعل ألغام تمكن « الضفادع » من السباحة ليلا إلى مراسيها وإلصاق الألغام بهياكلها ، وتوقيت انفجارها قبل الصبح .

وبدأت إسرائيل ترد بعنف ، وقد اختارت تفوقها الجوى ليكون أداتها فى توجيه ضربات إلى مواقع الجبهة المصرية .

وهكذا بدأت المعركة الهائلة التى اشتهرت بـ « معركة حائط الصواريخ » .

□

كان التركيز الجوى الإسرائيلى على الجبهة المصرية مقلقا ، وقد أرادته إسرائيل عنيفا لإقناع القيادة المصرية بعدم جدوى عمليات العبور إلى سيناء ، وأن الإصرار عليها يكلف القوات المصرية خسائر مضاعفة . وردت مصر بخطوة مضادة ، فقد راحت تبنى قواعد للصواريخ على طول خط الجبهة حتى يمكن حمايتها من غارات الطيران .

ومرة ثانية ردت إسرائيل بنقل غاراتها من الجبهة إلى العمق المصرى ، فكانت الغارة على منشآت الرى فى الصعيد ، وكان أبرز مثال لها استهداف جسر نجع حمادى الذى ركزت عليه القاذفات الإسرائيلية عدة مرات وقصدت تدميره وإغراق مساحات شاسعة من الأرض الزراعية وراءه .

ثم اقتربت الغارات أكثر إلى أهداف قرب القاهرة ، ربما لإقناع الرأى العام المصرى نفسه بأن النار واصلة إليه ، وهكذا ضربت منشآت فى طره ، كما جرى ضرب مصنع فى أبو زعبل ، وطالت القنابل مبنى مدرسة فى بحر البقر استشهد فيها أكثر من ثلاثين طفلا .

كان نطاق القتال يتسع ، على البر ، وفى البحر ، وفوق الجبهة ، وداخل العمق .

وكانت غارات العمق – التى أصابت المدنيين بالدرجة الأولى – هى أكثر ما حز فى نفس « جمال عبد الناصر » ، وما دفعه فى شهر يناير ١٩٧٠ لزيارته السرية التى ذاع أمرها فيما بعد – إلى موسكو للقاء حاسم وعاصف مع القادة السوفيت ، وقد حمل معه إلى موسكو همين فى نفس الوقت : غارات العمق ، وكيف يمكن صدها ؟ ثم الطيران المنخفض فوق الأهداف المدنية ومواقع بطاريات الصواريخ ، وكيف يمكن التعرض له ، لأن صواريخ « سام ٢ » التى كانت لدى مصر وقتها كان يمكن أن تتعرض للارتفاعات العالية ، ولكن ليس لما هو أقل من خمسمائة متر ؟

□

كان لقاء موسكو يوم ٢٢ يناير ١٩٧٠ من أكثر اللقاءات إثارة فى كل التاريخ الحافل للقاءات

المصرية – السوفيتية ، فقد كان « جمال عبد الناصر » يعتقد أن نتيجة أزمة الشرق الأوسط سوف تتقرر فيه ، ولقد وجد « بادجورني » و« كوسيجين » في انتظاره على نهاية ممر في المطار جرى توجيه الطائرة القادمة من القاهرة إليه بعيدا عن العيون المتحفزة للرصد في المطار الرسمي – مطار « فينوكوفو رقم ١ »(١٦) .

وتوجه موكب من ثلاث سيارات من طراز « زيل » المخصص للقادة السوفيت ، والذى تغطى الستائر الداكنة نوافذه وتحجب من فيها عن الناس – إلى ناحية « تلال لينين » المطلة على نهر « موسكوفا » ، ثم دلفت إلى أحد بيوت الضيافة الرسمية الفخمة ، وقد خصص مقرا لـ « جمال عبد الناصر » أثناء زيارته ، كما خصص لإجراء المحادثات – مبنى مجاور له يطلقون عليه وصف « الجيمنازيوم » لأنه مزود بكل وسائل الرياضة والراحة ، ومعد للمقابلات غير الرسمية للقادة السوفيت .

وكان « بادجورني » يعلم أن زيارة « جمال عبد الناصر » ثمانية وأربعون ساعة لا أكثر ، وقد سأله : « هل تحب أن نبدأ العمل على الفور ، أو تفضل فترة استراحة ؟ » ورد « جمال عبد الناصر » بأنه « يفضل البدء فور أن يتمكن « بريجنيف » من المجيء للمشاركة في الاجتماع » ، ونظر « بادجورني » في ساعته وقال « إن الرفيق بريجنيف يمكن أن يجيء إلى هنا في نصف ساعة » .

وفي الساعة الحادية عشرة ، بعد وصول الطائرة بأقل من ساعة ، كان الاجتماع – في صالة اجتماعات « الجيمنازيوم » – قد بدأ وانضم إليه « بريجنيف » ، ثم إن السفير المصري في موسكو الدكتور « مراد غالب » التحق بالقادمين سرا من القاهرة .

وبدأ « جمال عبد الناصر » يشرح الأسباب التي دعته إلى المجيء إلى موسكو(١٧) .

« تحدث عن جهود الحل السلمي المعطلة ، وأكد أن هذه الجهود إذا كان مقدرا لها أن تصل إلى نتيجة ، فإن ذلك يصعب تحقيقه ما لم يصاحبه عمل عسكري يمثل ضغطا حقيقيا على إسرائيل ، وإلا فما الذى يدفعها إلى الانسحاب أو يدفع الولايات المتحدة إلى الضغط عليها ؟

ثم وصل إلى أنه ترك المجال الدبلوماسي للدول الأربع الكبرى وللقوتين الأعظم ، ولم تصل جهود الكل – مضافة إلى جهود السفير « جونار يارنج » – إلى نتيجة .

ولقد اشتعلت النار على جبهة المواجهة نتيجة للجمود واليأس من حل سياسي ، وأصبح الموقف معرضا لانفجار كبير في أى لحظة .

---

(١٦) كانت الطائرة التى حملت « جمال عبد الناصر » إلى موسكو تحمل أربعة رجال معه ، هم الفريق أول « محمد فوزى » وزير الحربية ، والجنرال « كاتشكين » كبير الخبراء السوفيت ، و« محمد حسنين هيكل » ، والسيد « محمد أحمد » مرافق رئيس الجمهورية فى ذلك الوقت .

(١٧) رجاء مراجعة التفاصيل كاملة فى كتاب « الطريق إلى رمضان » لـ « محمد حسنين هيكل » .

والجيش المصرى بسلاحه وعتاده ، وتدريبه واستعداده ، وروحه القتالية - محتشد على جبهة القتال على امتداد خط طوله قرابة ١٥٠ كيلومترا وعمقه قرابة ثلاثين كيلومترا . وعلى هذه الرقعة الضيقة من الأرض - فإن مصائر الشرق الأوسط وأقداره سوف تتحدد . وهو يعترف بأن الاتحاد السوفيتى بصفة عامة لم يقصر فيما هو مطلوب منه منذ محادثات يوليو ١٩٦٨ ، ولكن الصورة الآن تختلف ، فإمداد الطائرات الأمريكية المتقدمة ، خصوصا من طراز « فانتوم » ، يتدفق على إسرائيل ، والطيران المصرى لا يستطيع أن يواجه هذا التفوق حتى الآن .

ولقد راح الإسرائيليون يضربون الجبهة بعنف ردا على عملياتنا داخل أراضينا المحتلة فى سيناء ، وحين بدأنا نقيم جدارا من الصواريخ نفذ العدو إلى العمق وراح يضرب المدنيين .

ولقد لجأت إسرائيل إلى الطيران المنخفض فى ضرب الأهداف ، وهو ارتفاع لا يجدى معه استعمال صواريخ « سام ٢ » التى تسلمها الجيش المصرى من السوفيت ، وهو واثق أن السوفيت لديهم طرز أخرى من الصواريخ تواجه الطيران المنخفض .

ثم قال « جمال عبد الناصر » إن المعارك الدائرة على الجبهة الآن ومضاعفاتها لن تقرر مستقبل مصر فحسب ، وإنما سوف تقرر مستقبل منطقة الشرق الأوسط كلها ، وهو يخشى أن تأثيرها سوف يمتد إلى التوازن العالمى فى مجمله .

ثم ختم « جمال عبد الناصر » بأنه قصد أن يجىء معه بكبير الخبراء السوفيت لكى تسمع منه القيادة السوفيتية حقائق الموقف » .

□

وبدأ « بريجنيف » يتحدث ، ودارت مناقشات طالت ، ثم طلب الوفد السوفيتى فرصة للتشاور ، ثم عاد أعضاؤه ليعلنوا أنهم قرروا أن يقدموا لمصر صواريخ « سام ٣ » المعدة لمواجهة الطيران المنخفض ، ودار حديث حول الكميات المطلوبة من هذا الصاروخ . وتقرر أن ينفض الاجتماع السياسى الكبير لكى يفسح المجال لاجتماع عسكرى بحت بين الماريشال « جريتشكو » وبين الفريق « فوزى » وكبير الخبراء السوفيت على ضوء استعراض للأهداف الحيوية المطلوب حمايتها ، على أن تستأنف المناقشة العامة فى اليوم التالى .

وفى الصباح الباكر من اليوم التالى عاد الاجتماع الكبير إلى الانعقاد مرة ثانية ، وبدأ الحديث عن الكميات المطلوبة من صواريخ « سام ٣ » .

ثم تحولت المناقشة إلى مشكلة تدريب طواقم تشغيل هذه الصواريخ ، وتبين من المناقشة أن عملية التدريب سوف تستغرق ستة شهور ، وأنه من الضرورى أن يتم التدريب فى الاتحاد السوفيتى حيث الوسائل متوافرة له أكثر .

وبرزت فجوة خطيرة لخصها « جمال عبد الناصر » بقوله : « إننا كنا سنسحب مجموعات من العاملين على صواريخ « سام ٢ » لكى يتولوا تشغيل صواريخ « سام ٣ » ، والآن تبين لى أن

التدريب على الصواريخ الجديدة يحتاج إلى شهور بدلا من أسابيع كما كنت أظن ، ومعنى ذلك أننا سنكون فى حالة عرى كامل أمام الطيران الإسرائيلى لمدة ستة شهور نكون فيها قد سحبنا أطقم صواريخ « سام ٢ » للتدريب على « سام ٣ » ثم لا تكون أطقم « سام ٣ » مستعدة للعمل قبل ستة شهور على الأقل .

وبعد مناقشات شارك فيها الجميع حول مشكلة الفجوة الزمنية العارية ، بدا أن القادة السوفيت ينصحون بتهدئة الموقف على الجبهة حتى يتوافر جو يسمح بحل المشكلة . وقال « جمال عبد الناصر » : « إن جبهة القتال لا يمكن أن تتحول لعبة بين الساخن والبارد على هذا النحو ، فهناك معنويات جيش وشعب ، وآمال أمة ، ولو هدأ الموقف دون سبب يقنع الجميع بأن هناك تقدما أمكن إحرازه ، فإن النتيجة سوف تكون ضياعا للثقة وللروح المعنوية للقوات وللجماهير » .

وتوجه « بريجنيف » بسؤاله لـ « جمال عبد الناصر » : « وهل لدينا حل آخر ؟ »

وألقى « جمال عبد الناصر » ما يشبه القنبلة وسط الاجتماع ، إذ قال :

« تعالوا أنتم بقوة صواريخ سوفيتية من طراز « سام ٣ » ، وتولوا مسئولية الدفاع عن العمق حتى يتم تدريب الطواقم المصرية لهذا النوع من الصواريخ عندكم » .

وسأله « بريجنيف » : « هل تقصد قوات صواريخ سوفيتية تشارك فى الحرب ؟ »

وقال « جمال عبد الناصر » : « إنه يريد قوات صواريخ سوفيتية ، ولكنه لا يريدها لتشارك فى الحرب ، فالقوات المصرية كفيلة بحماية نفسها إذا تم بناء حائط الصواريخ ، وما أطلبه هو المشاركة فى الدفاع عن العمق .. العمق المدنى بعيدا عن جبهة القتال » .

وكان « كوسيجين » أول من بادر برد الفعل قائلا : « إن ذلك يعتبر تصعيدا فى المواجهة يمكن أن يؤدى إلى صدام بيننا وبين الولايات المتحدة . »

ثم أسر « جريتشكو » بشىء إلى « بريجنيف » ، وقال « بريجنيف » : « إن المسألة أيضا ليست مسألة صواريخ ، فإن قواعد الصواريخ تحتاج إلى حماية جوية ، فإذا فكرنا فى إرسال صواريخ فمعنى ذلك أن نفكر فى نفس الوقت فى قوة جوية سوفيتية تتولى حمايتها » .

وقاطعه « جمال عبد الناصر » قائلا : « إنه يوافق أيضا على أن تجىء طائرات سوفيتية لحماية قواعد الصواريخ من طراز « سام ٣ » » .

وبدا أن مخاوف « كوسيجين » قد انتقلت عدواها أيضا إلى « بريجنيف » الذى قال « إن ذلك يعنى أننا نتحدى الولايات المتحدة الأمريكية عسكريا » .

ورد « جمال عبد الناصر » : **لماذا تعطى الولايات المتحدة نفسها حق التصرف بدون خوف فى مساعدة إسرائيل ، فى حين أنكم تترددون باستمرار قبل الإقدام على خطوة واحدة** » .

ولم يكن القادة السوفيت على استعداد للمخاطرة ، فقد بدت لهم خارج نطاق ما يقدرون حتى على مجرد تصوره .

كان « جمال عبد الناصر » قد كف عن التدخين منذ شهور ، وفى هذه اللحظة مد يده إلى المائدة فتناول علبة سجائر أشعل واحدة منها ، وقد اكتست ملامحه بتعبير عكس مزيجا من الحزم والحزن ، ثم بدأ يقول فى صوت هادىء :

« إن كل الأصدقاء هنا يعلمون أننى فى يوم ٩ يونيو ١٩٦٧ أعلنت تنحىَّ عن السلطة فى مصر ، ثم اضطررت للعدول عن قرار التنحى تحت ضغط شعبى مصرى وعربى تصور أننى أستطيع تحمل المسئولية حتى تتم إزالة آثار العدوان . وبالمنطق الذى سمعته الآن منكم ونتائجه على جبهة القتال ، فإن هدف إزالة آثار العدوان لم يتحقق ، وبالتالى فمن واجبى أن أعود إلى الشعب فى مصر ، وإلى الأمة فى العالم العربى ، وأضع الحقيقة أمامهم وأصارحهم بأن الدنيا فيها قوة واحدة قادرة وهى الولايات المتحدة . وعليهم أن يقبلوا ذلك حتى لو اضطروا إلى الاستسلام . وبما أننى لن أكون الرجل الذى يقبل الاستسلام ، بل ولا يقبل منه الاستسلام ، فإنى سوف أترك مكانى لرجل آخر يستطيع ذلك ويقبل منه » .

وتكهرب جو القاعة ، وحاول الزعماء السوفيت ، وأصر « جمال عبد الناصر » على موقفه . ثم طلب « بريجنيف » مهلة إلى بعد الظهر .

ثم عرف الوفد المصرى أن المكتب السياسى للقيادة السوفيتية دعى لانعقاد عاجل انضم إليه كل ماريشالات الاتحاد السوفيتى – اثنا عشر ماريشالا – واستمرت مناقشاتهم من الساعة الثانية عشرة ظهرا إلى الساعة الخامسة والنصف . ثم دعى « جمال عبد الناصر » ووفده المرافق المحدود للعودة إلى قاعة الاجتماع .

وكانت القيادة السوفيتية قد اتخذت واحدا من أخطر قراراتها فى عصر الحرب الباردة ، فقد وافقت بالكامل على طلبات « جمال عبد الناصر » . وبدأ البحث فى التفاصيل .

□

وصباح يوم ٢٤ يناير كان « جمال عبد الناصر » فى طائرة العودة إلى القاهرة ، وقد قصد إلى مؤخرتها ، وراح يفضى بما يعتقد أنه استطاع تحقيقه خلال يومين حافلين فى موسكو :

١ – حقق الدفاع عن العمق .
٢ – ركز الطيران المصرى على الجبهة يحميها من غارات الطيران الإسرائيلى دون قلق على الجبهة الداخلية .
٣ – وأهم من ذلك أن تصعيدا هاما طرأ على حركة المواجهة .

كانت المواجهة حتى الآن بين قوتين إقليميتين فى الشرق الأوسط ، مع وجود القوتين الأعظم فى خلفية الصورة .

والآن تحولت المواجهة كاحتمال صدام بين القوتين الأعظم لا يريده أحد ولا يستطيعه ، وهذا كفيل بتحريك الأمور سياسيا « إذا استطعنا أن نتصرف بحكمة وحذر ، ومن موقف القدرة » .

٤

وفى ظرف شهر كانت أسراب الطيران السوفيتية قد تمركزت فى قواعد جديدة ، وبالتحديد فى قاعدة « جاناكليس » غرب الدلتا ، وقاعدة « المنيا » فى قلب الصعيد . ثم بدأت بطاريات الصواريخ السوفيتية تأخذ مواقعها . ويوم ١٨ ابريل ١٩٧٠ توقفت إسرائيل تماما عن غارات العمق ، وكان واضحا أن الأزمة انتقلت من الدائرة الإقليمية إلى الدائرة العالمية .

ووصل إلى القاهرة مساعد وزير الخارجية الأمريكية « جوزيف سيسكو » مبعوثا من الرئيس « نيكسون » يطلب موعدا لمقابلة « جمال عبد الناصر » ، ويفتح حوارا حول إمكانيات الحل يستند إلى عدة نقاط يطرحها « ويليام روجرز » وزير الخارجية .

وفى أول مايو تحدث « جمال عبد الناصر » فى عيد العمال ، ووجه خطابا مفتوحا إلى الرئيس « نيكسون » يطلب منه أحد موقفين :

- **إما أن يضغط على إسرائيل لكى تنسحب من كل الأراضى العربية .**
- **وإما أن يوقف شحنات السلاح إليها ، وإلا فإن الولايات المتحدة بذلك تكون شريكا فى احتلال الأرض العربية باعتبار دعمها للعدوان الدائم والمستمر منذ سنة ١٩٦٧ .**

ورد « نيكسون » بمجموعة مبادىء للتسوية يتم تنفيذها فى ظل وقف لإطلاق النار على جبهات القتال ، بما يتيح لـ « يارنج » مدعوما بجهود الأربعة الكبار ، وبنفوذ القوتين الأعظم أن يتحرك على أساسها نحو تسوية :

« إنه من أجل تحقيق سلام تعاقدى وملزم ، فإن السفير « جونار يارنج » كلف بإجراء اتصالات بين مصر وإسرائيل بقصد تحقيق النقط التالية :

١ - تتفق مصر وإسرائيل على جدول زمنى لانسحاب القوات الإسرائيلية من أراضى الجمهورية العربية المحتلة منذ الحرب (فى يونيو سنة ١٩٦٧) » .

. . . .

. . . .

وتلى ذلك نقط أخرى .

لكن الإشارة إلى الانسحاب لأول مرة ، ثم ربط ذلك الانسحاب بجدول زمنى ، كان يعطى بادرة يمكن الالتفات إليها على أقل تقدير .

وقبل « جمال عبد الناصر » بهذه المبادىء ، وكانت حقائق الموقف الدولى والإقليمى وعلى جبهة القتال وفى العمق ، تسمح بذلك لاختبار فرص السلام ، ثم الاستعداد لمرحلة تالية .

□

ورأى « جمال عبد الناصر » أنه يتحتم عليه قبل بدء مرحلة جديدة ، أن يعود مرة أخرى إلى الاتحاد السوفيتى ، فقد كان يضع فى تقديره طول الوقت أن الاتحاد السوفيتى له حساباته كقوة عظمى ، وأن مصر يتعين عليها أن تراعى ذلك وهى تجرى لنفسها حساباتها الخاصة ، ومن الضرورى أن تكون هناك مساحة لقاء بين الحسابات .

وكانت تعليماته قبل سفره إلى رئيس هيئة أركان الحرب الفريق « محمد أحمد صادق » هى التصعيد على الجبهة إلى أقصى درجة ممكنة لأن ذلك يساعد مهمته فى الاتحاد السوفيتى ، وهكذا فإنه دخل قاعة الاجتماعات فى الكرملين يوم أول يوليو ١٩٧٠ فى الوقت الذى بلغ فيه أسبوع التساقط السريع للطائرات الإسرائيلية ذروته ، وكان وصف أسبوع « تساقط الطائرات السريع » من تعبيرات « آبا ايبان » وزير خارجية إسرائيل ، وقد أضاف إليه « آبا ايبان » تعبيرا له دلالته حين قال : « إن سلاح الطيران الإسرائيلى يتآكل (eroding) » . وقد نشر هذا الوصف بألفاظ « آبا ايبان » وتعبيراته فى عدد جريدة « الهيرالد تريبيون» فى اليوم السابق مباشرة لبدء الاجتماع .

وبدأ « جمال عبد الناصر » باستعراض للموقف ، وقدم له بقوله « إنه خطر له أنه من الضرورى أن نتفق معا الآن على تحليل مشترك للموقف ، فإذا توصلنا إلى ذلك سهل علينا اتخاذ الخطوات العملية اللازمة لمواجهته »(١٨) .

وانتقل إلى النقطة التالية فى حديثه ، فلفت النظر إلى « أوضاع الصراع الحالية » كما أسماها :

● العدوان سنة ١٩٦٧ لم يحقق هدفه السياسى بسبب تأييد الاتحاد السوفيتى وبسبب موقف الأمة العربية . إنهم حققوا الهدف العسكرى ، ولكن الآثار السياسية التى كان يجب أن تترتب عليه لم تتحقق .

---

(١٨) كانت العادة فى الترتيب للمحادثات الهامة التى يجريها « جمال عبد الناصر » أن نجلس معا لساعات وأن أسمع منه ، وأبدى ما يعن لى من ملاحظات ، ثم أكتب له بخط يدى نقاطا تمثل سياق عرضه الافتتاحى للمناقشة ، ويجرى عليها ما يشاء من تعديلات ، ثم يضعها أمامه أثناء الجلسات ويعود إليها حين يشاء أثناء جريان الحوار ، وكانت الكفاءة التفاوضية لـ « جمال عبد الناصر » تتجلى أكثر ما تتجلى فى مرحلة الحوار . وتظهر هذه الوثيقة رقم (١٧) على صفحة ٧٥٥ فى ملحق صور الوثائق نموذجا لصفحة من صفحات نقاط مفاوضات « جمال عبد الناصر » فى موسكو - يوليو ١٩٧٠ - وأهميتها أنها مع كونها مكتوبة بخطى ، فإنها تحمل فى نفس الوقت تعديلات عليها بخط « جمال عبد الناصر » وبالقلم الأحمر فى ثلاثة مواضع .

● إن قوى العدوان لم تفقد الأمل ، واعتبرت المسألة مسألة وقت تباشر فيه ضغطها السياسي والعسكرى والاقتصادى علينا بكل الوسائل حتى يصل العدوان إلى تحقيق هدفه بفرض الاستسلام .

● إن قوى العدوان التى اشتركت فى المخطط هى بالدرجة الأولى الولايات المتحدة الأمريكية التى استعملت إسرائيل وأعدتها لتنفيذ مخططها .

(أضاف « جمال عبد الناصر » إلى النقط المكتوبة بخط « محمد حسنين هيكل » عبارة بالقلم الأحمر بخط يده هو قال فيها : « كلام ايبان فى التريبيون ») .

● إن الولايات المتحدة أعطت لهذا الهدف كل تأييدها العملى لإسرائيل ، وكان ذلك عن طريق :

- تمويع (أعاد « جمال عبد الناصر » بخط يده كتابة كلمة « تمويع » بالقلم الأحمر) الموقف السياسى .

- تمويع مهمة « يارنج » لدرجة أن « يارنج » لم يستطع أن يقدم تقريرا حتى الآن لمجلس الأمن ، وكان ذلك أبسط ما هو منتظر منه بعد كل المدة التى قضاها فى مهمته . وقد قبلنا نحن بأشياء كثيرة فى سبيل الحل السلمى . ولم تقبل إسرائيل بشىء .

● إن إسرائيل كانت فى موقف يسمح لها بالتعنت معتمدة على إمدادها المستمر بأحدث ما فى الترسانة الأمريكية : من طائرات « الفانتوم » إلى « السكاى هوك » ، ومن التجسس الالكترونى إلى المساعدات المباشرة بالمعلومات . إن لدينا الدليل ليس فقط على أن المخابرات المركزية تعطى لإسرائيل كل ما لديها من معلومات ، **ولكن معظم سفارات دول حلف الاطلنطى فى القاهرة تجمع ما تستطيع من معلومات ، وكلها تصل إلى المخابرات المركزية الأمريكية ، وهذا كله يصل إلى إسرائيل .**

يضاف إلى ذلك المساعدات الاقتصادية ، والمساعدات الدعائية ، والمعنوية .

● إن هذا الوضع تفاقم بعد الثورة الليبية بالذات ، ذلك أن ليبيا وموقعها على البحر الأبيض ، وليبيا ومواردها من البترول الواصل مباشرة إلى البحر الأبيض دون اعتماد على قناة السويس - جائزة شديدة الأهمية ، ووقوع الثورة فيها أدى إلى تغيير فى موازين القوى الاستراتيجية فى الشرق الأوسط وفى البحر الأبيض .

وقد اضطر الانجليز فى ظرف شهور من الثورة إلى الجلاء عن طبرق - قاعدة العضم .

واضطر الأمريكان بعد ذلك إلى الجلاء عن طرابلس - قاعدة هويلس .

ولقد بذلوا محاولات لاحتواء الثورة الليبية ، ولكن تنبه قيادتها من ناحية ، ودعمنا لهم من

ناحية أخرى ، أبطل هذه المحاولات . وأنتم تعرفون أن لدينا قوات برية وبحرية وجوية فى ليبيا لأننا لن نسمح بسقوطها فى أيديهم ، وهذا يزيد من الحرب المستعرة ضدنا .

ونحن لسنا فى حاجة إلى أن نشرح لكم أهمية ليبيا الاستراتيجية ، فهى ثلاثة آلاف كيلومتر على الشاطىء الجنوبى للبحر الأبيض ، وبعمق مماثل فى الصحراء إلى حدود تشاد والسودان . وكانت قاعدة هويلس هى متكأ الأسطول الأمريكى السادس فى جنوب البحر الأبيض ، وكنا نعلم أن فيها أسلحة نووية ، وقد سحبها الأمريكان من هناك بعد الثورة .

ونحن كذلك لسنا فى حاجة إلى أن نشرح لكم أهمية ليبيا الاقتصادية ، فهى تنتج الآن فعلا ما متوسطه خمسة ملايين برميل بترول يوميا ، وهو بترول جاهز بالفعل من البحر الأبيض إلى أوروبا ، لا يعوقه إغلاق قناة السويس ، ولا يضطر إلى الدوران حول رأس الرجاء الصالح .

وأضيف أن ثورة ليبيا معناها الآن شىء آخر إلى جانب كل ما شرحت : معناها أن التيار القومى مستمر فى اندفاعه بقوة ، وأنه برغم النكسة قادر على تحريك الشعوب العربية .

وباختصار كان إسقاط النظام فى مصر قبل الثورة الليبية هدفا .
والآن أصبح إسقاط النظام فى مصر – بعد الثورة الليبية – ضرورة .
وهذا ما يجعل المعركة الآن ساخنة .

إن ذلك واضح من التصريحات الأخيرة للزعماء الإسرائيليين . كانوا من قبل يقولون إن « النظام فى مصر هو النظام الوحيد الذى نستطيع الاتفاق معه ونضمن تنفيذ الاتفاق » ، وهم الآن يقولون إن « اى اتفاق مستحيل ما دام هذا النظام موجودا فى مصر . وأمامى هنا فى هذا الملف تصريحات لجولدا مائير ، ولديان ، ولآبا ايبان » .

□

وانتقل « جمال عبد الناصر » إلى نقطة أخرى فقال :

– « إن هناك جانبا آخر من الصراع لا بد أن تعرفوه وأن تضعوه باستمرار فى حساباتكم ، وهو أن كل محاولات إظهار عجز العرب عن الصمود هى فى نفس الوقت بداية لمحاولة واسعة تستهدف ضرب الاتحاد السوفيتى وإخراجه من البحر الأبيض ، ومن الشرق الأوسط كله .

ونحن لا نقول هذا من عندنا ، ولكن يقوله بصراحة آبا ايبان فى حديثه إلى جريدة التريبيون . إن ايبان يقول فى حديثه إن « الروس لأول مرة سواء فى عهد القياصرة ، أو فى عهد الدولة السوفيتية وصلوا إلى : الشرق الأوسط – وإلى البحر الأبيض – وإذا فتحت قناة السويس فإنهم واصلون إلى البحر الأحمر والمحيط الهندى » .

إننى أريد أن أقول إن المعركة الدائرة الآن ليست معركة تحرير أراضينا فحسب ، ولكنها أيضا معركة تصفية الوجود السوفيتى فى الشرق الأوسط والبحر الأحمر وإفريقيا .

وإذا لم تستطع مصر – لا سمح الله – أن تصفى آثار العدوان عليها وعلى الأمة العربية واضطرت إلى الاستسلام ، فإن الاتحاد السوفيتي سوف يكون مرغما على التراجع والخروج تماما من الشرق الأوسط والبحر الأحمر وكل إفريقيا » .

وسكت « جمال عبد الناصر » لحظة ، ثم استطرد قائلا :

« هذا ما أردت أن أقوله فيما يتعلق بكم » .

□

ثم انتقل « جمال عبد الناصر » إلى نقطته التالية ، فقال :

– « إننى كنت كما تعلمون فى زيارة لليبيا أخيرا ، وهناك وصلتنى معلومات ونصوص عن مبادرة أمريكية جديدة يعرضها علينا « روجرز » (وزير الخارجية الأمريكى) .

وأنا أشعر الآن أن فى وسعى قبولها لثلاثة أسباب :

أولها – أن نتائج زيارتى الأخيرة لكم فى يناير أحدثت تغييرا فى الموازين الاستراتيجية بيننا وبين إسرائيل ، فالعمق المصرى اليوم مدافع عنه ، والجبهة فى وضع أفضل بكثير . وصباح اليوم قبل أن أجيء إلى هنا تلقيت تقريرا بأننا أسقطنا أربع طائرات إسرائيلية » .

وعند هذه النقطة رفع الماريشال « جريتشكو » يده وقال لـ « جمال عبد الناصر » :

– « سيادة الرئيس ، إنكم أسقطتم هذا الصباح تسع طائرات وليس أربع . هذا ما جاءنا من الخبراء هناك » .

ورد عليه « جمال عبد الناصر » : « هذه أخبار طيبة » .

وتدخل « بريجنيف » بأحد تعليقاته قائلا : « يظهر أن الحرب الحقيقية بدأت فى مصر بعد أن سافر الفريق « فوزى » منها ؟ » وعقب « جمال عبد الناصر » ضاحكا : « إذن نبقيه لديكم « على طول » . »

ثم عاد « جمال عبد الناصر » يستأنف حديثه قائلا :

– « والسبب الثانى الذى يدعونى إلى القبول بمبادرة « روجرز » هو أننا لا نريد أن نتسبب فى مواجهة بينكم وبين الأمريكيين . فنحن لا نريد لأنكم أعطيتمونا سلاحا أكثر ووضعتم رجالكم فى خدمة الدفاع عن العمق – أن تصل المسائل إلى درجة من التوتر تفلت من زمام سيطرتنا .

وهناك سبب ثالث وهو أننا بقبول المبادرة وما تنص عليه من وقف لإطلاق النار محدود بثلاثة شهور – نريد أن نعطى لقواتنا فرصة للحشد والتركيز والتقاط الأنفاس ، لأننا حين تنتهى هذه الشهور الثلاثة لا بد أن نكون فى وضع يسمح لنا بنوع آخر من العمليات . شيء آخر أكبر من عمليات المدافع والاستنزاف والدوريات المحدودة .

وهناك عامل آخر ، وأقوله بصراحة ، وهو أننا نريد استكمال إعداد حائط الصواريخ ليقدر على حماية قواتنا فى أى عمليات على الضفة الشرقية للقناة .

لهذا كله سوف نقبل بمبادرة روجرز ... »

وتدخل « بريجنيف » مقاطعا لأول مرة :

– « صديقنا ناصر .. هل تقبل مبادرة روجرز وهى تحمل علما أمريكيا ؟ »

ورد « جمال عبد الناصر » :

– « إننى أقبلها بالتحديد لأنها تحمل علما أمريكيا .
فهذه أول مرة تدخل فيها الولايات المتحدة بخطوة تبدو جادة .
وهذه أول مرة تتحرك فيها تحت ضغط أوضاع متغيرة على الجبهة .
وهذه أول مرة يجيئنا فيها مشروع جرى بحثه بينكم وبينهم ، وقد عرضه علىّ صديقنا « جروميكو » حين جاءنا إلى القاهرة .
ثم إن هذه أول مرة ترد فيها كلمة الانسحاب صريحة فى وثيقة أمريكية » .

ثم دار بعد ذلك حديث عن إمدادات جديدة ومتطورة من السلاح ، وكان التركيز الأكبر على معدات الحرب الإليكترونية ، خصوصا للقوات الجوية وللدفاع الجوى وللاستطلاع .

وقد أشار « جمال عبد الناصر » إلى أن قوات الصواريخ السوفيتية تستخدم أجهزة ليست متاحة لقوات الصواريخ المصرية ، وقال إنه « تلقى تقريرا عن جهاز يستعمله مدير العمليات فى لواء صواريخ سوفيتى ، وهو جهاز لاسلكى ، والقائد يملى فيه أوامره والجهاز يتولى تحويلها إلى شفرة يمكن فكها لدى المتلقى فورا » .

ثم لمس « جمال عبد الناصر » موضوعا دقيقا ، وهو موضوع أجهزة حل الشفرة المتقدمة .

ثم انتقل بعد ذلك إلى طلبات محددة من صواريخ « بتشورا » و« ستريللا » وأجهزة إدارة النيران ، والحملات الثقيلة المطلوبة لكتائب الصواريخ ، وقوة صواريخ مخصصة لحماية أهداف الصعيد .

وأخيرا وصل إلى طلب ٨٠ طائرة من طراز « ميج M. F » ، وألح على أن يتم تسليمها جميعا قبل نهاية السنة « لأنه من هنا إلى شهر ديسمبر المقبل سوف يكون لدينا مائتى طيار حربى جديد ، فالتدريب على قدم وساق ، والجو فى مصر صالح للتدريب طوال السنة » .

وتدخل الماريشال « جريتشكو » بسؤال عن « عدد الطلبة فى كلية الطيران » ؟ ورد « جمال عبد الناصر » : « ٤٥٧ » . ثم تلت ذلك كله قائمة تنوعت أصنافها على أفق عريض :

- **١٤٢ محرك لطائرات الـ « ميج ٢١ » .**
- **٥٠ هليوكوبتر طراز « س ١٨ » .**

- قنابل « نابالم » ، وقنابل ضد الممرات ، وقنابل تلقى من الارتفاعات المنخفضة .
- سرب من القاذفات طراز « T U 16 » .
- قطع غيار لـ « ميج ١٧ » لأن لدينا منها ١٦٠ طائرة وقطع الغيار الموجودة لا تكفى لغاية آخر هذه السنة .
- معدات قتال ليلى .

(لاحظ « جمال عبد الناصر » أن الحرب القادمة سوف تكون بالنهار اليكترونية electronic وفى الليل بالأشعة تحت الحمراء infra-red) .

وأضاف « إننا استطعنا أن نحصل من الغرب على نظارة بالأشعة تحت الحمراء . وطلب الماريشال « جريتشكو » عرضها على الخبراء السوفيت .

وانتهز « كوسيجين » الفرصة ليقول : « من الضرورى أن تفكوا بسرعة الأجهزة الاليكترونية فى طائرات الفانتوم والسكاى هوك التى وقعت عندكم ، وأن ترسلوها لنا لدراستها ، فقد نستطيع مساعدتكم أكثر إذا عرفنا أسرارها . »

□

وكتب الفريق أول « محمد فوزى » بخط يده من موسكو حيث كان يحضر المحادثات خطابا إلى الفريق « محمد أحمد صادق » يشرح له أجواء محادثات موسكو ، ويقول بالنص :(١٩)

« عزيزى الأخ الفريق محمد

أهديك سلامى وتحياتى ، وأبعث للرجال جميعا فى هذا الوقت الذى تقضونه العصيب أطيب تحياتى ، كما أبعث بسلامى الخاص الحار إلى الأخ سامى وأرجو أن تطلعه على خطاباتى إليك بصفة مستمرة .

١ - الانتصار الذى حذتموه (كذا بخط يده) فى إسقاط ٥ طائرات فانتوم وأربعة طائرات سكاى هوك رفع صوت الرئيس جمال تماما ، وسند كلامه وطلباته ، إن شاء الله دائما وباستمرار .

٢ - السيد الرئيس تأسف كثيرا على قائد ك (كتيبة) شطا الذى قابله فى اجتماع القيادة ، كذا على تيمور قائد ك ص (كتيبة صواريخ) .

٣ - السيد الرئيس يوصيك بوضع تغطية وحماية ك ص من المواسير على قدر الإمكان حتى تحميها من الواطى ، ولو أننى أعدك اليوم أو باكر بفتح موضوع شليكا (طراز من الصواريخ) زيادة على الصواريخ ٧٥ أو رفع نسبة ص بتشورا (طراز آخر من الصواريخ) زيادة على التجميع الذى اتضح أنه ناجح تماما .

٤ - ملحوظة أن اليهود جميعا عدا ديان عغالين يصرخوا تماما ويستنجدون بالأمريكان ، وحملة قوية ضد الروس .

---

(١٩) صورة للصفحة الأولى من خطاب الفريق « فوزى » إلى الفريق « صادق » وهى بخط يده ، والأصل محفوظ فى ملفات رئاسة الجمهورية مع صورة منه فى وزارة الدفاع . والصورة منشورة فى ملحق صور الوثائق تحت رقم (١٨) - على صفحة ٧٥٦ من الكتاب .

٥ - تلاحظ أن اليهود غيروا تك (اختصار تاكتيك) بعدم الوصول إلى التجميع بالقذف بالقنابل ، واستخدموا الصواريخ حتى لا يرتفعوا إطلاقا ، وهذا يزيد تماما مهمة الاستريلا والشليكا إذا كانت موضوعة خارج التجميع بمسافة تجبر العدو على الارتفاع . وأنت من جانبك حاول الضغط على ششموروف (كبير الخبراء السوفيت فى سلاح الطيران) علشان يشد شليكا زيادة ولو من العمق .

٦ - لم يظهر الخبر هنا فى موسكو عن موضوع نقل « البابخ » كاتشكين (كبير الخبراء السوفيت فى مصر) ولكنه انكشف فى القيادة هنا خصوصا بعد أن شرح السيد الرئيس لسكرتير اللجنة المركزية موقفه المخادع فى مصر وتقاريره الخاطئة ، وأن جريشكو هب فيه مرتين أمامى . مرة أمام اللجنة الرئاسية فى المفاوضات الرئيسية ، ومرة أمامى وأمام السيد على صبرى فى القيادة العامة . »

وفى نفس الوقت كان الفريق « محمد أحمد صادق » من القاهرة يكتب إلى الفريق أول « محمد فوزى » - تقريرا بخط يده عن أهم التطورات فى الموقف العسكرى ، ويقول :(٢٠)

« السيد الوزير

تحياتى وأطيب تمنياتى لسيادة الرئيس حفظه الله ولسيادتكم ، وأدعو الله تعالى أن يديم توفيق سيادته ونصره .

أخبارى كالآتى :

١ - فى يوم ٧/٣ هاجم العدو بعدد ١٢ طائرة فانتوم التشكيل بواقع ٤ طائرات قدمت من رأس البر ، ٨ طائرات بالمواجهة ، وكان الهجوم مركزا على كتائب الجنب اليسار وعلى الكتيبتين المتقدمتين والمواجهتين للغرب ، وقد تم إصابة هدفين أحدهما مؤكد أنه فانتوم والآخر سكاى هوك ، ولكن كلاهما استطاع الوصول الى الضفة الشرقية ورؤيت الفانتوم وهى تصطدم بالأرض ولم تصب الكتائب التى قذفت بأى خسائر .

٢ - . . . .

. . . .

أما خسائرنا من بدىء المعركة أى منذ ثمانية أيام فهى ١ ك تدمير ، ٣ ك إصلاح ، والكتيبة الأولى معظم خسائرها الأفراد بها . أما باقى الكتائب فخسائر الأفراد بها بسيطة .

٣ - أمرت بضم ٢ ك جديدة من الاحتياط ، وفعلا ضمت للتشكيل واشتركت فى القتال وستنضم الثالثة اليوم إن شاء الله ، وكانت هذه الكتائب مخصصة للمنصورة . والغرض من قرارى هو الاحتفاظ بالتشكيل فى أقوى درجاته . وبهذه المناسبة أنا أعقد يوميا مؤتمرا برئاستى بالجيوشى يحضره من الجانب المصرى اللواء محمد على فهمى واللواء كمال القلعاوى واللواء على بغدادى ومن الجانب الروسى الجنرال ششموروف والجنرال جولوبوف وقائد الصواريخ بتشورا وقائد المقاتلات الروسى .

(٢٠) صورة الصفحة الأولى من تقرير الفريق « محمد صادق » بخط يده ، وقد قمت بحذف بعض الفقرات من التقديم لأن ما فيها من معلومات يمكن اعتباره ، حتى هذه اللحظة ، أسرارا تستحق المحافظة عليها ، والأصل محفوظ فى ملفات وزارة الدفاع مع صورة منه فى ملفات رئاسة الجمهورية . وصورة الصفحة الأولى منه موجودة فى ملحق صور الوثائق تحت رقم (١٩) - على صفحة ٧٥٧ من الكتاب .

والمؤتمر يحلل اشتباكات اليوم ويناقش خطة اليوم التالى لأن الموقف يتوقف نجاحه على خفة الحركة وكثرة تغيير محلات الكتائب ، وإن كان موقف المواقع الميدانية التبادلية يحد من التصرف .

٤ - لقد فاتنى أن أقول إن برقية سيادتكم وصلتنى ، ولكنى أخذت قرار بالاستمرار القتالى من المنطقة الحالية لعدم اعطاء فرصة للعدو لتدمير المواقع التى تم إنشاؤها ، كما أن العمل فى المواقع الجديدة يسير بهمة تحت حماية الصواريخ .

٥ - اليوم ٧/٧ بعد التهديدات والتصريحات التى أذاعها العدو ، والتى أمثلها بغازات المعدة خلال تصريحاته أمس اتخذت جميع الاحتياطيات لمعركة كبيرة من أول ضوء ، وفعلا بدأ العدو هجومه بعدد ١٨ فانتوم على مطار أبو صوير ومطار فايد ومطار كبريت وضرب الهناجر كلها معتقدا أننى أخفى كتائب الصواريخ (المتجولة) الكمائن داخلها . وبرغم عنف الضرب فالخسائر بسيطة ومعدومة تقريبا ما عدا فى أبو صوير أصيبت طائرة هيل مى ٤ كانت داخل الهنجر كما أصيب ٢ طيارين بإصابات بسيطة . وقد اشتبك من جانبنا ٣ كتائب صواريخ وأصيب للعدو طائرة رؤيت بالعين المجردة مدخنة ، كما سمع باللاسلكى قائد الطائرة يبلغ عن إصابته .

٦ - طلب منى الجنرال ششموروف بناء على طلب الماريشال جريتشكو استلام الطائرات الفانتوم الثلاثة ، وبهذه المناسبة كان سبق أن أخذوا جميع المعدات الالكترونية منها عقب سقوطها مباشرة . والطائرة الثالثة حالتها تعتبر أحسنها ، فهناك أجزاء كثيرة منها سليمة كما اكتشفنا بأنها مجهزة ببالون يطلقه الطيار عندما يشعر بأن الصاروخ فى طريقه إليه ، وهذا البالون يحمل جهاز يجذب الصاروخ فى اتجاهه وبذلك تنجو الطائرة ، وتعتقد ك الصواريخ أنها أصابت الهدف حسب ما يظهر على شاشة الرادار . كما وجدنا صندوق مقفل مكتوب عليه (Radio active) وتحذير بالأحمر من فتحه ، واعتقادى أنه وسيلة لإعطاء إشارة لتدمير الأجهزة السرية بالطائرة وقد وقع سليما فى أيدينا .

٧ - أنا ركزت على القتال الجوى لأنه يعتبر من وجهة نظرى معركتى الرئيسية الآن ومكرس لها كل وقتى ، ومع ذلك فقد نفذت مجموعة سيادتكم والتى سبق تأجلت عدة مرات وكانت ناجحة لغاية . وحضر طول الوقت معنا الجنرال ششموروف .

٨ - هناك خبر قد تكون سيادتكم على علم به ، وهو أنه فى يوم ٧/١ علمت بمصادرى الخاصة أن الجنرال كاتشكين قد نقل قائدا لمنطقة أوديسا على البحر الأسود ، والروس سعداء بهذا الخبر أما المصريون فلا يعلموا بعد بهذا الخبر ، وقد أبلغته فى حينه إلى الأخ سامى .

أخبار عامة : اليهود فى حالة غليان شديد لدرجة أنهم أعادوا عرض جهاز الرادار الذى أخذوه ونشر الحادث ، كما طنطنوا أنهم أمكنهم إنقاذ ملاح إحدى الطائرات الفانتوم التى سقطت والتى سبق أن أبلغت سيادتكم بها . أما عن التهديدات فهناك سيل منهمر المقصود منه تصعيد الموقف السياسى والدعائى بقصد التغطية على إسقاط طائرات الفانتوم .

. . . .

. . . .

١١ - ازداد نشاط قواتنا البرية بدرجة كبيرة وخاصة الاشتباكات بالمدفعية ، وفى عدد داوريات العبور التى آمل أن تأتى بنتيجة هذا الأسبوع . أما الطيران فيقوم بواجبه بحماية جنب الصواريخ ، وكان يرغب فى الضرب فى العمق ولكنى رفضت خوفا من سقوط طائرة تفقد قيمة انتصارنا . ولم

تحدث حوادث غير عادية عدا اضطرار طيار للقفز من طائرة سوخوى لعطل مفاجىء بالماكينة .

١٢ - مرسل لسيادتكم بعض الصور للطائرتين الفانتوم الأخيرتين وصور الأسرى ، كما أرسل لسيادتكم بعض تصريحات القادة اليهود ومنها يتضح كم هم متعبون نفسيا .

١٣ - سبق أن اليهود يوم أخذهم للرادار عملوا دعاية موجهة لروسيا أن جميع أسرارها ستعطى للأمريكان ، وأنها (لا) يجب عليها إمداد المصريين بأى معدات حديثة . وقد تحدثت مع الأستاذ هيكل(*) فى استغلال الفانتوم وأسراره فى العمل الدعائى المضاد ، وقد اقتنع بالفكرة .

أرجو أن تتكرم سيادتكم بأن ترفع إلى سيادة الرئيس ، حفظه الله وأعاده إلينا منتصرا موفقا ، أطيب تمنياتى واحترامى راجيا لسيادتكم عودا حميدا .

١٩٧٠/٧/٧

(إمضاء)
فريق
محمد أحمد صادق »

□

ولم يكن لدى الرئيس « جمال عبد الناصر » أمل كبير فى نجاح مبادرة « روجرز » ، وحين أعلن قبولها فقد أعلن فى نفس اللحظة أن أمله فى نجاحها لا يزيد على نصف فى المائة ، لكن الواجب يفرض عليه أن يجرب . وفى الحقيقة فإن أكبر دوافعه إلى التجربة كان الحرص على استمرار الدعم السوفيتى وتكثيفه ، وتوظيف ما يمكن توظيفه من امكانيات فى مرحلة جديدة من صراع كان يعرف أنه لا بد أن يكون عسكريا عند نقطة معينة . وأن تلك هى الحجة الوحيدة التى تقنع إسرائيل .

وكان « محمد حسنين هيكل » فى ذلك الوقت قائما بأعمال وزير الخارجية بالإضافة إلى وزارة الإرشاد القومى ، وكان عليه أن يتفق على ترتيبات وقف إطلاق النار مع « ويليام روجرز » وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية .

وقام « روجرز » بمفاجأة ، فقد اقترح بالاتفاق مع « جروميكو » - وقف إطلاق النار فى نفس المواقع فى الساعة العاشرة بتوقيت جرينتش يوم ٦ أغسطس .

واتصل « جمال عبد الناصر » بـ « هيكل » على تليفون مأمون ليقول له :

- « لا أعرف كيف تفعلها ، ولكنى أريدك أن تكسب ست ساعات لفوزى (يقصد الفريق « محمد فوزى ») لإدخال مجموعة بطاريات صواريخ إلى الجبهة قبل أن يسرى وقف إطلاق النار . هناك أيضا دمى بطاريات صواريخ ، وسوف يتم استبدالها ببطاريات حقيقية » .

(*) كنت قد عدت من موسكو إلى القاهرة بعد انتهاء جلسات المحادثات يوم ٢ يوليو ، وكان الرئيس « جمال عبد الناصر » قد دخل إلى مستشفى « برفيخا » للعلاج . وقد تحدث معى الفريق « صادق » فى موضوع « الفانتوم » فعلا ، وسألنى - كوزير للإرشاد القومى - فى كيفية استغلال إسقاط طائرات « الفانتوم » فى أسبوع تساقط الطائرات السريع ، فى رفع المعنويات العربية بإظهار مقدرة القوات المصرية على التصدى لأحدث الأسلحة الأمريكية التى حصلت عليها إسرائيل .

وكانت المهمة عسيرة بالفعل ، فإن « روجرز » اتصل بـ « هيكل » تليفونيا من واشنطن ليتأكد من سريان وقف إطلاق النار فى المواقع فى الموعد المحدد ، وجرى إبلاغه بأن كل شيء يسير وفق ما اتفق عليه ، وإن كانت هناك مشكلة واحدة يحاول تذليلها الآن ، ذلك أن جبهة البحر الأحمر يقودها ضابط كبير مندفع وهو اللواء « سعد الشاذلى » ، وهو الآن على الخطوط الأمامية مشترك فى بعض العمليات بنفسه ، وهو يحاول الاتصال معه بكل وسيلة ليبلغه بقرار وقف إطلاق النار حتى يتأكد التزامه والتزام قواته فلا يواصل عمليات يعتبرها الآخرون استمرارا لإطلاق النار .



سعد الشاذلى

وعاد « روجرز » يتصل تليفونيا ، ويقول إن الجنرال « ديان » معه على الخط الآخر ، وأنه يريد أن يستوثق من التزام مصر بوقف إطلاق النار فى الموعد المحدد ؟ وتم الرد عليه بأن « محاولة الاتصال بـ « سعد الشاذلى » فى المواقع المتقدمة على وشك أن تتم الآن . »

ومع استغلال « سعد الشاذلى » الذى كان بالفعل خارج مقر قيادته يتابع مسار عمليات لقواته – أمكن كسب ساعات ثمينة وغالية .

وسرى وقف إطلاق النار متأخرا فى الليل عن موعده المقرر ، وإن كانت المسألة لم تخل من تعقيدات لأن إسرائيل ، ووراءها الولايات المتحدة ، راحت تقول إن مصر حركت بطاريات صواريخ بعد الموعد المقرر لوقف إطلاق النار .

وفى وسط هذه الأجواء الخطرة والمشحونة كلها ، رحل « جمال عبد الناصر » . وتم اختيار « أنور السادات » رئيسا لمصر ، وانتقلت إليه مسئولية الحل أو الحرب ، وبدأ يواجه مسئولياتها كاملة وقد تبدت أمامه بكل حقائقها وبكل تفاصيلها وبكل احتمالاتها ، ولم يكن قد مضى عليه أكثر من أسبوع واحد منذ تولى سلطاته الدستورية .

وكان مستغرقا فى التفكير ... داخلا إلى بحر ليس له قرار ، ولا يظهر له من على البعد شاطيء !

الفصل الثالث

البحث عن معجزة !

١

بعد شهر واحد من بداية رئاسته ، وتسلمه لسلطاته الدستورية - كان الرئيس « أنور السادات » يستشعر ثقل المسئولية التى نزلت على كتفيه فجأة ، ولقد وجد نفسه يواجه مشاكل لم يكن له بها عهد - لكن رؤيته ظلت واضحة ومحددة :

- مشكلته الأولى هى أزمة الشرق الأوسط ، وفيها لا خيار أمامه إلا بين أحد أمرين :

● **حل سلمى** : وهذا ما كان يتمناه .

● **وحرب بالسلاح** : وهذا ما لم يكن يريده ، وإن أحس أنه قد يُكره عليه إذا لم يحدث ما يتمناه .

- وفى الحالتين - الحل ، أو الحرب - فإن القوات المسلحة هى البؤرة الحرجة سواء فى الحل أو فى الحرب ، وبالنسبة للأوضاع الداخلية أو الأوضاع الخارجية على حد سواء .

ولقد أحس بشكل ما أن هذه هى الدائرة التى سيتحدد فيها كل شىء بالنسبة له ، وراح يركز فكره عليها محاولا قدر ما يستطيع أن يحتفظ بأوراقه قريبة من صدره ، على حد التعبير المشهور ، وكان دافعه لذلك أنه لم يكن بعد واثقا من نفسه ، ولا واثقا أن عناصر القوة والسلطة فى متناول يده أو قريبة منها .

وربما أحس أيضا أن هناك من يحاول حصر دوره وبالتالى سلطته ، ولعله من تأثير ما استيقظ فيه من تجربة حياته - لم يكن يمانع فى ذلك ، فى تلك الفترة ، فقد كان من أهدافه أن

يشيع جوا من الراحة حوله يباعد ما بينه وبين المشاكل حتى تتضح أمامه صورة كاملة لحقائق الحياة المحيطة به ، وللرجال العاملين بالقرب منه .

وربما كان أقرب توصيف لأحواله النفسية وقتها هو أنه كان حائرا بين نموذج الملك « فاروق » (الذى اقترب من حاشيته أثناء نشاطه فى صفوف الحرس الحديدى) وبين نموذج « جمال عبد الناصر » (الذى اقترب من العمل معه كعضو فى مجلس قيادة الثورة ، ثم كرئيس لمجلس الأمة) .

بمعنى أوضح :

- فمن ناحية كان شكل رئاسة الدولة فى خياله هو أبهة الملك « فاروق » .

- ومن ناحية أخرى فقد كانت قوة رئاسة الدولة فى تصوره هى سلطة « جمال عبد الناصر » .

ولعل عددا من معاونيه وقتها لم يكن لديهم مانع من أن يتركوا له أبهة الملك « فاروق » ، على ظن أن ذلك سوف يضعفه - على الأقل أمامهم .

وأما سلطة « جمال عبد الناصر » فلم يكن هؤلاء المعاونون على استعداد لأن يتركوها له كليا أو حتى جزئيا .

☐ وربما تتكفل بعض الرغبات الصادرة عنه - على الأوراق المكتوبة - برؤية نموذج أبهة الملك « فاروق » فى خياله :

● **مثلا** ، طلب موجه من السيد « فوزى عبد الحافظ » سكرتيره - بأمر من الرئيس الجديد - بـ « تجهيز سيارة مرسيدس ٦٠٠ بعدد ٢ باب + تليفون + بيارق ، وذلك بدلا من السيارة الكاديلاك » .

● **ومثلا** ، طلب آخر من سكرتير الرئيس موجه إلى السيد « محمد أحمد » - برغبة الرئيس فى نقل مكتبه من قصر الطاهرة إلى قصر القبة .

● **ومثلا** ، طلب آخر من سكرتير الرئيس يطلب تركيب محطة لاسلكى للإرسال والاستقبال فى بيت الرئيس فى الجيزة .

● **ومثلا** ، إشارة من السيد « فوزى عبد الحافظ » تقول « إن الرئيس أنور كان يتمشى أمس أمام قصر البارون امبان فى مصر الجديدة . وهو يسأل :

أ - من صاحب هذا القصر الآن ؟

ب - بدلا من أنه مهجور بهذا الشكل فالأحسن إشغاله . »

☐ وأما فيما يتعلق بنموذج سلطة « جمال عبد الناصر » ، فربما يتكفل نوع الأوراق المرفوعة للرئيس للبت فيها - بإظهار الإطار الذى كان مطلوبا حصره فيه .

وفى ملف ما كان معروضا أمامه خلال الأسبوع الأخير من شهر نوفمبر - على سبيل المثال - تظهر مجموعة الأوراق التالية - والتى يطلب فيها رأى الرئيس :

● مجموعة من تقارير السفراء المصريين فى الخارج ليس فيها شىء يستحق الاهتمام ، وهى لا تزيد عن إعادة صياغة لأخبار أو تحليلات ظهرت على وكالات الأنباء العالمية .

● مذكرة من المقدم « منير حمد » تظهر أن الرئيس جعفر نميرى رئيس السودان « مستاء جدا من نشر صورة له فى أخبار اليوم بجانب مقال للأستاذ أحمد حمروش ، ويرى اللواء نميرى أن صوره أحسن من هذا بكثير ، وكان يجب ملاحظة المسئولين فى الجريدة هذا » .

● مذكرة بطلب الموافقة على صرف مكافآت استثنائية لضباط الخدمة الذين بذلوا جهودا كبيرة « دون راحة أو اجازات » فى ظرف « وفاة الرئيس الخالد » ، وظرف « الترشيح والاستفتاء وتولى الرئيس أنور السادات رئاسة الجمهورية » .

● مذكرة بأن « العقيد القذافى طلب إشراف المؤتمر الإسلامى على المؤتمر الذى سيعقد فى طرابلس ، وقد اتصل الوزير المفوض للسفارة وأبلغ أنه كان محددا للشيخ الباقورى عدد ٢ تذكرة له ولمرافق ، إلا أنه طلب اليوم صرف خمسة تذاكر له والسيدة حرمه وكريمته و ٢ سكرتارية » .

● تقرير من « مصدر خاص » ينقل حديثا عن سكرتير الرئيس السيد « فوزى عبد الحافظ » جاء فيه قوله « إنه لفت نظر السيد أنور السادات إلى أنه خرج من اجتماع الأمس وكان يسير محنيا ، فقال له « إنك يجب أن تمشى فارد نفسك شوية وليس كما مشيك الآن محنى » ، فرد عليه الرئيس بقوله « أمال عايزنى أمشى أرقص » ! »

● مذكرة مرفوعة من السيد « الميرغنى » يطلب ٤ منح دراسية لبعض الطلبة السودانيين ، ويطلب « توكيل بيع كتب المجلس الإسلامى فى الخرطوم باسمه » .

● مذكرة من السيد « محمد فائق » وزير الإعلام تنقل رغبة من الرئيس « أحمد سيكوتورى » بتقديم مساعدة عاجلة لغينيا ، ويقترح الوزير إرسال بعثة طبية من خمسة أطباء ، وبعض المواد الغذائية وبينها الأرز ، فى حدود مبلغ عشرين ألف جنيه .

ولم تكن تلك كلها من المسائل التى تحتاج إلى سلطة « جمال عبد الناصر » .

☐ وفى طلب الدقة فقد كان لديه فوق ذلك ما يسليه ، وكان لديه أيضا ما يثير ضجره :

● كان يسليه ملف يرسل إليه كل مساء بانتظام يضم تفريغ تسجيلات تليفونية لبعض الشخصيات الموضوعة تحت المراقبة - وقد وجد بعضها مثيرا . فهنا كان يرى صورا لا يعرفها

من حياة أناس يعرفهم ، وقد أقبل على قراءتها بشغف[١] ، وكانت تلك التسجيلات فى العادة خليطا من معلومات يمكن أن تعتبر هامة ، وحكايات لا تزيد عن أن تكون ثرثرة صالونات .

● وكانت تثير ضجره ملفات أخرى ترسل إليه تحمل تقارير من عدد من وزارات الدولة مثل وزارة التموين ، ووزارة الزراعة ، ووزارة الخزانة ، وغيرها . وكان ما فيها مملا ولا يعتبره من اختصاصه ، والحقيقة أنه لم يكن من هواة الأرقام ، ولا كان بينه وبينها أى نوع من أنواع الغرام .

□

ولم تكن تلك هى الحقيقة كلها ، وإنما كان سطحها فقط كما فرضته حقائق القوة والسلطة فى ذلك الوقت ، وكما قبل به الرئيس « أنور السادات » على ظاهر الحال – لكن ما تحت السطح كان مؤشرا إلى شىء آخر ، وهو أن الرجل رسم لنفسه خطا غير منظور وراح يتحرك عليه بهدوء .

وفى واقع الأمر فإنه بدأ حركته على هذا الخط من الثانية الأولى التى اقترب فيها من مقعد الرئاسة ، وحتى من قبل تشييع جثمان « جمال عبد الناصر » .

فى اليوم التالى للرحيل – طلب الرئيس « السادات » اجتماعا لمجلس الأمن القومى يدرس ما سوف تقرره مصر بشأن وقف إطلاق النار السارى لمدة ثلاثة شهور يحين موعد انتهاؤها يوم ٦ نوفمبر ١٩٧٠ ، وقد قال وهو يطلب بحث الموضوع « إن وفودا من دول كثيرة سوف تشترك فى تشييع الجنازة ، وكل الوفود لن تكتفى بالعزاء ، ولكنها أيضا سوف تتكلم فى السياسة . والموضوع الذى سوف يتكلمون فيه هو وقف إطلاق النار ، وقد بدأوا بالفعل يوجهون لنا نداءات بهذا المعنى لإتاحة فرصة أوسع لتنفيذ مبادرة روجرز ، ولابد أن يكون عندنا تصور لموقفنا . »

ثم أبدى أنه لن يحضر الاجتماع بنفسه ، وإنما سيترك الأمر للذين كانوا يتابعون الصورة مع « المعلم الكبير » – يقصد « جمال عبد الناصر » .

وانعقد الاجتماع بالفعل فى الساعة الحادية عشرة من صباح يوم ٣٠ سبتمبر[٢] – أى فى اليوم السابق على تشييع الجنازة – وكان انعقاده فى مكتب الفريق « فوزى » وزير الحربية ، ودارت

---

(١) روى الرئيس « السادات » فى كتابه « البحث عن الذات » أنه رفض قراءة الملفات التى تضم تسجيلات التليفونات . والحقيقة أنه داوم على قراءتها عندما اكتشفها أول مرة ، وفيما بعد وحين زادت مسئولياته انشغل عنها وتركها لغيره .

(٢) شارك فى الاجتماع كل من السيد « محمود رياض » وزير الخارجية ، والفريق أول « محمد فوزى » وزير الحربية ، والسيد « شعراوى جمعة » وزير الداخلية ، والسيد « أمين هويدى » وزير الدولة ، والسيد « حافظ اسماعيل » رئيس المخابرات العامة ، والفريق « محمد صادق » رئيس الأركان ، و« محمد حسنين هيكل » وزير الإرشاد القومى .

مناقشات كان يمكن أن تطول أياما ، وكان لابد من حسمها بسرعة ، وكانت هناك ثلاثة آراء ظاهرة :

● **رأى يرى** أن مد وقف إطلاق النار يظهر القيادة السياسية الجديدة بمظهر العجز عن تحمل مسئولية الحرب . ومن رأيه كذلك أن القتال سوف يؤدى إلى شحن وتعبئة الجماهير .

● **ورأى يرى** مد وقف إطلاق النار ثلاثة شهور جديدة ، وأن تلك كانت من الأصل خطة « جمال عبد الناصر » الذى قدر وقوع المعركة فى ربيع سنة ١٩٧١ .

● **ورأى يرى** بحل وسط هو تجديد وقف إطلاق النار ، ولكن لمدة شهر واحد ، وتكون فى ذلك فرصة إضافية لـ « مبادرة روجرز » ، وفى نفس الوقت يبدو حزم القيادة الجديدة بعد « جمال عبد الناصر » من حقيقة أنها لم تعط إلا مهلة شهر واحد .

وتدخل « محمد حسنين هيكل » فى المناقشة قائلا : « إن الظروف كلها تفرض مد وقف إطلاق النار مدة جديدة كاملة ، أى ثلاثة شهور ، وذلك لعدة أسباب أولها أنه لا القيادة السياسية الجديدة ، ولا الجبهة الداخلية ، ولا القوات المسلحة تستطيع أن تتحمل قرار الحرب بعد أسبوعين من رحيل « جمال عبد الناصر » .

فالقيادة السياسية الجديدة يلزمها وقت لاستيعاب الحقائق ، وجماهير الشعب تحتاج إلى وقت لتمنح ثقتها للقيادة السياسية الجديدة قبل أن تطمئن إلى قرار يعنى بدء القتال ، ثم إن القوات المسلحة على الجبهة وقد فقدت قائدها تحتاج إلى أن تشعر أن مصائرها فى يد قادرة وحكيمة » .

ثم دار حوار مباشر بينه وبين الفريق « محمد فوزى » ، وقد سأله « محمد حسنين هيكل » :

– « على فرض أننا كسرنا إيقاف إطلاق النار ، فهل سنعود إلى حرب الاستنزاف مرة أخرى ؟ »

وكان رد الفريق « فوزى » بالنفى لأن التخطيط المسبق كان لنوع أوسع من العمليات .

وسأله « محمد حسنين هيكل » :

– « هل القوات جاهزة الآن لهذه المهمة خصوصا ، أو أن هناك أسلحة لم تصل بعد من الاتحاد السوفيتى ، ومن ضمنها بطاريات الصواريخ اللازمة لحماية منشآت الصعيد ؟ » .

ووافق الفريق « فوزى » بالفعل على أن هناك مشكلة فيما يتعلق بالتغطية اللازمة لأهداف استراتيجية حيوية فى الصعيد .

وأضاف « محمد حسنين هيكل » :

– « إن هناك أنباء بدأت تتسرب فى الساعات الأخيرة عن اتجاه الاتحاد السوفيتى إلى تأخير إرسال شحنات الأسلحة المنتظرة ، لأنهم يخشون مما يمكن أن يحدث بعد « جمال عبد الناصر » – أفلا يستحسن الانتظار إلى أن تتضح النوايا ؟ »

وقال الفريق « فوزى » : « إنه مهما كان القرار ، فإنه يريد أمرا مكتوبا موجها من القيادة السياسية إليه بكسر أو بمد وقف إطلاق النار » – ثم أضاف « إنه يناسبه بالتأكيد أن يمتد وقف إطلاق النار لشهر واحد » .

وقال « محمد حسنين هيكل » : « إذا كان مبدأ التأخير مقبولا ، فلنترك للجميع فرصة جديدة ، ثم نبدو مستجيبين للنداءات التى نسمعها من العالم بطلب تجديد مد وقف إطلاق النار . وهذا أيضا عدل بالنسبة للبلد والجيش ولكم جميعا ، وأنتم ومعكم الرئيس السادات تمثلون القيادة السياسية الجديدة . ولا يمكن للرجل ، ومن قبل الاستفتاء على رئاسته بأسبوع ، أن يتحمل مسئولية الحرب » .

ودارت مناقشات ، وعادت تدور ، ولكن الحقائق كانت حاكمة فوق الجميع ، مهما كانت تصوراتهم ، ومهما بلغت درجة حماستهم .

واتخذ الاجتماع قراره على مضض بقبول مد وقف إطلاق النار ثلاثة شهور أخرى .

وتنفس « أنور السادات » الصعداء لأن سيفا كان معلقا على رقبته – عاد إلى غمده .

□

وفى الساعة الثامنة من صباح يوم أول أكتوبر ، يوم تشييع الجنازة ، قصد « محمد حسنين هيكل » إلى دار السفارة السوفيتية فى القاهرة ، فقد كان مكلفا بمرافقة رئيس الوزراء السوفيتى « أليكسى كوسيجين » الذى رأس وفد العزاء الممثل لبلاده فى تشييع الجنازة ، وكان « كوسيجين » جالسا فى الصالون الرئيسى للسفارة وبجانبه وكيل وزارة الخارجية وقتها « فلاديمير فينوجرادوف »[3] ، وبالقرب منهما وقف بعض مرافقى رئيس الوزراء السوفيتي وعدد من رجال السفارة السوفيتية فى القاهرة . وكان « كوسيجين » قد وصل إلى القاهرة قبلها بساعات ، وراعته مظاهر الحزن التى قابلها فى طريقه من المطار إلى دار السفارة السوفيتية فى الجيزة حيث نزل أثناء إقامته ، فقد تعطل موكبه ثلاث ساعات أمام حشود باكية وتجمعات جنائزية ، وكتل بشرية ذاهلة تمشى فى الشوارع على غير هدى . وكان أول تعليق قاله « كوسيجين » هو : « لابد لكم أن تمسكوا بأعصابكم وتساعدوا شعبكم أن يمسك بأعصابه . أنتم بلد فى حالة حرب ، ولا تملكون ترف الإسراف فى الحزن على النحو الذى رأيته . وأنا أول من يعلم فداحة خسارتكم ، لكن الرجال يموتون والأمم تبقى . »

ثم راح يتكلم فى السياسة فسأل « عما إذا « كنتم » وسط أحزانكم وهمومكم وجدتم وقتا كافيا لدراسة خطوتكم التالية بعده ؟ » (وكان بصيغة الجمع يقصد القيادة السياسية التى آلت إليها الأمور بعد رحيل « جمال عبد الناصر » من المسرح) .

---

(٣) عين بعدها مباشرة سفيرا لبلاده فى القاهرة .

وكان الرد عليه : « إن الكل يفكر بقدر ما هو ممكن إنسانيا » .

وراح « كوسيجين » يتحدث عن وقف إطلاق النار الذى تقترب مدة نهايته قائلا « إن القيادة السوفيتية كلفتنى قبل سفرى من موسكو بعد جلسة للمكتب السياسى أن أنقل إليكم نصيحتنا الودية والأخوية بأن تمدوا وقف إطلاق النار دون أن تربطوه بأجل محدد . إن ربطه بأجل معناه أن كل الجهود لحل الأزمة تتحرك وهناك مسدس مصوب إلى صدرها .

أنتم فى حاجة إلى وقت لإعادة دراسة موقفكم . وأيضا فإن تحديد أجل معين معناه أنكم تقولون لعدوكم إنكم سوف تدخلون المعركة فى ساعة معينة أو يوم معين أو أسبوع معين ، وهذا ليس فى صالحكم » .

وسأل : « إلى من يستطيع أن ينقل رسالة المكتب السياسى ؟ »

وكان الرد عليه : « إن نائب الرئيس قد جرى ترشيحه للرئاسة ، وسوف يمر هذا الترشيح على بعض المؤسسات السياسية والدستورية . وفى هذه اللحظة بالذات من الأفضل أن يتحدث مع المرشح للرئاسة ويستمع إلى ما قد يشير به » .

وحان وقت الخروج إلى ساحة تشييع الجنازة من مبنى مجلس قيادة الثورة فى الجزيرة ، ولم تكن هناك وسيلة للذهاب بالسيارات ، لأن الطرق كلها مغلقة بالجماهير مع قصر المسافة بين السفارة السوفيتية ومجلس قيادة الثورة . وكان الحل الوحيد هو عبور النيل بقارب كبير من شاطىء النيل أمام السفارة السوفيتية فى الجيزة إلى الشاطىء الآخر على طرف الجزيرة بجانب مبنى مجلس قيادة الثورة . وكان « كوسيجين » مذهولا من حشود الناس على ضفاف النيل أينما التفت من القارب الذى كان فيه ، وكان منظر الدموع منسكبا فى مياه النهر أشبه ما يكون بلوحة أسطورية على جدران معبد شامخ !

وفى الساعة العاشرة والنصف يوم أول أكتوبر ، يوم تشييع الجنازة ، كان « أنور السادات » واقفا فى مجلس قيادة الثورة فى الجزيرة يتقبل عزاء الوفود ، وأحس بأعراض أزمة قلبية فى الوقت الذى اقترب منه رئيس الوفد الأمريكى « اليوت ريتشاردسون » وزير التجارة الأمريكى (وقد أوفده الرئيس « نيكسون » نائبا عنه للمشاركة فى الجنازة وتقديم العزاء) . وحين قال له « ريتشاردسون » إنه يتمنى أن تتاح له فرصة لمقابلته ، قال له وهو يتمدد على سرير طوارىء جىء به إليه على عجل : « قابل هيكل وتحدث معه » .

ومساء نفس يوم الجنازة ، وسرادق العزاء منصوب ، اتصل المستر « دونالد بيرجيس » القائم بأعمال المصالح الأمريكية - بـ « محمد حسنين هيكل » يقول له « إن السيد أنور السادات وجه المستر اليوت ريتشاردسون إلى مقابلته والحديث معه » .

وبالفعل جاء المستر « اليوت ريتشاردسون » فى الساعة السابعة مساء إلى مبنى الأهرام لموعد مع « محمد حسنين هيكل » ، يصحبه الوفد الذى رافقه ، وضمن أعضائه « ريتشارد تشينى »

(الذى أصبح فيما بعد وزيرا للدفاع فى إدارة الرئيس « بوش » ومسئولا عن حرب الخليج) ، ودارت مناقشة واسعة حول السياسة الأمريكية ، وحول أزمة الشرق الأوسط وتطوراتها المحتملة .

وبدأ « اليوت ريتشاردسون » (وكان « ريتشارد تشينى » يتولى كتابة محضر اللقاء) بإعادة تكرار العزاء فى « جمال عبد الناصر » ، ثم استفاض فى شرح سياسة « نيكسون » فى الشرق الأوسط ، وسعيه الحثيث لتطبيق سياسة متوازنة . ثم وصل إلى نقل رجاء من « نيكسون » إلى القيادة السياسية الجديدة يدعوها إلى مد وقف إطلاق النار ثلاثة شهور أخرى ، لأن الجهود الدولية المكثفة لا تستطيع أن تؤدى دورها فى ظل موعد نهائى أوشكت مهلته على الانتهاء ، وقد ضاع جزء كبير منها فى الادعاء بأن مصر أدخلت بطاريات صواريخ بعد الموعد المقرر لوقف إطلاق النار ، ثم ضاع وقت فى انشقاقات عربية حول قبول « مبادرة روجرز » . كل هذا إلى جانب انفجار الموقف فى الأردن بين الملك « حسين » والمقاومة الفلسطينية . ثم عرض لبعض النقاط الواردة فى « مبادرة روجرز » ، وحاول الدخول فى تفاصيلها والصياغات المقترحة . ورجاه « محمد حسنين هيكل » أن يلتقى بالسيد « محمود رياض » وزير الخارجية فهو المسئول عن مجرى المحادثات . وربما كان أهم ما بدا فى أولوياته هو التساؤل « عما إذا كانت القيادة الجديدة فى مصر تستطيع الاحتفاظ بموقفها المستقل من الاتحاد السوفيتى كما كان شأن جمال عبد الناصر » .

وأكد له « محمد حسنين هيكل » أن أحدا لا يستطيع أن يخرج عن استراتيجية مرسومة ومستقرة .

ثم أضاف : « إن مصر سوف تبحث تمديد(٤) وقف إطلاق النار ، وسوف تفعل ذلك آخذة فى اعتبارها نداءات دولية متعددة المصادر ، منها نداء الرئيس « نيكسون » نفسه ، وأنه إذا تقرر ذلك فهدفها أن تساعد المهلة الإضافية على جهد أمريكى وسوفيتى ودولى فاعل بحيث يمكن إيجاد مخرج من الأزمة المستعصية ، وإلا فهو انفجار فى الشرق الأوسط ، لأن الوضع القائم الآن غير قابل للاستمرار » .

وقال « ريتشاردسون » إن « المحادثات بين الأربعة الكبار وبين الاثنين الأعظم قد وصلت إلى حد يبعث على الأمل ، كما يتضح من الصيغ التى قدمها « يارنج » إلى الخارجية المصرية ، وأنه من سوء الحظ أن الرئيس « عبد الناصر » بمركزه الفريد وقوته التى لا تنازع قد ترك المسرح فى اللحظة الحرجة – لكنه يثق أنه إذا استطاعت القيادة المصرية الجديدة أن تثبت نفسها وتؤكد قيادتها فى مصر ، وتأثيرها على بقية العالم العربى – فإن الأمور لاشك واصلة إلى وضع أفضل » .

وحاول « ريتشاردسون » أن يدخل فى تفاصيل الصياغات المتصلة بـ « مبادرة روجرز » ، وكان الرد « إن الوقت الآن غير مناسب ، فلا يمكن لأحد فى هذه الساعات أن يدقق فى الجمل ،

---

(٤) كان القرار قد اتخذ فعلا لكنه لم تكن هناك ضرورة للبوح به فى هذا الوقت .

ويزن الألفاظ ، ويتحرى ما وراء الظاهر من الصياغات . وعلى أى حال فإن الوقت لهذا كله متاح بعد يومين أو ثلاثة » .

٢

ومع الشهر الثانى من رئاسته كان « أنور السادات » قد بلور أفكاره أكثر ، واتضحت أمامه خطوط حركة وجدها أقرب إلى تحقيق أهدافه . وكانت خطوط تفكيره بسيطة ، وكان فيها من اتساق المنطق ما يجعله يعتقد بامكانية نجاحها :

١ - إنه يريد أن يتجنب ضرورة الحرب ، ويريد أن يستنفد كل إمكانيات الحل السلمى ، وهو يشعر أن الناس تريد ذلك منه . وإذا استطاع « أن يحل القضية بدون أن يملأ قناة السويس بالدم بدلا من الماء » - فإنه سوف يدخل التاريخ باعتباره « رئيس السلام » .

٢ - وهو مطالب بأن يجد طريقا يؤدى إلى اتصال مباشر مع الولايات المتحدة الأمريكية ، فهى التى تملك مفاتيح الحل ، لأنها هى القادرة وحدها على إسرائيل ، وقد سمع بنفسه من « كوسيجين » عندما رتب له اجتماعا مع القيادة السياسية الجديدة - قوله صراحة للجالسين أمامه : « يجب أن تفتحوا قنوات مع الأمريكان ، ويجب أن تتصلوا بهم » - ومعنى ذلك أنه حتى السوفيت يجدون أن الولايات المتحدة هى أهم عناصر الحل السلمى - إذا كان هناك سبيل إليه .

٣ - إن الوصول إلى الأمريكان أفضل ما يكون من باب السعودية ، فالسعودية هى البلد العربى الوحيد الذى يمكن أن « يكون له خاطر عند الولايات المتحدة » . إن « المعلم » - يقصد « جمال عبد الناصر » - لم يقترب من باب السعودية فى اتصالاته بالولايات المتحدة الأمريكية نتيجة لتعقيدات طويلة فى علاقاته مع ملوكها استفحلت فى اليمن .

أما هو - « أنور السادات » - فإن علاقاته بالسعودية طيبة وأبوابه معها مفتوحة .

وإذن فان الطريق إلى الولايات المتحدة الأمريكية يبدأ بخطوة نحو الشرق فى اتجاه المملكة العربية السعودية .

وإذن فخط سيره يبدأ من القاهرة إلى الرياض أولا . ومن الرياض إلى واشنطن ثانيا . وبعدها فإن واشنطن يمكن أن تتكفل بتل أبيب .

وقرر أن يرسل فى استدعاء السيد « كمال أدهم » وهو صهر الملك « فيصل »(٥) ، ثم إنه

---

(٥) الملك « فيصل » متزوج من شقيقته الملكة « عفت » .

إلى جانب ذلك رئيس المخابرات السعودية ، وصلة الوصل بين المملكة وبين المخابرات المركزية الأمريكية - وهو من قديم صديق له إلى درجة أنه - « أنور السادات » - كان الشاهد على عقد زواجه .

وكان بين الاثنين لقاء طويل فى استراحة القناطر لم يكن الرئيس « أنور السادات » سعيدا بنتيجته لأن السيد « كمال أدهم » قال له ما ملخصه « إن الأمريكان منزعجون من الوجود السوفيتى فى مصر ، وإن أى اقتراب لهم من أزمة الشرق الأوسط سوف يظل محكوما بهذا الانزعاج » .

وكان تعليق الرئيس « أنور السادات » بعد انتهاء مقابلته مع السيد « كمال أدهم » :

- « إن السعوديين عندهم عقدة من الروس ، وأنا لا أستطيع أن أجاريهم فى هذا الطريق ، فالروس وحدهم يقدمون لى السلاح وبدونهم لا يعود فى يدى شىء . ولقد قلت لكمال أدهم إننى أتعهد للملك فيصل بخروج السوفيت من مصر إذا خرج الإسرائيليون من سيناء ، أما قبل ذلك فأنا لست على استعداد لأن أعرى نفسى » !

وربما تصور السيد « كمال أدهم » أنه يستطيع أن يخدم « أنور السادات » بأن ينقل جزءا من تعليقه ، وهو أنه « على استعداد لإخراج السوفيت من مصر فور التوصل إلى حل للأزمة » - ورأى بعضهم فى واشنطن أن تسريب هذا « الوعد الذى قطعه السادات على نفسه » يمكن أن تكون له فائدة فى الحرب النفسية بين الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة . وواجه الرئيس « السادات » مشكلة حقيقية :

● كان من حوله بعض الذين كانوا يشكون فيه من الأصل .

● وضايقهم أن يقابل « كمال أدهم » دون تشاور معهم - مع أن أجهزة السلطة كانت قد رصدت المقابلة .

● واستفزهم ذلك « الوعد الذى قطعه أنور السادات » على نفسه رغم تأكيده أنه جاء فى معرض حديث عام مرسل .

● وكان الأخطر من ذلك كله أن السوفيت فى مصر تزايد قلقهم من الأوضاع المستجدة فى القاهرة .

□

وكانت علاقة السوفيت منذ البداية بـ « أنور السادات » علاقة مشوبة بظلال من الشك ، فهم وإن عرفوه لم يتعاملوا معه عن قرب ، وفى المرة التى تعاملوا فيها معه مباشرة (مايو ١٩٦٧) وقع فى ظنهم أنه أساء فهمهم بما نقله إلى « جمال عبد الناصر » عن معلوماتهم عن الحشود الإسرائيلية على الخطوط مع سوريا . وكان اعتقادهم باستمرار أنه ينتمى إلى « الجناح اليمينى » فى مجلس الثورة السابق ، واعتقادهم أنه بعيد عن فكر « جمال عبد الناصر » بتأثير تجاربه السابقة

قبل الثورة ، وحتى بعدها عندما رأس المؤتمر الإسلامي واتسعت صلاته نتيجة لذلك بالخليج ومن فيه وما فيه .

يتوازى مع ذلك أن السوفيت أحسوا منذ الأيام الأولى بعد رحيل « جمال عبد الناصر » أن هناك صراعا على السلطة قادما بين أطراف القمة فى التشكيلة التى برزت بعد غياب الرجل الوحيد الذى لم تكن سلطته بينهم موضع شك أو نقاش .

ولقد تصوروه على نحو ما صراعا بين « اليمين » و « اليسار » ، أو بالتحديد بين « أنور السادات » و « على صبرى » . ولم يكن « على صبرى » رجلهم فى القاهرة كما كان يشاع وقتها ، لكن الرجل كانت له توجهاته العقائدية ، واعتقد « على صبرى » بعد « جمال عبد الناصر » أنه صاحب رسالة خاصة . وفى مثل هذه الظروف فإن علاقات السجال بين الأطراف تؤدى إلى زيادة تطرف المواقف بحكم احتكاك الآراء وتصادم الاجتهادات .

ثم ثبت للسوفيت أن « على صبرى » ليس قائد جناح اليسار كما كانوا يتصورون – وإنما جناح اليسار في واقع أحواله مجموعة شيع متفرقة ، وجيوب متباعدة . وراح إحساسهم بالتوجس والشك يزداد يوما بعد يوم تساعده طبيعة تكوينهم الإنسانى والسياسى .

وكان أسوأ ما فى الموضوع بالنسبة لهم إحساسهم أن بعض العناصر من أجنحة اليسار – تشدهم شدا ليصبحوا طرفا فى صراع لا علاقة له بالعقائد ، ولكن علاقته الأوثق هى بالتسابق على السلطة . وكان أكثر الذين أحسوا باحتمالات الانزلاق « فلاديمير فينوجرادوف » الذى احتل مقعده الحساس سفيرا للاتحاد السوفيتى فى القاهرة . وكانت نصيحته باستمرار لحكومته هى « الانتظار واتخاذ موقف المراقب حتى تتضح الصورة لصراع القوة والسلطة الذى رآه قادما فى القاهرة » .

وفى بعض المرات شكا « فينوجرادوف » بـ « رقة » من أن هناك من يحاولون إدخاله فيما لا شأن فيه للسفير السوفيتى .

وفيما بعد قال « فينوجرادوف » إنه لو كان استجاب لبعض المحاولات ، لكان محتملا أن يتورط الاتحاد السوفيتى فى مغامرة – مصرية – شبيهة بالمغامرة التى تورط فيها بعد ذلك بعشر سنوات فى أفغانستان[٦] ، وذلك حين اضطر إلى الدخول بقواته لمناصرة طرف على طرف فى صراع داخلى على السلطة فى كابول . وربما كانت الورطة فى مصر – على فرض الاستحالة – أخطر لأنها ليست أفغانستان الملاصقة فى حدودها للاتحاد السوفيتى . وفى حالة مصر فقد كان يمكن أن تؤدى خطوة سوفيتية خاطئة فى مثل هذا الاتجاه المغامر – إلى صدام عالمى واسع المدى مع الولايات المتحدة !

---

(٦) لا أريد فى هذا الكتاب أن أتعرض لقصة الصراع على السلطة فى مصر من سبتمبر ١٩٧٠ إلى مايو ١٩٧١ – فقد فعلت ذلك إلى حد ما فى كتاب « الطريق إلى رمضان » ، ثم إن الفرصة قد تسنح لكل التفاصيل من هذه القصة فى مناسبة أخرى .

ولكن « فينوجرادوف » كان حذرا ، وقد طلب من كل أعضاء سفارته ، بمن فيهم ممثلو المخابرات – الـ .K.G.B – أن يكتفوا بالمتابعة وألا يتجاوزوا الخطوط المرسومة .

ومن المؤكد أن تقاريره كانت تشير على موسكو بزيادة الحذر . وكان الذى حدث فى تلك الفترة هو أن إمدادات السلاح السوفيتى كادت تتوقف تماما رغم التوقيعات التى تذيل الاتفاقيات ، ورغم جداول مواعيد الشحن ، ورغم إلحاح القاهرة الدائم والمستمر .

وكان خوف الاتحاد السوفيتى أن تشجع وفرة السلاح على مغامرة غير محسوبة ، سواء قامت بها عناصر اليمين أو عناصر اليسار !

وفى هذا المناخ جاءت الأقوال التى نسبها « كمال أدهم » إلى « أنور السادات » لتؤيد أسوأ شكوك الاتحاد السوفيتى ، خصوصا وأن هذه الشكوك كانت معلقة على قاعدة طرأ عليها ظرف استثنائى .. مجرد ظرف استثنائى . فقد كان تقديرهم دائما أن الولايات المتحدة بحكم مصالحها فى العالم العربى – وليس فى إسرائيل – لابد لها أن تسوى أمورها يوما مع العرب . ولقد تأخرت هذه العملية بسبب دور رجل واحد فى ظرف تاريخى معين . والآن فإن الرجل اختفى من فوق المسرح – كما أن الحقائق السياسية تتغير ، ذلك أن العناصر التقليدية الموالية للولايات المتحدة فى العالم العربى زادت قوتها النسبية بعد معركة سنة ١٩٦٧ . وبعد اختفاء زعامة « جمال عبد الناصر » ودوره ، وبروز احتمالات صراع داخلى فى القاهرة – فإن الوزن النسبى للعناصر التقليدية فى العالم العربى سوف ينمو ويقوى !

ولكن « أنور السادات » كان لا يزال فى نفس الموقف الصعب الذى واجهه فى اللحظة الأولى من رئاسته ، فهو لا يستطيع عمليا أن يتقدم إلى الأمام ، ولا يستطيع طبيعيا أن يعود إلى الوراء ، ثم إنه من المستحيل عليه أن يظل واقفا فى مكانه دون حركة .

وإذن كان محكوما عليه أن « يتحرك » – فى « مكانه » – وكان مطالبا بأن يجد طريقة الأداء التى تصنع هذه المعجزة فى قوانين الطبيعة !

وفى يوم ١٠ ديسمبر ، وأثناء تبادل الاتصالات والصياغات لتنفيذ « مبادرة روجرز » قبل أن ينتهى موعدها المؤجل من ٤ نوفمبر إلى ٤ فبراير – أدلى « موشى ديان » فى مؤتمر صحفى بحديث قال فيه :

– « إذا كان العالم لا يزال فى حاجة إلى فتح قناة السويس ، فإن إسرائيل على استعداد لسحب قواتها إلى الوراء عدة كيلومترات لكى تسمح بتطهير القناة وإعادة فتحها » .

ولم يكن « ديان » بهذا الاقتراح يقصد إلى إعطاء ميزة لمصر ، وإنما كانت حساباته من وحى أسباب أخرى :

● كان يريد أن يعطى هدية للاتحاد السوفيتى باعتبار أن فتح القناة يفتح الباب للأسطول السوفيتى من البحر الأبيض إلى البحر الأحمر والمحيط الهندى .

● وكان يريد أن يعطيِ هدية لشركات البترول الأمريكية التى كانت تضايقها تكاليف الطريق البحرى الطويل حول رأس الرجاء الصالح .

● وكان يريد أن يقوم بعملية تنفيس للبخار المحبوس من الضغوط الدولية على إسرائيل التى رفضت كل المقترحات التى عرضت عليها بما فيها مقترحات « روجرز » .

● وكان يريد أن يباعد خطوط الاشتباك على ضفتى القناة بين الجيش المصرى والجيش الإسرائيلى بحيث يحول دون عمليات حتى من نوع عمليات حرب الاستنزاف .

وكان يتصور أن مصر إذا طهرت وفتحت قناة السويس وعاد المهجرون من مدن القناة إلى مدنهم ، فإن هذا كله سوف يجعل من الصعب على مصر أن تقوم مرة أخرى بأى نوع من العمليات العسكرية ، حتى وإن كان من نوع العمليات المحدودة لحرب الاستنزاف .

وأحدث اقتراح « ديان » ضجة فى إسرائيل تكفل بها الصقور ، وخرج « ديان » يقول : « إن تصريحاته اختصرت فلم يظهر منها أن اقتراحه بالانسحاب يسرى على ضفتى قناة السويس ، أى تنسحب القوات الإسرائيلية من ضفة القناة الشرقية ، وتنسحب القوات المصرية من ضفة القناة الغربية - إلى عمق يتفق عليه الطرفان ، ومن ثم يبدأ تطهير قناة السويس وتعمير مدن القناة .

□

ومن الأرجح أن الرئيس « أنور السادات » قرأ تصريحات « ديان » و لعلها لفتت نظره . وفى الأسبوع التالى تصادف أن جاء لزيارته السيد « عبد المنعم أمين » الذى اختير عضوا لمجلس قيادة الثورة فى أيامها الأولى ، ثم عين بعد ذلك سفيرا فى « لاهاى » . وكان القائمقام « عبد المنعم أمين » فى الشهور المبكرة بعد الثورة يمسك بخيط من خيوط الاتصال مع السفارة الأمريكية فى القاهرة ، وكان الموضوع الذى يدور حوله البحث هو مفاوضات الجلاء مع الانجليز ، مع رغبة مجلس قيادة الثورة فى استعمال وزن الولايات المتحدة على رأس التحالف الغربى للضغط على لندن لتستجيب للمطالب المصرية .

وفيما يبدو فإن السيد « عبد المنعم أمين » بعد جلسة طويلة مع الرئيس « أنور السادات » - عرض عليه فكرة أن يقوم نيابة عنه بالاتصال مع الأمريكان ، ويبدو أن الرئيس « السادات » لم يمانع ، ولعله أراد أن يجرب . فإذا كانت القناة السعودية للاتصال مع الأمريكان ليست سالكة ، وإذا كانت احتمالات الإحراج فيها قائمة بسبب غرام العرب بكشف الأسرار - فإنه الآن أمام احتمال قناة مصرية للاتصال مع الأمريكان ، وهى قناة جرى استعمالها فعلا فى الأيام الأولى للثورة !

وذهب السيد « عبد المنعم أمين » بعد مقابلته للرئيس « السادات » ، فاتصل بالمستر « دونالد بيرجيس » القائم على شئون رعاية المصالح الأمريكية تحت مظلة السفارة الأسبانية - فى مصر - (بمثل ما كان السفير « أشرف غربال » يقوم بذات المهمة فى واشنطن تحت مظلة السفارة الهندية) - ثم اتصل أيضا بالمستر « يوجين ترون » وهو يومها ممثل وكالة المخابرات المركزية

الأمريكية تحت غطاء سياسى يضعه فى كشف أعضاء البعثة الدبلوماسية للولايات المتحدة الأمريكية فى القاهرة (مكتب رعاية المصالح) .

□

لم يكن الرئيس « السادات » وقتها يعرف ما فيه الكفاية عن القدرات التى بلغتها المخابرات المصرية ، والحقيقة أن هذا الجهاز الكبير كان قد حقق لنفسه مستوى عال فى مجال الأمن القومى[٧] ، وقد وصلت كفاءته إلى حد أنه تمكن من وضع أجهزة تنصت وتسجيل فى بيت ومكتب[٨] القائم على شئون المصالح الأمريكية « دونالد بيرجيس » ، وقد شملت الرقابة كل غرفة فيه ، بما فى ذلك مكتب ممثل وكالة المخابرات المركزية الأمريكية « يوجين ترون » ومسكنه أيضا . وبالطبع فإن السيد « عبد المنعم أمين » لم يكن يعرف .

وهكذا راح « عبد المنعم أمين » يتحدث مع « دونالد بيرجيس » وأجهزة التسجيل دائرة (٩) ، ثم راح « عبد المنعم أمين » يتحدث مع « يوجين ترون » وأجهزة التسجيل دائرة . وقد ركزت المخابرات العامة بالطبع على حديث « عبد المنعم أمين » مع « يوجين ترون » ، وفى الظن أنه الحديث الأخطر ، ولو حتى لمجرد أن طرفه الآخر - مع مبعوث الرئيس « السادات » - هو ممثل وكالة المخابرات المركزية الأمريكية فى مصر(*) .

كان السيد « عبد المنعم أمين » - مبالغة فى الاحتياط ! - قد تحسب إلى أن تليفونات السفارة - بعثة رعاية المصالح - مراقبة ، وهكذا أرسل عن طريق صديق مشترك إلى « دونالد بيرجيس » يقول له إنه قادم للقائه فى موعد معين . والذى حدث أن « دونالد بيرجيس » تأخر عنه قرابة ربع ساعة ، ربما ليتأكد من شخصيته قبل أن يلقاه . ثم دار اللقاء والاثنان لا يعرفان أن أجهزة الالتقاط ووراءها أجهزة التسجيل تدور ... وتدور .

---

(٧) من سوء الحظ أن قضية انحراف الجهاز ومحاكمة بعض أفراده فى وقت « جمال عبد الناصر » - غطت على الجانب الأهم من عمله فى مجال تخصصه الحقيقى . ويمكن أن يقال - وبعدل - إن هذا الجهاز ، حتى فى عهد رئيسه الأول السيد « صلاح نصر » ، قام بدور وطنى ممتاز ، ولا يقلل من هذا الدور أن الرجل الذى أسسه وقام عليه فى السنوات الأولى - نسى نفسه بحكم طول البقاء فى السلطة وطبائع العمل السرى ، وتورط فيما لم يكن له أن يتورط فيه . لكن الرجل يظل له إسهامه - بصرف النظر عن سقوطه فى سنواته الأخيرة - ثم إن ذلك الجهاز لم يكن كله « صلاح نصر » .

(٨) البيت هو نفس البيت الذى أصبح فيما بعد مقرا للسفير الأمريكى ، وهو البيت رقم ١٠ شارع طه حسين بالزمالك .

(٩) لم يعد هناك حرج فى ذكر ذلك الآن لأن الأمريكان عرفوا فيما بعد بالحقيقة ، وقاموا بعملية إعادة بناء للبيت أدت إلى « تنظيفه » تماما من كل أدوات التسمع والتنصت التى كانت فيه .

(*) فى ملحق صور الوثائق من الكتاب توجد ثلاث صور خاصة بتسجيل هذه الأحاديث :

١ - الملف الخارجى لتقرير التسجيل الذى تم فى بيت « بيرجيس » و« ترون » - صورة رقم (٢٠) - على صفحة ٧٥٨ من الكتاب .

٢ - صورة للصفحة الأولى من تسجيل حديث اللواء « عبد المنعم أمين » مع المستر « دونالد بيرجيس » - صورة رقم (٢١) - على صفحة ٧٥٩ من الكتاب .

٣ - صورة للصفحة الأولى من تسجيل حديث اللواء « عبد المنعم أمين » مع المستر « يوجين ترون » - صورة رقم (٢٢) - على صفحة ٧٦٠ من الكتاب .

وجرى تفريغ شريط المقابلة فى نفس اليوم وإرساله إلى من يعنيهم الأمر . واكتفت المخابرات العامة ، لحساسية الموضوع وغرابة ملابساته ، بأن تبعث بنصه دون أى تعليق ، وقد استغرق تسع صفحات وضعت داخل ملف بحجم الفولسكاب ، وقد طبعت عليه بالحبر الأسود :

« بسم الله الرحمن الرحيم .

رئيس
المخابرات العامة

ثم كتبت بالآلة الكاتبة وبالحبر الأحمر عبارة : « سرى للغاية » .

وفى وسط الملف طبعت كلمة : « الموضوع » . وفى الفراغ المتصل بعدها وقد امتد فيه سطران من النقط المطبوعة ، جاءت بالآلة الكاتبة وبالحبر الأحمر عبارة تقول :

« تفريغ لشريط مسجل بين المستر يوجين ترون واللواء بالمعاش عبد المنعم أمين »

ثم بعد ذلك وبالآلة الكاتبة أيضا وبالحبر الأسود :

السيد/ سامى شرف
« رجاء العرض
مع تحياتى ،،،
إمضاء
رئيس المخابرات العامة »

ثم كتبت بالآلة الكاتبة مرة أخرى وبالحبر الأحمر فى أسفل الملف عبارة : « سرى للغاية » .

وأما صفحات الملف التسع ، فقد بدأت كل واحدة منها وانتهت بعبارة « سرى للغاية » وتحتها خط بالآلة الكاتبة بالحبر الأحمر ، ثم تمهيد بالآلة الكاتبة بالحبر الأحمر نصه :

« حديث مسجل بين المستر « دونالد بيرجيس » ويرمز له بالرمز (×) واللواء « عبد المنعم أمين » ويرمز له بالرمز (–) .

بدأ التسجيل بأن أعرب « بيرجيس » عن أسفه لأنه لم يكن لديه علم مسبق بأن اللواء « عبد المنعم أمين » قادم ، وأنه ما كان ليتأخر دقيقة واحدة عن مقابلته لولا وجود المستر « ماسكى »(*) والذى كان شغله الشاغل هنا ، وسافر فى اليوم السابق . وأنه يتطلع للقاء معه .

ثم دار الحوار طبقا للتسجيل على النحو التالى :

عبد المنعم أمين : وأنا أيضا كنت أتطلع لمقابلتك . وأنا قلت بدلا من أن أتصل بالسفارة تليفونيا وبعدين

(*) يقصد « ادموند ماسكى » الذى كان مرشحا للرئاسة عن الحزب الديمقراطى .

ما يعرفوش أنا عاوز ايه(*) ، أو يفتكروا إن أنا واحد كدة والا كدة . فأنا قلت أجىء بأسرع ما يمكن .

دونالد بيرجيس : وأنا قلت فورا أيضا .

عبد المنعم أمين : كويس جدا .

دونالد بيرجيس : أنا كنت أحب انك تحيط رئيس الجمهورية علما بأن المقابلتين اللتين تمتا أخيرا مع اثنين من الشخصيات الأمريكية ، وهما المستر وارين كرونكايت(**) والمستر ماسكى ، وان الاثنين أعجبا جدا بالرئيس ، وهما شخصيتين أمريكيتين لهما أهميتهما . وان الاثنين أعربا عن أطيب تمنياتهما للرئيس ، ويتمنيان له كل توفيق .

عبد المنعم أمين : حسنا . حسنا . شوف الموضوع أثير أمام الرئيس السادات بشأن ما قاله حول عداء أمريكا ، وأنا كنت بقول بأن أمريكا كانت دايما ودية معنا . وبعدين قلت بأنها لا هى عاوزة حرب ولا هى عاوزة الموضوع يتطور إلى ما هو عليه الآن . وهو رد وقال لأ أنا أعتقد انهم غير وديين وذلك من أفعالهم . ولا حتى محايدين . وأنا قلت له هم واقفين على جنب . ورد هو وقال لى كلا هم ليسوا محايدين لأنهم يريدون أن يقدموا كل شيء لاسرائيل . وبعدين أنا قلت مفيش دول صديقة من غير الدول الأربع تقدر تقوم بالتفاهم مع أمريكا ؟ ورد على بقوله كلا – وبعدين أنا قلت له إذا أنت أرسلت واحد من طرفك أو تجد أحد يسافر لأمريكا أو ما تسمح لهيكل(***) أو أى انسان آخر يتصل بهم ؟ وبعدين هو قال لى : إذا كنت تحب تشوف انت بنفسك ايه الاحتمالات ، روح وقابل مستر بيرجيس أو ادعيه للحضور فى منزلك . وعلشان كده أنا جيت وفكرت ان الأحسن نتقابل بطريقة غير رسمية بدل ما أتصل تليفونيا بالسفارة أو أتصل بهيكل أو بغيره ، وتكون النتيجة انهم جميعا يبدأوا فى التكهنات ويغلب عليهم حب الاستطلاع .

دونالد بيرجيس : ده كويس أن الرئيس وثق فيك .

عبد المنعم أمين : كل قصدى كويس . وأنا أستطيع أيضا أن أحكم على الأمور كويس ولى نظرة فى هذه المسائل . ونظرة لا هى عن تعصب ولا نظرة مليئة بالأمل . كلا أنا طول عمرى واقعى وأنا مقدر مركزى تماما ومقدر المهمة اللى أنا بقوم بها . وعلى ذلك فأنا عارف من سنة ١٩٥٢ وسنة ١٩٥٣ ما تستطيعون أنتم الدولة القوية القيام به وبدون حدود .

لكن لازال فى هذه الحالة عندنا أمل ونرغب فى قيامكم بالدور الذى يجب أن تقوموا به بدون أن يوجه لكم حتى أدنى لوم ، وأيضا بدون أية حدود .

(*) كان أصل الحديث بالانجليزية بالطبع ، وكان فى وسع المترجمين الرسميين أن يترجموه إلى اللغة العربية الفصحى ، ولكن لسبب ما اختار المترجمون أن تكون الترجمة إلى اللغة العامية – ربما بقصد مزيد من الواقعية .

(**) المقصود على الأرجح ، والتر كرونكايت ، مقدم البرامج التليفزيونية الإخبارية المشهور .

(***) حدث فى مرات كثيرة أننى قمت بمهام سياسية عديدة باسم الرئيس « جمال عبد الناصر » مع الولايات المتحدة الأمريكية ، والاتحاد السوفيتى ، وبريطانيا ، وفرنسا . وكان « جمال عبد الناصر » يفضل دائما أن يجرى بحث الأسس والأطر فى أى قضية قبل أن تصل إلى مرحلة التفاوض الرسمى ، وعلى سبيل المثال فقد كان من بين هذه المهام مهمة سنة ١٩٦٤ ، وقد قضيت فيها خمسة أيام كاملة مع الزعيم السوفيتى « نيكيتا خروشوف » . كما كانت هناك مهمة مع الرئيس الفرنسى « شارل ديجول » فى أعقاب حرب ١٩٦٧ .

وأنا بتكلم معاه سألته ماذا عن ٥ فبراير(*) (ضحك المستر بيرجيس قليلا) بعد ذلك هو قال أيوه نحن لا نستطيع الجلوس مكتوفى الأيدى ونعطيهم مد المدة مرة بعد الأخرى فى الوقت الذى لا يقصدون هم فيه السلام ولا يعنون أن يقوموا حقيقة بأية تسوية لهذه المشكلة . وكل ما يقصدونه أنهم يحتفظوا بأراضينا وتظل معاهم . وان إسرائيل تتذرع بالأعذار من أول يارنج ، ومع يارنج بتقول لا لا . لا نستطيع هذا . نريد أن نأخذ هذا ونترك ذاك . وفى الحقيقة لا هم ولا يارنج حيعملوا حاجة بالطريقة هذه . والنتيجة حتكون بأن يارنج نفسه سوف يدرك أنهم (الإسرائيليون) لم يخرجوا عن نفس طريقتهم . وأنا على هذا الحال لن أستطيع البقاء هكذا . لكن لو أثبتوا لنا بأنهم حقيقة يريدوننا أن نعيش فى سلام ، ففى مثل هذه الحالة أنا على استعداد من ناحيتنا ومن جانبنا . إن ديان اقترح مقترحات . لكن هذه المقترحات لا تصلح . لازالت غير صالحة لأن معناها انهم فى موقف يسيطرون منه على القناة . وحتى لو انسحبوا بعيدا عن ضفة القناة حوالى ٤٠ ميلا ، ففى هذه الحالة سوف يسيطرون على مواقع دفاعية هامة تشرف على القناة مثل ممر متلا أو غيره . إن ما اقترحه ديان نحن لا نثق فيه لأنه معناه أنهم لازالوا يسيطرون على القناة . هو اقترح بأنه كلا الطرفين ينسحبوا أيضا فكيف هذا ؟ - نحن فى أراضينا ولا نستطيع أن ننسحب ٤٠ كيلو مترا . خليهم هم ينسحبوا ٤٠ كيلو مترا - فى مثل هذه الحالة سوف يكون هناك وقف لإطلاق النار اجبارى . من ناحية لأننا لا نستطيع أن نصل لإسرائيل ، ومن ناحية ثانية أعتقد بأن هذا سوف يكون بادرة بالنسبة لنا على أنهم حقيقة يريدون السلام .

بعد ذلك يمكننا أن نجلس ٦ شهور أو سنة ، أو أى فترة تستغرقها هذه المحادثات . لكن الشىء الأساسى انهم لازم ينسحبوا لمسافة ٤٠ كيلو متر علما بأنهم لن يخسروا أى شىء بهذا الانسحاب .

بعدين أنا قلت له ده كويس . أنا أروح أتكلم مع مستر بيرجيس ، وأنا أشوف هم حيقدروا يعملوا ايه . بناء على افتراض أن بطبيعة الحال بأن انسحاب القوات الإسرائيلية قد يتضمن أيضا انسحاب قواتنا من القناة . هذا اعتقادى أنا(**) . فى نفس الوقت أنا فكرت فى الحال بأنها تكون فرصة طيبة للبدء فى تطهير القناة وتعميقها ، وبعدها نستطيع أن نخدم الدول التى تستعمل القناة والأمور بعد ذلك تسير . لكن هذا من وجهة نظرى . ألم أقل لك بأننى رجل واقعى ؟ عند هذا الحد من الممكن أن يحضر أحد من عندكم - أية دولة تتدخل . أو حتى الموضوع يروح لرياض(***) ، أو حتى واحد يهودى .

دونالد بيرجيس : إن هذه الفكرة هزتنى كفكرة ثورية خصوصا عندما أتذكر ما كانت تفكر فيه حكومتكم من قبل . وأنا فى أواخر شهر نوفمبر أو ديسمبر وكنت فى نيويورك اتكلمت مع الزيات(****) واقترحت عليه شىء من هذا القبيل . وطلبت منه أن يبلغ هذا الاقتراح . ومن وقتها وأنا لم أسمع شىء ، وكل الذى سمعته انهم قالوا هنا بأن هذه مؤامرة أمريكية لفصل قضية القناة عن بقية القضية .

(*) يقصد موعد انتهاء المدة المحددة لوقف إطلاق النار .

(**) فى هذه النقطة خرج السيد « عبد المنعم أمين » عن الخطوط التى رسمها الرئيس « أنور السادات » والتى ذكرها هو من قبل فى حديثه لـ « بيرجيس » .

(***) يقصد السيد « محمود رياض » وزير الخارجية فى ذلك الوقت .

(****) يقصد الدكتور « محمد حسن الزيات » وكان مندوبا دائما لمصر لدى الأمم المتحدة فى ذلك الوقت .

عبد المنعم أمين : أيوه . أيوه . الاقتراح الخاص بالقناة هذا جه منى أنا .

دونالد بيرجيس : أيوه . أيوه .

عبد المنعم أمين : خد بالك الشيء اللى احنا خايفين منه انه بمجرد أن نبدأ فى تطهير القناة بعد كده انتم تستريحون ولا يوجد شيء يقلقكم . لكن على أية حال الاتصالات الشخصية تقوم بدور فعال . والتأكيدات التى تقدمها حكومتكم . فإذا أنتم سمحتم بتطهير القناة فإنكم بعد ذلك سوف تبذلون قصارى جهدكم فى اتمام عملية الانسحاب وغيره ومن سيناء وغيرها .

دونالد بيرجيس : أيوه . أيوه . سبق لنا ان احنا قمنا بجس النبض فى مثل هذا الموضوع ولم يصلنا أى رد .

عبد المنعم أمين : شوف . كل الجماعة المسئولين دول فى الحكومة يعنى من النوع المرتبط .

دونالد بيرجيس : (مقاطعا) أيوه . من الطراز القديم (ضاحكا) .

عبد المنعم أمين : ليسوا من الطراز القديم ، بل ...(*) .

دونالد بيرجيس : (مقاطعا) نرجع إلى موضوع الاستجابة حاليا ومدى استجابة الرئيس نيكسون للرئيس السادات . أنا وصلتنى رسالة اليوم من الرئيس نيكسون وطلب منى أسلمها للرئيس السادات وأن أرجوه أن ينظر لها نظرة جدية . وأن الرئيس نيكسون يشارك الرئيس السادات فى مشاعره . لكن عدم الاستجابة العلنية سببها تهدئة المشاعر التى ثارت فى أمريكا بسبب الهجوم على السياسة الأمريكية . نحن لم نيأس مما يقوله الرئيس السادات عنا أحيانا . ونحن نعلم بأن الرئيس السادات فى حاجة شديدة كى يقوى من سلطته فى البلاد . ونحن نعتقد بأنه صادق النية وأن بعض ما يقوله عنا نتيجة لبعض المشاكل وهذه شكليات . وأنا أعتقد أنه فى استطاعة الرئيس السادات أن يجعل الرئيس نيكسون يقدر موقفه الحالى . وأنا باعتقد بأن الرئيسين يشتركان فى الكثير من موقفهما الداخلى ، فكليهما تولى الحكم فى أعقاب هزيمة(**) . ان ماسكى عندما كان فى القاهرة أخيرا أعجب به إلى حد كبير . وان الناس فى أمريكا بما فيهم الرئيس كانوا يتكهنون عما سوف يحدث فى مصر بعد وفاة الرئيس ناصر . ولكن الرئيس السادات تصرف بطريقة دستورية هادئة بغض النظر عما يقال . وأنا مقدر له تفضله باستقبالى فى اليوم السابق لعيد ميلاده . وأنا فى نفس الوقت مقدر لخوفه من أن يستمر احتلال سيناء وتصبح قضية مثل مسألة كشمير . وأظن أنه مهتم بمسألة سيناء ويعتبرها قضية مستقلة بذاتها عن القضية الفلسطينية كلها .

عبد المنعم أمين : أيوه .

دونالد بيرجيس : وأنا بذلت قصارى جهدى كى أوضح ذلك لحكومتى ، وأنا سوف أستمر فى عرض وجهة النظر هذه .

عبد المنعم أمين : حسنا .

(*) من الواضح أن السيد ، عبد المنعم أمين ، كان يريد أن يتحدث عن الأوضاع داخل مجموعة الحكم ولم يشأ ، بيرجيس ، أن يقحمه أحد فى ذلك .

(**) يقصد سنة ١٩٦٧ بالنسبة لـ ، السادات ، وفيتنام بالنسبة لـ ، نيكسون ، .

دونالد بيرجيس : اللى حقوله لك هذا يمكن شىء فى منتهى الصراحة - أنا خدمت هنا زهاء ٥ سنوات من ١٩٦١ حتى ١٩٦٥ . ثم عدت مرة أخرى فى عام ١٩٦٧ وكانت فيه مشاكل ضخمة واجهناها مع الرئيس ناصر . وكان دايما حاطط فى دماغه ان الولايات المتحدة تعمل ضده - أنا اتكلمت مع الرئيس ناصر فى عام ١٩٦٨ ، وهو قال لى بصراحة اننا نعمل ضده - بعد ذلك أنا أحضرت له خطاب من الرئيس جونسون . وكان خطاب شخصى موضح . ولم يصدقنا . (ضحك الاثنان) .

دونالد بيرجيس : لكن هذه مسألة راحت لحالها . وأنا أفتكر ان الشك فى نوايانا كان دايما عقدة الرئيس ناصر .

عبد المنعم أمين : العقدة اللى كانت عنده انه كان شكاك جدا . شكاك فى كل شىء وفى كل واحد . كان شكاك جدا جدا - ولما تعرض عليه حاجة واضحة تماما ودوغرى كان يقول طيب وليه كده ، وايه الفايدة التى ستعود على الشخص من هذا . أقصد بانه كان عنده شك جدا . وليس هذا فقط فانه أراد أن يجعل كل شىء لفايدته هو ومن أجل مكانته - هو اعتقد بانه لو تحدى أمريكا بهذا الشكل فان هذا يرفعه .

دونالد بيرجيس : (ضاحكا) .

عبد المنعم أمين : لأ . ده صحيح . هو كان رانده التحدى ، وهو استخدم هذا التحدى من أجل تنفيذ أغراضه الشخصية لمكانته . لم يفعله من أجل أغراض بلاده أو من أجل العرب أو للعالم أجمع ، ولكن فى سبيل رفعته هو شخصيا .

دونالد بيرجيس : حسنا . لكنه كان رجل عظيم .. عظيم جدا . أيوه .

عبد المنعم أمين : كان راجل عظيم لأنه جلب مشاكل ضخمة لبلاده(*) .

دونالد بيرجيس : من نواحى عديدة فانه يشبه ديجول وأنا أشير هنا إلى موقف ديجول من العلاقات الفرنسية الأمريكية . ديجول كان أيضا يشك فى نوايا وسياسة الولايات المتحدة .

عبد المنعم أمين : نعم . نعم . ديجول رجل عظيم .

دونالد بيرجيس : (مقاطعا) فيه حاجة واحدة لو انك أوضحتها للرئيس . أود لو كان عنده أدنى شك من ناحية أى شىء فيجب ألا يسكت عليه . إذا اعتقد أن المخابرات المركزية بتدبر شىء ضد مصر مع السعودية أو مع أى دولة أخرى - يجب ألا يكتمه فى نفسه ويسكت . أنا مستعد أجيب رئيس المخابرات المركزية هنا فى مصر ويقعد مع رئيس الجمهورية ، ومعهما رئيس مخابرات مصر ، ويجلسوا ويطرحوا الموضوع لأنه مهم فى مثل هذه الفترة ازالة الشوائب .

عبد المنعم أمين : طبعا . وأنا سوف أنقل هذا - بس شوف هو متحاوط ، يعنى محلقين عليه بالحكومة القديمة بتاعة ناصر ، والذين كانوا متعودين على العداء . دائما عداء عداء عداء . وهم أرادوا أن يحافظوا على مواقفهم ومراكزهم .

(*) ! ! !

دونالـد بيرجـيس : طبعا فيه معارضين .

عبد المنعم أمين : معارضين أيوه . لكن لحسن الحظ هو عرف انه من الضرورى ان يتخلص منهم واحد وراء واحد - لكن برضه غلطاتهم لا زالت تؤثر عليه . فمثلا هم قالوا له بأن الأمريكيين كانوا يفضلون زكريا محيى الدين . هو قال لى هذا - هو قال لى الأمريكيين لن يقوموا بشىء من أجلنا لأنهم بيفضلوا زكريا . بعد ذلك أنا قلت كلا هم لا يفضلون زكريا . هذه أشياء أنا أقولها لك ويجب أن تظل بيننا .

دونالـد بيرجـيس : أيوه . أيوه . لكن شوف ما قام به الرئيس السادات حتى الآن جاء بطريقة سليمة . وأنا فى اعتقادى بأن اختياره للدكتور فوزى اختيار سليم . فهو رجل له أفكار ثاقبة وليس هناك شخص واحد يستطيع بالمرة أن يتهم الدكتور فوزى بأن له أية أطماع شخصية . وكان اختيار الرئيس السادات له أول وأحسن فكرة .

عبد المنعم أمين : أيوه . الدكتور فوزى رجل ايجابى .

دونالـد بيرجـيس : هذا صحيح . أنا خابرت الدكتور فوزى زهاء سنوات طويلة .

عبد المنعم أمين : أيوه . مفيش موضوع واحد يمر عليه الا اذا كان مدروس ويستحق .

دونالد بيرجـيس : (مقاطعا) على فكرة خد بالك انه دبلوماسى .
(ضاحكا)

عبد المنعم أميـن : أنا مش واخد بالى انك انت كمان دبلوماسى .
(ضاحكا)

دونالـد بيرجـيس : ولا أنا .

(فترة علا فيها صوت موسيقى فى الغرفة) .

دونالـد بيرجـيس : المهم أن تبقى هذه العلاقة وأن نكون على اتصال » .

. . . .

. . . .

(كانت بعض مواضع الحوار مثيرة للعجب !)

□

وكانت مقابلة السيد « عبد المنعم أمين » مع « يوجين ترون » أصعب ، لأنه فى حين كان التحفظ باديا فى المقابلة مع « دونالد بيرجيس » - كانت المقابلة مع « ترون » أوضح وأصرح . ولعل السيد « عبد المنعم أمين » كان يعرف قواعد اللعبة . فالحديث مع القائم بالأعمال - أو غيره من رجال السلك الدبلوماسى - واصل إلى وزارة الخارجية ومكاتبها البيروقراطية ، وأما الحديث إلى مسئول المخابرات المركزية الأمريكية فهو واصل من رئاسة الوكالة إلى مجلس الأمن القومى - إلى مستشار الرئيس للأمن القومى - ومن ثم إلى الرئيس مباشرة .

وكان السيد « عبد المنعم أمين » ومعه « يوجين ترون » - يتحدثان وأجهزة الالتقاط دائرة ، وأجهزة التسجيل تلاحق .

ويضع رئيس المخابرات العامة تفريغا للشريط داخل ملف ، على نحو ما فعل فى شريط تسجيل المقابلة مع « دونالد بيرجيس » ويبعث به للعرض .

عندما بدأ التسجيل كان الحديث بين الأثنين قد اتصل فعلا . وهكذا يجىء الجزء المسجل من الحوار وكأنه اتصال بعبارات قيلت من قبل :

يوجين ترون : إلى أى مدى تستطيع السير ؟

عبد المنعم أمين : إنهما يستطيعان أن يناقشا المواضيع التى يطلبها(*) من وراء ستار .

يوجين ترون : بعد المناقشة ماذا يتم ؟

عبد المنعم أمين : فى الامكان مناقشة ذلك بعد الوصول إلى حل لوقف اطلاق النار . انه لا يريد أن يمد وقف اطلاق النار ما دام الموقف على ما هو عليه ، وبدون تسجيل أى تقدم فى الموقف نحو حل ، وبدون أن يعرف إلى أى مدى سوف يضحى .

يوجين ترون : لابد وأن يقدم كل طرف من أطراف النزاع تنازلات . وهذا ما طلبناه نحن من اسرائيل . وقلنا لهم بأن هذه التنازلات يجب أن تصدر عنهم لأنهم هم المحتلين الأراضى . اننى سوف أتكلم معك ، واذا لم نستطع الاتفاق فاننى أطلب منك شيئا واحدا وهو أن يظل ما قلناه سرا بيننا . هل أنت على صداقة شخصية مع الرئيس ومع بقية أعضاء الحكومة ؟

عبد المنعم أمين : أنا الآن كما كنت على اتصالات شخصية بالجميع .

يوجين ترون : اننا جميعا وحتى المستر بيرجيس لدينا أمل كبير فى الرئيس السادات ، والبلاد فى حاجة لحل مشاكلها الاقتصادية . وقدر كبير من ميزانية مصر يذهب إلى الدفاع الأمر الذى لا يتناسب مع أعباء البلاد الاقتصادية ، ولابد من اتخاذ اللازم نحو تقليل المصروفات الدفاعية والتى لا تتناسب مع دخل البلاد ومع احتياجاتها . ونحن سئمنا من الموقف الحاضر ، وكل ما نريده هو عقد السلام مع حكومة مستقرة وخاصة بعد أن تولت فى مصر حكومة قديرة يمكن أن تقود الرأى العام إلى تسوية سلمية . والوضع الآن هنا أحسن مما هو فى ليبيا أو فى سوريا بالنسبة لتسوية سلمية . وكل ما تهدف اليه أمريكا هو السلام ومع حكومة مستقرة . وهذا الهدف (هدف حكومة مستقرة) هو ما أقلقنا فى الحقيقة عقب وفاة ناصر . ان المشكلة كلها تعتبر مشكلة عاطفية أخذت تجر أذيالها طوال ٢٠ عاما . وأحوال الفلسطينيين تزداد سوءا مما أدى إلى قيام المتطرفين منهم بأعمال كان من نتيجتها ما صارت اليه أحوال العرب فى الوقت الحاضر . والولايات المتحدة كانت رغم خلافاتها مع ناصر مطمئنة إلى أنه شخصية قوية . والآن نحن لا نعرف .

عبد المنعم أمين : تعليق بعبارة غير واضحة (فى التسجيل) .

يوجين ترون : نحن لا يهمنا مع من نتفق . انما الذى يهمنا هو أن يكون الاتفاق مع طرف قوى وقادر على احترام اتفاقه ، وكفاية ما حدث من نقض للوعود ، ليس فقط خلال الثلاث سنوات

(*) لم يتضح من هو الشخص الذى يناقش الموضوعات المطروحة من وراء ستار ، ومن المحتمل أن يكون المقصود هو « دونالد بيرجيس » .

الأخيرة وانما طوال ٢٠ عاما . والحقيقة أن ذلك لم يكن من طرف مصر وحدها بل كان من طرف الجانبين . (ضحك الاثنان) .

ان السبب الرئيسى فى أن نتفاهم الآن هو أن نعرف ما سوف يحدث فيما بعد . فقد أصبح أمامنا موقف دخل فيه الروس ، وليس ذلك فقط بل دخلوه بقواتهم . وماذا هم يهدفون من وراء ذلك كله ؟ أن الروس يستغلون المشكلة الاسرائيلية ، وهم يرتكبون مجازفات ومخاطر من أجل السير بالموقف إلى حافة الهاوية . وماذا بعد ذلك ، هل العرب قادرين على السوفيت ؟ وماذا وراء نفاذهم إلى البحر الأبيض بمثل هذا الوضع ؟ أن الطريقة الوحيدة لحصر نفوذهم هو السلام بين العرب واسرائيل . وأمريكا تستطيع وروسيا لا تستطيع أن تعمل لصالح العرب . هناك أعداد ضخمة من الروس هنا ، وهذا يقلق أمريكا جدا ويجب أن يقلق العرب . والروس يراوغون فى المحادثات الثنائية أو فى محادثات الدول الأربع الكبرى . وهم لاحظوا بأننا أثناء المفاوضات نتحدث معهم على أساس خروجهم . وماذا يحدث لو أن الروس رفضوا الخروج إذا ما تأخر السلام - طبعا لن يكون الموقف مناسبا بالمرة .

عبد المنعم أمين : أنا أريد أن أؤكد لك بأن الروس غير مرغوب فيهم هنا بالمرة(*) .

يوجين تـرون : هل هذا هو رأيك الشخصى ؟

عبد المنعم أمين : أنا لم أقابل شخص واحد فى مصر يحب الروس .

يوجين تـرون : أنا أعتقد فى صحة ذلك . وسمعت من جهات مختلفة وليس فقط من مصريين . ولو أنا سمعت من شخص مصرى فقط لاعتقدت أن المصرى الذى يقول لى ذلك يريد أن يدخل على السرور . لكن أنا سمعت ذلك أيضا من مختلف الجنسيات من يوغوسلافيين ومن هنود وغيرهم وغيرهم . وكذلك من مختلف التكتلات وهم جميعا قالوا لى بأن مصريين قالوا لهم ذلك . طبعا فيه للروس بعض نواحى لا بأس بها . لكن بعد أن وصل عددهم لمثل هذا الحجم فسوف يصبح من الصعب عليهم أن يتصرفوا بطريقة طيبة الآن ولا حتى بعد السلام .

نحن ساعدنا مصر كثيرا بعد الثورة وعرضنا عليها المساعدات العسكرية كذلك . لكن ناصر رفض أن نرسل مستشارين عسكريين كما هو الحال دائما مع جميع الدول التى تتلقى مساعدتنا العسكرية . لكن ناصر رفض وخشى أن نتجسس على نظم دفاعه . نظم دفاعه ايه لو كانت أمريكية . كيف نتجسس عليها ؟ (ضحك) التدهور فى علاقة بلدنا مع مصر بدأ منذ ذلك الحين . أنا لا أوافق على تقديرات الاسرائيليين فقد كانت موضوعة بطريقة لم تأخذ فى حسابها دخول الروس عسكريا بهذا الشكل . لكن دخولهم بهذه الطريقة يزيد صعوبة التسوية السلمية . أهم سبب يعوق التسوية السلمية هو التواجد الروسى وبمثل هذا العدد .هل مصر لا تزال تستخدم التشكيلات الروسية ؟

عبد المنعم أمين : (أجاب بعبارة غير واضحة ولكن يبدو أنه عبر فيها عن وجود نقص لقطع الغيار) .

يوجين تـرون : طبعا نحن نعرف من ناحية قطع الغيار فهذا من أيام ١٩٦٧ .

(*) ! ! !

عبد المنعم أمين : لا بد أن تفعلوا شيئا يوقف الروس من التسلل إلى جميع أنحاء القارة الأفريقية . ولابد أن تفعلوا شيئا يجعل اليهود يتوقفوا عن عدائهم للعرب .

يوجين تـرون : أنا أسلم أن أمريكا كانت على خطأ فى تعاملها مع العرب وبدون عدل ومن سنة ١٩٤٧ أيام ترومان - لكن من ناحية لابد وأن تأخذ فى الاعتبار ما عاناه اليهود خلال ٢٠٠٠ سنة . هناك ظلم وقع على اليهود ولايقارن بالظلم الذى وقع على العرب . بالرغم من ذلك فالشىء الذى تريده أمريكا هو الوصول إلى حل يرضى الطرفين ، وهذا لصالح المصريين . أنا لا أقول المصريين ضعاف لكن لو قامت حرب الآن وعلى نطاق واسع فان اسرائيل هى التى ستنتصر . ربما هذا النصر سوف يكلفهم أكثر مما كلفتهم حرب ٦٧ . وهذا صعب عليهم لأنهم دولة صغيرة ولا داعى لكل هذه الخسائر فى الأرواح من الجانبين . والمنطقة فى حاجة ماسة إلى كل هذه المصروفات التى تضيع فى السلاح . ونحن فى أمريكا مع كل ثروتنا نعلم مدى ما تكبدناه فى حرب فيتنام . والرئيس نيكسون مهتم بتحقيق تسوية لأزمة فيتنام لأنه ربما يعيد ترشيح نفسه فى انتخابات ٧٢ . والرئيس نيكسون والسادات يستطيعان القيام بشىء فى أزمة الشرق الأوسط ، ولو نجحا فسوف يؤدى ذلك إلى تقوية مركزيهما فى الداخل . ربما أن الرئيس السادات يفكر الآن متأملا فى وضع الامريكيين واحتمال مناوراتهم . لكن لابد وأن يكون متأكدا من أن حكومتنا جادة حاليا ، وكل ما تقوله تعنيه من ناحية مساعيها لحمل الاسرائيليين على الانسحاب وفق التسوية السلمية .

ان هناك نتائج طيبة كثيرة سوف تترتب على التسوية السلمية . فهذه سوف تؤدى إلى تقوية الدول العربية سياسيا . ثم أن أمريكا تهدف إلى التوسع فى التعامل الاقتصادى مع العرب . وأنا أريد أن أؤكد بأن أمريكا اقترحت مد وقف اطلاق النار لأنها تعلم أن ذلك فى صالح العرب أيضا .

عبد المنعم أمين : نحن نريد تغيير الموقف لأن الشىء السىء فيه هو أن أمريكا تزود اسرائيل بالأسلحة فى الوقت الذى تحتل فيه أرض عربية .

يوجين تـرون : أنا عارف هذا ، وان اسرائيل قوية . وأريد أن أقول ان اسرائيل تطلب الصواريخ المتقدمة ويتذرعون بأن روسيا تقدم لمصر كذا وكذا وكيت وكيت من أحدث الأسلحة . وهم يريدون أن يكون لديهم وفر من هذه الاسلحة على المدى الطويل ومن هذه الأنواع المتقدمة أيضا . ان المصريين متأكدين من أنهم يستطيعون الاعتماد على التأييد السياسى للروس . لكن لازم تعرفوا أن لو أن الأمور سارت على غير ما نريد فى الأمم المتحدة فاننا سوف نستخدم حق الفيتو فى مجلس الأمن . ان أمريكا مستمرة فى تزويد اسرائيل بالسلاح . وسوف تستمر حتى سنة ١٩٧١ لأن لنا معهم ارتباطات مستمرة حتى يوليو القادم . على أى حال لا يمكن ترك التسوية ليارنج . يارنج حاول أن يسافر إلى تل أبيب دون تشاور مع أمريكا . واسرائيل رفضت طلبه . يكفى مضيعة للوقت . وعلى أى حال لابد من تسجيل تقدم فى الشهر الحالى .

عبد المنعم أمين : ان الأمل على الأمريكيين فى قيامهم بضغط على الاسرائيليين كى يقوموا بشىء يمكن أن يؤدى إلى حسن التفاهم أو إلى تهيئة الجو .

يوجين تـرون : يمكن أن يكون مثلا بعد أن توافقوا على تبادل أسرى الحرب(*) .

(*) يقصد الأسرى خصوصا من الطيارين فى معارك « أسبوع تساقط الطائرات السريع » (يونيو ويوليو ١٩٧٠) .

عبد المنعم أمين : لا ليس من هذا النوع – المطلوب شىء على الطبيعة بمجرد أن يبدأ مثلا انسحاب يمكن أن يبدأ تطهير القناة فى وقت مبكر قبل أن يتم انهاء المشكلة كلها .

يوجيـن تـــرون : انتم مركزين كله على الانسحاب وعلى عمليات تطهير القناة ؟

عبد المنعم أمين : ولم لا ؟ أنا أؤكد لك بانه لو استغرقت عملية الانسحاب نصف سنة أو سنة فخلال هذه السنة أو أية مدة سأكون أنا على استعداد لقبول بقية البنود .

يوجيـن تـــرون : أنا لا أعرف لماذا – اذا تم شىء متبادل أو شىء من هذا القبيل ؟

عبد المنعم أمين : شىء متبادل يعنى زى ايه ؟

يوجيـن تـــرون : الانسحاب إلى أربعين كيلومترا .

عبد المنعم أمين : ان هذا الانسحاب يعنى انسحابنا نحن يبقى سرا(*) .

يوجيـن تـــرون : يعنى ما ينشر عنه هو انسحابهم فقط .

عبد المنعم أمين : ما يعلن هو أن القوات الاسرائيلية انسحبت وحلت محلها قوات مصرية عند بورسعيد وغيرها ، ثم أن قوات أمريكية وروسية وبريطانية وفرنسية على الخطوط الآن بين هذه القوات المصرية والقوات الاسرائيلية .

يوجيـن تـــرون : هل تعتقد بأن نشر شىء فى البلاد عن أن القوات المصرية هى الأخرى انسحبت يكون له أثر سيىء ؟

عبد المنعم أمين : نعم .

يوجيـن تـــرون : وما هى الآثار السيئة عن الاعلان عن ذلك ؟

عبد المنعم أمين : فيه بين الدول العربية الأخرى متعصبين سوف يعلنون إذا ما انسحبنا بأننا تخلينا عن أراضينا .

يوجيـن تـــرون : وهل سيقال هذا فين ؟ فى العراق ؟ فى سوريا ؟

عبد المنعم أمين : فى العراق . لا فى سوريا .

يوجيـن تـــرون : هل يهمكم ما تقوله العراق ؟ وخاصة بعد مانشروه أخيرا ؟ هل عرفت ما قاله العراقيون منذ حوالى عدة أسابيع مضت ؟ أن صحف العراق كتبت تقول بأن محمد حسنين هيكل مخابرات مركزية أمريكية . (ضحك) بكل تأكيد أمامنا الآن موقف لا تهتم المصالح المصرية فيه لما يقوله العراقيون لأنهم كل ما هناك يتكلمون وهم لا يعانوا من أية خسائر ، وجميع العرب يعرفون ذلك ، ولم يأخذوا على عاتقهم تولى أية مسئولية ، وكل ذلك كان بسبب الخلافات التى وقعت بينهم وبين سوريا شغلوا أنفسهم فيها . الأردنيون يعمل حسابهم أكثر لأنهم هم الذين قاموا بعمل كبير . أعتقد المهم من هذه الناحية هم الليبيين وأنتم فى حاجة إلى المساعدات المالية وربما أن القذافى أم هذا لا تحملون همه أيضا ؟

(*) ! ! !

عبد المنعم أمين : كلا لا أعتقد ذلك .

يوجين ترون : لست أدرى لماذا يتحدث الاسرائيليون الآن مرددين كلمة الحرب ، انهم يتكلمون عنها كثيرا الآن ، ولماذا يعلقون أهمية عليها ، ربما أن الموضوع خاص بعدد قليل من الناس ، هل تقترح حدوث أى اتمام شىء أو شيئين فى وقت واحد ؟

عبد المنعم أمين : ولم لا ؟

يوجين ترون : انهم يفكرون فى ذلك كطريقة كما قالوا أنها تحسن الجو ، وكبداية لمحادثات يارنج . ومن تحرياتنا نحن هناك عدد من الطيارين (الاسرائيليين الأسرى فى مصر) فى حالة صحية سيئة ولا يستطيعون العودة إلى الطيران وهذا سبب لقلق كبير ، وعلى ذلك ليس لمصر أن تقلق نتيجة لشىء من هذا . ومرة أخرى ليس على اسرائيل شىء تخسره كما قلت أنت ، وكذلك أنتم لن تخسروا شيئا .

عبد المنعم أمين : نعم .. نعم .

يوجين ترون : اذن أنت موافق على انسحاب الطرفين ؟

عبد المنعم أمين : أيوه . أيوه . »

ولم يحدث شىء ، ولم يكن معقولا بهذه الوسائل والأدوات أن تتحقق أهداف أو غايات . وللحق فإن « أنور السادات » منذ البداية لم يكن مقتنعا بهذه التجربة ، ولعله سمح بها من باب « الحركة فى وضع الوقوف » ، طالما التقدم إلى الأمام صعب ، والعودة إلى الوراء مستحيلة !

الفصل الرابع

الحرب بين القول والفعل



كان الأسبوع الأول من فبراير يقترب ، ومعه الموعد المحدد المعلق فى الهو اء كسيف خرج من غمده وارتفع ، وهو يوم ٦ فبراير ، موعد انتهاء الأجل المحدد لوقف إطلاق النار . وكان هناك فى مصر طرفان لكل منهما قول فى الأمر :

● قول يذهب إلى أنه لا مفر من كسر وقف إطلاق النار فى الموعد المرتقب ، مهما كان أو يكون .

وكان لأصحاب هذا القول أسبابهم ، وقد تشرحها وثيقة سجلوها بأنفسهم لهذه الأسباب . فقد عقدوا اجتماعا حضره السادة « على صبرى » - و « محمود رياض » - والفريق أول « محمد فوزى » - و « عبد المحسن أبو النور » - و « شعراوى جمعة » - و « محمد فائق » - و « سامى شرف » .

ولم يدع الرئيس « السادات » إلى اجتماعهم ، ولم يعرف عن تفاصيله شيئا فى وقته .

وتظهر أهم اتجاهات هذا القول فى موجز عن وقائع هذا الاجتماع فى ثلاث صفحات كتبها وزير الدولة لشئون رئاسة الجمهورية بخط يده ، وكان نصه كما يلى :(*)

(*) صورة من الصفحتين الأولى والثانية لمحضر هذا الاجتماع بخط يد وزير الدولة لشئون رئاسة الجمهورية ، وهى موجودة فى ملحق صور الوثائق تحت رقم (٢٣) - على صفحة ٧٦١ من الكتاب .

« سرى للغاية
موجز

اجتماع السادة :

على صبرى
عبد المحسن أبو النور
محمود رياض
شعراوى جمعة
محمد فائق
الفريق أول محمد فوزى
سامى شرف

بقصر القبة يوم ١٩٧١/١/٢٠ من سعت ١٩٣٠ حتى سعت ٢١٠٠ »

ثم يلى ذلك صلب الموجز ، وهو على النحو التالى :

« فيما يلى أهم النقاط التى تحدث فيها السادة المجتمعون - مع ملاحظة أن التسجيل غير واضح ، والآتى ما أمكن تجميعه .

(تحدث) الفريق أول محمد فوزى (فقال) :

- إذا تصدق بإعادة فتح النيران فسيادته سينفذ بالطاقة الكاملة الحالية .

إن المعركة القادمة لا يمكن اعتبارها محدودة فقط ، ويجب الأخذ فى الاعتبار أنها قد تؤدى إلى حرب شاملة .

(تحدث) السيد محمود رياض (فقال) :

- إن تحركا سياسيا آخر لا فائدة فيه فقد بذل كل ما يمكن من جهود فى كسب الرأى العام العالمى حتى وصل إلى الذروة المتاحة والذى يتناقص بعد ذلك فى حالة تمديد وقف إطلاق النار ... وأى تحرك سياسى قادم سيكون المقابل له « ما تمدوا وقف إطلاق النار كمان » .. وانه فى حالة فشلنا (وقبلنا بمد وقف إطلاق النار) فسوف نخسر الرأى العام والجبهة الداخلية وكل شىء . والجيش نفسه سوف لا يكون له قيمة .

- واقترح سيادته أن يعلن فى مناسبة ما قبل ٥ فبراير القادم بأنه لن يتم تمديد وقف إطلاق النار ، وأن الجيش متروك له أن يختار الوقت المناسب من أجل تحرير الأرض .

(تحدث) السيد على صبرى (فقال) :

- ضرورة التجهيز لردع العدو فى حالة استئناف اطلاق النار .

(تحدث) السيد عبد المحسن أبو النور (فقال) :

- لخص الموقف منذ ٣ سنة حتى الآن .. وتساءل فى حالة استئناف النار هل سيكون على شكل استنزاف كالسابق أم هناك شكل جديد ... وطلب أن يوضع فى الاعتبار ردع العدو .

- واقترح - ردا على تساؤل السيد سامى شرف حول ماذا يعلن للشعب يوم ٥ فبراير - اقترح أنه يمكن القول بأننا اتصلنا بيارنج ولم نصل إلى نتائج فى الحل السلمى ... وعليه لن نمد وقف إطلاق النار ، وإن كنا على استعداد لإعادة الاتصالات .

بمعنى أنه رغم أننا لن نمد فترة إيقاف إطلاق النار ولكن لا زلنا على استعداد للحل السلمى . »

وإذا كان هذا الموجز تلخيصا دقيقا للمناقشات التى دارت فى اجتماع ٢٠ يناير ١٩٧١ ، فإن قضية « الحرب والسلام » كانت مظلومة بواقع أن حقائقها كانت أكبر بكثير من تناولها !

● **وكان هناك قول آخر** للرئيس « أنور السادات » ، والواقع أنه هو الذى كان مطالبا بما هو أكثر من القول .

كان ما زال يحاول أن يتحرك فى مكانه ، وضمن المعادلة الصعبة التى وجدها تحاصره ويزداد حصارها رغم كل جهوده . فهو ما زال بعد ثلاثة شهور من رئاسته لا يستطيع المضى إلى الأمام ، ولا يملك الرجوع إلى الخلف ، ويستحيل عليه أن يبقى فى مكانه بدون حركة .

ومع ذلك فقد كان لزاما عليه أن « يفعل شيئا » خصوصا والموعد المقرر لانتهاء وقف إطلاق النار (٦ فبراير) يقترب بسرعة كأنه قطار منطلق بأقصى سرعة على قضبان الحديد ، بينما هناك رجل واحد ووحيد وضعته مقاديره على الخط !

ويوم ٢٥ يناير ١٩٧١ قام الرئيس « السادات » بدعوة « محمد حسنين هيكل » إلى لقائه ، فقد كان يريد أن يناقش معه خطوط خطابه أمام مجلس الأمة يوم ٤ فبراير ، وأهم ما فيه أنه كان مطالبا فى سياقه بأن يعلن موقفه الرسمى من وقف إطلاق النار : يكسره أو يلتزم به لمدة أخرى ، أو ماذا ؟

وخلال الحديث ، وقد دار فى ركن مشمس من حديقة استراحة الرئاسة فى القناطر - ظهر أن تفكير الرئيس « السادات » وصل إلى مبادرة يريد إعلانها :

● إنه يريد أن يطالب إسرائيل علنا بإتمام انسحاب جزئى لقواتها من الضفة الشرقية للقناة خلال ثلاثين يوما كمرحلة أولى ضمن جدول زمنى محدد لتنفيذ قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ .

● وإذا تحقق ذلك ، فهو على استعداد للعمل فورا على البدء فى أعمال تطهير قناة السويس وفتحها للملاحة (وكان تقديره أنه بذلك يأخذ فى جانبه النقيضين : السوفيت وشركات البترول الأمريكية - إلى جانب الحصول على دخل القناة لكى يخفف من أعباء المعركة على الناس) .

● إنه بذلك يفتح بابه لمحاولات السفير « جونار يارنج » يدخل منه إلى حل كامل بتسوية الأزمة على أساس القرار ٢٤٢ .

وكان التعليق الذى يطرح نفسه تلقائيا هو : « إن مبادرته ربما يجرى تفسيرها باعتبارها استجابة لمشروع « ديان » الذى أعلنه قبل عدة أسابيع » .

وكان رد الرئيس « السادات » أن « ما يهمه أن تتحرك الأمور ، وأن ينفك قيد الجمود الذى يحاصر الأزمة الآن » . ثم أسعفته الذاكرة بواقعة قريبة ، فاستطرد يقول :

- « تتذكر أن « جمال » قبل بمبادرة روجرز لأنها مشروع أمريكى عليه العلم الأمريكى ، وبالتالى فهو ملزم للولايات المتحدة (كما قال لبريجنيف) ، وأنا على استعداد لقبول مبادرة ديان لأنها بالضبط مبادرة ديان وهى بالتالى ملزمة . »

واحتاج الأمر إلى مناقشة طويلة كانت الحجة الرئيسية فيها للرئيس « السادات » أنه « بصرف النظر عن مصدر المشروع أو المبادرة ، فهو اقتراح يمكن الاستفادة منه ، لأنه يريد بكل وسيلة أن يتجنب أصعب جزء فى أى عملية عسكرية تقوم بها مصر ، وهى عملية العبور . ذلك لأن إسرائيل قامت بالفعل فى الشهور الأخيرة ببناء خط دفاعى حصين على حافة خط المياه (وهو خط « بارليف ») - وكل التقديرات أمامه تقول إن عبور مانع مائى بعرض قناة السويس ، ثم التعامل مباشرة مع خط تحصينات على حافته الأخرى ، يمكن أن يتسبب فى خسائر بعشرات الألوف . »

كان رأيه « إن طرح مشروع يحقق انسحاب إسرائيل من خط المياه وخط « بارليف » ، ويحقق لمصر وجودا من أى نوع على الضفة الأخرى - سوف يوفر عليه فى المستقبل مخاطر العبور . إنه لا يريد أن يفقد فى أول يوم من العمليات ما سمع أن الخبراء السوفيت يقدرونه بـ ١٥٪ من حجم القوات المشتركة فى العملية ... وإذن فهم عشرة أو خمسة عشر ألف ضابط وجندى . »

وسكت الرئيس « السادات » لحظة ثم قال :

- « لو استطعت أن أضع على الضفة الأخرى اثنى عشر رجلا يرتدون زيا رسميا مصريا ، حتى ولو كان زى عمال فنادق ، لاعتبرت نفسى سعيدا . »

كان يتحدث من قلبه ، وكان مقتنعا بفكرته ، وإلى حد كبير فقد كان يمكن فهم موقفه والتعاطف مع هواجسه فى ظروف لم تكن من صنعه . وكان أكثر ما يعطى وزنا لمحاولته هو واقع أن الإمداد السوفيتى بالسلاح يصل إلى مصر - وقتها - بالقطارة .

□

وفى الساعة العاشرة والنصف من صباح يوم ٤ فبراير واجه الرئيس « السادات » موقفا عصيبا شهده صالون رئيس الجمهورية فى مجلس الأمة ، ذلك أن الذين كانت فى يدهم مفاتيح القوة والسلطة عرفوا بما ينوى قوله فى خطابه ، وأقاموا له على حد تعبيره « محاكمة ميدانية » .

وفى نصف الساعة السابقة على دخوله إلى قاعة مجلس الأمة لإلقاء خطابه ، كانت صفحات هذا الخطاب مبعثرة على مائدة ، والأيدى ممتدة إليها تتناولها بالشطب والتعديل . وجرى ذلك كله أمامه ، وحاول أن يشرح دون فرصة .

ومن الإنصاف أن يقال إن بعضهم وجدها هرطقة لا يمكن قبولها ، وربما أن البعض الآخر كان قد أعاد ترتيب أوراقه ، وصف تحالفاته ، والاستعداد للمواجهة المؤجلة .

وكانت تحت أيديهم محاولته مع « كمال أدهم » – وقد عرف موقفهم منها .

وأضيف إليها تقارير تفريغ أشرطة الأحاديث مع « دونالد بيرجيس » و « يوجين ترون » ولم يكن يعرف شيئا عنها .

والآن جاءت مبادرته ، وقد أضافت إلى الشبهات ما يرقى بها إلى درجة القرائن .

وكان المأزق أن الذين راحوا يعدون له قائمة الاتهامات ، لم يكن لديهم – كما تظهر تسجيلات اجتماعهم نفسها – بديل يقدمونه له وللبلد إلا تصورات غائمة ، وإلا زيادة فى الاعتماد على الاتحاد السوفيتى فى وقت لم يكن فيه الاتحاد السوفيتى جاهزا لأية مسئوليات إضافية ، وإلا حوائط جديدة من العزلة فى مناخ شعبى كان يتشوق إلى نافذة مفتوحة تدخل منها نسمة هواء نقى .

وعلى أى حال فإن الرئيس « السادات » يومها تمسك بموقفه قدر المستطاع ، وقال ما أراد أن يقوله فى معظمه .

☐

وفى يوم ٨ فبراير أعلن السفير « جونار يارنج » صيغة تقدم بها إلى الطرفين ، وكان تقديره – بتشجيع من الدول الكبرى – أن الموافقة عليها تفتح الباب لتسوية شاملة . وكانت صيغة « يارنج » كما يلى :

١ – إعلان من إسرائيل – بالتزامها الانسحاب إلى حدود مصر الدولية ومن غزة ليعود الوضع إلى ما كان عليه قبل حرب يونيو ١٩٦٧ .

٢ – تعهد من مصر – بتوقيع اتفاق سلام مع إسرائيل يتم فيه النص على إنهاء حالة الحرب ، والاعتراف بحقها فى الوجود ، والاعتراف بحق كل دولة فى العيش بسلام داخل حدود آمنة ومعترف بها ، والعمل على منع أى أعمال عدوانية من أراضى كل دولة ضد الأخرى ، وعدم تدخل أى طرف فى الشئون الداخلية للطرف الآخر ، وضمان حرية الملاحة فى مضيق « تيران » بناء على ترتيبات خاصة بالنسبة لشرم الشيخ .

وفى ظرف أربع وعشرين ساعة أعلن السيد « محمود رياض » – وبعد مداولات شارك فيها كل الذين اعترضوا على خطاب الرئيس فى مجلس الأمة – عن قبول مصر لصيغة « يارنج » .

وبادر وزير الخارجية الأمريكى « ويليام روجرز » إلى اعتبار مبادرة الرئيس « السادات » – مضافا إليها رد السيد « محمود رياض » على « يارنج » – خطوات إيجابية . وتحرك « روجرز » بسرعة يحاول إقناع إسرائيل بأن تتروى قبل أن تبدى فيها رأيا ، وأن تلاحظ أن كلمة « اتفاق

سلام » – ترد لأول مرة فى ورقة مقبولة من مصر ، وكان الكلام كله قبل ذلك عن « ترتيبات تعاقدية » .

□

ويسترعى النظر أنه فى يوم ٤ مارس الذى حل فيه أجل الثلاثين يوما التى وردت فى خطاب الرئيس « السادات » (٤ فبراير) والتى وعد بالامتناع طوالها عن إطلاق النار – أحست الولايات المتحدة أن هناك من يقترب من طبول الحرب إستعدادا لدقها . وهكذا طلب المستر « دونالد بيرجيس » القائم على رعاية المصالح الأمريكية فى مصر موعدا مع السيد « سامى شرف » وزير الدولة لشئون رئاسة الجمهورية ، وتوجه إلى مقابلته فى نفس اليوم فعلا – فى الوقت الذى أصدر فيه السكرتير العام للأمم المتحدة نداء إلى كل الأطراف يناشدها ضبط النفس .

وكتب وزير الدولة لشئون رئاسة الجمهورية مذكرة من خمس صفحات عن المقابلة(*) ، قسم ما دار فيها إلى ١٤ نقطة جاء فيها على لسان « دونالد بيرجيس » قوله :

« ● إننا شخصنا ردكم على يارنج بأنه إيجابى ، ونحن لا نعتقد أن الرد الإسرائيلى إيجابى .

● ونحن ننوى مواصلة جهودنا لتحقيق تسوية سلمية عن طريق مواصلة حوارنا مع الإسرائيليين .

● نريدكم أن تعرفوا أن هذا سوف يستغرق وقتا ، ومن المهم أن ج.ع.م(١) لا تفعل شيئا يستطيع الطرف الآخر اعتباره استفزازيا .

وإن ردكم على يارنج – ولا بد أن تدركوا هذا – قد خلق انطباعا عالميا ممتازا ، ونظن أن ج.ع.م . لو قامت بعمل استفزازى أو عبرت عن عدم رغبتها فى الالتزام بنداء من السكرتير العام بضبط النفس فإن هذا سوف يضر بشدة .

● لا يزال رأينا أنه إذا كان هناك تقدم يمكن إحرازه لتسوية سلمية فيجب أن يجىء هذا كنتيجة لعمل يارنج بالاتصال مع الأطراف .

● إن حكومتكم سوف تتذكر أننا أعربنا عن تحفظاتنا تجاه تحديد الثلاثين يوما للامتناع عن وقف إطلاق النار – وقد تعتقدون أن هذه التوقيتات مهمة لأنها تضع ضغطا علينا والعكس هو الذى يحدث .

● نحن نأمل أنه فى الاستجابة لنداء السكرتير العام والقوى الأربعة الكبرى أن ج.ع.م. سوف تستجيب بطريقة ودية وتمد وقف إطلاق النار بدون توقيت محدد .

● نريدكم أيضا أن تعرفوا أنه سوف يأخذ وقتا للقيادة الإسرائيلية والشعب الإسرائيلى

(*) صورة للصفحة الأولى من هذا التقرير بخط يد وزير الدولة لشئون رئاسة الجمهورية موجودة فى ملحق صور الوثائق تحت رقم (٢٤) – على صفحة ٧٦٣ من الكتاب .

(١) اختصار لاسم « الجمهورية العربية المتحدة » (مصر) .

ليتفهموا تماما معنى وقيمة موقف ج.ع.م. - فالإسرائيليين مازالوا تحت صدمة الرد الإيجابى ولا يدركون بعد معناه .

- هذا سيأخذ وقتا ، ولكن خلال هذا الوقت أنتم تدركون أنه طالما كانت مقترحاتكم البناءة قائمة - كما أنه ليس هناك رد إيجابى من الطرف الآخر ، فأنتم فى الموقف الأقوى .
- لا يجب أن تشكوا فى موقفنا بالنسبة لمضمون التسوية ، ونحن لا نريد اصدار نداءات ديستويفوسكية أو تولستوية ، وهذا سهل ، ولكننا نريد تحقيق نتائج .

وإننا تحملنا أمامكم بمسئولية وسوف نفى بهذه المسئولية ، وليس من الضرورى أن نعطى بيانات خطابية وإنما نريد أن يتحقق ناتج لجهودنا ، والناتج الذى نريده هو انسحاب إسرائيل من كل الأراضى المصرية إلى الحدود الدولية وفقا لما جاء فى مقترحات يارنج[٢] .

□

وأبلغ الرئيس « أنور السادات » بفحوى هذه الرسالة - واعتبرها دليلا على نجاح مبادرته .

وأكسبه ذلك ثقة بالنفس ، كما اعتبره دليلا على نجاح سياسته كفيل بإقناع الآخرين جميعا بأن يتركوا له الفرصة لتجربة تصوراته عن إمكانيات الحل السلمى .

لكن ذلك الحال لم يدم طويلا ، لأن الصراع كان على السلطة ، ثم جاءت قضية الحرب والسلام وتربعت وسط ساحة هذا الصراع . والذى حدث أن القضية أعيد طرحها من جديد متصلة بمجموعة من الاعتبارات ، وكانت فى معظمها اعتبارات صحيحة ، وربما كان البعض مقتنعا بها بدوافع وطنية - لكن الموقف كان أكبر من مشاعر الوطنية ، فقد كان موقفا له - إلى جانب المشاعر - حقائقه السياسية والعسكرية .

وهكذا فإنه ما كاد شهر مارس ١٩٧١ يقترب من نهايته حتى بدأ الإلحاح مرة أخرى فى موضوع كسر وقف إطلاق النار . وانعقد اجتماع لمجلس الأمن القومى يوم ٢٦ مارس ، ودارت فيه مناقشات واسعة .

مناقشات حول ما يفرضه الالتزام الوطنى ، وحول ما تقتضيه الكرامة المصرية والعربية ، وحول سلامة النظام نفسه إذا بدا تقاعسه عن مطلب تحرير الأرض ، مضافا إلى ذلك خطر أن تبرد حرارة الأزمة بتأثير استمرار الهدوء على جبهة القتال .

وفيما بدا من مسار الاجتماع فإن الرئيس « أنور السادات » وجد نفسه ضمن أقلية يمكن أن توصف بـ « الانهزامية » ، وقرر أن يجارى ، والنتيجة أن الاجتماع انتهى إلى قرار بكسر وقف

---

(٢) الخط تحت هذه الجملة الأخيرة للتأكيد رسمه كاتب المذكرة وهو السيد « سامى شرف » وزير الدولة لشئون رئاسة الجمهورية فى ذلك الوقت .

إطلاق النار فى الأسبوع الأخير من شهر ابريل ، والبدء فى عمليات عسكرية على طول الجبهة باستعمال كل الوسائل « المتاحة حاليا » على حد تعبير الفريق أول « محمد فوزى » .

ووجد الرئيس « أنور السادات » نفسه فى حالة حصار - كان تعبيره عنها بقوله « إنهم يحاولون تكتيفى باليدين والرجلين » .

ولم يكن على استعداد لقبول السلاسل أو الحبال - وراح يتلفت حوله باحثا عن مخرج أو مهرب .

□

كانت حالة الحصار المحيطة بالرئيس « أنور السادات » وقتها أكثر استحكاما من مجرد مواجهة قرار بالحرب فى وقت لم تتوافر له امكانياته سياسيا وعسكريا ، وحتى نفسيا . فقد كان الصراع على السلطة يكاد يتحول إلى فتنة تلوح أشباحها فى اجتماعات التنظيم السياسى ، وفى مجلس الأمة ، بل وفى مجلس الوزراء .

وكان « أنور السادات » قد راح يتحسب لموقف حسم قد يصطدم به فى أى وقت من الآن ، وكان هاجسه هو : القوات المسلحة ، وماذا يكون موقفها فى حالة انطلاق المدافع أو حالة سكوتها !

ومساء يوم ٣٠ مارس دعا الرئيس « أنور السادات » - « محمد حسنين هيكل » إلى مقابلته فى بيته بالجيزة ، وقد وجده « هيكل » جالسا فى ركن من الحديقة أقيم عليه كشك صغير من الخشب ، وقد رقد أمامه كلبان ضخمان من كلاب الـ « وولف » من النوع الذى يطلق عليه "Black Jacket" بسبب سواد لون فروة الظهر . وحين همهم الكلبان لاقتراب زائره ، راح « أنور السادات » يربت على ظهرهما مطمئنا ، وقد بدا أنه مشغول الخاطر والبال .

وراح الرئيس « السادات » يتحدث عما جرى فى اجتماع مجلس الأمن القومى ، ثم وصل فى النهاية إلى هواجسه بشأن موقف القوات المسلحة وعرض له بصراحة كاملة .

وطرح « محمد حسنين هيكل » رأيه ، ومؤداه :

« ١ - أنه قد يكون من المستحسن تطويق الفتنة بالحكمة ، وتهدئة المشاعر وطمأنة الخواطر ، لأن البلد لا يتحمل فى ظروفه الراهنة صراعات سلطة عنيفة - وأن واجبه أن يحاول ولا يكف عن المحاولة - فإذا نجحت محاولاته فهذا أفضل - وإذا لم تنجح فالشرعية فى جانبه .

٢ - أنه ليس للرئيس - أغلب الظن - ما يخشاه من جانب الجيش ، فهذا الجيش أعد نفسه لمهمة معينة ، ولن يقبل أن يزج به فى صراع داخلى خاصة وأن الصورة كلها معروفة خصوصا على مستوى القيادات .

٣ - أنه عندما يعرف موضوع الإشكال بينه وبين الآخرين ، وهو لابد معروف إذا استحكم الخلاف ، فإن القوات المسلحة التى تعايش الحقيقة ، سوف تكون فاهمة لموقفه ومقدرة ، وبالتالى فلن يسهل على أحد أن يلهب المشاعر والعواطف ، لأن الجميع يدرك أن الوطنية والشجاعة معا فى

حاجة إلى ماهو أكثر من الشعارات ماداموا قد رأوا بعيونهم أن القيادة المحاذرة والمحتاطة تملك الإرادة القادرة على التحضير والتنفيذ .

٤ - أنه من باب الاطمئنان فانه من الواجب عليه أن يتحدث فى الموضوع صراحة مع الفريق « الليثى ناصف » قائد الحرس الجمهورى ، فهذا الحرس لديه كتيبتان من الدبابات ، وهو يستطيع إذا ألم بجوانب الموقف أن يحمى رئيس الدولة ، ويجعل أى تفكير فى التعرض له بالقوة - عملية مكلفة .

٥ - أنه من باب الزيادة فى الاطمئنان ، فإنه من الضرورى له أن يتحدث فى الموضوع صراحة مع الفريق « محمد أحمد صادق » رئيس أركان حرب القوات المسلحة ، ذلك أن « صادق » عارف بالأحوال ، ولن يقبل باقحام الجيش فيما لا دخل له فيه . وفى كل الظروف فإن وزير الحربية لايستطيع تحريك لواء واحد بدون أمر يصدره رئيس أركان الحرب .

٦ - أنه فى مطلق الأحوال فان البلد من حقه أن يفرغ وينتهى من هذا النوع من صراعات القوى الخفية ، وأن يتجه قدر الإمكان إلى مجتمع مفتوح تتحقق فيه سيادة القانون فوق مراكز القوة ، وليست تلك منة أو منحة ، فقد أصبحت القوى الاجتماعية التى ولدتها الثورة أكبر من كل السلطات التى تحاول تنظيم حركتها أو احتواءها ، وهذا أمر تحدث فيه « جمال عبد الناصر » نفسه .»

واقتنع الرئيس « السادات » بهذا المنطق ، وقد بدأ - من باب الاحتياط - بما هو حال وعاجل ، ورأى أن يتصل هو مباشرة بقائد الحرس ، وكانت صلته به حتى هذه اللحظة عن طريق وزير الدولة لشئون رئاسة الجمهورية .

وأما فيما يتعلق بالفريق « صادق » فإن الرئيس « السادات » طلب إلى « محمد حسنين هيكل » أن يقوم بالاتصال به باعتبار صلات ود بين الاثنين سابقة ، ذلك أنه يخشى لو استدعاه أن تظهر نواياه ، فى حين أن لقاءه مع الفريق « الليثى ناصف » سوف يبدو طبيعيا فى إطار العلاقة بين رئيس الجمهورية وقائد الحرس الجمهورى .

وفى ظرف عدة أيام كان الرئيس « السادات » قد قابل الفريق « الليثى ناصف » الذى أثبت « رجولته » - على حد وصف الرئيس « السادات » - فقد قال له « إنه كجندى ملتزم سوف يقوم بواجبه مع الشرعية الدستورية ، وإن كان يرجو من الرئيس أن يبذل كل جهده حتى لا تصل الأمور إلى درجة الصدام بينه وبين « الجماعة » . »

وكان موقف الفريق « صادق » قريبا من ذلك ، فقد كان يعرف حقيقة ما دار فى اجتماع مجلس الأمن القومى ، وكان واثقا أن أى عمل عسكرى فى هذه اللحظة سوف يؤدى إلى كارثة أسوأ من سنة ١٩٦٧ . وقد أراحه كثيرا أن يعرف أن الرئيس « السادات » وافق على قرار الحرب « الفورية » فى مجلس الأمن القومى مضطرا - لكنه (الرئيس) فى خاتمة المطاف لن يسمح لقرار يراه غير مسئول - بأن يجد طريقه إلى التنفيذ .

وكان السؤال الذى يلح على الفريق « صادق » هو : « ولكن كيف يمكن للرئيس أن يعدل عن موافقته على قرار الحرب وقد اتخذ بأغلبية ساحقة فى اجتماع مجلس الأمن القومى ؟ »

٢

كان الرئيس « أنور السادات » مناورا بارعا ، وكانت مهاراته السياسية تتفوق على نفسها حين تكون الحركة بالمناورة ، وفى المأزق الصعب الذى كان ينتظره على أول منحنى من الطريق فى أواخر ابريل ١٩٧١ - توصل إلى خطة شديدة البراعة والكفاءة ، وكان هو بيقين صاحبها و « مبدعها » !

تذكر الرئيس « السادات » أن اتفاقا من حيث المبدأ لإقامة وحدة ثلاثية بين مصر وليبيا وسوريا - نوقش وأعد له مشروع شبه نهائى فى شهر يونيو سنة ١٩٧٠ ، وبحضور واشتراك « جمال عبد الناصر » ، حين كان يزور طرابلس - للمرة الأولى والأخيرة فى حياته - ليحضر احتفالات الجلاء الأمريكى عن قاعدة « هويلس » .

وأثناء الزيارة ، وفى غمار الحماسة المتدفقة ، جرى حديث القوة العربية - واستدعى حديث القوة حديث الوحدة ، وهو حديث أثير لدى العقيد « معمر القذافى » الذى أعلن فى مؤتمر شعبى أمام « جمال عبد الناصر » يوم ٢٢ يونيو ١٩٧٠ - « إن الوحدة العربية لم تعد مطلبا عاطفيا فحسب ، بل أصبحت ضرورة لقهر العدوان وتحرير فلسطين » .

وطرح العقيد « القذافى » فكرته على بساط البحث جديا ، واقترح « جمال عبد الناصر » الانتظار حتى تنتهى الاحتفالات ومن ثم يعود الجمع بحديث الوحدة إلى بنغازى لمناقشتها جديا هناك . وفى بنغازى كانت التصورات المبدئية أن تضم الوحدة كلا من مصر وسوريا وليبيا والسودان .

ولم يكن اللواء « جعفر نميرى » رئيس السودان مستعدا لفكرة الوحدة ، واقتصرت مناقشة الموضوع على الدول الثلاث المستعدة لمناقشته .

وكان « جمال عبد الناصر » - لأسباب متعددة - على استعداد لأن يقبل نوعا من الإطار الوحدوى . وبالفعل جرى إعداد الخطوط العريضة لمشروع طرح للدراسة والمناقشة ... ثم رحل « جمال عبد الناصر » عن الدنيا فجأة يوم ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ .

□

وحدث بعد ذلك فى شهر نوفمبر ١٩٧٠ - وفى جو الوحشة والفراغ والإحباط بعد رحيل « جمال عبد الناصر » - أن أعاد العقيد « القذافى » طرح الموضوع أثناء اجتماع مصرى - سورى - سودانى - ليبى جرى عقده كمظاهرة تأييد لمصر وللرئيس « السادات » .

وكان الرئيس « جعفر نميرى » لا يزال على رأيه كما جرى التعبير عنه من قبل - ثم إن الرئيس « حافظ الأسد » زادت حماسته للفكرة ولتنفيذها بسرعة ، وكانت له فى ذلك أسباب شرحها ، بينها :

– أن اليأس والإحباط الذى أصاب الجماهير العربية باختفاء « جمال عبد الناصر » ، يمكن إعادة الأمل إليه بخطوة وحدوية .

– أن دور « جمال عبد الناصر » لا يملؤه رجل واحد ، وإنما يجب أن تتكاتف شعوب بأكملها لسد الثغرة وملء الفراغ .

– أن إقامة دولة الوحدة يحمل نوعا من التكريم لـ « جمال عبد الناصر » وذلك بتحقيق مشروع شارك هو بنفسه فى وضع إطاره المبدئى .

وتشعبت الأحاديث ، واتفقت واختلفت ، وتأجل البحث إلى اجتماع قادم بين الثلاثة : « السادات » و « الأسد » و « القذافى » .

□

وفجأة وفي أواخر مارس ١٩٧١ – وبينما الرئيس « السادات » يواجه مأزق قرار الحرب (فى الأسبوع الأخير من ابريل طبقا لما تقرر فى مجلس الأمن القومى المصرى) – تذكر مشروع الوحدة وإطارها الذى سبق وضعه ، وإذا هو يعيد الاتصال بالرئيس « حافظ الأسد » والعقيد « معمر القذافى » ، ثم يتفق على اجتماع فى طرابلس يوم ١٦ ابريل ١٩٧١ . ومع فجر يوم ١٧ ابريل – الساعة الثانية صباحا – وقع الثلاثة ما أسموه « اتفاق اتحاد الجمهوريات العربية المتحدة » – وبعد أن وقعوا قرأ الثلاثة الفاتحة دعاءً لنجاح الاتحاد ، وترحما على « القائد الخالد جمال عبد الناصر » .

ووجه الرئيس « أنور السادات » خطابا إلى الأمة وهو مازال بعد فى طرابلس قال فيه :

« إن إعلان قيام دولة الوحدة الكبرى خطوة عظيمة على طريق الوحدة ، وتدعيم للقدرة على خوض صراع المصير ، وتكريم للشهداء والأبطال الذين خاضوا معاركنا على مر التاريخ ، ثم هو تحقيق لأمل كبير عمل من أجله واستشهد فى سبيله بطل من أبطال هذه الأمة ، وهو « جمال عبد الناصر » . »

وعاد إلى القاهرة ومعه نصوص الاتفاق ، ومعه أيضا الترتيبات الضرورية لتنفيذه .

وكانت فى انتظاره عاصفة .

□

كان الرئيس « السادات » ينتظر العاصفة وقد توقعها ، وليس من المبالغة القول إنه كان على استعداد لأن يرحب بها ، وقد ساعدته على ذلك الظروف .

كان سبب العاصفة أن الذين كانت فى يدهم مفاتيح القوة والسلطة فى مصر أدركوا أن إعلان قيام الوحدة وإجراء استفتاء شعبى عليها فى مصر – كما فى سوريا وليبيا فى شهر سبتمبر المقبل –

سوف تسبقه وتلحقه عملية انتخابات للتنظيم السياسى ولمجلس الأمة عى أساس أن دولة جديدة سوف تقوم وبدستور جديد ومؤسسات جديدة .

ومعنى ذلك أن قواعد القوة والسلطة ، على الأقل فى الجانب السياسى منها ، أى التنظيم السياسى والمجلس النيابى ، قد تطرأ عليها تغييرات تمس الموازين الراهنة ، وكلها فى صالحهم . والآن ، والرئيس الجديد يتمرس ويتمكن أكثر بعد سبعة شهور فى القصر الجمهورى – فإن حبل الأمور قد يفلت .

وجرت مناوشات فى اجتماعات اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى العربى ، وجرت محاولات لإرغامه على التراجع بقوة قواعد القوة والسلطة السياسية ، ولم يكن على استعداد للتراجع .

ومع أن القلق استبد بالرئيس « السادات » فى بعض الأيام – إلا أنه كان يعرف أنها معركته الكبرى ، يصعد بعدها إلى القمة بغير منازع ، أو ينزل ويختفى مع النسيان .

وفى اليوم الذى بلغت فيه العاصفة ذروتها ، غادر اجتماعا للجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى العربى وتوجه إلى بيته ، وليلتها كان مأخوذا بتوتر الموقف إلى درجة أنه لم يكن قادرا على مجرد الكلام !

لكنه فى اليوم التالى تمالك أعصابه ، وكان المعسكر الآخر قد لجأ إلى المدفعية الثقيلة ، وهى القوات المسلحة والتلويح بها .

وقدم إليه وزير شئون رئاسة الجمهورية مذكرة غطاها بخطاب مختصر بخط اليد ، جاء فيه بالحرف :

« السيد الرئيس
احترامى
أتشرف بأن أرفق طيه تقرير رأى عام من القوات المسلحة برجاء التفضل بالنظر .
مع فائق احترامى .

سامى شرف
٧١/٤/٢٠ »

ثم تجىء فى الصفحات التالية نصوص التقرير على النحو التالى :

« تقرير رأى عام
قوات مسلحة

(١) تساؤل عام عن الحكمة فى إعلان الاتحاد فى المرحلة الحالية التى تجتازها بلادنا .
(٢) كيف يؤتمن البعث السورى الذى تسبب فى الانفصال وهدم الوحدة الأولى ، وأفشل الوحدة الثلاثية مع العراق سنة ١٩٦٣ .

(٣) سوريا مرتبطة بمخطط أمريكى يهدف إلى جرنا إلى معركة ونكسة أخرى .
(٤) إن الرئيس القذافى صغير السن ويفتقر إلى الحكمة والخبرة ، وقد يترتب على تصرفاته مستقبلا جرنا إلى مشاكل داخلية وخارجية ، وبالتالى إفشال الاتحاد .
(٥) الإعجاب بموقف الرئيس نميرى فى تفضيله علاج أوضاع السودان الداخلية والخارجية بما يتفق مع مصالح السودان أولا قبل الانضمام إلى الاتحاد .
(٦) هذه العملية فيها تحويل لاهتمامات الجماهير بما فيها القوات المسلحة إلى مواضيع غير المعركة .
(٧) الانطباع العام أنه ليست هناك معركة قبل ٧١/٩/١ .
(٨) التعليق على تاريخ ١٧ نيسان والفاتح من سبتمبر بما يمس هيبة مصر ، لأن هذه التواريخ لا تعبر عن النطق المصرى لها .
(٩) ما تأثير هذه العملية على السودان وهو هام جدا لمصر .
(١٠) واضح الشكل السورى على الأحكام ، وأن مصر لم تأخذ الثقل الكافى فى الورقة .
(١١) ليبيا ليس فيها قوات مسلحة .
(١٢) خسارة السودان استراتيجيا .
(١٣) كيف سيترجم العدو معنى الاتحاد ، وما تأثير الاتحاد على سيناء .
(١٤) القيادة العسكرية ليست ظاهرة فى الإعلان .
(١٥) المظهر براق والجوهر سيىء .
(١٦) نقل القوات .
إذا صدر قرار بالأغلبية سننفذ ، وما تأثير ذلك على توزيع قواتنا فى اطار المعركة .
(١٧) مصر هى التى تتحمل العبء كله .
(١٨) لا ثقة إطلاقا فى حزب البعث .
(١٩) ما جابوش ليه حق الهجرة ؟ ماذا استفادت مصر ؟
(٢٠) تساوى الأصوات ظلم على مصر .
(٢١) لمن ولاء القوات المسلحة ؟
(٢٢) يفضل الاتفاق بعد المعركة .
(٢٣) أصبحنا دولة تابعة (الأغلبية فى القرارات) .
(٢٤) سيتعثر حماس القوات المسلحة .
(٢٥) كتافنا حاتتعب من كثرة الشيلة .
(٢٦) الدولة الاتحادية هى الادارة الرئيسية للتحرير وإحنا وقعنا خلاص ، فالتحرير لن يتم إلا بعد الاتحاد .
(٢٧) ستحصل إسرائيل على حس هذا الاتحاد على أسلحة جديدة ونبقى لا طلنا حل عسكرى ولا حل سلمى .
(٢٨) تعليقا على المادة ١٣ .
ازاى يتم اتحاد بين دول متشككة فى بعضها .
(٢٩) مصر أصبحت الآن ملتزمة بالدفاع عن البعث السورى ضد الشعب السورى .
(٣٠) ليبيا والاتحاد السوفيتى .
(٣١) هذه الاتفاقية خداع استراتيجى .
(٣٢) احتمالات تكتل عربى رجعى وسحب المعونة السعودية .
(٣٣) سوريا تريد تدمير ج.ع.م . ولن تحارب معنا .

(٣٤) سوف تتحمل مصر الخسارة وليس المكسب .
(٣٥) لا مكاسب من هذه العملية فى عالم يحسب كل شىء الآن بالماديات .
(٣٦) بصفة عامة الموقف يعتبر سلبى فى مجموعه . »

كان « تقرير الرأى العام من القوات المسلحة » - شبه إنذار أولى بقنابل الدخان والغاز المسيل للدموع ، ولكن الرئيس « أنور السادات » الذى كان واثقا من تأكيدات قائد الحرس الجمهورى الفريق « الليثى ناصف » ، وواثقا أيضا من الاتصالات مع رئيس هيئة أركان الحرب الفريق « محمد أحمد صادق » - تلقى شبه الإنذار فى هدوء . وقد كتب على غلاف التقرير بخط يده تأشيرة طالت حتى أنه استكمل نهايتها فى أعلى الصفحة وفوق بدايتها ، ورسم سهما يقود من البداية إلى النهاية . كانت تأشيرته ، وأهمية نصها أنها كانت انعكاسا لثقته المتزايدة بنفسه ، تقول بالحرف :(*)

« لا بد من حملة توعية فورا تعتمد على :
١ - سوريا الجبهة الشمالية وفيها الطيران والردع .
٢ - هجمة الرجعية العربية فى المنطقة بقيادة الملك حسين المؤيد بسلاح أمريكا .
٣ - تآمر العراق والأردن والسعودية على سوريا كخطوة نحونا .
٤ - نظرية فكى الكماشة : سوريا ومصر لبن جوريون - حتى ولو لم يحارب السوريون (٥ فرق) خيال مآتة .
٥ - الأسد موثوق به وليس كبقية البعث .
٦ - الدستور سيأتى فيه الرد على كل شىء .
٧ - الإعلان الآن ضربة سياسية بعد أن ظنت إسرائيل أنها قد جمدت الوضع السياسى وتستعد لتشكيله .
٨ - لا يجب ذكر شىء عن الهجرة ، ويجب أن لا يكون منطقنا هو السيطرة والتعالى .

فى هذه الحدود

أنور »

كانت ثقته بالنفس فى محلها . وفى كل الأحوال فقد كان أول من يعرف أنه ليست هناك وحدة على الأفق القريب أو البعيد ، وأن هدفه الحقيقى هو الالتفاف من حول الذين كانوا يحاولون تكتيف يديه ورجليه ، ومحاصرته بمؤسسات سياسية ودستورية لا فاعلية لها إلا بمقدار ما توفره من غطاء لحقائق القوة والسلطة .

(*) صورة لصفحة تقديم التقرير عن الرأى العام فى القوات المسلحة إزاء مشروع الوحدة ، وقد وقعه وزير الدولة لشئون رئاسة الجمهورية . وكتب الرئيس « السادات » بخط يده تأشيرته الواقعة عليها - وهى موجودة فى ملحق صور الوثائق تحت رقم (٢٥) - على صفحة ٧٦٤ من الكتاب .

٣

لم يكن الرئيس « أنور السادات » يعرف وهو يكتب فى البند السابع من تأشيرته « أن اسرائيل جمدت الوضع السياسى وتستعد لتشكيله » – إنه قد اقترب من الحقيقة بأكثر مما تصور وقدر .

ففى تلك الأيام بالتحديد كان الصراع على عقل وقلب « ريتشارد نيكسون » قد بلغ مداه بين « ويليام روجرز » وزير الخارجية ، و« هنرى كيسنجر » مستشار الرئيس للأمن القومى ، وقد تركز الخلاف بالدرجة الأولى على الشرق الأوسط وأزمته ، فقد بدأ « كيسنجر » يلح منذ صيف ١٩٧٠(٣) على ضرورة الاعتماد على إسرائيل كحليف استراتيجى فى المنطقة . وراح « كيسنجر » يضع خطوط هذا التحالف فعلا بالتعاون مع « إسحاق رابين » ، وكان يومها سفيرا لإسرائيل فى واشنطن ، وكان من قبلها تلميذا لـ « كيسنجر » فى فصول دراسية للقادة أعدتها جامعة « هارفارد » . وكانت لـ « كيسنجر » وجهة نظر متكاملة عرضها على الرئيس الأمريكى(٤) – مؤداها :

١ – أن وزير الخارجية ووزارته يورطون الرئيس فى أزمة لم تنضج بعد للحل .
٢ – أنهم يركزون اتصالاتهم على مصر والأوضاع فيها غير مستقرة ، فهى بكل الشواهد مقبلة على صراع سلطة .
٣ – أن معلومات كثيرة تشير إلى أسباب لسوء الفهم تتراكم بين العرب والاتحاد السوفيتى . فالعرب يطلبون باستمرار مزيدا من الأسلحة ، والاتحاد السوفيتى لا يستطيع أن يجاريهم بسبب عدم اطمئنانه للأوضاع ، وبسبب عدم رغبته فى صدام مع الولايات المتحدة .
٤ – أن أى تسوية تساعد الولايات المتحدة على تحقيقها لابد أن تقصد إلى توفير عنصرين :

- تقوية الدول التقليدية فى العالم العربى (وليس الأنظمة الثورية) .
- إحراج الاتحاد السوفيتى (تمهيدا لطرده من منطقة الشرق الأوسط تماما) .

٥ – أن الرئيس « نيكسون » قد طلب التمهيد لعقد قمة بينه وبين « بريجنيف » ، وهو يريد هذه القمة لأسباب داخلية وخارجية ، ومن المنطقى الاحتفاظ بأزمة الشرق الأوسط وبحثها فى الإطار العالمى لها .
٦ – أن هناك ترابطا linkage بين الأزمات ، فقد « نأخذ فى أزمة ونعطى فى أزمة أخرى » ، وبالتالى فإنه من المستحسن الاحتفاظ بأزمة الشرق الأوسط (حيث موقف السوفيت حرج) والمقايضة عليها فى أزمة فيتنام (حيث موقف الولايات المتحدة حرج) .

---

(٣) بعد حوادث خطف الطائرات التى تكررت بواسطة جماعات المقاومة الفلسطينية – وبعد الأزمة بين سوريا والأردن وقيام سوريا بإرسال دباباتها عبر الحدود الأردنية لمناصرة المقاومة الفلسطينية ثم اضطرارها إلى التراجع بعد أن أوشكت إسرائيل على التدخل المسلح .

(٤) رجاء مراجعة الجزء الأول من مذكرات « هنرى كيسنجر » بعنوان « سنوات البيت الأبيض » ، وأيضا كتاب « ويليام كوانت » : « حقبة من المفاوضات » .

٧ - أنه حتى فى حالة توصل جهود وزارة الخارجية إلى تسوية ، فمن المشكوك فيه أن يستطيع « السادات » توقيع اتفاق وتنفيذه ، فهو « بهلوان سياسى » (نص تعبير « كيسنجر » فى ذلك الوقت) .

٨ - أنه وهذا مجمل الأحوال - فإن السياسة الأسلم هى ترك العرب يغرقون فى مشاكلهم ، وتقوية إسرائيل بحيث تقدر بتفوقها عليهم أن ترغمهم على التوسل إلى الولايات المتحدة بطلب حل . وفى هذه الحالة فإن واشنطن تستطيع فرض سلامها فى منطقة حيوية بالنسبة لها . »

□

وكان « نيكسون » مستعدا للاقتناع بوجهات نظر مستشاره للأمن القومى ، ولكن « روجرز » راح يلح عليه أن يعطيه فرصة التجربة والاختبار ، لأن اقتراح الرئيس « السادات » يوم ٤ فبراير السابق لا يزال قائما . وإذا أمكن التوصل إلى تسوية مرحلية للأزمة (على أساس انسحاب جزئى ، وفتح قناة السويس ، والتفاوض لجدول زمنى لإتمام الانسحاب) - فان الرئيس « نيكسون » يكون قد حقق شيئا كبيرا فى مجال السياسة الخارجية يحسب له ، كما أنه يستطيع أن يأخذه معه إلى موسكو واجتماع القمة بينه وبين « بريجنيف » - كورقة فى صالحه باعتبارها نجاحا حققته السياسة الأمريكية فى قلب منطقة يعتبرها الاتحاد السوفيتى بؤرة حساسة بالنسبة له .

كان « نيكسون » صديقا قديما لـ « روجرز » - وهو يذكر له بالفضل دائما موقفه منه فى ساعات محنته وبعد سقوطه أمام « كنيدى » - فقد أحسن « روجرز » استقباله فى نيويورك وفتح له أبواب بيته ، ومهد له مع الصحافة الأمريكية وفى مقدمتها جريدة « الواشنطن بوست » التى كان « روجرز » محاميها الرئيسى .

وفى نفس الوقت ، فقد بدأ « نيكسون » يشك فى أن « كيسنجر » يقوم بحملة علاقات عامة لنفسه بحيث يصور للجميع أنه قيصر السياسة الخارجية الأمريكية فى عهد « نيكسون » ، وربما تمنى « نيكسون » لو أنه استطاع أن يحقق انتصارا فى السياسة الخارجية بعيدا عن قيصر إدارته !

وهكذا أعلن فى واشنطن أن وزير الخارجية « ويليام روجرز » سوف يقوم بنفسه بزيارة الشرق الأوسط بهدف البحث عن إمكانيات تسوية مرحلية ، أو حل جزئى كما كان يقال أيامها .

□

ومن المفارقات أنه بينما كان الإعلان عن زيارة « روجرز » إلى المنطقة يتم فى واشنطن ، كان الرئيس « السادات » يستقبل زائرا دق باب بيته بعد منتصف الليل يحمل إليه تسجيلات ما يجرى فى بيته وفى مكتبه . وكانت الأمور تتطور إلى مواجهة حاسمة بين الرئيس الجديد - والذى لم يعد جديدا بعد سبعة شهور فى القصر الجمهورى - وبين مجموعة القوة والسلطة المحيطة به والممسكة بكل المفاتيح . وكانت المعركة التى عرفت فيما بعد بـ « مؤامرة مراكز القوى » على وشك أن تدخل مرحلتها الحاسمة .

وكانت الطلقة الأولى فى المرحلة الحاسمة هى أشرطة التسجيل التى جاء بها زائر ما بعد منتصف الليل وسلمها للرئيس .

وكان عجيبا أمر هذه الفترة من سبتمبر ١٩٧٠ إلى مايو ١٩٧١ فى حياة مصر ، فقد بدا الكل منهمكا فى التسجيل بضرورة وبغير ضرورة ، لسبب وطنى أو لهوى شخصى ، وبلا داع وبلا سبب فى كثير من الأحيان .

الفصل الخامس

أجواء الشك !

١

كانت الطلقة الثانية فى المعركة بين الرئيس « أنور السادات » ومجموعة القوة والسلطة الممسكة بكل المفاتيح – هى قرار الرئيس بإبعاد السيد « على صبرى » من جميع مناصبه ، وكان من سوء الحظ أن هذا القرار تصادف فى توقيته مع الموعد المقرر لوصول وزير الخارجية الأمريكية « ويليام روجرز » . وبدا الإجراء – مع صداقة « على صبرى » المعروفة للاتحاد السوفيتى – وكأنه تضحية بكبش فداء على عتبة الباب قبل أن يخطو « روجرز » فوقها !

كان الخلاف بين الرئيس « السادات » والسيد « على صبرى » مستحكما فى حياة « جمال عبد الناصر » لأسباب طويلة ومعقدة ، وبعد رحيله فإن هذا الخلاف زاد استحكاما ، وإن قضى واقع الحال على كل من طرفيه أن يكتم مشاعره ويدارى .

ومع الأجواء الملبدة فى الشهور الأولى من سنة ١٩٧١ – كان رأى كل واحد منهما فى الآخر سرًّا ذائعاً على كل لسان !

ولم يكن رأى أى من الرجلين فى الآخر منصفا ، وإنما كان بينهما خلاف رؤى أضيف إليه صدام مطامح ، وربما كان هناك من استغل مشاعر التنافر بين الاثنين وغذاها بالشكوك .

ولما كان موقف القوات المسلحة – سواء بالنسبة للمعركة مع العدو الخارجى ، أو بالنسبة للصراع بين الأطراف الداخلية – هو عامل الحسم فى الحالتين ، فإن مسببات ما تراكم بين الاثنين خلال شهرى مارس وابريل ١٩٧١ – كانت على نحو ما وثيقة الصلة بالقوات المسلحة .

كان « جمال عبد الناصر » قد أعطى للسيد « على صبرى » رتبة فريق جوى ، وكلفه بمتابعة إعداد سلاح الطيران وسلاح الدفاع الجوى للمعركة ، بما فى ذلك أن يكون ضابط اتصال مع السوفيت ، وبالتحديد فيما يخص احتياجات هذه القوة الضاربة الحامية التى كانت لوازمها أهم البنود فى الاتفاقيات القائمة والجارية مع الاتحاد السوفيتى .

وفى تلك الأيام – وبعد رحيل « جمال عبد الناصر » – كانت النقطة الحرجة فى العلاقات بين البلدين هى إحجام السوفيت عن إرسال القاذفات الكبيرة من طراز « اليوشين ٢٣ » والتى كانت فى حسابات الجميع سلاح الردع الأساسى الذى يمكن أن يتوافر للقوات الجوية .

فهى قاذفة ثقيلة . بعيدة المدى . وبالتالى فإنها قادرة على الوصول إلى العمق الإسرائيلى ، والبقاء فى أجوائه لفترات طويلة حاملة أضخم ما يمكن من قوة النيران .

وكان التلكؤ السوفيتى فى تسليمها مكشوفا لا يحتاج أكثر من نظرة على مواعيد متلاحقة تقررت للتسليم ، ثم جرى إخلافها بأعذار بدت فى بعض الأحيان متناقضة ، وفى كل الأحوال غير مقنعة .

وسافر « الفريق الجوى على صبرى » إلى موسكو ومهمته الرئيسية طائرة الردع ، وعاد دون الحصول عليها ، وقدم إليه السوفيت اقتراحا غريبا مؤداه : « أن تظل طائرات الردع فى الاتحاد السوفيتى ، وأن تستعمل من هناك عندما تطلب القيادة السياسية المصرية ذلك فى حالة معركة . »

وأحدث هذا الاقتراح ردة فعل غاضبة لدى كبار قادة القوات الجوية ممن سمعوا به ، وكان سلاح الطيران فى ذلك الوقت تحت قيادة اللواء طيار « على بغدادى » .

وكانت حجج الغاضبين منطقية :

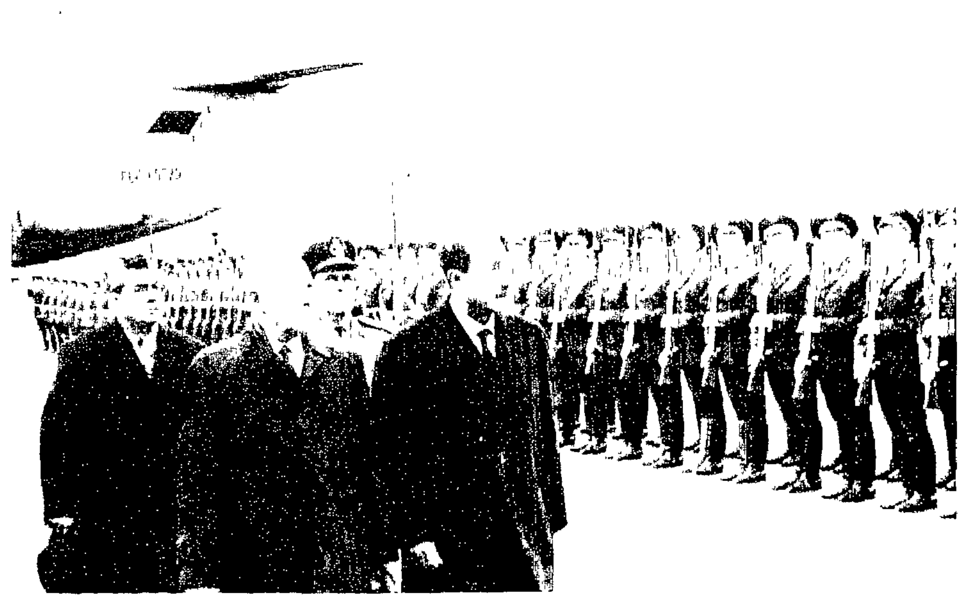
● أن عمليات الردع تجىء ضمن حركة فعل ورد فعل ، وليس معقولا مع تصاعد درجات القتال أن تعتمد القوات المصرية على سلاح موجود على بعد آلاف الأميال منها .

● وفى حالة الاحتياج إلى الردع ، فإن الاتحاد السوفيتى سوف يعطى نفسه الحق فى مناقشة ضرورات استعماله سياسيا – وهذا مؤكد مادام السلاح فى أراضيه وتحت سيطرته .

● أن قيام طائرات من الاتحاد السوفيتى متوجهة إلى ضرب أهداف فى إسرائيل معناه اشتراك الاتحاد السوفيتى عمليا فى المعارك . وهذا أمر يستحيل على السوفيت قبوله . وإذا حدثت المعجزة وقبلوه ، فإن المعجزة لن تتكرر وتقبله الولايات المتحدة الأمريكية .

● وإذن فإن استعمال سلاح الردع سوف يكون خاضعا للتوازنات بين القوتين الأعظم ، وهذا وضع لا يمكن التخطيط على أساسه فى مجرى قتال متحرك بين قوتين إقليميتين .

□



الرئيس السادات عند وصوله إلى مطار موسكو عام ١٩٧١ .

وأحس السوفيت أن هناك لغطا فى القوات المسلحة المصرية ، وبعثوا برسالة من القيادة السوفيتية إلى الرئيس « السادات » تطلب اجتماعا لمشاورات عاجلة .

وقرر الرئيس « السادات » أن يذهب بنفسه إلى موسكو ، وأن يحمل معه غضب قيادة القوات الجوية وغضبه هو أيضا ، وانتوى أن يتحدث بصراحة وإلى درجة القسوة ، فإذا نجح فى الحصول على ما فشل فيه « على صبرى » فهذا خير له وللمعركة – وإذا فشل فهى ذريعة أخرى أمام هؤلاء الذين يطالبونه ويضغطون عليه لاتخاذ قرار بكسر وقف إطلاق النار والمغامرة بمعركة لم تتوافر بعد – فى تقديره – ضروراتها .

وسافر الرئيس « السادات » يوم أول مارس إلى موسكو فى زيارة قررها سرية حتى يفاجىء الآخرين بالنتائج كيفما كانت ، وكان يحمل معه أهدافا أخرى غير طائرة الردع ، وأهمها أن يرى القادة السوفيت ، وأن يروه هم أيضا ويتعرفوا عليه فى وضعه ودوره الجديد كرئيس لمصر ، ثم أن يجد صيغة للتعاون معهم ، فإذا نجح استغنى عن دور « على صبرى » .

وعرف السيد « على صبرى » سر الزيارة رغم محاولات إخفائها عنه – ولكن المشكلة وقعت على جبهة أخرى لم يتحسب لها الرئيس « السادات » ، وهى رئاسة مجلس الوزراء .

ففى يوم سفر الرئيس « السادات » إلى موسكو طلبه الدكتور « محمود فوزى » تليفونيا لأمر عاجل ، وقيل له إنه خارج البيت ، فترك له رسالة « برجاء سرعة الاتصال به لأمر عاجل » .

وحتى اليوم التالى لم يكن رئيس الجمهورية قد اتصل برئيس وزرائه ، ثم علم رئيس الوزراء بمحض مصادفة أن رئيس الجمهورية فى موسكو . وكتب الدكتور « محمود فوزى » استقالة وزارته قائلا إنه « لا يرضى أن يكون رئيسا للوزراء إذا كان رئيس الجمهورية يغادر البلاد دون إخطاره » . وجرت محاولات لإقناع الدكتور « فوزى » بأن الموضوع ليس على النحو الذى تصوره . ولم يقبل الدكتور « فوزى » ومنطقه أنه « ليس لرئيس الجمهورية أن يخفى سرا يتعلق بوجوده أو بغيابه عن أراضى الدولة على رئيس وزرائه - وإذا لم يكن رئيس الوزراء موضع ثقة لمعرفة السر ، فإن الواجب تجاه المسئوليات العامة يقتضى مجيء رئيس وزراء يتمتع بقدر أكبر من الثقة ، أو يتمتع بنوع من الجلد السميك يسمح له بالتغاضى عن الأعراف » .

وقصارى ما أمكن التوصل إليه هو إقناع رئيس الوزراء بأن ينتظر عودة رئيس الجمهورية بعد ساعات ، ثم يذهب إلى لقائه ويتحدث إليه فى الأمر ، ويقدم له استقالته إذا أصر وجها لوجه مع الاتفاق معه على كيفية إعلانها حتى لا تحدث هزة سياسية لا ضرورة لها فى تلك الظروف !

□

وعاد الرئيس « السادات » بعد يومين من موسكو[1] واتصل تليفونيا بـ « محمد حسنين هيكل » (بعد الظهر يوم ٣ مارس) يروى له تفاصيل محادثاته مع القادة السوفيت .

ومن حسن الحظ أن الذين كانت فى يدهم مفاتيح القوة والسلطة كانوا يضعون تليفونه تحت المراقبة[2] كوسيلة من وسائل مراقبة الرئيس « أنور السادات » نفسه ، وهكذا فإن نص الحديث مسجل ضمن عدة ملفات لتسجيلات تليفونه يصل عدد صفحاتها إلى ٣٢١٩ صفحة[*] .

كانت نصوص هذا التسجيل بالذات تجرى على النحو التالى :

« تقرير عن حديث تليفونى
مكتب السيد محمد حسنين هيكل
رقم التليفون ٩١٩٩٩٥
الساعة ١٤:٢٠ يوم ٧١/٣/٣

الرئيس السادات : أهلا يا محمد ... ازاى الحال ؟
هيـــــــكل : الحمد لله كويس . حمدا لله على السلامة . انت أخبارك ايه ؟

---

(١) دعانى الرئيس « السادات » للسفر معه فى هذه الرحلة ، ورجوته قبول اعتذارى لأسباب بينها أننى لا أريد أن أكرر ما كنت أفعله مع « جمال عبد الناصر » ، وقد تفهم كريما .

(٢) لابد أن أعترف بالفضل لهم . ومع أنى كنت أحتفظ فى مذكراتى بإشارات سريعة إلى الأحاديث التليفونية الهامة ، فإن العثور على التسجيلات فيما بعد أعاد رسم الصور أمامى بجميع تفصيلاتها .

(*) بعض الصور من تقرير رقابة التليفونات عن محادثة بين الرئيس « أنور السادات » و« محمد حسنين هيكل » وفيها يروى الرئيس « السادات » تفاصيل زيارته التى عاد منها على التو من موسكو . وصور هذه الصفحات ذات الأهمية الخاصة موجودة فى ملحق صور الوثائق تحت رقمى (٢٦) و (٢٧) - على صفحتى ٧٦٥ ، ٧٦٦ من الكتاب .

الرئيس السادات : أنا بقى لى يومين ما قريتش أخبار . أنا من يوم ما مشيت ماخدناش جرايد الصبح . وامبارح بالليل جينا متأخر فمعنديش فكرة الدنيا فيها ايه .

هيـــــــكل : بقى ده كلام ؟

الرئيس السادات : والله .

هيـــــــكل : بالطريقة دى بتضحك عليه .

الرئيس السادات : وحياة ربنا يامحمد ماقريت حاجة خالص .

هيـــــــكل : طيب قل لى أخبارك ايه .

الرئيس السادات : يعنى .. ايه أخبار الدنيا أولا ؟

هيـــــــكل : لا .. ايه الأخبار اللى معاك ؟ الأخبار عندك أنت (ضحك) بقى ده معقول ؟

الرئيس السادات : اللى عندى أنا يعنى .

هيـــــــكل : آهـ ...

الرئيس السادات : يعنى أنت عارف الله يرحمه(*) هم كانوا ايه بيغيظوه ويقلقوه قمت أنا رحت ما خلتش لهم - لعنت سنسفيل أبوهم - وحطيت لهم صورتهم بصراحة قدامهم - لكن زى ما أنت عارف هم مش عاوزين يعملوا بروبوكيشن(**) للأمريكان أبدا . الطيارة اللى بالصواريخ بيشغلوها الروس وبعدين عايزين يخلوا تشغيلها من موسكو - قلت لهم أمال أنا رئيس البلد ازاى - لما ينضرب العمق عندى أقوم أنا ما أردش ؟ - دى حاجة عايزين نتفق عليها من هنا . طيب بقية الضرب معلش بأى حاجة ثانية ، لكن إذا انضرب العمق عندى أستأذن موسكو ؟ - قالوا يعنى نتفق قلت لهم لأ - مش عايزها - لأن طيب ايه الفايدة اذن إذا اتوجدت عندى إذا انضرب العمق عندى يقول لى طيب إذا انضربت شوية بيوت ولا حاجة يقول لى دا يعمل موقف دولى - قلت له آهه دا نبقى أحنا بقى ما بنتقدرش ، قلت له لما الأمريكان ادوا الفانتوم لاسرائيل قالوا لها تضربى وما تضربيش ، انتم فين ؟ - يعنى تسع ساعات يامحمد ، ثلاث ساعات ونصف فى أول يوم وخمس ساعات ونصف فى تانى يوم ما فى غير الردح - وصلت معاهم للردح .

هيـــــــكل : يانهار .

الرئيس السادات : والله يامحمد .

هيـــــــكل : وبعدين .

الرئيس السادات : وبعدين خدنا شوية حاجات مش بطالة .

هيـــــــكل : الله ... والطيارة ؟!

الرئيس السادات : لأ . لأ أصل دى يعنى أنا نظرتى فيها بقى ، يعنى أنا ببص لقدام شوية - أنا مقدرش أسمح فى البلد عندى هنا بسلطتين يا محمد .

هيـــــــكل : لا طبعا تبقى حكاية .

الرئيس السادات : اطلاقا يعنى .

هيـــــــكل : آهـ ...

الرئيس السادات : دا مبدأ .

(*) يقصد الرئيس الراحل « جمال عبد الناصر » .

(**) لم يستطع رقيب الاستماع تمييز الكلمة الانجليزية وهى provocation بمعنى الاستفزاز ، ولا استطاع تحديدها ليكتبها بالأحرف العربية على نحو صحيح .

هيـــــــــكل : صحيح .

الرئيس السادات : بس أنا يعنى واثق أنا ها أعمل معاهم ترتيبات وباصص لمستقبل أوسع ، فأنا مش عاوز أدى هذا المبدأ - الثلاثة وعشرين(*) اعترفوا بيها خلاص موجودة ولكن ناقصها جهاز ، قلت له ابعتها لى من غير جهازها ده اللى ناقصها . أنا عايزها زى ما هى ناخدها بس لما نخلص الجهاز مباشرة ومش عارف وايه يعنى ايه انت عارف برضه عملية خطوة للأمام وخطوتين للخلف فقلت له أنا طيب بنثبت بقى بيننا وبين بعض كده للتاريخ انكم مصرين انكم تخلونى خطوتين وراء اسرائيل ، وأمريكا بتدى لاسرائيل كل اللى هى عايزاه . وبهذا انتم هاتضيعوا نفسكم ، والمشكلة مشكلة الوجود السوفيتى عندى فى المنطقة ، ودى بقى يعنى مسألة انتم مش قادرين تقدروا أبعادها ومش قادرين تقدروا النتايج . أنا بحطها قدامكم علشان لما نبقى نرجع لبعض نبقى نكلم فيها . لكن جبنا شوية حاجات مش بطالة كويسة .

هيـــــــــكل : حاجات (تراديشنال)(**) يعنى .

الرئيس السادات : نعم ؟

هيـــــــــكل : حاجات (تراديشنال) يعنى :

الرئيس السادات : الحاجات التراديشنال .

هيـــــــــكل : ما هو أصل التراديشنال مش ها يحل .

الرئيس السادات : مش يعنى فى المرحلة الحاضرة معندهمش أكثر من هذا يعنى .

هيـــــــــكل : طيب أمال ليه بقى عايزين conclusions(***) على أعلى مستوى .

الرئيس السادات : آهه . ما هو ده اللى أنا قلته . قلت له جايبينى ليه طيب ما كل الكلام ده احنا باعتينه فى طلبات وكان ممكن أن أحنا نبعته . أنا كنت جاى أكلم معاكم على استراتيجية كبيرة فيظهر مانتوش هنا ومانتوش سامعين . لأ .. ماخلتش بقى لكن أصل انت مش عارف طريقة الروس .

هيـــــــــكل : عارفهم . عارفهم .

الرئيس السادات : يعنى المرحلة دى تمهيد للمرحلة الجاية ، للخطوة اللى جاية اللى يبعتوا فيها كل حاجة . بريجنيف ميل علىّ بعد ما خلصنا بعد أنا ما اشتبكت مع كوسيجين اشتباك أسود واشتبكت مع جريتشكو اشتبكت معاه قلت له أنت أصل لو انضربت لك مدرسة وانضرب لك مصنع ما كنتش تكلم الكلام اللى أنت بتقوله ، دا كلام مش كلام عسكريين ده قفل يعنى تشليت كان . بريجنيف بقى كان ممتاز يامحمد ، ممتاز ، أكثر من ممتاز ، وبعدين ميل علىّ واحنا خارجين بعد ما خلصنا أنا طبعا قفلت الموضوع بأن أنا يؤسفنى أنا غير متفق معاكم اطلاقا ومختلف تمام الاختلاف . يجينى بريجنيف من هنا يجينى من هنا قلت له لأ كل منا له وجهة نظر . احنا أصدقاء وصحاب صحيح ما بقلش حاجة وبنذكر لكم معونتكم وكل حاجة لكن أنا مختلف معاكم يجيبنى قلت له ما تتعبش نفسك المناقشة أهى وأدحنا موجودين أنا بطلب طلب واحد هل تخلينى على قدم المساواة مع العدو بتاعى ولا لأ ؟ هو ده اللى أنا بقوله بس أنا مش جاى أكلم . لا بقولك ابعت لى دبابة ولا ابعت لى طيارة ولا أبعت لى مدفع ولا أبعت لى البتاع اللى بيفتح حقل الألغام ولا أنا مابكلمش فى تفاصيل ، أنا بكلم فى خط سياسى عشان القيادة

(*) يقصد الطائرة من طراز الـ ، ميج ٢٣ ، وكان السوفيت ينكرون دخولها إلى خطوط الانتاج حتى هذا الوقت .

(**) traditional بمعنى تقليدية .

(***) أخطأ الرقيب الذى قام بتفريغ الشريط ، وكان يجب أن تكون الكلمة consultations (أى مشاورات) .

السياسية قاعدة قدامى تاخد قرار سياسى . واحنا خارجين ، بريجنيف ، ميل علىّ ، قال لى يعنى على مهلك علينا شوية احنا كل اللى انت عايزه هانبعتهولك ما تفكرش كل اللى انتم عايزينه هانبعته بلا تحفظ . وميلوا على مراد(*) برضه واحنا خارجين قالوا له عشان يؤكد لى الكلام ده ... بتاع بريجنيف نفسه ، يعنى قلت له أنا ما يعنى العملية هم زى ما أنا مقدر بالضبط انه ما لم بنخش احنا المعركة هم مش مستعدين يقدموا أبداً وخايفين دلوقت.لاحسن يعملوا (بروبوكيشن)(**) قلت له طيب لما أمريكا أدت الفانتوم دى مش بروبوكيشن لكم ما اتحركتوش ليه لما المصنع والمدرسة انضربوا ، مش ده كان مفروض أن الطيارة دى تيجى من وقتها وتتحط تحت أمرنا . طيب قلت له بلاش ، مرن لى أطقم الطيارات بتاعتى مع الطيارة بتاعة الصاروخ ، واطلع انت من النص . قال لى تأخذ أربع سنين ، قلت له لأ ما تخدش أربع سنين . يعنى عمليات أنت عارف يعنى .

هيـــــــــكل : ايه ده ؟ دمهم تقيل قوى .

الرئيس السادات : لكن فى النهاية يعنى الواحد كان ممكن يقلب الترابيزه على دماغهم .

هيـــــــــكل : لأ مفيش داعى لأ.

الرئيس السادات : وممكن يعنى ناخد أحسن ما نستطيع ان احنا نخده وده اللى أنا كنت حا .. أنا كنت حاطط خط دفاع من ثلاث حاجات ، يعنى عامل سياستى على ثلاث نقط رئيسية . السياسة الأولانية استراتيجية عامة نرسمها سوا وأدخلهم ونخش فى استراتيجية كبيرة أقوم التفاصيل دى كلها تدوب سواء بالنسبة للقوات المسلحة أو بالنسبة لفروعها كلها سواء بالنسبة ... دا كله يدوب يدوب داخل الاستراتيجية .. الوقفة الثانية بتاعتى كانت انه طيب حطونى على قدم المساواه مع اسرائيل وده حقى لأن أنا مفروض أبقى خطوة قدام لأن أنا المعتدى عليه .. ما نفعتش دى . كمان كنت مجهز الثالثة اللى هى كل مواقف القوات المسلحة ومتاعب القوات المسلحة بما لديها النهاردة من أسلحة وحاجات استكمالات نكملها الثالثة دى تمت بالفعل نتيجة أن أنا ضغطت بس .

هيـــــــــكل : هل الهليوكوبترز جت وحاجات كده؟

الرئيس السادات : كله جاى .

هيـــــــــكل : فيه هليوكوبترز ؟

الرئيس السادات : كله جاى .

هيـــــــــكل : خلاص .

الرئيس السادات : آهـ .. لأ كله جاى بما فيه الحاجات الرفيعة اللى أتارى ماكنش عندهم فكرة عنها للأسف يعنى . يظهر الخبراء بيخافوا يبلغوا ولا ايه ، ودى مسكتهم برضه مسحت بيهم البلاط وبقوا يسكتوا فيه بأى شكل ، وبعتوا جابوا الكشوفات وأنا قاعد وحاحضر ده كذا وأطقم كذا وعددها كذا ودى كذا وآلات التنشين كذا وآلات البتاع كذا يعنى ما خلوش وأنا قاعد . التانيين أخبارهم ايه يامحمد ؟

هيـــــــــكل : التانيين أنا أظن لو تبص على الأخبار – حتى على شكل الاخبار – فيه خلاف بين أمريكا واسرائيل ليس هناك شك فى هذا ، يكفى قوى انك تقرأ الأهرام النهاردة . فعلا فيه خلاف بين أمريكا واسرائيل لكنه خلاف فى بدايته . ديان بيقول احنا فيه مصاعب بيننا وبين حليفتنا

(*) يقصد الدكتور « مراد غالب » سفير مصر فى موسكو .

(**) مرة أخرى لم يستطع القائم على التسجيل أن يلتقط كلمة provocation .

العظمى ، لكن مش هانسمح للخلاف ده يتسع ولكن فيه انقسام فى مجلس الوزراء الاسرائيلى . مؤكد انه فيه شىء وان أمريكا قدرت تاخد بعض أعضاء مجلس الوزراء الاسرائيلى إلى جانبها ، وجاليلى النهارده بيقول بصراحة اذا كانت أمريكا مش معانا اذن لازم نفكر كويس . ممكن أن يقال ملخص الموقف فعلا انه فيه خلاف فى بدايته دى حاجة - والحاجة التانية ان فيه خلاف داخل مجلس الوزراء الاسرائيلى - النهارده جاى كلام على احتمال فك الائتلاف وأن الأحزاب الدينية قطاع من الائتلاف . لكن ده حايوصل لفين ويعمل ايه قبل ٧ مارس ، هو ده المشكلة .

الرئيس السادات : لأ سبعة ده ما خلاص .

هيـــــكل : آه هو ده الموضوع . ولذلك أنا مش عارف تصورك ايه بالطريقة دى لسبعة مارس .

الرئيس السادات : هم ما ردوش(*) .

هيـــــكل : لأ هم شوف ايه ، هو أنا باعتبرهم لسة ما ردوش رد حاسم لكن أنا لما جبت « بيرجيس » أول امبارح قال لى أنا ها اترجاك - قلت له أنا عارف بس الموضوع مش اقناعى أنا - الموضوع اقناع ناس كتير قوى هنا فى مصر - قلت له حتى بما فيها اقناع الجيش .

الرئيس السادات : بالضبط .

هيـــــكل : عارف .

الرئيس السادات : والاتحاد السوفيتى على فكرة أنا راضى تمام الرضا عما تم يعنى مش بصرف النظر عن اللى جرى .

هيـــــكل : مفهوم .

الرئيس السادات : تمام الرضا يا محمد ، حقيقى يعنى ، ولو انى عملتها زعلة وخارج زعلة ، وأثبت أن أنا غير متفق ولا بوافق ولا بسلم بوجهة نظرهم ، ويعنى وفجرت اللى ما كنش الله يرحمه يعنى حرصا منه بيفجره .. هو كان دائما يحاسب . لأ أنا فجرت الى النهاية ماخلتش يعنى . لا راضى تمام الرضا من الناحية دى والناحية دى moving برضه بس طيب ما هو المخرج فى النص اللى هو سبعة . هو ده السؤال يا محمد .

هيـــــكل : طيب ألا ترى ان الناس يقعدوا يبحثوا ويشوفوا ايه ؟

الرئيس السادات : ما احنا قعدين بكرة .

هيـــــكل : مين اللى قاعد بكرة ؟

الرئيس السادات : هايجيلك . لا هايجيلكم خبر . أنا داعى اللجنة العليا مع مجلس الدفاع الاثنين . داعيهم بكرة وحايقعدوا . قلت لرياض النهاردة الصبح يفكر فى دعوة مجلس الأمن والجمعية العامة والصورة كلها ونستعرض الدنيا كلها .

هيـــــكل : مجلس الدفاع واللجنة التنفيذية العليا .

الرئيس السادات : مشتركين - داعيهم بكره عندى الساعة ١٢ .

هيـــــكل : هل هاتقول لهم حاجة عن الرحلة ؟

الرئيس السادات : طبعا .

هيـــــكل : ها تقول لهم ؟

الرئيس السادات : وهاقولها . وآه نسيت أقولك تجهز لى يوم ٦ اللى هو يوم السبت - تجهز لى خطاب ليوم ٦ .

هيـــــكل : عايز تقول ايه ؟

(*) يقصد الأمريكان .

الرئيس السادات : مبدئيا ان أنا خلاص مش ملتزم بوقف اطلاق النار بس ولكن الأساس فيه هو شرح موقفنا كله وادانة اسرائيل بقى من غير شتيمة لأ بالوقائع . يعنى ايه كشف موقفها أمام العالم كله .

هيـــــكل : هل عاوزه مكتوب ؟

الرئيس السادات : لازم .

هيـــــكل : اذا كنت عاوز تكلم الناس ...

الرئيس السادات : لأن هاقوله فى التليفزيون أنا مش رايح أى أجهزة (....)(*) دول ما بروحش أجهزة (....)(**) . ها اقوله فى التليفزيون للأمة كلها . لا لا ومش ها أقول تانى الا للأمة يا محمد . وبعدين فيه فقرة على الاتحاد السوفيتى اتفقت معاهم انى أقولها عليهم ، أنا ها أقول فى الخطاب ان احنا عملنا محادثات يوم ١ و ٢ مارس وعايزين الفقرة دى والله تجهزها علشان بكره أو بعده نبعتها لهم لأنه عشان هم عاوزين يطمنوا يعنى لأن كان محمود رياض لما نده السفير وادى له الكلمتين اللى فى عضمه دول ما تتصورش جرى ايه فى موسكو اتقلبت موسكو رأسا على عقب ، وأنا كنت سعيد قوى لأن كلام محمود رياض كان ممتاز . فا عايزين نقول كلمتين ان احنا عملنا محادثات وبروح الأخوة والصداقة وان الاتحاد السوفيتى بيقدر مسئولياته وبيقدر التزاماته وكصديق .

هيـــــكل : طيب نعتبر أنفسنا غير ملتزمين بقرار وقف اطلاق النار لكن بعديها ايه ؟

الرئيس السادات : بس .. بعديها لسة ها نتفق .

هيـــــكل : all right

الرئيس السادات : أنا بديك الهيكل الأولانى انما أنا لسة مارستش يمكن مش ها أرسى الا يمكن يوم .. الا الجمعة .

هيـــــكل : مؤكد مش ها ترسى الا الجمعة بالليل .

الرئيس السادات : مش ها أرسى الا الجمعة . انما عشان تخطط انت العملية وتجهز نفسك ، وبعدين نكمل الحته دى .. المهم ان أنا خلاص مش ملتزم .

هيـــــكل : لأ أصلها هى دى .. المسألة الأساسية هى الاتجاه .. يعنى هى الكتابة is not a problem(***) .. أنا ها أفكر فى الهيكل كله وأجهزه لكن الحقيقة النقطة دى بتحدد كل لهجة الخطاب لأنها مرتبطة بالقرار .

الرئيس السادات : طيب لغاية دلوقت فكر على أساس ان أنا مش ملتزم .

هيـــــكل : all right .

الرئيس السادات : وبعدين هل يكون فيه داعى أن أنا يوم الجمعة أجيب بيرجيس وأكلمه كلمتين ؟

هيـــــكل : لأ - بعدها .

الرئيس السادات : بعد الخطاب ..

هيـــــكل : بيتهيألى .

الرئيس السادات : آه ممكن الحد الصبح . والخطاب ها أعمله السبت بالليل .

هيـــــكل : طيب ليه عاوز تعمله السبت ليه مش الحد ؟

الرئيس السادات : السبت عشان ..

هيـــــكل : طيب لكن كويس أنا موافق لكن ليه ما تعملهوش الحد ؟

(*) وصف حاد تصعب كتابته وطبعه .

(**) نفس الوصف الحاد .

(***) ليست مشكلة .

الرئيس السادات : وليه أعمله أنا على القفل على وقف اطلاق النار ؟

هيـــــــكل : طيب ما هو أصلك الواقع عارف ايه بتسيب العالم فى قلق شوية وبعدين بتقول لهم أنا مش ملتزم . لو قلت قبلها انك مش ملتزم يبقى انت يوم ٧ مضطر تقول حاجة لما يحل الميعاد نفسه .. توقيته يعنى .

الرئيس السادات : آه مش ملتزم .

هيـــــــكل : اذا كنا هانقول مش ملتزمين نقولها يوم الحد أحسن .

الرئيس السادات : ما أنا عارف .

هيـــــــكل : بنسيب العالم كده شوية قاعد يستنى موقفنا ونقول انك هاتتكلم يوم الحد .. على أى حال نفكر فيها كلها ..

الرئيس السادات : طيب يامحمد .

هيـــــــكل : لكن والله كويس دى حاجة بقت خطيرة جدا - نزلت فين ؟ (ثم تحدث السيد الرئيس كيف أنه كان يقيم فى المنزل الذى كان ينزل فيه الرئيس الراحل . وشرح سيادته كيف أن الجو هناك كان برد جدا وكانت لا توجد تدفئة) .

هيـــــــكل : على أى حال يفكروا هم كمان .

الرئيس السادات : لأ كويس أنا رتبت خلاص ورتبت على أساس يعنى أنا بديلك توقعاتى - الخطوة اللى جاية ها أطلب الطيارات بتيجى هتاخد أوامر من عندى أنا عارف - قلت لهم دأنا رئيس دولة دأنا ما بلعبش انتم جرى لكم ايه انتم ناسيين ولا أيه مفيش حاجة عندى فى دولتى أبدأ تخرج على أوامرى اطلاقا - أنا لا أقبل هذا المبدأ على الاطلاق يعنى .

هيـــــــكل : طيب سياسيا تحليلهم ايه هم .

الرئيس السادات : هم معانه بالتحليل تماما فى كل شيء يا محمد وفى كل خطواتنا السياسية الأخيرة قالوا مفيش أجمل من كده - تحفظ لا يمكن يكون أروع من كده ، بس بييجوا لنقطة من ناحية ما هو القيادة الجماعية أولاً .

هيـــــــكل : وبعدين هم عندهم مؤتمر حزب .

الرئيس السادات : وبعدين عندهم مؤتمر الحزب فى ٢١ .

هيـــــــكل : وبعدين صراع كبير قوى .

الرئيس السادات : وبعدين برضه فيه صورة مش قوى .

هيـــــــكل : كرتشيف(*) يظهر طالع قوى ، فيه واحد اسمه كرتشيف طالع فى الصفوف الخلفية لكن سكاى روكتنج(**) للصفوف الأمامية .

الرئيس السادات : يعنى عمليات .. انت عارف لما تلاقى حكم كده مهزوز أهه أنا اللى حسيته ده مش يعنى والله الله يمسيه بالخير خرتشوف خسارة - القيادة الجماعية على الطريقة البعثية دى بقى يعنى أمريكا هاتكلهم .

هيـــــــكل : هاتكلهم والله .

الرئيس السادات : آه بس تكلهم هم لوحدهم لكن ماتكلنيش أنا كمان معاهم ، أنا نسيت أقول لهم كده أمبارح ان كنتم عايزين تتكلوا اتاكلوا انتم بس أن ما ليش دعوة .

هيـــــــكل : طيب كويس هاتقول انك انت مش ملتزم بوقف اطلاق النار وبعدين الناس تبقى مستنية منك عمليات .

(*) لم يستطع الرقيب الذى قام بتفريغ الشريط أن يلقط اسم « جورباتشوف » .

(**) sky rocketing أى منطلق مثل الصاروخ .

الرئيس السادات : آه ها اعمل ايه يعنى طبعا ما هياش فى يوم ٧ ولا يوم ٨ يصح يوم ٩ يوم ١٠ يعنى لكن فى نفس اليوم حتى يعنى أدى فرصة للعالم أن الخطاب بتاعى يقروه .. يقروا الخطاب بتاعى وعشان كده أنا بقولك عايزين نجهز علشان نحط العالم كله أدام مسئولياته ونقول أدحنا موقفنا أهو وآدى الموقف أهو كده بالتفصيل وبالاثبات وبالتاريخ وبتاع .. وبعدين بعد ذلك خلاص على ما يهضموه هم يبقى لابد مش ممكن لان بلدنا هنا والعالم حتى ماهو لو طالت أكثر من كده تعرف يا محمد اسرائيل هاتقول لامريكا مش قلنا لكم دا لا هايفتحوا ولا هاينيلوا ولاهم ناويين سيبوهم لنا زى ما كانوا بيقولوا لهم زمان سيبوهم لنا احنا هانخلص بيننا وبينهم .. علما بأن اسرائيل لن تفتح الطلقة يا محمد ، اسرائيل مش عايزه اطلاقا فتح نار .. ده تقديرى أنا يعنى .

هيـــــــــكل : معقول قوى .. ده صحيح معقول .

الرئيس السادات : لأن أسعد وضع بالنسبة لها انه آه أمتنع أنا أقول ان أنا مش متقيد لكن مفيش حاجة ويقعدوا ما هو ده أسعد وضع لهم .

هيـــــــــكل : طيب ... نبقى على اتصال ...

(وانتهى الحديث)

كان مجرى الحوادث وتدافعها يتجه بسرعة إلى عنق زجاجة – ووصلت الأمور إلى درجة الاحتقان وارتفعت حرارتها إلى درجة الحمى عندما بدأ السيد « على صبرى » ينتقد موقف الرئيس « أنور السادات » فى مفاوضات موسكو . ذلك أن الجميع عرفوا بما جرى بينه وبين الزعماء السوفيت ، فقد رواه هو بنفسه فى اجتماع القيادة السياسية المصرية .

وكانت وجهة نظر السيد « على صبرى » – وهى متسقة بالطبع مع موقفه هو فى مفاوضاته السابقة فى موسكو – أنه كان يجب على الرئيس « السادات » أن يقبل بطائرة الردع « اليوشين ٢٣ » حتى وإن كانت سوف تظل فى الاتحاد السوفيتى ، وحتى إذا كانت سوف تعمل من هناك .

ولم تفلح معه كل الحجج التى أبداها له الرئيس « السادات » لإظهار استحالة هذا الوضع . وقد رتب على ذلك تقديرات راح يشيعها فى التنظيم السياسى وأيضا فى السلاح الجوى – مؤداها :

١ – أن الرئيس « السادات » رفض طائرة الردع .
٢ – ومعنى ذلك أن مصر فى موقف لا تملك فيه وسيلة للرد البعيد المدى على إسرائيل .
٣ – ويترتب على ذلك أن الرئيس « السادات » لا يريد أن يقاتل ، وإنما هو يتلمس الأعذار ليلقى بالمسئولية على الآخرين ، وأولهم السوفيت .
٤ – وأنه فيما يتعلق به لن يقبل هذا الحال ، ولو أدى به الأمر إلى معركة مكشوفة مع الرئيس « السادات » أمام الشعب وأمام الجيش .

كانت أزمة اتحاد الدول العربية قد ملأت أجواء السلطة العليا بالغاز المضغوط .

والآن أضيف إليها بمشكلة طائرة الردع – عود ثقاب .

واعتزم الرئيس « السادات » أن يأخذ المبادرة فى يده ، وأن يسبق .

الفصل السادس

زحام من الأزمات

١

ومع نهاية شهر ابريل وبداية شهر مايو ١٩٧١ - كانت هناك أزمتان متقاطعتان :

● **أزمة مشروع الاتحاد الثلاثى** : اتحاد الدول العربية الذى شاركت فى الإعداد له مصر وسوريا وليبيا ، وكان ينطوى على استفتاء ودستور ومجالس نيابية وأجهزة تنفيذية - وكله جديد .

● **وأزمة الشرق الأوسط** : وكانت قد تركزت الآن حول « مشروع روجرز » الذى لحقته مبادرة « السادات » باقتراح حل جزئى يتضمن انسحابا تقوم به إسرائيل فى سيناء ، ويتم تطهير قناة السويس بعد ذلك ، وأثناء عملية التطهير يجرى التفاوض على جدول زمنى للانسحاب من الأرض العربية فى مقابل سلام تعاقدى .

ولم يكن تقاطع الأزمات حول مبدأ أو حول موضوع أو حتى حول توقيت ، وإنما استعملت المبادىء والموضوعات والتوقيتات ذرائع فى صراع على السلطة .

فالذين طالبوا بالحرب الفورية - كانوا أول من يعلم استحالتها فى ذلك التوقيت .

والذين رفعوا شعار الوحدة - لم يكونوا طلابا للوحدة حقاً واقعاً ، وإنما كان التوقيت فرصة لتغيير البناء السياسى الداخلى وإعادة تركيب موازينه .

كانت هناك أزمتان متقاطعتان . وكان هناك أيضا فى نفس اللحظة رجلان يختلف اتجاههما ، أحدهما يخرج والثانى يدخل ، وإن لم يتلاقيا ولا تصادما ولا عرف أحدهما الآخر !

فى ذلك التوقيت :

- كان « على صبرى » يخرج من قرب قمة تركيب السلطة فى مصر بسبب تعقيدات وملابسات مشكلة طائرة الردع ، ثم أضيفت إليها أزمة قيام اتحاد الدول العربية - وكان على وشك أن يخسر رهانه ضد خصمه « أنور السادات » .

- وكان « ويليام روجرز » يدخل إلى منطقة الشرق الأوسط يحاول أن يجد ثغرة ينفذ منها إلى الحل الجزئى لأزمة الشرق الأوسط - وكان من أهم أهدافه أن يكسب رهانه ضد منافسه « هنرى كيسنجر » .

□

كان الرئيس « أنور السادات » قد أعفى السيد « على صبرى » من جميع مناصبه أثناء خطابه فى احتفال عيد العمال أول مايو .

وكان إعلان الإقالة وسط هذا الاحتفال ، عيد العمال ، قصدا مقصودا ، فهذا هو الحفل الذى ينظمه الاتحاد الاشتراكى الذى يتولى السيد « على صبرى » أمانته العامة . وحضور الاحتفال هم جماهير العمال ، أى أكبر مستفيد من الاشتراكية التى كان السيد « على صبرى » من غلاة الدعاة لها .

وكان الإعلان مفاجأة كاملة لكل من يعنيهم الأمر ، وكان النص الأصلى للخطاب قد أرسل إلى سكرتارية رئاسة الجمهورية لطبعه على أوراق الرئيس وبالحروف الكبيرة - لكن الفقرة الخاصة بإعلان إقالة السيد « على صبرى » لم تذهب إلى السكرتارية ، وإنما كتب نصها فى ورقة بخط اليد أخرجها الرئيس « السادات » من جيبه عندما وصل إلى موضعها ، ثم ألقى بقنبلة الإقالة .

ولم يكن السيد « على صبرى » على وفاق بالكامل مع آخرين من الذين يملكون فى يدهم مفاتيح القوة والسلطة - فقد كانت التناقضات مستبدة أيضا داخل الجماعة الواحدة - لكن إقالة « على صبرى » المفاجئة كانت بمثابة جرس دوى ، وإشارة نور حمراء أضيئت وبان معها أن لحظة حسم الصراع على الأبواب .

هكذا فإن كل القوى تحولت بسرعة إلى خندق واحد تحارب فيه المعركة الأخيرة الحاسمة ، وكان هذا الخندق هو خندق زيارة « روجرز » .

ومن حسن الحظ أن أجهزة التسجيل كانت لاتزال تدور فى بيت « دونالد بيرجيس » ومكتبه ، بما فى ذلك المكتب الذى يعمل فيه « يوجين ترون » ممثل وكالة المخابرات المركزية الأمريكية .

والواقع أن تقارير تفريغ الشرائط تكشف أمام الباحث المدقق كثيرا من الوقائع والتفاصيل - حية ، ناطقة ، وبالألوان . كما أن تتابع الصور يكاد يقدم فيلما تسجيليا لزاوية هامة من زوايا السياسة فى تلك الأيام السابقة على زيارة « روجرز » والمواكبة لها . (مع ملاحظة أنها - فى معظمها - كانت تدور حول المبادرة التى قدمها الرئيس « السادات » يوم ٤ فبراير ١٩٧١ ، والنشاط

دونالد بيرجيس : « أرجو أن يكون الإسرائيليون قد أعطوا يارنج القدر الكافى بحيث يستطيع أن يقوم بالخطوة الأولى . وأعتقد أن يارنج رجل نبيه مفكر وسوف يستطيع أن يفعل شيئا .

. . . .

. . . .

□

● ● ● تقرير برقم ٨٢٧٠ عن تفريغ لحديث تليفونى مسجل بين المستر « دونالد بيرجيس » والسيد « محمد رياض » (الوزير المفوض بوزارة الخارجية وقتها ومدير مكتب وزيرها السيد « محمود رياض ») .

. . . .

. . . .

« الحديث يبدأ :

دونالد بيرجيس : هالو محمد .
محمد رياض : نعم يا سيدى ، هل تسمح من فضلك لو لم تكن لديك أية موانع بالطبع وتقابل الوزير باكر ؟
دونالد بيرجيس : الساعة كام ؟
محمد رياض : هل لديك أية موانع ؟
دونالد بيرجيس : كلا . أنت الذى تحدد الموعد . لا يمكن أن تكون لدى موانع .
محمد رياض : الساعة الواحدة والنصف .
دونالد بيرجيس : الساعة الواحدة والنصف .. أو كى سأكون هناك .
محمد رياض : وهو كذلك .
دونالد بيرجيس : شكرا يا سيدى .
محمد رياض : ستسر على أى الأحوال .
دونالد بيرجيس : ماذا تقول ؟
محمد رياض : حتنبسط .
دونالد بيرجيس : أنا دائما مسرور .
محمد رياض : وهو كذلك .
دونالد بيرجيس : هل أحضر أى أحد معى ؟
محمد رياض : ايه .. كلا كلا مفيش حاجة .
دونالد بيرجيس : أو كى .
محمد رياض : وحاول أن تقرأ ما سوف تكتبه الصحف باكر » .

. . . .

. . . .

(كان وزير الخارجية السيد « محمود رياض » يريد إبلاغه بأن مصر ردت إيجابيا على « يارنج » ، ووافقت على وثيقته التى تشير إلى عقد اتفاقية سلام مع نهاية المفاوضات) .

□

●●● تقرير برقم ١١٨١٠ عن تفريغ لحديث تليفونى مسجل بين المستر « دونالد بيرجيس » ويرمز له بالرمز (×) والسيد « محمد حسنين هيكل » ويرمز له بالرمز (–) :

. . . .

. . . .

« هيـــــــكل : لدىّ تعليق سريع على ذلك الرد المؤقت الذى أبلغ اليك . أو ما تسميه أنت بالملاحظات .

دونالد بيرجيس : بل أسميه ردا .

هيـــــــكل : لدىّ تعليق سريع ، وطلب منى أن أبلغه لك لتبلغه لنفس السيد (« روجرز ») ، لذلك اتصلت بك تليفونيا لأننى لا أريد ازعاجك . إنك تعرف حقيقة أنه (*) لايزال يعتبر أن مبادرته قائمة وإنك تعرف حقيقة أنه كان يعتبر هذه المبادرة بمثابة أساس ضرورى لموقفنا وموقفكم أنتم وموقف العالم كله . وأنه شىء عملى وبمثابة اختيار . فإذا استطعنا تحقيقها فإن يارنج يستطيع اتخاذها كجزء من الجدول الزمنى ، ويستطيع الاستمرار فى الاستعانة بها لمد وقف إطلاق النار .

دونالد بيرجيس : (مقاطعا) يعنى أستطيع وضع هذا فى عبارة على هذا النحو : « إنها جزء من الجدول الزمنى » .

هيـــــــكل : (مقاطعا) إنها يمكن أن تكون فترة أولى للجدول الزمنى ، وبعدها نستطيع مد وقف إطلاق النار لمدة ٦ شهور كما اقترح هو (يارنج) وكما اقترحتم أنتم من قبل .

دونالد بيرجيس : أجل يا سيدى .

هيـــــــكل : إن هذا الانسحاب الجزئى يجب أن يتم إلى وراء العريش كما قال . وعندئذ كما تعرف يمكن أن نقبل قوة طوارىء دولية ترابط للحفاظ على منطقة ليست ملكا لأحد no man's land على مسافة ٩ كيلو مترات من كلا الجانبين .

دونالد بيرجيس : ٩ كيلو متر ؟ أجل ياسيدى .

هيـــــــكل : وبعد ٦ شهور ، وبعد ما ينسحب أولئك الناس ، يكون الجدول الزمنى قد تم أو جارى إتمامه . هل فهمت ما أريد ؟

دونالد بيرجيس : نعم يا سيدى . سوف أبلغ ذلك . شكرا .

هيـــــــكل : حسنا . حظا سعيداً . »

. . . .

. . . .

(*) المقصود هو الرئيس « السادات » .

● ● ● تقرير برقم ١٣٢٠٨ عن تفريغ لحديث مسجل بين المستر « يوجين ترون » بمنزله وبين زميله المستر « هاو بيكر توماس » :

. . . .

. . . .

هاو بيكر توماس: هناك ضغط كبير واقع على سلاح الطيران نتيجة وجود مشاحنات كبيرة ما بين بغدادى (يقصد اللواء على بغدادى قائد سلاح الطيران) والمستشار السوفيتى فى سلاح الطيران بسبب إشراف الطيارين السوفيت على التدريب .

يوجين ترون : كيف إذن ابن الايه بيتظاهر بأنه على علاقة ودية مع السوفيت ...

هاو بيكر توماس: المستشار السوفيتى أبلغ محمد فوزى بأن بغدادى بيحاول يضع العراقيل أمام الخبراء السوفيت . وطبعا محمد فوزى استمع إلى رأى بغدادى . وأخيرا قبل محمد فوزى وجهة نظر بغدادى .

يوجين ترون : (مقاطعا) وهذا هل حدث أخيرا ؟

هاو بيكر توماس: ومحمد فوزى قال له انت رأيك هو السليم ونفذ ما تراه . هذا حدث لتوه .

يوجين ترون : حدث لتوه ؟

هاو بيكر توماس: إن هذا يبدو لى نوع من .... (ولم يكمل جملته) .

(دخل خادم ومعه بعض الأكل والشراب ، ثم دخلت عليهما زوجة توماس وزوجة ترون ، ودار حديث عادى عن الأكل ثم عن وفاة البابا القبطى وإقامة جنازة فى كنائس مصر .

وابتعدت الزوجتان ، وعاد الحديث بين الرجلين) .

هاو بيكر توماس: إن الروس من المؤكد سوف يساعدون فى عبور القناة بما لهم من كل هذه المعدات والطائرات .

يوجين ترون : هل هم قالوا ذلك ؟ (ليس واضحا من يقصد بـ « هم ») .

هاو بيكر توماس: أيوه . ومن أجل هذا سافر السادات للاتحاد السوفيتى . (ثم ظهر كما لو كان توماس أخذ يقرأ من ورقة لديه) لقد وقع السوفيت اليوم اتفاقية تنص على أنهم سوف يساعدون فى عبور القناة(*) **Today, the Soviets signed an agreement that they will assist in the Canal crossing.**

ومضى « توماس » يقول :

« وعلى هذا الأساس ولنفس السبب بادروا بإرسال قواتهم ومستشاريهم . لكن أنا تساءلت بقولى : هل هم مجانين إلى هذا الحد الذى يقوموا بارسال قوات لهم ؟ إذا كان فيه مستشارين فربما ... لكن قوات ؟ وقد قيل لى فيه مستشارين سوف يذهبون إلى منطقة القناة ، هذا علما بأن الخطة وضعت فعلا وموقع عليها من المصريين والسوفيت وجاهزة . وهذه الخطة لا يعلم عنها الآن أى قائد أى شيء . أى لا يعلم عنها الآن أى قائد وحدة سواء كان مصرى أو سوفيتى ، أى شيء بالمرة ، وسوف يتلقاها فورا فى اللحظة وفى الحال .

(*) من الواضح أن « توماس » واحد من مساعدى « ترون » ، كذلك من الواضح أنه على اتصال بمصادر تعطيه كثيرا جدا من الخلط .

يوجيـن تـرون : من المهم أن هذا لم يتم - أقصد أن هذا وضع بحيث يكون معد وجاهز فى انتظار الاوامر عندما يبدأ الهجوم .

هاو بيكر توماس: كلا . إن هذا جاهز الآن - كله مكتوب الآن .

يوجيـن تـرون : أنا كنت عاوز النقطة بتاعة السوفيت - ما اتفقوا عليه .

هاو بيكر توماس: ليست واضحة . لكن هذا وافق عليه السوفيت هناك .

يوجيـن تـرون : فى موسكو ؟(*)

هاو بيكر توماس: أيوه فى موسكو .

يوجيـن تـرون : هل محمد فوزى ذهب إلى موسكو ؟

هاو بيكر توماس: لا أعرف .

يوجيـن تـرون : الحكاية دى أنا عاوز أستوضحها . »

. . . .

. . . .

□

● ● ● تقرير برقم ١٤٤٧٠ عن تفريغ لشريط مسجل بمنزل المستر « دونالد بيرجيس » رئيس البعثة الأمريكية ، وكان معه السناتور « كلارنس لونج » عضو مجلس الشيوخ الأمريكى ، والمستر « آرثر هوكتون » الموظف بالسفارة الأمريكية ، والمستر « يوجين ترون » ضابط المخابرات الأمريكية - وزوجاتهم .

. . . .

. . . .

« بدأ التسجيل والسناتور كلارنس لونج يدلى بحديث عن مشاهداته فى دول قام بزيارتها فى آسيا كالفلبين وفيتنام . وأبدى أنه لم يجد تأييدا يمكن الاعتزاز به لموقف أمريكا ولا لسياستها . وكذلك لم يجد ذلك أيضا كما سمع فى وادى النيل .

زوجة السناتور : (مؤيدة ما قاله زوجها) إن أمريكا بهذه الطريقة تحاول تدمير مناطق عديدة فى العالم وتروعها بالحرب . إننى لم أكن أصدق أن مصر متطورة صناعيا بهذه الطريقة .

زوجة يوجين ترون : إن التقدم فى المشروعات الضخمة ظاهر تماما فى أسوان . وكلها مشروعات اقتنصتها روسيا .

السناتور لونج : إننى فعلا مندهش من تطور الصناعة فى مصر .

دونالد بيرجيس : إنهم تقدموا كثيرا ومهتمين الآن بموضوع استخراج البترول من منطقة السويس . وهناك احتمال وجود احتياطى فى المياه بخليج السويس .

السناتور لونج : قبل قيامى بهذه الرحلة استدعانى الرئيس نيكسون وطلب منى أن أعود إليه بتقرير عن الحقائق كما أراها . إن إسرائيل بمثل هذا الموقف تظهر وكأنها لا تريد حلا للمشاكل - هل سأقوم بأى برنامج رسمى هنا فى القاهرة ؟

دونالد بيرجيس : إذا كنت تريد زيارة ضريح عبد الناصر ...

(*) يقصد رحلة الرئيس « السادات » إلى موسكو فى يوم ١ مارس ، وقد سبقت الإشارة إلى تفاصيلها برواية الرئيس « السادات » نفسه فى حديث تليفونى مع « محمد حسنين هيكل » .

يوجين ترون : إن كثيرين ، بل أغلب الزوار الأجانب يفعلون ذلك ، والأمر متروك لك .

السناتور لونج : (أخذ يستنكر حرب فيتنام ومآسيها ، ثم وصل إلى الحديث عن ضغط الرأى العام الأمريكى على الرئيس نيكسون) . ثم سأل : هل هناك تحول فى نظرة مصر إلى أمريكا ؟

دونالد بيرجيس : إن التحول كان موجودا فعلا ، وقد سبق لى أن أوضحت ذلك لجوزيف سيسكو منذ أيام جمال عبد الناصر ، وحتى جاءت المبادرة الأمريكية (مبادرة روجرز) وقضت على الخرافة القديمة التى كانت تقول بأن مصر لا تعير اهتماما لأية مقترحات أمريكية . هذه المبادرة غيرت تماما من الموقف كله . وأكدت هذا لسيسكو .

(مناقشة جانبية تظهر فى التسجيل بين زوجة بيرجيس وزوجة السناتور عن ترشيحات الرئاسة الأمريكية) .

السناتور لونج : ماذا يفعل الروس هنا ؟

يوجين ترون : يقومون بالدعاية لأنفسهم .

السناتور لونج : هل صحيح أننا ساعدناهم بتصرفاتنا بأكثر مما كان يمكن أن يقوموا به وحدهم ؟

يوجين ترون : وجود الروس هنا له أثر عكسى على الشعب . فالشعب المصرى لا يريد رؤية الروس بمثل هذه الأعداد الضخمة فى كل شارع وفى كل محل . وهم يقومون بشراء البضائع ، ويشترون بكميات ضخمة أحسن البضائع ، ويفضلون الصناعات الجلدية . والناس هنا لا يحترمونهم . وعدم احترامهم لا يقتصر فقط على عدم الايمان بهم من الناحية التكنولوجية ، ولكن الشعب هنا لا يؤمن بالمرة بأيديولوجيتهم .

السناتور لونج : دى حاجة غريبة صحيح .

يوجين ترون : أعتقد أن المصريين يودوا لو أنهم يعودوا إلى النظام الرأسمالى . وضباط الجيش لا يحبون سلاحهم (يقصد السلاح السوفيتى) .

دونالد بيرجيس : وأنا فى واشنطن فى شهر أكتوبر كان علىّ أن أتقدم بتقرير إلى رئيس هيئة أركان حرب القوات المسلحة الأمريكية . وقضيت معه حوالى ساعة كى يقف منى على حقيقة الموقف بالنسبة للتواجد السوفيتى العسكرى . وقلت إنهم يحضرون معهم الصواريخ المتقدمة من طراز « سام ٣ » وهم لا يسلمونها بل يعملون هم بأنفسهم عليها . وقد رد علىّ الجنرال وستمورلاند بقوله : « يعنى تريد أن تقول بعدم وجود خطوات لتمصير الصواريخ ـ أى تسليمها للمصريين ؟ » وقد استغرب سيسكو عندما سمع ذلك .

السناتور لونج : أنا لا أحب تدخل وستمورلاند فى السياسة . لا أحب تدخل الجنرالات . هم جروا رجل جونسون فى حرب فيتنام ، ودور المؤسسة العسكرية واضح فى ذلك .

دونالد بيرجيس : لقد أدرك ذلك أحد أصدقائنا العرب ، وهو رئيس تحرير الأهرام محمد حسنين هيكل . وقد أشار فعلا مرات كثيرة إلى أثر وقوة العسكريين فى أمريكا على الرؤساء الأمريكيين وخاصة بالنسبة لجونسون . وقال بأن مصر وقعت فريسة خديعة دبرت فى واشنطن .

السناتور لونج : أنا لا أعتقد أن جونسون فى موضوع الشرق الأوسط كان واقعا تحت تأثير العسكريين » .

. . . .

. . . .

□

● ● ● تقرير برقم ١٢٥٧٥ عن تسجيل لحديث تليفونى بين قرينة « دونالد بيرجيس » وسيدة أخرى :

. . . .

. . . .

« زوجة بيرجيس : لقد سرنى موقف فولبرايت .
السيدة الأخرى : لقد أعجبنى جدا .
زوجة بيرجيس : إنه كان ممتاز . أعتقد أن العقبة هو كيسنجر .
السيدة الأخرى : من ؟
زوجة بيرجيس : كيسنجر – عارفة ؟ هو مستشار خاص فى البيت الأبيض . إنه رجل صهيونى يميل للصهيونيين فى الواقع .
السيدة الأخرى : نعم . هذا صحيح .
زوجة بيرجيس : ولكن كيسنجر هو الرجل الذى قالت المجموعة إنهم سوف يقومون باختطافه .
السيدة الأخرى : أوه .
زوجة بيرجيس : هل تذكرين تلك المجموعة والقسس الذين اشتركوا فى تلك العملية ؟
السيدة الأخرى : كلا. لا أذكر ذلك .
زوجة بيرجيس : لقد كانت قضية كبيرة وكانوا ينوون أن يختطفوه – هذا ما قيل ، وهم لا يزالوان محبوسين فى السجن إلى الآن .
السيدة الأخرى : كم كنت أتمنى لو أنهم خطفوه . »

. . . .

. . . .

□

● ● ● تقرير عن حديث مسجل بين المستر « دونالد بيرجيس » وزوجته ، والمستر « يوجين ترون » والمستر « تشارلز وولتون » :

. . . .

. . . .

« زوجة بيرجيس : (موجهة الحديث لزوجها) هل سألت عن رد المصريين ؟
دونالد بيرجيس : إنهم غير متنازلين عن انسحاب إسرائيل عن جميع الأراضى التى احتلتها قواتها بعد « يونيو ١٩٦٧ .
زوجة بيرجيس : هذا لن توافق عليه إسرائيل .
تشارلز وولتون : نحن تركنا جميع الأبواب مفتوحة بما يسمح بالوصول إلى تسوية سلمية .
دونالد بيرجيس : الرئيس السادات اعترف لى فعلا أننا تحركنا ، وأعرب عن شعوره بالأمل وفق ذلك ، وكان ذلك ضمن محادثة بحضور هيكل والدكتور فوزى . وهيكل قال إنه لم يتبقى إلا ثلاثة أيام
تشارلز وولتون : هل قال ذلك ؟
دونالد بيرجيس : إنه قاله فعلا .

(وصل بعد ذلك المستر يوجين ترون ومعه أوراق وتحدث بهمس غير مسموع مع بيرجيس) .

دونالد بيرجيس : إذا كان هذا هو كل ما يريده الإسرائيليون فإننا لا نستطيع التفاوض .

يوجين ترون : ما هو نوع الضغط الذى يطلبه المصريون .

دونالد بيرجيس : هيكل أبلغنى ، وأنا أبلغت واشنطن بمذكرة أنهم على استعداد لمد وقف إطلاق النار ٦ شهور إذا نفذت إسرائيل انسحابا جزئيا إلى العريش . وإذا تم ذلك فأنا أظن أنه يمكن أن نعيد العلاقات الدبلوماسية معهم .

يوجين ترون : ليس هذا مشجعا . هذا ليس كافيا ليقنع ديان حتى يقنع حكومته . ديان قال تعليقا على الانسحاب الجزئى فى المطار عندما قابلته (....) ماذا يحدث لو أننا انسحبنا من هنا ونقل المصريون صواريخهم إلى هذا الجانب من القناة .

دونالد بيرجيس : فتح قناة السويس يساعد الموقف .

يوجين ترون : إذن تعتقد لو أن القناة فتحت فسوف ينتهى احتمال الحرب .

دونالد بيرجيس : نعم .. أعتبر ذلك و لو لفترة قصيرة . لكنها فى الحقيقة سوف تنتهى - أنا لا أعتقد بأن المصريين ينادون الآن بالحرب كما كانوا أيام ناصر .

يوجين ترون : هو نفس الشيء .

دونالد بيرجيس : لا تأخذ بالظاهر . فسوف ترى بعد فتح القناة .

يوجين ترون : ماذا سيكون الفارق ؟

رونالد بيرجيس : سوف ترى ما سوف ينشأ بين المصريين والفلسطينيين .

يوجين ترون : (ضاحكا) أيوه . أيوه . »

. . . .

. . . .

□

● ● ● تقرير برقم ١٣٨٤٥ عن حديث مسجل بمنزل المستر « يوجين ترون » ضابط المخابرات الأمريكى ، بين « يوجين ترون » وزوجته وضيف أمريكى :

. . . .

. . . .

« يوجين ترون : أنا تحدثت مع شخصية كبيرة فى السفارة السوفيتية ، وقد حاول أن يفهمنى أنه لم تحدث مناورات . وعندما عدت إلى هنا اجتمعت ببرنهام وكلايد وطلبت منهما مراجعة ما قاله لى صاحبنا عن تخفيض فى القوات السوفيتية ، وطلبت المراجعة على الصور الفوتوغرافية . وأنا أفضل الآن أن نعتمد أكثر على أصدقاء من سفارات محايدة . صاحبنا السوفيتى حاول أن يقول لى إنهم يريدون تسوية سلمية ، وأنهم هم والعرب ضاقوا ذرعا من استمرار الموقف كما هو بدون تسجيل أى تقدم . هو أيضا هاجم المصريين ، وأنا عمرى ما رأيت ولا سمعت عن واحد من السفارة السوفيتية بيتكلم بمثل هذه الطريقة

مهاجما المصريين . ولابد أن ندرك من ذلك بأن بعض المصريين فى الواقع قلقين من ناحية السوفيت .

الضيف الأمريكى(*) : وما رأيك فى كل هذه التقارير التى ترد إلينا عن تذمر بين العسكريين المصريين ؟

يوجين ترون : إن المصريين يضغطون عليهم بسبب مستوى أسلحتهم إذا قورنت بالأسلحة التى يحصل عليها الإسرائيليون منا . هذا هو الشعور القوى الذى يسيطر على المصريين – صحيح أنهم يعرفون بأن السلاح الذى يحصلون عليه الآن أحسن مما كانوا يحصلون عليه من قبل ، لكنها أسلحة لا يمكن أن تضاهى ما يحصل عليه الإسرائيليون .

الضيف الأمريكى : أعتقد بأن هذا الشعور من أيام ناصر .

يوجين ترون : هم يعتقدون بأن الطريقة الوحيدة لجعل الإسرائيليين يصبحوا معقولين هى عن طريق زيادة الامكانيات الدفاعية إلى النقطة التى يمكن معها زحزحة الإسرائيليين سياسيا . هناك سابقة تدل على صحة ذلك . ففى العام الماضى لم يتوقف الإسرائيليون عن غارات العمق بسبب أننا طلبنا منهم ذلك .

الضيف الأمريكى : (مقاطعا) نعم . بسبب الروس .

يوجين ترون : هم أوقفوا غارات العمق عندما جاء الروس بقواتهم وبنظام دفاعى متفوق كثيرا ، والمصريين يعلمون ذلك الآن ويعرفون بأن الروس فقط هم الذين يستحقون الثناء وأصحاب المعروف . بمعنى آخر فنحن لم نستطع الوصول بالموقف إلى بداية مرحلة المفاوضات . لكن الروس هم الذين قاموا بذلك بسبب أنهم عملوا على زيادة اطمئنان المصريين . وهنا طلب الروس منا بأنهم لن يصبحوا معقولين أكثر إلا إذا بذلنا نحن ضغطا على الإسرائيليين . أنا فى الحقيقة لست أدرى ماذا يدور بتفكير واضعى السياسة . لكننى متأكد تماما من أن السوفيت يعلمون تمام العلم بأنهم لو عملوا على تشجيع المصريين على عبور تلك القناة فإن الإسرائيليين سوف ينزلون بهم خسائر فادحة . وفى رأيى أنه إذا ما استمر الحال على ما هو عليه ، فإن المصريين سوف يبدأون فى يوم من الأيام حرب الاستنزاف مرة أخرى ، ولو أننى لا أعلم السرعة التى يسيرون بها نحو هذا . لكننى أعتقد بأن هناك حد – أى أن هذه الساعة قادمة ، وأننا نسير نحوها لكن من غير المعروف السرعة التى تسير بها الأمور نحو هذا . وفيه عناصر متشددة داخل الجيش . وقد عرفت بأن الشبان من الضباط هم الذين يتدربون بكل جد الآن على العبور باستعمال كبارى مؤقتة . وهؤلاء الضباط هم المتحمسين ابتداء من رتبة ملازم حتى رائد . وهم لا يمانعون فى محاولات السادات للوصول إلى تسوية سلمية . ويجدون أن هذه السياسات نجحت نجاحا كبيرا حيث أنها أدت إلى التفاف الرأى العام العالمى حول المصريين أكثر بكثير مما كانوا عليه .

(حضرت زوجة ترون وحياها الضيف وسألته) :

زوجة ترون : إلى متى أنت باق هنا ؟ وهل ستصبح سفيرا ؟

الضيف الأمريكى : صلى من أجلى . (ثم وجه حديثه إلى ترون) : هل لديك أشياء يمكن الاطلاع عليها من الناحية العسكرية ؟ عندما كنت قادما إلى هنا وجدت بأن بيل كان شغوفا بأن يكون لديه معلومات عن السوفيت ونشاطهم الجوى لأن ما لديه منها غير كافى .

يوجين ترون : هل يريد شيئا بخلاف الصور الجوية تقصد ؟

(*) من الواضح أنه زميل له فى المخابرات الأمريكية .

الضيف الأمريكى : نعم . يريد أشياء أكثر حين يجىء الوقت لأن نناقش مع الروس تواجدهم بالمرة فى مصر .

يوجين ترون : بيل يعتقد أن تواجد الروس مسألة يمكن أن يساوم عليها المصريين . وأنا أقول لا لأنها مسألة عسكرية وليست سياسية .

الضيف الأمريكى : اسمع . الشىء الذى أريد أن أقوله هو أن المصريين عند اللزوم سوف يطلبون منهم الرحيل . والروس لن ينبسطوا من ذلك كثيرا . وهذا موقف خطير . وأنا أعلم أن مثل هذه الأسئلة أثيرت فى موسكو وهنا .

يوجين ترون : من أين يحصل المصريون على السلاح إذن إذا استغنوا عن السوفيت ؟

الضيف الأمريكى : إلى أى مدى يستطيع السادات الصمود ؟ وما هو مدى التأييد الذى يلقاه الآن ؟

يوجين ترون : من هذه الناحية سواء فى القاهرة أو فى المدن الكبرى أم من قبل العسكريين - أعتقد أنه فى وضع قوى .

الضيف الأمريكى : تعتقد ذلك بالنسبة للمثقفين أيضا ؟

زوجة ترون تتدخل فى الحديث لأول مرة : هل تعتقد بأنه يتمتع بنفس الشعبية التى كان يتمتع بها ناصر ، وخاصة لدى المواطنين العاديين ؟

يوجين ترون : أعتقد بأنه أكثر من هذه الناحية لسببين : الأول أنه مقدم على مشروعات كلها سلام . والثانى أنه لم يقم بأى مشروع مغامرة أجنبية مثلما قام ناصر . وإن من الواضح للجميع فيما يقوله ويخطط له فى الداخل وفى الخارج بأن سياسة حكومته الأساسية هى استعادة ما فقدته البلاد قبل ذلك . وقد أطلق عدة مقترحات سلمية كلها كانت مقبولة ولقيت تأييدا . ولأول مرة خلال ٢٠ عاما نجد أن إسرائيل تقف موقفا دفاعيا دعائيا أمام الرأى العام العالمى ، كل هذا معناه نجاحه فيما فشل فيه ناصر . ومرة أخرى فإنه وافق على إمكانية فتح القناة بما سوف يترتب على ذلك .

الضيف الأمريكى : هل هناك أشياء ملموسة يمكن الوصول إليها نتيجة لإعادة فتح القناة ؟

يوجين ترون : يوجد طبعا . فمن ناحية فإن انسحاب الإسرائيليين ولو كان ذلك انسحاب جزئى لمسافة ٥ كيلومترات فقط فإن هذا يعتبر على أى حال تنازلا قدمته إسرائيل ، الأمر الذى قد يخفف الضغط عن السادات ويرضى أيضا دول أوروبا التى سوف يسرها عودة فتح القناة .

زوجة ترون : ليس فقط أوروبا ، فهناك آسيا وأفريقيا . »

. . . .

. . . .

□

● ● ● تقرير برقم ١٧٣٦٠ عن تفريغ لحديث مسجل بمنزل المستر « دونالد بيرجيس » رئيس البعثة الأمريكية بينه وبين المستر « مايكل سترنر » رئيس القسم المصرى بوزارة الخارجية الأمريكية ، وقد جاء إلى القاهرة ليمهد لزيارة وزير الخارجية « وليام روجرز » :

. . . .

. . . .

« دونالد بيرجيس : أنا أتمنى أن تقابل السادات لتعرف كيف أن السادات غير من ناحية موقفه من أمريكا .
(دارت مناقشة شارك فيها بيرجيس وزوجته والمستر مايكل سترنر عن بعض الشخصيات

الأمريكية وموقفها فى الانتخابات الأمريكية . ثم دار حديث عام عن المساعدات الأمريكية الخارجية . ثم دار حديث عن الأحوال فى وزارة الخارجية) .

مايكل سترنر : إن المشكلة فى البيت الأبيض حيث هناك خليط عجيب من بيروقراطية فظيعة بعضهم من أصل أوروبى (يقصد « كيسنجر » مستشار الرئيس للأمن القومى ، و« ارليكمان » و« هالدمان » ، وجميعهم من أصل ألمانى) وبين وزير الخارجية « ويليام روجرز » (وهو من أصل أنجلو ساكسون) - إن « روجرز » أفضل منهم جميعا . أما « جوزيف سيسكو » فهو بيروقراطى .

دونالد بيرجيس : إن سيسكو لم يعطل أى شىء - بل على العكس . لكنه كان يحب ناصر وكان يتفق معه فى الكثير .

مايكل سترنر : سيسكو مقتنع بأنه يمكن أن نخرج بشىء فى موضوع فتح قناة السويس ، وسوف يقول للإسرائيليين إنه لا بد من تسوية سلمية جدية بشأن الجبهة المصرية .

دونالد بيرجيس : أيوه .

مايكل سترنر : ربما يكون فى مقدورنا أن نجعل المصريين يقبلون ذلك .

زوجة بيرجيس : ما هو الواجب علينا أن نقوم به ؟

مايكل سترنر : نحن نريد من « دون » (يقصد « دونالد بيرجيس ») أن يمهد لذلك ، ونعد افتراضات ومقترحات لا تخرج كثيرا عن مشروع روجرز . ولكن يجب وضع قدر كبير من القيود من ناحية ترتيبات الأمن .

دونالد بيرجيس : أيوه .

مايكل سترنر : روى (يقصد روى آثرتون رئيس قسم الشرق الأوسط بوزارة الخارجية الأمريكية (*)) - يعتقد أن المصريين ربما لا بد أن يوافقوا على نزع السلاح الكلى فى سيناء . ماذا تعتقد عن رأيهم فى هذا ؟

دونالد بيرجيس : كلا . والوضع هكذا يحتاج - وأنا باستعمل هذه الكلمة مجازا - إلى شىء من الحرب a bit of war . أنا بعتقد إنه لا بد على الإسرائيليين أن يعرفوا أن هناك حدود وتحفظات لما على أمريكا من التزامات . والأمر يحتاج إلى حرب صغيرة لذلك ، وهناك أمل من وراء هذا فى رأيى .

مايكل سترنر : نحن لا زلنا نعمل على التوازن ما بين ذلك النوع من الأفكار التى تسلطت على واشنطن أثناء فترة الضجة الخاصة بالصواريخ .

دونالد بيرجيس : هل رأيت كل الوثائق التى أرسلتها ؟

مايكل سترنر : اسمع يا دونالد .. سيبك من كل هذا الموضوع لأنه أنا عارف كل ما تقصده . وإذا كنت بتعامل ناس معقولين معلهش . لكن يا إلهى لقد مكثت شهرا بأكمله حتى جعلت أشرف يتوقف عن الكلام (يقصد السفير أشرف غربال رئيس قسم رعاية المصالح المصرية بواشنطن) - أشرف كان ناوى يعرض على الحكومة عندنا أشياء زى الزفت من ناحية احتجاجات على طائرات الفانتوم . وبعدين الإسرائيليين كانوا ناويين يخرجوا بضجة أخرى مثل تلك الضجة التى قاموا بها فى الصيف الماضى - متذكر ؟

دونالد بيرجيس : أيوه .

(*) أصبح بعد ذلك سفيرا للولايات المتحدة فى القاهرة وهو السفير الفريد آثرتون .

مايكل سترنر : واخد بالك ؟ ليست هذه هى الطريقة لعرض موقف حكومتك وجعل واشنطن تأخذ برأيك - إن هذا أحدث أضرارا بالغة أكثر مما تتصور.

دونالد بيرجيس : من أى ناحية ، وأين الأضرار ؟

مايكل سترنر : بالنسبة لموقف روجرز فإنها أحدثت فعلا تأثيرا عليه . إنها أعادت مرة أخرى موضوع السوفيت كله . وفى البيت الأبيض نظروا إلى هذا الموضوع بكل جدية وخطورة ، وأنا أعتقد إذا عدنا بالموقف كله مرة أخرى إلى إطلاق النار كأننا عدنا بكل ماوصلنا إليه ضمن مشروع روجرز ، وألقينا به من النافذة ونفضنا أيدينا ونعود مرة أخرى إلى مواجهة السوفيت بسخونة .

دونالد بيرجيس : كلا . لا أعتقد بأننا كنا نؤيد كلاما من هذا النوع .

مايكل سترنر : لا . لا . كلا لا أعتقد ذلك

دونالد بيرجيس : الآن نحن نعطيهم السلاح ونقول أيها الاسرائيليون قوموا بما يجب ضد الاتحاد السوفيتى . وذلك تتبعه أضرار بطبيعة الحال .

مايكل سترنر : لا ليس ذلك هو المقصود .

دونالد بيرجيس : حتى إذا حدث ووجدت تهديدا سوفيتيا مباشرا ضد إسرائيل .

مايكل سترنر : لم نواجه هذا .

دونالد بيرجيس : قلنا لكم منذ عام بأن صواريخ « سام ٣ » جاءت إلى مصر .

مايكل سترنر : أنا أخشى أن الحكومة سوف تعوض الإسرائيليين بشكل زائد عن الحد من ناحية الأسلحة والأموال .

دونالد بيرجيس : لن يقتصر الأمر على أسلحة وأموال .

مايكل سترنر : تقصد أننا سوف نتدخل إلى جانب الإسرائيليين ؟ إنهم لن يحتاجوا إلى شىء من ذلك .

دونالد بيرجيس : أنا متأكد ، وأراهنك .

مايكل سترنر : لن تكون هناك حرب خلال عشرة سنوات . أنا لا يهمنى مدى رزانة السادات ، لكنه لن يغامر فى موقف لا أمل فيه . وأقصى ما يمكن هو أن يكون هناك تراشق على نطاق واسع بالمدفعية .

دونالد بيرجيس : أنا أعتقد بأنك مخطىء فى هذا . فالإسرائيليين سوف يستمرون فى تهديداتهم ، وسوف يجعلون السوفيت مضطرين للتدخل المباشر فى الموضوع . وهنا تصل الحقيقة إلى النيران . وهنا أيضا سوف نتراجع نحن لأننا سوف نصل إلى قرار يقول بأننا لن نحرق نيويورك لننقذ تل أبيب . أنا أعتقد أنه لن يكون هناك سلام إلا إذا عرف الإسرائيليون بأن هناك حدودا ونهاية لالتزاماتنا .

مايكل سترنر : أنا موافق . لكننى لا أعتقد بأن هذه هى الطريقة للقيام بذلك .

دونالد بيرجيس : أنا لا أعتقد بأن هذه هى الطريقة ، ولكننى أعتقد بأن هذا الطريق هو الذى سيحدث .

مايكل سترنر : وأنا بعتقد أن كل واحد فى الكونجرس باستثناء فولبرايت ومعه واحد أو اثنين سوف ينادون بإعطاء إسرائيل كل شىء . إن هذا الموقف يختلف تماما عن الموقف فى فيتنام . عندما قام المصريون ببعض المخالفات ما الذى حدث ؟ فتحت البوابات وجرى طوفان من الأسلحة وكميات مذهلة من السلاح ذهب إليهم ولم نصل إلى شىء .

دونالد بيرجيس : كيسنجر استغل الموقف وعاد إلى طريقة الحرب الباردة القديمة .

مايكل سترنر : وبعدين ؟

دونالد بيرجيس : أنا أعتقد بأن الشىء الوحيد الذى سوف يحرك الإسرائيليين هو الضغط الأمريكى أو التهديد باستئناف الاشتباكات العسكرية .

زوجة بيرجيس : ما هو الضغط الأمريكى ؟
مايكل سترنر : هذا هو ما نتحدث عنه
دونالد بيرجيس : بدون حرب ما قيمة أى ضغط نبذله هناك ؟
مايكل سترنر : أنا لست أعرف يا دونالد . أنا موافق على أن ما تقوله يبدو معقولا . لكننى بعتقد بأن الشىء المعقول أكثر هو أن نحاول الوصول إلى نقطة تكون قد قمنا فيها بكل ما يطلبه الإسرائيليون . ما يلحون فى طلبه هو التعهدات ، وربما يكون هناك معاهدة أمن ثنائية أو شىء من هذا القبيل .
دونالد بيرجيس : ماذا عن انسحابهم للحدود الدولية ؟
مايكل سترنر : سيسكو لديه رأى بأن الحدود الدولية تمتد فقط من البحر المتوسط جنوبا إلى العقبة ، ولكنها لا تمتد جنوبا إلى شرم الشيخ .
دونالد بيرجيس : هل هذا كلام ؟
مايكل سترنر : هو يعتقد بأن هذا الوضع يفتح فى المستقبل احتمالات .
دونالد بيرجيس : لا . لا. احنا بنلعب مع أنفسنا . احنا بنلعب مع أنفسنا .
مايكل سترنر : الانجليز لديهم وثائق تؤيد ذلك .
دونالد بيرجيس : أى وثائق .
مايكل سترنر : وثائق عن مفاوضات جرت سنة ١٨٩٢ ، وكانت حدود مصر فقط من السويس إلى البحر الأبيض ، لكن الأتراك مدوا هذه الحدود إلى الأمام حتى العريش .
دونالد بيرجيس : هيكل قال لى إن لديه وثيقة تاريخية مكتوبة من العريش ، وهى على شكل خطاب كتبه قائد الحامية المصرية إلى زوجته أيام رمسيس .
مايكل سترنر : هل معنى ذلك أنهم يريدون الرجوع إلى تلك الأوقات التى كان المصريون يحكمون نصف الأراضى المعروفة الآن باسم السودان ونصف سوريا ؟
دونالد بيرجيس : أنا بعتقد أن الموضوع إذا لم يجد حلا الآن فربما تكون هذه نهايته تقريبا . »

□

● ● ● تقرير برقم ١٨٣١٢ عن تفريغ لحديث مسجل بمنزل مستر « دونالد بيرجيس » رئيس البعثة الأمريكية بينه وبين عضو الكونجرس الأمريكى المستر « ارنست هولنج » وبحضور المستر « مارشال ويلى » السكرتير الأول بالسفارة الأمريكية .

. . . .

. . . .

« بدأ الحديث عن الزراعة فى مصر ، وعن الدور الذى أداه السد العالى . وبدأ أول تعليق من عضو الكونجرس الأمريكى « ارنست هولنج » :

ارنست هولنج : ماذا لو فرض وضرب هذا السد ؟
مارشال ويلى : (مقاطعا) تتكلم عن ضرب السد العالى وتدميره بالقنابل ؟
ارنست هولنج : أنا لا أقول نحن نفعل ذلك . أنا أتكلم عن الإسرائيليين فلديهم أسرع الطائرات . وإذا لم يكن لديهم قنابل خاصة فإنهم يستطيعون إنتاج قنبلة يضربوا بها هذا السد . وسيكون هذا عمل انتقامى .. انت واخد بالك ؟
دونالد بيرجيس : ازاى ؟

ارنست هولنج : أنت تحاصر أسطولى أو تفرض علىّ حصار . أنا آجى وأضرب لك السد بتاعك بالقنابل وأحطمه ، فهل يلزم مجهود كبير لتحطيمه ؟

مارشال ويلى : إذا كانت الأسلحة الذرية سوف تستخدم فيلزم طبعا جهد ومدة كبيرة .

دونالد بيرجيس : لتدمير هذا السد يلزم أسلحة ذرية من النوع الضخم . إنه مقام هكذا . (ذهب وجاء برسم للسد وشرح عليه) واستطرد : وبطول كيلومتر فى هذا الاتجاه .

مارشال ويلى : ربما يلزم هذا السد أكثر من قنبلة ذرية واحدة حتى يمكن تدميره .

دونالد بيرجيس : وفيه كمية ضخمة من المواد ملقاه حوله . وكذلك الملحقات كثيرة . لكن يمكن جدا ضرب محطة توربينات الكهرباء بالرغم من التحصينات الدفاعية حوله .

ارنست هولنج : هل وضعوا تلك التحصينات كى يحولوا دون وصول طائرات مغيرة إليه ؟ وهل توجد محطات رادار ؟

مارشال ويلى : فيه أجهزة رادار موجودة فعلا . وأجهزة الرادار طبعا هى من الأهداف التى تضرب أولا . والإسرائيليون هبطوا والتقطوا محطة الرادار كلها .

ارنست هولنج : هل تعتقد أن الإسرائيليين حصلوا على الأسلحة النووية ؟

دونالد بيرجيس : كلا . لكن كما أقول وكما قلت أنت متى اتخذوا قرارا لابد أن يكونوا معتمدين على شىء آخر . وعلى رأيك ماذا يجعل جولدا بمثل هذا التشدد .

مارشال ويلى : أنا متأكد بأن لديهم فعلا قنبلتين أو ثلاثة .

ارنست هولنج : هل تعتقد بأن لدى الولايات المتحدة فرص اختيار الآن أقل ؟ - بمعنى أن الوقت يفلت من أمريكا وتضيع منها الفرص ؟

دونالد بيرجيس : أيوه .

ارنست هولنج : ماهى الفرص التى كانت أمامنا فى العام الماضى وليست لدينا الآن ؟

دونالد بيرجيس : كان لدينا نظم حكم أكثر ميلا لأمريكا فى ليبيا . وكانت هناك دول عربية تسمح للأسطول السادس بزيارتها ، وهذه لم تعد موجودة ، مثل بيروت .

ارنست هولنج : كل هذا كان منذ عام مضى ؟

دونالد بيرجيس : نعم يا سيدى . وكان لنا قواعد عظيمة فى ليبيا .

مارشال ويلى : كان لدينا علاقات تجارية لا بأس بها فى دول مثل العراق وسوريا .

ارنست هولنج : ألا يستمع المصريون إلى آراء الأمريكان باهتمام ؟

دونالد بيرجيس : من هذه الناحية لا يطيق المصريين قيام دولة إسرائيل . وعندك الإسرائيليين ، لا يكفوا أن يقولوا كل يوم بأن هيكل يكتب مطالبا بالقضاء على دولة إسرائيل . لكن اعتقادى أن هذا ليس هو المقصود . المصريين والفلسطينيين يطالبون بشىء من العدالة .

ارنست هولنج : لازم الأمور تستقر هنا ويتوصلوا إلى اتفاق مع إسرائيل . كثيرين فى الكونجرس لديهم الاتجاه إلى استثمارات فى الدول العربية عامة وفى مصر خاصة بعد أن تبدأ الحالة فى الاستقرار .

(انتقل الثلاثة إلى غرفة المائدة لتناول الطعام ، وانضمت إليهم زوجة بيرجيس فى الحديث) .

ارنست هولنج : الإسرائيليين لن يعترفوا بأى تحسن ما دام الروس هنا فى مصر بهذا العدد .

دونالد بيرجيس : إنهم لن يكفوا عن هذه النغمة حتى الانتخابات الأمريكية ... لن يتوقفوا عن الحديث عن مسألة الروس .

ارنست هولنج : ما هو الوضع بالنسبة لعامل الوقت وبقاء الحال على ما هو عليه الآن ؟

دونالد بيرجيس : المصريون يطالبون بنتيجة بغض النظر عن المدة التى تتحقق فيها .

ارنست هولنج : ماذا يستطيعون عمله إذا كسروا وقف إطلاق النار ؟

مارشال ويلى : أنا أعتقد أن السادات سوف يبدأ بشيئين : الأول إرسال قوات كوماندوز للقيام بغارات هجومية الغرض منها نصب كمائن على الضفة الأخرى لقتل وأسر أكبر عدد ممكن من أفراد الدوريات الإسرائيلية الموجودة عند أقرب النقط . والخطة الثانية : هى بدء مجموعات القناصة عملها مرة أخرى ضد أفراد إسرائيليين .

دونالد بيرجيس : أيوه . وهم مهرة فى ذلك .

مارشال ويلى : أيوه هم مهرة فعلا . وأعتقد كخطوة أولى يبدأ المصريون إطلاق مدفعيتهم الثقيلة عبر القناة .

ارنست هولنج : أنا أتعجب . لماذا لا يترك المصريون شرم الشيخ لأنها أنفع للإسرائيليين منها لهم . وفى مقابل ذلك يترك الإسرائيليون القناة يطهرونها ويعيدون فتحها ويحصلون على إيراداتها ؟

مارشال ويلى : لماذا لا يترك الإسرائيليون سيناء أولا ؟

دونالد بيرجيس : هذا هو المعقول . »

. . . .

. . . .

□

● ● ● تقرير برقم ١٨٣٩٢ عن تفريغ لحديث مسجل بمنزل السيد « دونالد بيرجيس » رئيس البعثة الأمريكية فى حضور زوجته والكولونيل « ويليام ويزرد » مسئول الأمن الخاص الذى سبق « روجرز » لترتيب إجراءات أمنه فى القاهرة - والسفير « أشرف غربال » .

. . . .

. . . .

« يبدأ شريط التسجيل بصوت مسئول الأمن الكولونيل « ويزرد » يقول :

كولونيل ويزرد : كل ما يهمنى هو الموافقة على احتياطات الأمن التى أريد اتخاذها هنا .

زوجة بيرجيس : من هذه الناحية لا تقلق لأن الأمن هنا بطبيعته مكفول . والسلطات هنا تبذل قصارى جهدها كى تضمن سلامة الزوار الأجانب . وكل مرة يأتى زائر كبير عندنا تتولى الحكومة حراستهم وترسل وراءهم سيارتين للحراسة وحتى فى الاسكندرية أيضا . وأنا كنت اتعرفت على ضابط برتبة نقيب قابلته هنا أثناء زيارة سيسكو ، وبالأمس وجدته داخل الحديقة وسألته من أنت وماذا تفعل هنا ؟ وهدأ من روعى قائلا : نحن هنا من أجل سلامتكم .

كولونيل ويزرد : أنا أريد أن أعرف بالضبط ما هى الأبواب التى تريدونها مفتوحة والأخرى التى يمكن أن نغلقها تماما .

دونالد بيرجيس يسأل زوجته : ما هو عدد المدعوين الذى تستطيعين استيعابه على مائدة واحدة بحيث يستطيع كل من عليها أن يتحدثوا مع بعضهم ؟

كولونيل ويزرد : أنا لا أريد أكثر من ٢٠ فقط .

(حديث عن احتياطات الأمن التى سوف تتخذ) .

زوجة بيرجيس : على أى حال الأحسن الاحتياط من جانبكم .

كولونيل ويزرد : الزيارة محدودة ، وهى زيارة عمل وليست زيارة فيها مواعيد سرية .

زوجة بيرجيس : على أى حال أنا غير متوقعة وصول نتيجة .

كولونيل ويزرد : لماذا ؟

زوجة بيرجيس : لأن الإسرائيليين لن يستجيبوا لأية مطالب من هنا .

كولونيل ويزرد : أعتقد أنهم الآن موضوعين فى ركن كما فعل ناصر معهم ذات مرة .

زوجة بيرجيس : إنهم يتقدمون بمطالب . وإذا ما وجدوا أن بعض هذه المطالب تستجاب ، نجدهم فجأة يتسللوا ويجيئون بمطالب جديدة .

(ضحك) وعلى أى حال نحن مستفيدين من ذلك . فبدون علاقات دبلوماسية « دون » وأنا فى مصر مبسوطين . وإذا عادت العلاقات يمكن يعينوا سفير آخر .

(أثار الكولونيل ويزرد موضوعات بشأن إقامة مجموعة الحراسة ومشاكل غسيل وكى ملابس الوزير ومرافقيه ، وأنه غير مطمئن لها فى الفندق . وطلب قائمة بأرقام التليفونات التى يستطيع الاتصال بها عند الضرورة) .

. . . .

. . . .

استأذن الكولونيل ويزرد وخرج . ثم دخل شخص أمريكى آخر ودار بينه وبين بيرجيس حديث قصير قال فيه الأمريكى الآخر : المطلوب تسليم هذه المذكرة للوزير . وقد أرسلنا نسخة منها إلى البيت الأبيض .

. . . .

. . . .

دخل السفير « أشرف غربال » وسأله « بيرجيس » عن متى وصل من واشنطن ؟ ورد « أشرف غربال » بأنه وصل فجر الجمعة على الخطوط العربية ، وتوقف ساعات فى لندن زار فيها السفير « أحمد حسن الفقى » .

ودار حديث عن برنامج الزيارة ، وعن تأخير موعد وصول طائرة « روجرز » لمدة عشرين دقيقة .

أشرف غربال : من سيكون فى المقابلة مع الرئيس ؟ من مع الوزير ؟ أظن أنت و« جو » (سيسكو) وباترسون ومارشال .

دونالد بيرجيس : لا . ستكون أربعة بما فينا الوزير . الوزير وسيسكو وأنا وباترسون .

أشرف غربال : كفاية (سالئا بيرجيس) : أنت اجتمعت أخيرا مع هيكل ومع رياض (يقصد وزير الخارجية السيد « محمود رياض ») وكانت النتيجة لا بأس بها .

دونالد بيرجيس : أيوه . دى كلها كانت اجتماعات صحية ومفيدة . وتبادل وجهات النظر فى مثل هذه المرحلة مفيد .

أشرف غربال : أيوه . دى كانت مقابلات حساسة بالنسبة لك .

دونالد بيرجيس : أنا قلت لهم هذه المرة فى وزارة الخارجية المصرية إن أنا أرسلت تقارير ومذكرات وتحليل للموقف وشرحت فيها كلها وجهات نظركم . وها هو الوزير (روجرز) ووكيل الوزارة (سيسكو) قادمين والفرصة سانحة لكم لعرض وجهات نظركم . والموقف بالنسبة لقضية القناة مختلف جدا هذه المرة . وأنا قلت لهم إن الموضوع هذه المرة يهم الرئيس السادات أكثر من أى شخص آخر . والمسألة يلزمها وقت .

أشرف غربال : إن الرئيس السادات يريد فعلا أن يصل إلى شىء عملى ، وهو يريد أن يفعل ذلك بعقلية مفتوحة ولا يخفى شىء . ويقول لك بكل أمانة وصراحة ما يريده وما هو فى حاجة إليه .

دونالد بيرجيس : اذن . نصلى لله .

أشرف غربال : أنا رأيت تقاريرك وأحب أقول لك أن الناس فى واشنطن مسرورين جدا منها ، ويقولون تقاريرك تغطى كل شىء ولطيفة فيها روح الظرف . وانت بتقول وبتروى الأشياء بطريقة محبوبة - عاوزك تعرف أن عامل الوقت يقلقنا نحن فى العمل فى هذه القضية . والناس أصبحت قلقة .

دونالد بيرجيس : أنا لاحظت على الرئيس السادات القلق . وهذه هى المشكلة . وهو رجل طيب لا يستحق هذه المشاكل .

أشرف غربال : أنا أحب أقول لك شىء هنا . هذا الموقف لا يمكن معالجته بالتنميق والتزويق والشهادة لنا بحسن السير والسلوك .

دونالد بيرجيس : أيوه . هيكل كتب نفس العبارة وقال إنه سمعها من الزيات .

أشرف غربال : لا . هو العبارة من محض تعبيرى أنا . وحصل أن الزيات سمعها وقالها لهيكل .

دونالد بيرجيس : آه .

أشرف غربال : أيوه . هو قالها لهيكل . لكن اسمع ، لو سنحت بريق فرصة يجب أن تقتنص وتنتهز ، واليوم وليس اليوم فقط بل هذه اللحظة . أنا عارف كيف تسير الأمور فى واشنطن ، والإسرائيليون يحاولون بذل كل جهد لإقناع واشنطن ، ويقولون لهم : شايفين ؟ انتظروا لأن كل شىء يسير لصالح أمريكا - فلننتظر إذن لنرى - ما عليكم إلا الانتظار والفرصة سانحة . والشىء المثير للعجب والذى قاله لى كيسنجر ، وسبق أن قاله لى « جو » أيضا ، هو أن الشرق الأوسط هى المنطقة التى فيها فرص تفلت وتضيع - وها هى فرصة القناة .. لماذا تتركها تفلت ؟

دونالد بيرجيس : أنا اتكلمت مع محمد رياض ، واقترحت عليه أن يوافقوا بمرونة على أى مقترحات فى الخطوات الانتقالية .

أشرف غربال : ايه رأيك انت بالنسبة لقناة السويس ، وهل هناك أية أفكار معينة تلوح لك وربما يود الوزير التحدث فيها ؟ - أنا أؤكد لك أن الجميع سوف يسمع له هنا .

دونالد بيرجيس : كلكم تعرفون موقف الوزير من القضية . ومن رأينا انه يجب أن تحل ككل .

أشرف غربال : أيوه . هو قال هذا فى السعودية .

دونالد بيرجيس : أما فيما يختص بالإسرائيليين فحقا هم زودوها - لكن لا نجعل عامل الوقت يضغط علينا . وأنا قلت للوزير فى آخر تقرير : المصريين مصرين على العبور إلى الضفة الأخرى باتفاق أو من غير اتفاق .

أشرف غربال : تقصد تقول إن المصريين سوف يعبرون تحت أى ظروف ؟

دونالد بيرجيس : أيوه . مفيش شك عندى فى ذلك . والمسألة مسألة تجهيزات والإعداد لمدفعية ثقيلة ، وما شابه ذلك .

أشرف غربال : على ما فهمته من ملخص التقارير الصحفية لإسرائيل هو أن المصريين لن يقوموا بعملية عبور شاملة ، لكن ربما تتم عمليات عبور بالقطاعى وليست شاملة .

دونالد بيرجيس : هذه مشكلتكم أنتم .

أشرف غربال : أيوه . وأنا هنا أحب أفهم .

دونالد بيرجيس : هم على أى حال يقولون إن خط بارليف هذا أقوى خط تحصينات . على أى حال المهم هنا أن يغادر روجرز مصر ومعه تفسيرات شاملة لكل موقفكم . كل ما تستطيعون قبوله وما لا تستطيعون .

أشرف غربال : أنا أؤكد لك أن الناس هنا سوف يبذلون كل جهد ، وآمل أن يأتى بشىء جديد . وزى ما أنت عارف ، الكثير يتوقف على هذه الزيارة .

دونالد بيرجيس : أنا عاوز أقول إن أنا وصلت إلى أنى أبلغتهم فى واشنطن بأن أنا طول عمرى أعمل فى مصر ، وعمرى ما لقيت مصر تتصرف بمثل هذه المرونة فى مواقف ماسة مباشرة بها وبأمنها وبناء على طلبنا . وهذا موقف كريم من المصريين .

أشرف غربال : أنا أعتقد أنه سوف تكون هناك تعقيدات بين أمريكا وإسرائيل .

دونالد بيرجيس : الإسرائيليين غير مسرورين بالمرة من صدى مقترحاتهم بأمريكا ، ونحن قلنا لهم إن ما قدموه ليس ردا . وطلبنا منهم أن يردوا على الترتيبات التى أوضحها السادات كى ننتقل إلى غيرها .

أشرف غربال : أيوه . الترتيبات فعلا التى أعلنها الرئيس ، ما رأيك فيها ؟

دونالد بيرجيس : أنا أوضحت لهم أن الرئيس السادات لم يتقدم بهذه النقط من عنده . لقد تقدم بها بعد أن تشاور مع الكل : مدنيين عامة وعسكريين خاصة .

أشرف غربال : ما هو رد فعل واشنطن عن هذا كله ؟

دونالد بيرجيس : لم يصلنى من واشنطن رد فعل حاسم .

أشرف غربال : هل أشاروا إلى الجانب الآخر ؟

دونالد بيرجيس : إلى الإسرائيليين ؟ كلا ياسيدى . الموقف يا أشرف زى ما هو كما تحدثنا آخر مرة معا يوم ٢٨ .

أشرف غربال : الناس مهتمة جدا بالزيارة .

دونالد بيرجيس : أيوه . يهمنى جدا أن يسمع الوزير ، وبعدين أن أتكلم معاه .

أشرف غربال : هذا شىء جميل ، وأعتقد بأنها فرصة ، ولن يأتى وزير خارجية أمريكا عندنا هنا كل يوم - دى فرصة وسنحت مرة قبل ١٨ عاما لما جه دالاس من ١٨ سنة . لكن الفرصة ضاعت .

دونالد بيرجيس : شوف يا أشرف أنا عايز أقول لك حاجة ، ناصر كان لديه الشجاعة متوفرة بشكل لم أره .

أشرف غربال : على فكرة ، هل الوزير سوف يقابل هيكل ؟

دونالد بيرجيس : هو يريد .

أشرف غربال : أنا قابلت هيكل أمس ويبدو أنه غير مبسوط .

دونالد بيرجيس : هيكل صريح وبيتكلم الحقيقة .

أشرف غربال : أيوه . وهذا أحسن على المفتوح - أحسن طريقة .

دونالد بيرجيس : أنا عارف روجرز تمام ، وأنا متأكد انه حتى إذا لم يتكلم هنا ، فسوف يتكلم هناك بينه وبين نيكسون فى البيت الأبيض .

أشرف غربال : هم هنا يتكلمون على المفتوح ، وليس عن خوف بل عن تقدير للوعود التى نسمعها منكم . (حديث عن الضيوف على مائدة العشاء غدا وأنهم ٢٠)

أشرف غربال : على أى حال اسمع يا دونالد .. اتجدعن تمام (قالها باللغة العربية التى يفهمها « بيرجيس » إلى حد لا بأس به) لأننا فى آخر المشوار ، وأنا وانت يمكن أن نكون سفيرين إذا عادت العلاقات .

دونالد بيرجيس : ولم لا ؟

زوجة بيرجيس : أنا بعد العشاء سوف آخذ السيدات إلى الصالون الآخر ، وسوف أشغلهم ببعض المعروضات حتى تستطيعوا أنتم الحديث بحرية . »

. . . .

. . . .

□

● ● ● تقرير برقم ١٨٣٨٠ عن تفريغ لحديث مسجل بمنزل المستر « دونالد بيرجيس » رئيس البعثة الأمريكية بينه وبين مدير مكتب وزير الخارجية الأمريكى(*) . وزوجة « دونالد بيرجيس » .

. . . .

. . . .

« مدير مكتب وزير الخارجية الأمريكى « روجرز » بدأ يتحدث عن الإرهاق الذى واجهه هو والوزير وجميع أعضاء الوفد أثناء المراحل السابقة من جولتهم فى الشرق الأوسط ، لدرجة أن البعض مرض فعلا :

زوجة بيرجيس : إن سيسكو يشعر بالإرهاق فعلا .

مدير مكتب وزير الخارجية الأمريكى : إن هذه الجولة فى الأصل كانت سوف تقتصر على الأردن وإسرائيل ومصر فقط .

زوجة بيرجيس : كيف يمكن أن ترتبوا هذه الجولة وتنسون لبنان ؟ خاصة وأن أهم الفلسطينيين موجودين الآن فى لبنان ؟

مدير مكتب وزير الخارجية الأمريكى : فعلا . وكان هذا هو الهدف . لكن فى لبنان لم نسمع اقتراحات فى الصميم .

دونالد بيرجيس : إن الوزير يحاول الآن فى الفندق إعداد شىء نهائى يبحثه مع السادات فى موضوع القناة ، لكن أنا أحب أقول لك إنه لابد من التركيز على مسألة مشروع قرار مجلس الأمن فى ضمانه لتسوية . إنكم سوف تسمعون باكر أسئلة فى الصميم من كل من سوف تقابلوهم .

مدير مكتب وزير الخارجية الأمريكى : إننا سمعنا أسئلة كثيرة قبل ذلك ليس فى لبنان فقط بل فى السعودية أثناء مقابلتنا للملك فيصل ، وأنا لم أعجب بشىء مما قاله بقدر ما أعجبت بملابسه ، ذلك الشىء الفضفاض الذى ظهر به . إنه ثقيل فى مثل هذا الوقت من السنة . والغريب أنه ليس هو وحده فقط الذى يرتديه بل كل من حوله من الوزراء والخدام والحرس وغيرهم .

دونالد بيرجيس : آه . إنها العباءة .

(دار حديث طويل حول فيصل والملابس والعباءة . ثم انتقل الحديث إلى أن الوزير متعب جدا . ثم ناقش مدير المكتب مع بيرجيس طريقة استقبال الوزير) .

دونالد بيرجيس : الحفل كان من المفروض أن يقيمه وزير الخارجية لأن القادم وزير خارجية .

مدير مكتب وزير الخارجية الأمريكى : من فضلك لا تخبر الوزير بشىء من هذا لأنه يكره جدا مثل هذه التصرفات .

دونالد بيرجيس : (يتحدث عن الحفل الذى سيقيمه هو عنده للوزير ، وعن المدعوين إليه) .

مدير مكتب وزير الخارجية الأمريكى : الوزير يحب أن يقابل شخص واحد على انفراد فى ركن مثلا .

دونالد بيرجيس : من ؟ ـ هيكل ؟

مدير مكتب وزير الخارجية الأمريكى : هيكل .

دونالد بيرجيس : لدينا أماكن كافية فى هذا المنزل .

زوجة بيرجيس : يقدروا يذهبوا إلى فوق .

مدير مكتب وزير الخارجية الأمريكى : فيه تكهنات كثيرة بشأن أى شىء يدور فى هذا المنزل .

(*) من المحتمل أن يكون الزائر المعنى فى هذا التسجيل هو المستر « ريتشارد باركر » ، وقد كان فى ذلك الوقت من أظهر مستشارى « روجرز » .

دونالد بيرجيس : أنا حسيت بشىء فى هذا الموضوع .

مدير مكتب وزير الخارجية الأمريكى : إذن سنكون مراقبين بمنتهى الدقة .

زوجة بيرجيس : إننى منذ كام يوم هنا دعيت بعض السيدات من الشخصيات المعروفة هنا ومثقفات . وقد دعوتهم بمناسبة وفد سيدات أمريكيات زائرات ، حوالى ٣٧ . وقد ظهر عليهم منتهى الاحتياط . (ثم موجهة كلامها إلى زوجها قائلة) : فى كل حفلة سيكون فيه واحد مخصوص من المدعوين مهمته مراقبة ما يجرى .

دونالد بيرجيس : أيوه أنا عارف هذه الأشياء ... أيوه . نحن مراقبين تماما من قبل البوليس ، وهذا أخطر شىء واجهته هنا . وأنا أقول هذا دائما لأصدقائى جميعا ، وأبلغت ذلك لشعراوى جمعة(*) .

(بيرجيس موجها كلامه لمدير مكتب وزير الخارجية) : على أى حال الشىء المهم هو أن السادات يريد إنهاء حالة الحرب والحالة الموجودة الآن - وهو مستعد لذلك من هذه اللحظة .

مدير مكتب وزير الخارجية الأمريكى : حقيقى السادات يريد ذلك ؟ (فى دهشة)

دونالد بيرجيس : هناك بداية طيبة .

مدير مكتب وزير الخارجية الأمريكى : أنا كنت فاكر شىء آخر .

دونالد بيرجيس : نعم . أظن فيه حاجات كثيرة ، وسوف نرى عند الاجتماع غدا بالسادات .

مدير مكتب وزير الخارجية الأمريكى : نحن منذ أن أرسلت إسرائيل ردها كنا فاكرين أن مصر نفضت يدها .

دونالد بيرجيس : اسمع يا « ديك » . الوزير أصدر أوامر ألا نتقدم بهذه الورقة .

مدير مكتب وزير الخارجية الأمريكى : أيوه عارف . لكن الإسرائيليين قالوا لى بأن هذا هو الرد . ووجدتهم محضرين خريطة . وعلى ذلك اعتقدت أن موقفهم نهائى .

دونالد بيرجيس : خريطة .. هذا كلام ليس له معنى . كيف نحن ننفذ قرار مجلس الأمن وهم لا ينفذوه . هل رأيت المقترحات الأخيرة التى أرسلتها ؟ إنها هى التى يجب أن تنفذ وهى التى يجب أن نصر عليها ، وما يجب أن نفعله . إن الشىء الذى يجب أن نفعله الآن هو هذا الاقتراح الذى يؤدى إلى تخليص المنطقة من الروس فى الوقت الحاضر . وفى هذا الكفاية .

مدير مكتب وزير الخارجية الأمريكى : نعم . أنا فاهم كلامك .

دونالد بيرجيس : نحن من ناحية لابد وأن نوفر لهم الظروف التى تحسن من موقفهم هنا . انظر إلى الشعب وما يتطلع إليه . هل هو يريد حربا ؟

مدير مكتب وزير الخارجية الأمريكى : فى الأردن لاحظت شىء غير هذا تماما .

دونالد بيرجيس : الأردن شىء ثانى بالمرة .

مدير مكتب وزير الخارجية الأمريكى : كيف ذلك ولديهم فى الأردن جيش بالمعنى الصحيح . وقارن بين جيشهم وجيش لبنان .

دونالد بيرجيس : المهم هو الهدف .

مدير مكتب وزير الخارجية الأمريكى : هناك أيضا اختلاف كبير من ناحية قوة الطوارىء الدولية .... المشكلة شرم الشيخ .

(*) كان بيرجيس كما يبدو من كلامه يتصور أن الرقابة عليه بواسطة المباحث وبالتالى فهى رقابة على التليفونات ومتابعة فى الداخل لشكل ما يجرى عن طريق مزدوج . هذا بينما كانت الرقابة فى الواقع من المخابرات العامة ، وعلى كفاءة تستطيع معها أن تلتقط كل همسة .

دونالد بيرجيس : الإسرائيليين كانوا أغبياء من ناحية إصرارهم على مرور السفن التى تحمل العلم الإسرائيلى . وكيف ذلك فى مياه مصرية ؟ وبدون اتفاق ؟

مدير مكتب وزير الخارجية الأمريكى : ياساتر ، ألا تذكر ما كان يحدث لنا نحن .. كنا نتذكره فى نيويورك أخيرا . خلال عشر سنوات كانت سفننا وبوارجنا الحربية وطراداتنا والتى تحمل العلم الأمريكى تصدر لها الأوامر قبل قيامها من أمريكا بالتوقف عند أول موقع مصرى قبل مرورها فى مضايق تيران وتتقدم بتقريرها عما كانت تحمله ونوع البضاعة .

دونالد بيرجيس : أيوه . لكن لم يحدث شىء .

مدير مكتب وزير الخارجية الأمريكى : أيوه . لكن كنا نتوقف على أية حال ويجرى تفتيش سفننا .

دونالد بيرجيس : إنها أشياء تحدث دائما ، وأشياء تاريخية أى مبنية على أسس تاريخية .

زوجة بيرجيس : يظهر ان علاقتنا بهذا البلد سوف تمر بمرحلة طويلة طويلة .

مدير مكتب وزير الخارجية الأمريكى : ربما تحدث تغييرات . الوزير يتمنى أن يجد الجو متغير .

دونالد بيرجيس : السؤال الأهم هو هل نحن الأمريكيين نستطيع تحريك إسرائيل ؟ هل نستطيع أم لا ؟ « ديك » ، ما هو اعتقادك ؟

مدير مكتب وزير الخارجية الأمريكى : كما أعتقد فإننا تمكنا من تحريكهم بالنسبة لأشياء – نقطة الانسحاب ، والكيفية ، ومرابط القوات ، وحدود تسليح هذه القوات .

دونالد بيرجيس : من ناحية الانسحاب فنحن ملتزمين بشىء معين . من ناحية هذا الانسحاب ملتزمين بمعنى ملتزمين بانسحابهم إلى الحدود كما كانت عليه قبل ٦٧ . فهل هذا صحيح ؟

مدير مكتب وزير الخارجية الأمريكى : أيوه ملتزمين بأن إحنا نضمن حدود ينسحبوا إليها وتكون مضمونة ومأمونة . وممكن حدوث تغييرات ، لكن لابد أن يؤدى ذلك إلى تحسن الموقف بعد ذلك .

زوجة بيرجيس : هل شرم الشيخ ينطبق عليها هذا الوضع ؟ انظر إلى ما تقوله جولدا .

مدير مكتب وزير الخارجية الأمريكى : نحن عملنا على تحريك جولدا من ناحية الانسحاب – وحركناها من ناحية الاصرار على نقطة المفاوضات المباشرة .

زوجة بيرجيس : إن ما أسأله كمواطنة أمريكية ، ما هى التزاماتنا نحن بالنسبة لهذا كله ؟ نحن التزمنا بالانسحاب مع ترتيبات أمن .

مدير مكتب وزير الخارجية الأمريكى : هذا صحيح .

زوجة بيرجيس : وشرم الشيخ ، هل لا تدخل ضمن التزامنا بالانسحاب ؟

مدير مكتب وزير الخارجية الأمريكى : بطبيعة الحال تدخل . لكن ليس فى مقدورنا أن نأخذ منهم شرم الشيخ بالقوة ونعطيها للجانب الآخر .

زوجة بيرجيس : أنا لا أقول بالقوة ، لكنى (بشدة وبحدة) كمواطنة أمريكية لى الحق أن أتساءل ، ولا تقل لى اقفلى فمك لأنى لست مواطنة مصرية مثلا .

مدير مكتب وزير الخارجية الأمريكى : بطبيعة الحال بالنسبة لشرم الشيخ نحن لا نوافق أن يحصل الإسرائيليون على كل ما يريدون ، وهذه مسألة متفقين عليها .

دونالد بيرجيس : انت سوف تسمع غدا .

مدير مكتب وزير الخارجية الأمريكى : اسمع .. ليس كل ما يطلبونه فى مصر فى نقطة شرم الشيخ سوف نستجيب له . (مستطردا) هل السادات سوف يوافق على مسألة إعادة العلاقات إذا أثارها الوزير معه غدا ؟

دونالد بيرجيس : إنه يريد لو تمكن من ذلك . لكن لابد من شىء أولا .

مدير مكتب وزير الخارجية الأمريكى : أبدى ملاحظات عن صعوبة التحدث تليفونيا من الطائرات لأنه أراد أن

يتصل بزوجته من طائرة الوزير ولم يتمكن . وسأل إذا كان يستطيع أن يتصل بها (من هنا) » .

. . . .

. . . .

□

● ● ● تقرير برقم ١٨٥٧٠ عن تفريغ لحديث مسجل بمنزل المستر « دونالد بيرجيس » رئيس البعثة الأمريكية .

. . . .

. . . .

بدأ التقرير بالعبارة التالية :(*)

« بدأ التسجيل بحفل به عدد كبير من المدعوين - حديث الجميع فى حلقات ، وفى إحدى الحلقات الجانبية كان هناك حديث يدور بين شخصين أحدهما أمريكى وهو المستر « روجرز » وزير الخارجية الأمريكى ، والآخر مصرى وهو السيد « محمد حسنين هيكل » .

هيـــــــكل : الحقيقة لست أدرى ما سوف تتطور إليه العلاقات بيننا ، وهل هى قطيعة تشبه الطلاق ؟ أو هل هذا الانفصال إلى حين ؟

ويليام روجرز : إن كل هذا رهن بالموقف الآخر . وحقا نحن أمام فرصة لا تعوض .

هيـــــــكل : اعتقادى أن كل شىء يتوقف عما إذا كان إسرائيل سوف تقوم بالخطوة التالية . لابد لهم أن يقدموا ردا إيجابيا على مقترحات الرئيس السادات . هو بدأ بمبادرة لفتح قناة السويس ، وكل ما طلبه هو انسحاب إسرائيلى إلى ما وراء العريش ، ثم يتولى يارنج عملية الاتصالات لوضع أى ترتيبات يقترحها الطرفين .

ويليام روجرز : إننى أرى تقدما فى موقفهم ، لكن نظرا لأن هذا التقدم يتم على دفعات وأيضا خلال فترة طويلة من الوقت فقد لا يكون ملموسا ، لكن إذا تأملنا الموقف بدقة عقب حرب ٦٧ لوجدنا الموقف الإسرائيلى متحرك . فإسرائيل كانت مصرة على عدم القيام بأى شىء إلا بعد الاستجابة لمطالبها وأولها الدخول فى مفاوضات مباشرة . ولم تكن ترد على أى شىء وتقول إنها لن تفصح عن شىء إلا فى مفاوضات مباشرة مع العرب بدون وساطة وبدون طرف ثالث . وكان العرب جميعا من جانبهم يصرون على عدم الدخول فى أية مفاوضات ، وأن المطلب الوحيد هو الإصرار على الانسحاب الكامل .

هيـــــــكل : نحن فعلنا ما فوق الطاقة للوصول إلى تسوية سلمية . لا أحد يطلب الحرب للحرب ، ولكننا مصرين على تحرير أراضينا . وإسرائيل لها مطامع فى أجزاء من هذه الأراضى والحقيقة واضحة أمامكم .

ويليام روجرز : أفهم ما تقول .

(*) ليس واضحا لماذا قام مترجم المخابرات بتفريغ هذا الشريط إلى لغة عربية أشبه بالفصحى خلافا لما فعل فى أشرطة سابقة حيث ترجمها بلغة عامية .

هيـــــــكل : لم يعد فى استطاعة الرئيس السادات أن ينتظر للأبد . وحتى المشكلة بطبيعتها ليست قابلة للتجميد لأن هناك شعوب وجيوش تحت حالة تعبئة عامة ، والأمر يقتضى من جانبكم سرعة وحزم .
ولو أن أمريكا ضمت جهودها إلى جهود روسيا وبذلوا ضغطا على إسرائيل ومارسوا تنفيذه ولو حتى من ناحية مواقف سياسية ، لأمكن الوصول إلى شىء . بل ولأمكن توفير عنصر الوقت الذى تشير إليه وتقول إن عامل الوقت له أهميته . يبدو لنا أن إسرائيل تصورت منذ البداية بأنها كلما ماطلت كان عامل الوقت لصالحها .

ويليام روجرز : (أخذ يشرح للسيد/ هيكل الجهد الكبير الذى بذلته أمريكا من أجل ثنى إسرائيل ، وراح يصف له الظروف المواتية الآن والتى تحتاج إلى تنازلات من الطرفين . كما أخذ يذكر له المراحل التى تمكنت أمريكا من جعل اسرائيل تقبلها . ثم ضاع الحديث بعد ذلك وسط الحفل) .

بعد قليل عاد صوت الاثنين يسمع فى التسجيل ، وكان المستر ويليام روجرز يسأل السيد/ هيكل عن صحيفة الأهرام .

. . . .

. . . .

ثم دار الحديث التالى :

ويليام روجرز : إننى أعرف الصحافة وكنت قريبا منها . فقد كنت حتى دعانى الرئيس نيكسون للاشتراك فى إدارته ، محامى جريدة واشنطن بوست .

هيـــــــكل : إن لى صداقات مع كثيرين فى الواشنطن بوست ، وكانت صاحبتها كاثرين جراهام ضيفة علينا هنا قبل أسابيع .
من أصدقائنا .

ويليام روجرز : (هامسا) هل أستطيع أن أزورك غدا فى الأهرام ؟

هيـــــــكل : بالطبع .. وسوف أطلب من وزير الخارجية أن يضع زيارتك للأهرام ضمن البرنامج الرسمى لزيارتك .

ويليام روجرز : هناك موضوع هام وهو حجم الوجود الروسى عندكم .

هيـــــــكل : السوفيت يساعدوننا مساعدات كبيرة .

ويليام روجرز : المشكلة أن الإسرائيليين يستغلون هذا الوجود الكثيف . وأنت تعرف أمريكا الكونجرس والصحافة والرأى العام .

هيـــــــكل : هذه مسألة لم يكن لها حل خصوصا عندما بدأ السلاح الجوى الإسرائيلى يضرب فى العمق .

ويليام روجرز : كيف ترى دور يارنج فى المرحلة القادمة ؟

هيـــــــكل : إن يارنج نفسه ضاق ذرعا ، وكان الواجب على مجلس الأمن أن يدعوه ويسأله ما الذى عطل مهمته على هذا النحو . وكان يجب لهذا المجلس أن يقوم بدوره فى هذه الحالة . إن يارنج ممتاز . ونحن محتارون معه . (ضحك)

(اقترب أحد المدعوين وانتقد العناوين الضخمة المعادية لأمريكا التى تنشرها الصحف المصرية . وكان بين الذين اقتربوا السيد أشرف غربال ، وقال المستر روجرز موجها الحديث إليه قائلا : كان يهمنى جدا أن أتصل بأحد من وفد سوريا فى الأمم المتحدة قبل حضورى إلى هنا . ورد عليه غربال قائلا : إن المصريين على

إتصال دائم بالأمريكيين ، وبطبيعة الحال بجميع الزملاء العرب . ورد المستر روجرز قائلا : إن موقفكم أنتم جيد ، وعن طريق هذه الاتصالات معنا ومع بقية العرب يمكن أن ننجز الكثير) » .

. . . .

. . . .

كانت هذه ملامح الصور والتصورات الأمريكية عندما وصل وزير الخارجية « ويليام روجرز » إلى القاهرة .

الفصل السابع

البيضة والحجر

١

كان الرئيس « السادات » شخصية مثيرة بكل المعايير ، وكانت شخصيته متعددة الجوانب بحكم تكوينه الإنسانى ، وتجربته الحافلة ، والثقافة التى ترسبت عنده من العنصرين : عنصر التكوين ، وعنصر التجربة . وقد علمته الأيام أن يقابل الصعاب بصدر رحب . وفى السنة الأولى من رئاسته فإن أحلى ما كان فى شخصيته تجلى وتألق .

كان رجلا تحت الاختبار - وكان يدرك ذلك بعمق .

وكان رجلا يواجه تحديات خطيرة - ولم يقلل من شأنها .

وكان رجلا يريد أن ينجح فى مهمته الرئيسية ، وهى مأزق الحل والحرب ، وقد راح يجرب ويتعلم بقلب مفتوح وعقل متفتح ، وكان مستعدا لسماع كل الناس ، وجاهزا للتفكير حتى فيما كان التفكير فيه ضربا من المستحيل .

وفوق ذلك فإنه راح يمارس هذا كله ببساطه ، وأحيانا بمرح إذا سمحت له الظروف .

وكان هناك معيار لحالته النفسية يعكس نفسه فى الطريقة التى يلقى بها تحية الصباح أو يردها .

وحينما يكون راضيا وسعيدا فإن تحية الصباح عنده كانت تتراوح ما بين : « صباح الفل » - أو « صباح الورد » - أو « صباح القشطة » .

وحين تستبد به المشاكل والهواجس فإن تحية الصباح عنده كانت تتراوح ما بين : « صباح الخير » – « صباح النور » – وأحيانا يبلغ السوء مداه فإذا هو يرد تحية صباح الخير قائلا : « ومن أين يأتى الخير – هذا صباح الزفت والقطران » !

وعندما راح يستعد لمقابلة وزير الخارجية الأمريكى – القادم لزيارته – « ويليام روجرز » – كان يقدر تماما أن اللقاء نقطة تحول ، فهذه أمامه فرصة لاستكشاف النوايا الأمريكية تتاح له مباشرة ، فهو أخيرا وجهاً لوجه وبدون وسطاء أو رسل – أمام وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية التى كان يعلق عليها وحدها فى الأزمة قيمة كبيرة لأنها القوة الوحيدة القادرة على ممارسة أى نوع من أنواع الضغط على إسرائيل ، فمساعداتها « شيك على بياض » (حسب تعبيره) لإسرائيل ، وكل ما لدى إسرائيل من قوة : السلاح والعتاد – أمريكى المصدر – فإذا قالت واشنطن : « لا » – فإن اسرائيل ليس أمامها غير أن تقول : « نعم » .

ومع ذلك فقد كان عمليا يدرك أن العلاقات الأمريكية الإسرائيلية ليست بسيطة ولا هى هينة ، ولهذا فقد كان على استعداد لأن يمشى إلى منتصف الطريق إذا رضى الطرف الأمريكى أن يمشى بدوره إلى منتصفه الآخر ، بحيث يمكن أن يتحقق لقاء فى النوايا والأفكار ، وفى المقترحات والصياغات ، وفى الحلول والترتيبات .

وكانت تحية الصباح فى هذه الفترة متحفظة ، فلم تكن « صباح الفل » أو « الورد » – ولم تكن أيضا « صباح الزفت والقطران » .

□

وعندما اقترب موعد لقائه المنتظر مع « روجرز » ، كان الرئيس « السادات » فى حالة من التنبه بلغت أقصى درجاتها .

ومن حسن الحظ – مرة أخرى – أن تسجيلات الأحاديث التليفونية بينه وبين محمد حسنين هيكل تعطى صورة حية لمدى استعداده لأى فكرة وأى حركة .

وفى تقرير عن تسجيل تليفونى بتاريخ ١٩ ابريل ١٩٧١ – نموذج واضح :

« تقرير عن تسجيل تليفونى
منزل السيد / محمد حسنين هيكل
رقم التليفون ٨١٩٢٩٢
(كان الرئيس يتحدث عن ترتيباته للموقف ، وخصوصا ما يتعلق بترتيب الجبهة العربية قبل أن يجىء المستر ويليام روجرز) .

ووردت فى الصفحة التاسعة من التقرير – فقرة فى الحوار نصها كما يلى :

هيـــــــكل : أنا كان نفسى تعمل حاجة إضافية .
الرئيس السادات : ايه ؟
هيـــــــكل : تبعت رسول للملك فيصل .

الرئيس السادات : (مستغربا) لفيصل ؟

هيـــــــكل : أيوه .. المعلومات اللى عندنا أن الملك زعلان من مسألة إعلان اتحاد الجمهوريات العربية . ولم يشاوره فيها أحد . وربما يتصور أنها عودة إلى ما كان يشتكى منه باستمرار عندما قامت وحدة بيننا وبين سوريا . انت عارف موضوع أى وحدة فى العالم العربى هم حساسين منه جدا .

الرئيس السادات : أنا كنت باعت رسول لنميرى .

هيـــــــكل : النميرى أمره سهل . لكن فيصل مسألة أساسية ، خصوصا تأثيره عند الأمريكان .

الرئيس السادات : والله معاك حق .

هيـــــــكل : هو يختلف عن الآخرين فى وزنه .

الرئيس السادات : معاك حق . معاك حق . على طول والله ، معاك حق » .

□

وفى الصفحة ١٢ من نفس التقرير ترد الفقرة التالية :

« هيـــــــكل : أقول حاجة كمان . أنا شايف الفرنساويين قلقانين أيضا من حكاية الاتحاد . والمسألة تساوى انك تطمننهم قبل ما ييجى روجرز . أنا شايف بيان فرنساوى طلع من أيام بيتكلم على أنهم يفكرون فى موضوع الميراج لليبيا ، ولا داعى لأن نتركهم حتى يصلوا إلى قرار يمكن يؤثر على تسليم الميراج لليبيا فى المواعيد المقررة .
ويمكن تشوف أن المسألة تساوى انك تستدعى السفير الفرنساوى يأخذ رسالة منك إلى بومبيدو تقول له فيها اننا سوف نظل على تشاور معهم ، وأنه لا داعى انهم يلعبوا اللعبة الإسرائيلية ويتسرعوا دون لزوم . فنحن فى موقف الدفاع عن النفس ، ومن الضرورى عليهم أن يتفهموا موقفنا . ففرنسا كان لها دائما موقف مستقل ، وهى لا بد أن تحافظ عليه . وعلى أى حال نفتح الخط معاهم أكثر .

الرئيس السادات : صح . لأ صح يامحمد . حجيب السفير الفرنساوى بكرة » .

□

ثم يجىء تقرير عن تسجيل لحديث تليفونى آخر يوم ٥ ابريل . فى الصفحة الثالثة منه تجىء فقرة يدور فيها الحوار كما يلى :

الرئيس السادات : يا باى يا محمد ، بس لو يصدقوا الأمريكان ... هما غايظيننى . وبعدين النهارده كان يوم صعب كله سفراء – شفت سفير إيران ، بعثت له للشاه يعنى النهاردة قلت له يتحرك تانى . هو كان اتحرك فى المرة اللى فاتت . قلت له لأ اتحرك تانى .

هيـــــــكل : بعثت له شعرا والا نثرا ؟(*)

(*) إشارة إلى صدام بين الشاه وبين الرئيس « أنور السادات » حينما كان نائبا لرئيس الجمهورية وحضر معه اجتماعا للقمة فى الرباط فى إطار المؤتمر الإسلامى . وقد أبدى الشاه فى هذا الاجتماع ملاحظة عقب عليها الرئيس « السادات » ببيت شعر فارسى . وروى الملك « الحسن » فى مذكراته أخيرا أن شاه إيران قال له إنه لم يرد لأنه لم يفهم كلمة واحدة مما قاله الرئيس « السادات » – لكن الرئيس « أنور السادات » كان مصمما على اقتناعه بأنه درس بعض الفارسية على يد أستاذ إيرانى كان يدرس الفارسية ضمن قسم اللغات الشرقية فى كلية الآداب بجامعة القاهرة .

الرئيس السادات : حأعمل ايه بقى يامحمد ؟ قلت للسفير النهارده أنا حأبعث للشاه رسالة نصها الفوقانى عربى ونصها التحتانى فارسى علامة على أننا حضارة واحدة ومصير واحد .
بعد كده جه السفير الانجليزى كان بيسلم رسالة من هيث(*) .
وبعدين جالى السفير الأفغانى ، كان جايب عينات رخام من الضريح بتاع جمال الدين الأفغانى - ده ضريح صممه ظاهر شاه(**) بنفسه . وأنا سنة ٥٥ هناك الملك ورانى التصميم اللى هو عمله وقال لى حننفذه . واتنفذ . فبعت لى بقى صورة للموقع كله . والشارع اللى قدام الضريح مباشرة وفى وسط جامعة كابول سموه شارع جمال عبد الناصر . الرخام الأفغانى طبعا انت عارف أحسن رخام فى العالم . بعتولى النهادة ١٥ عينة وبيقولوا بقى ايه ؟ انهم عاوزين يشتركوا فى ضريح الريس برخام أفغانى . فبعتوا العينات . فأنا قلت للجماعة أبعتوه للست والولاد يشوفوه (***) .

هيـــــــكل : طيب والله دى حاجة ظريفة . رخام ، وجوابات نصفها عربى ونصفها فارسى .

الرئيس السادات : يعنى حعمل ايه يا محمد ، ما أنا بلعب بالبيضة والحجر . .

□

هكذا استعدادا لمقابلته المنتظرة مع « ويليام روجرز » بعث الرئيس « أنور السادات » بمجموعة رسائل تصور أنها تساعد فى تهيئة أكثر لموقف إيجابى يجىء به إلى مصر ويؤثر فى النتائج التى يمكن أن تسفر عنها الزيارة : رسائل إلى الملك « فيصل » ، والرئيس « بومبيدو » ، وشاه إيران . وقد أضافت التطورات السياسية الأخيرة فى مصر إلى هذه الرسائل - رسالة لاتقل أهمية وإن لم تكن مكتوبة أو موجهة . ذلك أن قراره بإقالة السيد « على صبرى » من جميع مناصبه فى تلك اللحظة كان رسالة لا يمكن أن يخطئها باحث مدقق فى سياسات الشرق الأوسط ، وفى الطريقة التى يمكن أن تعبر بها هذه السياسات عن نفسها برموز وإشارات تعطى معانيها دون حاجة إلى كلمات .

كانت إقالة السيد « على صبرى » فى هذا التوقيت - مع أنها لم تكن مقصودة لهذا الهدف - رسالة تحمل عدة معان ظاهرة ومحددة :

١ - كانت إشارة تقول لكل من يعنيهم الأمر إنه - أى « أنور السادات » - ممسك بحزم بزمام الأمور فى مصر حتى وإن كانت هناك مراكز أخرى للقوة والسلطة .

٢ - أنه إذا كان السيد « على صبرى » معتبرا فى رأى كثيرين من المراقبين الأجانب للمسرح المصرى باعتباره الصديق الأول للاتحاد السوفيتى فإنه هو - أى « أنور السادات » - أزاحه بقرار منه ، ومعنى ذلك أن حريته فى الحركة ليست مقيدة بما يريده أو لا يريده الاتحاد السوفيتى .

(*) « ادوارد هيث » رئيس وزراء بريطانيا .
(**) ملك أفغانستان وقتها .
(***) يقصد حرم الرئيس « جمال عبد الناصر » وأولاده .

٣ – أنه إذا كان قد أعطى نفسه حرية التصرف تجاه واحد من أقوى الأقوياء فى تركيبة السلطة فى مصر فى ذلك الوقت ، فمعنى ذلك أنه حتى وإن لم تكن فى يده المفاتيح – فإن الباب كله ليس عصيا عليه .

□

وبرغم كل استعراضات القوة التى قام بها الرئيس « أنور السادات » ، وتمثلت بشكل درامى فى إقالة السيد « على صبرى » – فإن الرئيس « السادات » كان يستشعر أسبابا للقلق هذه الساعات . وكان السبب الأكبر فى قلقه أنه استطاع أن يعرف مسبقا طبيعة – بل ونصوص المقترحات التى كان « روجرز » يحملها إليه . وقد درسها بعناية وتحدث فيها مع الفريق أول « محمد فوزى » وزير الحربية الذى أبدى معارضة شديدة لها ، وصاغ معارضته فى تقرير مكتوب كان يحمل فى ثنايا عباراته إشارات غير مطمئنة .

مساء يوم ٣ ابريل ١٩٧١ – كان « محمد حسنين هيكل » ضيف عشاء على مائدة السير « ريتشارد بومونت » السفير البريطانى فى مصر . وكان المستر « دونالد بيرجيس » رئيس البعثة الأمريكية فى مصر أحد المدعوين إلى ذلك العشاء . ودار بين الاثنين حديث اعتبره « هيكل » مهما ، واتصل بالرئيس « أنور السادات » صباح يوم ٤ ابريل ، وكانت المكالمة التليفونية بالطبع مسجلة وجرى تفريغ الشريط بنصوصه الحرفية ، وبدأ التقرير كما يلى :

مكتب السيد / محمد حسنين هيكل
رقم التليفون : ٩١٩٩٩٥
ســـــــعت : ١٤٠٠
يـــــــوم : ١٩٧١/٤/٤

محمد حسنين هيكل: **امبارح على العشاء عند السفير الانجليزى ، بيرجيس كان قاعد جنبى . وكان كلامه أنهم بلوروا اقتراحات بيجى بها روجرز ، وانهم بدأوا فى الاتصال بإسرائيل والضغط عليها بحيث يجىء روجرز بمقترحاته وهو يعرف أن قبول إسرائيل لها ليس مشكلة .**
أنا قلت له اسمع ، أنا عايز أقول لك إن أنور السادات عمل مخاطرة كبيرة بمبادرته عن قناة السويس. ولغاية دلوقتى لم تظهر منكم أى استجابة لها قيمة ويقدر يعتمد عليها . ولازم أقول لك إنه بدأ يفقد ثقته حتى فيك انت شخصيا The President is losing confidence even in you . ورحت أعد له الأسباب .
قلت له نمرة واحد أنتم تحاولوا أن تجعلوا مبادرة فتح قناة السويس كما لو أنها موضوع مستقل ولوحده ، ولا علاقة له بالأزمة نفسها ولا بالحل النهائى الشامل . هو لما قدم مبادرته قدمها باعتبارها جزء من الحل يساعد على فتح الطريق للحل كله . لكن الراجل شايف شواهد تجعله يظن الكم أخذتم مبادرته باعتبارها قناة السويس . ده اللى باين على أى حال فى بعض تصرفاتكم .
نمرة اتنين انتم بتراوغوا ، وكل اللى بنسمعه منكم ما هواش متسق ولا هو واضح .

والمواقف بتتغير وحتى الصياغات بتتغير من غير ما نعرف ايه الأسباب ؟ وأنا لا أظن انه يستطيع ينتظر بهذا الشكل ولا حتى لموعد مجيء روجرز .
وبعدين بيرجيس قاطعنى وقال لى « أنا عايز أؤكد لك إنه فيه اقتراحات محددة ، وان إحنا عرضناها على أصدقاء إسرائيل أولا . عرضناها على جافيتش وعلى غيره من زعماء اليهود فى أمريكا علشان إسرائيل لا تستغل الموقف وتسبق وتعرضهم على الإدارة . وأنا حتى طلبت انى أشوف المقترحات الجديدة قبل ما تعرض على أى حد ، وفعلا شفتها واقترحت ادخال تعديلات عليها amendments ، وبعدين سيسكو سلمها لرابين وقال له ده اللى احنا نقترحه ، والوزير عايز يروح مصر وهو عارف انكم لن تثيروا اعتراضات كبيرة » .
أنا رديت عليه وقلت له انتم بتتشاوروا مع إسرائيل وتاركين القاهرة فى حالة ظلام كامل . وعوامل سوء الفهم ماشية تتراكم واحد وراء التانى . وأنا أستغرب أنكم تستطلعوا رأى إسرائيل فى المقترحات ، وأما إحنا فالمقترحات تأتى لنا مفاجأة ، ونبقى مضطرين نقبل أو نرفض وروجرز قاعد أمامنا . وهذا الأسلوب فى التفاوض إحنا جربناه قبل كده . وأنا أعتقد أنه سبب كثير من المشاكل .
السفير الانجليزى كان قاعد قريب مننا وكان متابع المناقشة . ووافق معى فى بعض اللى قلته . وبعدين أنا لقيت بيرجيس بيقول لى أنا أقول لك الخطوط الأساسية فى المقترحات ، لكن أنا باعمل كده على أساس شخصى بحت وبغرض أن الرئيس لا يفقد الثقة .
أنا مش قادر أصدقه فى انه تصرف شخصيا وعلى مسئوليته ، وفى الغالب تلقى تعليمات انه يفوت لنا المقترحات بشكل ما . وهو وجدها مناسبة وإحنا بنتكلم .
المقترحات أهه زى ماهو قالها لى امبارح :

١ - القوات الإسرائيلية تنسحب ٤٠ كيلو ، يعنى ٢٥ ميل ، والمفترض أن انسحابها يستغرق ٦ شهور .
٢ - إحنا نبدأ فى عمليات تطهير القناة .
٣ - فى نفس الوقت إحنا نطلع بيان باعترافنا فى حقهم باستخدام قناة السويس فى مقابل تعهد من جانبهم بعدم ممارسة هذا الحق إلا بعد التسوية الشاملة .
٤ - هذا الترتيب المؤقت جزء من قرار مجلس الأمن ٢٤٢ .
لكن بقى فيه شرط بعد كده انه لا تكون هناك إشارة للانسحاب الكامل فى هذه المرحلة . يعنى نشير للقرار من غير ما نقول أنه نص على الانسحاب الكامل ، لأن نص بهذا الشكل ممكن يعمل لهم مشكلة داخلية .
٥ - عدم عبور قوات مصرية إلا قوة بوليس محدودة .
٦ - يبقى فيه مراقبين دوليين فى المنطقة اللى هينسحبوا منها .

الرئيس السادات : رأيك ايه يامحمد ؟ أنا خايف شكلها كده زى ما أنت قلته له تمام إنها ترتيبات لفتح قناة السويس . رأيك ايه يامحمد ؟
هيـــــكل : الحقيقة إنها عاوزة بحث خصوصا من ناحية ربطها مع بقية الجبهات .. يعنى مع الأردن ومع سوريا .
الرئيس السادات : ضرورى . وأنا حابحث مع العسكريين .
هيـــــكل : ده طبيعى . أنا كنت ناوى أقترح كده بالضبط .
الرئيس السادات : ماعنديش غير العسكريين .
هيـــــكل : ضرورى العسكريين يبقوا معاك فى الصورة .
الرئيس السادات : آه يعنى نقدر نقيسها ونقيس أبعادها . »

٢

وقام الرئيس « أنور السادات » بعد أيام من التفكير العميق بدعوة الفريق أول « محمد فوزى » إلى مقابلته ، وطلب إليه دراسة الخطوط الرئيسية للمقترحات التى سوف يحملها وزير الخارجية الأمريكى « ويليام روجرز » كما وصلت إليه ، على أن يقتصر البحث داخل أضيق نطاق .

ويوم ١٠ ابريل أرسل الفريق « محمد فوزى » إلى الرئيس « أنور السادات » مذكرة مكتوبة بخط اليد من ١٦ ورقة بالحجم الصغير مغطاة بغلاف من نفس النوع يحمل العبارات التالية :

« سـرى للغايـة

مذكـرة

مرفوعة للسيد رئيس الجمهورية

عن رأى القوات المسلحة فى المشروع الأمريكى

سـرى للغايـة »

وكان أول ما لفت نظر الرئيس « السادات » وهو يتصفح المذكرة هو ما ورد فى عنوانها عن أنها « رأى القوات المسلحة » وليست رأى وزير الحربية نفسه أو عدد من مستشاريه . كانت المذكرة تحوى مجموعة من الملاحظات الصائبة بلا جدال – لكنها فى نفس الوقت أعطت الانطباع فى بعض بنودها بأن وزير الحربية لم يحتفظ لنفسه فقط بحق الكلام عن القوات المسلحة ككل ، وإنما هو فى نفس الوقت احتفظ لنفسه بحق رسم الاستراتيجية العليا للدولة .

كانت المذكرة على النحو التالى :

« سـرى للغايـة

الجمهورية العربية المتحدة
وزارة الحربية
١٩٧١/٤/١٠

مذكـرة

مرفوعة للسيد رئيس الجمهورية

عن رأى القوات المسلحة فى المشروع الأمريكى

(فى الصفحة الأولى والثانية سرد الفريق « فوزى » فى مذكرته بنود المشروع الأمريكى المقترح كما نقلت إليه . وكان سرده دقيقا . ثم وصل إلى القول بالنص :)(*)

(*) صورة لغلاف تقرير الفريق « فوزى » بخط يده عن رأى القوات المسلحة فى المشروع المقترح من الجانب الأمريكى ، وكذلك صورة من الصفحة التى بدأ فيها الفريق « فوزى » يناقش هذا المشروع – وهما موجودتان تحت رقمى (٢٨) و(٢٩) – فى ملحق صور الوثائق ، على صفحة ٧٦٧ من الكتاب .

٣ - من وجهة النظر العسكرية فإن القوات المسلحة ترفض هذا الاقتراح للأسباب التالية :

أ - وضع أفراد شرطة مدنية فى الشريحة التى ستنسحب منها القوات الإسرائيلية ، معناه نزع سلاح سيناء مقدما . إذ أن أفراد الشرطة ليس لهم فاعلية قتالية .

ب - هذه الشريحة لا تجعل مدن القناة فى منأى عن أسلحة العدو الأرضية ، وبالتالى سوف لا يعود المهجرون إليها .

جـ - سوف لن تتمكن القوات المسلحة من التمركز فى أو استخدام المطارات الأمامية فى صا الحجر ، الصالحية ، الاسماعيلية ، أبى صوير وفايد لوقوع هذه المطارات تحت تأثير نيران بعض أسلحة العدو .

د - منطقة رأس سدر والمدقات الجديدة المؤدية إليها تعتبر جزءا من المواجهة وبقاء القوات الإسرائيلية بها يؤثر على مدينة ومنطقة السويس .

هـ - لا يؤمن هذا المشروع تمركز القوات فى غرب القناة بعيدا عن نيران العدو بسبب :

(١) وجود مدفعية للعدو عيار ١٧٥ مم يبلغ مداها ٣٢,٧ كم .

(٢) وجود المليز وتمادا ومناطق السيطرة والشوشرة فى أم خشيب وأم مرجم فى يد العدو .

و - الساحل الشرقى لخليج السويس لم يدخل فى المشروع علما بأنه جزء من المواجهة يجبرنا على :

(١) الصراع البحرى فى الخليج .

(٢) وجود المطارات فى أبو رديس والطور وهى تعتبر مطارات أمامية للهجوم .

(٣) الإبقاء على قواتنا المتمركزة فى البحر الأحمر كما هى .

ز - إذا شمل الاقتراح عبور سفن إسرائيلية رافعة أعلامها فى القناة فسينشأ عن ذلك الآتى :

(١) مخالفة تفسير قرار مجلس الأمن الذى يربط بين مرور السفن وتسوية مشكلة اللاجئين .

(٢) ستستغله إسرائيل فى تأمين عبورها فى خليج السويس ، ممرا مشتركا بينما هو فى الواقع جزء من المواجهة العسكرية بيننا وبينهم .

٤ - ومن الناحية المعنوية فإن هذا الحل قد يكون له التأثير التالى :

أ - القوات المسلحة معبأة معنويا الآن تعبئة تسمح لها بالقتال فى هذا الشهر الحاسم طبقا لما سبق أن أعلنه السيد رئيس الجمهورية .

ب - سوف لا يقبل أفراد القوات المسلحة أن يوضع أفراد من الشرطة المدنية فى وضع هو أشبه بنطاق الأمن بالنسبة لهم مع العدو .

جـ - هذا الوضع سيفقد القوات المسلحة الاتصال مع العدو ، وفك الاتصال الذى يحافظ على وجود

روح القتال ، وستبقى القوات فى سكون لحين فتح القناة ، الأمر الذى قد يسبب انفجار فى القوات المسلحة وفى الموقف الداخلى على السواء .

٥ - أما من وجهة النظر السياسية والاستراتيجية فإن الحل المقترح قد يكون له التأثير التالى :

أ - هذا الاقتراح مخالف للاستراتيجية الموحدة المتفق عليها مع الاتحاد السوفيتى ، الحليف الوحيد لنا ، والذى نعتمد عليه عسكريا . وقد يعطى انطباعا سيئا للاتحاد السوفيتى مما قد يترتب عليه :

(١) تولد انطباع لدى المسئولين السوفيت بعدم رغبتنا فى القتال .

(٢) تبرير فى قطع سبل الدعم العسكرى .

ب - ستظهر ج.ع.م. أمام العالم بقبول الاقتراح المقدم من أمريكا والذى يمثل وجهة النظر الإسرائيلية ، مما يظهرنا وكأننا قد تنازلنا عن أهدافنا الوطنية (تحرير الأرض) .

جـ - هذا الوضع يمثل انحراف عن الخط العربى مما يضعف مركزنا .

د - هذا الوضع يجعل أمريكا تستعيد مكانتها فى المنطقة مما يؤثر على الموقف القيادى للقاهرة ونفوذها فى العالم العربى .

هـ - تتمتع ج.ع.م . حاليا بعطف العالم على قضيتنا . والرأى العام العالمى مهيأ لتقبل أى عمل عسكرى نقوم به .

فإذا وافقنا على هذا الحل ، وطال الزمن ، وتميعت القضية ثم عدنا للقتال مرة أخرى فسوف لا نكون فى موقف أفضل ، وسيصفنا الرأى العام العالمى بالتردد ، وعدم الثبات على الرأى ، وبأن القوات المسلحة لا ترغب فى الحرب .

. . . .

. . . . »

وقرأ الرئيس « السادات » مذكرة الفريق « فوزى » عن « رأى القوات المسلحة فى المشروع الأمريكى » - باهتمام . ولم يكن مقتنعا ببعض ما جاء فيها ، خصوصا فيما يتعلق ببنود وردت فى المذكرة مثل قوله « **إن القوات المسلحة معبأة معنويا الآن تعبئة تسمح لها بالقتال فى هذا الشهر الحاسم طبقا لما سبق أن أعلنه السيد رئيس الجمهورية** » . فهو كرئيس للجمهورية لم يعلن أن المعركة ستبدأ هذا الشهر . وإنما ذلك كان قرارا اتخذته القيادة السياسية مجتمعة فى ظروف من الضغوط الداخلية يعرفها الجميع ، وقد فرضت عليه . وحتى إذا لم يكن مستعدا لقبولها فإنه لم يحدث أن أعلن أن القتال سوف « يبدأ هذا الشهر » .

ولم يكن « أنور السادات » مقتنعا أيضا بالبند الذى قال فيه الفريق « فوزى » إن وضع أفراد من الشرطة المدنية المصرية فى المناطق التى تنسحب منها القوات الإسرائيلية سوف يصبح نطاق أمن عازل عن « الاتصال مع العدو » - الأمر الذى قد يسبب انفجارا فى القوات المسلحة وفى الموقف الداخلى على السواء .

ولم يكن « أنور السادات » مقتنعا بما قاله الفريق « فوزى » فى مذكرته عن « استراتيجية موحدة متفق عليها مع الاتحاد السوفيتى » .

وعلى أى حال فإن الفريق « فوزى » أضاف إلى أسباب « رفض القوات المسلحة للمشروع الأمريكى » – تعديلات يقترح إدخالها على المشروع ، ثم وصل فى ختام مذكرته إلى أن قدم ما أسماه « مشروع مقترح من القوات المسلحة » . وكان مشروعه فى تقدير الرئيس « السادات » خارج سلطته أولا ، ثم إنه كان ، فى تقديره ، إغفالا للحقائق الموضوعية وموازين القوى . فالمقترحات التى قدمها يصعب قبولها إلا نتيجة لحرب تخوضها مصر وتنتصر فيها . وكان الوقت لا يزال مبكرا لذلك فى حسابات الرئيس « السادات » .

ومع ذلك فقد أقتنع ببعض النقاط العسكرية التى وردت فى تقرير الفريق « فوزى » . وظهر ذلك فى تقرير عن حديث تليفونى بينه وبين « محمد حسنين هيكل » مساء يوم ١٥ ابريل ـ نصه كما يلى :

« منزل السيد / محمد حسنين هيكل
رقم التليفون : ٩٨٠٤٤٨
من ســـعت : ١٩٥٠
يـــــــوم : ١٩٧١/٤/١٥

(فى الصفحة الثالثة من هذا التقرير يرد الحوار التالى :)

الرئيس السادات : محمد ، أنا حسبتها كويس . حكاية الـ ٢٥ ميل – ٤٠ كيلو – مش حاتنفع . أنا أصلى كان عندى الخريطة النهاردة – ما أنا الخريطة عندى – جايب خريطة سيناء وكل شىء باين طوبة طوبة – يعنى لما تيجى تشوفها عندى حاتنذهل – أى طوبة فى سيناء باينه فيها – ٢٥ ميل أبقى سايبهم فى المضايق .

هيـــــــكل : لأ . صعب . ما أظنش . صعب قبوله . مش ممكن .

الرئيس السادات : لما قستها يا محمد لقيت المشروع مخلينى على خط وحش – فيه خطين كونتور ، عندنا فى العسكرية نقول كونتور على المرتفعات ، ففيه كونتورين . فيه كونتور ٢٠٠ متر ، وفيه كونتور ٣٠٠ متر – لما حسبت على الخط بتاعهم لقيته على الكونتور أبو ٣٠٠ – يعنى أنا سايب لهم حتة فى المضايق برضه . دى حاتبقى ميزة استراتيجية لهم . واخد بالك ؟ أنا مش عاوز أقول لأ . لكن عاوزهم يتحركوا أكثر . أنا كنت دايما أقول عاوز ولو ١٠ سم على الضفة التانية . لكن ١٠ سم باقتحام . لكن إذا كان بتسوية يبقى لازم الخط يتحسن . ولازم يرجعوا ورا العريش علشان يلاقوا خط طبيعى .

هيـــــــكل : على أى حال نحاول . وأمامنا وقت لغاية ما ييجى روجرز .

الرئيس السادات : هو أنا ناوى أعمل concessions (تنازلات) بس أخش الضفة الشرقية .

هيـــــــكل : طبعا .

الرئيس السادات : وأنا قوات بوليس أو إدارة مدنية . ما أنا أقدر ألبس قوات مدنى . ما هو أنا أصلى مقتحم مقتحم . فلما آخد فرصة انى أودى الإداريين يبقوا ستارة قدامى – screen يا محمد علشان العبور أبقى أنا الكسبان . وأعتبر انى ماعملتش concessions (تنازلات) .

هيـــــــــكل : والله ياريت .

الرئيس السادات : لازم أعبر بالقوات الإدارية .

هيـــــــــكل ما هو أنت ضرورى تعبر - وأظن لازم يبقى فيه ناس كتير قوى حتى بضرورة تأمين أعمال تطهير قناة السويس على الضفة التانية .

الرئيس السادات : رأيك ايه ؟ نرد ازاى ؟

هيـــــــــكل : أنا خايف أن المسائل حاتبين تعقيدات تانية . أنا خايف مثلا يطلبوا تخفيض قوات من الناحيتين . إذا كانوا مستعدين يرجعوا مسافة بعيدة لغاية العريش يبقى ممكن يطرحوا مسألة تخفيض القوات ناحيتك انت .

الرئيس السادات : لأ . أنا التخفيض ما يهمنيش . لكن اللى يهمنى انه ما يقوليش ارجع ورا . التخفيض - ده أنا يا محمد حا أنتهز هذه الفرصة . أنا لو أرجع اللاجئين فى الاسماعيلية والسويس . طيب ما أنا أخفض قواتى .أنا عاوز ثلاثة أرباع مليون عسكرى أعمل بهم ايه ؟ فلازم أبتدى ساعتها partial demobilization (فك تعبئة جزئية) .

هيـــــــــكل : ياه . مش صعب دى دلوقتى ؟

الرئيس السادات : لأ . ما أنا حا أخلى القوات المحاربة . حا أعمل فك تعبئة جزئى لا يؤثر على التشكيلات . مثلا حاأطلع أساتذة الجامعة اللى بيحضروا رسائل دكتوراه - حا أطلع دفعة من المؤهلات لا عمل لهم ، إنما انى أطلع من القوات المدرعة ، طبعا لأ . يبقى قدام العالم أنا عملت demobilization - وأعلن . لكن فى واقع الأمر حا أبقى مخلى الـ core الأساسى (الجسم الأساسى) بتاع القوات المسلحة لا يمس .

هيـــــــــكل : يبقى معقول .

الرئيس السادات : اسمع . أنا صاحيلهم وحاناور كويس » .

٣

صباح يوم الخميس ٦ مايو كان الرئيس « أنور السادات » متأهبا ، وقد سمع أصوات دخول موكب وزير الخارجية الأمريكى « ويليام روجرز » لموعده معه ، وخرج إلى الردهة الخارجية ليكون فى استقباله . وبرغم كل مظاهر الثقة التى وضعها على وجهه ، فإنه فى أعماقه كان قلقا :

١ - كانت من حوله أزمة داخلية . فبعد إقالة السيد « على صبرى » أحس أن هناك تحركات واتصالات تجرى من وراء ظهره - ومع أنه كان واثقا من صحة قراره بالنسبة للسيد « على صبرى.» - إلا أن تداعيات هذا القرار لم تكن قد ظهرت بعد خصوصا فى دوائر الحكم والتنظيم السياسى . وعلى مستوى الرأى العام العادى كان يعرف أن قراره لاقى قبولا حسنا ربما بأكثر مما كان يتوقع .

٢ - إنه مقبل على محادثات حيوية مع القوة الأعظم التى تؤيد عدوه - وأما القوة الأعظم الثانية التى تؤيده هو - فإنه لم يكن واثقا من موقفها ، وكان يعتقد أنها تعطيه السلاح بالقطارة ،

كما أنها فى نفس الوقت تتفاوض مع الولايات المتحدة وتتمنى لو تمكنت من الاتفاق معها على ترتيب يحتفظ لها بمزايا التواجد فى الشرق الأوسط دون أن يكون عليها أن تدفع ثمنا باهظا فى مقابلها .

٣ - وكانت المقترحات التى يحملها « روجرز » معروفة لديه . ولم يكن قادرا على قبولها . وفى نفس الوقت لم يكن يريد أن يرفضها صراحة . وكان السؤال الأكبر الملح عليه هو ما إذا كان فى استطاعته أن يقنع « روجرز » بخط أبعد فى سيناء - العريش مثلا - تنسحب إليه القوات الإسرائيلية . ولم يكن واثقا مما إذا كان ذلك فى سلطة الإدارة الأمريكية بالكامل ، بما فيها « روجرز » . ومع أنه كان يعرف حجم النفوذ الأمريكى على إسرائيل ، فإنه فى نفس الوقت كان يعرف حجم التأثير اليهودى على الإدارة الأمريكية .

وبشكل ما فإنه حاول أن يطمئن نفسه فى النهاية باحتمال أن يتمكن من التأثير على « روجرز » . وبالتالى فانه يستطيع على الأقل أن يأخذ الإدارة الأمريكية فى صفه .

٤ - إضافة إلى ذلك فإن هناك هاجسا بدأ يلح عليه فى الفترة الأخيرة ، وقد جاءته المعلومات عنه من مصادر متعددة راحت جميعا تؤكده له وتقيم الشواهد عليه . و كان هذا الهاجس يتلخص فى أن « ويليام روجرز » لم يعد شخصية مؤثرة فى صنع القرار الأمريكى ، وإنما انتقلت سلطة القرار إلى البيت الأبيض ، والذى يمارسها فعلا وعملا هو « هنرى كيسنجر » .

□

لسوء الحظ فإن وثائق الدولة المصرية كلها ، سواء فى رئاسة الجمهورية أو فى وزارة الخارجية أو فى وزارة الحربية - لا تحتفظ بأى نوع من أنواع المحاضر لوقائع ما دار فى الاجتماع بين الرئيس « أنور السادات » و« ويليام روجرز » قبل ظهر يوم ٦ مايو ١٩٧١ . بل إنه لسوء الحظ - أيضا - لا توجد تسجيلات تليفونية تظهر فيها رواية عن تفاصيل ما جرى .

لكن الذى يمكن القول به طبقا للقاء مع الرئيس « السادات » جرى عصر نفس اليوم الذى قابل فيه « روجرز » - أن بعض الخطوط الرئيسية تتكشف على النحو التالى :

١ - تحدث « روجرز » فى البداية عن حسن النوايا الأمريكية تجاه مصر وتجاه الرئيس « السادات » . وقام بعرض لتطورات الحوادث منذ توصل هو إلى خطوط مبادرته فى ديسمبر ١٩٦٩[1] .

٢ - ثم نقل « روجرز » إلى الرئيس « السادات » رسالة من الرئيس « نيكسون » يعبر فيها

---

(١) لم تنشر نصوص رسمية كاملة لمبادرة « روجرز » فى ديسمبر ١٩٦٩ ، ولكن طرحت للبحث خطوطها العريضة ، كما أنه ظهرت تجميعات لبعض الأفكار تمثل الهيكل العام للمبادرة . وذلك لأن هذه المبادرة كانت مجموعة اقتراحات طرحت لكى تتشكل على صيغة نهائية نتيجة للاتصالات والمحادثات مع الأطراف .



الرئيس السادات أثناء استقباله ويليام روجرز فى شهر مايو ١٩٧١

عن عزمه على الوصول إلى تسوية شاملة وعادلة لأزمة الشرق الأوسط خلال رئاسته ، وأنه - أى الرئيس « نيكسون » - لا يزال ملتزما بالـ even - handed policy (السياسة المتوازنة) التى أعلنها منذ بدأت رئاسته .

٣ - تحدث « روجرز » عن الجهود الدبلوماسية التى بذلها ممثل الأمم المتحدة السفير « جونار يارنج » - ومحادثات الدول الأربع الكبرى فى نيويورك - والاتصالات الدائرة طول الوقت بين موسكو وواشنطن .

٤ - عرض « روجرز » للجهود الأمريكية ، وأشار إلى أن الولايات المتحدة تجد فى نفسها القدرة ، وتجد لديها حجم الإهتمام الكافيين لدفعها إلى أداء دور مباشر فى أزمة الشرق الأوسط ، خصوصا بعد أن أصبحت على اتصال مباشر بالقاهرة . وأشار بسرعة : « إننا لم نكن حتى وقت قريب نسمع صوتكم فى آذاننا ، وإنما كنا نسمع صوت جروميكو (وزير خارجية الاتحاد السوفيتى) - وصدقنى ياسيادة الرئيس أن صوت جروميكو ليس بالضبط صوت كاروزو(٢) (وقهقه الرئيس السادات ضاحكا) .

---

(٢) مغنى أوبرا ايطالى شهير ، ولعله أشهر الأصوات فى القرن العشرين . وقد روى الرئيس « السادات » هذا التفصيل فى لقاء لاحق .

٥ – أشار « روجرز » إلى أن الولايات المتحدة لا تريد أن يجيء دورها بحيث يحجب دور الأمم المتحدة ، أو دور أوروبا ، أو حتى دور الاتحاد السوفيتى . وإنما هى ترى أنه فى مقدورها وحدها أن تقوم بدور العنصر المساعد catalyst ، وأنه إذا ما جرى التوصل فى جولته هذه إلى اتفاق مبادىء ، فإن الأمور سوف تحول إلى « يارنج » لكى تدخل الأمم المتحدة على الخط .

٦ – عرض « روجرز » لمقترحاته بما لا يخرج عما كان الرئيس « السادات » قد عرفه وقام بدراسته ، وتوصل إلى صعوبة قبوله .

ودارت مناقشات كان واضحا منها أن « روجرز » لا يملك مجالا واسعا للمناورة . وعندما عرض الرئيس « السادات » لتصوراته فى مقابل ما طرحه « روجرز » – فإن وزير الخارجية الأمريكى لم يخف شكوكه فى إمكانية قبول إسرائيل الانسحاب إلى خط يقع عند العريش .

وكانت هناك نقطة خلاف أخرى ظاهرة حتى داخل إطار الأربعين كيلو مترا التى عرضها « روجرز » كمدى للانسحاب – وهى نقطة عبور حجم إدارى مصرى مؤثر إلى الضفة الأخرى من القناة ، والقيود التى تريد إسرائيل فرضها على حجم هذا العبور وعلى حرية حركته ، وحتى على ملابسه . واللافت للنظر أن « روجرز » قال للرئيس « السادات » إن « ديان يرفض أى زى رسمى للمجموعات الادارية المصرية التى يسمح لها بالعبور » ، وقد قال لنا إنه لن يسمح حتى بزى « عمال فنادق » . وكان مبعث الدهشة أن الرئيس « السادات » نفسه كان قد استعمل هذا التعبير فى جلسات مغلقة أبدى فيها أنه يريد أن يعبر بأى حجم من الناس وبأى زى رسمى موحد حتى ولو كان زى عمال فنادق .

وقد اتجهت المباحثات إلى امكانية الوصول إلى خط انسحاب وسط . وأحس « روجرز » أن المضايق هى النقطة الحساسة فى تفكير الرئيس « السادات » . كما أن الرئيس « السادات » بدأ يعطى الانطباع بأن خط ما وراء العريش قابل للنقاش . وكانت النقطة الأخرى التى بدت فيها امكانية الوصول إلى حل وسط هى نقطة التواجد المصرى على الضفة الأخرى .

وانتهى الاجتماع بأن عرض « روجرز » استعداده لإرسال « جوزيف سيسكو » إلى إسرائيل لحديث مع « جولدا مائير » و« موشى ديان » – لينقل إليهما روح وتفاصيل ما جرى بينه وبين الرئيس « السادات » ويحاول دفع الأمور إلى قرب حل وسط .

□

قبل لقائه مع الرئيس « السادات » ، وكان ذلك فى آخر يوم من أيام زيارته لمصر – كان « روجرز » على موعد فى مبنى « الأهرام » مع « محمد حسنين هيكل » .

كان « محمد حسنين هيكل » قد التقى بـ « ويليام روجرز » وزير الخارجية الأمريكى ثلاث مرات خلال زيارته القصيرة للقاهرة : مرة فى عشاء على مائدة المستر « دونالد بيرجيس » ، ومرة ثانية على فنجان شاى فى الجناح الذى نزل فيه « روجرز » فى فندق « هيلتون » ، ومرة ثالثة على

مائدة عشاء أقامه « روجرز » نفسه تكريما لمضيفه الرسمى السيد « محمود رياض » نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية .

وبدون مقدمات أبدى « ويليام روجرز » رغبته فى زيارة مبنى الأهرام .

وكانت المشكلة أن البند الوحيد الباقى فى زيارته للقاهرة هو موعده المنتظر مع الرئيس « أنور السادات » ، وقد تحددت له الساعة الحادية عشرة صباحا ، ومن بيت الرئيس كان المقرر أن يتجه مباشرة إلى المطار قاصدا إلى إسرائيل .

وقال « روجرز » إنه « يستطيع . أن يكون غدا فى الأهرام فى الساعة التاسعة صباحا ، وبعد زيارة المبنى وفنجان قهوة يذهب إلى مقابلة الرئيس » .

كان الطلب غريبا ، وكذلك التوقيت ، وكذلك مشكلة حشر زيارة من هذا النوع وسط برنامج مزدحم ، مقرر سلفا ، وقد قامت على أساسه ترتيبات واستعدادات .

وكان السؤال المهم هو : ما الذى يريده « روجرز » .. لقد تحدث مع كل الناس ، وضمنهم « محمد حسنين هيكل » ثلاث مرات ، وهو الآن لا ينتظر غير مقابلة الرئيس « السادات » وهو البند الرئيسى فى زيارته قبل أن يطير إلى تل أبيب ؟

وصل « روجرز » إلى مبنى « الأهرام » الساعة التاسعة والنصف صباحا ، وبعد فنجان قهوة طلب أن يقوم بزيارة للمبنى . وطاف به « هيكل » فعلا فى بعض الأدوار الطباعية . وأثناء وجودهما فى عنبر السبك همس « روجرز » قائلا « إننى أريدك على انفراد لمدة ١٠ دقائق ، ومن غير كل هؤلاء المرافقين » . وكان المرافقون جمعا يضم بعض مساعدى « روجرز » بمن فيهم « دونالد بيرجيس » ، إلى جانب بعض الدبلوماسيين من وزارة الخارجية وبينهم المختصون بالبروتوكول ، إلى جانب بعض رؤساء الأقسام فى الأهرام ، ثم مجموعة من ضباط الحراسة المصاحبين لـ « ويليام روجرز » .

وعندما عاد « ويليام روجرز » إلى مكتب « هيكل » توقف مع مضيفه فى غرفة اجتماعات صغيرة ملحقة به ، ووقف يتأمل لوحة من الفن المصرى المعاصر . ثم استدار ليجلس على كرسى حول مائدة اجتماعات مستديرة ، ودعا مضيفه إلى الجلوس بجواره ، وأدرك جميع المرافقين أن وزير الخارجية الأمريكى يريد أن يتحدث مع مضيفه وحدهما .

وحين اطمأن « ويليام روجرز » إلى أن الغرفة الصغيرة لم يعد فيها طرف ثالث ، بدأ يتكلم بصوت خفيض وبسرعة . وكان ما قاله مفاجئا .

لم يكن هناك – فيما هو ظاهر – وقت لمقدمات . ولذلك فإن « روجرز » دخل فى صميمه مباشرة قائلا : « **إننى أتصور أنك تستطيع أن تفهم وتقدر ما سوف أقوله لك . ولذلك فأنا سوف أقوله راجيا أن تبقيه سرا ، وأن تضعه فى بالك خصوصا وأنت تتحدث مع الرئيس السادات . إن بعض الناس – وأنا أعرف من هم – يلحون عليه فى أنه قد يكون من الأفضل له أن ينتقل**

الاهتمام بأزمة الشرق الأوسط من وزارة الخارجية إلى البيت الأبيض لكى يتولى هنرى كيسنجر حلها بوسائله المعروفة bringing a rabbit out of the hat (يقصد بها إخراج أرنب من القبعة كما يحدث فى عروض السحر التى تقدم فى الملاهى) . **وأنا أريد أن أقول إنه من الأفضل لكم أن تظل أزمة الشرق الأوسط فى وزارة الخارجية - ولا يقترب منها هنرى كيسنجر . لا تظن أن المسألة خناقة بينى وبين هنرى . هو يتخانق مع الخارجية ، ولكنى لا أعتبر نفسى فى خناقة معه ، وأنا أحاول أن أتجنبه وأتحدث مع الرئيس مباشرة . إن دخول هنرى إلى هذه الأزمة ليس فى صالحكم . وأنا أعرف أنه يتحرق شوقا إلى الدخول فيها رغم أنه يصرح علنا بأنه لا يريد الاقتراب منها بسبب كونه يهوديا . لكن ما يقوله هنرى فى الظاهر ليس هو الحقيقة . إن هنرى كيسنجر رجل ليست له ولاءات . إن كل كائن حى بالطبع له ولاءات . لكن المشكلة فى هنرى أن قائمة ولاءاته على النحو التالى :**

(وراح « روجرز » يعد على أصابعه)
ولاؤه الأول لهنرى كيسنجر
ولاؤه الثانى لهنرى كيسنجر
ولاؤه الثالث لهنرى كيسنجر
ولاؤه الرابع لأى سيد يستعمل خدماته
ولاؤه الخامس لأمته . »

وأبدى « هيكل » ملاحظة قال فيها إنه « **قابل بولائه لأمته ، ذلك لأن ولاءه لأمته سوف يجعله يعرف أن مصالح الولايات المتحدة كلها مع العرب** » .

وقاطعه « روجرز » : « ماذا تقول ؟ **أمته ليست الأمة الأمريكية . ولاؤه لليهود** . »

□

وغادر « ويليام روجرز » مصر - وكان الاتفاق أن « سيسكو » الذى ذهب إلى إسرائيل ليبحث إمكانية الحل الوسط ، عائد إلى القاهرة . وإذا نجح جهده هناك ، أو بدت بوادر تدل على احتمالات نجاح ، فإن « روجرز » نفسه سوف يعود مرة أخرى إلى القاهرة .

وجاء « سيسكو » قادما من إسرائيل ، والتقى بالرئيس « السادات » . وكانت المقابلة وملابساتها تعكس :

١ - فشل محادثاته هناك .
٢ - الحالة العصبية للرئيس « السادات » ، وقد تبين أن الأمور وصلت إلى طريق مسدود .

ومن حسن الحظ أن أجهزة التسجيل كانت تدور ، وهكذا فإن الصورة تظهر كاملة بالوقائع وبالأجواء فى تقرير عن تفريغ شريط مسجل لحديث تليفونى بين الرئيس « السادات » و« محمد حسنين هيكل » بتاريخ ٩ مايو ١٩٧١ .

« تسجيل محادثة تليفونية بين السيد الرئيس أنور السادات والسيد محمد حسنين هيكل :(*)

رقم التليفون : ٩٨٠٤٤٨
سعت : ٢١٠٠
يوم : ١٩٧١/٥/٩

هيكل : متأسف لازعاجك .
الرئيس السادات : ازعاجى ايه وأنا لسه قالع هدومى وطالع من مقابلة دلوقتى .
هيكل : ما أنا عارف . ولذلك قلت ياترى التأخير ده كله معناه ايه ؟
الرئيس السادات : معناها انى أخدت ساعتين الأول مع سيسكو بحضور محمود فوزى ومحمود رياض وأشرف غربال . وقلت لأشرف يكتب المحضر بالكامل ويكتب النقط وأخذت confirmation (تأكيد) عليها من سيسكو .
وبعدين أنا وسيسكو بقى قعدنا ساعتين لوحدنا .
هيكل : ياه ؟
الرئيس السادات : آه .
هيكل : طيب وده معناه ايه ؟
الرئيس السادات : معناها يا أخى أن الناس اللى عندنا صعب . لازم أنا أعرف الصورة بالكامل . ودوكها (يقصد سيسكو) مش حايقول كل حاجة قدامهم . بس أنا لازم أعرف الصورة . دخلت الجماعة بتوعنا فى الصالون التانى وقلتلهم اقفلوا عليهم ، وفضلت وراه لما نطق كل شىء .
هيكل : معقول الكلام ده ؟ طيب وبعدين ؟
الرئيس السادات : سيسكو بيقول اللى عاوز السلام فى إسرائيل ديان .
هيكل : غريبة .
الرئيس السادات : آه . أنا تقديرى كده من الأول . هو اللى مقدر الظروف - وأنا قلت لسيسكو أنا بتمنى ييجى رئيس وزارة علشان الواحد يعرف يتكلم معاه ويعمل معاه سلام لأنه رجل قوى - وسيسكو شرح لى الظروف كلها - أنا أصل هنا لما جالى هو (سيسكو) وروجرز قالوا لى أنهم بيحاولوا to convince (إقناع) إسرائيل . وأنا قلت لهم إقناع ايه ؟ لازم تمارسوا ضغط exert pressure - لأ ده أنا بطلب squeezing (عصر) - عاوزين تعصروا إسرائيل اكتبوا التعبير ده من فضلكم ، وبلغوا التعبير ده من فضلكم لنيكسون - ليه ؟ لأن احنا بنتكلم النهاردة على السلام - وإذا كنا بنتكلم على السلام يبقى اللى يقف فى طريق السلام squeeze - نعصره - وبعدين - الله ، ده رغيف العيش رايح بشيك من عندكم - شيك ٥٠٠ مليون دولار كل شويه بتبعتوه - شيك وأنا قاعد ألم ضرايب هنا لما بيتنحل وبرى ويحصل لنا أزمات . إنما هم بقى شيك كده بيروح فيه رغيف العيش زائد الفانتوم - طيب تقولوا لى exert pressure ؟ لأ أنا غير قابل . لا convince ولا pressure . وأنا بقول squeeze . فسيسكو قال لى حاضر squeeze ، اللى انت عاوزه عملناه .

(*) نموذج لاحدى الصفحات من تقرير تسجيل تليفونى بين الرئيس « السادات » و « محمد حسنين هيكل » يوم ٩ مايو ١٩٧١ ، وفيه يروى الرئيس « السادات » تفاصيل لقائه مع « سيسكو » ، وخلافاته مع بعض مساعديه - والصورة موجودة فى ملحق صور الوثائق تحت رقم (٣٠) - على صفحة ٧٦٨ من الكتاب .

هيـــــــكل : الله .. الله ؟

الرئيس السادات : آه . قال لى ايه الـ squeeze لأنه فعلا وحكى لى القصة بالكامل .. بالكامل وايه العملية وايه الصورة وايه وايه .. هم بقى كلامهم ايه اللى باعتينه ؟ بيقولوا إحنا ما نعديش . وان فترة وقف إطلاق النار متعلقة بطول مدى الانسحاب - يعنى على قدّ ما ندّى وقف إطلاق نار على قدّ هم ما يدّوا كيلومترات زيادة فى الانسحاب .. واخد بالك ؟

ما عنديش مانع منه . بس بقى بيتكلموا فى حاجة تانية لا تقبل .

هيـــــــكل : ايه ؟

الرئيس السادات : سيسكو بيقول ديان نده له . وديان يظهر زى حالتنا عارف ان سيسكو هو اللى وراء الموضوع . وديان هو الرجل القوى . قام نده لسيسكو لوحده - وسيسكو قال لى قعدت ويا ديان لوحدنا وقال لى سيبك من كلام جولدا مائير وسيبك من كلام دول كلهم - خفضوا شوية سلاح فى الضفة الغربية وأنا أخفض سلاح فى الخط الجديد اللى نروح له لكن العبور - لأ . أى عبور عملية يبقى شكلها وحش علينا وتفتح مشاكل كتير عندنا . برضه غريبة - فتح القناة هو الكارت اللى أنا خايف منه ليتلعب ضدى . هم برضه خايفين ليتلعب ضدهم .

هيـــــــكل : ازاى يعنى ؟

الرئيس السادات : بيقولوا ايه يضمن لهم انه بعد تطهير القناة وفتحها إحنا ما نجيش فى وقت ونقول ما تتفتحش القناة إلا بعد الانسحاب الكامل . واخد بالك ؟

هيـــــــكل : مفهوم

الرئيس السادات : ما أنا أصل الكارت ده عندى وأقدر ألعب به إذا بدأنا تطهير القناة .

هيـــــــكل : طيب ازاى مفيش عبور ؟ ومين اللى يحمى عمليات تطهير القناة على فرض أنها ابتدت فى الناحية التانية ؟

الرئيس السادات : على أى حال سيسكو قال لى إحنا بننقل لكم وجهة نظرهم . وما تاخدوهاش على انها وجهة نظرنا . ولا تستعجلوا فى الرد . انتم ادرسوا الموضوع . وسيسكو قال لى انه باقى فى القاهرة عدة أيام مستنى توضيحات إضافية من إسرائيل لأنه نيكسون بقى متصل بهم دلوقتى . سيسكو قال لى أنا تحت أمرك طول الـ ٢٤ ساعة . وقت ما تطلبنى حاتلاقينى . قلت له طيب ، وأنا على أى حال بافكر فى انى أبعت حد يرد على زيارة روجرز لنا . وبينى وبينك أنا عينى على فوزى (يقصد الدكتور محمود فوزى) .

هيـــــــكل : معقول . لكن ايه الكلام اللى حايتقال للناس . لازم يطلع statement (بيان) .

الرئيس السادات : طبعا نطلع بيان . نطلع بيان نقول إن احنا تبادلنا وجهات نظر مفيدة جدا ، ونقلوا لنا وجهة نظر إسرائيل . ولكن الولايات المتحدة لسه ما قالتش وجهة نظرها .

(بعد هذا الجزء من المكالمة الذى تحدث عن التفاصيل السياسية ، بدأ جزء آخر كان حديث الرئيس السادات فيه عن جو الجلسة) .

الرئيس السادات : بس ايه .. الجماعة بتوعنا صعب يا محمد . نسيت أقول لك الصبح طلبنى رياض (يقصد السيد محمود رياض وزير الخارجية) وقال لى سيسكو جاى ، وان سيسكو ادى بيان فى المطار انه جاى بـ message to President Sadat برسالة شخصية للرئيس السادات ، وانه عاجز عن الشكر ان أنا قبلت انه ييجى وأقابله - رياض ما كانش مبسوط - فيها ايه دى ؟ كلام حلو ولطيف . قلت له يا رياض أقعد مع سيسكو شوية وشوف ايه وهاته لى وتعالى الساعة ١١ . وزى ما قلت لك أنا كنت محضر محمود فوزى وكمان الفريق فوزى .

هيـــــــكل : برافو عليك .

الرئيس السادات : آه . وبعدين جالى الفريق فوزى قبلها بساعة . قلت له أقعد يا فوزى لما أحتاجك حا أنده

لك . إن كانت الأمور ماشية حا أنده لك تتكلم على الخريطة . محمود فوزى راجل منضبط جه فى الميعاد . رياض كلمنى بالتليفون زى ما قلت لك الصبح ، بيقول ايه بقى يا سيدى ؟ بيقول لى إنه حاسس ان سيسكو بيتهرب وإنه قعد الصبح فى الوزارة اتكلم معاه وضيع وقت – ما قالش حاجة جديدة – وواضح انه عاوز يتكلم معايا أنا بس . أنا بقى يا محمد ما مسكتش أعصابى قلت له جرى ايه يا رياض ؟ انت فاهمنى حا أفرط ؟ انت فاهم نفسك ايه ؟ – إذا كان جايب personal message (رسالة شخصية) طبعا ييجى يقابلنى لوحده . قال لى بس هو جايب معاه واحد يسجل . قلت له عال ، هات واحد من عندنا يسجل . قال لى أجيب محمد رياض والا أشرف غربال ؟ قلت له لأ هات أشرف غربال يسجل ، قال طيب ما آجى أنا أسجل . قلت له غريب الكلام بتاعك ده يا رياض ، إذا كان جايب personal message ييجى يبلغ الـ personal message – أنا مش عاوز الدوشة دى يا رياض – وقفلت السكة – وبعدين جه ولقى الدكتور فوزى وقعد وهدأ .

هيـــــــكل : والفريق فوزى .

الرئيس السادات : قاعد وبعد شوية لما جه سيسكو يتكلم فى الخط ، قلت لهم هاتوا الفريق فوزى من الأوده التانية . جه الفريق فوزى ، وعلى الخريطة وقف وشاف وقال لأ ، أنا لا أقبل ده ولا أقبل ده وبتاع . وخلصنا كل شىء ، وأشرف غربال خد محضر بكل شىء كامل ، وقلت له عيد بقى النقط بالكامل واتكلم بالانجليزى علشان آخد confirmation (تأكيد) من سيسكو . وأخذت الـ confirmation على كل النقط – كويس ؟ أهه هنا بقى سيسكو قال لى عايز أقعد معاك ١٠ دقائق لوحدنا خالص – قلت له مستعد .

هيـــــــكل : فيه مسألة مهمة .. ايه الخط اللى مقترحينه فى النهاية ؟ الخط اللى الفريق فوزى قال عليه لا أقبل ؟

الرئيس السادات : الخط ... المشكلة بيقولوا مفيش عبور .

هيـــــــكل : هو حكاية عدم العبور فى الحقيقة كلام فارغ .

الرئيس السادات : لأ ، عدم العبور غير مقبولة .

هيـــــــكل : مستحيل .

الرئيس السادات : هو فيه نقطتين أساسيتين يا محمد : عدم العبور مستحيل ، ومد وقف إطلاق النار إلى أجل غير مسمى غير معقول – النقطتين دول غير مقبولين . أما ما خلا ذلك ممكن نتكلم فيه – وده اللى أنا قلته لسيسكو » .

. . . .

. . . .

بقى « جوزيف سيسكو » فى القاهرة يومين ، ثم وجد أن التقارير التى تجيئه من إسرائيل غير مشجعة ، وقرر أن يغادر القاهرة . ولم يجد داعيا لازعاج الرئيس « السادات » بطلب مقابلته ، فأبلغ « محمد حسنين هيكل » بأنه يسوف يغادر القاهرة عائدا إلى واشنطن .

وكانت الرسالة واضحة مؤداها أنه لا « مبادرة روجرز » ولا زيارته قد وصلت إلى نتيجة ، وأن أزمة الشرق الأوسط برمتها قد وقفت مرة أخرى أمام الطريق المسدود .

الفصل الثامن

مواقع مكشوفة

١

لم تتح للرئيس « أنور السادات » فرصة للتفكير والتدبر فيما انتهت إليه محادثاته مع « روجرز » يوم ٦ مايو ١٩٧١ ، ثم لقاؤه مع « سيسكو » بعدها بيومين (٨ مايو) - ذلك لأن عاصفة من عواصف الخماسين هبت مثقلة بالأتربة والرمال على مصر ، وقد تمثلت فيما عرف أثناءها وبعدها بقضية مراكز القوى . وقد انتهت هذه الأزمة يوم ١٤ مايو ، وانجلت عاصفة التراب والرمال ، وإذا بالرئيس « أنور السادات » على قمة القوة والسلطة فى مصر يمسك وحده بمفاتيحها لأول مرة .

كان المشهد كما هو الشأن بعد أى عاصفة - مشهدا من مشاهد الارتباك والفوضى . ذلك أن العاصفة اكتسحت مواقع ، وغيرت تضاريس ، وغطت وكشفت مساحات من خريطة الحكم فى وقت لم يكن الرئيس « السادات » فيه مستعدا لمهام الإنقاذ ومحاولات الترميم وإعادة الترتيب والتنظيم .

وللوهلة الأولى فقد تبين أن أخطر مواقع الانكشاف قد تجىء فى موضعين :

الموضع الأول : هو العلاقات العربية السوفيتية ، وقد كان مؤكدا أن الاتحاد السوفيتى سوف يشعر بقلق من جراء التطورات الأخيرة فى مصر ، خصوصا وأن بعض الذين غابوا مع رمال العاصفة كانوا من عناصر اشتهر عنها بحق أو بغير حق أنها « من أقرب أصدقاء السوفيت » فى مصر .

كان الرئيس « السادات » قد تحسب مبكرا لاحتمال أن تقلق الحكومة السوفيتية من إقالة السيد « على صبرى » ، ولهذا فإنه استدعى السفير السوفيتى فى القاهرة « فلاديمير فينوجرادوف » قبل إعلان قرار الإقالة بأربعة أيام ، وقال له طبقا لرواية الرئيس « السادات » نفسه :

– « إننى قررت طرد على صبرى . وسوف يذهب إليكم بعض الناس ويقولون لكم إن هذا قرار معاد لكم . وسوف يحاولون استثارتكم . فلا تصدقوهم . وأنا أريدك أن تبعث إلى صديقى بريجنيف بهذا الخبر الآن ، وتقول له إن أنور السادات يبلغك أنه إذا كان هناك صديق للاتحاد السوفيتى بمصر فهذا الصديق هو أنور السادات . »

وقد تلقى « فينوجرادوف » هذا الإخطار المبكر بدهشة . والذى لم يكن يعرفه الرئيس « أنور السادات » هو أن « فلاديمير فينوجرادوف » كان فى اليوم السابق يزور أحد أقطاب السلطة فى مكتبه ، وفوجىء به يقول له فى عبارة لها معناها وتحتمل حجما مثيرا من التأويلات : « **إن هناك ناس » على قمة السلطة فى مصر « يتآمرون ليبيعوا البلد للأمريكان .** »

وخرج « فلاديمير فينوجرادوف » من مقابلته مع الرئيس « السادات » فى استراحته بالقناطر يومها وهو فى حالة حيرة كاملة بين إشارات متضاربة وتصرفات يبدو وكأنها تدعو الاتحاد السوفيتى – حتى رغم إرادته – إلى الدخول طرفا فى صراع داخلى مصرى . وبالتأكيد فإن « فينوجرادوف » بعث بهذا كله إلى موسكو . وعندما هبت عاصفة الخماسين فى الأسبوع الثانى من شهر مايو على مصر ، وسقطت مراكز القوى ، وانفرد الرئيس « السادات » بقمة القوة والسلطة ، كان الكرملين – وليس سفيره فى القاهرة فقط – فى حالة حيرة واهتزاز .

وكانت الأسباب الداعية لمثل هذه الحالة مرئية للعيان :

١ – الاتحاد السوفيتى له استثمارات سياسية وعسكرية واقتصادية ضخمة فى مصر . وحدوث تغيير بهذا الحجم فى القاهرة قد يعرض هذه الاستثمارات كلها للخطر .

٢ – أن التواجد السوفيتى فى مصر كان مهما فى حسابات موازين القوة الدولية بين موسكو وواشنطن فى وقت كان الاثنان فيه على وشك الدخول من أبواب سياسة الوفاق . ومعنى أن يتأثر موقف الاتحاد السوفيتى فى مصر وفى العالم العربى ، وبالتالى فى البحر الأبيض وفى إفريقيا – أن الاتحاد السوفيتى قد يجد نفسه داخلا من أبواب الوفاق وقد فقد أهم أوراق فى يده .

٣ – أنه فوق ذلك وبعده ، فإن الاتحاد السوفيتى له فى مصر تواجد عسكرى ، خصوصا فى مجالات الدفاع الجوى عن العمق المصرى ، سواء بالطائرات أو بقواعد الصواريخ . وترجمة ذلك عمليا أن الاتحاد السوفيتى له فى القاهرة قرابة أربعين ألفا من مواطنيه ما بين خبراء مدنيين وخبراء عسكريين – بل وتشكيلات مقاتلة فى الدفاع الجوى عن العمق .

ويوم ١٥ مايو عقد المكتب السياسى ، وهو القيادة العليا للاتحاد السوفيتى ، اجتماعا فى الكرملين جرى فيه بحث التطورات فى مصر – على ضوء تقرير عاجل بعث به السفير « فلاديمير

فينوجرادوف » . وفيما يبدو فإن القادة السوفيت توصلوا إلى استنتاج مؤداه أن الذين فقدوا مواقعهم في مصر ليسوا بالضرورة رجالهم . كما أن الرئيس « أنور السادات » الذى انفرد وحده بالقمة ليس بالضرورة عدوهم . والراجح فى ظنهم أنه صراع تقليدى على السلطة ، وأن كل طرف من أطرافه حاول استغلال « المركز السوفيتى » لصالحه . لكن الذى بقى بعد ذلك نتيجة للبحث المستفيض وللدرس هو أن الصورة العامة فى القاهرة عائمة ، وهذا هو مكمن الخطر .

وطلب السفير « فلاديمير فينوجرادوف » موعدا فوريا مع الرئيس « السادات » ، وذهب إليه يبلغه أن القيادة السوفيتية قررت إرسال وفد على مستوى عال يرأسه « نيكولاى بادجورنى » رئيس الدولة السوفيتية بنفسه - والقيادة السوفيتية ترجوه تحديد موعد لاستقبال هذا الوفد فى القاهرة . ووافق الرئيس « أنور السادات » على استقبال الوفد ، بل إنه قال لـ « فينوجرادوف » إنهم فى موسكو سبقوه لأنه كان فى نيته أن يذهب إليهم فى الأسبوع القادم .

وفى انتظار « بادجورنى » أعطى الرئيس « السادات » إشارة طمأنينة أخرى إلى الاتحاد السوفيتى ، فقد طرح بنفسه موضوع قلق الاتحاد السوفيتى فى اجتماع عقد فى مكتبه بقصر القبة غداة انتهاء عملية تصفية مراكز القوى . وكان الاجتماع يضم السيد « حسين الشافعى » والدكتور « محمود فوزى » والدكتور « عزيز صدقى » والأستاذ « محمد عبد السلام الزيات » و « محمد حسنين هيكل » . وطرح « محمد حسنين هيكل » على المجتمعين فكرة إدخال واحد أو اثنين من الشيوعيين المصريين البارزين فى الوزارة . وقدم اسم الدكتور « اسماعيل صبرى عبد الله » والدكتور « فؤاد مرسى » قائلا إن كليهما كان فى يوم من الأيام يحتل موقع السكرتير الأول للجنة المركزية للحزب الشيوعى المصرى . ولكن كليهما من خيرة المثقفين الوطنيين المصريين وأكثرهم كفاءة . دارت مناقشة حول هذا الاقتراح انتهت بدخول الاثنين إلى دائرة الحكم . فقد عين الدكتور « اسماعيل صبرى عبد الله » نائبا لوزير التخطيط ، كما اختير الدكتور « فؤاد مرسى » لمهام قيادية فى التنظيم السياسى (وفيما بعد تولى كل منهما منصب الوزير ، فأصبح الدكتور « اسماعيل صبرى عبد الله » وزيرا للتخطيط ، والدكتور « فؤاد مرسى » وزيرا للتموين) .

ويوم ٢٥ مايو وصل الوفد السوفيتى بقيادة « نيكولاى بادجورنى » ، وكان الرئيس « أنور السادات » على استعداد لأن يعطى الاتحاد السوفيتى كل طمأنينة ممكنة ، إلى درجة أنه وقع مع الاتحاد السوفيتى معاهدة صداقة وتحالف مدتها ١٥ سنة(١) .

أما الموضع الثانى المعرض للانكشاف بعد سقوط مواقع القوى - كما رآه الرئيس « السادات » - فقد كان القوات المسلحة المصرية ، وكيف يمكن للضباط والجنود على الجبهة أن

---

(١) لم يكن « محمد حسنين هيكل » متحمسا لهذه المعاهدة . وعندما أبلغ اعتراضاته للرئيس « السادات » كلف السيد « محمود رياض » وزير الخارجية بأن يخرج من الاجتماع وأن يتصل به يسأله عن أسباب اعتراضه . وكانت ضمن الملاحظات التى أبداها « هيكل » أن معاهدة مع الاتحاد السوفيتى لمدة ٢٠ سنة - وكانت تلك هى المدة المقترحة ابتداء - سوف تجد من يشبهها بالمعاهدة المصرية - البريطانية سنة ١٩٣٦ ، وكانت مدتها ٢٠ سنة . ولم يتذكر أحد من كل الاعتراضات إلا هذا الاعتراض المتعلق بالمدة ، وقد تلافاه الرئيس « السادات » بجعل سريان المعاهدة لمدة ١٥ سنة فقط كحل وسط .

يتأثروا بما جرى فى القاهرة . فقد اختفى فى عاصفة الخماسين وزير الدفاع نفسه ، وهو الفريق أول « محمد فوزى » ، وحل محله وزير اختاره الرئيس « أنور السادات » ليلة ١٤ مايو ، وهو الفريق أول « محمد أحمد صادق » . كذلك فإن التغييرات التى صاحبت عاصفة الخماسين مست كثيرين من العناصر السياسية التى دخلت مجال العمل السياسى من باب القوات المسلحة . ولم يكن فى وسع أحد وقتها أن يعرف مدى اتصالاتهم مع قيادات عسكرية ما زالت تحت السلاح ، خصوصا وأن بعضهم كان على اتصال بقضية « تأمين الجيش » . وقرر الرئيس « السادات » فور انتهاء محادثاته مع « بادجورنى » أن يتوجه بنفسه إلى الجبهة ، وأن يلتقى هناك بقادة الجيوش وقادة الفرق وقادة الألوية .

وبعد انتهاء زيارة الرئيس « السادات » للجبهة ذهب مدير مكتبه العسكرى المقدم « عبد الرؤوف رضا » ليقيس الرأى العام فى أوساط الجبهة ، وعاد ليكتب للرئيس تقريرا جاء فيه ما يلى :

« سرى جداً »

مذكرة

من المقدم أركان حرب أحمد عبد الرؤوف رضا

التاريخ : ١١ / ٦ / ١٩٧١

الموضوع : موجز باتجاهات الرأى العام داخل القوات المسلحة

١ - تركزت اتجاهات الرأى العام (فى القوات المسلحة) خلال هذه الفترة حول الموضوعات الرئيسية التالية :

أ - زيارة السيد رئيس الجمهورية للجبهة وآثارها .

ب - الإجراءات والقرارات (التى اتخذها أثناء الزيارة) والتى ساهمت فى رفع الروح المعنوية للقوات .

جـ - التحقيقات الدائرة حاليا مع المسئولين السابقين والذين تخلوا عن رسالتهم .

د - انتخابات الاتحاد الاشتراكى (فى عملية إعادة بناؤه) .

هـ - المعاهدة المصرية السوفيتية .

و - المصاعب الإدارية التى تواجهها القوات .

زيارة السيد رئيس الجمهورية للجبهة :

٢ - يبدى الجميع ارتياحهم للزيارة والوضوح الذى اتسم به السيد الرئيس فى أحاديثه معهم ، وخاصة بالنسبة للمعاهدة السوفيتية - المصرية ، والتحقيقات الدائرة الآن . وكذلك بالنسبة لموافقة سيادته على الكثير من الإجراءات التى تساهم فى رفع الروح المعنوية للقوات .

٣ - ارتياحهم لثقة السيد الرئيس فى القوات المسلحة ، وأن المعركة قادمة . وأنه بالرغم من أن احتمالات الحل السلمى لا تزيد نسبتها عن ١٪ فإنه لا تترك فرصة مواتية لهذا الحل .

بالنسبة للإجراءات والقرارات التى ساهمت فى رفع الروح المعنوية للقوات :

٤ - ساهمت قرارات السيد رئيس الجمهورية التالية بصورة ملحوظة فى رفع الروح المعنوية للقوات المسلحة :

أ - اعتبار مدة الخدمة بالجبهة خدمة حرب بأثر رجعى منذ عدوان ١٩٦٧ .

ب - منح الجنود الذين أمضوا بالجبهة مدة سنتين خمسة عشر يوما اجازة دفعة واحدة .

جـ - الموافقة على إعادة ما سبق أن استقطع من الـ ٢٥٪ من البدلات وعلى إعفاء أفراد القوات المسلحة من ضريبة الجهاد .

د - الموافقة على إعطاء امتياز لأبناء العاملين بالقوات المسلحة للالتحاق بالجامعات والمعاهد والمدارس بتجاوز نسبة ٥٪ من المجموع خلال فترة المعركة فقط .

هـ - وعد السيد الرئيس بإعادة فحص حالة أفراد المجندين للنظر فى رفع مرتباتهم ، وتكليف سيادته السيد وزير الحربية بدراسة ذلك .

و - يبدى معظم الأفراد فى القوات المسلحة ارتياحهم التام بالنسبة للسيد الفريق أول محمد أحمد صادق كوزير للحربية ، كما يبدون ارتياحهم للسيد اللواء سعد الشاذلى كرئيس لهيئة أركان حرب - وخاصة أفراد منطقة البحر الأحمر .

بالنسبة للتحقيقات الدائرة حاليا :

٥ - قابل الرأى العام العسكرى الكف عن نشر تحقيقات المؤامرة الأخيرة بشىء من الارتياح(*) .

٦ - يطالب الرأى العام فى القوات المسلحة بضرورة المحاسبة الشديدة لأفراد المؤامرة الأخيرة ، وخاصة بالنسبة لوزير الحربية السابق الذى تخلى عن مسئولياته أثناء المعركة ، والذى كان معروفا عنه قسوته فى معاملته الضباط ومطالبته لهم دائما بعدم تدخلهم فى التيارات السياسية ، وإذا به يتخلى عن هذه المبادىء .

٧ - الارتياح التام مع التعجب من التفصيلات المثيرة التى أدلى بها السيد الرئيس للقوات عن هذه المؤامرة ، وخاصة عن وجود تسجيل كامل للمؤامرة وخطوطها تم ضبطه بمكتب أحمد كامل (الرئيس السابق للمخابرات العامة) - وأن السيد الرئيس لديه ملف كامل يحوى ملخصا لأقوال المتهمين ، وأن سيادته سيسلمه لقيادة الجيش الثانى لتتولى طبعه وتوزيعه على أفراد القوات المسلحة للاطلاع . »

ثم يمضى التقرير بعد ذلك لنهايته ، ويستغرق ٤ صفحات كاملة .

(*) كان قد صدر قرار من المدعى العام العسكرى بحظر النشر فى تفاصيل « مؤامرة مراكز القوى » لاعتبارات تتعلق بسلامة التحقيق .

٢

بدا الرئيس « السادات » وكأنه قد اطمأن إلى تغطية مواقع الانكشاف فى أوضاعه . فقد استطاع مع « بادجورنى » تغطية الموقع السوفيتى ، واستطاع بزيارة الجبهة تغطية الموقع العسكرى . وراح يحاول أن يستعيد خيوط الموقف فى يده كما كان قبل عاصفة الخماسين . وقد أحس على الفور أنه أمام موضع انكشاف ثالث لم يأخذه فى حسابه مبكرا ، وهو الموضع الأمريكى الذى كان شاغله الشاغل قبل عاصفة الخماسين مباشرة . فقد بدأت الأنباء تصله من واشنطن بأن هناك قلقا أمريكيا شديدا من معاهدة الصداقة والتحالف التى أبرمتها مصر مع الاتحاد السوفيتى . وكان بين ما أثار قلقه تقرير تلقاه من الدكتور « أشرف غربال » القائم على شئون المصالح المصرية بواشنطن (وكان قد عاد إلى مقر عمله فى العاصمة الأمريكية بعد انتهاء زيارة « روجرز » للقاهرة) . فقد أشار الدكتور « أشرف غربال » فى هذا التقرير إلى نقطتين ألح عليهما :

١ - أن الإدارة الأمريكية ، وخصوصا فى البيت الأبيض ، تبدى قلقا شديدا بسبب معاهدة الصداقة والتحالف بين مصر والاتحاد السوفيتى ، وأن البعض يصور لهم أن هذه المعاهدة سوف تقيد حرية مصر فى الحركة من أجل حل سلمى ، وسوف تعيد « أداة التفاوض » مرة أخرى إلى يد الاتحاد السوفيتى .

٢ - أن إسرائيل تستغل هذا الوضع بطريقة مزدوجة ، فهى :

أ - تحاول تصوير المعاهدة على أنها تصفية لقدرة مصر المستقلة على التفاوض .

ب - تحاول التلويح للولايات المتحدة بأنه والأمور على هذا النحو فإن المواجهة فى حقيقتها سوف تصبح مع الاتحاد السوفيتى - فإذا لم يكن فى مقدور الولايات المتحدة أن تعطيها كل ما تريد من السلاح دون قيود ، فإنها (أى إسرائيل) على استعداد لفتح حوار مع موسكو خصوصا وأن فرنسا - طبقا لأخبار نشرتها جريدة « نيويورك تايمز » - تقوم بمسعى لإعادة العلاقات بين إسرائيل والاتحاد السوفيتى .

وفى ذلك الوقت كان الملك « فيصل » ملك المملكة العربية السعودية - فى واشنطن . وبعث من هناك إلى الرئيس « السادات » برسالة يقترح فيها عليه أن يزوره فى القاهرة فى طريق عودته من واشنطن إلى الرياض .

ووصل الملك « فيصل » إلى القاهرة يوم ١٩ يونيو ، وسافر مع الرئيس « السادات » إلى الأسكندرية بالقطار . وكان هدف الرئيس « السادات » أن يريه استقبال الشعب له على طول الطريق من القاهرة إلى الأسكندرية لكى يتأكد الملك « فيصل » أن الأوضاع فى مصر مستقرة ، وأن الرئيس « السادات » ممسك تماما بزمام الأمور .

وروى الملك « فيصل » للرئيس « السادات » كيف أنه كان فى واشنطن عندما قام « بادجورنى » بزيارة القاهرة ، وكيف أنه كان مع الرئيس « نيكسون » حينما أعلن نبأ عقد معاهدة للصداقة والتحالف بين مصر والاتحاد السوفيتى . ثم تحدث الملك « فيصل » بإسهاب عن استغراب الرئيس « نيكسون » من هذه المعاهدة ، وكيف أنه قال له « إننا كنا نقوم بمسعى جاد مع الرئيس « السادات » للتوصل لحل سلمى لأزمة الشرق الأوسط ، وإذا به وسط جهودنا يفاجئنا بمعاهدة للصداقة والتحالف مع الاتحاد السوفيتى مدتها ١٥ سنة . » وروى الملك « فيصل » أيضا كيف أنه دافع عن الرئيس « السادات » أمام « نيكسون » وقال له « إنه يعرف الرئيس « السادات » وهو صديق له من قديم ، وهو واثق من أنه ليس شيوعيا ولا يحب الشيوعيين ، ويتمنى أن يتخلص منهم « اليوم قبل الغد » – ولكن الرجل مضطر وأنتم لم تعطوه فرصة . » وروى الملك أيضا كيف أنه دخل فى مناقشات طويلة دفاعا عن الرئيس « السادات » فى جلسة كان يحضرها الدكتور « هنرى كيسنجر » مستشار الرئيس للأمن القومى ، والمستر « ريتشارد هيلمز » مدير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية . ثم وصل الملك « فيصل » إلى أن قال « إنه قبل أن يسافر أعطاه الرئيس « نيكسون » ورقة عليها أربعة أسئلة موجهة إلى الرئيس « السادات » ، وقد طلب أن يتلقى عنها ردا مكتوبا . ودعا الملك « فيصل » أحد مستشاريه – عند هذه النقطة من الحديث – وطلب منه ورقة « نيكسون » وسلمها للرئيس « السادات » .

وكانت الورقة تحوى أربعة أسئلة :

« ١ – هل المعاهدة مع الاتحاد السوفيتى تؤثر على علاقات مصر مع الولايات المتحدة ؟

٢ – هل مصر تملك حرية الحركة فى التوصل إلى تسوية سلمية تسعى فيها الولايات المتحدة ؟

٣ – هل تعيد مصر العلاقات الدبلوماسية مع الولايات المتحدة مع البدء فى المرحلة الأولى للانسحاب ؟

٤ – هل تغادر التشكيلات المحاربة الروسية الأراضى المصرية فور التوصل لاتفاق ؟ »

وقام الرئيس « السادات » بحركة درامية ، فأمسك بالورقة وكتب بخط يده رده على كل بند من بنودها تحت السؤال الخاص بهذا البند مباشرة :

- **تحت البند الأول كتب بخطه : « المعاهدة لم تغير شيئا من موقفنا » .**
- **وتحت البند الثانى كتب : « موقفنا لم ولن يتغير ، وأنا على استعداد لتوقيع اتفاق مرض » .**
- **وتحت البند الثالث كتب كلمة : « نعم » .**
- **وتحت البند الرابع كتب : « إننى عند كلمتى » .**

أحس الرئيس « السادات » بعد هذه الأسئلة وإجاباته عليها أن المسائل تحتاج إلى متابعة .

فالباب الأمريكى إلى الحل ما زال مفتوحا ، لكن الرئيس « السادات » بدأ يعود إلى شكوكه فيما يتعلق بقدرة وزارة الخارجية الأمريكية ووزيرها « ويليام روجرز » على تحريك اهتمام أمريكى حقيقى بأزمة الشرق الأوسط .

وكانت لديه مصادر كثيرة تؤكد له كل يوم أن إدارة السياسة الخارجية الأمريكية قد انتقلت نهائيا - فى عهد « نيكسون » على الأقل - من وزارة الخارجية إلى البيت الأبيض ومستشار الأمن فيه « هنرى كيسنجر » . كان « كيسنجر » قد أخذ فى يده خطوط أزمة فيتنام ، ودخل فى مفاوضات سرية مع الزعيم الفيتنامى « لى دوك تو » جرت فى باريس - وكان « كيسنجر » أيضا قد بدأ يستكشف الطريق إلى أبواب الصين - وكان هو الذى راح بكفاءة منقطعة النظير يهندس لسياسة الوفاق .

وراح يستقر فى وعى الرئيس « السادات » يوما بعد يوم أنه إذا كان هناك حل ، فهو فى البيت الأبيض وليس فى وزارة الخارجية - وإذا كان فى البيت الأبيض فهو فى يد « هنرى كيسنجر » وليس فى يد « ويليام روجرز » .

● كان السفير « أشرف غربال » فى واشنطن مقتنعا بأن الأمل كله فى « هنرى كيسنجر » ولا أحد غيره . وكانت تقاريره ورسائله إلى الرئيس « السادات » تلح كثيرا حول هذه النقطة فى تلك الفترة .

● وفى تلك الفترة أيضا كان الرئيس « السادات » قد تعرف على المستر « آرنو دى بورشجراف » ، وهو وقتها كبير مراسلى مجلة « نيوزويك » . وقد تكررت لقاءات الاثنين لإجراء أحاديث صحفية أو أحاديث غير صحفية . وكان « بورشجراف » فى كل مرة يلح على الرئيس « السادات » بأن ينفض يده من « ويليام روجرز » ويتجه باهتمامه إلى « هنرى كيسنجر » .

□

ويبدو أن السفير « أشرف غربال » أحس وهو فى واشنطن بأن الرئيس « السادات » مهيأ لفكرة الاتصال بـ « كيسنجر » سواء كان فى ذلك مستجيبا لتقاريره ، أو كان ذلك رأيا توصل إليه الرئيس فى القاهرة من مجمل متابعته للمسرح السياسى الأمريكى .

وعلى الأرجح فإن السفير « أشرف غربال » كان يتصرف بوحى من هذا الإحساس حينما انتهز فرصة وعكة صحية ألمت بـ « كيسنجر » وقرر أن يكتب له رسالة شخصية مع باقة زهر . كانت الرسالة على شكل قصيدة من الشعر نظمها الدكتور « أشرف غربال » بالانجليزية وبعث بها إلى مكتب مستشار الرئيس الأمريكى للأمن القومى . وكانت ترجمة القصيدة كما يلى بالنص :(*)

(*) صورة من الأصل الانجليزى لقصيدة الدكتور « أشرف غربال » إلى الدكتور « هنرى كيسنجر » ، وهى موجودة فى ملحق صور الوثائق تحت رقم (٣١) - على صفحة (٧٦٩) من الكتاب .

« فى واحدة من رحلاتى الاستكشافية الحديثة
التقيت بعلامة استفهام معلقة من قديم
إنها كانت فى مقبرة امنحتب
هو إله الطب والمواجع فى عصور سالفة
كانت علامة الاستفهام تشير إلى نداء يقول :
تعال وقم بزيارة النيل ... لترى نيلى
لن يعوقك أحد ... فالكل جميعا فى استقبالك
لآلام معدتك عندى الدواء
ولصداع رأسك عندى شفاء
ما رأيك أيها العزيز هنرى
لماذا لا تجعل الشرق الأوسط مدخلك المزدوج
(إلى الشفاء وإلى النجاح) . »

□

كان « هنرى كيسنجر » فيما يبدو من ظاهر تصرفاته حتى ذلك الوقت – مايو – يونيو ١٩٧١ – لا يريد أن يقترب من أزمة الشرق الأوسط . وكان دائم التصريح بأنه يرد نفسه عنها باعتباره يهوديا . وأنه يرد نفسه من قبل أن يرده الآخرون (يقصد العرب) لذات السبب ، وهو يهوديته . ومع ذلك فإن « هنرى كيسنجر » فى صميم قلبه كان يتمنى لأسباب متعددة ومعقدة أن يكون السلام فى الشرق الأوسط بين العرب وإسرائيل على يديه . وقد بدا أنه يعطل عن عمد كل محاولات وزارة الخارجية الأمريكية ، ووزيرها « ويليام روجرز » للوصول إلى حل للأزمة – وكان ذلك راجعا فى جزء منه إلى العداء الذى استحكم بينه وبين « روجرز » ، مضافا إلى ذلك اعتقاده بأن أزمة الشرق الأوسط داخلة فى صميم العلاقات بين القوتين الأعظم ، ومن الضرورى طرحها فى إطار محادثات الوفاق ، خصوصا بعد ما أصبح للسوفيت تواجد عسكرى بتشكيلات مقاتلة فى منطقة الأزمة .

وبينما كان « روجرز » يطرح مبادرته ويواصل اتصالاته وينتهى بزيارة الشرق الأوسط نفسه ، كان « هنرى كيسنجر » يكتب للرئيس الأمريكى عن أزمة الشرق الأوسط تقدير موقف يقول فيه ما يلى :

١ – إن أزمة الشرق الأوسط ليست جاهزة للحل ، فالمواقف بين الأطراف متباعدة نتيجة لاختلال الموازين بين أطراف النزاع . وكذلك بسبب عقد تاريخية وإنسانية مستحكمة يصعب تجاوزها بمحادثات فى نيويورك بين الأربعة الكبار ، أو بين القوتين الأعظم – أو بزيارات سريعة للقاهرة وتل أبيب تعرض فيها صياغات دبلوماسية يصعب تحديد معانيها .

٢ – إنه مع الفجوة الواسعة بين مواقف الأطراف – ومع العقد التاريخية والإنسانية المترسبة – ومع اختلال الموازين ، فإن التوصل إلى حل سوف يقتضى ضغطا شديدا على إسرائيل

لكى ترضى بالانسحاب من الأراضى المحتلة ، وهذا الحجم من الضغط لا يقدر عليه الرئيس خصوصا وهو مقبل فى السنة القادمة (١٩٧٢) على إعادة ترشيح نفسه للرئاسة لمدة ثانية .

٣ - إن الأمور فى منطقة الأزمة خصوصا على الجانب العربى ، ليست مستقرة . فهناك صراعات سلطة داخلية لا تظهر نتائجها ومضاعفاتها بعد ، ويترتب على ذلك أنه لا يوجد مفاوض عربى يقدر على مسئولية مفاوضات حقيقية يكون فيها أخذ وعطاء .

٤ - إن استمرار الركود فى الأزمة قد لا يكون بالضرورة متعارضا مع مصالح الولايات المتحدة الأمريكية . فاستمرار الركود سوف يؤدى إلى خلافات عربية - سوفيتية . ويتعين على الولايات المتحدة أن تمسك بأعصابها وتنتظر حتى تظهر هذه الخلافات أو تنفجر .

٥ - إنه بينما يجرى الاستعداد لعقد قمة أمريكية - سوفيتية فى موسكو ، فإنه من الأفضل الانتظار بمحاولات الحل حتى تطرح بنظرية « ترابط الأزمات » linkage على مائدة البحث فى موسكو بين القوتين الأعظم .

٦ - إن الرئيس « السادات » حتى هذه اللحظة لا تبدو عليه سمات رجل دولة قادر على أن يقود شعبه إلى تسوية سلمية مع إسرائيل . وما يبدو من تصرفاته حتى الآن هو أنه « بهلوان سياسى »[٢] political clown . والأرجح أن حكمه لن يطول .

ومن المفارقات بعد ذلك أن « كيسنجر » - بعد أن تحقق من فشل « روجرز » فى زيارته للمنطقة فى أوائل شهر مايو ١٩٧١ - قرر لأسباب رآها أن الفرصة قد تكون مناسبة له الآن لعملية استكشاف من بعيد لأزمة الشرق الأوسط

وجرى ذلك بطريقة بالغة الغرابة .



في أواخر شهر مايو ١٩٧١ ، وبعد أن تحقق فشل زيارة « روجرز » للقاهرة ، اتصل الدكتور « زكى هاشم »[٣] بـ « محمد حسنين هيكل » وقال له : « أنت تعرف طبعا « دونالد كندال » رئيس مجلس إدارة شركة بيبسى كولا . وأنا محاميهم فى مصر . وأنت تعرف أن « كندال » صديق

---

(٢) استعمل « هنرى كيسنجر » نفس الوصف فى محاضرة ألقاها في جامعة « هارفارد » .

(٣) الدكتور « زكى هاشم » محام دولى لامع ومقتدر . وقد أصبح وزيرا للسياحة فى وزارة الدكتور « عزيز صدقى » ، ثم عاد بعد الوزارة إلى مكتبه .

مقرب من الرئيس الأمريكى « ريتشارد نيكسون » لأن « نيكسون » نفسه كان لسنوات طويلة محاميا لشركة بيبسى كولا بأمريكا . و « دونالد كندال » موجود الآن فى القاهرة لزيارة سريعة ، وقد طلب أن يقابلك لأنه يريد أن يسمع منك عن أزمة الشرق الأوسط باعتباره صديقا مقربا من « نيكسون » ، وليس باعتباره رئيس لمجلس إدارة بيبسى كولا . »

وتمت المقابلة ، واستغرقت قرابة ساعتين . وعاد « كندال » إلى نيويورك .

□

ويوم ٨ يونيو ١٩٧١ تلقى « محمد حسنين هيكل » خطابا من « دونالد كندال » – أرسل نسخة منه فى نفس الوقت إلى الدكتور « زكى هاشم » – وكان نصه كما يلى :(*)

« سعدت أشد السعادة للقائك مع صديقنا المشترك زكى هاشم ، وللفرصة التى أتيحت لى معك بمناقشة آرائك حول الموقف السياسى الراهن فى العالم بصفة عامة ، وبالنسبة لأزمة الشرق الأوسط بصفة خاصة . لقد أثرت فى كثيرا معرفتك العميقة المباشرة بمشاكل الشرق الأوسط ، من مبتداها حتى الوقت الراهن ، واستعراضك للعوامل التى تداخلت فيها ، بما فى ذلك الدور الذى لعبته الولايات المتحدة الأمريكية ، والنصيب الذى ينبغى أن تسهم به فى حل المشكلة .

وكما أوضحت لك فإننى أشعر بأنه مما يساعد بصورة قاطعة على الدعوة للقضية العربية ، ضرورة أن يأتى شخص مثلك على مثل هذا القدر من المعرفة بالمشكلة وأبعادها ، إلى الولايات المتحدة ، وأن يشرح وجهة النظر العربية لبعض ذوى النفوذ من الناس الذين يرجى تعميق فهمهم لهذه المسألة لخدمة المصلحة العربية العامة .

وإنى إذ أضع هذا فى اعتبارى ، ولأنه يسعدنى أن أعتبر نفسى صديقا للأمة العربية وشعبها ، أشعر بغبطة شديدة إذ أوجه إليكم دعوة لزيارة الولايات المتحدة الأمريكية ، حيث سأنظم لك إمكانية اللقاء مع بعض الناس الذين ينبغى أن تزداد معرفتهم بالوضع العربى فى الموقف الراهن فى الشرق الأوسط . وإننى على يقين من أن مثل هذه الزيارة سوف تدعم التأييد لوجهة النظر العربية ، وتعود بالنفع المتبادل على العلاقات بين بلدينا .

ومنذ عودتى إلى الولايات المتحدة ، أتيحت لى فرصة لزيارة طيبة قضيتها مع الرئيس نيكسون ، دار الحديث فيها حول رحلتى إلى الشرق الأوسط ، كما أتيحت لى الفرصة بالطبع لأذكر بتفصيل مسهب ذلك النقاش الذى جرى معك ، ولقد أبلغت الرئيس عن عزمى على دعوتك لزيارة الولايات المتحدة ، وأعرب هو أيضا عن أمله فى أن تقبل دعوتى .

مع أخلص تحياتى الشخصية .

المخلص

دونالد »

(*) توجد أربع صور وثائقية لأوراق مجموعة المراسلات الخاصة بترتيب لقاء بين « هنرى كيسنجر » و « محمد حسنين هيكل » فى أكتوبر ١٩٧١ ، وهذه الصور الأربع على النحو التالى :

١ – خطاب « كندال » الأول لـ « محمد حسنين هيكل » .

٢ – برقية اعتذار من « هيكل » إلى « كندال » .

٣ – خطاب الدكتور « أشرف غربال » بخط يده إلى « هيكل » .

٤ – خطاب الدكتور « محمد حسن الزيات » بخط يده إلى الدكتور « محمود فوزى » رئيس الوزراء .

وهى جميعا موجودة فى ملحق صور الوثائق تحت أرقام (٣٢) ، (٣٣) ، (٣٤) ، (٣٥) – على الصفحات ٧٧٠ – ٧٧٣ من الكتاب .

□

وأجاب « محمد حسنين هيكل » على هذا الخطاب برد ودى شكر فيه « دونالد كندال » على حسن انطباعاته ورقة مشاعره قابلا الدعوة من حيث المبدأ ، مؤجلا تنفيذها إلى فرصة أخرى فى ظروف ملائمة .

ومرت ثلاثة شهور ، وفى ١٥ سبتمبر تلقى « محمد حسنين هيكل » خطابا من السفير « أشرف غربال » بخط يده نصه كما يلى :

« أخى العزيز محمد

قبلاتى وأحر أشواقى – وقد أسعدتنى « اللحظات » التى جمعتنا فى القاهرة ، وأسميها لحظات لطمعى فى المزيد . وإن شاء الله يكون ذلك فى القريب .

(..........)

اتصل بى كندال رئيس البيبسى كولا – ويلح إلحاحا شديدا فى حضورك ضيفا عليه فى ضيعته فى كونيتكت للتقابل مع هنرى كيسنجر فى عطلة آخر الأسبوع الأول من أكتوبر أى ٢ ، ٣ أكتوبر – وقد قبل كيسنجر حجز هذين اليومين لمقابلتك .

وقد أبلغت كندال أنك وجدت من الصعب فى الظروف الحاضرة التغيب عن القاهرة ، وأنك شاكر له كريم جهوده ، ولو أنه تساءل عما إذا كنت لا ترى أن فى ذلك فائدة – وعاودت الشرح بأن الأمر لا يعدو أكثر من انشغالك فى القاهرة فى الآونة الحاضرة لدرجة يتعذر معها خروجك إلى خارجها – وأنك تفكر فى السفر للندن فى الخريف فى نوفمبر أو نحو ذلك لبضعة أيام .

ذكر كندال أنه يعتقد أنك وكيسنجر متشابهين فى « الروح » والأسلوب ، وستنسجمان من أول وهلة من بعض . وهو ما صدقت عليه . وبالفعل أعتقد تماما أنه حقيقى – واتفقنا على أن أحاول معك من جديد – على أن ترد علىّ برقيا فور تلقيك هذا بالنتيجة حتى يمكن الرد على كيسنجر . ذكرت فى الحديث أن المصيبة أن الجو ليس فيه أى تحرك بل جمود كامل ، وأنه لو حصل انقشاع لأمكن استغلاله ، بل ولساعد ذلك على حضورك أيضا . وافقنى إنما أكد أنه لهذا السبب بالذات فإنه من الأفيد حضورك ، فهو أى كندال يرى جمودا كاملا فى موقف إسرائيل ، وكيسنجر يذكر أنه يسمع كل يوم الجانب الإسرائيلى ، إنما ليس هناك من يمكنه أن يحدثه « بحرية وبدون رسميات » فى الجانب العربى . ولذا يشعر كندال أن لقاكما لازم ومفيد .

أشرت إلى حضور الوزير رياض لنيويورك ، ومن المحتمل مجيئه لواشنجتون ، وستكون فرصة لأن يلتقى رياض وكيسنجر وهو ما أتوقع حصوله لو تمت الزيارة لهنا ، إنما بالطبع سيكون لقاء من نوع آخر يحكمه – على الأقل فى البداية – طبيعة رسميات العمل والمناصب .

وكما ذكرت أننا انتهينا على أن نضع الأمر من جديد تحت نظرك مع رجاء الإبراق بإذا كان ممكنا أم لا .

. . . .

. . . .

ودى وأشواقى وقبلاتى .

أخـوك

أشــرف »

وكان رأى « محمد حسنين هيكل - لا يزال - أن الوقت ليس ملائما بعد لاجتماع من هذا النوع ، وكتب بذلك إلى السفير « أشرف غربال » . ولم يجد ضرورة للحديث فى هذا الأمر مع الرئيس « أنور السادات » .

□

ومضى شهر ، وفى يوم ٢ نوفمبر اتصل الرئيس « أنور السادات » بـ « محمد حسنين هيكل » ، وكانت الحماسة ظاهرة من أول كلمة نطق بها - قال :

- « **محمد .. أخيرا كيسنجر أدرك أنه من الضرورى عليه أن يتصل بنا** » .

ثم استطرد الرئيس « السادات » قائلا :

- « **هو يريد أن يقابلك ... إن أحد أصدقاء نيكسون اتصل بالزيات** (يقصد الدكتور « محمد حسن الزيات » المندوب المصرى الدائم وقتها فى الأمم المتحدة) **وتحدث معه فى ذلك . والزيات رأى أن يكتب خطابا بالتفصيل لفوزى** (يقصد الدكتور « محمود فوزى ») - **وقد طلبت من فوزى أن يطلعك على خطاب الزيات وأن يبحث معك كل ترتيبات سفرك إلى أمريكا** » .

وأبدى « محمد حسنين هيكل » ملاحظة قال فيها للرئيس « السادات » إن « لديه فكرة عن أن كيسنجر يريد مقابلته ، وقد كتب إليه أشرف غربال بتفاصيل اقتراح اللقاء والموعد والمكان المحددين له ، وكذلك كتب إليه صديق نيكسون (« كندال ») ولكنه أرسل برقية اعتذار » .

ثم استطرد الرئيس « السادات » يقول :

- « **إيه ده ؟ اعتذار إيه ؟ ده كيسنجر يا محمد .. كيسنجر** » !

وفى اليوم التالى ذهب « محمد حسنين هيكل » إلى لقاء مع الدكتور « محمود فوزى » ، وكان اللقاء فى القاعة التى كان يفضل الدكتور « فوزى » أن يجرى فيها مقابلاته بالمبنى القديم لوزارة الخارجية . وهناك روى الدكتور « فوزى » لضيفه تفاصيل خطاب « الزيات » ، وقد أرسله زيادة فى ضرورات الأمن - مع السيد « عبد الخالق حسونة » الأمين العام لجامعة الدول العربية .

وكان نص الخطاب كما يلى :[٤]

---

(٤) من الواضح أن الدكتور محمد حسن الزيات كتب هذا الخطاب فى المطار وهو يودع الأمين العام لجامعة الدول العربية فى ذلك الوقت السيد « عبد الخالق حسونة » .

« نيويورك ٣١ / ١٠ / ١٩٧١

السيد الدكتور محمود فوزى رئيس الوزراء

سيادة الرئيس

طلب إلىّ أحد أصدقاء الرئيس نيكسون المقربين ، وهذه حقيقة أعرفها ، أن أنقل رسالة إلى السيد رئيس الجمهورية مباشرة وله خاصة ، وقد انتهزت فرصة سفر الأمين العام حسونة باشا إلى القاهرة الآن فرجوته أن يضع هذه الرسالة فى يديك ، لتتفضل مشكورا بالنظر فى عرضها على السيد الرئيس .

وصديق المستر نيكسون هو المستر دونالد كندال رئيس مجلس إدارة شركة بيبسى كولا ، وقد طلب أن أتناول الغداء معه يوم الثلاثاء ٢٦ أكتوبر الماضى ، وبعد حديث عام قال إنه يعتقد أنه لا بد من قيام اتصال بين مصر وبين البيت الأبيض غير الاتصالات الرسمية والعلنية ، وأنه ، لما كان من المطلوب من أمريكا الآن هو أن تضغط على إسرائيل - فإنه يحسن أن يكون الاتصال بكيسنجر لأنه ليهوديته قادر على هذا الضغط خبير بطرقه . وقال ، كندال ، إن كيسنجر حسن الثقة فى نفسه cocky وفى معرفته بشئون العالم ، وأنه - أى كندال - عندما زار مصر قابل فيها رجلا له صفات كيسنجر ، وله صلاته ، وهو الأستاذ محمد حسنين هيكل .

ولذلك يعتقد كندال أن هناك فائدة كبيرة فى أن تتم مقابلة بينهما ، بشكل سرى تماما ، ولذلك يقترح أن تتم هذه المقابلة فى عطلة نهاية أسبوع يقضيانه فى منزله (أى منزل كندال) فى ضواحى نيويورك (قرية Purchase) القريبة من جرينتش (كونيتيكت) . بل قال لى كندال إنه من الممكن ، لهم ، أن يرسلوا طائرة خاصة إلى القاهرة لنقل الأستاذ هيكل تهبط فى مطار جرينتش نفسها (أى ليس فى نيويورك) وتعود به إلى القاهرة بعد نهاية الأسبوع (المقصود السبت والأحد) .

وقد قال لى كندال إن هذه الطائرة يمكن أن تكون طائرة عادية مستأجرة يستأجرها هو ...

وكذلك قال لى كندال إنه سبق أن أبدى هذه الرغبة للدكتور أشرف غربال وطلب نقلها إلى الأستاذ هيكل ، وبناء على ذلك كان كيسنجر قد حدد فعلا أى نهايات الأسبوع ولكن شيئا لم يتحقق ، وقال كندال إنه كان فى واشنطن أمس (أى يوم الاثنين ٢٥ أكتوبر) وشهد مع الرئيس نيكسون فى البيت الأبيض نتائج التصويت الخاص بموضوع الصين على التليفزيون .. وبعد حديث عن هذا الموضوع ليس هنا مكانه .. قال إن كيسنجر سأله ألم يتم شىء فى موضوع مقابلته لهيكل ، فأجابه بالنفى .

وقد كان طلب كندال الأصلى أن أوصل هذه الرسالة إلى الأستاذ هيكل بشرط كرره ألا يصل خبرها إلى وزارة الخارجية الأمريكية ، أو أى من رجال الحكومة الأمريكية الرسمية فى القاهرة أو نيويورك أو واشنطن ، لاعتقاده أولا أن وزارات الخارجية بشكل عام لا يمكن أن يحفظ فيها سر لطبيعة محفوظاتها وتوزيعها الخ - واعتقاده ثانيا أن هناك اعتبارات منها اعتبارات prestige ستدفع موظفى الخارجية الأمريكية إلى قتل أى محاولة لعمل أى شىء خارج إطارهم .

على أنى ذكرت للمستر كندال أننى أستطيع التفكير فى الاستجابة إلى طلبه فى حالة تحويله ليكون موجها إلى السيد رئيس جمهوريتى - وقد قبل ذلك فورا - وذكرت أن السيد الرئيس يمكن له عندئذ أن يتخذ ما يراه ، وأن يبلغنى بالطريقة التى يراها . وذكرت أنه لن تعوز القاهرة الطرق التى يمكن أن تبلغ بها كندال الجواب على دعوته دون أن تدخل السلطات الأمريكية فى الموضوع ، ومع مراعاة ما ذكره عن محفوظات ووثائق وزارات الخارجية .

واستكمالا لهذا الحديث سألت كندال هل يتعين أن يكون الاتصال بكيسنجر عن طريق الأستاذ هيكل ، فكانت إجابته أن هذا أفضل لتشابه شخصيتيهما ، ولأن هيكل ليست له صفة رسمية وليس عليه أن يوصل حديثه عن طريق رسمى .

وسألت هل يعتقد أن مقابلة واحدة ستوصلنا إلى طريق الحل ، قال إنه يرجو أن يمكن الاتفاق فى هذه المقابلة على طريقة للاتصال والتباحث المستمر .

سيادة الرئيس

هذا هو ملخص ما تم فى هذه المقابلة ، أضعه بين يديك - دون تعليق أو إضافة لأى أفكار أو تحفظات أو تساؤلات من جانبى ، وهذا الخطاب أودعه يد الأمين العام ليكون فى يدك بعيد وصوله إلى القاهرة ، ولا أضيف إليه إلا أصدق الاحترام وأخلص التمنيات ، ودعواتى الخالصة لكم بالتوفيق ولبلادنا ورئيسها باستمرار السداد .

المخلص

محمد حسن الزيات »

□

وفى يوم ٧ نوفمبر كان « محمد حسنين هيكل » ضيف عشاء على الرئيس « السادات » فى بيته . وقد جلسا إلى مائدة العشاء وليس معهما غير السيدة « جيهان السادات » . وبعد العشاء جلس الثلاثة فى شرفة الدور الثانى المطلة على النيل ، وهى شرفة أغلقت بالزجاج وتحولت إلى ما يشبه صالونا عائليا خاصا . وكان الرئيس « السادات » يريد أن يعرف رأى « محمد حسنين هيكل » فى موضوع لقائه مع « كيسنجر » .

وكان « هيكل » لا يزال على رأيه فى أن الموقف لا يزال غير مناسب لمثل هذا اللقاء ، وراح يعد أسبابه لذلك :

« ١ - إن الموقف العسكرى على الجبهة لا يزال على حاله لم يتغير منذ أن كان « ويليام روجرز » هنا فى مايو الماضى .

٢ - والموقف السياسى الدولى لا يزال هو الآخر كما كان ، لم يطرأ عليه جديد ، بل بالعكس فإن موقف الاتحاد السوفيتى يتأرجح .

٣ - وفى ظل الموازين الراهنة فإن إسرائيل - والولايات المتحدة وراءها - و « كيسنجر » بالطبع - سوف يطلبون تنازلات لا تستطيع مصر تقديمها . وفى كل الأحوال فإن ما هو جاهز للعرض تحت المائدة فى محادثات سرية مع « كيسنجر » لن يزيد على ما كان معروضا فوق المائدة فى المحادثات العلنية مع « ويليام روجرز » .

٤ - إن تحليل الموقف يشير إلى أن « كيسنجر » لا يستطيع فى اللحظة الراهنة أن يعطى شيئا له قيمة ، لأنه فيما يظهر الآن يريد أن يأخذ الأزمة معه إلى موسكو لمفاوضات الوفاق .

٥ – وهو على الأرجح يريد اتصالات سرية مع مصر ، وسوف يقوم هو بتسريبها إلى الاتحاد السوفيتى ليزيد من شكوكه فى مصر بما يساعد على تليين موقفه فى أزمة الشرق الأوسط – وهذا أمر لا ينبغى لنا أن نساعد عليه .

٦ – وحتى إذا كان يريد أن يتحدث بطريقة جدية ، فهو يريد أن يستعمل ما قد يتوصل إليه فى مصر كورقة مع الاتحاد السوفيتى . ومعنى ذلك أن السوفيت قد يزداد شكهم فى الموقف المصرى ، ومن ثم يؤثر ذلك على شحنات السلاح – وهذه نقطة محورية لأننا قد نضطر فى النهاية إلى استخدامه فى مرحلة من مراحل الاتصالات ، وحينما تتعثر ، وهى لا شك متعثرة .

٧ – إن الأوضاع فى مصر لا تبدو مستقرة . فهناك شعور عام بالإحباط . كما أن هناك تغييرا وزاريًا على الأبواب . ثم إن الجامعات المصرية تبدو فيها ظواهر قلاقل . وتلك كلها عوامل لا تساعد أى متحدث مصرى مع « هنرى كيسنجر » .

٨ – إن العلاقات العربية – العربية خصوصا على الجبهة الشرقية ، وبالذات فى علاقات سوريا بالأردن ، والمقاومة الفلسطينية والأردن – فى حالة صدام . وهذا وضع من شأنه أن يضعف موقف أى متحدث مع « كيسنجر » .

٩ – وفى الغالب فإن « كيسنجر » يسعى إلى اتصالات سرية مع مصر فى إطار عداوته المريرة مع « ويليام روجرز » . وهذا وضع غير ملائم موضوعيا .

١٠ – وأخيرا ، فإن « هنرى كيسنجر » بحكم كونه يهوديا ، لا يستطيع أن يكون « موضوعيا » فى أمر يتعلق بإسرائيل . ولقد كان دائما يعلن أنه يريد أن يبتعد عن أزمة الشرق الأوسط ، فما الذى جد الآن وجعله يغير رأيه ويقرر أن يقترب ؟ – إلا أن يكون فى ذهنه شىء غير واضح لنا حتى الآن – وعلينا أن نبحث عنه قبل أن نذهب إليه ! »

وكانت الخلاصة أنه لا بد من صنع حقائق جديدة على الأرض يكون من شأنها تغيير الموازين أكثر لصالحنا حتى يمكن أن تكون هناك فائدة من أى لقاء .

ولم يكن الرئيس « السادات » على استعداد للاقتناع . ودارت مناقشة طويلة استمرت حتى منتصف الليل ، وتدخلت فيها السيدة « جيهان السادات » فى محاولة منها لتقريب وجهات النظر .

وكانت الحقائق أقوى من المشاعر لسوء الحظ .

ووصلت الأمور مرة أخرى إلى حائط مسدود . وكان الرئيس « السادات » عاتبا – وربما أكثر من ذلك – متضايقا .

الفصل التاسع

مرحلة الميوعة والخطر

١

لم يكن الرئيس « السادات » مرتاحا وهو يودع سنة ١٩٧١ ويستقبل سنة ١٩٧٢ .

كان فى السنة التى ودعها قد حقق مكاسب لا شك فيها .

من ناحية – فإن الحظ الذى حالفه ومهد له – بواقع حال – رئاسة الجمهورية فى مصر – واصل تحالفه معه ، وساعد قدراته ومهاراته على إدارة معركة مع مراكز القوة والسلطة فى مصر كان يمكن أن تنقلب ضده بثقل الموازين مهما كانت القدرات والمهارات !

وهو لم يتمكن من الرئاسة وتأمينها فحسب . وإنما استطاع بذكاء أن يحدد مواضع التحدى الذى ينتظره بخياريه : الحل – أو الحرب . ثم إنه أدرك بنفاذ بصيرة أن القوات المسلحة هى العنصر الحاسم مهما كان الخيار الذى يفضله أو تفرضه عليه حقائق الأمور .

وكان تشخيصه سليما لمأزق الحل والحرب .

فالحل : فى جزء كبير منه فى يد الولايات المتحدة .

والحرب : فى جزء كبير منها فى يد الاتحاد السوفيتى .

وبالنسبة له فإن الأفضلية للحل – كما أنه بلا شك يستريح للتعامل مع الأمريكان ويراهم أكثر انفتاحا من السوفيت ، ويتمنى لو أنهم قابلوه فى منتصف الطريق ليلتقى معهم فى علاقة صداقة يعرف أنه يريدها ، ويسمع منهم أنهم يريدونها كذلك .

وبالنسبة له أيضا فإن الحرب كانت نوعا من أبغض الحلال – لا يقترب من ميدانها إلا حين

يجد ساحات الحركة الأخرى مغلقة فى وجهه مستعصية عليه - ثم إن ميدان الحرب سوف يرغمه على صحبة طويلة مع السوفيت ، وهى كما يعرفها من تجربته صعبة تحتاج إلى صبر وإلى أعصاب !

وفى سنة ١٩٧١ فإنه استطاع أن يفتح نافذة - وليس بابا - على واشنطن .

وفى نفس السنة فإنه استطاع أن يفتح نافذة أيضا - وليس بابا - على الاتحاد السوفيتى .

لكن المشكلة أنه لا يستطيع القفز من النوافذ الغربية أو الشرقية ومعه جيش المليون - وإنما هو فى حاجة إلى باب !

وهذا هو صميم المأزق ، وهو أول أسباب عدم ارتياحه ، وزاد عليه أنه كان قد أعلن عام ١٩٧١ عاما للحسم متصورا بذلك أنه يمارس ضغطا على الأطراف بوضع الكل على حافة الهاوية - ثم اكتشف أن إعلان عام الحسم يشكل ضغطا عليه هو وليس على بقية الأطراف ، وأن الظروف المتغيرة فى العالم لم تعد تسمح لقوة إقليمية - مهما كان وزنها - أن تحرك الموازين الحساسة بين القوتين الأعظم لحسابها ، ومن ثم تضع العالم على حافة الهاوية . فابتداء من الآن - وربما كان صحيحا قبل الآن - أن أى طرف محلى يملك حرية أن يذهب إلى حافة الهاوية ، وإنما عليه أن يعرف أنه سوف يكون عندها وحده ، وعليه أن يتحمل النتائج .

ولقد تعلق فى آخر العام بقشة أن الحرب بين الهند وباكستان فى خريف ١٩٧١ اعترضت طريقه ، وعرقلت وصول المدد السوفيتى إليه - ومن ثم لم يعد أمامه غير تأجيل عام الحسم .

ولم تكن القوات المسلحة منذ البداية مقتنعة بمسألة عام الحسم من بداية إعلانها إلى نهايتها الضبابية ، وأما جماهير الشعب فقد كانت متحيرة فى أمرها لا تستقر على يقين !

وكان تقدير الرئيس « السادات » أن حكاية عام الحسم فى المحصلة النهائية - أساءت إليه من حيث خصمت ضريبة باهظة من مصداقيته أمام الجيش وأمام الشعب .

مضافا إلى ذلك أن الأعباء المادية والنفسية لحالة اللا سلم واللا حرب أدت إلى تزايد الشعور العام بنوع من الكآبة والقلق .

زادت فوق هذا كله - بالنسبة له - حزمة من المشاكل راحت تنقض عليه :

● كان ظاهرا أن دور وزارة الدكتور « محمود فوزى » لن يتجاوز المرحلة الانتقالية ، وأن طابور المؤهلين للخلافة يقف فيه ثلاثة رجال على الأقل هم : الدكتور « عزيز صدقى » - والأستاذ « محمد عبد السلام الزيات » - والسيد « ممدوح سالم » .

وكان على الرئيس « أنور السادات » أن ينظم طابور المؤهلين لرئاسة الوزارة ، وأن يهيىء نفسه لمهمة كان يتحرج منها ، وهى أن يطلب من الدكتور « محمود فوزى » تقديم استقالته ، ولم يكن الدكتور « فوزى » فى حاجة إلى أكثر من إشارة يفهمها اللبيب ، ولعله يسبقها !

ويوم ١٧ يناير ١٩٧٢ تقدم الدكتور « عزيز صدقى » لرئاسة الوزارة ، وكان اختياره باعتباره الأقدر من غيره على إعداد الدولة للحرب إذا أملت الضرورات .

وبدا أن الحرب قد تكون هى خيار المقادير ، أرادها الناس أو حاولوا تجنبها . وتفاقمت بشكل واضح أعراض حالة مزعجة أطلق عليها فى ذلك الوقت وصف حالة « اللا سلم واللا حرب » .

كانت هذه الحالة من عدم اليقين تحدث تآكلا فى السياسات ، وفى المؤسسات ، وفى الروح المعنوية لكل الناس على كل المستويات .

وانعكست آثار هذه الحالة على تحركات واتجاهات وتصرفات بدت مسايرة لكل ريح ، حتى وإن اختلفت مصادر الرياح .

● وعلى سبيل المثال فإنه كان ظاهرا أن موضوع الوحدة الثلاثية من بدايته حلما بلا أجنحة غير قابل للتحليق ، وكان يمكن أن ينزل الستار عليه بهدوء - لولا أن العقيد « معمر القذافى » كان فى حاجة إلى أفق ينطلق فى أرجائه ، حتى وإن لم يكن مستعدا هو نفسه لنقطة الوصول عليه . وكانت علاقة « السادات » و « القذافى » فى تلك الفترة قد بدأت تسوء ، وكان كلاهما يضغط على أعصاب الآخر ، فإذا جلسا معا كان مؤكدا أن يصل أى حديث بينهما إلى مشادة يقول فيها « القذافى » لـ « السادات » : « يا أخ أنور .. انت فقدت ثوريتك » . ويرد عليه « السادات » بقوله : « معمر .. اسمع ، أنا لست مستعدا لأن أتلقى منك دروسا عن الميثاق » !

● وفى مثال آخر فإن الملك « فيصل » فى لقاءات متعددة مع الرئيس « السادات » أشار عليه بصلح مع جماعة « الإخوان المسلمين » التى دخلت فى صراع دموى أثناء حقبة « جمال عبد الناصر » - وكان رأى الملك « فيصل » لا يفرق بين من يسميهم « الناصريين » ومن يسميهم « الشيوعيين » ، وكانت نصيحته للرئيس « السادات » أن يتخلص من الفريقين ، فكلاهما عدو له وليس فيهم صديق - وبالفعل فإن الرئيس « السادات » عقد اجتماع مصالحة شهير فى استراحة شركة « جاناكليس » حضره عدد من زعماء « الإخوان المسلمين » (بينهم الأستاذ عمر التلمسانى والدكتور سعيد رمضان) كما حضره ممثل للملك « فيصل » .

وكان رأى الملك « فيصل » - وكذلك اقتنع الرئيس « السادات » - أن التيار الدينى هو الذى يستطيع التصدى للتيار القومى ، والذى هو فى حقيقة أمره - فى تقدير الملك « فيصل » - شيوعى . ثم كان أن اتخذ الرئيس « السادات » لنفسه لقب « الرئيس المؤمن » .

وكان من رأى بعض أصدقاء الرئيس « السادات » الذين تزايد دورهم بعد أن تعزز مركزه على قمة السلطة - أن الجامعة هى معقل الشباب الناصرى ، وأن المواجهة معهم يجب أن تكون حازمة ، وحاسمة ، وأن الحوار لا جدوى فيه فى حين أن السلاح الأبيض - من نوع « قرن الغزال » - يستطيع أن يبتر ويقطع . وهكذا بدأ تسليم الأسلحة إلى عدد من شباب الجماعات الدينية ليقوموا بمهمة التصدى للفكر « الآخر » فى الجامعات أو أشياعه . وبرز التيار الدينى على ساحة

الجامعة مسلحا ، ومنها دخل إلى ساحات أخرى غيرها ، وكان بينهم بعد ذلك من نضج فتجاوز مرحلة السلاح الأبيض ، وكان بينهم من ظل أسير تجربة توقف نموها !

● ومثلا فإن السلطة جذبت إلى الدائرة القريبة من الرئيس « السادات » عناصر مصرية وعربية كانت صلاتها بعوالم المقاولات والأعمال والشركات الدولية الكبرى - وكانت طبيعة هذه العناصر كفيلة بأن تباعد بينها وبين قمة السلطة في مصر ، لكنه فى المناخ العام الذى أشاعته حالة اللا سلم واللا حرب - استطاعت هذه العناصر أن تقترب وأن تنفذ .

وكانت لهذه التغييرات كلها تداعيات راحت تحدث تعديلات على الخريطة الفكرية والسياسية العامة فى مصر .

فعلى رقعة من الساحة - أدى ظهور التيار الدينى فى مواقع منتشرة ، خصوصا وأن المناخ بعد صدمة النكسة سنة ١٩٦٧ كان يساعد ويمهد لانتظار المعجزات - إلى احتكاكات طائفية عكست نفسها فى توترات بين المسلمين والأقباط من أبناء الأمة الواحدة - ظهرت آثارها فى مواطن عديدة ، بالذات في جامعات الصعيد ، وحيث كانت الأرضية الاجتماعية والفكرية مكشوفة أمامها .

وعلى رقعة أخرى من نفس الساحة - فإن الرئيس « أنور السادات » كان يشعر ، ومنذ استطاع أن يحسم لصالحه صراعه مع مراكز القوة والسلطة ، أنه لا يستطيع أن يعتمد على نفس القواعد الاجتماعية التى حاول « جمال عبد الناصر » أن يبنيها أثناء تجربته الاقتصادية الاجتماعية فى مصر . وكانت هذه القواعد تطمح إلى قاعدة من تحالف بين الفلاحين والعمال والمثقفين والرأسمالية الوطنية والجنود .

وكان « أنور السادات » قد راح يعتقد أن هذه القواعد - على فرض أنها قائمة - ليست صالحة لعهده الجديد . ومن ناحية ثانية فقد كان تصوره - وربما كان له بعض الحق فيه - أن دورَ الرأسمالية الوطنية كان محصورا بأكثر من اللازم ، وبالتالى فإن من الضرورى إغراءها على أن تخرج من عزلتها - مفروضة كانت أو اختيارية . وهكذا فقد راح يسعى منذ وقت مبكر من رئاسته إلى نوع من الانفتاح ، وكان تعبيره الأثير فى ذلك الوقت « **أنه يريد أن تخرج الأموال من تحت البلاطة وتجرى فى أيدى الناس ، كما أنه يريد أن تخرج المجوهرات المحبوسة فى ظلام الخزائن وتضوى معلقة على الصدور ، مدلاة من الآذان ، أو محيطة بالمعاصم والأصابع - دون خوف ودون حرج** » .

كان الرئيس « أنور السادات » بهذه التصورات يجرى تغييرات بعيدة المدى فى المجتمع المصرى ، والمشكلة أن الأدوات الضرورية لهذه التغييرات لم تكن متاحة له .

وكان بعض هذه التغييرات - للإنصاف - ضروريا حتى بمنطق المتغيرات التى تجرى فى العالم . لكن عدم وجود فكر واضح وآليات للتنفيذ - أدى إلى خلط فى أوقات لم تكن تحتمل الخلط .

والحاصل أن هذا الخلط خلق شبكات علاقات ومصالح غريبة - والأغرب أنها جميعا راحت تتذرع بضرورات المعركة أو ما يتصل بهذه الضرورات .

وكانت الحجج والذرائع براقة ومشهية :

- إذا كان السلاح السوفيتى غير كاف - فإن ما هو كاف موجود !

- إذا لم يكن السلاح السوفيتى متقدما بما يفى بالغرض - فإن السلاح المتقدم معروض !

- إذا لم تكن لدى مصر الموارد - فإن موارد غيرها تحت أمرها متاحة !

وهكذا .. وهكذا .

والحقيقة أن تلك كانت الفترة التى ظهرت فيها وعلت « مجموعة القوة » الجديدة فى العالم العربى ، وراحت تسعى بين القمم فى عواصمه حاملة معها الأخبار والشائعات ، والاتفاقات والصفقات ... إلى آخره .

وكان بعض ذلك يثير أسبابا للقلق فى مصر ... وخارجها أيضا .

وعلى سبيل المثال فإن واحداً من أقطاب « مجموعة القوة » الجديدة ، وهو للإنصاف من أذكى العناصر وأكثرها إطلاعا - وصل بنشاطه إلى حد أن أثار مشكلة مع الكويت يشرحها بالتفصيل خطاب تلقاه الرئيس « أنور السادات » بتاريخ ١٨ يونيو سنة ١٩٧٢ ، وقد وقعه ولى عهد الكويت ، وهو وقتها الشيخ « جابر الأحمد الصباح » - نيابة عن حاكمها الشيخ « صباح الأحمد الصباح » . كان السيد « كمال أدهم » قد اقترح على الرئيس « السادات » أن تقوم حكومة الكويت بشراء طائرات من طراز « بوينج » لشركة مصر للطيران تحل محل طائراتها السوفيتية . ثم عرض نفسه وسيطا لإتمام الصفقة ، بما فى ذلك الاتصال بحكومة الكويت .

وكتب الشيخ « جابر الأحمد الصباح » خطابا إلى الرئيس « السادات » يعتذر فيه عن قبول الاقتراح ، ويعرض بديلا له . وكان نص خطابه كما يلى :(*)

« بسم الله الرحمن الرحيم

الكويت فى ٧ جمادى الأولى ١٣٩٢
الموافق ١٨ يونيو ١٩٧٢

سيادة الأخ الرئيس محمد أنور السادات حفظه الله

رئيس جمهورية مصر العربية

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد ،

فيسرنى أن أبعث إلى سيادة الأخ العزيز بخالص التحيات راجيا أن تكونوا متمتعين بموفور الصحة والعافية .

(*) صورة من خطاب الشيخ « جابر الأحمد الصباح » موجودة فى ملحق صور الوثائق تحت رقم (٣٦) . وهى على صفحة (٧٧٤) من الكتاب - والأصل محفوظ فى ملفات رئاسة الجمهورية .

كانت المعلومات التى وصلت إليه هى أن الفريق « فوزى » دعا إلى اجتماع لبعض قادة القوات المسلحة فى مكتبه تلك الليلة ، وأعلن أمامهم أن القيادات السياسية الوطنية على وشك الدخول فى مواجهة مع رئيس الجمهورية بسبب توجهاته الموالية للأمريكان ، وأنه متضامن معهم ، وقد قدم استقالته . ثم كاد حديثه ينزلق إلى دعوة القادة لإبداء رأى فى هذه المواجهة – وتدخل الفريق « صادق » ليقول له : « **سيادة الوزير . إنك قدمت استقالتك ، وليس هناك ما يدعوك إلى إقحام الجيش فى خلاف سياسى . وما دمت لم تعد وزيرا للحربية فمن الأفضل أن نفض هذا الاجتماع .** »

وقد كان .

واتجه الرئيس « السادات » إلى اختياره وزيرا للحربية بدلا من « فوزى » ، كما قرر تعيين اللواء « سعد الشاذلى » رئيسا لهيئة أركان الحرب معه . ثم لم يشأ أن يترك اللواء « أحمد إسماعيل على » ، وهو اختياره الأصلى ، خارج دائرة السلطة – وهكذا دعاه على عجل ليعرض عليه رئاسة المخابرات العامة .

ولم تكد تمضى أسابيع حتى أحس الرئيس « السادات » أن الفريق « صادق » ليس رجله المناسب ، لا فى المكان المناسب ، ولا فى الوقت المناسب .

وكانت هناك أسباب شخصية وأسباب موضوعية للتنافر الذى بدأ يظهر بين الرجلين ، وكانت الأسباب الشخصية أسهل :

● من ناحية الرئيس « السادات » فإن اختياره للفريق « صادق » كان من وحى موقف ملح ولم يكن من اقتناع مسبق .

● ومن ناحية الفريق « صادق » فإنه فى أعماقه لم يكن مقتنعا بالرئيس « أنور السادات » رئيسا للجمهورية ، فضلا عن أن يكون بحكم منصبه قائدا أعلى للقوات المسلحة .

وربما أن مزاج الرجلين أيضا على المستوى الإنسانى كان متباعدا .

أما من ناحية الأسباب الموضوعية فقد كان الأمر أكثر حساسية :

١ – إن الفريق « صادق » لم يكن مقتنعا بنظرية الحرب المحدودة (بينما هى فى الواقع الحرب الوحيدة المتاحة لقوتين إقليميتين مثل مصر وإسرائيل فى زمان الحرب الباردة ، وفى ظل التوازن النووى بين القوتين الأعظم) .

كان رأيه أن الحرب لابد أن تكون إلى النهاية (وكان هذا فوق طاقة الموازين العسكرية بين العرب وإسرائيل – كما كان أيضا هدفا يتعدى ما هو مسموح به فى الأوضاع العالمية الراهنة) .

وعلى أى حال فإن الفريق « صادق » وإن غابت عنه حقائق التوازن الإقليمى والعالمى –

لم يشعر أن الرئيس « السادات » قد قطع برأى فى قضية الحرب . وكان أكثر جهده فى تلك الأيام بحثا عن تسوية .

(وفى هذه النقطة فإن الخلاف بين الرجلين كان موضوعيا ولكل منهما فيه وجهة نظر .)

٢ - بسبب هذا الاجتهاد فى تصور المعركة القادمة فإن طلبات الفريق « صادق » من السلاح كانت عالية ، وذلك أنه إذا كان عليه أن يبلغ خط الحدود المصرية بعمل عسكرى شامل - إذن فهو فى حاجة إلى التفوق على إسرائيل فى كل شيء بنسبة ٢ إلى ١ على أقل تقدير . وكان تحقيق ذلك مستحيلا - وكان الرئيس « السادات » يعتبره نوعا من التعجيز . فى حين أن الفريق « صادق » كان معتقدا بأن الحرب المحدودة وهم لا وجود له .

(وفى هذه النقطة كان الرئيس « أنور السادات » على حق) .

٣ - إن الفريق « صادق » لم يكن أيضا مقتنعا بكفاءة السلاح السوفيتى ، وكانت علاقته بالسوفيت علاقة شك وترصد ، ولم يكن تقدير الرئيس « السادات » مختلفا وإن بنى موقفه على أساس أن السوفيت « **عدو له ما من صداقته بد** » كما تقول شطرة من بيت شعر عربى مشهور - لكن السلاح السوفيتى كان هو السلاح الوحيد المتاح له ، كما أن الاتحاد السوفيتى واحدة من القوتين الأعظم ، وهى الوحيدة بين الاثنتين « تساند حقه وتتفهم أسبابه » .

(وفى هذه النقطة لم يكن الخلاف بين الرجلين واسعا) .

٤ - وكانت الأزمات فى العادة تنشأ من واقع أن الفريق « صادق » لم يكن يخفى رأيه فى السلاح السوفيتى ولا فى الاتحاد السوفيتى نفسه . وكان من الطبيعى أن ينعكس الخلاف مباشرة على العلاقات بين وزارة الحربية ووزيرها ، وبين مجموعة المستشارين السوفيت ورئيسها فى ذلك الوقت الجنرال « أوكينيف » .

(وهنا أيضا لم يكن رأى الرئيس يختلف كثيرا عن رأى الوزير .

لكن الرئيس كان يتبع سياسة المداراة ، بينما الوزير لا يتحرج عن المواجهة .)

● وأثار الفريق « صادق » أزمة مع « أوكينيف » حينما طلب سفر أفراد تشكيلات سوفيتية (أطقم ٢٢ بطارية) كانت تعمل فى قواعد الصواريخ لمهام الدفاع عن العمق - بعد أن توافرت عناصر مصرية تم تدريبها وأصبحت جاهزة لتحل محل السوفيت .

وأبدى رئيس الخبراء « أوكينيف » ملاحظة ظهر منها رأيه ، وهو أن رحيل هذه التشكيلات السوفيتية من مصر قبل عقد قمة موسكو بين « نيكسون » و « بريجنيف » من شأنه أن يضعف موقف الاتحاد السوفيتى عند بحث أزمة الشرق الأوسط بين الاثنين .

وثار الفريق « صادق » واعتبر أن هذه الملاحظة دليل على سوء النية لأن الاتحاد السوفيتى يريد أن يساوم بالوجود السوفيتى فى مصر فى سياق صفقة لا تعلم مصر شيئا عن موضوعاتها وحدودها - كان ذلك خلال شهر مارس ١٩٧٢ .

● ثم أثار الفريق « صادق » أزمة ثانية حينما تلقى تقارير بأن الجنود السوفيت العائدين إلى بلادهم يشترون كميات من المشغولات الذهبية ، ووافق على تفتيش مجموعات من هؤلاء الجنود العائدين ومصادرة ما كان معهم من المشغولات الذهبية ، ولم تكن – شهادة للحق – كبيرة .

ولقد أمكن تفادى الأزمتين فى اللحظات الأخيرة – لكن المرارة ظلت فى الحلوق .

وأما فيما يتعلق بتقييم السلاح السوفيتى فقد كان رأى الاثنين : الرئيس والوزير – أنه يمكن تعويض النقص فى الأسلحة السوفيتية بشراء أسلحة غربية يتم بأموال عربية ، ليبية أو سعودية أو خليجية .

لكن كلا من الرئيس والوزير كانت لديه آراء مختلفة حول ما يلزم وما لا يلزم وكيف ؟

وكان الرئيس يعتقد أنه هو الذى يجىء بالتمويل العربى ، وبالتالى فإن له الحق فى توجيهه .

وكان الوزير يرى أنه هو المستعمل النهائى للسلاح ، وبالتالى فإن الحق له هو – وليس لسواه – فى سلطة التوجيه .

ووصل الأمر إلى حد تبادل الاتهامات – تحت السطح – بين الرجلين . وفى حين كان « صادق » يتهم صراحة ، فإن الرئيس « السادات » كان يرى أن هناك « من يضحكون على صادق » دون أن يعرف ، بينما هو مشغول بحربه مع الخبراء السوفيت !

وبلغ الأمر مبلغه فى تدهور العلاقات بين الرجلين إلى درجة أن السيدة « جيهان السادات » اتصلت بـ « محمد حسنين هيكل » تدعوه إلى مقابلتها مبدية مخاوفها من درجة التوتر المكتوم بين الاثنين . فقد رأتهما بنفسها بعد انتهاء مقابلة بينهما فى البيت بالجيزة ، وكان الرئيس قد خرج لوداع الوزير ، ثم دار حديث بينهما على درجة فى أعلى سلم مدخل البيت . ولاحظت السيدة « جيهان » أن الرئيس راح يضغط على عصا يمسكها فى يده لإخفاء مشاعره ، وأن ضغطه على العصا زاد فى لحظة من اللحظات حتى وصل إلى حد أن العصا انكسرت فجأة من شدة ما تحملته !

كان التضارب فى الآراء والمواقف والخطط بين الرجلين قد عكس نفسه وتركز فى رؤوس موضوعات ثلاثة :

● **شكل العمليات المحتملة** – وأيها الممكن وأيها الصعب وأيها المستحيل .

● **نوعية الأسلحة المطلوبة** وسياسة الاتحاد السوفيتى إزاء توريدها .

● **عقدة الخبراء السوفيت** وحدود اختصاصهم وتأثير ذلك على قضية القيادة والسيطرة .

وفى مرات كثيرة عبر هذا التضارب عن نفسه بوضوح على أعلى مستويات القيادة العسكرية المصرية . وتجلى مرات كثيرة فى اجتماعات المجلس الأعلى للقوات المسلحة .

فى الصفحة ٢٤ من محضر اجتماع المجلس الأعلى للقوات المسلحة مع الرئيس « أنور

السادات » فى بيته فى الجيزة يوم ٢ يناير ١٩٧٢ - وقد استغرق ثلاث ساعات - دارت المناقشة التالية(*) :

لـــــواء عبد القــــادر حسن (كان مسئولا عن الإمداد العسكرى) : قبل أن أسافر آخر مرة إلى موسكو يا سيادة الرئيس ، المستشارين السوفيت أنفسهم قالوا لنا إننا لازم نجيب ميدان رمى نار وأنواع معينة من الصواريخ لتدريب الطيارين على قذف هذه الصواريخ ... رحت هناك يا فندم مالقيتش أى مخلوق عاوز يسمع بهذا الطلب ... الوزير ليس موجودا ... نائب الوزير وأنا قابلته قال لى لم يتم الاتفاق معكم على هذا ... سيادتك موقف جريتشكو غير مفهوم ... هذا راجل ماريشال وفاهم أن العملية ليست عملية مليون جندى ... نحن نستطيع وضع ٢ مليون جندى وليس فقط مليون تحت السلاح ... لكن هذا ليس الموضوع ، العملية مش أسلحة تقليدية ... احنا عاوزين نوعية السلاح ... لازم يعطونا السلاح مثلما أعطوا الهند ... لكن معانا اتفاقية الأسلحة على خمس سنين ... يعنى معناها أنه ما فيش حرب لمدة خمس سنين ... فالمنظر حتى من شكل الاتفاقية متعب .

الرئــــيس الســـــــادات : لأ . أنا لم آخذ هذا الانطباع : أنا قرأت الاتفاقية وقرأت تقريرك ، وقرأت تعليق صادق ولم آخذ هذا الانطباع أبدا .

لـواء محمـد علـى فهمــى (قائد الدفاع الجوى) : مشكلة الدفاع الجوى حاليا إنى عاوز أحارب حرب هجومية بأسلحة دفاعية ... كل الثقل فى التسليح عندنا كان منصب أساسا على الدفاع الجوى على أساس صد العدو عن النفاذ إلى العمق بتاعنا ... اليوم طبيعة العمليات عندى كدفاع جوى اختلفت وعاوز أنتقل إلى مسرح سيناء ... طبيعة أرضه مختلفة وتحتاج معدات مختلفة توفر الحماية للقوات البرية فى أثناء تقدم عملياتها الهجومية ... لو مسكت السلاح الموجود عندى حاليا من نوع الصواريخ الخفيفة الاسترللا نجد أنه ليس عندنا القوة التدميرية المطلوبة ، وارتفاعها لا يتعدى الكيلو ونصف ... طلبنا النوع المعدل من الاسترللا قالوا ليس موجودا عندنا ، وأنا أعلم علم اليقين بمناقشتى مع الخبراء المختصين بالتفصيل أن عندهم نوع رباعى يضرب على ارتفاعات أعلى وله قوة تدميرية كبيرة ، ويضرب على الطائرات المقتربة والمبتعدة على السواء لأنه يضرب على الكونتراست ولا يضرب بالانفرا رد ... هذا النوع نوع متقدم فعلا ويمكن غير موجود فى الدول الغربية فعلا لأنه محمل على وسيلة نقل يمكن أن تكون مجنزرة أو على عجل ... وهذه تمكنه من الانتقال إلى المنطقة اللى أنا عاوز أدافع فيها وأوفر وقاية للقوات ، وخاصة منطقة المضايق لأنه هذه المناطق الجبلية ومناطق المضايق تشكل حجب لأجهزة الرادار بتاعتى بالنسبة لأنواع الصواريخ الأخرى ... بالوسائل الموجودة لا نقدر على توفير دفاع كافى أمام السكاى هوك وأمام الفانتوم ...

(*) صورة من إحدى صفحات محضر هذا الاجتماع للمجلس الأعلى للقوات المسلحة وهى تظهر اختلافات الرأى ، وهى موجودة فى ملحق صور الوثائق تحت رقم (٣٧) - على صفحة (٧٧٦) من الكتاب .

بالنسبة للكوادرات هم عرضوا فوج واحد لكن لطبيعة العمليات المنتظرة نحن نريد أربع أفواج ...

من ناحية موضوع القيادة والسيطرة أنا لا أتصور مثلا أن الخبراء يتصلوا بروسيا بالمفتوح ويتصلوا على أعلى مستوى بالمفتوح ، لكن مكالماتهم مؤمنة ... أما أنا فى جبهة القتال أضطر أرسل إشاراتى بالشفرة ومعنى هذا آخذ ٢٠ - ٣٠ دقيقة علشان أوصل معلوماتى ... العدو عنده إمكانيات عالية جدا فى التصنت والإعاقة والشوشرة اللاسلكية ... والروس لديهم نظام متقدم اسمه بالروسى « بزس » ... وأنا لا أتصور أن رفع درجات الإنذار يتم بالطريقة الكلاسيكية .

لـــواء عبد القـــــادر حسن : نظام السرية والتأمين طلبناه منهم ، وقلت لهم كيف يمكن أن قواتكم الموجودة عندنا فيها هذا البند وقواتنا ليس فيها .

لـــواء سعيـــد الماحـــى (قائد المدفعية) : والله يا فندم إذا سمحت سيادتك أنا ح أتكلم كمصرى أولا وكعسكرى دون أن أدخل فى اعتبارى السياسة الدولية ومشاكلها رغم أن لها اعتبارها فى الوزن السياسى والعسكرى ... هو إسرائيل عايزه إيه ... إسرائيل عايزه تقعد فى الأرض من غير أن يقلقها أحد ... وهذا الموقف يكون فى صالح الأمريكان ، وقد يكون فى صالح روسيا بالنسبة لموقفها فى الهند وباكستان ، وفى صالح العالم اللى مش عاوز مشاكل - لكنه فى غير صالح واحد بس وهو مصر ... أنا كمصرى واحنا كقوات مسلحة مصرية لدينا إمكانيات لا شك فيها ولدينا قدرة على القتال ولازم نأخذ calculated risk (مخاطرة محسوبة) .

لـــواء علـــى عبد الخبيـــر (قائد المنطقة المركزية) : إذا كان الهدف من العمليات هو مجرد حرب فهذا لا يعتبر هدف فى حد ذاته ... إنما الهدف هو تدمير القوى المعادية والوصول إلى الهدف الذى نريده ... وهذا يتحقق إذا كانت القوات عندها من الإمكانيات ما يمكنها من تحقيقه فعلا ... وأول الإمكانيات هو القوات الجوية والغطاء الجوى ... ولازم يكون فيه نوع من التفوق - ولو محلى - بحيث تقدر القوات أن تقوم بعملية ... الحاجة الثانية بالنسبة للتسليح ... فيه مشاكل فى التسليح لها تأثير على العمليات ... عندنا مشاكل فى فتح الثغرات واللى عندنا هو وسائل تعتبر بدائية ... وأنا متأسف أقول الكلمة دى .

لـــواء علـــى بغـــدادى : الذى أريد أن أطلبه هو وجود طائرة ردع سواء غربية أو شرقية تقدر باستمرار أن تصل إلى قلب إسرائيل كل يوم ، لأنه هذا سوف يفرض على العدو أن يأخذ الفانتوم وراء للدفاع عن عمقه .

لواء محمود عبد الرحمن فهمى (قائد البحرية) : أنا عاوز أتكلم على وسيلة من وسائل الضغط على الاتحاد السوفيتى ... يمكن هى مشكلة أنا عايشها فى الاسكندرية ... وجود الاتحاد السوفيتى فى البحر الأبيض مرهون بكلمة واحدة من سيادتك ... وجودهم فى البحر الأبيض وجود رئيسى ومن أهم العوامل بالنسبة لهم ، واحنا ممكن نبتدى الضغط من دلوقت ونحدد عدد الوحدات السوفيتية التى تدخل موانينا ... ونقدر نحدد الموانى اللى يدخلوا فيها ، وبعدين نقدر نمنعها

خالص ... أعتقد أنه هذا الضغط هو الضغط المؤثر على الاتحاد السوفيتى ... إما المساعدة وإما التواجد فى البحر الأبيض .

الرئيس السادات : أنا لسه ما وصلتش لهذه المرحلة يا محمود .

لواء محمود عبد الرحمن فهمى : نظهر نوع من الضغط ...

الرئيس السادات : لأ . أنا ما وصلتش للمرحلة دى .

. . . .

. . . .

لواء أحمد ثابت : أنا عاوز أتكلم فى النقطة اللى بعض الإخوان اتكلموا فيها ، وهى أن نعمل أى شيء بالإمكانيات الموجودة معنا ... لازم نتذكر أنه فيه توقيتين رئيسيين فى الحرب : بداية العمليات نحن قادرين على تحديده ، إنما التوقيت الثانى متى وأين أنهى العمليات هو المطلوب عسكريا ... المطلوب عسكريا أن أنهى العمليات بفرض إرادتى على الجانب الآخر ... بتدميره ... إنما إذا أنا أتيت فى نصف المهمة ووصلتنى إمكانياتى إلى حد معين ، طيب إزاى أفرض على العدو أن يقف ... تأكيدا لكلام اللواء محمود عن الأسطول السوفيتى فى البحر الأبيض ... وأنا فى يوغوسلافيا أخيرا كان فيه حركة انفصال فى كرواتيا ، وكانت الإشاعات فى يوغوسلافيا تقول إن الاتحاد السوفيتى هو الذى يؤيد الانفصال فى كرواتيا فى مقابل شيء واحد أنهم ياخدوا قاعدة بحرية فى الادرياتيك لأن ساحل الادرياتيك ٨٠٪ تابع لكرواتيا ... لهذه الدرجة السوفيت يريدون قاعدة فى الادرياتيك ... وهذه تبرز أهمية النقطة اللى بيتكلم فيها محمود .

الرئيس السادات : أنا عايز حلول مش عايز الكلام الكلاسيكى ... نحن لسنا قاعدين فى البنتاجون مثلا ، ده يقول أنا عايز إمكانيات ، وده يقول ناقصنى إمكانيات ... أبدا إحنا مش فى البنتاجون ... احنا هنا قاعدين فى القاهرة على شاطيء النيل فى كورنر (ركن) ومزنوقين ... كده مزنوقين فى كورنر ... وأنا أتفق مع الأخ اللى اتكلم ... الأخ سعيد الماحى اللى قال إن إحنا عندنا إمكانيات بس اتعودنا باستمرار نطلب الأكتر ، وده لازم وده قال وده عاد ... فيه سؤال بيطرح نفسه والنهاردة بدأ فى الجامعات ... فيه ناس يمكن بيغذوه ، لكن جايز يكون له رنين بعد فترة ... فيه سؤال فى الجامعات ... أين ثورية المعركة وأين الحسم فى المعركة .. وأين .. وأين .. واحنا لن نتساوى مع إسرائيل بعد خمس سنين ولا بعد عشر سنين .

لواء سعد الشاذلى : هو مما لا شك فيه يا فندم وبرغم النواقص ، فإن القوات المسلحة قادرة على أن تقوم بعمليات محدودة ... ويمكن هناك نقطة واحدة نريد أن تركز عليها سيادتك ، وهى نقطة الحرب الألكترونية لأنها سوف تكون عماد عملنا فى الدفاع الجوى والقوات الجوية ... فيه نقطة ثانية وهى هل نقدر أن نقوم بعمليات دون علم الروس ؟

الرئيس السادات : هو مؤكد لازم نقول للروس مسبقا ، لكن ليس مسبقا قوى . الروس مش

عاوزيننا نتحرك لأنهم لا يثقوا فينا كقوة عسكرية ... ثانيا مادام مش واثقين لا يريدوا الدخول فى مغامرة لا يعرفوا نتيجتها ويضطروا للتورط معنا بحكم المعاهدة ... فإذا ما أخلوا بتعهدهم فقدوا مركزهم مش فى البحر الأبيض لوحده وإنما فى المنطقة بالكامل ... ويقضى عليهم فى موازين القوى العالمية الاستراتيجية الكبيرة ... وياخدوا ضربة قاتلة بالنسبة لهم .

الفريق أول محمد صادق : كل واحد من القادة الموجودين هنا له رغبة فى القتال وإيمان بأنه مفيش حل ... بالعكس كلنا نقول إن كان ربنا راضى عن هذا البلد فهى لازم تنهى مشكلتها عسكريا حتى تستعيد ثقتها فى نفسها ... وإحنا كعسكريين مؤمنين بالله ومؤمنين بإنقاذ مصر ، فالإنقاذ الوحيد الذى يمكن أن يقدم لمصر فى هذه الأيام هو نصر عسكرى .

الموضوع الوحيد إن مصر لا تحتمل هذه المرة أبسط هزيمة بل لا تحتمل حتى أبسط عدم نصر ... لا تحتمله ... فلا بد أن نكون ضامنين للمعركة على الأقل بنسبة ٦٠ أو ٧٠٪ - يعنى فوق ٥٠٪ لازم يكون مضمون حتى نستطيع أن نبدأها مع الأخذ فى الاعتبار كل المخاطرات اللى ممكن نأخذها ... الحاجات اللى ناقصانا حاجات هامة جدا وحيوية جدا وأولها طيارة الردع اللى ممكن تصل إلى أرض العدو ... تفتكر سيادتك إنك سألتنى ، تقدر خسائرنا أد إيه فى العبور ؟ ، قلت لسيادتك ١٧٥٠٠ ... فى آخر مشروع عملناه أنا تركت الروس يقدروا خسائرنا لغاية اليوم الرابع من المعركة ... تقديرهم كان أكثر من ٣٥٠٠٠ عسكرى ، وده كله احنا قابلينه لكن لا نرمى الناس بدون أن نحقق مكسب ... وقبل أن تعبر قواتى لابد أن يكون عندى الاحتياطى الكافى من الذخائر اللى يخللينى أقدر أواصل المعركة (بالقوة) ... أنا مش عايز أوصل لخط الحدود ... لكن عاوز أوصل للمضايق بحيث أجد حاجز دفاعى أقف عليه وأدافع عنه حتى لو استهلكت ٢٥٠٠٠٠ عسكرى ، ونحن لابد أن ندخل فى معركة كبيرة وليست معركة استنزاف لأن الاستنزاف ليس فى صالحنا .

الرئيس السادات : أنا بس عايز أقول حاجة واحدة ... ابتداء من دلوقت عامل الوقت ليس فى صالحنا . »

وكان رأيه سليما ...



ويوما بعد يوم كان الخلاف بين الرجلين ينعكس على القوات المسلحة ، ويوما بعد يوم أيضا كان يظهر أن شعبية الفريق « صادق » تزيد فى الجيش على حساب الرئيس . والواقع أن الشعور العام فى القوات المسلحة لم يكن وديا تجاه الخبراء السوفيت ، فلم يكونوا فى رأى عدد كبير من القيادات المصرية - أكثر خبرة منهم ، ولا كانت لديهم تجربة قتال حتى على أسلحتهم فى حين كانت هذه التجربة حياة القوات المسلحة المصرية كل يوم .

وليس من قبيل المبالغة أن يقال إن قرار الرئيس « السادات » فى شهر يوليو ١٩٧٢ الشهير بطرد الخبراء السوفيت من مصر كان فى جزء منه راجعا إلى المنافسة بين الرئيس والوزير على كسب مشاعر ضباط القوات المسلحة .

كانت لدى الرئيس « السادات » أسباب أخرى أوصلته إلى قراره الشهير ، لكن المنافسة بينه وبين الفريق « صادق » كانت بالتأكيد واحدا من هذه الأسباب ، ذلك أنه عندما أحس الرئيس « السادات » أن الفريق « صادق » يكتسب شعبية بين ضباط القوات المسلحة من عدائه للخبراء السوفيت وتصديه لهم – أراد – ضمن ما أراد فى ذلك الوقت – أن يكسب المباراة بالضربة القاضية ويطرد جميع الخبراء السوفيت .

□

كانت الأسباب كثيرة ، وقد سبقت الإشارة إلى عديد بينها ، وقد كانت خليطا من شكوك متبادلة حول الأفكار والسياسات والمواقف ، وحتى آراء البشر فى بعضهم البعض بحكم أنهم بشر !

وكان السوفيت موزعين بين اقتناع تولد لديهم بأنه لم تعد فى مصر إرادة سياسية قادرة على قرار الحرب أو قرار السلم بعد رحيل « جمال عبد الناصر » . وفى مقابل ذلك كان لديهم اليقين بأن دورهم فى مصر حيوى بالنسبة لقيمتهم كواحدة من القوتين الأعظم – فبدون هذا الدور يضطرون إلى التراجع من قلب الشرق الأوسط إلى أطرافه ، وربما إلى حدودهم . ومعنى ذلك أن ينسحبوا من البحر الأبيض والبحر الأحمر والمحيط الهندى – ومن إفريقيا بالكامل .

وكان هذا التناقض الرئيسى ، مع العجز عن الوصول إلى صيغة للتعامل معه – وراء مواقف كان يمكن تجنبها ، ومناقشات عقيمة كان فى الإمكان الاستغناء عنها .

وقد تحولت اجتماعات بين الفريق « صادق » والجنرال « أوكينيف » – رئيس مجموعة الخبراء السوفيت فى مصر – فى مناسبات كثيرة إلى مباريات حادة فى قارص الكلام :

● يتحدث الفريق « صادق » – فى مرة من المرات، مثلا – عن كفاءة السلاح الأمريكى الذى تستخدمه إسرائيل . ويرد الجنرال « أوكينيف » بأن السلاح السوفيتى استطاع فى يد الفيتناميين أن يهزم السلاح الأمريكى فى يد أصحابه أنفسهم .

● ويتحدث الفريق « صادق » – فى مرة أخرى – عن أسلحة تكميلية اشترتها مصر من الغرب . ويرد « أوكينيف » بأن هذا السلاح غالى الثمن جدا ومدفوع بالعملة الصعبة – فى حين أن السلاح السوفيتى أرخص بكثير ، وفوق ذلك فهو يقدم لمصر بنصف ثمنه بمقتضى اتفاقيات سابقة ، وحتى هذا النصف من الثمن فإنه يسدد بالجنيه المصرى وعلى أقساط لمدة اثنى عشر عاما فى المتوسط بفائدة ٢,٥ فى المائة .

● ويتحدث الفريق « صادق » – فى مرة ثالثة – عن مستوى الخبراء السوفيت وكيف أنه



الرئيس السادات أثناء اجتماعه مع القادة السوفيت فى الكرملين بموسكو عام ١٩٧١ .

فى كثير من الأحيان ضعيف . ويرد « أوكينيف » ن كثيرين من القادة المصريين من « النوع البورجوازى » يتمتعون بالامتيازات ويريدون تجنب التضحيات !

ويسجل المحضر الرسمى لاجتماع بين الرئيس « أنور السادات » وقيادات الاتحاد السوفيتى السياسية والعسكرية ، ممثلة فى « بريجينف » و « كوسيجين » والماريشال « جريتشكو » – نموذجا لنوع مماثل من المناقشات ابتداء من الصفحة ١٢ بتاريخ ١٣ أكتوبر ١٩٧١ :

« الرئيس السادات (أثناء مناقشة مع بريجنيف) : كنت أريد أن تجعلونى خطوة بخطوة مع إسرائيل . لكن الذى أراه أننا خطوتين وراء إسرائيل(*) .

الماريشال جريتشكو (وزير الدفاع) : أحب أن أرد على كلام الرئيس بأنكم خطوتين وراء العدو . استعداد القوات المسلحة يعتمد على ٣ عناصر :

١ – نوع وتأثير السلاح .

٢ – الوضع المعنوى والسياسى .

٣ – تعداد الجيش .

(*) صورة من إحدى صفحات محضر اجتماع الرئيس « السادات » مع القادة السوفيت ، وهى التى بدأ فيها تدخل الماريشال « جريتشكو » ، وهى موجودة فى ملحق صور الوثائق تحت رقم (٣٨) - على صفحة (٧٧٧) من الكتاب . وأصل المحاضر محفوظ فى ملفات رئاسة الجمهورية ، وتوجد صور منه فى وزارة الدفاع والخارجية .

إذا كانت هذه العناصر الثلاثة موجودة كانت طريق النجاح . وإذا عملنا مقارنة بين هذه العوامل الثلاثة بين جيشكم وإسرائيل فإنكم تتفوقون على الجيش الإسرائيلي .

فمثلا التعداد :	مصر	٦٧٠٠٠٠	جندى
	سوريا	١٥٠٠٠٠	جندى
	إسرائيل	١٨٠٠٠٠	جندى
تعبئة كاملة	إسرائيل	٤٠٠٠٠٠	جندى
الدبابات :	مصر	٢٠٠٠	دبابة
	سوريا	١٥٠٠	دبابة
	إسرائيل	١٥٠٠	دبابة

عندكم ٦٥٠ دبابة (تى ٥٥) وهى أحسن الدبابات .

إسرائيل : باتون - سنتوريون - شرمان .. وكلها أنواع قديمة .

المدفعية :	مصر	٣٦٠٠	مدفع
	سوريا	١٤٠٠	مدفع
	إسرائيل	٢٢٠٠	مدفع

يوجد فى مصر ٨٠٠ مدفع هاوتزر ويعتبر سلاح هجومى - عيار ١٢٠ مم .

من ناحية الدفاع الجوى :

مصر	٧٥٠	صاروخ
إسرائيل	١٠٠	صاروخ هوك

من ناحية المدافع المضادة :

	مصر	٢٦٠٠	مدفع
	إسرائيل	٧٥٠	مدفع
الطائرات :	مصر	٢٥٠	ميج ٢١
		٧٠	سوخوى
	إسرائيل	٣٨٠	طائرة منها :
		٧٤	فانتوم
		٥٠	ميراج
		والباقى سكاى هوك .	

وأنا أرجو أن يكون مفهوما أن الفانتوم فيها نقاط ضعف . حمولتها أربع أطنان وإذا حملتها بالكامل أصبحت سرعتها ٨٠٠ كم فى الساعة .

وفى فيتنام ثبت عيب تحميل الطائرات كاملا .

ماذا يحدث لو أغارت إسرائيل على العمق ؟ لديكم ٢٥٠ طائرة بالإضافة إلى ٥٠ يطير عليها السوفيت ... وهذه القوة يمكنها إيقاف الهجوم . وهذا الهجوم لن يحدد مصير المعركة .

أسطولكم لديه التفوق على الأسطول الإسرائيلى ويعطيكم السيطرة فى البحر تماما .

المعدات الهندسية عندكم تكفى لإنشاء ٩ جسور لمسافة ٢٦٠ مترا وحمولة كل منها ٦٠ طن . وهناك جسرين حمولة ١٢ طن .

معدات فتح للثغرات فى الألغام : عندكم ٣٠ طاقم لفتح الثغرات ، تفتح ممرات طولها ٢٥٠ مترا وعرضها ٨ متر .

عندكم أكثر من ٣٠٠٠ من المتفجرات التى تفتح ثغرات فى حقول الألغام .

بالنسبة للحرب الالكترونية : عملنا ٤٧ مهمة استطلاعية بالطائرات رصدنا فيها جميع وسائل الراديو والرادار (عند إسرائيل) . واستطلاعات الأقمار الصناعية السوفيتية نحن نعطيها لكم بانتظام .

عندكم أربع كتائب من محطات التشويش على العدو ... عندكم ٢ كتيبة للاستكشاف الالكترونى ... عندكم ٢ كتيبة فى مرحلة التكوين ... هناك ١٦ طائرة تقوم بمهمات استطلاعية حسب طلبات القيادة السوفيتية والمصرية وتقوم بالاستطلاع الالكترونى .

بالنسبة للذخيرة - ذخائر المدفعية عندكم ١٥ مليون قذيفة .

إن كل ما أريد أن أذكره هو أنه لا يوجد لديكم تأخر ، وليس معنى ذلك أنه لا توجد نواحى نقص .

الرئيس السادات : أليس من المناسب أن يتحدث صادق ؟

الفريق محمد أحمد صادق : البيانات التى قدمها الماريشال جريتشكو عددها سليم ، ولكن الموضوع ليس موضوع أعداد وإنما احتياجات . لقد تحدث جريتشكو عن مصر وسوريا . وأنا أتحدث فقط عن مصر لأن تلك هى مسئوليتى ، وذلك هو موضوع الحساب عندى .

صحيح عندنا ٦٥٠ دبابة « تى ٥٥ » ولكن باقى الدبابات تنقصها أشياء ... مثلا الدبابات الـ « تى ٣٤ » وعددها كبير جدا ... هذه الدبابة أصبحت قديمة مقارنة بدبابات العدو الحديثة .

لا توجد وسائل قتال ليلى ، وهذا يجعلها عديمة القيمة . فالدبابة لابد أن تكون قادرة على القتال الليلى .

بالنسبة للمدفعية ... المدفعية السوفيتية أعظم مدفعية فى العالم . ولكن ما فائدة مدفع مداه ٢٧ كم ولكن لا أستطيع استخدام أكثر من ١٣ كم ... ما فائدة أن يكون لدى العدو مدفع مداه أطول يطولنى ولا أستطيع أن أصيبه .

بالنسبة للطيران لا شك أن الـ « ميج ٢١ » المعدلة طائرة مقاتلة من الطراز الأول ، وتستطيع إسقاط الـ « فانتوم » . ولكن كل الصعوبة أن الـ « ميج ٢١ » والـ « سوخوى ٧ » مدة بقائها فى الجو مدة قصيرة .

بريجنيف (مقاطعا) : أعتقد أن هذه الاعتبارات غير سليمة لأننا لو أخذنا بها فمعنى ذلك أن نستسلم . »

□

وقد تصور الرئيس « أنور السادات » بعد نهاية هذه الاجتماعات أنه توصل إلى حل لمعظم المشاكل . ولكنه بعد أن عاد إلى القاهرة بعدة أسابيع بدأ يتلقى الشكاوى عن تأخير توريد ما جرى الاتفاق عليه أثناء زيارته لموسكو . وقام باستدعاء السفير « فلاديمير فينوجرادوف » وطلب إليه

أن ينقل « شكوى شديدة » إلى الصديق « بريجنيف » ، فقد ترك موسكو شاعرا بـ « الحلاوة كلها » ، ولكنه الآن يتلقى التقارير عن تأخير التوريد .

وبعد خمسة أيام عاد إليه « فينوجرادوف » برد من « بريجنيف » ، ومعه رسالة خاصة إليه من الماريشال « جريتشكو » نصها :

« وأنا قادم إلى القاهرة أريد أن أدخل ماتش ملاكمة مع صادق وتكون أنت الحكم فيه . »

(إمضاء)

جريتشكو »

وجاء الماريشال « جريتشكو » فعلا ، ولكن الرئيس « السادات » استقبله وحده لمدة خمس ساعات . وتأخر بذلك على عشاء كان الفريق « صادق » يقيمه تكريما له فى نادى الضباط بالزمالك . ولم يعرف « صادق » تفاصيل ما دار بين الاثنين . وكل ما حدث هو أن الرئيس « السادات » اتصل به ليقول له إن « جريتشكو » فى الطريق إليه ، وسوف يبلغه فيما بعد بنتائج اجتماعهما الطويل . ثم لم ينس الرئيس « السادات » أن يسأل الفريق « صادق » فى آخر المكالمة عما إذا كان قد رتب عرضا للرقص البلدى فى العشاء « لأن جريتشكو كما تعرف يحب الرقص البلدى » . وانتهت المكالمة والفريق « صادق » يغلى غضبا لأنه لم يحضر الحديث بين الاثنين ، ولم يعرف ما دار فيه قبل أن يقابل « جريتشكو » ، كما أن وزير الدفاع السوفيتى تأخر عن العشاء عدة ساعات والكل ينتظرونه فى نادى الضباط - ثم جاءت الطامة الكبرى بحديث الرقص البلدى .

٣

لم تكن التناقضات والخلافات والمشادات حول القضايا العسكرية هى الأسباب الوحيدة التى دعت الرئيس « السادات » إلى قراره الشهير فى يوليو سنة ١٩٧٢ - بطرد الخبراء السوفيت من مصر .

ولا كانت المنافسة الحادة بينه وبين وزير حربيته الفريق أول « محمد صادق » هى السبب الذاتى الرئيسى الذى أغرى الرئيس بضربة قاضية يحقق بها لنفسه فوزا ساحقا فى السباق على كسب تعاطف قيادات القوات المسلحة .

كانت هناك أسباب أخرى لا تقل أهمية ، وكانت كلها متصلة بمأزق الحل والحرب ، وهو المأزق الذى واجهه من أول لحظة فى رئاسته . وما بين ربيع وصيف سنة ١٩٧٢ - كان الرئيس « السادات » قد توصل إلى عدد من القناعات راحت تترسخ فى تفكيره مع متابعته للحوادث :

● **أولاها** - أن مخاطر الحرب وتكاليفها تظهر أمامه أكبر وأفدح مع كل يوم - وهو يريد أن يتفاداها بأى شكل .

● **وثانيتها** – أنه إذا كان يريد حلا سلميا فذلك فى يد الولايات المتحدة – وليس أمامه إلا أن يحاول مرة أخرى .

● **وثالثتها** – أنه إذا كان الاتحاد السوفيتى نفسه يجرى وراء الأمريكان فى محاولة لتخفيف حدة التوتر الدولى وتخفيف أعباء سباق السلاح – إذن فهو أولى بأن يحاول . وتبدى له أن الاتحاد السوفيتى قد لا يتفق على أزمة الشرق الأوسط ، وأكثر من ذلك فإن هذا الاتفاق قد يجىء بالتواطؤ – وإذن فلابد له أن يتحرك ويسبق !

وكان أصدقاؤه – خصوصا فى السعودية وإيران – يلحون عليه بأن العقبة الوحيدة هى الوجود السوفيتى فى مصر ، وبدأت ملكاته الدرامية تفكر فى تصرف يجعل كل الأطراف مضطرة إلى التوقف والالتفات .

ومن المؤكد أن آخر رجل قابله قبل أن يتوصل إلى قراره بطرد الخبراء السوفيت – هو الأمير « سلطان » وزير الدفاع والطيران السعودى

وعلى أى حال فقد شاء أن يكون تصرفه مستقلا ، فألقى قنبلته ، وراح ينتظر مستمتعا إلى أقصى حد بالضجة التى ثارت فى العالم كله حول قراره الضخم . وكان قرارا ضخما بكل المعايير .

والواضح أن كل الأطراف أخذت بالقرار فى حد ذاته ، ولم يتوقف أحد ليناقش دواعيه . وكانت معظم دواعيه فى ذلك غير قابلة للمناقشة بسهولة ، لكنها كانت تائهة وسط سيل من الوقائع والنصوص .

وربما كان من أهم أسباب سوء الفهم هو الطريقة التى أخذت بها عبارة وردت فى البيان النهائى لاجتماع القمة فى موسكو بين « نيكسون » و « بريجنيف » (فى يونيو ١٩٧٢) – وهى العبارة التى تشير إلى **ضرورة خلق نوع من الاسترخاء العسكرى فى منطقة الشرق الأوسط** . فقد أشار نص بيان القمة إلى الاسترخاء العسكرى لاحقا للتسوية السلمية وليس سابقا عليها – ولكن الرئيس « السادات » كان له تفسير آخر مختلف مع النص ، وهو أن الاسترخاء العسكرى هو المطلوب ، وهو المطلوب الآن وفورا – وقبل التوصل إلى تسوية سواء بالحل أو بالحرب . وترتيبا على ذلك اعتبر أن السوفيت تواطأوا عليه مع « نيكسون » و « كيسنجر » فى موسكو .

□

ومن الغريب أن القرار لم يحدث أثره المطلوب تماما لدى الطرف الذى كان مفروضا أن يؤثر عليه القرار – وهو الولايات المتحدة ، والبيت الأبيض فيها بالذات ، و « هنرى كيسنجر » فى ذلك البيت الأبيض على وجه التحديد .

ويروى « إدوارد شيهان » فى كتابه عن العرب والإسرائيليين وكيسنجر – والذى قام بعشرين مقابلة مع « كيسنجر » أثناء إعداده لهذا الكتاب – ردة فعل « كيسنجر » عندما سمع لأول مرة بنبأ طرد الخبراء السوفيت من مصر .

روى « شيهان »[1] أن « كيسنجر » صعق من النبأ وتساءل قائلا لمعاونيه « لماذا قدم السادات لنا هذه المكرمة ؟ لماذا لم يتصل بى ؟ لماذا لم يطلب أولا كل أنواع التنازلات التى يمكن أن نقدمها له ؟ » - ثم كان تعليق « كيسنجر » بعد ذلك « أنه غاضب أيضا لأن هناك فشل فى مجال المخابرات ، فهو لم يعلم بقرار الطرد إلا من برقيات وكالات الأنباء . »

□

إن القرار برغم ذلك أحدث أثره - وبأكثر مما كان متصورا - فى الجهة التى لم تكن مقصودة به مع أن ضربته أساسا كانت موجهة ضدها ، وهى الاتحاد السوفيتى .

إن صدمة الاتحاد السوفيتى بهذا القرار كانت عنيفة ، وفى البداية فقد كان هناك الغضب للكرامة الجريحة حين راح حوالى ثمانية آلاف من الخبراء السوفيت وعائلاتهم يغادرون مصر بطريقة مهينة ، وكأنهم فلول من اللاجئين يهربون أمام خطر زاحف عليهم .

لكن الشعور بالصدمة والغضب للكرامة ما لبث تدريجيا أن تدارك موقفه وراح يتراجع خطوة بعد خطوة أمام اعتبارات أخرى تتصل بالاستراتيجية العالمية للاتحاد السوفيتى .

فجأة تبينت المؤسسة العسكرية السوفيتية أن التهديدات التى سبق لها أن سمعتها عن ضياع مركز الاتحاد السوفيتى فى مصر ، وآثاره على العالم العربى ، وعلى البحر الأبيض والبحر الأحمر ، وعلى إفريقيا بما فى ذلك القرن الإفريقى الذى أصبح - بالفعل وقتها - موقعا سوفيتيا متقدما على المحيط الهندى مشرفا إلى نهاية الأفق على المحيط الهادى - قد تحققت أو هى على وشك أن تتحقق .

ودار صراع مكتوم فى الاتحاد السوفيتى بين القيادة السياسية وعلى رأسها « بريجنيف » و « كوسيجين » - وبين المؤسسة العسكرية السوفيتية وعلى رأسها الماريشال « جريتشكو » وزير الدفاع ، والأدميرال « جورشيكوف » قائد الأساطيل السوفيتية .

وفى ذروة الخلاف أشار الماريشال « جريتشكو » إلى أن « السادات لن يحارب مهما كان ما نعطيه له من سلاح ، ومن الخير ألا نترك أنفسنا شماعة له يعلق عليها تردده أمام ضباط الجيش المصرى وأمام الشعب فى مصر وأمام كل أصدقائنا فى العالم العربى » .

وترددت صيحة موجهة من وزارة الدفاع السوفيتية إلى الكرملين ، مؤداها « أن الاستراتيجية العالمية للاتحاد السوفيتى مكشوفة معرضة للخطر ، وهو وضع لا يمكن السماح به »[2] .

وفى نفس الوقت فإن كثيرين فى مصر كان رأيهم أنه من الضرورى البحث عن علاج

---

(١) صفحة ٢٢ من كتاب « العرب والإسرائيليين وكيسنجر » .

(٢) حديث مطول مع أحد كبار العسكريين السوفيت أثناء ندوة فى لندن عن سياسة الاتحاد السوفيتى فى الشرق الأوسط سنة ١٩٧٥ .

للصدمة المفاجئة ، وتقرر كمحاولة أخيرة إرسال بعثة على أعلى مستوى يرأسها الدكتور « عزيز صدقى » رئيس الوزراء - إلى الاتحاد السوفيتى .

ولم يكن الرئيس « أنور السادات » يتوقع كثيرا من مهمة تلك البعثة ، وكان ظنه أن السوفيت سوف يعودون إلى تكرار نفس مواقفهم السابقة بنفس عباراتها تقريبا .

ولكن بعثة « عزيز صدقى » ذهبت وعادت تحمل مفاجأة لم تكن فى الحسبان :

١ - وافق السوفيت على أن يشحنوا فورا كل الطلبات المتأخرة من صفقات سابقة .

٢ - أكثر من ذلك فإنهم وافقوا على أن يقدموا لمصر أسلحة متقدمة لم تظهر من قبل على مسرح العمليات فى الشرق الأوسط ، وبينها طائرات الـ « ميج ٢٣ » - وطائرات الـ « سوخوى ٢٠ » - والصواريخ المتقدمة من طراز R 17 E ويبلغ مداه ثلاثمائة كيلومتر - علاوة على النظم الصاروخية المتقدمة المعروفة بالكوادرات .

٣ - ثم إنهم وقعوا صفقات جديدة يتم تسليمها بعد قليل من طائرات « ميج ٢٥ » - ومن عربات القتال المدرعة من طراز BMP - ونظام كامل للحرب الالكترونية .

وكانت بعثة الدكتور « عزيز صدقى » تضم عددا من العسكريين ، وبالتالى فإن ما وافق السوفيت على تقديمه أصبح معروفا فى القوات المسلحة ، وأحدث تأثيرا لابد من حسابه .

☐

وفى يوم ٨ أكتوبر كان الرئيس « السادات » يراجع النتائج النهائية لبعثة الدكتور « عزيز صدقى » فى موسكو .

وكان موزعا بين الرضا والشك .

كان رضاه من إحساسه بأنه استطاع أن يفرض على السوفيت مطالبه . فلقد تصدى لهم أمام الدنيا كلها ، وطبقا لتعبيره فإنه « **قلع الجزمة وضربهم بها فوق رؤوسهم** » - وكان ردهم فى النهاية هو أن جاءوا إليه « **يبوسون الأيدى** » !

وكان شكه من تأمله للأسباب التى دعت السوفيت إلى أن يعودوا إليه صاغرين ، وفى الغالب فإنه لم يلتفت بالقدر الكافى إلى الدواعى الملحة لاستراتيجيتهم العالمية . وإنما وصل به الشك فى هذا الاجتماع يوم ٨ أكتوبر إلى حد القول :

- « إن الروس يحاولون إغراقه فى بحر من السلاح . استجابوا لجميع طلباته وأكثر حتى يورطوه فى معركة يظنون أنه لن يكسبها حتى وإن تحققت له كل مطالبه من السلاح . وإذن فهم يستجيبون لطلباته وينتظرون محنته لكى يعود إليهم وقتها طالبا دعمهم ، وحينئذ يفرضون عليه - فى النهاية - كامل شروطهم » !

☐

والغريب أن الفريق « صادق » لم يكن سعيدا بقرار طرد الخبراء السوفيت من مصر . ولعله نظر إليه باعتباره نقطة تحول فى المنافسة بينه وبين الرئيس « السادات » .

ولقد انتقد التسرع فى القرار صراحة فى مؤتمرات عسكرية على مستوى القيادة .

وحين نجحت مهمة الدكتور « عزيز صدقى » فى موسكو ، واستجاب السوفيت بالكامل لجميع طلبات الرئيس « السادات » - فإن الفريق « صادق » بدأ يشعر أن دوره قد جاء .

وليس فى استطاعة أحد أن يعرف ما الذى دار فى ذهن ذلك الجندى الذى تضاربت العوامل والنزعات فى فكره وإحساسه تلك الأيام - لكنه على نحو غريب بدأ يعتقد أن هناك مؤامرة تدبر للخلاص منه باغتياله . وقد تبعثرت مشاعره ما بين الوقوف أمام الرئيس « السادات » بأى وسيلة ، وما بين الاستسلام للقضاء والقدر . وكان بعض من حوله يحرضونه على أن يمسك بزمام الأمور كلها فى البلد وسط جو يتيح له هذه الفرصة . لكن الرجل - والشهادة لله - كبح جماح أصدقائه ، وكبح جماح نفسه مدركا أن حالة « البلد » لا تتحمل أى هزة عنيفة .

ولقد لجأ إلى نوع غريب من التدين يمتزج فيه التصوف بالاستسلام للمقادير .

وفى ذلك الوقت التقاه « محمد حسنين هيكل » عدة مرات فى ظرف كان يعتقد فيه أن الرجل فى محنة إنسانية عاتية :

جندى قام فعلا بجهد ممتاز فى حرب الاستنزاف ، ثم واصل دوره بعد ذلك كوزير للحربية مسئول عن إعداد القوات المسلحة للحرب ، بما فى ذلك استكمال التدريب والتخطيط ...

وهذا الجندى يحلم بأن يكون هو قائد القوات حين يجيء اختبار النار ...

لكن المشكلة أن هذا الجندى يرى أن المعركة الكبيرة القادمة لابد لها من اشتراطات تبدو مستحيلة .

وهو يتمنى أن يقاتل - لكنه يرى المعركة صعبة .

ثم إن هذا الجندى على خلاف وصل إلى حد العداء مع قيادته السياسية - وهو فى نفس الوقت متنبه إلى خطورة أى خطوة فى المجهول .

وفى إحدى هذه المقابلات وصل الفريق « صادق » إلى حد القول لزائره : « اسمع .. حاذر من أن يدبروا لك حادث سيارة .. إنه سوف يتخلص من الجميع . » ثم كانت المفاجأة أنه فتح حقيبة يده وأخرج منها ورقة مكتوبة بخطه ، وأعطاها لزائره طالبا منه أن تكون معه طول الوقت دعاء واقيا من الشر وحماية - وقد جاء فيها بالنص(*) :

(*) صورة لورقة الدعاء التى أعطاها الفريق « صادق » لـ « محمد حسنين هيكل » ، وهى موجودة فى ملحق صور الوثائق تحت رقم (٣٩) - على صفحة (٧٧٨) من الكتاب .

« بسم الله الرحمن الرحيم

- يا رب بصرنى وأتم نعمتك علىّ ، وأهدى قلبى وطهره واجعل منى نفعا للناس .

- يارب اهدنى خير الطريق ، واهدنى إلى ما فيه خير الناس ، واهدنى فى رسالة السماء ، وافتح علىّ فتوح من يعرف الله ، وقوى إيمانى برسول الله .

- على بركة الله وقوة من رسول الله أعمل بها للخير ، وللخير والسلام دائما أبدا ودائما أعمل . »

وكانت تلك فى تقدير « محمد حسنين هيكل » حالة بالغة الخطورة ، وكانت نصيحته للفريق « صادق » هى قوله له :

- « إنه يعز عليه كصديق قديم أن يقول له ما سوف يقوله الآن . لكنه يرى واجبه فى قوله . ذلك أنه بهذه الحالة من عدم الثقة بينه وبين رئيس الدولة فلم يعد أمامه خيار إلا أن يقدم استقالته ويلزم بيته فى هدوء . »

ولكن الفريق « صادق » لم يكن مهيأ نفسياً لهذه النصيحة ، فلقد بدا له أنه لا يستطيع أن « يترك أولاده » فى القوات المسلحة لسياسات تؤدى بهم إلى كارثة . كما أنه لا يستطيع أن « يتخلى عن مصر » فى وقت شدة بينما جزء من أرضها واقع تحت الاحتلال .

ومن حسن الحظ أن مأزق ومحنة « عسكرى وطنى » لم تطل لأن الرئيس « السادات » أصدر يوم ٢٦ أكتوبر ١٩٧٢ قرارا بإعفائه ، وتعيين الفريق « أحمد اسماعيل على » وزيرا للحربية بدلا منه . وكان القرار - لوجه الحق - لا مفر منه ، وإن كانت آثاره على « عسكرى وطنى » جاءت فادحة .

وتردد أن بعض العسكريين من أصدقائه فكروا فى انقلاب يزيح « أنور السادات » عن السلطة ، وأنهم شكلوا جمعية سرية « لإنقاذ مصر » . وجرت عمليات قبض وتحقيق ، ولم يكن هناك ما يدين الفريق « صادق » .

لكنه أحس على نحو ما أن كل شىء ضاع عليه وعلى « البلد » ، كما أن عددا من أصدقائه المقربين « راحوا » بسبب موقفه - وقد حاول أن يظل على صلة بالحوادث ، ثم تاه فى بحر من التدين والتصوف ، ثم مرض ومات مقهورا . وكانت تلك مأساة مفجعة .

الفصل العاشر

الأوهام والحقائق

١

ظهرت فى الأجواء أعراض حالة من التمزق والتآكل والإحساس بالضياع لأن حالة اللا سلم واللا حرب راحت تضغط على أعصاب الجميع بشدة ، وعلى نحو يبدو وكأنه لا خلاص منه .

كانت لحالة اللا سلم واللا حرب أسباب موضوعية تمثلت فى :

١ – شعور سائد لدى القيادة المصرية بأن العدو أقوى عسكريا بسلاحه ، وأقوى سياسيا بتحالفاته الدولية .

٢ – وفى نفس الوقت فقد تبدى فى مصر نوع من الانفصام بين السياسة والسلاح ، فالسياسة ليست واثقة من قدرة السلاح ، ولا السلاح واثق من كفاءة السياسة . وقد تجلى ذلك بصفة خاصة مع الصدام الذى جرى بين الرئيس « أنور السادات » والفريق « صادق » ونخبة معه من العسكريين .

٣ – وكان الجهاز الحكومى ، وهو فى العادة فى منطقة ما بين السلاح والسياسة ، يتصور إمكانية حرب قد تكون شاملة ، ولعله كان يستهول تكاليفها خصوصا على المرافق والبنية الأساسية والمستودعات الكبرى .

٤ – أن القرارات المصيرية بدت متأرجحة لا يقر لها قرار مثل بندول الساعة – من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار .

٥ – وترتب على ذلك أن حالة التعبئة النفسية والسياسية للناس راحت تشدهم على خط طويل من الحماسة الزائدة إلى الإحباط الكامل ، ومن الساخن إلى البارد دون سابق تمهيد لأية حالة .

٦ – ثم زاد فوق كل هذه العوامل أن الإحساس سرى بين الناس بأن هناك عناصر مستفيدة من حالة اللا سلم واللا حرب . وقد ساعد الشعار الذى ارتفع بأنه « لا صوت يعلو على صوت المعركة » على محاولات كثيرة لتطويع القبول بكثير مما كان يصعب القبول به ، وفى نفس الوقت الذى كانت روادع صوت المعركة تعطى لكثيرين امتيازات بلا حق فى ظرف يتطلب تضحيات بغير حدود .

ونتيجة لهذه الأحوال ظهر على جسم الجبهة الداخلية طفح من البؤر كان بالتأكيد ظواهر خارجية لالتهابات حادة داخلية :

● كان شباب الجامعات فى حالة غليان عبّر عن نفسه بإضرابات ومظاهرات وصدامات مع قوى الأمن ، أعقبتها بالطبع اعتقالات .

● وكان هناك صدام مع المثقفين نتيجة لبيان باسمهم اعتبره الرئيس « السادات » تعريضا به ، ورد عليه بهجوم مركز على الاسم الذى تصدر قائمة الموقعين على البيان ، وهو الأستاذ « توفيق الحكيم » .

● وقرر الرئيس « السادات » إقصاء عدد من الكتّاب عن الصحف ، وكانت بينهم صفوة ممتازة من وزن « نجيب محفوظ » و « أحمد بهاء الدين » و « لويس عوض » و « يوسف إدريس » .. وغيرهم ، وغيرهم .

● ودخل الرئيس « السادات » فى مشادة لا لزوم لها مع « الأهرام » سببها أن هؤلاء المثقفين والكتّاب بمن فيهم « توفيق الحكيم » ، و « نجيب محفوظ » ، و « أحمد بهاء الدين » ، و « لويس عوض » ، و « يوسف إدريس » – كلهم من « الأهرام » . بالإضافة إلى أن أبواب « الأهرام » ظلت مفتوحة أمام شباب الجامعات الراغبين فى محاورة مثقفيه وكتابه .

● وكان الرأى العام الواسع فى مصر قد بدأ يحس أن السلطة راحت فى تصرفاتها تنحاز إلى طبقة جديدة ظهرت وراحت تتحسس طريقها إلى مواقع النفوذ والاستغلال فى ظروف عسيرة وصعبة يعانى منها سواد الشعب .

وكان الرئيس « السادات » يعتقد – وبحق – أن هذا كله هين وقابل للعلاج إذا هو عثر على حل للمأزق الأكبر : مأزق الحل والحرب .

وكان لا يزال على يقينه بأن القوات المسلحة هى الركيزة الأساسية للنظام ووسيلته فى الحالتين .

□

وحتى هذه الساعة المتأخرة من عمر الأزمة المستحكمة كان الرئيس « السادات » ما زال على استعداد لأن يطرق من جديد باب الحل . ولعله لم يكن يريد أن يعترف أمام نفسه وأمام غيره أن قراره بطرد الخبراء السوفيت كان صاروخا قويا وبعيد المدى ، ولكن توجيهه لم يكن دقيقا ، وانفجر بعيدا عن منطقة الهدف !

والذى حدث هو أنه بعد أيام قليلة من قراره بطرد الخبراء السوفيت تلقى الرئيس « السادات » برقية شفرية من السفير « أشرف غربال » عن مقابلة له مع وزير خارجية الولايات المتحدة « ويليام روجرز » ، وقد كتب له « أشرف غربال » فقرة جاء فيها بالنص :(١)

« إن المستر روجرز – فى حضور سترنر – رجانى أن أبلغ السيد الرئيس :

– إنه يكن لسيادته كل تقدير واحترام ، وهم معجبون بقراراته الأخيرة ، وأن الرئيس نيكسون ، وروجرز ومعاونيه والجميع يعرفون أن الرئيس رجل سلام ويريد أن يصل إلى حل سلمى .

– إن إمكانياتهم فى التأثير على إسرائيل محدودة .

– إن واشنطن على استعداد – إذا رغبت القاهرة – أن تلعب دورا فى الوصول إلى الحل المرحلى . »

ولم يكن الرئيس « السادات » فى حاجة إلى شهادات تقدير ، وإنما كان يبحث عن أبواب مفتوحة ، ولم يكن مستعدا لأن يتخلى عن رهانه الأمريكى ، وقد أحس أنه استثمر فيه كثيرا من أرصدته فعلا .

ولقد طلب من وزير خارجيته الجديد وقتها (الدكتور « محمد حسن الزيات ») أن ينتهز فرصة سفره إلى نيويورك لحضور دورة الجمعية العامة للأمم المتحدة ، ويوسع دائرة اتصالاته ويجعل زيارته « زيارة وتجارة » ، ولكن « الزيات » ذهب وعاد دون أن تسفر مهمته عن جديد يطمئن أو يريح .

ولقد أرسل الدكتور « الزيات » مجموعة برقيات من نيويورك عبر عليها الرئيس « السادات » ببصره ، والغالب أنها لم تترك أثرا عليه لأنه لم يجد فيها إشارة تستجيب لشواغله الملحة – وإن كان قد وضع خطا تحت بعض العبارات فيما قرأ من برقيات .

بعث الدكتور « الزيات » من نيويورك ببرقية برقم ٧١١٩ جاء فيها بالنص :

« ١ – قابلت روجرز صباح ٥ أكتوبر . قال إنه يريد أن يتكلم معى بصراحة وهدوء ، وأنه بعد هذه الفترة التى قضاها وزيرا للخارجية واستمع خلالها إلى مختلف وجهات النظر يعلم جوانب المشكلة بأكملها . وقال لقد مضت خمس سنوات دون حل للمشكلة ، وهو يعتقد أنه من العسير التوصل إلى حل نهائى فى مرحلة واحدة . وضرب مثلا لذلك بمحادثات الحد من التسلح النووى التى أقدموا على حل مرحلى لها لتعذر حلها حلا كاملا . وهو يعتقد أن هذه نتيجة طيبة .

---

(١) برقية واشنطن رقم ٤٤٥٢ ، وأصلها مودع فى ملفات وزارة الخارجية .

٢ - . . . .[2]

. . . .

٣ - أشار إلى وجوب أن يتم الحل المرحلى مع مصر أولا لأن ذلك سيشجع على الوصول إلى حل مرحلى أيضا بين الأردن وإسرائيل . أما فيما يتعلق بلبنان فأمر أيسر . وقال إنهم يعتقدون أن أول مرحلة لا بد أن تكون مع مصر ، فهى مفتاح الموقف .

٤ - . . . .

. . . .

٥ - خلص مما تقدم إلى أنه لا حل غير ذلك (الحل المرحلى على أساس فتح قناة السويس) ، وأن إتباع هذا الأسلوب سيضيف إلى مكانة السيد الرئيس كرجل دولة عالمى statesman of the world (وكانت هذه العبارة الأخيرة هى العبارة التى وضع الرئيس « السادات » خطا تحتها بقلمه) . »

□

ثم بعث الدكتور « الزيات » ببرقية ثانية من نيويورك جاء فيها :[3]

« اجتمعت بعد ظهر اليوم مع وزير خارجية يوغوسلافيا الذى كان عائدا من واشنطن بعد مقابلة له مع روجرز . روى لى الوزير اليوغوسلافى الجزء الخاص بالشرق الأوسط من مقابلته مع روجرز الذى ذكر له :

أولا - إنه لا ينتظر أن يتحرك الموضوع قبل ستة أشهر .

ثانيا - إنه يمكن تحريك الموضوع عن طريق محادثات عن قرب والبدء بفتح قناة السويس الذى سيمكن مصر من عبور القناة إلى الضفة الشرقية وضمها للقنال مرة أخرى تحت سيطرتها الكاملة ، وبدء المرور فيها من جديد . . . .

. . . .

ردا على سؤال منى قال وزير خارجية يوغوسلافيا إن تحديد مدة ستة أشهر هذه قد تكون بسبب تصور أمريكا أن مصر قد تغير موقفها . . . .

. . . .

(ووضع الرئيس « السادات » بقلمه خطا تحت عبارة أنه « لا ينتظر أن يتحرك الموضوع قبل ستة أشهر » - ثم وضع بقلمه خطين أمام الفقرة التى تقول إن ذلك مبعثه « أن مصر قد تغير من موقفها ») .

□

---

(٢) نقاط مكررة من قبل لا داعى لإعادتها .

(٣) برقية نيويورك برقم ٧٠٥٩ ، وأصلها مودع فى ملفات وزارة الخارجية .

ثم بعث الدكتور الزيات ببرقية ثالثة من نيويورك برقم ٧٢٤٣ جاء فيها :

« ١ - دعانى السفير الأمريكى بوش(*) على الغداء اليوم ومعه وزير الخارجية الأمريكى فى أحد النوادى الخاصة بنيويورك . وقد اهتم بوش بحضور الغداء ولم يقم بإلغائه رغم وفاة والده أمس .

٢ - قال روجرز إنه أحب أن يقابلنى وحدنا للتحدث معى واستطلاع رأيى فى إيجاد حل لمشكلة الشرق الأوسط . وقال إن محاولات حل المشكلة كلها بما فيها القدس مثلا سيضعنا أمام مشاكل معقدة لا نعرف كيف نخرج منها بسرعة . ولذلك فإنه يعتقد أن خير طريقة للحل هى الاستجابة لمبادرة السيد الرئيس فى ٤ فبراير ١٩٧٢ (وردت كذلك فى البرقية ، وهى خطأ لأن مبادرة الرئيس كانت سنة ١٩٧١ وليس سنة ١٩٧٢) .

٣ - . . . .

. . . .

٤ - . . . .

. . . .

٥ - . . . .

. . . .

٦ - وقال جورج بوش : الآن المشكلة تتلخص فى إصرار مصر على أن ترتبط إسرائيل بأن تكون آخر خطوة هى انسحابها للحدود الدولية ، وإصرار إسرائيل على عدم الالتزام بذلك . »

(لم يترك الرئيس « السادات » أية تأشيرات بقلمه على هذه البرقية)

□

وأخيرا بعث الدكتور « الزيات » من نيويورك ببرقية جاء فيها :

« دعانى صباح اليوم ١٣ أكتوبر الجارى السفير بوش للفطور بمفردنا . ودار حديث حول التغييرات التى يمكن حدوثها بعد الانتخابات (انتخابات الرئاسة الأمريكية التى كانت مقررة فى أوائل نوفمبر) ، وذكر أنه لا يوجد شيء مقرر حتى الآن . وأضاف أنه فى حرج لأن كيسنجر الذى يعلم بصلتنا طلب منه أن يدبر لقاء معى دون معرفة وزارة الخارجية الأمريكية .

وقد أجبت بأننى سوف أغادر نيويورك يوم الأحد ، وكنت موجودا طوال الأسبوعين الماضيين ، وكنت مستعدا لمقابلة كل من يطلب . وقد ذكر بوش أنه يمكن ترتيب لقاء مع كيسنجر بعد عودتى إلى نيويورك عند مناقشة بند الشرق الأوسط فى الجمعية العامة - وأجبته بأنه لا مانع » .

(وقد وضع الرئيس « السادات » خطا بقلمه تحت العبارة التى وردت فيها الإشارة إلى كيسنجر . ولم يتحقق أى لقاء بين الاثنين فى ذلك الوقت ، لأن كيسنجر فيما يبدو شغل بالمعركة الانتخابية وما تلاها من الإعداد لمدة الرئاسة الثانية لـ « ريتشارد نيكسون ») .

□

(*) يقصد « جورج بوش » الذى أصبح فيما بعد رئيسا للولايات المتحدة ، وكان وقتها ممثلا دائما لبلاده لدى الأمم المتحدة .

هكذا بدت جبهة الحل أمام الرئيس « السادات » متعثرة على الأقل فى الوقت الحاضر – وفى ُس الوقت فإن جبهة الحرب بدت هى الأخرى أكثر من متعثرة لأن مسار الحوادث كان يدفعها ى حافة خطرة .

● كانت هناك بالطبع عملية إقالة الفريق « محمد أحمد صادق » وما ترتب عليها من آثار ِصلت – كما سبق القول – إلى حد أن بعض كبار الضباط المتحمسين له راودتهم فكرة القيام بتغيير على قمة السلطة بواسطة تنظيم أطلقوا عليه « تنظيم إنقاذ مصر » .

● ولم تقتصر حالة الانفلات التى تبدت أعراضها على قمة القيادة العسكرية فقط ، بل وصلت لتأثيرات إلى شباب الضباط أيضا . وتسجل وثيقة من رئاسة المخابرات العامة برقم ٢٧١ بتاريخ ١٢ أكتوبر ١٩٧٢ نموذجا لهذه الحالة من الانفلات على النحو التالى :

« الموضوع : تحرك بعض عناصر القوات المسلحة مساء يوم ١٢ / ١٠ / ١٩٧٢ .

نفيد بأن المعلومات المتوفرة لدينا عن الموضوع عاليه تتلخص فى الآتى :

١ – بتاريخ ١٢ / ١٠ / ١٩٧٢ وحوالى الساعة ١٦٣٠ قام النقيب على حسن من قوة الفرقة ٢٣ مشاة ميكانيكى بجمع الكتيبة التى كان يتولى قيادتها وأمر بصرف تعيين طوارىء وذخيرة لقوة الكتيبة وأورى بأن الكتيبة مكلفة بحراسة هدف حيوى وسوف يطلعهم على هذا الهدف أثناء سيرهم .

٢ – تحركت الكتيبة من موقعها على طريق السويس حتى الكيلو ٤,٥ فاعترضتهم قوة الشرطة العسكرية الموجودة بهذا المكان . فأمر النقيب إحدى السيارات بالقول (الطابور) باقتحام كشك الشرطة العسكرية ومتابعة السير فى اتجاه مصر الجديدة فطريق صلاح سالم حتى ميدان سيدنا الحسين – حيث وصلت من القول ثلاثة عربات مدرعة .

٣ – تبين أن الشرطة العسكرية عند الكيلو ٤,٥ تمكنت من حجز عُربات القول بعد أن اجتازت المنطقة عشرة سيارات مدرعة منها . وقد وصلت ثلاثة مدرعات منها إلى ميدان سيدنا الحسين ، وتخلفت أربعة عربات عند القلعة وثلاثة عند مدينة البعوث الإسلامية .

٤ – قام النقيب المذكور بالتحدث إلى الأهالى الذين تجمعوا بالميدان وحوله حيث أخذ يؤذن ويكبر ويقول « نحن أمضينا خمس سنوات فى الرمال بلا فائدة » – وعند ذلك اعترضه ضابط شرطة مدنية وضابط آخر من الشرطة العسكرية كانا مكلفان بخدمة الميدان . وقد استمر النقيب فى الصياح : « إحنا بقى لنا خمس سنوات فى التراب ... يا كلاب السلطة ... دعونى أفهم الناس الوضع » . ثم أخذ يتلفظ بألفاظ نابية ضد السيد رئيس الجمهورية والسيد وزير الحربية ، واستمر فى التكبير والدعاء . »

□

كانت تلك كلها ظواهر تضغط على الرئيس « أنور السادات » وتصنع من حوله حالة من شبه الحصار النفسى – وعلى وجه اليقين فإن ضغوطها عليه كانت شديدة إلى درجة أن حساباته الخاصة أوصلته إلى أنه قد يكون من الأفضل أن يبادر إلى كسر وقف إطلاق النار بادئا العمليات العسكرية . وبالفعل فإنه أصدر تعليماته إلى وزير الحربية الجديد الفريق أول « أحمد اسماعيل على » بالاستعداد للعمل المسلح على الجبهة فى شهر ديسمبر ، أى بعد أقل من شهرين من تولى الوزير الجديد لمسئولياته الضخمة . ولم يكن الفريق أول « أحمد اسماعيل على » متحمسا لهذه

العجلة التى انقضت عليه وهو لم يكد يفتح ملفاته . وكان اقتراحه الفورى أنه من المستحسن تنسيق العمليات المقبلة مع سوريا استكمالا لمحاولات سابقة فى التخطيط المشترك جرت فى إطار القيادة الموحدة . ووافق الرئيس « السادات » ، وسافر الفريق أول « أحمد اسماعيل على » إلى سوريا فعلا وقضى فيها ثلاثة أيام - من ١٠ إلى ١٣ نوفمبر ١٩٧٢ . وعاد ليقدم إلى الرئيس « السادات » تقريرا عن مهمته . وجاء فى التقرير :

« سـرى للغـاية(*)

تقـــرير
عن زيارة الفريق أول أحمد اسماعيل على
وزير الحربية والقائد العام للقوات المسلحة الاتحادية
الفترة من ١٠ نوف إلى ١٣ نوف ١٩٧٢
إلى سوريا

١ - عــام

(أ) المرافقون للسيد الوزير فى الرحلة :

لواء محمد عبد الغنى الجمسى - رئيس هيئة عمليات القوات المسلحة
لواء حسن محمد مجيد الجريدلى - سكرتير عام وزارة الحربية
رائد حمدى الجندى - سكرتير عسكرى وزير الحربية

(ب) المهام الرئيسية التى نفذت أثناء الزيارة :

(١) مقابلة السيد الرئيس حافظ الأسد .
(٢) اجتماع فى رئاسة الأركان السورية لبحث خطة العمليات الحالية .
(٣) زيارة الجبهة .
(٤) زيارة قاعدتى الضمير والمزة والاجتماع بالطيارين المصريين والسوريين .
(٥) مقابلة ياسر عرفات .
(٦) جلسة عمل برئاسة الأركان والتلقين بالمهام فى الفترة المقبلة .

٢ - مقابلة السيد الرئيس حافظ الأسد :

(أ) تمت المقابلة مع الفريق أول أحمد اسماعيل على فقط دون أى فرد آخر سواء من الجانب السورى أو المصرى .
(ب) استغرقت المقابلة حوالى ثلاث ساعات برئاسة الجمهورية .
(جـ) أثيرت فى المقابلة النقاط الرئيسية التالية :

(١) أبلغ الفريق أول أحمد اسماعيل على السيد حافظ الأسد بالآتى :

(*) صورة لغلاف تقرير الفريق « أحمد اسماعيل » عن زيارته لسوريا موجودة فى ملحق صور الوثائق تحت رقم (٤٠) - على صفحة (٧٧٩) من الكتاب . كذلك توجد تحت رقم (٤١) - على صفحة (٧٧٩) صورة أخرى للصفحة السادسة من التقرير ، وهى التى تحوى التوقيتات المقترحة لبدء العمليات فى ديسمبر .

(أ) تحيات السيد الرئيس أنور السادات ورغبة سيادته فى إخطار الرئيس حافظ بكل تطورات الأمور فى مصر عسكريا وسياسيا ، وتكليفى بوضع سيادته بالصورة من العمل العسكرى المنتظر والعمل السياسى مع الاتحاد السوفيتى حتى الآن - وأن أكون تحت تصرف سيادته فى أى استيضاحات تطلب .

(ب) ملخص العمل العسكرى المقبل :

- نتيجة للاقتناع التام بأنه لا حل سلمى دون عمل عسكرى فعال ، فقد رأى الرئيس أنور السادات أن نقوم بكسر وقف إطلاق النار فى نهاية ديسمبر المقبل ... وأن لا نتأخر عن ذلك حيث أن الأمطار والثلوج فى الشتاء تعوق تحركات الآليات والمدرعات .
- أن الوقت ضيق ويحتاج الأمر منا إلى التأكيد على سلامة الخطط الدفاعية الحالية لضمان الصمود لو قام العدو من ناحيته بعمل ما . ثم نجهز لعمليات ردع مختلفة للرد على العدو على كلا الجبهتين . ثم نستعد للمرحلة الهجومية بحيث تكون كاملة التخطيط وتدريب القوات وإعدادها لها قبل نهاية ديسمبر ١٩٧٢ » .

. . . .
. . . .

وكان الفريق أول « أحمد اسماعيل على » أكثر تحديدا فى الصفحة السادسة من تقريره حين كتب توقيتاته المقترحة للعمليات القادمة على النحو التالى بالحرف :

« ١٥ ديسمبر ١٩٧٢ للانتهاء من التخطيط وعرض الخطط
٣١ ديسمبر ١٩٧٢ استعداد القوات للعمليات الهجومية »

والذى حدث أن الرئيس « حافظ الأسد » أظهر دهشته من هذه السرعة فى بدء العمليات بعد فترة من السكون الطويل . وربما تبدت دهشته فى ملاحظة قال فيها وهو ينظر إلى ساعته « معنى ذلك أننا سنبدأ العمليات تخطيطا وتنفيذا فى ظرف خمسين يوما من الآن » . فقد كان اجتماعه بالفريق أول « أحمد اسماعيل على » يوم ١١ نوفمبر ، والموعد المحدد لبدء العمليات هو ٣١ ديسمبر .

وبرغم ملاحظة الرئيس « الأسد » فإن القادة من الجانبين المصرى والسورى عقدوا اجتماعات للتنسيق المشترك كانت لها فائدتها . وكان واضحا أن الجانب السورى يرى أن حجم العمليات المطلوبة وضرورات التنسيق على كل الجبهات تقتضى فسحة من الوقت أكثر .

وكان ذلك أقرب إلى تفكير الفريق « أحمد اسماعيل » وزير الحربية ، وكذلك أقرب إلى تفكير الفريق « سعد الشاذلى » رئيس الأركان المصرية - فلم يكن كلاهما متحمسا لهذه العجلة المفاجئة التى بدت لهما أكثر مما تحتمله ملابسات الموقف كلها ، مع تسليم الاثنين بأنه أصبح من الضرورى اعتبار خيار الحرب أمرا لا مفر منه .

وقبل الرئيس « السادات » على مضض بأفضلية التأجيل . ولعله هو الآخر فى صميم قلبه كان يدرك أن دواعيه إلى سرعة التحرك العسكرى كانت - فى ذلك الوقت - تحت إملاء ضغوط سياسية سواء على جبهته المدنية أو داخل صفوفه العسكرية .

٢

كان الفريق « أحمد اسماعيل على » يرى بوضوح حقل الألغام السياسية الذى يقف الرئيس « أنور السادات » فى وسطه . وقد أدرك أن القرار بتأجيل توقيتات ديسمبر ١٩٧٢ قد أوصل الرئيس « السادات » إلى طريق مسدود . ولعله من هنا راح ينصحه بمحاولة دبلوماسية أخرى ، ومع « هنرى كيسنجر » شخصيا وليس مع أحد غيره .

وأبدى الرئيس « السادات » أنه تمنى ذلك وحاوله ، كما أن اتصالا مع « كيسنجر » كان على وشك أن يتحقق وبطلب من « كيسنجر » نفسه .

وأشار الفريق أول « أحمد اسماعيل » إلى أنه يمكن بعث الفكرة بطريق آخر . ثم أبدى الفريق أول « أحمد اسماعيل » أنه خلال عمله كرئيس للمخابرات العامة كان على اتصال ، بحكم مسئولياته ، مع « يوجين ترون » - ممثل المخابرات المركزية الأمريكية - وأنه فى الإمكان معاودة الحديث معه فى فكرة اجتماع بين « هنرى كيسنجر » وممثل شخصى للرئيس « السادات » .

ووافق الرئيس « السادات » على المحاولة ، وأضاف إليها توجيها إلى السفير « أشرف غربال » بأن يقوم من جانبه فى واشنطن بالاتصال بـ « دونالد كندال » رئيس مجلس إدارة « بيبسى كولا » - ليتأكد من استعداده لترتيب اجتماع من هذا النوع . وتلقى الرئيس « السادات » إشارات عن طريق الفريق أول « أحمد اسماعيل » وعن طريق السفير « أشرف غربال » بأن « دونالد كندال » مستعد لترتيب اجتماع بين « هنرى كيسنجر » وممثل شخصى للرئيس « السادات » يعقد فى مزرعته فى كونيتيكت .

واختار الرئيس « السادات » السيد « حافظ اسماعيل » مستشاره للأمن القومى فى ذلك الوقت - ممثلا شخصيا له . ورأى أن يساعده كل من الدكتور « حافظ غانم »[٤] بالإضافة إلى السفير « أشرف غربال » .

---

(٤) كان وزيرا للتعليم العالى مع الرئيس « السادات » فى الفترة ما بين أبريل ١٩٧٥ إلى مارس ١٩٧٦ . وفى بعض المواقف كان الرئيس « السادات » يطلب منه مذكرات قانونية .

وتحدد لهذه اللقاءات فعلا موعد فى عطلة نهاية الأسبوع الأخير من شهر فبراير ١٩٧٣ .

□

وفى طريقه إلى واشنطن مر السيد « حافظ اسماعيل » على العاصمة البريطانية لندن حيث كانت هناك آراء وأخبار فى انتظاره .

أما الآراء فقد نقلها إليه وكيل وزارة الخارجية البريطانية « أنتونى بارسونز » يوم ١٩ فبراير ، وكان مؤداها : « إن الأمريكان ليسوا متحمسين إطلاقا لتدخل خارجى فى حل أزمة الشرق الأوسط ، سواء من الأربعة الكبار أو من الاتحاد السوفيتى ، وما يريدونه فى حقيقة الأمر هو أن يتحقق نوع من الاتصال القريب بين الأطراف مباشرة تحت رعاية وسيط هو : الولايات المتحدة . »

وأما الأخبار فقد انتظرته إلى حين مقابلته فى اليوم التالى مع السير « اليك دوجلاس هيوم » رئيس الوزراء ، وكان مؤداها أن بريطانيا لن تبيع لمصر طائرات الـ « جاجوار » التى كانت تتفاوض على شرائها بتمويل عربى . وقال له رئيس الوزراء البريطانى : « إننا نأسف لهذا القرار ولكن الطائرة الـ « جاجوار » طائرة متقدمة ، ودخولها إلى منطقة الشرق الأوسط سوف يقلب موازين القوى فيها عسكريا » !!(٥)

وكان من الملاحظ فى المقابلتين أن السيد « حافظ اسماعيل » حاول تقديم قرار طرد الخبراء السوفيت من مصر على أساس أنه ورقة فى يده ، وقد اختار أن يسميه « تطبيع العلاقات المصرية السوفيتية ، وأنه قرار قام على أساس نظرة استقلالية مصرية ، وقد أنهى الوجود السوفيتى على الأرض المصرية بلا رجعة » – ولكنه لا وكيل وزارة الخارجية ولا رئيس الوزراء البريطانيان دخلا فى تفاصيل هذه الورقة – لأنها كانت فى اعتبارهم ورقة نزلت على المائدة بالفعل ولم تعد لها قيمة !

□

وقبل أن يتوجه السيد « حافظ اسماعيل » إلى مزرعة « دونالد كندال » فى كونيتيكت ، توقف فى واشنطن للقاء علنى مع الرئيس الأمريكى « ريتشارد نيكسون » . وقد بدأ اللقاء بمقدمة اجتماعية أشار فيها « نيكسون » – مرة أخرى – إلى إعجابه بالرئيس « جمال عبد الناصر » ، وإلى زيارته للسد العالى ، وإحساسه بالأسف أن الولايات المتحدة لم تكن هى التى ساعدت على بنائه . وكان أهم ما فى اللقاء تصور « نيكسون » للطريقة التى تجرى بها الاتصالات مستقبلا بين واشنطن والقاهرة . وكان رأيه أن تتم الاتصالات على مستويين :

---

(٥) كان مفروضا أن تتم الصفقة بتمويل سعودى .

● مستوى وزارة الخارجية – وما يتم على هذا المستوى سوف تتسرب أخباره بما يسيء إلى فاعليته .

● مستوى البيت الأبيض – عن طريق القناة الثانية (السرية) – وهى وسيلة المخابرات المركزية ، وعن طريق ممثلها فى القاهرة (« يوجين ترون ») – ومنه إلى مجلس الأمن القومى الأمريكى (« هنرى كيسنجر ») .

وكان من الواضح أن « كيسنجر » قد أقنع الرئيس « نيكسون » بما يوافق رأيه وهواه !

وقد دخل « كيسنجر » إلى المكتب البيضاوى أثناء اللقاء ، ثم خرج على موعد آخر مع السيد « حافظ اسماعيل » خارج البيت الأبيض وبعيدا عن أضوائه .

كان موعد الاثنين المحدد هو : يومى ٢٥ و ٢٦ فبراير ١٩٧٣ فى مزرعة « دونالد كندال » فى ولاية كونيتيكت الأمريكية . وكانت اجتماعاتهما من أغرب اللقاءات فى السجلات الدبلوماسية المصرية . فقد كانت عرضا للقوة قام به « هنرى كيسنجر » . وقد اتخذ فيها – كما يفعل أحيانا – أسلوب الأستاذ ، فراح يشرح طريقته فى العمل ويهيىء سامعيه لمنطقه ، ويستدرجهم إلى قبول منطلقاته بما فى ذلك تحديده لمعانى الكلمات – لكى يسحبهم ، وإن لم يدركوا ، إلى أرضيته ، ولكى يبهرهم بإظهار مدى علمه وقوته ، وبحجم قدراته وسلطاته .

وطبقا لمحضر الجلسة الأولى فى هذا الاجتماع ، فقد بدأ « كيسنجر » على النحو التالى طبقا لنص المحضر بالحرف :(٦)

« كيسنجر » (رأى أن يبدأ بشرح أسلوبه فى العمل) فقال :

١ – إن ما تعرضت له المفاوضات السابقة بشأن الشرق الأوسط من صعوبات يرجع إلى أنها كانت تأخذ شكل مناقشات « باهرة » – علنية ، فتغلبت النظريات على الاستراتيجية العملية ، فلم يحدث تقدم .

٢ – إن البيت الأبيض سبق له فى حالات سابقة ذات أولوية التدخل مباشرة . (ذكر الاتحاد السوفيتى – الصين – فيتنام – مع فرنسا أثناء أزمة النقد فى عام ١٩٧١) . ولكن تدخل البيت الأبيض يستلزم انضباطا كبيرا وسرية تامة لأن النشر قد يحقق ضربة دعائية ، ولكنه يهزم الغرض الأساسى ويتيح الفرصة لضغوط مختلفة .

٣ – إن بدء أمريكا هذا الحوار على هذا المستوى لا معنى له إلا استعدادها لتحقيق التقدم ، ولو كان الهدف تضييع الوقت فهناك أجهزة أخرى أقدر على هذا .

٤ – إنه فى تناوله للمسائل لا يعد إلا بما ينفذه . وقد يستغرق ذلك وقتا طويلا ، ولكنه يفى دائما أو يبذل جهدا كبيرا للوفاء بما يعد به . وهو لا يلقى فى الحوار بمسائل نظرية إلا إذا عرف

---

(٦) إننى أستعين بنصوص المحاضر كثيرا فى هذا الفصل لأهميتها القصوى فى مسار الحوادث فيما بعد ، ثم لأنها تشرح الكثير مما ترتب عليها من نتائج بعيدة الأثر – بنصوصها وبألفاظها . وتوجد صورة لملف التقرير فى ملحق صور الوثائق تحت رقم (٤٢) ـ على صفحة (٧٨٠) من الكتاب ـ كذلك توجد صورة للصفحة الأولى من التقرير نفسه ، وهى تحت رقم (٤٣) ـ على صفحة (٧٨٠) من الكتاب .

تماما : ما هو المطلوب تحقيقه ؟ وما هو الممكن عمله ؟ ونقطة الوصول ؟ لأنه بغير ذلك يضيع الوقت وينشأ عدم الثقة فتسوء العلاقات .

٥ - ليس لديه شيء محدد يقدمه ، ويعتقد أن مصر لم تكن تتوقع ذلك . ولكن الغرض هو تبادل الآراء ، مع الأخذ فى الاعتبار أنه لولا الرغبة فى إجراء عملية استكشاف جادة للغاية فى محاولة للقضاء على الجمود log jam لما طلبوا من المستشار الحضور .

٦ - ولهذا فهو يقترح خلال اليومين القادمين تبادل للآراء بصراحة تامة ، ثم يكون الطرفان بعد ذلك على استعداد للقاء آخر يتفق عليه .

٧ - رغم انشغاله فى الفترة الأخيرة فى مسائل كثيرة فإنه رأى عدم تأجيل اللقاء حتى يكون لديهم معرفة عامة للموقف المصرى عندما تأتى (جولدا) مائير إلى واشنطن .

٨ - ومهما يكن فليس معنى اتباع الطريق الخاص (أى الاتصال مباشرة بالبيت الأبيض - أى كيسنجر) - تحقيق نتائج سريعة وتقدم عاجل ، فأمامنا السوابق :

□ الصين (يقصد مفاوضاته مع الصين قبل أن تتحقق أى نتائج) : ١٨ شهرا .

□ فيتنام : ٣ سنوات ونصف ، وحدث تقدم سريع بعد موافقة الطرف الآخر على فصل المسائل العسكرية عن المسائل السياسية .

□ برلين : ٦ أشهر بعد أن فهم الروس أسلوب العمل « على مستويين » (يقصد مستوى وزارة الخارجية فى الظاهر ، والبيت الأبيض أو هو شخصيا فى الباطن) - وهو ما كانوا من قبل يتشككون فيه ويعتبرونه خدعة .

□ سولت (تحديد الأسلحة الاستراتيجية) : سنة . »

□

بعد هذا العرض بدأ الطرف المصرى فى طرح وجهات نظره بمقدمة تاريخية للمشكلة ، وبإبداء رغبة مصر فى السلام ، وبطلب مصر أن تشارك أمريكا عمليا فى دفع الأمور . ثم تطرق إلى تصور مصرى للحل على مراحل تكون متوازية ومرتبطة تحقق فك ارتباط على جبهة العرب - إسرائيل ، بما يؤدى منطقيا إلى حل للمشكلة الفلسطينية التى هى أساس الأزمة . ويكون أساس الحل هو قرارات الأمم المتحدة مع ضرورة أن تكون الدول الكبرى والأمم المتحدة طرفا لإيجاد تسوية - هذا مع إمكان وضرورة تحقيق جزء جوهرى من الحل خلال العام الحالى .

وبدأ « هنرى كيسنجر » الخطوة الأولى فى مناورته فاتجه مباشرة إلى الاتحاد السوفيتى - وقال موجها كلامه إلى الجانب المصرى :

« • قلتم إن التسوية مسئولية الدول الكبرى - الأمم المتحدة - الأطراف .

• بالنسبة للاتحاد السوفيتى نعترف أن له مصالح كبرى major ، ولا نطلب من الدول أن تختار بيلنا وبينه ، بل مصالحنا أساسا أن تتخذ الدول سياسة مستقلة self reliant .

• ولكن من الناحية العملية أشار السوفيت إلى رغبتهم فى مناقشات عن الشرق الأوسط . وإذا تحدثت أمريكا مع مصر من ناحية ، ومع السوفيت من ناحية أخرى ، فكيف يمكن منع فوضى شاملة total chaos ؟

● أمريكا لا تريد خداع أحد ، ولكن يجب الاتفاق على ما يقال للسوفيت حتى نبقى in step (حتى تتسق الخطى) وحتى لا نجد أنفسنا فى موقف « ثلاثى الأركان » يخلق confusion (تضارب) .

● ماذا لو أراد الروس الحديث ثنائيا مع أمريكا ؟ ما هو الموقف الأمريكى الصحيح ؟ كيف يمكن المحافظة على التنسيق بين الأمور كلها ؟ keep things in phase .

● قد يمكن التفكير فى اطلاع السوفيت على كل شىء ، وفى هذه الحالة تصبح المفاوضات ثلاثية تقريبا . وهنا يصعب تفسير إبقاء إسرائيل خارجها . »

وحاول الجانب المصرى أن يشرح مفهومه للتسوية . واستخلص منه « كيسنجر » ما أراد ، ولخصه على النحو التالى :

« ملخص ما سمعته منكم إذن أن هناك تسويتين أساسيتين مطلوبتين ، الأولى بين جميع الدول العربية وإسرائيل ، بما فى ذلك المشاكل العسكرية الناجمة عن ١٩٦٧ والانسحاب وضمانات السلام .

أما التسوية الثانية فهى بين الفلسطينيين والإسرائيليين » .

ثم سأل « كيسنجر » (وقد وصل إلى النقطة الثانية من مناورته) :

« من الذى يتكلم باسم الفلسطينيين مع إسرائيل ؟ هل هو الملك حسين ؟ هل تعتبر مصر أن ما قد يصل إليه من حل فى هذا الشأن هو حل مقبول ؟ »

ورد السيد « حافظ اسماعيل » على هذا السؤال الأخير قائلا :

« لن نضع عراقيل أمامه » .

وعاد « كيسنجر » يلخص ما فهمه :

« ١ - هناك إذن عنصران :

السلام فى الشرق الأوسط : مشكلة دولية .

ثم السلام فى المملكة الهاشمية ، وهذه مشكلة أرجو ألا تكون دولية .

٢ - وإذا كنت أفهم ما سمعته ، فإن التسوية بين مصر وإسرائيل ستحقق تقدما نحو السلام ، ولن تكون حلا نهائيا إلى أن تحل مشكلة الفلسطينيين » .

وحاول السيد « حافظ اسماعيل » تقديم ملاحظة على ما قاله « كيسنجر » فتدخل قائلا :

« إن هناك عنصرا من مشكلة الفلسطينيين - هو اللاجئون - مضى عليه خمس وعشرون عاما ، وصدرت قرارات من الأمم المتحدة ، ولم يجادل أحد فى حقهم فى تقرير العودة أو التعويض . هذا مبدأ وافق عليه الجميع » .

وراح « كيسنجر » يستعيد زمام الأمور فى يده قائلا :

« ١ - أفهم هذا ... أنا أحاول أن أتصور شكل حل جزئى ... إذا أمكن أن نقول : اتفاق يخلق حالة سلام .

٢ - إن قرار ٢٤٢ - عندما قرأته اعتقدت أنه نكتة . جمل منسقة لا أرى لها - شخصيا - جانبا تنفيذيا operational ، وبعد ذلك اعتدت على القرار حتى أنى لا أكاد أجد لجمله معنى . والمهم أن نخرج من الجمل العامة إلى معان محددة . إن القرار صدر لأن كل طرف كان يعرف أنه يستطيع تفسيره وفق رغبته . ولب المشكلة هو الاختلاف فى معنى « الحدود الآمنة » .

٣ - التسوية ستخلق سلاما . أو فلنقل إنها ستخلق شيئا بين « وقف إطلاق النار » وبين « السلام » . وهذا الشيء يتطور نتيجة مفاوضات أخرى ، ولكن ذلك قد يجعل كل طرف يحاول الحصول على أكبر قدر من الأوراق الرابحة assets استعدادا للمفاوضات القادمة .

٤ - لقد قلت إن (الملك) حسين يتمتع بالثقة ، أو على الأقل إنكم لن تحولوا دون إقدامه على حل المسألة الفلسطينية . فمن الذى يتولى غزة ؟ .. واللاجئين ؟ »

ورد السيد « حافظ اسماعيل » بسرعة قائلا : « **غزة تتولاها مصر ، واللاجئون مشكلة عامة .** »

وتدخل الدكتور « حافظ غانم » فى المناقشة عند هذه النقطة ، وقدم تصورا للتسوية (ومن الواضح أنه كان قد ناقشه مع الرئيس « السادات ») - قائلا[٧] :

« ١ - نتصور أن التسوية السياسية النهائية ستتضمن حل المشاكل الأساسية : السيادة - الحدود - سوريا - الأردن - مصر - الفلسطينيين (يقصد اللاجئين) - المشكلة الفلسطينية .

٢ - توضع مبادىء عامة عن كيفية إمكان تحقيق ذلك . ثم التنفيذ على مراحل .

٣ - وعندما نحاول تصور الإجراءات فإنه يمكن :

- إما تسوية سلمية مصرية - إسرائيلية كنقطة بداية .
- أو الاثنين معا : مصر - إسرائيل ، الأردن - إسرائيل كنقطة بداية لتسوية سياسية .

ويجب أن تتلو ذلك خطوات أخرى بالنسبة لسوريا والفلسطينيين .

٤ - إن السيد حافظ اسماعيل لا يتحدث باسم السوريين ، ولكننا نأمل أن يوافقوا على مثل هذا النموذج الذى نتفاوض عليه .

٥ - كما أنه لا يتحدث نيابة عن الفلسطينيين ، إذ يجب تحقيق حقهم فى تقرير المصير .

٦ - يجب البدء بمبادىء عامة خاصة بتسوية شاملة . فلا يمكن أن نعيش فى هدنة جزئية .

---

(٧) إن معظم الأفكار التى ذهب بها المبعوثون المصريون إلى واشنطن كانت متجاوزة لكثير من الخطوط المقررة من الناحية الاستراتيجية - بل إنه من الناحية التاكتيكية - وعلى فرض أن هذه الخطوط تقررت بعد دراسة جديدة - وهو ما لم يكن حدث على حد علمى - فإن التوقيت الذى قدمت فيه لم يكن ملائما . وفى الفترة التى سافر فيها مبعوثو الرئيس إلى واشنطن ، فقد كانت علاقاتى به فى حالة شد وجذب بسبب بيان الأدباء والكتاب ، وما ترتب عليه وما لحقه من ظروف سفرى إلى الصين . وحين عدت ، ثم بعد أن جرت تسوية العلاقات مع الرئيس « السادات » - تفضل الرئيس فأرسل إلىّ نسخة من محاضر المحادثات مع « هنرى كيسنجر » طالبا رأيى فيها - ولم أبد رأيا فى أسلوب التفاوض ، وإنما رددت نفسى عنه من محظور أننى وقد اعتذرت سابقا عن التفاوض مع « كيسنجر » لا يحق لى أن أبدى ملاحظة على الأسلوب الذى اختاره الذين قاموا بالمهمة . ولكن ملاحظاتى للرئيس « السادات » انصبت على فداحة الشروط التى عرضها الجانب المصرى .

ولست أريد أن أستطرد كثيرا فى تفاصيل ما قلته للرئيس « السادات » وما قاله هو ، فذلك فى مثل هذه الظروف يعتبر تزيدا .

يجب أن نبدأ آخذين فى الاعتبار أن يصبح الشرق الأوسط فى سلام . ولا يمكن أن يتحقق هذا إلا إذا قررنا أن نتخلص من الأسباب الأساسية للنزاع .

٧ - من ناحيتنا نرى أن بدء التسوية المصرية فى إطار تسوية كاملة مهم جدا . ونحن لا نعارض فى أن يبدأ حسين تسويته .. معنا أو قبل أن نصل إلى تسوية مصرية .

٨ - ونحن مستعدون لمناقشة التسوية المصرية . وهناك مسائل أساسية : سيادة مصر ، وأمن إسرائيل . ولا توجد مشاكل أخرى . ادعاءات إسرائيل عن الأمن مبالغ فيها . ويجب التوفيق بين الاثنين .

٩ - وإلى أن تتم تسوية مصرية نضع مبادىء أساسية توضح أننا سنتقدم نحو حل كامل ، ثم نبدأ تسوية السلام المصرى - الإسرائيلى على مراحل أيضا . ونأمل تحقيق تقدم لأننا لا نرى مشاكل جوهرية حقيقية ، إذا كانت المشكلة هى فى حق الإسرائيليين أن يعيشوا فى سلام ... وهذه ليست مشكلة » .

□

وبدأ « هنرى كيسنجر » يمارس دور الأستاذ بطريقة حازمة ، فقال :

« **ما هى نتيجة المناقشات ؟ ... إذا قلنا بالتوفيق بين سيادة مصر وأمن إسرائيل ، فما هو بخلاف الانسحاب شكل العلاقات ؟** »

ورد السيد « حافظ اسماعيل » :

« **التزام إسرائيل بالانسحاب من أراضى مصر يقترن به التزامات سلام نحو إسرائيل .** »

ورد « هنرى كيسنجر » :

« **هل ممكن - وهذا كلام سيبقى بيننا .. لن ننقل للغير إلا ما نتفق عليه .. هل يمكن أن تعطونى أمثلة لشكل العلاقات ؟** »

ورد السيد « حافظ اسماعيل » :

« **إنهاء حالة الحرب ...** »

واعترض « كيسنجر » :

« **أحاول أن أفهم ما معنى سلام كامل ؟** »

ورد السيد « حافظ اسماعيل » :

« **تبادل السفراء مثلا أو اتفاق تجارة هذا أمر مستبعد فى البداية ...** »

وقال « كيسنجر » :

« **حدثنى عما هو غير مستبعد ؟ إننا فى وقت ما سنتحدث مع الإسرائيليين ، سيستفسرون عن معنى ذلك ؟** »

وقال السيد « حافظ اسماعيل » :

« **إنهاء حالة الحرب - عدم التدخل فى الشئون الداخلية لاعتبارات سياسية**

أو اقتصادية – حرية المرور فى الممرات المائية – محاولة من مصر بالنسبة لنشاط الأفراد والمنظمات الموجهة ضد إسرائيل – ليس هذا التزام كامل لأنه شىء لا يمكن السيطرة عليه – إجراءات أمن ذات طابع دولى – مناطق منزوعة السلاح – مراقبين – ربما قوة دولية فى نقطة أو اثنتين » .

وتدخل الدكتور « حافظ غانم » مرة أخرى فى المناقشة قائلا :

« ليس هذا كل ما نريده ... نريد التطبيع . »

وقاطعه السيد « حافظ اسماعيل » قائلا :

« سيمر وقت طويل قبل أن تأتى مسز مائير لمصر لتشترى ما تريد »(٨)

وعقب « كيسنجر » قائلا :

« أعتقد أن هذه نظرة واقعية ، ولو قلتم لى العكس لما صدقتكم . ولكن السؤال الذى ستوجهه إسرائيل هو : لنفرض أننا فعلنا ذلك فكيف ستختلف العلاقات عما كانت عليه سنة ١٩٦٦ ... كانت هناك هدنة أنهت حالة الحرب ، ثم وقعت الحرب » .

وقال السيد « حافظ اسماعيل » :

« الفرق هو : المرور فى القناة – عدم التدخل ... ومعناه وقف المقاطعة الاقتصادية ليس بالنسبة لإسرائيل فقط بل بالنسبة للأطراف الثالثة أيضا (يقصد الشركات الأجنبية التى تتعامل مع إسرائيل ووضعها فى قوائم سوداء) ... وحاليا نحن نضع فى الاتفاقات الدولية تحفظا بالنسبة لإسرائيل سوف ينتهى » .

وعاد « كيسنجر » يضغط :

« هل يعنى هذا أن تعترفوا بوجود إسرائيل ؟ »

ومرة أخرى تدخل الدكتور « حافظ غانم » قائلا :

« لقد وافقنا على قرار ٢٤٢ (تلا نص القرار) » .

وقال « كيسنجر » :

« إننى قرأت نصه أكثر من مرة ، لكنكم لم توافقوا على وجود إسرائيل كدولة . وبالتالى فقد لا ينطبق الالتزام الوارد فى القرار ٢٤٢ عليها فى رأيكم . وبصراحة فإن عبقرية القرار ومصيبته أنه يحوى على القدر الكافى من الغموض بحيث يرى كل طرف فيه ما يريد . أفهم تماما أن قبول دولة ما أو عدم قبولها وجود دولة أخرى مسألة نفسية وقانونية وسياسية .

---

(٨) كانت تلك إشارة إلى حديث لـ « جولدا مائير » رئيسة وزراء إسرائيل قالت فيه إنها لن تعتبر أن السلام تحقق إلا إذا كان فى وسعها أن تذهب بطريقة طبيعية إلى سوق « خان الخليلى » وتشترى ما تشاء .

ولكنى أسأل : لنفرض أنه يمكن التوفيق بين السيادة والأمن ، فإن نتيجة ذلك هى : إنهاء حالة الحرب ، حرية المرور فى الممرات المائية ، عدم التدخل ، التزام بالعمل فى اتجاه تطبيع العلاقات – فهل يشمل إقراركم بقرار مجلس الأمن ووفق تعبيره – اعترافكم بإسرائيل ككيان سياسى فى الشرق الأوسط ؟ »

□

وربما أحس « كيسنجر » أنه ألح فى أسئلته ، فأضاف :

« أرجو ألا تسيئوا فهم أسئلتى . إنى أحاول أن أكون واضحا . كان البحث عن صيغ عامة ، ومن المصلحة أن نعرف مقدما أين سنذهب . »

ثم اقترح « كيسنجر » استراحة لفنجان قهوة .

وعندما التأم عقد الاجتماع مرة ثانية – كان « كيسنجر » يضغط منذ اللحظة الأولى . وقد بدأ فقال :

« ١ – إننى لم أتناول دبلوماسية الشرق الأوسط بعمق من قبل . فقد كنت أرى أنها لا يمكن أن تؤدى لشىء ... وشعورى أن المشكلة الأساسية هى العلاقة بين السيادة والأمن .

٢ – من ناحية الأمن المادى فالموقف الحالى أكثر اتفاقا مع رغبات إسرائيل . وأى تغيير فى اتجاه ما يطلبه العرب – الانسحاب وترك الأراضى – يقلل أمن إسرائيل عسكريا . إذ ليس هناك عسكريا خطوط أفضل من قناة السويس ونهر الأردن .

٣ – ويمكن إن نقول أن الأمن المادى ليس هو كل شىء ، لأن المهم أن تعيش كل دولة فى سلام مع جيرانها وتحقق نوعا من التوازن بين الأمن المادى والاعتبارات المعنوية moral . والتاريخ يوضح أمامنا أنه إذا أرادت دولة ما تحقيق أمنها المطلق – فإن جيرانها يصبحون غير آمنين .

٤ – لكن يجب أن نكون قادرين على أن نقول لإسرائيل إنه فى مقابل تنازلها عن الأمن المادى – الأراضى – فإنها ستحصل على شىء مادى ليس فقط الأمن غير المحسوس .

٥ – ولذلك أسألكم عن معنى إنهاء حالة الحرب ؟ »

ورد السيد « حافظ اسماعيل » قائلا :

« هذه مسألة يمكن أن يناقشها العسكريون » .

وقاطعه « كيسنجر » قائلا :

« لا . عسكريا لا ينفع . هذا شىء لا يناقشه العسكريون . ليس فى اختصاصهم . وإذا تركناه لهم لن يتحقق شىء ، لأن العسكريين لا يؤمنون بترك الأمن المادى . العسكريون فى إسرائيل ضد الانسحاب دائما . »

وقال السيد « حافظ اسماعيل » :

« لديكم نفوذ . ويجب أن تباشر أمريكا نفوذها بأشكال عديدة . لا أعرف كيف تفعل ذلك ، ولكنك تعرف أكثر منى . »

وقاطعه « كيسنجر » مرة أخرى قائلا :

« مشكلتى أننى أتعامل مع أناس يعتقدون دائما أن نفوذنا أكبر مما هو فى حقيقته . »

ثم توجه « كيسنجر » إلى محدثيه بسؤال مفاجىء سأل فيه :

« ما هو هدف الكلام بيننا وبينكم ؟ »

ورد « حافظ اسماعيل » :

« نبحث عما يتفق مع احتياجات المرحلة ، وإذا اقتنعتم فقد تكونون advocates (دعاة) لما اقتنعتم به . وهناك طريقة أخرى ، تستمعون إلينا ثم تسألوننا فنجيب ، ثم تضعون هذا جانبا وتستمعون لإسرائيل . ويمكنكم بعد ذلك أن تخرجوا بشىء يمكن أن يوفق بطريقة معقولة بين الرأيين . وتعملون مشروعا بالقلم الرصاص » .

ويتساءل « كيسنجر » :

« نوع من الوساطة intermediary . »

ويقول « حافظ اسماعيل » :

« إنكم تحدثتم كثيرا عن أنكم تحاولون أن تكونوا go-between (رسول بين طرفين) . »

ويرد « كيسنجر » :

« وساطة أو رسول بين طرفين وما شابهه كلام فارغ . أنتم لستم فى حاجة إلينا لنقل الكلام . إننى أستبعد دور ساعى البريد ، فهذا كلام أطفال . إنكم لستم فى حاجة إلينا كسعاة بريد . من وجهة نظركم فإنكم تتوقعون منا - إذا استطعنا - أن ندعو إلى حل معين تكون نتيجته حدوث تغيير جوهرى فى المواقف الإسرائيلية الثابتة ... هل نستطيع أن نأتى بهذا التغيير ؟ إنى أقول لكم إن قدرتنا على الإقناع ... بل حتى رغبتنا بالدعوة بقوة لهذا الحل - تتوقف على القدر الذى نستطيع الإشارة فيه إلى تغييرات ملموسة فى المواقف العربية أو المصرية . »

□

كانت تلك هى الصورة التى ترسمها نصوص المحاضر لوقائع الجلسة الأولى صباح يوم ٢٥ فبراير ١٩٧٣ . ودارت المناقشات بنفس الطريقة فى الجلسة الثانية وقد امتدت على فترتين ، بدأت الأولى فى الساعة ١٠,٢٥ ، ثم توقفت لاستراحة غداء عاد المجتمعون بعدها إلى لقاء ثالث بعد ظهر نفس اليوم .

وفى طريق عودته من واشنطن مر السيد « حافظ اسماعيل » على بون ، والتقى هناك بالمستشار الألمانى « ويلى برانت » الذى أبلغه بأن ألمانيا الغربية تحاول أن تساعد فى أزمة الشرق الأوسط بمنطق حياد بناء ، وبدون أية أوزار من الماضى (مشيرا بطريق غير مباشر إلى ماضى العلاقات الألمانية - اليهودية أثناء حكم النازى) . وأنه شرح موقف ألمانيا تفصيلا فى مقابلتين أجراهما أخيرا مع « محمد حسنين هيكل »(*) . ثم أوضح « برانت » أن الدور الألمانى فى التأثير على الأزمة محدود ، وكذلك الدور الأوروبى كله - وأنه يعرف على أى حال أن الأمريكان والسوفيت لديهما شبه تصور مشترك لما يمكن أن تكون عليه وسائل وأهداف تسوية الأزمة .

وفى القاهرة استمع الرئيس « السادات » إلى تقارير مبعوثيه إلى « كيسنجر » - شفويا . ثم قرأ تقاريرهم - تحريريا . وقد أحس أخيرا بأنه أمام لحظة الحقيقة . فحتى هذه اللحظة كان لا يزال يعلق آماله على البيت الأبيض و« هنرى كيسنجر » . وقد تحقق له ما أراد . لكن « كيسنجر » لم يفتح بابا ولا نافذة ، ولا حتى ثقب إبرة ، رغم كل ما أبداه رسله إليه من مرونة .

٣

ويمكن القول على وجه القطع بأن ربيع سنة ١٩٧٣ ، وبالتحديد مع نهاية شهر مارس من هذه السنة كان نهاية طريق - فقد بدأ الرئيس « السادات » يدرك أنه لا خلاص عن طريق الحل ، وأنه لم يعد هناك مناص من طريق الحرب ، بل لعل الحرب هى الطريق إلى الحل .

وقد بدأ يرتب نفسه على هذا الأساس .

□

كانت وزارة الدكتور « عزيز صدقى » قد أتمت برنامجا واسعا هدفه إعداد الدولة للحرب - لكن الرئيس « السادات » رأى ضرورة إجراء تغيير وزارى يعطيه ما وصفه بنفسه بأنه « وزارة حرب » . وكانت الضرورات تقتضى فى حالة بدء العمليات أن تتم كل إجراءات الجهاز التنفيذى للدولة بمقتضى ضرورات حالة التعبئة العامة ، وضمنها أن يكون رئيس الوزراء هو الحاكم العسكرى .

وعلى نحو ما فإن تفكيره اتجه إلى تكليف مستشاره للأمن القومى السيد « حافظ اسماعيل » برئاسة الوزارة . وقد فاتحه فعلا فى ذلك ، وطلب إليه أن يبدأ فى عملية اتصالات هادئة مع من

(*) النص كما جاء فى المحضر الذى كتبه السيد « حافظ اسماعيل » .

يرغب فى إشراكهم معه فى المسئولية الوزارية ضمن وزارة الحرب . وبالفعل فإن السيد « حافظ اسماعيل » اتصل بستة عشر مرشحا من الذين اختارهم للعمل معه .

وفى الساعة العاشرة صباحا من اليوم الذى كان مقررا فيه صدور التكليف الرسمى إلى السيد « حافظ اسماعيل » بتشكيل الوزارة ، تصادف أن ذهب الفريق أول « أحمد اسماعيل » إلى مقابلة مع الرئيس « السادات » الذى كان يومها يقيم فى استراحة الرئاسة بالقناطر . وتوجه الفريق أول « أحمد اسماعيل » بسؤال مباشر إلى رئيس الجمهورية يقول فيه إنه سمع خبرا من مصدر موثوق عن تكليف السيد « حافظ اسماعيل » برئاسة الوزارة .

وصدق الرئيس « السادات » على الخبر ، وعبر الفريق أول « أحمد اسماعيل » عن عدم اقتناعه بهذا الاختيار فى هذه الظروف .

كان الموعد التالى للرئيس « السادات » فى الساعة الحادية عشرة مع « محمد حسنين هيكل » . وقد تحدث إليه الرئيس فيما جرى فى الصباح بما فى ذلك ملاحظات الفريق أول « أحمد اسماعيل » على اختيار السيد « حافظ اسماعيل » رئيسا للوزراء ، وسأله رأيه . ولم يكن الموقف يحتمل شيئا غير الصراحة الكاملة . وأبدى « محمد حسنين هيكل » رأيا مفاده أنه « يقدر السيد « حافظ اسماعيل » ويحترم نزاهته . وربما يتذكر الرئيس « السادات » أنه هو (« هيكل ») الذى رشح له السيد « حافظ اسماعيل » - على غير معرفة شخصية وثيقة به - ليكون مستشاره للأمن القومى . وكان ذلك على أساس سعة وتنوع تجاربه السابقة كرئيس لهيئة أركان حرب الجيش المصرى ، ورئيس للمخابرات ، وسفير سابق - وكلها تجعله مهيأ بالكامل لشغل منصب مستشار الرئيس للأمن القومى - لكن رئاسة الوزارة مسألة مختلفة تماما خصوصا فى ظرف الحرب . »

وسأله الرئيس « السادات » : « إذن ، فإن رأيك متفق مع رأى أحمد اسماعيل » . ثم أضاف : « والمشكلة هى أن حافظ اسماعيل هو الزائر القادم بعدك لأكلفه رسميا بالوزارة » .

ورد « محمد حسنين هيكل » : « إذن ، فإن الوقت قد فات » .

وبدت القدرة على الحركة السريعة للرئيس « السادات » بطريقة مكثفة حين قال فى لحظة واحدة : « لا ، أبدا لم يفت . ولكنى يجب أن أجد سببا لتغيير رأيى » . وفى دقيقة أخرى كان بنفسه قد وجد السبب ، وهو « أن يتولى هو شخصيا وبوصفه رئيسا للجمهورية رئاسة الوزارة توحيدا للمسئولية ، وهذا أصلح الأوضاع فى حالة الحرب » . وكان تعقيب « هيكل » : « إنه بالفعل سبب وجيه ، ثم إنه الأكثر ملاءمة للحفاظ على مشاعر السيد « حافظ اسماعيل » . فاختيار مرشح غيره لرئاسة الوزارة قد يجرح مشاعره فى هذه اللحظة التى توقع فيها أن يتلقى التكليف . لكنه حين يكون قرار رئيس الجمهورية هو أن يتولى بنفسه رئاسة الوزارة لتوحيد سلطة القرار السياسى والتنفيذى - إذن فإن كل الأمور فى نصابها ، وبما يراعى الظروف العامة للبلاد والظروف الخاصة لكبار المسئولين فيها . » ثم كان هناك سؤال « عن الطريقة التى سيخبر بها السيد « حافظ اسماعيل » بما توصل إليه من قرار ؟ » ورد الرئيس « السادات » قائلا : « سوف أقولها له « خبط لزق »

(مباشرة) . سأقول له إن دورك لرئاسة الوزارة ليس فى هذه المرحلة . ولست أريد أن أظلمك فيها ، ولذلك فلقد رأيت أن أتحمل كامل المسئولية بنفسى »(٩) .

والتقى « محمد حسنين هيكل » والسيد « حافظ اسماعيل » فى مكتب سكرتارية الرئيس « السادات » – أحدهما خارج بعد انتهاء مقابلته ، والآخر داخل لمفاجأة لم يكن ينتظرها .

لكن الحقيقة الأكبر فى الموقف أن هناك ضرورات حرب بدأت تفرض متطلباتها على الجميع .

□

كانت الاتصالات بين القاهرة ودمشق على المستوى العسكرى قد أخذت بزيارة الفريق أول « أحمد اسماعيل على » لسوريا قوة حركة ذاتية . وساعدتها علاقات ثقة كانت وطيدة فى ذلك الوقت بين الرئيس « أنور السادات » والرئيس « حافظ الأسد » . وتوالت اجتماعات التنسيق لعمل عسكرى مشترك على الجبهة الغربية من مصر ، وعلى الجبهة الشرقية من سوريا . وتوصلت الاجتماعات إلى اختيار موعدين لبدء العمليات : موعد يقع فى الأسبوع الأخير من مايو ١٩٧٣ – وموعد آخر يقع فى الأسبوع الأول من شهر أكتوبر من نفس السنة .

واستعدادا للقرار السياسى الذى يصدر عن الرئيسين فإن القيادة العسكرية فى البلدين راحت تستعد برفع درجة الإنذار إلى حالة العمليات ابتداء من أوائل شهر مايو .

وحتى منتصف شهر مايو ، لم يكن الأمر الإنذارى بالاستعداد لبدء العمليات قد صدر عن الرئيسين . ومع ذلك فإن معلومات عن رفع درجة الاستعداد فى القوات المسلحة المصرية والسورية وصلت إلى إسرائيل التى بادرت بإعلان حالة التعبئة الجزئية فى ١٤ مايو ١٩٧٣ .

ولفتت هذه التحركات كلها نظر الملك « فيصل » ملك المملكة العربية السعودية . وبادر بإرسال ممثل شخصى له ، هو السيد « كمال أدهم » (المستشار الخاص للملك ومدير المخابرات السعودية) الذى وصل بسرعة إلى القاهرة والتقى بالرئيس « السادات » . وسأله مباشرة عما إذا كان صحيحا ما يشاع من أن مصر وسوريا على وشك دخول الحرب . ورد الرئيس « السادات » بما يفهم منه أنه لم يعد من ذلك مفر . والح عليه السيد « كمال أدهم » فى ضرورة أن تكون مصر مستعدة بالمواد التموينية لحالة حرب قد تطول ، وما إذا كانت هناك أية تسهيلات أو اتصالات ترغب مصر فى تحمل المملكة العربية السعودية بها . كما أشار إلى احتياج مصر لقاذفة قنابل تتولى مسئولية الردع ، قائلا « إنه يعرف من متابعة التطورات أن تلك هى المشكلة التى قد تؤثر على جهد القوات المسلحة المصرية » .

---

(٩) فى ظروف الحرب فعلا كان الدكتور « عبد القادر حاتم » نائب رئيس الوزراء ينوب عن الرئيس « السادات » فى مسئوليات رئيس الوزراء .

وبالفعل فقد كانت هناك طلبات ورغبة فى تسهيلات – كذلك بدا أن فكرة حصول مصر على طائرة ردع قضية تستحق جهدا إضافيا حتى وإن جاء فى آخر لحظة . واقترح السيد « كمال أدهم » على الرئيس « السادات » أن يكتب للملك « فيصل » بما يشاء . وبالفعل كتب الرئيس « السادات » إلى الملك « فيصل » خطابا شخصيا كان نصه كما يلى :

« الأخ صاحب الجلالة الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود

ملك المملكة العربية السعودية

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،

أبعث لجلالتكم بأطيب الأمانى بالصحة والسعادة ، ويطيب لى أن أبلغ جلالتكم بأنى قد قابلت السيد كمال أدهم اليوم وأطلعته على الموقف التموينى بالبلاد .. وأعتقد أننا فى حاجة إلى مبلغ خمسة وعشرين مليون جنيه أسترلينى كوديعة بالبنك المركزى المصرى - بالشروط العالمية ولمدة سنتين - لمواجهة الظروف التى طرأت ، وذلك فى أقرب فرصة ممكنة .

ولم يكن بودى أن أزعج جلالتكم خلال هذه الفترة التى تستجمون فيها ، إلا أن الظروف هى التى أملت ذلك .

وبالنسبة لموضوع الطائرات القاذفة المقاتلة فقد شرحت الوضع للسيد كمال أدهم الذى سيقوم بعرضه على جلالتكم .

وتقبلوا جلالتكم أخلص مودتى مع أصدق تمنياتى بوافر الصحة والتوفيق .

القاهرة فى ١٧ ربيع الآخر سنة ١٣٩٣

٢٠ مايـو سنة ١٩٧٣

(إمضـاء)

محمد أنور السادات »

□

ورد الملك « فيصل » على الفور بخطاب مكتوب آخر حمله السيد « كمال أدهم » شرح فيه تقدير المملكة للرئيس « السادات » وللدور الذى تقوم به مصر ، كما عرض أن ترسل السعودية ما لديها من طائرات « لايتننج » البريطانية إذا كان يمكن أن تكون لها فائدة فى المعركة . وكان نص خطاب الملك « فيصل » كما يلى :(*)

« فخامة الأخ الرئيس محمد أنور السادات

رئيس جمهورية مصر العربية

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد ،

فقد استلمت كتاب فخامتكم المؤرخ فى ١٧ ربيع الآخر سنة ١٣٩٣ الذى حمله إلىَّ الأخ كمال

(*) صورة من خطاب الملك « فيصل » موجودة فى ملحق صور الوثائق تحت رقم (٤٤) - على صفحة (٧٨١) من الكتاب .

أدهم ، وإنى إذ أشكركم على خالص ودكم وجميل مشاعركم أرجو من الله العلى القدير أن يمنّ على الأمة العربية بنصره وتأييده ، وأن يلهم قادتها طريق الحق والصواب .

ولا شك بأن فخامتكم واثق كل الوثوق بأن المملكة العربية السعودية لن تدخر وسعا فى دعم جمهورية مصر العربية تحت قيادة فخامتكم ، وستقف إلى جانب شقيقاتها العربيات بكافة إمكاناتها .

هذا ولقد أوضح لنا الأخ كمال مرئياتكم فى جميع الأمور ، وأوضحنا له وجهة نظرنا حيالها لنقلها لفخامتكم .

متمنيا لفخامتكم الصحة والتوفيق والله يحفظكم .

أخوكم

٢١ ربيع الآخر سنة ١٣٩٣ (إمضاء)

موافق ٢٤ مايو سنة ١٩٧٣ فيصل »

□

والتقى السيد « كمال أدهم » بالرئيس « السادات » يوم ٢٥ مايو ، ثم توجه لمقابلة « محمد حسنين هيكل » مساء نفس اليوم لحديث طويل عن الاحتمالات والخيارات المفتوحة . وكان بين ما قاله السيد « كمال أدهم » فى هذا اللقاء :

« ١ - إنه لم يكن يصدق أن ميعاد المعركة قد تحدد فى هذا التوقيت السريع .

٢ - إنه رجا الرئيس السادات ألا يخفى شيئا عن الملك فيصل ، وأن يقدم إليه كل ما يشاء من طلبات : اقتصادية أو عسكرية أو سياسية .

٣ - إن شيئا من ذلك حدث بالفعل ، ولكن احتياجات المعركة قد تكون أكبر مما نتصور هذه اللحظة .

٤ - إنه توسل إلى الملك أن يقنع الرئيس « السادات » بالتأخير (يقصد التأخير فى بدء المعركة حتى تمام الاستعداد) خصوصا بالنسبة لتوفير مخزون كاف من مواد التموين .

٥ - إنه أقنع الملك « فيصل » بضرورة ترتيب لقاء بينه وبين الرئيس « السادات » لبحث الموقف . »

□

وعاد السيد « كمال أدهم » إلى السعودية بعد أيام قليلة يحمل رسالة من الرئيس « السادات » إلى الملك « فيصل » كان نصها كما يلى :

« الأخ صاحب الجلالة الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود

ملك المملكة العربية السعودية

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تسلمت رسالة جلالتكم المؤرخة بتاريخ ٢١ ربيع الآخر سنة ١٣٩٣ التى حملها إلىّ الأخ كمال أدهم .. ولقد كنت واثقا تمام الثقة أن جلالتكم لن تترددوا فى الموافقة نظرا للروابط القوية التى تربط بين بلدينا ومشاعر الود والأخاء والفهم المتبادل الذى عبرتم جلالتكم عنه لنا فى كافة

المناسبات ، ونظرا للروح العربية الأصيلة والحرص على الكرامة العربية التى تعتز بها جلالتكم وتدافعون دائما عن أصالتها .

وقد قام الأخ كمال أدهم بشرح وجهة نظر جلالتكم بالنسبة للأمور التى تهم شعبينا والمتعلقة بالمنطقة .

أما فيما يتعلق بالطائرات اللايتننج ، فأود أن أوضح لجلالتكم بأن بقاءها حاليا ضمن سلاح الطيران الملكى السعودى لتكون قوة مماثلة لما لدى المملكة سيكون أكثر فاعلية من وجودها فى جمهورية مصر العربية حيث أن تعدد أنواع الطائرات التى ستشترك فى المعركة ليس فى صالحها للعديد من الأسباب الفنية - نظرا لأننا اخترنا فى خطتنا أن نستعمل نوعين من الطائرات هما الطائرات الروسية والفرنسية من نوع الميراج - لذلك فإن أى مساهمة من جلالتكم فى تطوير ما لدينا من أسراب فرنسية بإضافة سربين آخرين لها سيكون أكثر فاعلية لمصلحة المعركة . علما بأننا سنقوم بتسديد قيمة الطائرات الميراج بالشكل الذى ترونه جلالتكم بحيث لا يشكل عبئا كبيرا على جمهورية مصر العربية أثناء المعركة .

. . . .

. . . .

والسلام عليكم ورحمة الله .

القاهرة فى ٢٩ / ٥ / ١٩٧٣

أخوكم

(إمضاء)

محمد أنور السادات »

٤

ومع اقتراب نهاية شهر مايو كان الرئيس « السادات » قد أصبح ميالا « للتأخير » على حد تعبير السيد « كمال أدهم » . وربما أن لقاءات الرئيس « السادات » فى ذلك الوقت مع مجلس وزرائه الجديد ومع المجلس الأعلى للقوات المسلحة - قد نجحت فى إقناعه بأن الفترة الثانية الملائمة للعمليات ، وهى الأسبوع الأول من أكتوبر ، أنسب من كل النواحى لضمان نجاح أى عمل عسكرى .

ومع ذلك فإن إمكانيات الحل لم تكن قد تلاشت من فكره تماما لتترك السيطرة الكاملة لاحتمالات الحرب .

وفى شهر يونيو ١٩٧٣ بعث إليه الشاه « محمد رضا بهلوى » شاه إيران رسالة يبدى فيها قلقه من أن الأمور فى المنطقة تبدو وكأنها سائرة إلى حرب أوشكت أن تصبح ضرورة قضاء وقدر .

وأبدى الشاه فى رسالته أنه ذاهب إلى واشنطن للقاء مع الرئيس « نيكسون » ومستشاره للأمن القومى « هنرى كيسنجر » . وكان شاه إيران يسأل عما إذا كان هناك ما يستطيع القيام به .

وبعث إليه الرئيس « السادات » يقول له إنه لا يقبل عرضه فقط ، وإنما هو يرجوه أن يبذل أى جهد يراه للحيلولة دون انفجار الموقف فى المنطقة كلها .

وسافر الشاه إلى واشنطن واجتمع بالرئيس « نيكسون » وبـ « كيسنجر » وغيرهما من أقطاب الإدارة الأمريكية ، وعاد ليكتب للرئيس « السادات » بأنه توصل إلى نتائج يمكن أن تكون منها نقطة بداية جديدة نحو حل سلمى لأزمة الشرق الأوسط . وبين ما توصل إليه ورقة كتبها الدكتور « هنرى كيسنجر » نفسه بتصورات حل . وأبدى الشاه « أنه وإن كان يفضل أن يتحدث فى الموضوع مباشرة مع الرئيس « السادات » إلا أن أى لقاء بين الاثنين فى اللحظة الراهنة قد تفسره إسرائيل – التى علمت ولا شك باهتماماته فى واشنطن – على أنه مشاركة فعلية من الشاه فى الضغط على الولايات المتحدة . »

واقترح الشاه بدلا من ذلك أن يجتمع ممثل موثوق به من جانبه مع ممثل موثوق به من جانب الرئيس « السادات » لتقييم نتائج اتصالاته فى واشنطن ، وللاتفاق على أسلوب عمل فى المرحلة القادمة – وربما الترتيب فى موعد لاحق للقاء مباشر بين الزعيمين .

□

ووقع اختيار الشاه على سفيره فى واشنطن – وزوج ابنته ، ووزير خارجيته السابق – « أردشير زاهدى » . كما أن اختيار الرئيس « السادات » وقع على السفير « أشرف غربال » ، وكان قد نقل وقتها إلى القاهرة مستشارا خاصا للرئيس – وكان يعرف « زاهدى » منذ عملهما معا فى واشنطن . وتم اللقاء بين الاثنين بالفعل ، وعقدا اجتماعين فى مدينة « مونترو » بسويسرا حيث يملك « زاهدى » قصرا جميلا يطل على بحيرة « ليمان » .

ومن جنيف كتب السفير « أشرف غربال » إلى الرئيس « السادات » تقريرا عن مهمته جاء فيه بالنص :(*)

« اجتماع أشرف غربال بأردشير زاهدى فى مونترو – سويسرا
٢٤ – ٢٥ أغسطس ١٩٧٣

– استقبلنى بجنيف الجمعة ٢٤ / ٨ / ١٩٧٣ أردشير زاهدى وزير خارجية إيران السابق وسفيرها حاليا فى واشنطن . وكان استقباله وديا للغاية . واصطحبنى إلى مونترو حيث اجتمعت به بعد ظهر الجمعة وصباح السبت ٢٥ / ٨ / ١٩٧٣ .

(*) فى ملحق صور الوثائق توجد صورة من إحدى صفحات هذا التقرير ، وهى منشورة تحت رقم (٤٥) . على صفحة (٧٨٢) من الكتاب .

- ذكر زاهدى أنه بعد زيارة الشاه للولايات المتحدة ، وعلى أثر كلام زاهدى المستمر مع كيسنجر - أعد كيسنجر ورقة سلمها لزاهدى ليقدمها إلينا .

- أوضح زاهدى أنه عندما قرأ الورقة وذكر لكيسنجر أنه يعتقد بأنها لا تحوى جديدا ، أجابه كيسنجر بأنها نقطة بداية .

- أضاف زاهدى بأن كيسنجر شطب السطر الأخير من الورقة على أثر ملاحظة زاهدى بأن أمريكا تطلب من مصر الكثير .

(كانت العبارة المشطوبة تقول : إن مصر عليها أن تحاول التقدم إلى إسرائيل بمقترحات لا تستطيع إسرائيل أن ترفضها "Egypt should try to develop a proposal that Israel cannot refuse") .

- ذكرت بأن انطباعى السريع عن الورقة أنها لا تقدم جديدا ، وهى مجرد كلمات تعلن عن حسن النوايا ، وردا على استفهامى ذكر أنه ليس لديه شىء شفهى يضيفه إلى الورقة حتى تعطى الصورة بالكامل ، وذكر بأنه ينتظر رسالة تصله من الشاه .

- ذكرت عند اجتماعى بزاهدى فى اليوم التالى (٢٥ / ٨ / ١٩٧٣) أننى قرأت الورقة بإمعان وأننى ألاحظ عليها أنها :

(١) حوت بعض تعبيرات إيجابية :

أ - حرص أمريكا على أن تعمل بفاعلية .

ب - وأن تعمل بهدوء حتى يتوفر لها إمكانية وجود موقف علنى يمكنها أن تدافع عنه .

جـ - أهمية انسحاب القوات الإسرائيلية من مواقعها الحالية .

د - ضرورة ألا ينشأ عن الخطوة الأولى تجمد للموقف .

هـ - فهم أمريكا لمشكلة الرئيس السادات فى هذا الشأن .

ذكرت أن كل هذه نقاط تعبر عن نوايا طيبة .

(٢) إنما الورقة كما هى لا تبين كيف نصل إلى الأهداف المنشودة ، وهناك تساؤلات ...

كيف يمكن حسب التفكير الأمريكى :

أ - التقدم خطوة بخطوة .

ب - الإبقاء على الموقف فى حالة سيولة بدلا من جموده الحالى .

جـ - ألا تؤدى الخطوة الأولى إلى إعادة تجميد الوضع .

د - كيف ترى أمريكا تحقيق التسوية الشاملة العادلة فى النهاية .

هـ - ما هو المقصود بمرونة تكتيكية أكثر من جانب مصر .

و - كيفية التقدم من المرحلة الأولى للمراحل اللاحقة .

ز - ذكرت أننى فهمت منه أن الورقة أمريكية ، إنما أجد فى الفقرة (٦)

We judge that the U.S. is serious in wanting a settlement and is serious in trying to find a workable way of achieving one.

فمن المقصود بـ «we»

(نحن نقدر أن الولايات المتحدة جادة فى سعيها إلى تسوية ، كما أنها جادة فى محاولة البحث عن طريق عملى لتحقيقها - فمن المقصود بـ « نحن » ؟) .

أضفت أننى أحتاج إلى معاونته فى الرد على هذه الاستفسارات كى يمكن أن تكتمل لدى الصورة للعرض على القاهرة .

- تساءل زاهدى لماذا لا نضع الأسئلة التى طرحتها عليه على ورقة ليقدمها للأمريكان ، وعلقت بأن الأمريكيين يعرفون كل هذا بالتفصيل ، وبينت أن الفراغات الموجودة فى الورقة الأمريكية يتعين ملئها بمعرفة الولايات المتحدة صاحبة الورقة .
- ذكرت أن وقف إطلاق النار كان فى الحقيقة الخطوة الأولى نحو التسوية الشاملة العادلة ثم تجمدت الأمور والآن يطلب منا مجددا موقفا مرنا حتى يمكن تحريك الأمور .
- عند هذا الحد تسلم زاهدى مظروفا وصله من الشاه ، وذكر زاهدى بعد اطلاعه عليه بأن الشاه أشر عليه بأن « أصدقائنا المصريين لن يمكنهم قبول هذه الورقة إنما عليه (أى على زاهدى) أن يسلمها لهم » ، كما أشر الشاه على بداية الصفحة الثالثة In the American view (من وجهة النظر الأمريكية) حتى يظهر أن ما تتضمنه الورقة عن « أن مصر تخسر بالمزيد لتجميد الموقف الحالى عما تخسره لو بدأت القوات الإسرائيلية بالانسحاب » بأن ذلك هو رأى أمريكا وليس رأى إيران .
- استفهم منى زاهدى عما يبلغه لكل من الشاه والولايات المتحدة . ولخصت له ما سبق أن ذكرته فى الآتى :

١ - إن تعليق الشاه على الورقة إنما هو معبر بالكفاية عن وجهة النظر المصرية .

٢ - يتعين على أمريكا أن تخرج من العموميات .

٣ - إذا كان لدى واشنطن نوايا طيبة فلتضعها موضع التنفيذ وتقدم لنا التزاما أكثر ضمانا من هذه الورقة .

٤ - إننا لا نرفض أى شىء تلقائيا ، إنما لا نعتبر النوايا الطيبة مشروعات قائمة بذاتها ، ونتساءل ما هو المخطط والمشروع .

٥ - لا نعتقد فى الحل الجزئى ونصمم على الحل الشامل .

٦ - رغم اتصالاتنا بالأمريكيين ، فإذا كانت لدى الولايات المتحدة مشاكلها حاليا وترغب فى تحوير الورقة وتقديم مشروع واضح مقنع عن طريق إيران فلا مانع لدينا .

٧ - إننا لا نرغب السوء لأمريكا ولا نعمل ضد مصالحها ، ولكننا لن نترك مصالحنا تهدر ولن نخذل شعبنا أو الدول العربية أو شعب فلسطين .

٨ - إننا نهدف أن تسلك أمريكا - فى التوصل إلى تسوية للشرق الأوسط - نفس النهج الذى سلكته فى تسوية مشاكلها مع الصين والاتحاد السوفيتى ، أى الحلول الشاملة والتصور فى المدى الطويل .

٩ - إننا نحيى الشاه لموقفه وتأييده لنا وضغطه على واشنطن ، وإننا مطمئنين إلى تبنيه قضيتنا كما لو كانت قضية إيران الوطنية .

الخـــلاصـــة :

هناك احتمالين :

☐ الأول : أن الورقة الأمريكية التى سلمها لنا زاهدى جاءت نتيجة ضغط من زاهدى الذى يأمل

فى أن يلعب دورا فى مشكلة يعرف جوانبها وما زالت دون حل ، مستخدما فى ذلك صلاته القوية بالعالم العربى ومصر بالذات وكذلك بالأمريكيين .

كما يلاحظ اهتمام زاهدى بأن يوفر مكانا هادئا لاجتماعات كيسنجر / حافظ اسماعيل ، الأمر الذى يكشف عن رغبته فى لعب دور .

□ الثانى : أن الولايات المتحدة رأت أن تستخدم إيران لإبلاغنا بما تضمنته الورقة ، والذى ينحصر فى تركيزها على الحل الجزئى مع انسحاب أياً كان مداه فهو أفضل من بقاء الوضع متجمدا على حاله .

ولو كان الاحتمال الثانى هو واقع الحال فإن ذلك يعنى أن الولايات المتحدة سعت أن تبلغنا :

(١) عن طريق رومانيا بأن الحل الشامل يكمن فى مفاوضات مباشرة مع إسرائيل ، وحتى فى هذه الحالة فإن مصر يجب أن تتحرر من قيود المشكلة الفلسطينية التى تعسر الوصول إلى الحل الذى يمكن الوصول إليه بين مصر وإسرائيل .

(٢) عن طريق إيران بأنه إذا كان من المتعذر على مصر طرق باب التفاوض المباشر ، فلتعرف مصر أن الطريق عبر جهود الولايات المتحدة سينحصر فى مجرد الحل الجزئى ، وفى هذه الحالة يتعين على مصر أن تتقدم هى بنفسها بالمقترحات التى يصعب على إسرائيل أن ترفضها ، أى أن تقدم مصر تنازلات كثيرة ، ولا يمكن لواشنطن أن تقدم لنا من الضمانات أكثر من نواياها الطيبة وحرصها على رعاية مصالح الولايات المتحدة فى المنطقة .

كذلك فإن جولة زاهدى يمكن اعتبارها شاغلة لبعض الوقت لحين أن يتمكن كيسنجر بعد تعيينه وزيرا للخارجية من إعطاء بعض الوقت لجولة جديدة فى مباحثاته مع المستشار حافظ اسماعيل أى إبقاء على الخيط مع ما تحمله الورقة – كما ذكرت آنفا – من تثبيط لآمال وتوقعات القاهرة .

وأتصور أن تعليق الشاه على الورقة يعنى أنه غير مقتنع بما اتخذ حتى الآن ، وبالتالى لا يشجع استخدام إيران سواء كان الاقتراح ناشئا من زاهدى أم من كيسنجر طالما أن الموقف الأمريكى ما زال على حاله ، وأتصور أنه يمكن لنا النظر فى استخدام التسهيلات المكانية التى عرضها زاهدى – أى منزله فى مونترو فى اجتماع مقبل بين حافظ اسماعيل وكيسنجر .

أما عن الورقة نفسها فألاحظ عليها :

١ – تتضمن اعترافات أمريكية بأن موقفها متحيز لإسرائيل .

٢ – وأنها تعرف أن موقفا عادلا علنيا من جانبها يرضى العرب ، إنما تتذرع بأنه سيدفعها فورا للتراجع تحت الضغط الإسرائيلى وبذلك تبقى الأمور مجمدة .

٣ – أن واشنطن تحملنا مسئولية تجمد الموقف الحالى حين نطلب أن تلتزم إسرائيل الآن بانسحاب كامل ، وهو ما لن تعطيه أى حكومة إسرائيلية فى هذه المرحلة .

٤ – أن على مصر أن تقنع نفسها بأن الحل يجب أن يأتى عن طريق تجزئة المفاوضات مما يمكن من الوصول إلى نتائج عملية .

٥ – وأن تقتنع مصر كذلك بأن أى انسحاب إسرائيلى – وأيا كان مداه – أفضل من الوضع المتجمد الحالى .

٦ – أن ذلك يمكن أن يحوّل الجمود الحالى إلى سيولة قد يأتى معها ما يعاون على استمرار الحركة حتى تتوفر التسوية الشاملة .

٧ – إنما كل الضمانات هنا هى فى النوايا الطيبة ثم حرص أمريكا على رعاية مصالحها .

٨ – أن الولايات المتحدة تحث مصر على مرونة تكتيكية أكبر ، وأنه مطلوب منها أن تضع مشروعا يتعذر على إسرائيل أن ترفضه ، وبمعنى آخر أن مصر هى التى يتعين عليها الآن أن تغير من موقفها وأن تتحرك وأن تقدم التنازلات التى يمكن أن ترضى إسرائيل .

وإذا كان كيسنجر قد شطب الجملة الأخيرة فإن ذلك لا يعنى أنه شطبها من التفكير والتخطيط الأمريكى ، ثم إنها موجودة بالفعل فى الجملة السابقة التى تنادى بمرونة تكتيكية أكثر من جانب مصر .

٩ – كذلك يلاحظ على الورقة اعتراف أمريكا فيها بأن الحل الجزئى بما يتضمنه من بدء انسحاب القوات الإسرائيلية سيترتب عليه خسارة لمصر ، إنما فى نظر أمريكا فهذه الخسارة أقل من الخسارة المترتبة على الجمود الحالى . وفى ظنى أن هذا الاعتراف يؤكد شكوك مصر وخوفها من تجمد التسوية بعد الخطوة الأولى .

١٠ – والحقيقة أن ما ورد فى صفحة ٢ فقرة (٥) من الورقة – عن « تجزئة المفاوضات » – استوقفنى . حيث تساءلت إذا كان ذلك يحوى جديدا ويعنى أن نجزىء المفاوضات على مختلف المشاكل ، إنما وضح من الفقرات التالية أنها تتكلم عن حل جزئى يترتب عليه انسحاب ما وهو أفضل بالنسبة لمصر – فى نظر أمريكا – من الجمود الحالى ، الأمر الذى يبين أن المقصود بتجزئة المفاوضات هو تحقيق تسوية جزئية فى ضوء الموقف الأمريكى والإسرائيلى المعروف .

□

وقرأ الرئيس « السادات » تقرير الورقة الأخيرة فى محاولات الحل .

وأطال التفكير ، وكانت الحقيقة أمامه لا سبيل إلى إنكارها : وإذن فهى الحرب .

الجزء الثانى

على طريق الحرب

الفصل الأول

الاستعداد للعاصفة

١

كان بندول الحوادث ، كبندول الساعة ، يتحرك إلى أقصى اليمين ثم إلى أقصى اليسار باحثا عن مخرج لأزمة الشرق الأوسط : بالحل إذا كان ذلك ممكنا . وبالحرب إذا كان ذلك ضروريا .

وفي صيف ١٩٧٣ بدا أن حركة البندول على وشك أن تتوقف ، فعلى امتداد سنوات جرب الرئيس « أنور السادات » كل فرصة للحل ابتداء من مبادرته يوم ٤ فبراير ١٩٧١ ولقائه مع « ويليام روجرز » – وحتى اللقاء السرى بين مستشاره للأمن القومى السيد « حافظ اسماعيل » مع مستشار الأمن القومى للرئيس « ريتشارد نيكسون » – وهو الدكتور « هنرى كيسنجر » . وذلك كله انتهى بغير نتيجة – بل لعل الأمور زادت سوءا بامتداد الاتصالات لأن الطرف الأمريكى ، والطرف الإسرائيلى قبله ، توصلا إلى تحليل مشترك للموقف المصرى مؤداه أن مصر لا تقدر على مخاطرة الحرب .

وهكذا فإن خيار الحرب بدا وكأنه قدر مقدور لا يملك أحد منه مهربا مهما جرب من الوسائل غيره .

□

كانت محاولات الحل تجرى فى القاعات الفخمة للأمم المتحدة أو لوزارات خارجية القوى الكبرى والقوى المعنية ، وفى قصور الرؤساء والزعماء ، وحتى فى مزارع أصحاب الملايين من رؤساء الشركات الدولية .

ثم إن خطط الحرب كانت تبحث في غرف العمليات وعلى الخرائط ، وفى مكاتب وزراء الدفاع ، ورؤساء أركان الحرب ، وقادة الأسلحة والجيوش ... - لكنه بعيدا عن ذلك كله كان هناك شيء آخر يحدث على الأرض لا يكاد يراه أحد أو يلحظه أو يأخذه فى الحسابات العملية لموازين القوة ، أو يدخله كعنصر فاعل فى التخطيط والتنفيذ .

كانت النواة الصلبة للشعب المصرى تحت ضغوط شديدة ، وكانت هذه النواة على وشك الانفلاق أمام شدة ما تتعرض له[1] .

وتلك عملية تفسرها العلوم الطبيعية أكثر مما تفسرها العلوم السياسية ، ولعلها أشبه ما تكون بانفلاق نواة ذرة ثقيلة مثل نواة الـ « يورانيوم ٢٣٥ » - ثم يهاجمها نيوترون ينضم إلى مكوناتها ، ويؤدى إلى تهييج النواة وتثويرها وانشطارها ، مما يطلق قوة جبارة طاغية لم يكن أحد يتصور أنها كامنة فى ذرة لا تكاد ترى بالعين المجردة .

من ناحية كانت التجربة الثورية للشعب المصرى سنة ١٩٥٢ وحتى سنة ١٩٦٧ قد صهرته وحولت نواته الصلبة إلى مادة ثقيلة ، نقية ومخصبة .

ومن ناحية أخرى كانت الفترة من صيف ١٩٦٧ حتى صيف ١٩٧٣ - ست سنوات كاملة حافلة - قد شهدت أنواعا من القذائف على النواة الصلبة ، جعلت ذراتها قابلة للانفلاق ، وجعلت الطاقة النووية الحبيسة فيها جاهزة لكسر القشرة والانطلاق . وربما أن أحدا لم يكن يتابع بالقدر الكافى حركة التفاعلات التى تجرى فى قلب المجتمع المصرى ، والتى كانت على وشك أن تكشف عن نفسها بطريقة تخطف الأبصار وتفاجىء الجميع .

وربما تخطر على بال أى دارس لعملية اللقاء بين الناس والظروف فى تلك الفترة عبارة مشهورة للعالم الأمريكى الكبير « روبرت أوبنهايمر » الذى أشرف على إنتاج القنبلة الذرية الأولى - قال فيها : « إن الاكتشافات الكبرى فى التاريخ لا تتحقق لأن أحدا يبحث عنها ، ولكنها تتحقق حين يكون العثور عليها ممكنا وضروريا » .

والحاصل أن عملية من هذا النوع كانت على وشك أن تحدث للشعب المصرى نتيجة تعرض ذرات نواته الصلبة النقية لمجموعة من الأزمات تحولت إلى قذائف نافذة تكسر سطح القشرة المحيطة بقواه الكامنة وطاقاته الحبيسة .

كانت نكسة سنة ١٩٦٧ قذيفة ، وكانت مرارة وقوع جزء من الأرض المصرية تحت الاحتلال الإسرائيلى قذيفة ، وكانت التضحيات المطلوبة من أجل المعركة وقد وصلت فى بعض السنوات إلى ٢٠٪ من الدخل القومى قذيفة ، وكانت تعبئة مليون شاب ورجل على خطوط القتال لمدة خمس سنوات قذيفة ، وكان الصلف الإسرائيلى قذيفة ، وكان التواطؤ الأمريكى قذيفة .

---

(١) بالتأكيد فإن عملية مماثلة لا بد أن تكون قد حدثت للشعب السورى ، وربما لغيره أيضا من شعوب الأمة العربية ، خصوصا تلك التى كانت على الخطوط المباشرة للأزمة ، أو مشتركة فيها على نحو أو آخر .

وفى صيف ١٩٧٣ - كان السطح الخارجى للكتلة الذرية المصرية قد وصل إلى الدرجة الحرجة - وعلى وشك أن ينكسر .

ولأن هذه العملية كانت تدور فى الأعماق - فإن أحدا من الذين كانوا يراقبون الحوادث وزحامها لم يتنبه لها - ولا أخذها فى حسابه !

□

إن القوات المسلحة المصرية كانت فى نفس الحالة تقريبا . ذلك أن الضغوط التى اتجهت إلى النواة الشعبية ، كانت هى نفس الضغوط التى اتجهت إلى النواة العسكرية . بل لقد كانت درجة حرارة المفاعل الذى انصهرت فيه القوات المسلحة من سنة ١٩٦٧ إلى سنة ١٩٧٣ - أكثر سخونة . والشاهد أن هذا الجيش الذى عاش سنة ١٩٦٧ محنة لم يكن له دخل فى صنعها - ما لبث أن استعاد تماسكه بجهد مستميت أعطى له « جمال عبد الناصر » عمره - إذ اعتبره مهمة حياته ، وقد استنفدها بالفعل فى سبيل إعادة بناء القوات المسلحة .

ولقد وجد « جمال عبد الناصر » عونا فى الفريق « محمد فوزى » الذى استطاع أن يعيد الجيش إلى حالة من الانضباط بعد فوضى سبقته ، وبعد حالة من الغربة والشتات وجد الجيش فيها نفسه بعد معارك يونيو ١٩٦٧ .

وفى الوقت الذى كان الفريق « محمد فوزى » يعيد فيه تنظيم القوات المسلحة - كان الفريق « عبد المنعم رياض »[٢] يحاول أن يستقرىء العلم والتجربة - بحثا عن أسلوب أمثل فى المواجهة - ولقد تمكن من وضع الخطوط الاستراتيجية العريضة لخطة « جرانيت (١) » - ووافق « جمال عبد الناصر » وصدق عليها قبل رحيله . وكانت هذه الخطة تقتضى عبور قناة السويس بقوة خمس فرق ، والتمسك برؤوس كبارى على الضفة الشرقية تكون مواقعها واصلة إلى الطرق الرئيسية الثلاثة التى تقطع سيناء من الجنوب والوسط والشمال .

كانت هناك خطة أخرى إضافية صدق عليها « جمال عبد الناصر » من قبل ، وهى « الخطة ٢٠٠ » - وهى خطة دفاعية تحسبت لاحتمال قيام إسرائيل بهجوم مضاد إلى غرب قناة السويس إذا حدث وتمكنت القوات المصرية من عبورها إلى الشرق . ولعلها شهادة لواضعى « الخطة ٢٠٠ » - أن هذه الخطة توقعت أن تكون منطقة « الدفرسوار » هى منطقة العبور الإسرائيلى المضاد إذا جاء وقته أو سنحت فرصته .

وباستشهاد الفريق « عبد المنعم رياض » ، ثم بخروج الفريق « محمد فوزى » من وزارة الحربية - انتقلت المسئولية عن الجيش إلى الفريق « محمد صادق » ، وفى إطار مسئوليته عن القوات المسلحة جرى تطوير خطة « جرانيت (١) » - إلى « جرانيت (٢) » ، وقد اعتبرت

---

(٢) كان الاختصاص شبه موزع بين الرجلين : الفريق « محمد فوزى » لمهمة الضبط والربط - والفريق « عبد المنعم رياض » لمهمة التخطيط والإعداد للحرب .

هذه الخطة أن « جرانيت (١) » مرحلة أولى من « جرانيت (٢) » ، تليها على الفور عملية أخرى أبعد تصل بالقوات إلى مضايق سيناء لتجعلها نقطة ارتكاز ، وهناك تعيد تقييم الحوادث والفرص . وكان الفريق « صادق » من تشككه فى فكرة الحرب المحدودة يطمح إلى ما هو أكثر ، ويحلم أحياناً بخط الحدود الدولية ، وكان ذلك فوق الطاقة ووراء الإمكانيات المتاحة . وفى الحقيقة فإن مجرد الوصول إلى المضايق فى حرب محدودة كان من شأنه أن يحدث آثارا عسكرية وسياسية غير محدودة تفرض على إسرائيل أن تنسحب من كل سيناء . ولم يكمل الفريق « صادق » مهمته ولم يبلغ أحلامه لظروف سياسية وإنسانية .

وبخروج الفريق « محمد صادق » فإن الرئيس « أنور السادات » وضع مرشحه الأصلى لوزارة الحربية – وهو الفريق « أحمد اسماعيل على » – على رأسها . وكان اختيار الفريق « أحمد اسماعيل » اختيارا سليما ، فهو من مدرسة نضج اقتناعها بأن القتال أصبح ضرورة سياسية وعسكرية وبالوسائل المتاحة لتحقيق هدف محدود أو محدد – تتغير به المعادلة السياسية التى جمدت حل الأزمة ، وقد كان مهما أن علاقته بالرئيس « السادات » كانت علاقة تفاهم وثيق جعل التنسيق بين رئاسة الجمهورية ووزارة الحربية علاقة مرنة تمر منها الأفكار والسياسات والقرارات بسلاسة تحتاجها ظروف المعركة .

وكان الفريق « سعد الدين الشاذلى » رئيس هيئة أركان الحرب يمثل عنصر الاستمرار فى قيادة الجيش المحارب ، فقد انتقل من قيادة منطقة البحر الأحمر وخليج السويس إلى رئاسة الأركان فى نفس الوقت الذى أوكلت فيه مهام وزارة الحربية إلى الفريق « صادق » – ثم إن خدمته فى نفس الموقع استمرت مع الفريق « أحمد اسماعيل » رغم نفور شخصى بين الاثنين بدأ من الكونجو ، حيث كان « سعد الدين الشاذلى » يقود كتيبة وضعتها مصر تحت علم الأمم المتحدة فى فترة المد الكبرى لحركة التحرر الوطنى فى إفريقيا – وفى نفس الوقت كان « أحمد اسماعيل » مكلفا بمهمة للتفتيش على القوات المصرية هناك ، ووقع احتكاك بين الرجلين أدى إلى جفوة ترسبت آثارها فى النفوس . ومع ذلك فمن الحق أن الرجلين – رغم ما كان بينهما – وجدا صيغة للتعاون فى ظرف أحس كلاهما بخطورته . وفى الواقع فإن كلا منهما راح يكمل الآخر ، وفى حين أن الفريق « أحمد اسماعيل » كان يمارس مسئولياته بنظرة عامة واسعة ، فإن الفريق « سعد الدين الشاذلى » كانت له مقدرة على الدخول إلى أدق التفاصيل فى وضع الخطط .

ولقد تكامل مع الاثنين – وزير الحربية ورئيس الأركان – رجل ثالث هو اللواء – المشير فيما بعد – « محمد عبد الغنى الجمسى » مدير هيئة العمليات ، وكانت كفاءته قادرة على إعطاء الخطط حياة خارج الورق ، وفى إطار علاقات سمحة مع بقية أفرع القوات المسلحة .

ولم يكن هؤلاء الثلاثة عباقرة فى علم الحرب من طراز « كلاوزفيتز » ، ولا كانوا أساطير فى قيادة القوات من طراز « نابليون » – وإنما كانوا بالضبط أنسب طراز من القيادات العسكرية يمكن أن يكون متاحا لبلد فى ظروف مصر – ولعلهم كانوا جميعا أقرب إلى المدرسة الكلاسيكية للعسكرية البريطانية ، مضافا إليها بعض التأثيرات من المدرسة الكلاسيكية للعسكرية الروسية .

ومما يستوجب الملاحظة أن الثلاثة معا - ومعهم الأغلبية الساحقة من قواد الأسلحة والجيوش والفرق - كانوا جميعا من أبناء الفلاحين المصريين من الجيل الثانى أو الثالث ممن أتيحت لهم فرصة التعليم من أبناء الطبقة المتوسطة ، وممن جاءوا إلى المدينة وإلى خدمة الدولة مع بداية اليقظة الوطنية نتيجة للمرحلة الممتدة من « رفاعة رافع الطهطاوى » ودوره التنويرى ، إلى « أحمد عرابى » ودوره الوطنى .

وفى كل الأحوال فقد كان الثلاثة معا أفضل فريق مصرى متاح لقيادة عمل عسكرى فى الأوضاع التى أحاطت بإمكانية العمل العسكرى على الجبهة المصرية سنة ١٩٧٣ .

وكانت التغييرات المستمرة ، وعمليات الغربلة المتواصلة - قد أتت إلى قيادة أفرع القوات المسلحة بمجموعة من القادة كانوا خلاصة الخلاصة فيما يمكن أن تقدمه القوات. المسلحة المصرية - وكان الحال نفس الشىء فى قيادات الجيوش وقيادات الفرق .

إن كما هائلا من السلاح الحديث كان قد خلق - عندما تعاملت معه عزيمة الرجال - حركة دفع ذاتية كانت هى الأخرى على وشك الوصول إلى اللحظة الحرجة حين تنكسر النواة الصلبة فى المفاعل النشيط . وربما يكفى تذكر حجم القوات المصرية المسلحة قبل بدء العمليات - لتبيان هذا الكم الهائل من السلاح :

كان حجم القوات كما يلى :[٣]

- **القوات البرية :**

١٩ لواء مشاة راكب (عربات ذات العجل)
٨ ألوية مشاة ميكانيكية (عربات جنزير)
١٠ ألوية مدرعة
٣ ألوية جنود الجو
١ لواء برمائى
١ لواء صواريخ أرض - أرض R 17 E

وكان مع هذه القوات حوالى ١٧٠٠ دبابة ، و ٢٠٠٠ عربة مدرعة ، و ٢٥٠٠ مدفع وهاون ، و ٧٠٠ قاذف صاروخى موجه ، و ١٩٠٠ مدفع مضاد للدبابات ، و ٥٠٠٠ ر ب ج R P G ، وعدة آلاف من القنبلة اليدوية المضادة للدبابات ر ب ج ٤٣ .

- **القوات الجوية :**

٣٠٥ طائرة قتال (إذا أضيف إليها الطائرات المخصصة للتدريب ، فإن العدد يرتفع إلى ما يزيد على ٤٠٠ طائرة)
٧٠ طائرة نقل
١٤٠ طائرة هيليوكوبتر

---

(٣) مذكرات الفريق « سعد الدين الشاذلى » بعنوان « حرب أكتوبر » صفحتى ١٦٩ و ١٧٠ .

□ **قوات الدفاع الجوى :**

١٥٠ كتيبة صواريخ S A M
٢٥٠٠ مدفع مضاد للطائرات من عيار ٢٠ ملليمتر فما فوق

□ **القوات البحرية :**

١٢ غواصة
٥ مدمرات
٣ فرقاطات
١٢ قناصا
١٧ قارب صواريخ
٣٠ قارب طورين
١٤ كاسحة ألغام
١٤ قارب إنزال

ومرة أخرى – فإن سلاحا بهذا الحجم فى أيدى قوات بهذه الضخامة فى ظرف تحديات بهذا العمق – كان كفيلا بأن يفرض حركة ذاتية لها خصائص وقوة فعل مؤثرة بذاتها وبتداعياتها . ولم تكن القوة تحت ضغط رجالها وسلاحها وظروفها فحسب ، وإنما أصبح وجودها على هذا النحو عنصرا ضاغطا بدوره على القرار السياسى .

□

وكان القرار السياسى بالحرب على وشك أن يتخذ . وكانت هناك دوافع موضوعية أملته إملاء :

● فشل كل محاولات الحل السلمى .
● وصول الجبهة الداخلية إلى اللحظة الحرجة .
● بلوغ أقصى ما يمكن بلوغه من الاستعداد العسكرى .
● احتمال تآكل التأييد العربى والدولى لمصر ما لم تثبت أنها قادرة على الحركة .

ولقد كانت هناك دوافع إنسانية يقتضى الأمر وضعها فى الميزان لكى تكون الصورة دقيقة فى تعبيرها عن المشهد الذى ترسمه ، مع الأخذ فى الاعتبار أنه لا توجد صورة كاملة . فكل صورة إنسانية حركة تاريخ ، وكل تاريخ نسبى لأنه إنسانى :

١ – إن الرئيس « السادات » لم يكن يريد الحرب ، وقد كان شديد التحسب لمخاطرها العسكرية ، ومن ثم السياسية ، على رئاسته . فهذه الرئاسة آلت إليه فى ظرف معين كان أشبه ما يكون بقصة فيلم سينمائى لا تستقيم روايته إلا بسلسلة من المصادفات تكاد تخرجه عن أى نوع من أنواع الواقعية المنطقية . وقد كان هو شديد الحساسية لهذه النقطة . وقد عبر عنها أكثر من مرة – فى تلك الأوقات – بقوله « **إذا حدث شىء فلن يخرج الشعب مطالبا بعودتى مرة أخرى للرئاسة كما حدث مع جمال** » !

٢ – إن التكوين العلمى والعملى للرئيس « السادات » لم يكن مما يتلاءم مع فكرة الحرب ، فدراسته فى الكلية الحربية كانت ضمن دفعة انتظمت صفوفها أقل من سنة ، ثم تخرجت لظروف قيام الحرب العالمية الثانية ، وكان تصور القائمين على التعليم العسكرى وقتها أن تجربة العمل الفعلى فى معسكرات وفى مواقع سوف تستكمل بالخبرة ما فات بالتعليم – ولكن السياسة استهوت الرئيس « السادات » فى مطلع شبابه ، وأخذته على طريق طويل ملىء بالمنحنيات ، انتهى إلى مقعد خلفى فى اللجنة التأسيسية لحركة الضباط الأحرار .

٣ – إن الجانب الذى عرفه وأغرم به فى الحياة العسكرية هو الجانب الاحتفالى . وفى وسط زحام المعركة فقد كان مهتما بالزى العسكرى الذى يرتديه كقائد أعلى للقوات المسلحة . بل لقد كانت الصورة التى التقطت له فى القيادة ، ومع القادة ، وأمام الخرائط لكى تظهره فى صورة القائد الأعلى الممارس – صورة جرى التقاطها بعد انتهاء العمليات وأعيد تمثيلها .

٤ – ولقد كان فى قرار الحرب متأثرا – إلى جانب الدوافع التى أملت قراره – بعاملين :

- إدراكه كوطنى أنه من الضرورى تحمل مسئولية تحرير الأرض .
- ثم – بالتوازى مع ذلك – إدراكه كمسئول أنه لم يعد أمامه بعد كل ما حاوله – مفر من القتال ، وقد عبر عن ذلك مرة بقوله :

« **إن جمال** (يقصد جمال عبد الناصر) **ذهب وتركنى مكتوف القدمين على شريط سكة حديد ، وإذا لم أزحف حتى على بطنى بعيدا عن القضبان فإن القطار سوف يهرس لحمى وعظمى** » .

(وكان هذا القطار فى تصويره هو القوات المسلحة التى تهدر حركتها باستمرار على خطوط إزالة آثار العدوان) .

٥ – ومن الحق أن يقال إن بعضا من عناصر القوة التى اقتربت منه بعد أن أصبح رئيسا – كانت متخوفة من الحرب تخشى أن تطيح عواقبها بامتيازات ومكاسب لمع بريقها وبدأت الأيدى تمتد إلى بشائرها – وكان هؤلاء جميعا لا يريدون الحرب ، ويشجعون الرئيس على قبول أى حل بمقولة إن « الناس تعبت » – وإنهم باتوا مستعدين لقبول أى حل فى مقابل « أن يخلصوا والسلام » !

٦ – إنه كان بين الذين اقتربوا من دائرته عدد من مجموعة القوة الجديدة الناشئة فى العالم العربى ، والتى أقامت نفوذها على قواعد صلاتها بشركات البترول ، وشركات السلاح ، وإدارات المخابرات الأجنبية . وكان هؤلاء ، ومعظمهم من تجار الاتفاقات والترتيبات الخفية ، وصفقات السلاح وعمولاتها ، وأجواء الاتصالات المشبوهة – جميعا من أنصار بقاء حالة اللاسلم واللاحرب ، فهى الكفيلة – دون غيرها – باستمرار عقد الصفقات ، هذا فى حين أن الحرب الفعلية ، ومهما كانت نتيجتها ، سوف تقلل حجم السوق ، وحساب الأرباح ، ودرجة النفوذ .

وبرغم ذلك فإن هناك حقيقة لابد من احترامها ، وهى أن الرجل الذى كانت على كتفيه

مسئولية القرار – وهو « أنور السادات » – ملك شجاعة اتخاذه – وقد اتخذه عارفا أن تلك مقاديره ، وأن قرار الحرب وإن لم يكن اختياره الأول ، فهو قراره الأخير .

والواقع أن شهر سبتمبر من سنة ١٩٧٣ – كان شهر الذروة فى رئاسة « أنور السادات » .

ومن سوء الحظ أن بعض الذين كانوا يعرفون رغبة الرئيس « السادات » الملحة فى الوصول إلى حل سلمى ، وبينهم من رأوا ولمسوا عن قرب ظواهر إقدامه ثم إحجامه عن قرار الحرب – أخطأوا فى تفسير الوقائع ، وراحوا يخلطون بين التاريخ والمؤامرة فزعموا لأنفسهم وللناس أن قرار الحرب مسرحية متفق عليها . ومثل ذلك على وجه القطع ليس مجرد خطأ فى التفسير ، وإنما هو أيضا سوء نية فى التأويل يستسهل نظرية المؤامرة ليفسر بها المستعصى على الفهم بالتحليل .

والحقيقة أن قرار الرئيس « السادات » بالحرب كان قرارا حقيقيا وأصيلا ، والغريب أن يخطر ببال أحد أن عمليات قتال بالنار بين جيوش جرارة فى البر والبحر والجو يمكن أن تكون مؤامرة محبوكة . كما أنه من تجاهل طبائع الأمور أن يرد على الظنون أن إسرائيل ، التى تقيم دعائم نظرية أمنها على قوة فى الردع غلابة وقاهرة – تقبل أن تدخل فى ترتيبات من شأنها أن تضع الجيش الإسرائيلى ولو لأيام أو حتى ساعات أو دقائق – مكشوفا أمام خطر إذا لم يؤثر على قدرته فإن تأثيره على سمعته محظور غير مقبول .

ولقد استدل أنصار نظرية المؤامرة على صحة نظريتهم بأن الولايات المتحدة كانت تريد الحرب ، وأن « هنرى كيسنجر » قال علنا « إنه لا يقترب من الأزمات إلا إذا كانت ساخنة لأنه حينئذ تصبح ناضجة » . وهذا كلام لا يمكن رده ببساطة إلى مؤامرة . ذلك أنه كان بين الأمريكيين من توقع ، أو حتى رأى ، أن الأمور بالضرورة سائرة إلى قتال ، لكن ذلك كان تقدير موقف وليس ترتيب مؤامرة .

وبالطبع فإن هناك فارقا ضخما بين أن يحاول طرف من الأطراف استغلال حرب بعد وقوعها – وبين أن يحاول أحد ترتيب الحرب لاستغلالها فيما بعد !

ولقد حاول بعضهم تفسير عبارة وردت على لسان وزير خارجية فرنسا فى ذلك الوقت ، وهو « ميشيل جوبير » – تفسيرا متعسفا . فقد ذهب إليه السفير المصرى فى باريس يرجوه أن تبذل فرنسا جهودها وإلا فإن الموقف فى الشرق الأوسط سوف ينفجر .

ورد عليه « ميشيل جوبير » قائلا : **« دعه ينفجر ... من الأفضل أن ينفجر »** .

ولم يكن ذلك القول من فرنسا إشارة إلى مؤامرة ، وإنما كان تعبيرا عن ضيق شديد تحس به فرنسا وهى ترى أن الولايات المتحدة تحتكر لنفسها كل فرص الحل السلمى للأزمة .

وفى مطلق الأحوال فإن قرار الحرب كان قرارا عربيا بالكامل ، وكان قرارا تاريخيا ، ومهما كان أو يكون – فإن « أنور السادات » هو الذى تحمل مسئوليته .

□

كان التنسيق بين الجبهة الشرقية – سوريا – والجبهة الغربية – مصر – وبفضل جهود « أحمد اسماعيل » و « سعد الشاذلى » و « محمد الجمسى » – قد بلغ درجة عالية عبرت عن نفسها بين الجبهتين فى خطة مشتركة تنتظر لمسات أخيرة لكى تصبح خطة مكتملة ، وتنتظر قرارا سياسيا لكى تتحول إلى عمل عسكرى مقتدر .

● كان مشروع الحرب فى ديسمبر ١٩٧٢ الذى اقترحه الرئيس « السادات » مدفوعا بنوبة يأس وضيق أطبقت عليه فى خريف سنة ١٩٧٢ – قد تأجل – بإحساس داخلى لدى الفريق « أحمد اسماعيل » ، وبنصيحة من الرئيس « حافظ الأسد » .

● وكان الاختيار الأول للقيادة المصرية السورية المشتركة – وهو موعد مايو سنة ١٩٧٣ – قد تأجل هو الآخر – برجاء من الملك « فيصل » يطلب زيادة الاستعداد .

● وكان الاختيار الثانى للقيادة المصرية السورية المشتركة – وهو الأسبوع الأول من أكتوبر – هو الموعد الذى جاء ليفرض نفسه على الجميع .

ويوم ٢٢ أغسطس سنة ١٩٧٣ – التقى فى مبنى قيادة القوات البحرية المصرية فى قصر رأس التين بالاسكندرية وفد عسكرى سورى ووفد عسكرى مصرى ، وكان لقاؤهما معا هو لقاء المجلس الأعلى للجيشين المصرى والسورى ، وهو المجلس الذى كان فى مهمته أن يضع اللمسات الأخيرة على الخطة .

كان الأعضاء المصريون فيه هم(٤) : الفريق أول « أحمد اسماعيل على » وزير الحربية – الفريق « سعد الدين الشاذلى » رئيس هيئة أركان حرب القوات المسلحة – اللواء « محمد على فهمى » قائد الدفاع الجوى – اللواء « حسنى مبارك » قائد القوات الجوية – اللواء « فؤاد زكرى » قائد القوات البحرية – اللواء « محمد عبد الغنى الجمسى » رئيس هيئة العمليات – اللواء « فؤاد نصار » قائد المخابرات الحربية .

وكان الأعضاء السوريون هم : اللواء « مصطفى طلاس » وزير الدفاع – اللواء « يوسف شكور » رئيس هيئة أركان الحرب – اللواء « ناجى جميل » قائد القوات الجوية والدفاع الجوى – اللواء « حكمت الشهابى » مدير المخابرات الحربية – اللواء « عبد الرزاق الدرديرى » رئيس هيئة العمليات – العميد « فضل حسين » قائد القوات البحرية .

ثلاثة عشر عضوا من الجانبين ، وانضم إليهم اللواء « بهى الدين نوفل » ليقوم بأمانة سر القيادة العليا المشتركة للقوات المسلحة المصرية – السورية .

وتم الاتفاق على كل تفاصيل الخطة « بدر » ، وهى تحدد المهام والواجبات المفروضة على كل جبهة من جبهتى ميدان القتال :

---

(٤) رجاء مراجعة كتاب « الطريق إلى رمضان » لـ « محمد حسنين هيكل » .

● القوات المصرية تعبر القناة ، وتقتحم خط بارليف ، وتتقدم حتى ترتكز على مضايق سيناء – طبقا لما رسمته من قبل الخطة « جرانيت (٢) » ، ثم تقف متأهبة لرد هجمات إسرائيلية مضادة – آتية بلا ريب .

● القوات السورية تندفع لتسترد هضبة الجولان وتحكم سيطرتها عليها بالكامل ، وتشرف منها على الجليل الأعلى كله ، ثم تتطور عملياتها وفق متغيرات الموقف بعد ذلك .

وكانت توصية الاجتماع إلى القيادة السياسية العليا : « أنور السادات » و « حافظ الأسد » – بالنسبة لتوقيت المعركة هى الفترة من ٥ إلى ١١ أكتوبر[٥] .

□

ويوم ٥ سبتمبر ١٩٧٣ – الساعة العاشرة صباحا – كان « محمد حسنين هيكل » على موعد مع الرئيس « السادات » فى استراحة الرئاسة في « برج العرب » – على ساحل مصر الشمالى – بالقرب من مسرح معركة العلمين ، وهى من أشهر معارك الحرب العالمية الثانية .

وعندما وصل « هيكل » إلى الاستراحة دهش إذ وجد الرئيس « السادات » واقفا على بابها بجوار سيارة من طراز « مرسيدس » بنية اللون . ودعاه الرئيس « السادات » إلى الركوب بجواره في السيارة ، وراح يقودها بنفسه على طريق جانبى صغير ، بينما سيارة واحدة من سيارات الحرس تتبع سيارة الرئيس[٦] .

وقال الرئيس « السادات » وعينيه على الطريق : « سنذهب إلى استراحة « كنج مريوط » لنتحدث فى أمور هامة ... »

ثم رفع عينيه عن الطريق والتفت إلى « هيكل » ونطق بنص قرآنى ، وبصوت يحمل نبرة قصدها درامية :

– « **قضى الأمر الذى فيه تستفتيان** » !

ثم سكت تاركا ما قاله يحدث أثره بالكامل ، ثم استأنف وبصوت حازم هذه المرة :

– « **اتخذت القرار** » .

وكانت الرسالة واضحة ... وساد الصمت إلا محرك السيارة وصوت عجلاتها على الطريق ، ومشاهده تمر على الجانبين بسرعة انطلاق السيارة التى يقودها الرئيس فى اتجاه استراحة « كنج مريوط » .

---

(٥) لا أجد مناسبا أن أدخل فى تفاصيل الخطط ، فقد غطاها كثيرون غيرى بأفضل وأكفأ – كما أننى سبق أن تعرضت لها تفصيلا فى كتاب « الطريق إلى رمضان » .

(٦) رجاء مراجعة كتاب « الطريق إلى رمضان » – وقد نشر سنة ١٩٧٥ فى حياة الرئيس « السادات » .

كانت المشاهد على جانبى الطريق تمر بسرعة ، ولكن الزمن بدا وكأنه لا يفوت ، فالدقائق كأنها السنون ، والثوانى كأنها أسابيع ، والصمت بين الرئيس وضيفه مطبق بعد جملتين معبأتين بروح التاريخ ذاتها – نطق بهما « أنور السادات » . وقد أدرك الرجلان بالحس أن الصمت واجب حتى فى السيارة .

وأخيرا ظهرت استراحة « كنج مريوط » . واختار الرئيس « السادات » ركنا بعيدا منها وجلس ، وطلب كوب ماء جاءوه به ، وراح يشرب ببطء وأناة .

ثم التفت إلى « هيكل » وقال له :

– « **سمعتنى ؟ ... أخذت القرار** » !



كان الرئيس « أنور السادات » – وعلى أساس توصيات القيادة المشتركة – وبالتشاور مع الرئيس « الأسد » – قد اتخذ قرار الحرب وقبل بالفترة المقترحة لبدء العمليات ما بين ٥ إلى ١١ أكتوبر .

كانت خطط العمل العسكرى جاهزة لدى جهة الاختصاص بها ، وهى وزارة الحربية والقيادة العامة .

ثم إن خطط إعداد الدولة للحرب ، فى مجالى الإنتاج والخدمات ، قد تهيأت – وهى بدورها الآن جاهزة لدى جهة الاختصاص ، وهى مجلس الوزراء .

لكن هناك مجموعات من الشواغل كانت لا تزال حائرة فى فكر الرئيس « السادات » وكان معظمها فى مجالات السياسة والإعلام .

والآن فقد كان يريد مناقشة هذه الشواغل ويستقر فيها على قرار ، وكان يريد أن يناقش احتمالاتها فى أضيق نطاق ممكن .

كانت شواغله رؤوس موضوعات تفرعت منها أسئلة تناولتها المناقشة على شكل مجموعات متصلة ببعضها :(٧)

---

(٧) طلبت أوراقا لأكتب عليها ولو مجرد إشارات لما يمكن أن تسفر عنه المناقشات ، وطلب الرئيس « السادات » حقيبة يده وكانت فى سيارة الحراسة وأخرج منها مجموعة أوراق تحمل شعار الدولة واسم الرئيس . والغريب أنه لم يكن معى قلم ، وأخرج قلما وراح يجربه على أول ورقة من مجموعة الأوراق التى أخرجها ، واختار أن يجرب قلمه بكتابة اسم أصغر أبنائى (« حسن ») ، وكان أقربهم جميعا إلى الرئيس « السادات » – وهذه هى الأهمية التاريخية لهذه الورقة – فهى ورقة عليها بعض التفاصيل مما كنا نتحدث فيه ذلك اليوم بخطى – ولكنها فى نفس الوقت تحمل خط يد الرئيس « السادات » . وتوجد صورة لهذه الورقة فى ملحق صور الوثائق تحت رقم (٤٦) – على صفحة (٧٨٣) من الكتاب .

••• المجموعة الأولى :

ماذا إذا عرفت إسرائيل بوجود الحشود المستعدة للهجوم على الجبهة ؟ من الناحية العسكرية فإن أى رد فعل إسرائيلى له إجراءاته – وهذه موضعها جهة أخرى فى البحث ...

ولكن ماذا عن الناحية السياسية والإعلامية – وإذن :

- ماذا لو أن إسرائيل عرفت بالحشد العسكرى ، وعرفت بنواياه ، ثم أثارت ضجة سياسية : مع الولايات المتحدة ؟ – وربما مع الاتحاد السوفيتى عن طريق الولايات المتحدة ؟ – وكذلك – احتمالا – فى إطار الأمم المتحدة ؟
- ماذا لو بدأت إسرائيل عملا عسكريا على الجبهة السورية وحدها ، أرادت به سبق الحوادث ؟ – وماذا تفعل مصر وكيف تتصرف سياسيا وإعلاميا ؟
- يتصل بذلك مباشرة تحديد الخطوط التى يمكن أن تجرى عليها الاتصالات مع الاتحاد السوفيتى ، ومع الولايات المتحدة الأمريكية .

••• المجموعة الثانية :

- ماذا لو تلقينا أسئلة من الولايات المتحدة الأمريكية قبل بدء العمليات ؟ – كيف نتصرف وماذا نقول بعد بدء العمليات فى عرض أسبابنا سواء على المستوى الرسمى أو على المستوى الإعلامى .
- كيف نتصرف إزاء الاتحاد السوفيتى ؟ – هل نصارحه ؟ ومتى ؟ – ورد فعله إذا ما عرف مسبقا ، وكيف يمكن التعامل معه بحيث لا يكون استئذانا ولا يكون قيدا ؟
- كيف ومتى نخطر « إخواننا » العرب ؟ – ومن من هؤلاء العرب ؟
- كيف نخطر أصدقاءنا ؟ بالذات فى مجموعة عدم الانحياز : رئيس يوجوسلافيا الماريشال « تيتو » – ورئيسة وزراء الهند « انديرا غاندى » ؟ – كيف ؟ وإلى أى حد ؟ ومتى ؟
- كيف نخطر الأطراف الدولية الأخرى وبالذات فى أوروبا ؟ – وكان فى ذهن الرئيس « السادات » ثلاثة بالذات من زعماء أوروبا هم « ادوارد هيث » رئيس وزراء بريطانيا – و « ويلى برانت » مستشار ألمانيا الغربية – و « جورج بومبيدو » رئيس الجمهورية الفرنسية .

••• المجموعة الثالثة :

- كيف نعلن للعالم بدء العمليات ؟

● كيف يمكن تنظيم الإعلام الخارجى ؟
● كيف نتعامل مع المراسلين الأجانب فى مصر ، وعددهم وقتها ٤١١ مراسلا ؟

●●● **المجموعة الرابعة** (وكانت لا تزال متصلة بالخارج) :

● كيف ندير المعركة فى الأمم المتحدة ؟ وكيف ومتى نتحدث مع السكرتير العام « كورت فالدهايم » ؟
● كيف نعبىء قوى أصدقاء مصر فى إفريقيا فى إطار الأمم المتحدة ، وهم قوة ضخمة فيها ؟
● ما هى الجهود المساعدة التى يمكن أن نقوم بها فى العالم العربى وخارجه لخدمة المعركة ؟

●●● **المجموعة الخامسة** (وقد انتقل الرئيس « السادات » فيها إلى أسئلة متعلقة بالداخل) :

● كيف يمكن إخطار المؤسسات الرسمية والشعبية ببدء العمليات ؟
● كيف يمكن ضبط نغمة الإعلام فى الداخل ؟
● كيف يمكن أن نظل فى الداخل على اتصال وثيق بصورة ما يقال فى الخارج عن الحرب ؟

واتصلت المناقشة وامتدت من قرابة الساعة الحادية عشرة صباحا حتى الساعة الرابعة إلا ثلثا بعد الظهر .

واستقر الحديث معه على إجابات لأسئلته :

– بالنسبة للمجموعة الأولى يصعب التوصل الآن إلى إجابات محددة ، وما يمكن التوصل إليه هو مجرد خطوط استرشاد guide lines – ذلك أن المسائل هنا معلقة لا بوجود الحشود نفسها ، ولكن بترجمة نوايا هذه الحشود فى يوم معين ، وبالتالى فلابد من ترك هذه الإجابة إلى توقيت السؤال على أساس ضوابط حاكمة :

– إنه لا يمكن تأجيل بدء العمليات عن الموعد الذى يتقرر .
– إنه لا يمكن الاستجابة لضغوط دولية تعوق ضرورة العمل .
– إنه لا يمكن ترك سوريا وحدها إذا قررت إسرائيل مهاجمتها .

– وبالنسبة للاتحاد السوفيتى فإنه سوف يحس بواقع وجود خبرائه فى القوات المسلحة المصرية والسورية . وعلى أى حال فمن الضرورى إخطاره مسبقا دون ساعة أو تاريخ بالتحديد – ذلك لأن إمداده لنا بالسلاح قد يصبح ضرورة عاجلة من ضرورات المعركة خصوصا بالنسبة لبعض المعدات والذخائر . وأيضا لأن الحرب سوف تدخل دون جدال فى علاقاته مع الولايات المتحدة ،

ولابد من إعداده لموقف حازم . ولكنه قد يكون من المستحسن أن يكون الرئيس « حافظ الأسد » هو الذى يقوم بالإخطار لأن علاقاته بالسوفيت « سالكة » أكثر – ثم يتبع ذلك خطاب شخصى منه (من الرئيس « السادات ») إلى الزعيم السوفيتى « ليونيد بريجنيف » يتم تسليمه فى لحظة فتح النار .

– وبالنسبة للولايات المتحدة فإنه من غير المتصور بالطبع حدوث أى كلام معها قبل العمليات . وبعد العمليات فلا ينبغى أن تكون هناك هرولة إليها ، وإنما يكون هناك استعداد دائم لموقف إيجابى بقدر ما تسمح به الظروف . وفى كل الأحوال ، فهو – الرئيس – لابد أن يكون بعيدا بنفسه عن هذه المسألة ، وأن يتعرض لها غيره : الدكتور « محمود فوزى » مثلا – أو الدكتور « محمد حسن الزيات » وزير الخارجية . لكنه هو شخصيا لا ينبغى أن يدخل إلا والأرضية ممهدة لدخوله ، خصوصا وأن المعركة – مهما كانت نتائجها – سوف تطرح واقعا جديدا لا علاقة له بما قبله سواء كان ذلك للأحسن أو للأسوأ .

– من بين « إخواننا العرب » – فإن الملك « فيصل » هو الوحيد الذى يتم إخطاره مقدما بدون تحديد اليوم أو الساعة – وذلك لأن دور الملك سوف يكون حيويا فى استعمال البترول سلاحا فى المعركة فى مرحلة ما من مراحل تطورها ، وكان ذلك ما تعهد به الملك صراحة شريطة أن تطول المعركة بما يسمح بتعبئة عالمية .

أما « معمر القذافى » فـ « لا إخطار مسبق . ويسمع من الإذاعات ... وهذا أضمن ! » (وفى تلك النقطة كان الرئيس « السادات » قاطعا) .

– وبالنسبة ليوجوسلافيا والهند – يتم إعداد خطابين منه بنفس المعنى إلى الرئيس « تيتو » وإلى السيدة « انديرا غاندى » ، ويتم تسليم الخطابين لسفيرى بلديهما فى القاهرة مع بدء المعارك .

– بالنسبة لبريطانيا وألمانيا وفرنسا – يتم إعداد ثلاثة خطابات منه بنفس المعنى إلى « ادوارد هيث » ، و « ويلى برانت » ، و « جورج بومبيدو » – وتسلم هذه الخطابات الثلاثة لسفراء هذه الدول فى ظرف ساعة من بدء المعارك .

– بالنسبة للدول الإفريقية – يتم إعداد خطاب شخصى يرسل لكل زعماء إفريقيا ، يتضمن عرضا سريعا لأزمة الشرق الأوسط ، واستحالة الحل السلمى ، واضطرار مصر إلى العمل لتحرير أرض إفريقية محتلة .

– بالنسبة لإعلان بدء العمليات ، كان الرئيس « السادات » ميالا فى البداية إلى إعلان حماسى مؤثر ، ثم غير رأيه لصالح بيان يذاع بعد بدء العمليات يعلن حدوث اشتباك على الجبهة تطور واتسع ، ولا يزال دائرا ، وذلك حتى يتضح مسار العمليات ، مع تكليف السفير « أشرف غربال » (وكان قد عين مستشارا صحفيا للرئيس) بالتوصل إلى صيغة لهذا البيان مع « محمد حسنين هيكل » .

– بالنسبة للعمل فى الأمم المتحدة ، ناقش الرئيس احتمال سفر الدكتور « محمود فوزى »

إلى نيويورك ليقود المعركة الدبلوماسية ، ثم استقر فى النهاية على أن يتركها لوزير الخارجية الدكتور « محمد حسن الزيات » الذى سيكون هناك فعلا لحضور دورة الجمعية العامة للأمم المتحدة .

وفى القاهرة فقد انتهى إلى تكليف السيد « اسماعيل فهمى » وكيل وزارة الخارجية السابق ووزير السياحة « الآن » - أن يمسك بالخيوط فى وزارة الخارجية .

وأما بالنسبة للدكتور « محمود فوزى » فإنه يفضل أن يجده على مقربة منه فى القاهرة يتشاور معه فى كل وقت (وقد « نفكر فى تخصيص مكتب له فى الطاهرة » - كذلك قال الرئيس « السادات ») .

كذلك فإنه يمكن على الفور تكليف غرفة عمليات للمتابعة فى وزارة الخارجية تضم بعض المخضرمين والشباب من عناصر الوزارة .
(وجرى طرح قائمة أسماء ضمت أحد عشر دبلوماسيا) .

- بالنسبة للجهود المساعدة : يقوم الدكتور « مصطفى خليل » بوضع خطة لاستعمال البترول وسيلة ضغط فى المعركة - حتى تستطيع مصر تقديم مقترحات محددة للملك « فيصل » إذا جاءت اللحظة المناسبة .

وفى نفس الوقت : يقوم الدكتور « عزيز صدقى » بصلاته مع اتحادات العمال العربية - بحكم مسئوليته عن الصناعة فى مصر لأكثر من خمس عشرة سنة - بإعداد مقترحات لما يمكن عمله إزاء المصالح الغربية فى المنطقة - فى حالة ما إذا تعذر استعمال سلاح البترول ، أو طرأت ظروف تدعو إلى تهديد المصالح الغربية(٨) .

- بالنسبة لمتابعة العمل الداخلى : فإن الدكتور « عبد القادر حاتم » القائم بأعمال رئيس الوزراء ، يستطيع أن يستعين برجال مثل الدكتور « عزيز صدقى » ، والمهندس « سيد مرعى » ، والدكتور « حافظ غانم » .

وبالنسبة للدفاع المدنى : فمن المستحسن أن يعهد به إلى شخصية ذات مكانة كبيرة مثل السيد « حسين الشافعى » ، ويعاونه السيد « ممدوح سالم » وزير الداخلية ، والمهندس « زكى قناوى » فيما يتعلق بسلامة منشآت الرى .

- بالنسبة لإخطار المؤسسات الرسمية والشعبية : فسوف تعرف كلها فى الحال بما يقع فور وقوعه ، ثم إن الكل معبأ ومهيأ . وفى يوم ملائم ، وحسب مسار المعركة . يستطيع الرئيس « السادات » أن يتحدث إما من التليفزيون والإذاعة مباشرة للجميع ، وإما من على منبر اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى ، أو من على منبر مجلس الأمة ، أو فى اجتماع مشترك بين المؤسستين .

---

(٨) لم تنشأ حاجة إلى ذلك فيما بعد .

– نغمة الإعلام الخارجى لابد أن تكون هى نفس نغمة الإعلام الداخلى ، ويتحقق ذلك بالكامل ولا يحتاج إلى أى جهد إضافى إذا أصبحت إذاعات القاهرة وصحفها مصدرا سريعا لأخبار دقيقة وتعليقات لا تشوبها شائبة المبالغات التى أحدثت أثرا عكسيا عندما مورست بطريقة فجة سنة ١٩٦٧ .

– بالنسبة لمتابعة الصورة فى الخارج : فالمشكلة سهلة ، فما بين الوسائل المتاحة للمكتب الصحفى للرئيس وفيه السفير « أشرف غربال » ، وما بين « الأهرام » – يمكن أن تتكامل صورة واسعة فى أى لحظة .

. . . .

. . . .

وعلى طريق العودة من استراحة « كنج مريوط » إلى استراحة « برج العرب » مرة أخرى ، بعد الظهر ، وبالسيارة أيضا وهو على مقعد قيادتها ، جرى طرح اجتهاد آخر يخص الجانب العسكرى ، وهو أن ينشأ مركز للتفكير العسكرى بعيدا عن مركز القيادة العامة ، ويكون هذا المركز فى صورة آخر المعلومات من الجبهة وعن تطورات القتال ، ويكون لمن فيه أن يفكروا فى اقتراحات – مجرد اقتراحات – يبعثون بها إلى القيادة العامة المشغولة والمثقلة بتنفيذ الخطة – إذا ما لاحت أمامهم فرصة أو بدت ثغرة . وجرى بالفعل اختيار ثلاثة من كبار الضباط يلتحقون بهذا المركز ، وهم : اللواء « حسن البدرى » رئيس وحدة الدراسات العسكرية والاستراتيجية فى الأهرام ، واللواء « طلعت حسن » وكان قائدا للقوات فى اليمن قبل سنوات ، واللواء « مصطفى الجمل » وكان رئيسا للدراسات العسكرية فى القوات المسلحة .

(وفيما بعد ، ومن باب الوصف والإشارة ، أطلق على المكان المخصص لعمل هذه المجموعة اسم « المركز رقم ١١ » . وكان مركز القيادة العامة للقوات المسلحة وقت العمليات يحمل اسم « المركز رقم ١٠ ») .

□

وفى يوم ١١ سبتمبر وصل الرئيس « الأسد » إلى القاهرة لما سمى باجتماع ثلاثى بينه وبين الرئيس « أنور السادات » والملك « حسين » ، وكان هذا الاجتماع الثلاثى غطاء لاجتماع ثنائى بين الرئيسين « السادات » و « الأسد » أريد له ألا يلفت الأنظار(٩) .

---

(٩) كان الرئيسان « السادات » و « الأسد » قد استقر رأيهما على عدم مفاتحة الملك « حسين » بشىء من خططهما لعدم إحراج وضعه أولا – ثم لمخاطر فتح جبهة أردنية دون قوات كافية لحمايتها – وكذلك لأن هناك « عناصر فى عمان » لا داعى لكشف كل الأوراق أمامها .



الرئيس السادات أثناء اجتماعه بالملك حسين فى سبتمبر ١٩٧٣ .

ففى الاجتماع الثلاثى ، وبعد جلسة محادثات بين الثلاثة ، أعلن عن عودة العلاقات الدبلوماسية بين سوريا والأردن . ثم جاء بعد ذلك اجتماع ثنائى لم يعلن عنه بين « السادات » و « الأسد » فى استراحة « برج العرب » ، وتحدث الاثنان طويلا – لمدة ثلاث ساعات – وتناولا غداء انضم إليهما فيه الفريق « أحمد اسماعيل » .

وفى الساعة الرابعة بعد الظهر وصل « محمد حسنين هيكل » إلى الاستراحة ليجد الرئيس « السادات » لا يزال عند مهبط الهليوكوبتر يلوح بيده مودعا ضيفه الرئيس « حافظ الأسد » القاصد إلى مطار « جاناكليس » وفى رفقته الفريق « أحمد اسماعيل » ، ومن هناك يركب الرئيس السورى طائرته عائدا إلى دمشق .

وفى الطريق مشيا على الأقدام عودة إلى الاستراحة كان الرئيس « السادات » فى نفس المزاج الحازم والرصين الذى صحبه منذ اتخذ قرار الحرب .

وقال الرئيس « السادات » : « إن الاتفاق تام على كل شىء ، ولم تبق إلا نقطة واحدة ، وهى ساعة الصفر ، وهذه سوف يتم البت فيها أثناء زيارة نهائية إلى دمشق يقوم بها « أحمد » (يقصد الفريق أول « أحمد اسماعيل على ») .

وسأله « هيكل » : « هل هو واثق أن إخواننا فى سوريا سوف ينفذون ما يتعهدون به هذه المرة ؟ »

وقال بسرعة : « ثقتى فى حافظ (يقصد الرئيس « حافظ الأسد ») .. حافظ شىء آخر مختلف عن الباقيين » .

وأبدى « هيكل » ملاحظة تحمل معنى التخوف من رواسب تجارب قديمة « مع الضباط البعثيين السوريين » .

ورد الرئيس « السادات » بسرعة : « لا ... لا ... لا ... حافظ شىء آخر »[10] .

□

وتسارعت التطورات .

ويوم ٢٠ سبتمبر ١٩٧٣ بعث الفريق أول « أحمد اسماعيل على » إلى نظيره السورى اللواء « مصطفى طلاس » رسالة شفرية وردت فيها كلمة « بدر » - وهى الاسم الرمزى للعملية - وكان ذلك أمرا إنذاريا بالاستعداد يبدأ منه العد التنازلى نحو يوم « ى » (اليوم الذى تحدد لبدء العمليات ، وهو ٦ أكتوبر) .

ومساء يوم ٢١ سبتمبر ١٩٧٣ كان « محمد حسنين هيكل » على موعد مع الرئيس « السادات » فى استراحة « برج العرب » ، وقد وصل إليها فعرف أن الرئيس « السادات » فى الكابينة المبنية على طرف الشاطىء ، وتوجه إليها ، وهناك التقى بضيف كان مع الرئيس قبله ، وهو « دافيد روكفللر » رئيس مجلس إدارة بنك « تشيز مانهاتن » فى ذلك الوقت ، وكان « دافيد روكفللر » قادما برسالة من الرئيس « نيكسون » يطلب فيها من الرئيس « السادات » أن يعطى فرصة لتجربة الحل الجزئى على أساس فتح قناة السويس ، وبعدها فإن الأمور سوف تكتسب قوة دفع ذاتية[11] .

وبعد خروج « دافيد روكفللر » توجه الرئيس « السادات » ومعه « هيكل » إلى شرفة الاستراحة المطلة على البحر ، وكانت ساعة الغروب لوحة من جلال الطبيعة تداخل فيها الأحمر

---

(١٠) فيما بعد رويت هذا الجزء من الحوار للرئيس « حافظ الأسد » ، وكان ذلك سنة ١٩٧٥ وفى معرض شكوى الرئيس « الأسد » من أن الرئيس « السادات » يتصرف فى كل شىء دون إخطاره ، بما يؤثر على « مستقبل القضية » - وقد قلت له فى محاولة لتلطيف الأجواء بين الرجلين - إن ثقة الرئيس « السادات » فيه كاملة . ثم حدثته بما أبديته ذات مرة من مخاوف على ضوء تجارب سابقة ، وقال الرئيس « الأسد » وكانت ردة فعله التلقائية قوله : « العمى .. هيك قلت له ؟ » ورددت معترفا « بأننى فى الحقيقة قلت ذلك ! » - وضحك الرئيس « حافظ الأسد » ، وكان حلمه أكثر حكمة من سوء ظن صحفى مصرى . وإن كانت شكواه من الرئيس « السادات » لم تنته ، وقد أضاف إليها أنه « يتلقى من الأخ أنور أحيانا رسائل مكتوبة بطريقة لا تصح بينهما » . ثم أضاف : « عندما نتقابل نتصارح كأصدقاء ، ولكن أن تكتب أشياء مثلما يكتب أحيانا وعلى « الآلة الطابعة » - فهذا معناه أننا ندخل السكرتارية فى مستوى علاقاتنا الشخصية ، وهو ما أعترض عليه ! » .

(١١) شرح لى « دافيد روكفللر » مضمون الرسالة بعد ذلك فى موعد اتفقنا عليه أمام الرئيس « السادات » ليكون غداة اليوم التالى فى مبنى « الأهرام » بالقاهرة .

القانى مع الرمادى القاتم على تكوينات مهيبة من السحب العابرة فوق بحر داكن ينزل عليه الظلام ببطء .

وعلق الرئيس « السادات » بسرعة على روعة جمال الطبيعة ، ثم عاد إلى أزمة اختياره الإنسانى قائلا : « إن القرار بالنسبة لكم جميعا تعامل مع الأفكار والتقديرات والاحتمالات – وأما بالنسبة لى فإن القرار تعامل مع الحياة والموت » .

وراح يتدفق ، ووردت على لسانه جملة عكست ما كان يدور فى أعماقه :

– « ليس من حق أحد أن يلومنى مهما كانت النتائج . قرار الحرب هو ما كانت البلد تريده ، وما لم يكن منه على أى حال مفر ... ولست أعرف كيف سيأخذ الناس حجم خسائرهم فى القتال – لكن أحدا لا يحق له أن يتوجه إلىّ بلوم أو نقد – كان هذا ما فرضته الظروف ويفرضه الواجب وقد أديته ، وأما ما يحدث بعد ذلك ... » .

وتوقف عن الكلام ...

ثم انتقل فجأة إلى الموضوع الذى كان يلح عليه ، وهو أن « أحمد (يقصد الفريق أول أحمد اسماعيل) يطلب توجيها سياسيا مكتوبا يتضمن الأمر بالبدء فى القتال ويحدد هدف العمليات . وبعد مناقشة فى الخطوط طلب الرئيس « السادات » من « محمد حسنين هيكل » أن يقوم على كتابة هذا التوجيه الصادر منه إلى القائد العام للقوات المسلحة(١٢) .

وتمت كتابة التوجيه السياسى المتضمن أمر القتال ، ووافق عليه الرئيس « السادات » ووقعه وبعث به إلى الفريق « أحمد اسماعيل » ، لكن وزير الحربية طلب أمرا محددا بكسر وقف إطلاق النار ، وذلك لتغطية المسئولية السياسية بطريقة قاطعة تحمل صيغة الأمر المباشر ولو فى سطر واحد .

وكان له ما أراد .

كان التوجيه الاستراتيجى الأول يحمل العبارات التالية :

....

....

(١٢) من حسن الحظ أننى ذكرت هذه الواقعة فى التحقيق الذى أجراه المدعى الاشتراكى معى سنة ١٩٧٨ ، وكان ذلك فى حياة وتحت سلطة الرئيس « أنور السادات » . وحين سألنى المدعى الاشتراكى ، وهو الأستاذ « أنور حبيب » وقتها ، دليلا على ذلك قلت له إن أسلوب أى كاتب هو دليله على ما فعل وما لم يفعل ، وعلى أى حال فإنه يستطيع سؤال رئيس الجمهورية . وكان التحقيق معى على أساس تهمة ضمن تهم أخرى – ترى أننى كنت بما أكتب أثبط الروح المعنوية وأشيع روحا انهزامية . وقد نشرت وقائع التحقيقات معى كلها فى كتاب ، وكان ذلك أيضا أثناء حياة وسلطة الرئيس « السادات » – ولقد نشر الرئيس « السادات » هذا التوجيه الذى يفصح بنفسه عن شخصية كاتبه فى مذاكراته التى صدرت بعنوان « البحث عن الذات » .

ثالثا – عن استراتيجية مصر فى هذه المرحلة

إن الهدف الاستراتيجى الذى أتحمل المسئولية السياسية فى إعطانه للقوات المسلحة المصرية .. وعلى أساس كل ما سمعت وعرفت من أوضاع الاستعداد يتلخص فيما يلى :

تحدى نظرية الأمن الإسرائيلى ، وذلك عن طريق عمل عسكرى « حسب إمكانيات القوات المسلحة »[١٣] يكون هدفه إلحاق أكبر قدر من الخسائر بالعدو وإقناعه أن مواصلة احتلاله لأراضينا يفرض عليه ثمنا لا يستطيع دفعه .. وبالتالى فإن نظريته فى الأمن – على أساس التخويف النفسى والسياسى والعسكرى – ليس درعا من الفولاذ يحميه الآن أو فى المستقبل .

وإذا استطعنا بنجاح أن نتحدى نظرية الأمن الإسرائيلى ، فإن ذلك سوف يؤدى إلى نتائج محققة فى المدى القريب وفى المدى البعيد .

فى المدى القريب : فإن تحدى نظرية الأمن الإسرائيلى يمكن أن يصل بنا إلى نتائج محققة تجعل فى الإمكان أن نصل إلى حل مشرف لأزمة الشرق الأوسط .

وفى المدى البعيد : فإن تحدى نظرية الأمن الإسرائيلى يمكن أن يحدث متغيرات تؤدى بالتراكم إلى تغيير أساسى فى فكر العدو ونفسيته ونزعاته العدوانية .

رابعا – عن التوقيت

إن الوقت من الآن ، ومن وجهة نظر سياسية ، ملائم كل الملائمة لمثل هذا العمل الذى أشرت إليه فى ثالثا من هذا التوجيه .

إن أوضاع الجبهة الداخلية وأوضاع الجبهة العربية العامة بما فى ذلك التنسيق الدقيق مع الجبهة الشمالية ، وأوضاع المسرح الدولى تعطينا من الآن فرصة مناسبة للبدء .

ومع العزلة الدولية للعدو .. ومع الجو الذى يسود عنده بنزاعات الانتخابات الحزبية وصراعات الشخصيات – فإن احتمالات الفرصة المناسبة تصبح أحسن أمامنا .

القاهرة ٥ رمضان ١٣٩٣ — رئيس الجمهورية
أول أكتوبر ١٩٧٣ — أنور السادات »

وكان الأمر المباشر اللاحق على النحو التالى :

« توجيه استراتيجى من رئيس الجمهورية(*)
والقائد الأعلى للقوات المسلحة

إلى : الفريق أول أحمد اسماعيل على

وزير الحربية والقائد العام للقوات المسلحة

١ – بناء على التوجيه السياسى العسكرى الصادر لكم منى فى أول أكتوبر ١٩٧٣ وبناء على

---

(١٣) أضافها الرئيس « السادات » بخط يده إلى النص الأصلى . وتوجد فى ملحق صور الوثائق صورة للجزء المضاف بخط الرئيس « السادات » ، وكذلك صورة للصفحة الأخيرة ، وهما معا تحت رقم (٤٧) – على صفحة (٧٨٤) من الكتاب .

(*) لم يكتب هذا الأمر المباشر للفريق « أحمد اسماعيل » على الآلة الكاتبة ، وإنما تمت كتابته بخط اليد فى مكتب القائد العام ، وقد وقعه الرئيس « السادات » ونشر صورة منه فى كتابه « البحث عن الذات » .

الظروف المحيطة بالموقف السياسى والاستراتيجى : قررت تكليف القوات المسلحة بتنفيذ المهام الاستراتيجية الآتية :

أ - إزالة الجمود العسكرى الحالى بكسر وقف إطلاق النار اعتبارا من يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣ .

ب -تكبيد العدو أكبر خسائر ممكنة فى الأفراد والأسلحة والمعدات .

جـ -العمل على تحرير الأرض المحتلة على مراحل متتالية حسب نمو وتطور امكانيات وقدرات القوات المسلحة .

٢ - تنفذ هذه المهام بواسطة القوات المسلحة المصرية منفردة أو بالتعاون مع القوات المسلحة السورية .

٩ رمضان ١٣٩٣ هـ	**أنـور السادات**
٥ أكتوبر ١٩٧٣ م	**رئيس الجمهورية »**

ويوم ٢ أكتوبر - قبل يوم « ى » بأربعة أيام - والعد التنازلى يقترب لحظة بعد لحظة من اليوم المشهود - طار الفريق « أحمد اسماعيل على » إلى دمشق للاتفاق على ساعة الصفر .

كانت ساعة الصفر هى المسألة الوحيدة المعلقة والمؤجلة للحسم حتى آخر لحظة ، وكانت موضع خلاف بين الجبهتين .

الجيش السورى يريد أن يبدأ مع أول ضوء لأن الشمس سوف تكون فى وجه مدرعات العدو مع اندفاعة المدرعات السورية إلى هضبة الجولان .

والجيش المصرى كان يريد أن يبدأ مع آخر ضوء ليستغل القمر الصاعد مع تقدم الليل - ١٠ رمضان - فى إقامة جسور العبور على قناة السويس . وبعدها قتال ليلى يتحرك بسرعة لتطويق النقط الحصينة على خط بارليف .

وانتهت المناقشات فى حضور الرئيس « الأسد » إلى موعد آخر لا يتوقع أحد فيه أن تبدأ العمليات ، فى شهر الصوم ، وفى يوم عيد الغفران فى إسرائيل - وهو الساعة الثانية بعد الظهر فى وضح النهار ، وأثناء الصوم ، وفى غمرة صلوات يوم الغفران !

٣

يوم ٢ أكتوبر كان قرار الحرب حقيقة واقعة خارجة عن إرادة صاحب القرار نفسه ، لأن الوحدات البحرية - المدمرات التى ستقوم بفرض الحصار على باب المندب - والغواصات التى تتسلل لتتخذ مواقعها على مداخل عدد من الموانى الإسرائيلية - كانت كلها قد خرجت إلى البحر على الطريق إلى تنفيذ مهامها المقررة لها فى الخطة . ولما كانت هذه الوحدات البحرية سوف تلتزم بصمت لاسلكى كامل يعزلها تماما عن قيادتها . فقد كان معنى ذلك أنه لا وسيلة للاتصال بها إلا بعد أن تؤدى مهامها الأولى طبقا للخطة .

وكان هناك سؤال ملح على الرئيس « أنور السادات » وهو : متى يمكن أن تشعر إسرائيل بما يجرى على الجبهة المصرية أو على الجبهة السورية ، ومن ثم تعرف أن هناك هجوما على وشك أن ينطلق ؟

وفى اجتماع للمجلس الأعلى للقوات المسلحة يوم أول أكتوبر ، كان هذا هو الموضوع الذى أراد الرئيس أن يتحدث فيه على انفراد مع الفريق « سعد الدين الشاذلى » رئيس هيئة أركان الحرب . وكان رد « الشاذلى » :

« • إنهم حتى الآن ، وفيما هو ظاهر من كل التحركات على الخطوط ، وفيما هو واضح من كل الرسائل الملتقطة من قيادة القوات الإسرائيلية فى سيناء - لم يعرفوا[14] .

• وإذا ظلوا لا يعرفون فى الثمانية والأربعين ساعة القادمة - فإنه لن يعود مهما جدا أن يعرفوا أو لا يعرفوا ، لأن معنى ذلك أنه لم يتبق أمامهم غير ثمانية وأربعين ساعة أخرى - وبالتالى فإن الفرصة تكون فاتتهم لإجراء تعبئة عامة ودفع القوات إلى الجبهة .

• إنه من الأفضل ألا يعرفوا حتى آخر لحظة ، حتى لا يلجأوا إلى استعمال الطيران بسرعة لضربة إجهاض ، وعلى أى حال فإنه على فرض أن ذلك حدث ، فإن « خططنا ستمضى فى طريقها المرسوم » . »

وكان طلب الرئيس « السادات » من « سعد الدين الشاذلى » : أن يخطره على الفور إذا بدت من التحركات أو الإشارات بادرة تدل على « أنهم عرفوا شيئا » .

ومن الغريب أن الإسرائيليين كادوا يعرفوا ، وكانت الشواهد أمامهم ، ولكنهم أعرضوا عنها بسبب سيادة مفهوم استراتيجى تملكهم وسيطر بالكامل على أفكارهم ، وهو : **أن مصر لن تحارب لأنها تعرف حجم تفوق الجيش الإسرائيلى - ثم إن الرئيس « السادات » لن يصدر قرار الحرب لأنه يعرف مخاطره على رئاسته شخصيا !**

وكانت أهم الشواهد التى تبدت أمام إسرائيل ، وفشلت فى ترجمة ما تعنيه - شاهدان :

☐ **أولهما** - أن الاتحاد السوفيتى الذى أبلغه الرئيس « حافظ الأسد » ، بواسطة السفير السوفيتى فى دمشق « محيى الدينوف » - قرر بغير مناسبة إخلاء عائلات المستشارين السوفيت الذين كانوا مازالوا يعملون فى مصر وفى سوريا ، وقد لفت وصول مجموعة من إحدى عشرة طائرة ركاب ضخمة من طائرات شركة « ايروفلوت » إلى مطار القاهرة ومطار دمشق أنظار كثيرين ، ورصد الإسرائيليون هذا الوصول وفهموا غايته ، لكن تفسيرهم له جرى على أنه « حلقة من حلقات سوء التفاهم بين العرب وأصدقائهم السوفيت » . وقد ساعدهم على الوصول إلى هذا الاستنتاج

---

(١٤) لا أنوى الحديث عن كيفية تحقيق المفاجأة الاستراتيجية ، وحتى التاكتيكية ، فقد تعرضت لذلك فى كتاب « الطريق إلى رمضان » ، وكذلك تعرض له بالتفصيل عدد من كبار القادة الذين وضعوا الخطط بأنفسهم ، وكتبوا قصة تجاربهم ، وبينهم الفريق « أحمد اسماعيل » نفسه ، والفريق « سعد الشاذلى » ، واللواء « محمد عبد الغنى الجمسى » .

تصور بأنه لو كان الأمر أمر قتال وشيك ، لكان السوفيت أكثر حرصا على أصدقائهم العرب - من أن يقدموا على مثل هذا العمل الأخرق !

□ **والشاهد الثانى** - أن مسئولا فى مجلس إدارة شركة مصر للطيران - وكان ضابطا كبيرا سابقا فى القوات الجوية - أحس بواقع ما يجرى فى المطارات أن هناك شيئا محتملا . وخاف الرجل - بعد أن تشاور فى الأمر مع وزير الطيران - على أسطول طائرات شركته ، فأصدر أمرا إلى الطائرات المسافرة أن تقضى لياليها ابتداء من الآن فى عواصم الدول الأجنبية التى يتصادف وجودها فيها ، وكان توقعه بالطبع أن تنشب العمليات فى آخر ضوء أو فى أول ضوء ، وفى الحالتين فإنه يستطيع صيانة طائراته من الضربات الجوية الأولى ، وسوف تكون موجهة بالقطع إلى المطارات .

وحين أبلغ الرئيس « السادات » بما كان يجرى وهو فى بيته فى الجيزة ينتظر بقلق عميق مرور الساعات والدقائق - راح يضرب كفا على كف ويستمطر اللعنات ، والدعوات ضد « آباء وأمهات » كثيرين فى موسكو وفى القاهرة .

ولم يعد إليه شيء من الاطمئنان إلا بعد أن اتصل مساء ٣ أكتوبر بالفريق « سعد الشاذلى » ليسأله رمزا :

- « هيه ... م ....م ؟ » .

ويرد « سعد الشاذلى » :

- ليس هناك شيء يدل أو يشير .. !

ويقول الرئيس : « الحمد لله ... أولاد الـ ... نشفوا دمى » !

ثم يلتفت إلى « محمد حسنين هيكل » الذى كان جالسا معه فى غرفة مكتبه الصغيرة فى بيته فى الجيزة ، ويبدى استغرابه قائلا :

- « **الله .. ؟ هم جرى لهم إيه ؟ لسه نايمين فى العسل باين عليهم ؟** »

ثم يخشى أن يتفاءل بأكثر من اللازم ، أو يحسد نفسه على حظه ، فيستدرك قائلا :

- « **واللا ... راقدين لى فى الذرة ... ؟** »

(يقصد اختفاء المسلحين فى صعيد مصر داخل حقول الذرة أو القصب فى انتظار عدو يتربصون به .)

كان تحت ضغوط الموقف سخيا فى توزيع الأوصاف والأنساب على كل البشر !

□

ومن حسن الحظ أن المصادفات البحتة قدمت إلى الرئيس « السادات » هدية لم تكن على بال أحد ، وكان من نتيجتها أن اهتمام القيادة الإسرائيلية تحول بالكامل عن الشرق الأوسط إلى أوروبا . ذلك أن مجموعة من الفدائيين الفلسطينيين أرادوا أن يلفتوا النظر إلى وجود معسكرات فى النمسا تقوم باستقبال اللاجئين اليهود المهاجرين من أوروبا الشرقية - إلى إسرائيل ، وترتب لإيوائهم وتأهيلهم حتى يستعدوا للسفر إلى الأرض الموعودة . وهكذا فإنهم فى أول أكتوبر قاموا بالاستيلاء على قطار نمساوى يحمل جماعات من المهاجرين اليهود ، ثم أعلنوا طلباتهم وملخصها أنهم لن يفرجوا عن القطار وركابه إلا مقابل وعد من الحكومة النمساوية بإغلاق المعسكرات الموجودة على أراضيها . وبالفعل فإن المستشار النمساوى « برونو كرايسكى » استجاب للطلب ، وأصدرت حكومته قرارا بإغلاق معسكرات استقبال وتأهيل يهود أوروبا الشرقية استعدادا لسفرهم إلى إسرائيل .

وكانت الهجرة - ولا تزال - أهم هدف من أهداف إسرائيل الاستراتيجية ، وهكذا فإن رئيسة وزراء إسرائيل « جولدا مائير » اعتبرت قرار الحكومة النمساوية ضربة فى الصميم ، وقررت أن تطير بنفسها إلى فيينا وتقابل صديقها القديم - فى الدولية الاشتراكية - « برونو كرايسكى » ، وتقنعه برجوع حكومته عن قرارها بإغلاق المعسكرات اليهودية فى النمسا .

وقرر الرئيس « السادات » أن يوازن حركة ضغط « جولدا مائير » على « كرايسكى » بخطوة مضادة ، وهى أن يبعث برسول يمثله إلى « كرايسكى » يشرح له وجهة النظر العربية حتى لا تضلله « جولدا مائير » .. وحتى يتوازى ضغط عربى مع الضغط الإسرائيلى . وفى كل الأحوال فهى فرصة للفت الأنظار بعيدا عن المسرح الحقيقى الذى يوشك الستار أن يرتفع عن مشاهده ، ووقائعه .

وكان اختيار مبعوث يحمل رسالة من « السادات » إلى « كرايسكى » أمرا لا يحتاج إلى اجتهاد ، ذلك أن السيد « اسماعيل فهمى » كان إلى وقت قريب سفيرا لمصر فى النمسا ، وهو يعرف المستشار النمساوى جيدا .

وطار « اسماعيل فهمى » إلى فيينا يحمل خطابا من « السادات » إلى « كرايسكى » يقول فيه :

« إننى أبعث إليكم بتقديرى للقرار الإنسانى الذى اتخذته حكومة النمسا تحت رئاستكم والذى كان من نتيجته عدم تعريض أرواح بريئة للخطر . إن هذا القرار ينم عن شجاعة وحكمة ، وهو دليل على أن حكومة النمسا ترفض الاستمرار فى استخدام أراضيها بأسلوب غير عادى لم تقبله دولة أوروبية أخرى . وأكثر من ذلك فإننا نعتبر قرار حكومتكم بإلغاء مركز تجميع المهاجرين اليهود من الاتحاد السوفيتى إلى إسرائيل فى تلك المرحلة قرارا عادلا فى الوقت المناسب ، ولهذا أعتبره مساهمة إيجابية من جانب حكومتكم لوقف مزيد من التدهور فى الشرق الأوسط » .

ثم قال الرئيس « السادات » فى خطابه إلى « كرايسكى » :

« ولا يغيب عن تصورى بالرغم من عدالة موقفكم وما تحلى به من شجاعة وموضوعية ،

ما هو حادث الآن من أساليب الضغط المادى والنفسى الذى مارسته ولا تزال تمارسه بعض الدول لحملكم على العدول عن هذا القرار الحكيم »(١٥) .

والتقى « اسماعيل فهمى » مع « كرايسكى » يوم ٤ أكتوبر فى فيينا ، ثم بعث إلى الرئيس « السادات » بأول برقية عن مقابلته للمستشار النمساوى .

« وزارة الخارجية
إدارة الرمز
من : فيينا – رقم ٦٨١٠(*)

إلى السيد الرئيس

قابلنى المستشار كرايسكى اليوم بعد ساعتين من الوصول ، وأوفد بالمطار سفيرين من مكتبه لاستقبالى ، ودامت المقابلة ساعة و ٤٥ دقيقة . وكانت ودية للغاية وصريحة . شرح كيفية صدور قرار الحكومة النمساوية الخاص بإغلاق معسكر تجميع المهاجرين اليهود السوفيت ذاكرا :

١ – أن الفكرة كانت فكرته . والقرار قرار الحكومة النمساوية . وكان الدافع الأساسى لاتخاذه له جانبين :

الأول هو ما تحدث عنه السيد الرئيس فى رسالته من تجنب وقوع ضحايا ، وبذلك أمكن إنقاذ حياة ثلاثة يهود واثنين عرب ونمساويا .

والثانى هو المحافظة على أمن النمسا عن طريق إيقاف الإجراءات غير العادية التى كانت سارية بخصوص المهاجرين السوفيت .

. . . .

. . . .

٢ – ذكر كرايسكى أن قرار النمسا بإغ ى المعسكر قرار لا رجعة فيه برغم الضغوط والهستيريا التى ترتبت عليه سواء من إسرائيل أو أمريكا أو غيرهما .

. . . .

. . . .

٣ – أضاف أنه والحكومة النمساوية اتخذوا القرار بالرغم مما كانوا يتوقعون من نقد كبير غير عادل ، إذ يمكن أن يذكر البعض أنه بهذا القرار يشجع على الإرهاب .

. . . .

. . . .

٦ – وقد تلقى كرايسكى خلال حديثنا تصريح نيكسون الذى يطالبه فيه بإعادة النظر فى قراره والرجوع عنه . وكان تعليقه عليه (إننى لست أدرى ماذا يريد هذا الرجل منى ، فإن قرارى سوف يبقى دون تغيير) .

---

(١٥) خطاب الرئيس « السادات » إلى « كرايسكى » ومجموعة برقيات « اسماعيل فهمى » من فيينا محفوظة فى ملف خاص بمكتب وزير الخارجية .

(*) توجد صورة للصفحة الأولى من برقية السيد « اسماعيل فهمى » فى ملحق صورة الوثائق تحت رقم (٤٨) . وهى منشورة على صفحة ٧٨٥ من الكتاب .

٧ – ذكر كرايسكى أن مقابلته لجولدا مائير كانت مثيرة . وقد وجدها كعادتها امرأة متصلبة وتتمسك بنظريتها الخاصة بمسئولية إسرائيل عن المهاجرين اليهود فى العالم – وهى نظرية يختلف هو معها وأساسا منذ مدة طويلة . وقد أبدى دهشته حين ذكرت له وأكد ذلك وزير الداخلية الذى حضر الاجتماع أن جولدا مائير أخذت معها تسعين لاجئا فى الطائرة التى أقلتها إلى إسرائيل .

. . . .

. . . .

١٠ – تحدث عن الوضع فى إسرائيل ذاكرا بأنه لا يعتقد إمكان حدوث أى تحرك (فى أزمة الشرق الأوسط) قبل الانتخابات الإسرائيلية ، وأن الصراع هناك شديد . ولا يعرف بالرغم من صلته بهم جميعا ماذا يريدون ، وماذا يستطيعون أن يفعلوا . فهناك جولدا مائير وسوف تنتخب . وستبقى إلى فترة يتم فيها إيجاد توازن مع ديان . وقد يحل محلها آللون أو سابير . وعن ديان ذكر كرايسكى أنه يختلف مع ناحوم جولدمان فى الرأى فيه . ويرى جولدمان أن ديان يعتبر الرجل الوحيد الذى يمكنه أن يقنع الجماهير فى إسرائيل بالوصول إلى اتفاق مع الدول العربية . ووصف ديان بأنه رجل لا يؤمن بشىء وليس له لون أو مبدأ ، وإن كانت له شعبية كبيرة ، ولكن تنقصه الحنكة السياسية . لذلك فهو يحتاج دائما إلى نصيحة جولدمان ويستمع إليه ويتأثر به » .

□

ومساء يوم الجمعة ٥ أكتوبر كان الرئيس « أنور السادات » يرأس اجتماعا أخيرا للقيادة العسكرية فى مقر العمليات ، وهو المركز رقم « ١٠ » على طريق القاهرة – السويس ، وهو مركز كان وجوده فى ذلك الوقت سرا من الأسرار ، لأنه أصبح بمثابة مركز الأعصاب للقوات المسلحة المصرية فى لحظة امتحان رهيب للأعصاب والمقدرات .

وكان الفريق « الشاذلى » قد قام صباح نفس اليوم بزيارة لمواقع الجيش فى الجبهة ، وقد سجل صورة مشجعة – وكان أهم ما فيها بالنسبة للرئيس « السادات » : « أنه لا يبدو من تصرفات العدو أن لديه علما باحتمال حدوث شىء ! » وكان الرئيس « السادات » ما زال يظهر استغرابه – لكن استغرابه هذه المرة لم يكن مشوبا بقلق وإنما برضا !

وقد قام الرئيس « السادات » بإخطار القيادة العسكرية بـ « المضى على خيرة الله » . ثم أبلغهم عزمه على عدة نقط :

١ – إنه هو شخصيا سوف يحضر معهم غدا مراحل العملية الأولى ليطمئن على نجاحها . ثم إنه بعد ذلك سوف يتركهم « ليشوفوا شغلهم » – وفق خططهم وعلى أساس علمهم – وأنه هو نفسه لن يتدخل فى مجرى العمليات .

٢ – إنه ليس لهم أن يتوقعوا تكرارا لمثل ما حدث من قبل خصوصا فى معركة سنة ١٩٤٨ من ناحية الاستجابة لقرارات بوقف إطلاق النار قبل الأوان – تعقبها عودة إلى إطلاق النار ، ثم هدنة ، وهكذا ...

إن هذه الصورة لن تتكرر ولن تكون هناك « هدنات » من أى نوع .

٣ - إنه مع إدراكه لأهمية أن يتواكب العمل الدبلوماسى مع العمل العسكرى - إلا أنه مؤمن بأنه لا يمكن قبول أى مبادرة دبلوماسية - إلا بعد أن يكون العمل العسكرى قد وصل إلى حد يسمح بإزالة آثار العدوان كاملة عن التراب المصرى والتراب السورى .

٤ - إن القوات المسلحة بجهدها وتضحياتها خلال الأيام المقبلة هى التى ستعطيه الأرضية السياسية التى يستطيع أن يتحرك عليها لإزالة آثار العدوان بالكامل - وإعادة بناء مصر من جديد .

وخرج الرئيس « السادات » من مبنى القيادة متوجها إلى قصر الطاهرة الذى اختاره مقرا لقيادته فى حرب أكتوبر ، وأمر بإقامة تسهيلات قيادة فيه يشرف عليها مدير مكتبه العسكرى العقيد « عبد الرؤوف رضا » - كما أن المهندس « عبد الفتاح عبد الله » وزير الدولة لشئون رئاسة الجمهورية كان عليه إدارة حركة الاتصالات السياسية والعسكرية ، وتسجيل وقائع يوميات الحرب بنفسه .

وفى تلك الليلة كان النوم عصيا على الرئيس « السادات » . وقد تناول مهدئا حتى يستطيع أن يغفو ولو لساعات لأن « أمامنا فى الغد يوم رهيب ... رهيب » - وكان ذلك تعبيره !

مظاهر التعبئة العامة – هذا مع تدعيم الجبهة المصرية والسورية والأردنية بالقوات ووسائل الدفاع الجوى والقوات الجوية . ومن المنتظر أن يتم العدو استدعاء احتياطيه واستكمال التعبئة العامة مع يوم ٧ أكتوبر .

القوات البرية :

– رصد للعدو تجمع قوة ٢ لواء أحدهما مشاة فى منطقة بئر سبع .
– رصد للعدو تجمع قوة ٢ لواء غير مميز شمال ايلات .
– دعم العدو نقطه القوية فى جنوب سيناء مع احتمال تدعيم القطاع الشمالى لجبهة القناة بلواء (رصد لاسلكيا) .
– جرى تنشيط للداوريات والكمائن ونقط الملاحظة نهارا وليلا .

القوات البحرية :

– جرى انتشار القوات البحرية فى موانى العدو بالبحر الأبيض .
– حدث تكثيف عمليات التأمين البحرى والداوريات البحرية وخاصة فى منطقة خليج السويس والعقبة .
– تم دعم رادارات الانذار البحرية وخاصة فى خليج السويس .

القوات الجوية :

– تقرر وقف الطيران المدنى الداخلى والخارجى فى إسرائيل اعتبارا من يوم الجمعة ٥ / ١٠ وحتى غروب يوم السبت ٦ / ١٠ .
– تم دعم مطار المليز بسيناء .
– تم اختبار مطار تماده بسيناء .
– جرى تنشيط الاستطلاع الجوى الالكترونى وبالتصوير للجبهة المصرية والسورية .

قوات الدفاع الجوى :

– تم دعم مواقع (صواريخ) الهوك فى سيناء بعدد ٢ موقع (إجمالى المواقع الآن ١٥ موقع) .
– تم دعم شبكات الإنذار الجوى فى سيناء .

التعليق :

– وضح من نشاطات العدو واجراءاته المختلفة توقعا من جانبه لاحتمالات نوايا عدوانية من جانب كل من مصر وسوريا .
– من المتوقع أن يتم العدو استدعاء الاحتياط واستكمال التعبئة الشاملة قبل يوم ٧ / ١٠ ، وتعتبر القوات الجوية الإسرائيلية حاليا جاهزة ومستعدة لتنفيذ مهام العمليات .
– من المنتظر أن يستمر العدو فى تنشيط وسائل استطلاعه المختلفة لمتابعة الموقف ونشاط القوات على الجبهات العربية . »

قرأ الرئيس « أنور السادات » التقرير ، ثم أعاد قراءته ، وتناول قلما ووضع خطا تحت الفقرة الثانية من التعليق ، تحت جملة « وتعتبر القوات الجوية الاسرائيلية حاليا جاهزة ومستعدة لتنفيذ مهام العمليات » .

وهكذا « عرف » الرئيس « السادات » أن إسرائيل قد « عرفت » – وكان واضحا بالنسبة له أنه حقق سبقا على الأرض . ولكن الخطر الأكبر خلال الساعات القادمة وحتى ساعة الصفر هو الخطر الذى يمكن أن ينقض من الجو على شكل محاولة ضربة إجهاض يقوم بها سلاح الطيران الإسرائيلى . وكان هذا الهاجس همّا ثقيلا على فكره وأعصابه – ولم يكن يعرف أن هذا الاحتمال قد استبعد ، وأن هذه الضربة الجوية الوقائية لن تقع ، لأن مجرى الحوادث – فى هذه الساعات – كان يتخذ مسارا آخر فى تل أبيب وفى واشنطن .

□

كان صناع القرار (السياسى العسكرى) فى إسرائيل ذلك الوقت – وطبقا للدراسة العميقة والواسعة التى قام بها الدكتور « مايكل بريشر »[1] – امرأة واحدة هى رئيسة الوزراء « جولدا مائير » ، ووراءها عشرة رجال هم :

الجنرال « موشى ديان » وزير الدفاع – الجنرال « ييجال آللون » نائب رئيس الوزراء ووزير التعليم – الجنرال « يزرائيل جاليلى » وزير الدولة – الجنرال « دافيد بن اليعازر » (دادو) رئيس الأركان – الجنرال « الياهو زاييرا » مدير المخابرات العسكرية – الجنرال « ايلى شاليف » رئيس الأبحاث والتقديرات فى المخابرات العسكرية – الجنرال « بنيامين بيليد » قائد الطيران - الجنرال « يزرائيل تال » نائب رئيس الأركان – الجنرال « هوفى » مسئول القيادة الشمالية - الجنرال « موردخاى جازيت » مدير مكتب رئيسة الوزراء .

وفى فجر ذلك اليوم السادس من أكتوبر ١٩٧٣ – كان هؤلاء جميعا فى حالة صدمة حقيقية - بدأت حينما اتصل الجنرال « شاليف » فى الساعة الثالثة صباحا بوزير الدفاع الجنرال « موشى ديان » – بواسطة تليفون مؤمن موضوع بجوار سريره – وأيقظه من النوم ليقول له بصوت مثقل ومهموم : « **الآن تلقينا تأكيدا نهائيا بأن هناك هجوما مصريا سوريا على الجبهتين الجنوبية والشمالية – واقع ومؤكد فى ظرف ساعات . ومصدرنا يقول إن ساعة الصفر هى آخر ضوء مساء اليوم** » .

وبعد دقائق كان كل صناع القرار (السياسى العسكرى) أمام أثقل مهمة واجهها أى منهم فى حياته : ما العمل ؟

كانت التحركات العسكرية المصرية ظاهرة أمامهم ومرصودة طوال الأيام السابقة ، ولكنهم لم يستطيعوا تحليلها وتفسيرها على نحو كاف أو محدد .

وقد كانت مفاجأتهم صاعقة ، وهمومهم لا تحتمل .

□

(١) أستاذ بارز للعلوم السياسية فى الولايات المتحدة الأمريكية ، وقد تخصص فى دراسة صنع القرار فى إسرائيل . وتعتبر دراسته ـ التى صدرت فى ثلاثة أجزاء وامتدت إلى أكثر من ٣٥٠٠ صفحة ـ أفضل وأدق مرجع عن صنع القرار فى إسرائيل . وقد صدر الجزء الثالث منها وهو يركز على حرب أكتوبر عن مطبعة جامعة كاليفورنيا ، ونشر سنة ١٩٨٠ .

يقول الدكتور « مايكل بريشر » إن أكثر ما أصاب صناع القرار الإسرائيلى فجر ٦ أكتوبر - هو أنهم أفاقوا من يقين « وهمى » كانوا قد استسلموا له بالكامل على طول ثلاث سنوات سابقة ، ومؤداه أن العرب لن يحاربوا . وكانت أسباب هذا « اليقين الوهمى » - فى تقديره - كما يلى :

١ - وفاة « جمال عبد الناصر » وتصور إسرائيل أن أوضاع القيادة السياسية فى مصر سوف تظل مضطربة لفترة طويلة .

٢ - الصدام المسلح بين الملك « حسين » والثورة الفلسطينية سنة ١٩٧٠ ، وقد تكرر على نحو أكثر مأساوية سنة ١٩٧١ .

٣ - إعلان الرئيس « السادات » المسرحى بأن عام ١٩٧١ هو عام الحسم - دون حدوث أى شىء .

٤ - الأوضاع السياسية والاقتصادية فى الاتحاد السوفيتى خلال العامين السابقين ، ورغبته الملحة فى الوصول إلى نوع من الوفاق مع الولايات المتحدة الأمريكية .

٥ - عدم استعداد سوريا للمبادرة بحرب إلا إذا تأكدت أن مصر داخلة معها . وفى أوضاع مصر كما هى ظاهرة ، فإن الامكانية - ببساطة - لم تكن موجودة .

٦ - تخلف الطيران العربى عن الطيران الإسرائيلى نوعا وكما - وإدراك إسرائيل أن العرب لن يقدموا على الحرب إلا إذا أمكن تصحيح هذا الوضع ، وذلك غير متاح .

٧ - وقد دعم هذه التقديرات كلها بطريقة نهائية قرار طرد الخبراء السوفيت من مصر فى يوليو ١٩٧٢ . وقد فسره صناع القرار فى إسرائيل على أنه تعبير عن نية « السادات » بعدم الحرب .

٨ - إحساس إسرائيل المتزايد بالتفوق العسكرى من ناحية التسليح والمعدات - إلى جانب مواقع دفاعية يصعب على العرب مهاجمتها (المانع المائى قبل خط بارليف) .

٩ - الاعتقاد الراسخ لدى العرب فى أن التأييد الأمريكى لإسرائيل قائم وكامل .

وقد لخص « بريشر » هذا اليقين « الوهمى » مستشهدا بخطاب ألقاه «ييجال آللون » فى يونيو سنة ١٩٧٣ ، فى مؤسسة « فان لير » فى القدس بتاريخ ٣ يونيو بقوله « إن العرب ليس لديهم أى خيار عسكرى على الإطلاق » . وقد أضاف « بريشر » إلى هذه الأسباب العملية ، مجموعة أخرى من العوامل السياسية والنفسية ساعدت على تغييب احتمال الحرب عن فكر صناع القرار الإسرائيلى . ومن بين هذه العوامل : التصريحات المتضاربة بين القيادات العربية ، وبالذات بين « السادات » و « الأسد » و « عرفات » - والانقسامات البادية فى العلاقات السياسية بين كل القوى العربية ، بما فيها المقاومة الفلسطينية وحتى داخلها - والتخبط فى تحديد من هو العدو والدخول إلى معارك فرعية مثل معركة « النميرى » ضد الشيوعيين فى السودان ، وقد أدت إلى حالة قلق فى الاتحاد السوفيتى - والتوترات السياسية والاجتماعية داخل كل بلد عربى .

ثم زاد « بريشر » فوق ذلك عنصرا آخر ، وهو أن إسرائيل جسمت حالة العقل الخطابى العربى ، مما جعلها تخلط بين شيئين : الصخب العقيم ، والإشارات الدالة . وكان تقديره أن إسرائيل لم تدرس بالقدر الكافى بعض ما نشر فى مصر[٢] ، ولم تصل إلى استنتاج صحيح لهدفه الحقيقى . وذكر من ذلك عددا من الأمثلة :

إعلان « الأهرام » عن مناورات الخريف التى تقوم بها القوات المصرية والتى تنتهى يوم ٧ أكتوبر – وخبر فى الأهرام يوم ٣ أكتوبر عن فتح باب التقدم للعمرة بين أفراد القوات المسلحة – وخبر فى « الأهرام » عن زيارة وزير حربية رومانيا لمصر يوم ٨ أكتوبر ضيفا على الفريق « أحمد اسماعيل » – وخبر فى « الأهرام » يوم ٣ أكتوبر أيضا عن قرار لوزير الحربية المصرى يشير إلى تسريح قوات الاحتياطى التى دعيت للاشتراك فى مناورات الخريف عقب انتهائها مباشرة .

وقد أخذت المخابرات الإسرائيلية – فى تقدير « بريشر » – هذه الأخبار على علاتها ، وصدقت ما يقول به ظاهرها ، وأكد ذلك التصديق لديها أن مصر كانت قد أجرت مناورات فى الخريف خلال سنوات سابقة ، مما أعطى الانطباع بأن أية تحركات محتملة فى أكتوبر يمكن ردها إلى هذه المناورات السنوية .

□

وإلى جانب اليقين « الوهمى » العام – فقد كان لكل واحد من « الكبار » على قمة هرم صنع القرار فى إسرائيل – يقين « وهمى » خاص :

فـ « **جولدا مائير** » – مثلا – كانت غارقة فى اعتقادها بأن أمن إسرائيل تجاه مصر وسوريا فى وضع مثالى . فاحتلال سيناء والضفة الغربية وغزة والجولان أعطى إسرائيل من ناحية الأمن ما لم تكن تحلم به ، وهو أمن مطلق قادر ، فى تقديرها ، على فرض السلام . وكان مصدر الخطر فى رأيها هو الجبهة الشرقية – لكنها كانت تراها مخلخلة وعلى نحو لا يسمح بظهور أى تحد لإسرائيل عليها . وفيما يتعلق بالجبهة الغربية – مصر – فقد استهانت بالرئيس « السادات » واتفقت مع « كيسنجر » على أنه مجرد « بهلوان سياسى » . وكان تقديرها فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية أنها مشكلة اخترعها العرب لكى يستغلها زعماؤهم فى التهييج السياسى « لأن الفلسطينيين يستطيعون أن يحصلوا على أى حقوق وطنية يتصورونها لأنفسهم فى الأردن »[٣] .

وفى تلك الفترة فقد كانت المحاور الأساسية فى خطب « مائير » العامة هى : ضرب ما تسميه الإرهاب – ورفض أى دعوة إلى إقامة كيان فلسطينى – واتهام الزعماء العرب باستغلال مأساة اللاجئين – والتعبير الحار عن الصداقة مع الولايات المتحدة الأمريكية . ومن هنا فإن

---

(٢) علق « حاييم هيرتزوج » على ذلك فى كتابه عن حرب أكتوبر بقوله : « من سوء الحظ أن المخابرات العسكرية الإسرائيلية لم تقرأ الأهرام بالعناية الكافية فى تلك الأيام الحاسمة » .

(٣) مذكرات « جولدا مائير » بعنوان « قصة حياتى » The Story of my Life .

مذكراتها حوت اعترافها الصريح بأنها ظلت حتى الساعات الأخيرة لا تصدق أن احتمال الحرب وارد .

ولم يكن « **بيجال آللون** » بعيدا عن مثل هذه التصورات ، وكان تفكيره دائما فى المشروع الذى حمل اسمه ، وهو « مشروع آللون » – وتشير أوراقه إلى أنه حتى يوم ٣ أكتوبر كان يقدر أن احتمال الحرب أقل من القليل Lower than low .

ولم يكن « **موشى ديان** » بعيدا عن مثل هذه الأوهام . ويتجلى ذلك فى تصريحات أدلى بها طوال السنة السابقة لأكتوبر ١٩٧٣ :

– **فى ١٧ أغسطس ١٩٧٢** : أدلى بتصريح قال فيه « إن الهدوء يسود حولنا على جميع الجبهات . وأن خروج الخبراء السوفيت من مصر يمثل تحسنا كيفيا فى الوضع الأمنى الإسرائيلى » .

– **فى ٤ سبتمبر ١٩٧٢** : أدلى بتصريح قال فيه « إن حالة اللا سلم واللا حرب لا تضايق إسرائيل . وإذا كانت تضايق العرب فهذه مشكلتهم » .

– **فى مايو ١٩٧٣** (الموعد الذى كان مقررا لعمل عسكرى مصرى سورى – قبل الاستقرار نهائيا على أكتوبر) – غير « ديان » رأيه لعدة أيام دعا فيها إلى تعبئة جزئية ، وطلب إلى ضباط الجيش الإسرائيلى أن يستعدوا لاحتمال الحرب .

– **لكنه مع يوليو ١٩٧٣** أدلى بحديث إلى مجلة « تايم » نشرته فى عددها الصادر يوم ٣٠ يوليو ١٩٧٣ ، قال فيه « إن السنوات العشر القادمة سوف تشهد « تجميدا » لحدود إسرائيل على الخطوط الحالية ، ولن تكون هناك حرب كبيرة بين العرب وإسرائيل » .

– **وفى ١١ أغسطس ١٩٧٣** ، وفى حفل تخريج دفعة جديدة من كلية أركان الحرب – صرح « ديان » بقوله : « إن موازين القوة العسكرية فى صالحنا ، ونحن متفوقون على كل العرب مجتمعين . ومهما كان من نوايا العرب وتوجهاتهم ، فهم غير قادرين على تجديد الأعمال العدائية لأن سيادتنا العسكرية على الموقف هى نتيجة مزدوجة لاعتبارين : تزايد ضعف العرب من ناحية ، وتزايد قدرتنا نحن من ناحية أخرى . وأهم ما فى الموضوع أن تزايد الضعف العربى يرجع إلى عوامل ليس فى مقدور العرب تغييرها فى المستقبل القريب » .

هكذا كانت التقديرات – « أوهام اليقين » – على المستوى العام للقيادة الإسرائيلية عموما ، ولأقطابها خصوصا – تستبعد تماما احتمالات أى حرب فى خريف ١٩٧٣ .

□

كانت واشنطن – فى نفس الفترة – واقعة فى يقين « وهمى » مماثل :

مع شهر يوليو ١٩٧٣ كان « هنرى كيسنجر » قد حقق حلم حياته وأصبح أول يهودى يتولى

وزارة الخارجية الأمريكية ، وفى الحقيقة فقد أصبح أقوى رجل فى أمريكا حينما أزاح « ويليام روجرز » عن وزارة الخارجية ، واحتل مقعده فيها - وظل فى نفس الوقت مسيطرا على مجلس الأمن القومى فى البيت الأبيض ، فقد ترك هناك مساعده « برنت سكوكروفت » مسئولا عن تسيير العمل اليومى هناك . وتأكدت سيطرة « كيسنجر » حينما لم يعين « نيكسون » بديلا آخر يتولى منصب مستشار الرئيس للأمن القومى . وزاد على ذلك أن الرئيس « نيكسون » كان مشغولا بفضيحة « ووترجيت » - وترتب على ذلك أن « هنرى كيسنجر » اعتبر نفسه وبحق : رئيسا للولايات المتحدة على الأقل فيما يتعلق بالأمن القومى .

ولم يكن « هنرى كيسنجر » يضع الشرق الأوسط فى أولوياته ، فقد ترك أزمته فى البداية لـ « ويليام روجرز » وزير الخارجية . ثم حاول أن يتناولها فى محادثاته السرية مع السيد « حافظ اسماعيل » . ولم يكن جادا فى محاولته . وقد اعترف بنفسه للزعماء الإسرائيليين بأنه « لعب بحافظ اسماعيل ، وتلاعب به . وكان هدفه أن يكسب وقتا وأن يؤجل أى عمل جاد لشهر أو لسنة (٤) » . (I played with him. I toyed with him.)

وبعد أن تولى « هنرى كيسنجر » - أخيرا ! - وزارة الخارجية فى ظروف أصبحت فيها مشكلة فيتنام وراء ظهره - فإنه بدأ يفكر جديا فى تناول أزمة الشرق الأوسط ، ولكن على مهل .

وفى ٢٦ سبتمبر ١٩٧٣ كان « هنرى كيسنجر » فى نيويورك يستعد للمشاركة فى أعمال الجمعية العامة للأمم المتحدة ، ويظهر لأول مرة فى هذه الساحة الدولية الواسعة باعتباره نجم النجوم . وقد اقترح على عدد من وزراء خارجية المنطقة الذين قابلهم فى الأمم المتحدة أن يبدأوا ما سماه « محاورات فى الدهاليز » . وكان تصوره طبقا لورقة عمل أعدها أن يبدأ باستكشاف الطريق نحو تسوية جزئية لأزمة الشرق الأوسط ، وذلك عن طريق اتصالات تجرى مع الوفود على هامش أعمال دورة الجمعية العامة ، ويكون « جوزيف سيسكو » هو الذى يقوم بها ، ولكن تحت إشرافه .

وقد بدأ « هنرى كيسنجر » بمقابلة مع « أبا ايبان » على إفطار عمل فى مقر السفير الإسرائيلى فى واشنطن ، وأخبره أنه « بعد الفراغ من مرحلة المراسم الافتتاحية للجمعية العامة ، فإنه سوف يحاول مع منتصف أكتوبر (١٩٧٣) إجراء اتصالات تهدف إلى البحث عن حل ، حتى ولو كان حلا جزئيا » . كذلك قال « كيسنجر » لـ « أبا ايبان » إنه « يتوقع أن يلتقى مع الملك حسين الذى سيزور أمريكا فى منتصف أكتوبر لالقاء خطاب فى الجمعية العامة . وقد قرر أن يبدأ بالأردن ، فإذا استطاع أن يصل إلى شىء مع الأردن ، فإن مصر ستأتى . وإذا جاءت مصر فالباقون ليس أمامهم خيار إلا أن يجيئوا » .

---

(٤) كتاب « المحادثات السرية لهنرى كيسنجر فى إسرائيل » ، وقد كتبه « ماتى جولان » ونشر فيه نصوص محاضر اجتماعات « هنرى كيسنجر » مع القادة الإسرائيليين طوال الفترة الساخنة من أزمة الشرق الأوسط . وتوجد فى ملحق صور الوثائق صورة لهذه الفقرة تحت رقم (٥٠) - وهى منشورة على صفحة ٧٨٨ من الكتاب .

ثم اتجه « هنرى كيسنجر » إلى العرب ، فدعا عددا من وزراء الخارجية العرب الذين لم تقطع بلادهم علاقاتها مع الولايات المتحدة (بعد ١٩٦٧) - إلى العشاء . ودعا معهم الأمين العام لجامعة الدول العربية (السيد « محمود رياض » فى ذلك الوقت) . وطبقا لرواية « هنرى كيسنجر » فإن وزراء الخارجية العرب الذين قابلهم أعربوا له جميعا عن أملهم فى أن يتمكن « ساحر فيتنام » من ممارسة سحره فى الشرق الأوسط .

ثم انتقل « هنرى كيسنجر » بعد ذلك باهتمامه إلى مصر ، فدعا الدكتور « محمد حسن الزيات » وزير الخارجية المصرى إلى الاجتماع به ، وأبلغه « أن أبا ايبان سوف يعود إلى نيويورك بعد انتهاء الانتخابات الإسرائيلية ، وهو (أى هنرى كيسنجر) يأمل أن يتمكن وقتها من اجراء بعض الاتصالات لتقريب وجهات النظر » .

وحتى يوم ٤ أكتوبر - حين التقى « كيسنجر » مع « أبا ايبان » قبل سفر « إيبان » إلى إسرائيل - فإن « كيسنجر » قال لـ « ايبان » إنه « يرجوه أن يعود إلى نيويورك فى نوفمبر ، وهو يأمل أن يعود « الزيات » فى نفس الوقت ، حتى يتسنى البدء فى الاتصالات » .

□

وفى هذا كله لم يكن هناك من يريد أن يلتفت بدقة إلى التطورات الجارية على الأرض ، ويحاول بكفاءة أن يستخلص معانيها الكامنة :

● **يوم ١٣ سبتمبر** : دارت معركة جوية بين الطيران السورى والطيران الإسرائيلى . وفقدت سوريا فى المعركة ١٣ طائرة من طراز « ميج » مقابل طائرة واحدة من طراز « ميراج » فقدتها إسرائيل .

● وقد توقعت إسرائيل أن ترد سوريا على هذه الضربة ، لكن سوريا لم ترد . وقد لاحظت القيادة الإسرائيلية فى المنطقة الشمالية وكذلك هيئة أركان الحرب الإسرائيلية - ذلك الامتناع السورى عن الرد . وقدرت القيادة الشمالية فى تقرير لها « أنه من المستغرب ألا ترد سوريا أو لا تحاول الرد ، ولذلك فان النوايا السورية تستحق المتابعة » .

● نتيجة لذلك كثفت القيادة الشمالية محاولاتها للاستطلاع والتنصت على الجبهة السورية . وفى ٢٦ سبتمبر لاحظت القيادة الشمالية - وذكرت ذلك فى تقريرها - « أن هناك زيادة فى عدد الدبابات السورية على جبهة الجولان ، فقد ارتفع عدد الدبابات من ٧٠ دبابة إلى ١٧٧ دبابة .

● وعندما تسلمت هيئة الأركان العامة فى إسرائيل تقرير القيادة الشمالية طلبت مراجعة خطة « برج الحمام » (Operation Dovecoat) وهى خطة تقتضى تثبيت الجبهة الجنوبية إذا كان هناك نشاط متوقع على الجبهة الشمالية - وترتيبا على ذلك جرى تعزيز المدرعات الإسرائيلية فى خط بارليف وأصبح عددها ٢٧٦ دبابة .

□

والغريب أن تقدير « موشى ديان » لهذه التطورات على الجبهة السورية كان مقصورا على « أن طبيعة النظام فى سوريا تدفعه أحيانا إلى تصرفات غير محسوبة » . ومع ذلك فقد اقترح فى اجتماع لهيئة أركان الحرب يوم ٢٤ سبتمبر توجيه تحذير شديد لسوريا مصحوبا بتحرك يقوم به اللواء السابع المدرع من مواقعه فى النقب إلى الجبهة فى الجولان . ولكن شكوكه فى احتمالات الرد السورى لم تصل إلى أكثر من توقع شن غارات بالصواريخ يقوم بها الفدائيون على المستعمرات الإسرائيلية فى الجولان . وحتى يوم ٣ أكتوبر فإن تقديرات « ديان » فى اجتماع لمجلس الوزراء المصغر هى أنه « ليس هناك احتمال عمل عسكرى على الجبهة الجنوبية مع مصر . وعلى فرض أن ذلك حدث فإنه سوف يحدث بعيدا عن المواقع السكانية الاسرائيلية . ثم إن الضربة الإسرائيلية المضادة سوف تكون قادرة على سحقه » .

وقد لخص « ديان » تقديره النهائى للوضع على الجبهة بقوله « إنه لا يرى خطرا على الجبهة المصرية . وإذا أقدم المصريون على حماقة فسوف يتكبدون خسائر فادحة فى المرحلة الأولى ، وأما فى المرحلة الثانية فإن الجيش الإسرائيلى سوف يكون قادرا على ضربهم فى كل اتجاه . ولن يحققوا شيئا من محاولة عبور قناة السويس ، بل العكس لأن قناة السويس هى التى تحميهم الآن » .

ثم استطرد « ديان »عائدا باهتمامه إلى الجبهة السورية – قائلا إن « الوضع فى الشمال يختلف ، فنحن لا نستطيع هناك أن نلتزم بوضع دفاعى بسبب وجود مستعمرات إسرائيلية فى الجولان » .

ثم خلص « ديان »إلى القول : « من ناحية مصر – لا خطر . ومن ناحية سوريا هناك خطر محدود » .

وعلى هذا الأساس قرر مجلس الوزراء المصغر تأجيل مناقشة التطورات على الخطوط الإسرائيلية السورية إلى الجلسة العادية لمجلس الوزراء ، والمقرر لها ٧ أكتوبر .

وكان الوقت متأخرا جدا ، وظل اليقين « الوهمى » مستوليا على المشاعر والعقول فى كل من تل أبيب وواشنطن .

٢

فيما بين الساعة الثامنة وحتى الساعة العاشرة إلا ربعا من صباح يوم السبت ٦ أكتوبر – كان الرئيس « السادات » فى قصر الطاهرة وليس فى رأسه إلا سؤال واحد : هل توجه إسرائيل ضربة إجهاض بالطيران ضد الجبهة المصرية قبل الموعد المقرر لبدء الهجوم وبقصد تشتيت وبعثرة صفوفه ؟

وفى نفس اليوم تقريبا ، وفى بيت رئيسة وزراء إسرائيل - كانت « جولدا مائير » ومعها مجموعة من أعضاء مجلس الوزراء المصغر - يناقشون نفس السؤال تماما .

كان « أنور السادات » مهموما بالسؤال - وكانت « جولدا مائير » مهمومة بالجواب ، ومن الغريب أن ردها كان بـ : « لا » - متوافقا بالضبط مع ما كان « أنور السادات » يتمناه ، وإن اختلفت الأسباب لدى كل منهما .

□

كانت « جولدا مائير » قد عادت من أوروبا (ومن لقائها هناك مع « كرايسكى » بسبب أزمة خطف قطار اللاجئين اليهود من الاتحاد السوفيتى) - وأخطرت على الفور بأن الموقف على خطوط المواجهة تبدو عليه علامات تدعو للحذر . وكانت هذه المعلومات قد دعت مسئول المخابرات إلى إجراء اتصالات عاجلة بقيادة القوات المسلحة هدفها التوصل إلى تقدير مشترك لاحتمالات أى خطر .

ففى الساعة التاسعة من صباح يوم الجمعة ٥ أكتوبر ، اتصل الجنرال « زاييرا »[٥] برئيس هيئة أركان الحرب الجنرال « دافيد اليعازر » ، وقال له مشيرا إلى التحركات الجارية على الجبهة بقوله : « إننى لا أظن أن إسرائيل فى طريقها إلى حرب ، ولكن الموقف اليوم مثقل بعلامات الاستفهام بأكثر مما بدا بالأمس » .

واقترح مدير المخابرات العسكرية على رئيس الأركان أن يلتقى كلاهما مع وزير الدفاع « موشى ديان » لاستعراض التطورات . وعندما وصل الاثنان إلى مكتب « ديان » لحق بهما تقرير بعثت به القيادة الجنوبية ، قال بالنص فى مقدمته : « إن الجيش المصرى على طول قناة السويس قد اتخذ أوضاع طوارىء تجعله من ناحية التعبئة والمواقع - فى حالة لم ترصد من قبل بواسطة جيش الدفاع الإسرائيلى » . ثم تلت هذه المقدمة تفصيلات عن تعزيزات إضافية وصلت إلى الخطوط المصرية المتقدمة تضم وحدات مدفعية ، وعدة مئات من الدبابات ، وما يعتقد أنه تجهيزات عبور .

وفى الساعة التاسعة وخمس وأربعين دقيقة ، كان اختلاف الآراء بين الثلاثة فى مكتب وزير الدفاع قد ظهر حين اقترح رئيس هيئة أركان الحرب الجنرال « اليعازر » دعوة الاحتياطى ، وتحفظ وزير الدفاع الجنرال « ديان » بحجة أن دعوة الاحتياطى الآن يمكن أن تثير ضجة قبل الأوان ، وقبل أن تظهر حاجة حقيقية إلى مثل هذا الإجراء .

واتفق الثلاثة على أفضلية وضع خلافهم أمام رئيسة الوزراء . وفى الساعة العاشرة من صباح يوم الجمعة كانوا فى بيتها . وبالفعل فإن الثلاثة وضعوا تقديراتهم أمام « جولدا مائير » ،

(٥) تقرير لجنة « أجرانات » التى تولت التحقيق فى وقائع التقصير الذى نسب إلى قيادة الجيش الإسرائيلى فى إدارة الحرب خصوصا فى أيامها الأولى . وهذا الجزء من هذا الفصل يعتمد فى الكثير من تفاصيله على تحقيق لجنة « أجرانات » .

وملخصها : إن علامات الخطر تزداد ، ولكن احتمال الحرب الشاملة لا يزال غير متصور . وإن كان رئيس الأركان يرى دعوة الاحتياطى ، ووزير الدفاع يخالفه فى ذلك لأسباب سياسية . وأحست « جولدا مائير » أنها لا تستطيع أن تفصل فى هذا الخلاف بمفردها . وبناء عليه فقد قررت دعوة أعضاء مجلس الوزراء الموجودين فى تل أبيب إلى اجتماع عاجل حتى يبحثوا الموقف معها ، ومن ثم يصدر توجيه متفق عليه إلى وزير الدفاع ورئيس الأركان .

وتقرر أن يكون اجتماع المجلس فى الساعة الثانية عشرة ظهر يوم الجمعة . ولم تقف « جولدا مائير » ساكتة فى انتظار الاجتماع ، وإنما رأت من باب استباق المفاجآت أن تخطر الولايات المتحدة ، وأن تطلب من وزير الخارجية الأمريكى « هنرى كيسنجر » أن يدعو مصر وسوريا إلى ضبط النفس عن طريق الاتصال بهم بواسطة الاتحاد السوفيتى .

وعندما وصلت رسالتها إلى واشنطن بواسطة قنوات المخابرات المركزية ، لم تجد هذه الوكالة ضرورة للعجلة فى إخطار « كيسنجر » خصوصا وأنه فى ذلك الوقت كان موجودا فى نيويورك . وقد كان رأى خبراء الوكالة أن نشوب حرب فى الشرق الأوسط فى ذلك الوقت أمر غير محتمل unlikely .

وفى الساعة الثانية عشرة انعقد مجلس الوزراء فى الموعد المقرر ، وحضره كل الموجودين فى تل أبيب من أعضائه ، وكانوا سبعة . وانضم إليهم الجنرالات « اليعازر » و« زاييرا » و« جازيت » . وكان بعض الوزراء فى دهشة من مجرد الاجتماع حتى أن وزير التجارة الجنرال « بارليف » علق قائلا : « إننى لم أكن أعرف أن الموقف على الجبهة خطير إلا هذه اللحظة » !

وبدأ الاجتماع بأن تولى مدير المخابرات العسكرية الجنرال « زاييرا » طرح آخر تقارير المخابرات . وتعرض بالتفصيل لأحوال القوات على الجبهة المصرية وعلى الجبهة السورية . وركز على درجة الاستعداد وحجم الحشود – لكنه أبدى رأيه صريحا فى أنه « من غير المحتمل أن يبدأ المصريون عملية عبور كبيرة ، وإن كان محتملا أن يكسروا وقف إطلاق النار بالمدفعية ، وأن يحاولوا القيام ببعض الغارات » . وتلاه رئيس أركان الحرب الجنرال « اليعازر » الذى أيد استنتاجات مدير المخابرات العسكرية ، وأضاف عليها أنه « لا يستطيع أن يستبعد احتمال قيام العدو بهجوم – بشكل مطلق – وهذا هو الذى دعاه إلى اقتراح دعوة الاحتياطى » . وجاء الدور على وزير الدفاع الجنرال « موشى ديان » ليعرض رأيه ، وقد تمسك بوجهة نظره القائلة « بأنه مع وجود شواهد خطر فليس هناك فى رأيه ما يدعو إلى دعوة الاحتياطى » . وأخذ المجلس بوجهة نظره وأقر إعلان حالة الاستعداد القصوى فى الجيش ، وأجل دعوة الاحتياطى حتى تظهر مؤشرات أخرى . وأضاف الوزير « يزرائيل جاليلى » اقتراحا يقدم نوعا من الحل الوسط لمجرد تحسب المفاجآت ، فاقترح « تخويل رئيسة الوزراء ووزير الدفاع مجتمعين سلطة دعوة الاحتياطى إذا ما وجدا داعيا لذلك خلال الساعات القادمة » .

ومرة ثانية رأت « جولدا مائير » ، بعد انتهاء اجتماع المجلس ، أن تكرر ما فعلته قبله ، وذلك بأن تعاود الاتصال بواشنطن . وبعثت برسالة ثانية إلى « هنرى كيسنجر » بواسطة السفارة

الإسرائيلية هذه المرة . وكانت الرسالة ترجو « هنرى كيسنجر » أن يخطر مصر وسوريا والاتحاد السوفيتى بأن إسرائيل ليست لديها نوايا عدوانية ، لكنها إذا هوجمت فسوف ترد بشدة ، وقد وصلت الرسالة إلى « برنت سكوكروفت » مستشار الأمن القومى بالنيابة فى الساعة الخامسة والنصف بعد الظهر بتوقيت واشنطن (أى الحادية عشرة والنصف بتوقيت إسرائيل) ، ولم تصل إلى « هنرى كيسنجر » نفسه إلا الساعة الثامنة بتوقيت نيويورك (أى الساعة الثالثة صباحا بتوقيت إسرائيل) .

وكان الموقف يتغير بسرعة ، فقد أخذ قواد المنطقة الشمالية والمنطقة الجنوبية يشعرون بقلق :

● **فى قيادة المنطقة الشمالية** وجد الجنرال « هوفى » أن ما يراه أمامه على الجبهة السورية يدعوه إلى اتخاذ احتياطات لمواجهة احتمال هجوم سورى محدود (كذلك كان تقديره) .

● **وفى قيادة المنطقة الجنوبية** وقع تباين فى الرأى بين قائد المدرعات الجنرال « أبراهام ماندلر » وقائد المنطقة الجنوبية الجنرال « جونين » . كان « ماندلر » يطلب تعزيزا إضافيا من المدرعات لتطبيق إجراءات خطة « برج الحمام » . ورفض « جونين » طلبه « لأن المصريين قد يرصدون مثل هذه التعزيزات ، وقد يستنتجون منها خطأ أن إسرائيل تستعد للهجوم » .

□

وحوالى الساعة الثالثة من فجر يوم ٦ أكتوبر ، كان مدير المخابرات العسكرية الإسرائيلية الجنرال « زاييرا » يتلقى من مصدره السرى رسالة تؤكد أن الحرب فى ظرف ساعات ، وأن هجوما مصريا - سوريا تقرر مع آخر ضوء يوم ٦ أكتوبر .[٦] واتصل الجنرال « شاليف » (مدير التقديرات العسكرية ومساعد « زاييرا ») على الفور تليفونيا بكل من وزير الدفاع « موشى ديان » ورئيس الأركان « دافيد اليعازر » ورئيسة الوزراء « جولدا مائير » ، وأخطرهم جميعا بالرسالة التى وصلته من مصدره السرى الموثوق .

واتصلت « جولدا مائير » بمرافقها العسكرى تطلب منه أن يدعو الجنرال « ديان » والجنرال « اليعازر » ، والوزراء « آللون » و « جاليلى » - لكى يقابلوها فى مكتبها فى تل أبيب فى الساعة السابعة صباحا . ولم تكد تفرغ من إعطاء هذا الأمر لمرافقها العسكرى ، حتى اتصل بها الجنرال « ديان » يرجوها تأجيل الاجتماع الذى دعت إليه إلى الساعة الثامنة صباحا بدلا من السابعة حتى تعطيه فرصة للاجتماع بهيئة أركان الحرب لتقدير الموقف ، ومن ثم يجىء إلى اجتماعها مستعدا بكل الخيارات .

ومن باب الاستعداد لكل الخيارات فإن رئيس هيئة أركان الحرب الجنرال « اليعازر » اتصل

---

(٦) تضاربت نتائج التحقيقات فيما يتعلق بالمصدر الذى أبلغ إسرائيل بموعد الهجوم . وقد وردت فى بعض الوثائق إشارات إلى شخص عربى كان موجودا فى لوزان . ومن شبه المؤكد أن هذه الرسالة الأولى لحقتها قبل الصباح خمس رسائل من خمسة مصادر أخرى أحدها من عاصمة عربية ، وأحدها من أثينا .

تليفونيا فى الساعة الرابعة وأربعين دقيقة صباحا بقائد القوات الجوية الإسرائيلية الجنرال « بيليد » يسأله عن أقرب توقيت ممكن لتوجيه ضربة جوية وقائية ضد سوريا أولا (باعتبار قرب الجبهة السورية من الكثافة السكانية فى إسرائيل) . ورد الجنرال « بيليد » بأنه يمكن أن يكون جاهزا لتوجيه هذه الضربة ما بين الساعة الثانية عشرة ظهرا والواحدة بعد الظهر . وقد أصدر الجنرال « اليعازر » توجيها إليه بالاستعداد لضربة فى حالة تلقيه الأمر بذلك .

وفى الساعة الخامسة والربع صباحا ، اجتمعت هيئة أركان الحرب ، وحضر اجتماعها الجنرالات « اليعازر » و« زاييرا » و« بيليد » و « تال » وعدد آخر من كبار الضباط من المخابرات والعمليات ، ولم يحضر قواد المناطق . وكان رأى الجنرال « زاييرا » مدير المخابرات ما زال يتجه إلى أن احتمال وقوع الحرب فعلا – لا يزال ضعيفا رغم ما أكده مصدره السرى . وقد أشار إلى أن هذا المصدر سبق له أن أعطى إنذارات مبكرة لم تتحقق ، وقد يكون إنذاره هذه المرة من نفس العينة . لكن رئيس أركان الحرب « اليعازر » رفض هذا الرأى بشدة واقترح على المجتمعين أن يصدروا توصية بإعلان التعبئة العامة ودعوة الاحتياطى وإصدار الأوامر إلى كل قوات الدفاع المدنى بأن تكون مستعدة .

ولم يحضر وزير الدفاع الجنرال « ديان » – هذا الاجتماع المبدئى لهيئة أركان الحرب لأنه كان يقابل الجنرال « شلومو جازيت » المسئول عن الأراضى المحتلة فى الضفة الغربية وغزة ، ويطلب منه الاستعداد لإحكام السيطرة على « المناطق » حتى يمكن ضبط هدوئها فى حالة وقوع عمليات .

ثم عاد « ديان » فاجتمع بهيئة أركان الحرب ، ووقع تباين آخر فى الآراء بين وزير الدفاع ورئيس الأركان . فقد عاد الجنرال « اليعازر » يلح على إعلان حالة التعبئة العامة القصوى ، وهى تقتضى استدعاء مائتى ألف من جنود الاحتياط فى أول دفعة ، كما اقترح أيضا عدم الانتظار وتوجيه ضربة جوية وقائية ضد مصر وسوريا ، أو على الأقل ضد سوريا أولا . وخالفه الجنرال « ديان » الذى أصر على الاكتفاء بتعبئة جزئية ، كما استبعد تماما فكرة الضربة الوقائية . وإزاء تمسك كل منهما برأيه فقد تقرر عرض الأمر على رئيسة الوزراء فى الاجتماع الذى دعت إليه فى الساعة السابعة صباحا ، وتأجل إلى الساعة الثامنة بناء على طلب « ديان » .

وحينما بدأ ذلك الاجتماع وعرض كل من « ديان » و« اليعازر » وجهة نظره ، كان أول تعليق لـ « جولدا مائير » هو قولها « يا إلهى ، هل يعنى ذلك أنه علىّ أنا أن أقرر أيكما على صواب وأيكما على خطأ ؟[٧] » وقد توصلت « جولدا مائير » – ووافقها بقية وزرائها على حل وسط : وقفت مع وجهة نظر رئيس الأركان فى توصيته بضرورة إعلان حالة التعبئة العامة ودعوة الاحتياطى ، ووقفت مع وزير الدفاع فى رفض القيام بضربة جوية وقائية . وقد التفتت إلى الجنرال

---

(٧) فيما بعد كتبت « جولدا مائير » فى مذكراتها تقول : « لقد أخطأت حين استمعت للرجلين . كان يجب أن أسمع فقط نداء قلبى ، وقد كان يطالبنى بالوصول إلى آخر المدى فى طلب الاستعداد الكامل ضد المفاجآت » .

« اليعازر » وقالت له – طبقا لنص المحضر الذى جرى ضمه إلى ملفات تحقيقات لجنة « أجرانات » :

– « دادو (اختصار اسم دافيد) إننى أعرف كلّ الحجج التى ترجح خيار توجيه ضربة وقائية ، ولكنى ضدها . إننى لا أعرف ، ولا أحد بيننا يعرف ماذا يخبىء لنا المستقبل ، ولكن هناك دائما احتمال أننا سوف نحتاج إلى المساعدة . وإذا بدأنا نحن بالضربة الوقائية فلن يقدم لنا أحد أى نوع من أنواع المساعدة . إننى أريد أن أقول نعم للضربة الوقائية لأننى أعرف أننا بغيرها قد نتحمل خسائر لا لزوم لها ، ولكنى بقلب مثقل سوف أقول لا[٨] » .

ولم يتركها « ديان » لقرارها الذى انتهت إليه ، فقد كان لا يزال عند رأيه بعدم ضرورة دعوة الاحتياطى وإعلان التعبئة العامة . وقد قال موجها كلامه لمجلس الوزراء المصغر ، لكن دون أن يركز نظرته على رئيسة الوزراء بالذات : « إذا أردتم قبول توصيات اليعازر فأنا لن ألقى بنفسى من النافذة إلى الشارع ، ولن أستقيل احتجاجا ، ولكنكم سوف تظهرون أمام العالم كأناس سطحيون » .

□

وبعد انتهاء اجتماعها بوزرائها وقوادها ، عادت « جولدا مائير » مرة ثالثة إلى الاتصال بالولايات المتحدة ، وكان الآن مع السفير الأمريكى فى تل أبيب « كينيث كيتنج » الذى حضر إلى مكتبها يصحبه مستشار السفارة « فاليوتس »[٩] . وقد استقبلتهما ومعها نائبها « ييجال آللون » والجنرال « زاييرا » والسفير « أهارون كيدرون » السكرتير العام لوزارة الخارجية الإسرائيلية ، والسفير « سيمحا دينتز » سفير إسرائيل فى واشنطن الذى تصادف وجوده فى إسرائيل وقتها لحضور جنازة والده .

وقد بادرت « جولدا مائير » – السفير الأمريكى بقولها : « إن إسرائيل تواجه موقفا عصيبا ، فهناك هجوم مصرى – سورى موجه إلينا فى ظرف ساعات . والموعد المحدد له هو مساء هذا اليوم . وكان بيننا من رأوا ضرورة أن نوجه ضربة وقائية ضده تستبق أهدافه وتعاقب مدبريه ، ولكننا آثرنا فى النهاية ضبط الأعصاب لأننا لا نريد أن نكون البادئين بالهجوم . وقد اتخذنا هذا القرار ونحن نفكر فى الولايات المتحدة ، وتصميمنا على أن يكون موقفنا واضحا أمامها بغير شبهة شك . وأنا أريد أن يصل هذا الكلام فورا إلى الرئيس نيكسون » .

وخرج السفير الأمريكى من مكتب رئيسة الوزراء الإسرائيلية فى الساعة العاشرة والنصف . وفى انتظار رد منه بعد اتصاله بواشنطن كان كل أعضاء مجلس الوزراء الإسرائيلى – خصوصا هؤلاء الذين لم يشاركوا فى اجتماعات مجلس الوزراء المصغر – قد توافدوا على مكتب رئيسة

(٨) استعملت « جولدا مائير » نفس النص فى مذكراتها التى صدرت بعنوان « قصة حياتى » – صفحة ٣٥٩ .
(٩) عين فيما بعد سفيرا للولايات المتحدة فى القاهرة .

بسرعة من وسط الحراسة المشددة ، وطرق باب غرفة النوم ودخل ليقف بجوار سرير « كيسنجر » ويوقظه من نوم عميق قائلا له : « إن « كن »(ويقصد « كينيث كيتنج » السفير الأمريكى لدى إسرائيل ، وكان عضوا سابقا فى مجلس الشيوخ ونصيرا قويا لإسرائيل كيهودى وكصهيونى) - قد بعث برسالة عاجلة طلبت منه جولدا مائير إبلاغها إليه (إلى « كيسنجر ») فورا ، والرسالة تقول إن هناك هجوما مصريا - سوريا تم ترتيبه بين البلدين ليبدأ هذا اليوم وبعد ساعات قليلة ، وأن بعض مستشاريها كان من رأيهم توجيه ضربة وقائية تستبق الهجوم ، ولكنها امتنعت عن ذلك من أجل أن يكون موقفها واضحا أمام الولايات المتحدة الأمريكية . ولكنها تطلب من هنرى كيسنجر أن يتصل فورا بمصر وسوريا والاتحاد السوفيتى ويخطرهم أن إسرائيل لن تبدأ بالهجوم ، لكنها إذا هوجمت فسوف ترد بعنف ، وسيكون عقابها « للمعتدين » شديدا » .

وأمسك « هنرى كيسنجر » بتقرير « كينيث كيتنج » يقرؤه وقد وجده مثيرا للدهشة . فقد كان « كيتنج » ينقل عن « جولدا مائير » قولها « إن إسرائيل فى وضع حرج ، فما كانوا يظنونه مجرد مناورة عسكرية قد تحول الآن وأصبح تهديدا حقيقيا . وهم الآن مقتنعون بأن هناك هجوما مصريا - سوريا منسقا سوف يشن عليهم بعد ظهر هذا اليوم . و« جولدا » واثقة أن الهجوم العربى سوف يجرى سحقه ، لكنها تخشى أن يكون الفعل المصرى - السورى المتوقع خطأ من جانب البلدين فى تحليل النوايا الإسرائيلية ، ولذلك فهى - ولو حتى من باب إبراء الذمة - تريد أن يصل إلى البلدين - وإلى الاتحاد السوفيتى - تحذير من إسرائيل بدايته أنه ليس فى نيتها شن أى هجوم ، ونهايته أنها إذا هوجمت فسوف ترد بشدة » .

وكان أول ما فعله « كيسنجر » أن اتصل بمكتب المتابعة فى مجلس الأمن القومى بالبيت الأبيض يسأل عن آخر الأخبار من الشرق الأوسط ، وما إذا كانت هناك رسائل أو تقارير من مصادر أمريكية عن الأحوال هناك . وقد أخطر بما كان يعرفه من اليوم السابق عن التحركات على الجبهة المصرية والجبهة السورية ، كما أخطر برسالتين سابقتين بعثت بهما إليه « جولدا مائير » عن معلومات وصلت إلى إسرائيل من مصدر سرى باحتمالات هجوم عربى وشيك . واتصل « كيسنجر » بعد ذلك بمكتب المتابعة فى وكالة المخابرات المركزية ليسأل عن آخر التقديرات للموقف ، وقد أخطر بآخر المعلومات وبآخر التقديرات عن خبراء الوكالة ومؤداها أن هناك نذر خطر ، لكن الاتجاه الغالب فى آراء الخبراء هو أن حربا فى الشرق الأوسط ليست على وشك الوقوع .

. . . .

. . . .

وفى **الساعة السادسة والأربعين دقيقة** بتوقيت نيويورك (الواحدة وأربعون دقيقة بتوقيت الشرق الأوسط) اتصل « كيسنجر » تليفونيا بالسفير السوفيتى « أناتولى دوبرينين » فى مقر السفارة السوفيتية بواشنطن ، وقد أيقظه من النوم ، وبدا له صوته (على حد وصفه) نصف نائم ونصف مرتبك . وقد أبلغه بما لديه من معلومات ، وطلب إليه المسارعة بالاتصال بموسكو لنقل

تأكيد وتحذير إسرائيل . كما طلب إليه أن تقوم موسكو بنقل هذه الرسالة إلى القاهرة ودمشق . وأضاف « كيسنجر » أن « الأمر عاجل لأن الحرب قد تقوم ونحن نتكلم على التليفون » . وأبدى « دوبرينين » أنه لا يملك وسيلة للاتصال بموسكو بهذه السرعة التى يطلبها « كيسنجر » . وأبلغه « كيسنجر » أنه سيضع مكتب الاتصالات فى البيت الأبيض تحت تصرفه لإجراء اتصال سريع بموسكو ، ولضمان نقل الرسالة بأسرع ما يمكن .

. . . .

. . . .

– **وفى الساعة ٦,٥٥ دقيقة** (١,٥٥ دقيقة بتوقيت الشرق الأوسط) اتصل « كيسنجر » تليفونيا مع « موردخاى شاليف » القائم بأعمال السفارة الإسرائيلية فى واشنطن أثناء غياب السفير « سيمحا دينتز » ، وأبلغه « أنه يتفهم رسالة « جولدا مائير » ويتفق تماما مع قرارها بالامتناع عن توجيه ضربة وقائية إلى جيوش مصر وسوريا ، ويرجوها أن تواصل ضبط أعصابها حتى لا نجد أنفسنا فى موقف « متهور » . »

. . . .

. . . .

– **وفى الساعة السابعة صباحا** (الثانية بعد الظهر بتوقيت الشرق الأوسط) اتصل « كيسنجر » تليفونيا بوزير الخارجية المصرى الدكتور « محمد حسن الزيات » الذى كان موجودا فى نيويورك للاشتراك فى أعمال دورة الجمعية العامة للأمم المتحدة . ولكى يختصر الوقت ، خصوصا وأن وزير الخارجية المصرى أوقظ هو الآخر من نومه على مكالمة « كيسنجر » – فإن وزير الخارجية الأمريكى قرأ له نص الرسالة التى تلقاها من « جولدا مائير » ، وأضاف إليها أنه فى دهشة لاحتمال إقدام مصر وسوريا على عمل عسكرى فى الوقت الذى يعرف فيه هو (أى « الزيات ») أن الولايات المتحدة الأمريكية كانت على وشك أن تبدأ جهدا دبلوماسيا جديدا لتحريك أزمة الشرق الأوسط فى اتجاه الحل فور انتهاء الانتخابات الإسرائيلية المقرر إجراؤها يوم ٣٠ أكتوبر . وكان « الزيات » مندهشا ، وأحس « كيسنجر » أن دهشته كانت حقيقية[١١] ، وقد رجا « كيسنجر » أن يقرأ عليه رسالة « مائير » مرة ثانية لكى يستوعبها . وبعد أن سمعها مرة ثانية أبدى تشككه من أن ما تقوله « جولدا مائير » هو فى رأيه ذريعة لعمل تنوى إسرائيل أن تقوم به . ورد عليه « كيسنجر » بأنه يثق فيما تقوله إسرائيل .

ثم حاول « كيسنجر » بعد ذلك أن يتصل بنائب وزير الخارجية السورى السيد « محمد زكريا اسماعيل » الذى كان يرأس وفد بلاده إلى دورة الجمعية العامة للأمم المتحدة – لكن مقر إقامة

(١١) لم يكن الدكتور « الزيات » يعرف خطط الرئيس « السادات » ، بل إن الرئيس « السادات » قصد ذلك كجزء من خطته فى الخداع الاستراتيجى لتغطية نواياه الحقيقية . ولكى يكون السجل كاملا فإن الدكتور « الزيات » نفسه قال فيما بعد إنه كان يعرف قبل سفره إلى نيويورك ، وأن الرئيس « السادات » بعث إليه رسولا خاصا يخطره بموعد الحرب ، وقد روى الدكتور « الزيات » ذلك فى حديث صحفى نشرته جريدة الجمهورية سنة ١٩٨٤ .

المندوب السورى الدائم فى الأمم المتحدة الذى كان نائب وزير الخارجية ينزل فى بيته - لم يكن يرد على التليفونات فى هذه الساعة الباكرة من الصباح .

. . . .

. . . .

- **وفى الساعة السابعة والربع** (الثانية والربع بتوقيت الشرق الأوسط) كان « شاليف » القائم بالأعمال الإسرائيلى يعود إلى الاتصال بـ « كيسنجر » ليبلغه رسالة من « جولدا مائير » تؤكد له فيها مرة أخرى أن إسرائيل سوف تلتزم بقرارها - وبنصيحته - ولن تقوم بتوجيه ضربة وقائية .

(كانت توقيتات ومراحل الخطة « بدر » قد بدأت فعلا على الجبهتين المصرية والسورية ، ولم تكن أخبارها قد وصلت بعد إلى واشنطن لأنها كانت حتى تلك اللحظة ما زالت فى مراحلها التمهيدية) .

. . . .

. . . .

- **وفى الساعة ٧,٢٥** (٢,٢٥ بتوقيت الشرق الأوسط) راح « كيسنجر » يحاول الاتصال بـ « دوبرينين » مرة ثانية . وقد وجده على التليفون يتحدث مع موسكو ، واختار أن يتكلم مع مساعده « أوليج بيدانوف » وأن ينقل إليه رسالة « جولدا مائير » بتأكيد امتناع إسرائيل عن توجيه ضربة وقائية . وقد طلب إليه أن يهمس بهذه الرسالة لـ « دوبرينين » وهو على التليفون مع موسكو .

. . . .

. . . .

- **وفى الساعة ٧,٣٥** (٢,٣٥ بتوقيت الشرق الأوسط) اتصل « كيسنجر » بالدكتور « الزيات » مرة ثانية ، ونقل إليه رسالة التأكيد الجديدة من « جولدا مائير » .

. . . .

. . . .

- **وفى الساعة ٧,٤٧** (٢,٤٧ بتوقيت الشرق الأوسط) عاد « كيسنجر » يتصل بـ « دوبرينين » مرة ثالثة هذا الصباح ليتأكد أن رسالة « جولدا مائير » قد نقلت إليه وأنه أبلغها إلى موسكو .

. . . .

. . . .

- **وفى الساعة ٧,٥٣** (٢,٥٣ بتوقيت الشرق الأوسط) اتصل « كيسنجر » بالبيت الأبيض وتحدث إلى مساعده « برنت سكوكروفت » طالبا منه دعوة مجلس الأمن القومى لاجتماع عاجل الساعة التاسعة صباحا .

. . . .

. . . .

- **وفى الساعة ٨,١٥** (٣,١٥ بتوقيت الشرق الأوسط) تلقى « كيسنجر » مكالمة من الدكتور « الزيات » أبلغه فيها رسالة من القاهرة مؤداها أن قوات بحرية إسرائيلية قامت بهجوم على مواقع مصرية فى خليج السويس ، وأن المواقع المصرية ترد الهجوم ، وأن هناك اشتباكا مسلحا بدأ نتيجة لذلك[١٢] . وأبدى « كيسنجر » شكوكه حول هذه المعلومات ، واستند فى ذلك إلى أسباب أبداها على النحو التالى :

« ١ - إنه لا يمكن لاسرائيل أن تكسر تعهدا قدمته للولايات المتحدة قبل دقائق ، ثم أكدته مرة ثانية متعهدة بألا تكون البادئة بهجوم .

٢ - إنه لا يعقل أن تبدأ إسرائيل هجوما فى يوم « كيبور » (يوم الغفران) . (كانت « جولدا مائير » قد أشارت فى رسالتها السابقة لـ « كيسنجر » بأن اختيار يوم « كيبور » لبدء هجوم على إسرائيل لا يعكس فقط سوء النية ، ولكنه أيضا يعكس سوء الخلق) .

٣ - إنه من الصعب عليه تصور قيام إسرائيل بهجوم شامل لم تسبقه تعبئة عامة » .

وبعد أن أبدى « كيسنجر » هذه الشكوك للدكتور « الزيات » ، طلب منه أن يتأكد من عدم تجاوز الرد المصرى حدود الموقع الذى جرى فيه الهجوم الإسرائيلى الوارد ذكره فى البيان المصرى ، مع العلم بأنه يحتفظ بشكوكه فى هذا الموضوع .

وعندما أبدى « الزيات » مخاوفه من أن لا يستطيع الاتصال بالقاهرة ، كرر « كيسنجر » معه ما سبق أن فعله مع « دوبرينين » - وعرض عليه أن يضع مكتب تليفونات البيت الأبيض تحت تصرفه لإجراء الاتصال بالقاهرة بالسرعة الضرورية .

. . . .

. . . .

- **وفى الساعة ٨,٢٥** (٣,٢٥ بتوقيت الشرق الأوسط) اتصل « كيسنجر » بـ « أبا ايبان » وزير خارجية إسرائيل ، وكان هو الآخر فى نيويورك لحضور دورة الجمعية العامة ، وأبلغه بما قاله « الزيات » . واستبعد الاثنان فى حديثهما إمكانية صحة ما نقله « الزيات » لـ « كيسنجر »

---

(١٢) كانت تلك بالفعل هى صيغة البيان الذى تم الاتفاق عليه بين السفير « أشرف غربال » وبين « محمد حسنين هيكل » لإعلان بدء العمليات العسكرية ، وبحيث تبدو كأنها رد على تحرش إسرائيلى . وقد تم الاتفاق على صيغة هذا البيان فى اجتماع بين الاثنين تم فى بيت « هيكل » يوم ٣ أكتوبر - ووافق الرئيس « السادات » على فكرته وصياغته .

بشأن هجوم إسرائيلى على موقع مصرى فى خليج السويس . وقد قال له « ايبان » إنه سيتصل بالقدس فورا ليتحقق من صحة هذه الرواية .

. . . .

. . . .

– **وفى الساعة ٨,٢٩** (٣,٢٩ بتوقيت الشرق الأوسط) اتصل القائم بأعمال السفارة الإسرائيلية فى واشنطن « شاليف » بـ « كيسنجر » (الذى كان ما زال ملتزما جناحه بفندق « والدورف أستوريا » يجرى منه كل هذه الاتصالات) ، وقد أبلغه « شاليف » بأن الطائرات المصرية والسورية تهاجم على جميع الجبهات منذ نصف ساعة .

. . . .

. . . .

– **وفى الساعة ٨,٣٠** (٣,٣٠ بتوقيت الشرق الأوسط) بعث « كيسنجر » برسائل إلى الملك « حسين » ملك الأردن ، وإلى الملك « فيصل » ملك السعودية ، يطلب منهما استخدام نفوذهما لمنع وقوع الحرب .

. . . .

. . . .

– **وفى الساعة ٨,٣٥** (٣,٣٥ بتوقيت الشرق الأوسط) اتصل « كيسنجر » بـ « الكسندر هيج » رئيس أركان حرب البيت الأبيض (وكان الرئيس « نيكسون » فى « كى بيسكاين » فى ولاية فلوريدا) – وقد طلب إليه أن يخطر رئيس الولايات المتحدة الأمريكية بأن حربا قامت فى الشرق الأوسط .

. . . .

. . . .

– **وفى الساعة ٨,٤٠** (٣,٤٠ بتوقيت الشرق الأوسط) اتصل « كيسنجر » بـ « كورت فالدهايم » السكرتير العام للأمم المتحدة يبحث معه ما يمكن عمله فى الأمم المتحدة إزاء نشوب القتال فى الشرق الأوسط .

. . . .

. . . .

– **وفى الساعة ٨,٥٠** (٣,٥٠ بتوقيت الشرق الأوسط) اتصل « كيسنجر » بمساعده المسئول عن مجلس الأمن القومى الجنرال « برنت سكوكروفت » ، وحاول أن يصل معه إلى تحليل للموقف وتصور لما يمكن قوله وعمله . وقد اتفقا على النقاط التالية :

١ – إن هذه على أرجح الظنون حرب واسعة النطاق فى الشرق الأوسط .

٢ - إن نتيجة هذه الحرب سوف تكون على وجه التأكيد انتصارا إسرائيليا سريعا وساحقا .
٣ - ونتيجة لذلك فإن أزمة دولية حادة على وشك أن تنشأ لأن العرب سوف يذهبون بإحباطاتهم إلى السوفيت الذين سيضطرون إلى إظهار تأييدهم لهم .
٤ - إن أوروبا الغربية فى نزوعها إلى نوع من الاستقلال عن السياسة الأمريكية ، قد تجد لنفسها طريقا مختلفا غير الطريق الذى سوف تختاره الولايات المتحدة .
٥ - إن الكل يعرف أن الرئيس الأمريكى « جريح » بسبب فضيحة « ووترجيت » ، وقد يؤدى ذلك إلى تشجيع أطراف أخرى على استغلال الموقف ، وأولهم الاتحاد السوفيتى .
٦ - إنه والحال كذلك فإن الولايات المتحدة يجب أن تتصرف بما يوحى بالثقة التى لا تشوبها شائبة ضعف ، وعليها أن تفعل ذلك بغير استفزاز .
٧ - إنه لتحقيق ذلك فقد يكون من الضرورى تحريك الأسطول الأمريكى السادس إلى شرق البحر الأبيض ليكون بقرب ميادين القتال . كذلك من الأنسب البدء فورا بتنفيذ خطط الطوارىء لتعزيز القوات الأمريكية فى المنطقة .
٨ - إنه فى هذه الظروف الملتبسة ، فإنه من الضرورى توحيد التحدث باسم الولايات المتحدة فى جهة واحدة . وللرئيس أن يقرر ما إذا كانت الجهة التى يحق لها الحديث هى البيت الأبيض مباشرة أو وزارة الخارجية .

. . . .

. . . .

- **وفى الساعة التاسعة صباحا** (الرابعة بتوقيت الشرق الأوسط) عاد القائم بأعمال السفارة الإسرائيلية « شاليف » إلى الاتصال بـ « هنرى كيسنجر » يبلغه أن هناك محاولة لعبور مصرى إلى الشاطىء الشرقى من قناة السويس . كما أن هناك هجوما سوريا شاملا على مرتفعات الجولان .

. . . .

. . . .

- **وفى الساعة ٩,٠٧** (٤,٠٧ بتوقيت الشرق الأوسط) اتصل « أبا ايبان » بـ « هنرى كيسنجر » يبلغه رسالة من « جولدا مائير » تقول له « إن قصة الهجوم الإسرائيلى على خليج السويس كانت مجرد خدعة ، والواضح أن مصر الآن تشن هجوما شاملا على المواقع الإسرائيلية » . وأضاف « أبا ايبان » أنه « كان يتحدث بنفسه مع جولدا التى كانت هائجة مائجة تسب وتلعن باللغة العبرية ، وحين لا تسعفها اللغة العبرية فإنها كانت تلجأ إلى الانجليزية التى تعلمتها من حوارى نيويورك » .

. . . .

. . . .

- **وفى الساعة ٩,١٥** (٤,١٥ بتوقيت الشرق الأوسط) تلقى « كيسنجر » معلومات عن اجتماع مجلس الأمن القومى الذى بدأ فى البيت الأبيض منذ الساعة التاسعة . وكان مؤدى المعلومات أن الآراء فى الاجتماع متضاربة ، فقد كان رأى « ويليام كولبى » مدير المخابرات المركزية أنه من المحتمل أن تكون الرواية المصرية عن بدء العمليات صحيحة ، وأن تكون إسرائيل هى التى بدأت بالهجوم . كما أن « جيمس شليزنجر » وزير الدفاع أخذ فى حديثه نفس الاتجاه معلقا بقوله إنه « لو كان ما تقوله إسرائيل صحيحا فتلك أول مرة لم تكن هى البادئة بالهجوم فى الشرق الأوسط » . كما أن الأدميرال « توماس مورر » رئيس هيئة أركان الحرب المشتركة الأمريكية أبدى ظنه بأنه من المحتمل أن تكون إسرائيل قد بدأت بضربة إجهاض ضد محاولات مصرية لإدخال صواريخ متقدمة إلى جبهة القتال .. لكن كلا من « جوزيف سيسكو » وكيل الخارجية لشئون الشرق الأوسط (وكان قد طار بسرعة إلى واشنطن تاركا وزيره فى نيويورك) ، وكذلك « روى آثرتون » مساعد « سيسكو » - أيدا وجهة النظر الإسرائيلية على أساس أن « يوم كيبور » (عيد الغفران) هو آخر يوم فى السنة يمكن أن تختاره إسرائيل لبدء عمليات عسكرية .

. . . .

. . . .

- **وفى الساعة ٩,٢٠** (٤,٢٠ بتوقيت الشرق الأوسط) عاد « دوبرينين » يتصل بـ « كيسنجر » ويبدى شكوكه فى الرواية الإسرائيلية عن هجوم مصرى - سورى واسع النطاق يشن ضد إسرائيل ، وأضاف أن « الزيات » أكد له بإصرار صحة الرواية المصرية عن هجوم إسرائيلى على موقع مصرى . ورد عليه « كيسنجر » وقد نفد صبره - طبقا لروايته : « أنت وأنا نعرف أن هذه خدعة . وإذا كانت إسرائيل تريد أن تهاجم فلماذا تهاجم فى خليج السويس ؟ ثم كيف تأتى أن يكون هناك عمل عسكرى واسع النطاق منسق على الجبهتين المصرية والسورية فى نفس الدقيقة ؟ »

ثم قام « كيسنجر » بتوجيه تحذير إلى « دوبرينين » مؤداه أن هذا الذى يحدث الآن فى الشرق الأوسط سوف يمد تأثيره إلى العلاقات بين القوتين الأعظم ، وسوف يجر موسكو وواشنطن إلى مواجهة .

وبرغم ثقة « كيسنجر » فى أن إسرائيل سوف تحقق نصرا سريعا وساحقا ، فقد راح - طبقا لمذكراته - يستغرب كيف استطاعت مصر وسوريا تحقيق هذه المفاجأة الهائلة على المستوى الاستراتيجى والتكتيكى معا .

الفصل الثالث

معجزة البشر

١

فى الساعة الواحدة من بعد ظهر يوم السبت ٦ أكتوبر وصل الرئيس « أنور السادات » إلى المركز رقم « ١٠ » – مقر القيادة الرئيسى للعمليات . وقد توجه فور وصوله ومعه الفريق : أحمد اسماعيل على » إلى مكتب القائد العام – وهناك قضى بضع دقائق ألقى فيها نظرة على خرائط التخطيط ، واهتم بالسؤال عن مواقع القطع البحرية التى تحركت قبلها بأيام فى البحر الأحمر وفى البحر الأبيض ، ثم سأل عن أعداد قوات الصاعقة التى تسللت إلى سيناء بالأمس لإبطال عمل مواسير اللهب السائل الذى كان معروفا أنه بند رئيسى فى الخطة الإسرائيلية لعرقلة أى عبور . وكان هذا البند فى الخطة الإسرائيلية من أهم وأخطر العقبات المضادة التى رتبت لها إسرائيل ، فلو أن هذه المواسير ظلت سليمة وتدفق ما فيها من لهب سائل ، واشتعل حريقا فوق مياه القناة ، لكانت تلك ضربة مزعجة لموجات العبور المصرى الأولى ، خصوصا وأنها تستعمل قوارب مطاطية لحمل مقاتليها من ضفة إلى ضفة أخرى عبر هذا المانع المائى الكبير .

ولم تكن الإجابة التى تلقاها الرئيس « أنور السادات » قاطعة . فالثابت لدى القائد العام أن قوات الصاعقة « دخلت » لمهامها ، ولكن نجاحها فى تحقيق مهمتها لن يتأكد خبره إلا عندما تبدأ عملية العبور فعلا . ذلك أن هذه الوحدات من الصاعقة مأمورة بالتزام صمت لاسلكى كامل .

ودخل الرئيس « السادات » إلى قاعة العمليات فى الساعة الواحدة والنصف وكانت القاعة شحنة من الأعصاب امتزج فيها الأمل والقلق والعلم والايمان . فقد أحس كل من فيها من القادة والضباط – وعددهم يزيد على المائة – أنهم يعيشون لحظة فاصلة فى تاريخ وطنهم ، وأن أقدارا

كثيرة سوف تكون معلقة بما يجرى فى هذه القاعة صادرا عنها إلى ميادين القتال أو واردا إليها من هناك .

كانت القاعة ضخمة وقد أحاطت بجدرانها لوحات زجاجية كبيرة مضيئة ، وعلى كل لوحة منها كانت هناك على الزجاج خرائط شفافة رسمت عليها معالم قطاعات الجبهة المختلفة ، والتحركات المنتظرة عليها تطبيقا للخطة . وكانت الخطط المعلقة على هذه اللوحات الشفافة كثيرة ، ففضلا عن قطاعات الجبهة - كانت هناك لوحات تحدد مواقع القوات البحرية وخطوط التحركات المنوطة بها . وكان الحال هو نفس الشيء بالنسبة للقوات الجوية ، فقد ظهرت على اللوحات مواضع تمركز أسراب قاذفات الضربة الأولى ، إلى جانب مواقع تمركز طائرات القتال والإمداد والحماية . وكذلك كان الحال نفس الشيء بالنسبة للدفاع الجوى ، حيث رسمت على اللوحات الخاصة به قواعد الصواريخ الثابتة والمتحركة سواء على خط القتال أو فى العمق ، حيث يحتمل أن يوجه العدو هجماته المضادة الفورية .

وكانت هناك مائدة رئيسية للقيادة العليا - كما أنه بجوار اللوحات الخاصة بخطط الأسلحة المختلفة ، كانت هناك مجموعات من ضباط أركان الحرب وضباط الاتصال الجاهزين لإصدار الأوامر وتلقى المعلومات .

وكانت أضواء الغرفة ساطعة فى حين كانت ألوانها هادئة مليئة ببقع ملونة من الخرائط والرسوم والخطوط ، ثم إن معدات الاتصال المتوافرة فيها أعطتها جوا شبه سينمائى ، ومع ذلك فقد كان هذا الجو حياة حقيقية ، وإنسانية دافئة إلى درجة السخونة رغم أن أجهزة التكييف كانت تدفع إليها بهواء بارد ونقى ...

□

□ **وفى الساعة الثانية** بعد الظهر كانت الأنظار فى القاعة كلها متجهة إلى الجزء الخاص بالقوات الجوية . وكانت الإشارات قد وصلت بأن قوات الضربة الجوية الأولى ، وقوامها مائتى طائرة ، قد عبرت على ارتفاع منخفض فوق قناة السويس قاصدة إلى تنفيذ المهمة الأولى فى العملية . ثم بدأت الإشارات تترى بأن طائرات هذه القوة بلغت أهدافها وبدأت تنفيذ مهامها بنجاح فاق ما كان منتظرا ، فقد تم ضرب مراكز قيادة ومواقع رادار ومناطق حشد وعقد مواصلات وقواعد جوية .

. . . .

. . . .

□ **وفى الساعة الثانية وعشر دقائق** كانت الأنظار فى القاعة متجهة إلى الجزء الخاص بالمدفعية . وفى نفس اللحظة كانت فوهات ألفى مدفع من مختلف العيارات والطرز تضرب بكل قوتها بعيدا وراء خطوط العدو لقطع عمقه عن جبهته ، وتدمير ما يمكن من منشآته المتقدمة ،

وتشتيت ما هو متجمع من حشوده . وتلا ذلك قصف ستمائة مدفع ركزت على مدى قصير بضرب منشآت وتحصينات خط بارليف .

. . . .

. . . .

□ **وفى الساعة ٢,٢٥** بدأت قوارب المطاط تنزل فى القناة بجنودها تحت وابل من نيران العدو الذى بدأ يفيق من المفاجأة . ومع ذلك فإنه فى ظرف عدة دقائق كان على صفحة القناة ما يقرب من ستمائة قارب مطاطى فى كل واحد منها ثمانية مقاتلين ، وقد راحت تشق طريقها إلى الضفة الأخرى وسط عاصفة من النار .

وفى هذه اللحظة تأكد أن مجموعات الصاعقة التى دخلت بالأمس قد نجحت فى تعطيل عمل مواسير اللهب . وكان نجاحها فائقا إلى درجة أنه لم يظهر لأى واحدة منها أثر على الإطلاق فوق مياه القناة .

. . . .

. . . .

□ **وفى الساعة ٢,٢٥** أيضا كان هناك لواء دبابات برمائى يعبر على القطاع الجنوبى من مياه القناة بالدبابات الضخمة من طراز « تى ٧٦ » ، ووراءه المدرعات السابحة من طراز الـ « توباز » الشهير .

وفى نفس اللحظة عبرت فوق القناة مجموعة من الطائرات تحمل مجموعات من قوات المظلات الذين قفزوا بقرب منطقة المضايق تمهيدا وانتظارا وإعدادا لمرحلة ثانية من الخطة .

. . . .

. . . .

□ **وفى الساعة الثالثة** كان مجموع القوات المصرية التى تمكنت من العبور إلى الضفة الشرقية قد وصل إلى ٨٠٠ ضابط و ١٣٥٠٠ جندى .

. . . .

. . . .

□ **وفى الساعة الثالثة والنصف** كانت قوات المهندسين تعبر فى وحدات بحرية خاصة جهزت بالخراطيم . وكانت المهمة الموكولة إليها هى فتح الثغرات فى الساتر الترابى على الضفة الشرقية من القناة .

. . . .

. . . .

□ **وفى الساعة الرابعة والنصف** كان حجم القوات المصرية على الضفة الشرقية قد وصل إلى ١٥٠٠ ضابط و٢٢٠٠٠ جندى .

(وفى هذه اللحظة قام الرئيس « السادات » ومعه الفريق « أحمد اسماعيل » قاصدين إلى مكتب القائد العام ، وطلب السفير السوفيتى .)

. . . .

. . . .

□ **وفى الساعة الخامسة والنصف** كان هذا الحجم قد وصل إلى ٢٠٠٠ ضابط و٣٠٠٠٠ جندى .

(قام الرئيس « السادات » مرة أخرى قاصدا إلى مكتب القائد العام ليتلقى مكالمة تليفونية له من « بريجنيف » - لكن الاتصال لم يتم لسبب غير واضح . وقد انتهز الرئيس فرصة وجوده فى مكتب القائد العام فاتصل ببيته بالجيزة وبـ « محمد حسنين هيكل » فى مكتبه بالأهرام) .

. . . .

. . . .

□ **وفى الساعة السادسة والنصف** كانت عملية فتح الثغرات فى الساتر الترابى قد حققت جزءا كبيرا من مهامها ، وبدأ تركيب كبارى العبور ، وراحت الدبابات تتقدم على أول كوبرى جرى تركيبه .

. . . .

. . . .

□ **وفى الساعة العاشرة مساء** كانت قوات المهندسين قد تمكنت من فتح ٦٠ ثغرة فى الساتر الترابى ، وأزاحت بالتجريف ما حجمه ٩٠٠٠٠ متر مربع من الرمال . ووصل عدد الكبارى الثقيلة التى أمكن تركيبها إلى ثمانية ، بالاضافة إلى أربعة كبارى خفيفة ، و٣١ معدية كانت تتحرك بسرعة وقوة من ضفة إلى ضفة حاملة معها المزيد من القوات والمعدات .

. . . .

. . . .

وعندما حل منتصف الليل تماما كانت هناك خمس فرق كاملة من المشاة والمدرعات على الضفة الشرقية لقناة السويس . وكانت معظم مواقع خط بارليف الحصينة قد حوصرت ، ونصفها تم اقتحامه .

(وكانت الجبهة السورية تعيش مشهدا مماثلا ، ففى هذا الوقت كان الطيران السورى قد قام بضربة أولى ، ثم جرى تمهيد بالمدفعية . وفى الساعة الرابعة كانت المدرعات السورية قد

تخطت خنادق التحصينات الإسرائيلية فى الجولان – وقبل أن ينزل الظلام كانت تتقدم فى اتجاه مدينة القنيطرة عاصمة الجولان) .

□

كان الرئيس « السادات » فى الساعة السابعة تماما ، ومعه كل الذين أتاحت ظروفهم أن يتواجدوا فى هذه القاعة المجيدة – فى حالة من النشوة لاتكاد تصدق . وقد تأكدوا جميعا أن أخطر عملية فى الحرب كانوا يتحسبون لخسائرها قد تمت بنجاح فاق خيالهم . وكانت أروع لحظة فى حياتهم هى التى تلقوا فيها أول تقدير مبدئى عن حجم الخسائر المصرية فى العملية حتى الآن .

وكانت الخسائر فى عملية العبور هى استشهاد ٦٤ رجلا إلى جانب ٤٢٠ جريحا وقد أصيبت ١٧ دبابة ، وتعطلت ٢٦ عربة مدرعة . وكان ذلك لا يصدق . فقد كانت كل التقديرات العلمية عن الخسائر المحتملة فى عملية العبور تصل بها إلى عشرات ألوف من الشهداء والجرحى . وكان الرئيس « السادات » ، ومن حوله القادة يتبادلون النظرات وهم لا يكادون يتصورون واقع ما جرى أمام عيونهم . كانت بكل المعايير ضربا من المعجزات . وأبدى الفريق « أحمد اسماعيل » ملاحظة واحدة قال فيها إن « الأولاد يتقدمون على الكبارى كما لو أنهم يقومون بعملية تدريب ، وكأن كل هذه النيران من حولهم مجرد مناورة بالذخيرة الحية » .

□ **وفى الساعة السابعة مساء** ، كان الرئيس « السادات » قد اطمأن بأكثر مما راوده فى أوسع أحلامه جموحا – إلى أن هناك شيئا عظيما تم تحقيقه . وقد خطر بباله أنه يستطيع أن ينتقل الآن من مقر قيادته العسكرية ، ويعود إلى قصر الطاهرة ليتابع من هناك آثار الساعات التى عاشها فى المركز رقم « ١٠ » – على مصر وعلى العالم العربى ، وفى الدنيا الواسعة .

(وقبل أن يغادر الرئيس « السادات » مقر القيادة العليا ، اتصل بـ « محمد حسنين هيكل » وطلب إليه أن يلقاه الساعة الثامنة فى قصر الطاهرة . وفى حين كانت نبرة صوته فى مكالمة سابقة – قبل قرابة ساعتين – نبرة هادئة ، فإن النبرة الآن كانت مجلجلة كأنها زغاريد فرحة . وقد راح يكرر فى نفس واحد أكثر من ثلاث مرات : « **الولاد ركبوا خط بارليف خلاص ...** »)

وكان آخر ما قاله للفريق « أحمد اسماعيل » والفريق « سعد الدين الشاذلى » وهو يغادر المركز رقم « ١٠ » : « إنه لا يريد إزعاجهما بطلب معلومات تفصيلية كل دقيقة عن مسار العمليات » . ثم طلب تعزيز الاتصال بين مكتبه للشئون العسكرية فى قصر الطاهرة وبين مكتب القائد العام ، لكى يجرى ضخ المعلومات أولا بأول دون إزعاج مباشر منه لهم .

□

فى قصر الطاهرة كانت هناك مكالمات تليفونية عديدة من كثيرين فى العالم العربى وصل إلى أسماعهم ما حدث ، وأرادوا أن يتصلوا به تهنئة وتبريكا . وقد أخذ الرئيس « السادات » بنفسه بعضها .

وفى الساعة الثامنة مساء كان « محمد حسنين هيكل » فى قصر الطاهرة لموعده مع الرئيس « أنور السادات » . وقد لاحظ عند دخوله إلى الصالون الذى كان يجلس فيه الرئيس « أنور السادات » ويتلقى منه ما يختار من الاتصالات التليفونية – أن هناك مجموعة من رجال التليفزيون والاذاعة بميكروفوناتهم وعدساتهم . وعندما دخل « هيكل » على الرئيس « السادات » كان باديا أن موجة من الفرح تتراقص بصالون القصر كله . وفى حين راح « هيكل » يسأل عن المزيد من التفصيلات – فإن الرئيس السادات كان له مطلب عاجل ، هو إعداد « كلمة قصيرة » ، ولو من عشرة سطور تقول للناس ما معناه « أن حرب الساعات الست قد تحققت » .

وبدا الطلب لسامعه غير متوقع . وحاول الرئيس« السادات » تقديمه باعتباره ضرورة للرد على كل ما قيل عما جرى فى حرب الأيام الستة (يقصد سنة ١٩٦٧) . وأضاف الرئيس « السادات » أنه طلب بالفعل طاقما من التليفزيون والاذاعة لتسجيل الحديث ، وهو يريده على الهواء قبل الساعة التاسعة لكى « يفرح به الناس قبل أن يناموا » . قالها وفى نبرات صوته سعادة كان له كل الحق فيها . لكن الوقت كان ما زال مبكرا . وقد حاول « هيكل » أن يشرح له « إننا أمام معركة ما زالت فى بدايتها ، والحوار مع العدو بدأ بالكاد ، وقد كانت لنا فيه الكلمة العليا هذا صحيح ، لكن حوار النار مستمر ، ومن المستحسن تأجيل الحديث للناس الآن ، وتركهم يفرحون بما يسمعونه من إذاعات العالم . فهذا أفضل وأفعل فى التأثير عليهم مما لو تحدث هو فى هذه اللحظة . بمعنى أنه قد يكون من الأصوب الآن أن يترك هو فرصة للعالم يتحدث عن انتصاره ، ويصل صدى هذا الحديث إلى شعبه – من أن يتحدث هو مهما كانت أهمية ما يمكن أن يقوله فى هذا الوقت » . ودارت مناقشة طويلة قطعها وصول السفير السوفيتى إلى قصر الطاهرة .

وفى حين اجتمع الرئيس « السادات » مع السفير السوفيتى ، ذهب « محمد حسنين هيكل » إلى مكتب العقيد « عبدالرؤوف رضا » مدير الشئون العسكرية – للاطلاع على آخر التقارير والاتصالات .

□

قدم السفير السوفيتى تهنئة القيادة السوفيتية وتهنئته[1] . وسلم رسالة مكتوبة بلغة إنشائية وحماسية من الزعيم السوفيتى « ليونيد بريجنيف » . وقد عاد الرئيس « السادات » فكرر مرة أخرى ما سبق أن قاله لـ « بريجنيف » على التليفون تعبيرا عن عرفانه بدور الاتحاد السوفيتى فى تحقيق « كل هذا النصر العظيم الذى حققناه اليوم » . وسأله السفير السوفيتى عن تصوراته فيما يتعلق بالجانب السياسى فى المعركة . فالأمريكان قد اتصلوا بالسوفيت يتشاورون معهم فيما يمكن أن يفعله مجلس الأمن إزاء نشوب الحرب فى الشرق الأوسط . فهناك مشاورات واسعة بين الأربعة الكبار فى مجلس الأمن ، ومعهم السكرتير العام للأمم المتحدة « كورت فالدهايم » . وهناك أفكار غير محددة بعد عن مشروع قرار يقدم إلى مجلس الأمن فى شأن الأزمة ، وهم يريدون أن يكونوا

(١) كان « بريجنيف » قد تمكن قبلها من الاتصال تليفونيا بنفسه بالرئيس « السادات » فى قصر الطاهرة .

على علم مسبق بتصورات الرئيس حتى ينسقوا جهودهم مع مطالبه . وأضاف « فينوجرادوف » أن السفير السوفيتي في دمشق« محيي الدينوف » سبق له أن ناقش هذا الموضوع مع الرئيس « حافظ الأسد » عندما أخطره الرئيس السوري عن احتمالات المعركة . وذكر في حديثه أن الرئيس « الأسد » كان قد ألمح في حديثه مع « محيي الدينوف » إلى إمكانية بحث وقف إطلاق النار وفقا لما تكون عليه الأحوال وقتها . ولم يكن الرئيس « السادات » مستعدا لهذا النوع من الحديث . وقد قال لـ « فينوجرادوف » إن « هذا موضوع لا يستطيع في هذه اللحظة أن يبحثه ، وفي وسعه (أي السفير السوفيتي) أن يناقش هذا الموضوع مع الدكتور « محمود فوزي » ، فهو (أي الرئيس « السادات ») يتصرف الآن بوصفه القائد الأعلى للقوات المسلحة (وأشار إلى حلته العسكرية الأنيقة قائلا لـ « فينوجرادوف » : « ألا ترى؟») » - ثم أضاف بلهجة جد قصدها متبسطا أن تبدو تمثيلية : « في هذه اللحظة أنا القائد الأعلى للقوات المصرية فقط ، وأي حديث في الموضوعات الدبلوماسية ليس في دائرة اهتمامي الآن » .

وأراد « فينوجرادوف » أن يتثبت فقال : « تعني يا سيادة الرئيس أنني أستطيع مناقشة احتمالات العمل الدبلوماسي مع الدكتور محمود فوزي ؟ » ورد الرئيس « السادات » بسرعة : « نعم .. نعم .. ابحث معه كما تشاء » .

وخرج السفير السوفيتي . وأشار الرئيس « السادات » باستدعاء « محمد حسنين هيكل » الذي عاد إليه وقد جاء معه العقيد « عبدالرؤوف رضا » يحمل تقريره عن أول يوم من أيام القتال . وفي حين جلس « هيكل » بجانبه ، وقف العقيد « عبدالرؤوف رضا » ينتظر أن يلقي الرئيس « السادات » نظرة على الملف الذي قدمه إليه .

كان الملف يحوي التقرير ، وقد أرفقت به نسخة من منشور جرى توزيعه على القوات ساعة بدء العبور . كان التقرير مكتوبا باللغة الواقعية للبيانات العسكرية ، وكان نصه على النحو التالي :

« سري جدا(*)

تقرير موقف رقم « ١ »

مكتب الشئون العسكرية

الموضوع : تقرير موقف عن اليوم الأول قتال ٦ / ١٠ / ١٩٧٣

عـــام :

- بدأ هجوم قواتنا سعت ١٤٠٠ بضربة جوية على مطارات سيناء والأهداف الجوية بها .

- نجحت قواتنا في اقتحام المانع المائي قناة السويس وتحقيق المهام المباشرة للأنساق الأولى على مسافة ٢,٥ - ٣,٥ كم شرق القناة ، وذلك حتى سعت ١٦٤٥ عدا بعض النقط الحصينة .

(*) في ملحق صور الوثائق توجد صورة للصفحة الأولى من هذا التقرير تحت رقم (٥١) وهي منشورة على صفحة ٧٨٩ من الكتاب .



الجنود الإسرائيليون الذين وقعوا فى الأسر

- الجبهة السورية تم عبورها الخندق المضاد للدبابات .

العـــدو :

- يتمسك العدو بموقع شرق بورفؤاد كم ١٠ ، كم ١٩ ، نقطة رقم ٣ بالقنطرة والكاب والدفرسوار وتل سلام ولسان بورتوفيق .
- باقى النقط القوية ارتدت تحت ضغط قواتنا .
- بدأ العدو فى دفع احتياطياته التكتيكية والتعبوية .
- بدأ العدو فى تعزيز مطارات سيناء بعد أن تم تعطيلها من الضربة الجوية المصرية .
- رصد للعدو عشر قطع بحرية شرق بورسعيد .

خسائر العدو :

٢٨ طائرة مقاتلة
٣١ دبابة
١ قطعة بحرية
قتلى : (لم يتم الحصر)
جرحى : (لم يتم الحصر)
أسرى : ١١

قواتنا :

- طورت قواتنا نجاحها واستولت على رأس كوبرى بعمق ٧ - ١٠ كم شرق القناة .
- بدأت قواتنا فى التدفق لتثبيت وتوسيع رأس الكوبرى .
- تم دفع مجموعات الصاعقة على جميع محاور سيناء وإبرار المظلات فى المناطق الحيوية .
- تم الإبرار البرى إلى بعض المناطق بالساحل الشمالى وخليج السويس .
- تم قصف مطارات المعاونة المباشرة للعدو ومواقع صواريخ الدفاع الجوى بها والمناطق الحيوية وأرتال قواته المتقدمة .

التعليق :

- العدو يحاول استعادة السيطرة على قواته وتجميعها للقيام بهجوم مضاد .
- يركز العدو تمسكه بموقع شرق بورفؤاد للارتكاز عليها لتوجيه ضربة إلى بورسعيد .
- من المنتظر أن يوجه العدو ضربة جوية الى المطارات والقواعد الجوية ووسائل الدفاع الجوى على الجبهة المصرية .
- من المنتظر أن تنشط أعمال العدو فى العمق ضد الأهداف المنعزلة » .

□

وكان المنشور المرفق بالتقرير مكتوبا بلغة مختلفة . وكان نصه(*) :

« بسم الله الرحمن الرحيم
رسول الله معنا فى المعركة

يا جند الله

إن المعركة التى تخوضونها بعزيمة المؤمنين ويقين الصادقين ترفرف من حولها البشائر الصادقة التى تملأ الصدور بالأمل بالنصر العزيز . وتغمر القلوب بالثقة فى وعد الله بالفتح المبين .

وفيما نعرف من حديث رسول الله ﷺ أن من رأى رسول الله فى نومه فكأنما رآه فى يقظته .

وقد رأى أكثر من واحد من الصالحين رسول الله ﷺ قبل بدء المعركة يشير إلى سيناء إشارات معبرة عن تحريرها .

كما رأى بعضهم رسول الله ﷺ يمشى فيها بين جنودنا مشرق المحيا واضح الابتسامة .

كما رأى أحد الصالحين أن رسول الله ﷺ فى منزل شيخ الأزهر الدكتور عبد الحليم محمود . فذهب الرائى إليه فى الغرفة المجاورة ليخبره بمقدم رسول الله . فوجده يصلى . فانتظر إلى أن انتهى من صلاته ... ثم أخبره . فقال إنى أعرف ... لأنى ذاهب معه إلى سيناء ... يقول الرائى ثم رأيت شيخ الأزهر يرافق الرسول إلى سيناء حيث يشرق بنوره الكريم هنالك . وأخذا يتنقلان معا بين الجنود .

يا جند الله

إن البشائر الصادقة ترى مؤذنة بيوم النصر المرتقب ... فعلى بركة الله شدوا على أعداء الانسانية

(*) فى ملحق صور الوثائق توجد صورة لهذا المنشور تحت رقم (٥٢) ـ على صفحة ٧٩٠ من الكتاب .

أعداء الله ... طهروا تراب الوطن العزيز من رجس الغاصب ... انصروا الله ينصركم ... والأمة كلها من ورائكم مؤمنة بأن النصر بإذن الله حليفكم .

والله معكم يحميكم ويرعاكم ودعوات الصالحين الخالصة بالنصر المؤزر والفتح المبين ... ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله .

□

بعد أن فرغ العقيد « عبد الرؤوف رضا » من عرض ما لديه ، غادر الصالون . وعاد الرئيس « السادات » إلى فكرة إعداد بيان يلقيه . وعاد « محمد حسنين هيكل » يحاول شرح وجهة نظره فى أفضلية الانتظار ، كما أنه أبدى ملاحظة على المنشور الذى وزع على الجنود مؤداها :

– « إن صيحة « الله أكبر » التى انطلقت بها حناجر الجنود على جسور العبور كانت تكفينا صلاة ودعاء يشارك فيها كل المؤمنين ، وهى فى كل الأحوال تغنينا عن كل الأحلام بما فيها « أحلام الصالحين » .

والمشكلة أن هذا المنشور الموزع على الجنود يحوى خلطا بين الوطنية والدين . وبين الشيوخ والجنود ، وهو شيء لا داعى له – خصوصا وأن هناك من قادة الجيوش والفرق ضباطا من الأقباط ، ونفس الحال على نطاق أوسع قائم بين الجنود . وهو يخشى من تحويل الصراع إلى حرب دينية بينما هو فى الحقيقة صراع قومى » .

وكان الرئيس « السادات » يفكر فيما يسمع ، وقد بان قراره النهائى حين دق جرسا فاستدعى سكرتيره السيد « فوزى عبد الحافظ » وطلب إليه « أن يصرف جماعة الإذاعة والتليفزيون » – ومع ذلك فقد كان الصالون – وقصر الطاهرة كله مأخوذا بالكامل فى موجة من الفرح لا سبيل إلى ضبط مشاعرها .

وأبدى « هيكل » ملاحظة أخرى تساءل فيها عن الدكتور « فوزى » وقد عرف أنه لم يخصص له مكتب فى القصر . كذلك فإنه لم يجد أثرا لمستشار الرئيس للأمن القومى السيد « حافظ اسماعيل » ، ولا للمتحدث الرسمى باسم الرئيس الدكتور « أشرف غربال » . ورد الرئيس « السادات » بسرعة قائلا : « فوزى يعمل من وزارة الخارجية .. وحافظ وأشرف خصصت لهما قصر عبد المنعم » (يقصد قصر الأمير السابق محمد عبدالمنعم) . وأضاف أنه لا يريد أعباء إضافية يجرها وراءه ، وأن هذه معركته وأنه يفضل أن يخوضها بدون زحام حوله من أحد . ثم قال وفى نبرة صوته رنة ثقة بالنفس لاتخطئها أذن : « نتائج اليوم أمامكم ، فلماذا نغير أسلوب العمل ؟ »

وعند منتصف الليل كانت الأنباء ما زالت تترى على قصر الطاهرة ، وكانت كلها أنباء سعيدة . وكان القصر ما زال يعيش على ذرى أمواج نشوانة بالفرح الغامر والسعادة الفائقة .

٢

من الصعب عى أحد مهما بلغت درجة قربه من الحوادث أن ينفذ بتحليل دقيق أو قريب من الدقة للمشاعر والأفكار التى تحركت وتدافعت فى عقل وفكر الرئيس « السادات » فى تلك الليلة الحاسمة من تاريخه وتاريخ مصر . ومع أن التاريخ أيام متصلة يترتب اللاحق فيها على السابق دون فجوة أو فراغ - فإنه من المحقق أن هناك تجارب خاصة فى حياة الناس يمكن أن يكونوا بعدها مختلفين عما كانوا قبلها . والتاريخ حافل بنماذج كثيرة لهذه اللحظات الفاصلة والفارقة فى حياة البشر ، سواء كانوا على القمة فى بلادهم ، أو من السفح والقاع .

وفى ليلة ٦ - ٧ أكتوبر ، كان « أنور السادات » فى لحظة فاصلة وفارقة من حياته شكلت - على وجه القطع - مفترق طرق .

● **قبلها** كان واحدا من زعماء العالم العربى مثل غيره كثيرين - **وبعدها** أصبح نجما يلمع فى أفق عال وشاهق .

● **وقبلها** فإن رجلا مثل « هنرى كيسنجر » - كان يتهرب منه ويصفه بأنه « بهلوان سياسى » - **وبعدها** فإنه لم يعد فى مقدور أحد - بمن فيهم « هنرى كيسنجر » - إلا أن يعترف له بأنه « **داهية سياسى** » .

● **وقبلها** كان حاكما بشرعية مستعارة من سلفه « جمال عبد الناصر » - **وبعدها** فإنه أصبح يمتلك شرعية مستقلة يبدأ بها عصرا جديدا من حكمه .

● **وقبلها** لم يكن فى تاريخ العرب الحديث انتصار عسكرى واضح - **وبعدها** فإنه سجل فى تاريخ العرب نصرا عسكريا على مستوى لم يكن ينتظره أحد .

● **وقبلها** كان رجلا تكررت وعوده واعتبرت كلها جوفاء وفارغة - **وبعدها** فإنه استطاع أن يحقق ما وعد به ، وزاد عليه .

● **وقبلها** كان يتصرف وفى إحساسه أن « جمال عبد الناصر » كان رجلا أكبر منه - **والآن** فقد داخله الاحساس بأنه أصبح أكبر من « جمال عبدالناصر » . فهذا الذى تحقق على يديه اليوم لم يحدث ولا لـ « جمال عبد الناصر » .

وقبلها وقبلها كثير ، وبعدها وبعدها كثير أيضا ، وما قبل مختلف دواما عما بعد !

وكان ذلك كله ماثلا فى ذهنه تلك الليلة ، وقد عبر عنه بالنشوة ، وربما استطاع تحليل بعضه ، وأحس بأثر البعض الآخر دون تحليل - لكنه فى نهاية يوم طويل ومرهق ، يدخل إلى فراشه ليلا وقد أصبح على قمة العالم - وقد كان مغربه ومشرقه مأخوذا بما حدث .

كان هو الآخر مأخوذا بما حدث ، وكان ما رآه وعاشه طول اليوم بالفعل أشبه ما يكون بانفجار قنبلة ذرية ، وقد كان قراره هو الذى فجرها ، وهذه حقيقة لا يملك أحد أن يجادل فيها .

ولقد كان يمكن رد هذا الانفجار الذرى إلى أسباب عقلانية - لكن ذلك لم يكن شاغله تلك الليلة .

وإنما كان شاغله ما يراه أمام عينيه : فلقد تم العبور العظيم - وهو الآخر عبر من مكان إلى مكان ، ومن ضفة إلى ضفة ، ومن حال إلى حال .

ولقد اختلط العبوران معا ، فأصبح عبور القوات عبوره ... وعبوره عبور القوات . وفى واقع الطبيعة البشرية فإن ذلك كان محتملا .. وربما كان مفهوما .

□

كان ما رآه أمام عينيه أثناء وجوده فى مركز القيادة رقم « ١٠ » وبعد خروجه منه - تجربة أسطورية - وكان يمكن رد ما بدا أسطوريا إلى أسباب عقلانية وعلمية :

● ● ● **أولها** - أنه كان هناك وطن وأمة وقعا معا تحت ضغوط هائلة وصلت إلى تفجير النواة الداخلية الصلبة لمعدن الوطن والأمة ، وبالتالى فإن طاقة يصعب تصورها أفلتت من عقالها واندفعت شحناتها - كما يحدث فى أى تفجير نووى - تهاجم ذرات أخرى وتكسرها وتطلق شحناتها ، ثم تصل قوة الفعل المضاعف ، وردود الفعل المتصلة - إلى خلق قوة جبارة لم يكن أحد يتخيل وجودها فى نواة ذرة .

● ● ● **وثانيها** - أن التجارب المريرة السابقة - وعلى قمتها تجربة سنة ١٩٦٧ - علّمت كثيرين وبالذات فى القوات المسلحة المصرية أن العلم ، والتخطيط على أساسه ، هما وسيلة العصر لتحقيق أى هدف . وهكذا فإن عملية إعادة البناء التى بدأت مباشرة غداة نكسة ١٩٦٧ - استطاعت أن تخلق حقائق جديدة فى مقدرة الفكر والتحضير والفعل ، وبالتالى امتلكت القوات المسلحة كفاءة تمكنت بها من إحداث نقلة نوعية فى أساليب أدائها بالسلاح أمام عدوها .

● ● ● **وثالثها** - أن الكم الإنسانى (جيش المليون) - استطاع أن يوفر لنفسه حجما من الكيف (كان فى جيش المليون قرابة مائة ألف من حملة الشهادات المتوسطة والعليا) له وزن أضيف إلى إرادة ومقدرة الفعل ، وكانت نتيجة تلاحم العنصرين معا : عنصر الكم ، وعنصر الكيف - تحقيق ما يمكن وصفه بأنه معجزة .

ولقد أثارت هذه المعجزة على سبيل المثال اهتمام وفضول كثيرين ، بينهم لجنة القوات المسلحة فى الكونجرس الأمريكى ، وقد قصدت إلى مصر والعمليات لم تتوقف بعد رغم نصائح لها من واشنطن بالانتظار - وكانت لهفة أعضائها أنهم يريدون التقصى عن أسباب ما لم يتوقعه أحد !

وحين جاءوا ورأوا وعادوا ليكتبوا تقريرهم(*) كانت آراؤهم :

أ – أن اقتحام خط « بارليف » سنة ١٩٧٣ عمل عسكرى لا يقل فى أهميته عن سقوط خط « ماجينو » الفرنسى سنة ١٩٤٠ .

ب – أن هناك نقلة بشرية كبيرة فى نوعية المقاتلين العرب تختلف بها هذه الحرب عن أى حرب أخرى خاضوها من قبل .

جـ – أن التخطيط المصرى للمعارك كان على كفاءة عالية ، وقد تمكن من تجاوز أسباب التفوق الإسرائيلى التقليدية . وكانت لإسرائيل ثلاثة عناصر فى التفوق :

- **تفوق فى الطيران : وقد ألغته مصر باستعمال الصواريخ الصغيرة المضادة للطائرات من طراز سام (للارتفاعات العالية) – ومن طراز ستريللا (للارتفاعات المنخفضة) .**
- **تفوق فى المدرعات : وقد ألغته مصر بالتوسع فى الصواريخ أيضا من طراز مولوتكا .**
- **تفوق فى نظام التعبئة العامة : وقد ألغته مصر بعنصر المفاجأة من ناحية ، وبالتخطيط للحرب على جبهتين فى وقت واحد : الجبهة المصرية ، والجبهة السورية – من ناحية أخرى .**

د – أن مصر لم تكن تملك بصفة عامة أسلحة جديدة متقدمة تم استعمالها مفاجأة ، لكنها فى هذه النقطة استطاعت أن تجد وسيلة مبتكرة ، وتلك أنها استعاضت عن تقدم السلاح ، بسياسة التوسع فى نشره . وقد ذكر تقرير اللجنة أن الجبهة المصرية شهدت انتشارا للأسلحة وصفته اللجنة بأنه astounding (أى مذهل) – أى أن الكميات التى استعملت منه كانت غير مسبوقة ، فأمام هجمات الطائرات كانت هناك آلاف مؤلفة من صواريخ ستريللا ، وأمام زحف المدرعات كانت هناك آلاف مؤلفة من صواريخ مولوتكا .

وقد لاحظت لجنة الكونجرس أن التوسع المذهل فى نشر الصواريخ على الجبهة المصرية لم يكن مكلفا فوق الطاقة ، وضربت اللجنة لذلك مثلا خلاصته أن الصاروخ السوفيتى المضاد للدبابات كان ثمنه ١٠٠٠ دولار ، فى حين أن الصاروخ الأمريكى الذى يؤدى نفس مهمته كان ثمنه ١٠٠٠٠٠ دولار .

هـ – ومع ذلك فقد كان لدى القوات المصرية نوع من الكيف لا شك فيه ، ومن نماذجه ما أشارت إليه لجنة الكونجرس من أن الصاروخ من طراز « سام ٦ » لم يقدم لفيتنام ، ولكنه قدم لمصر . وأن الدبابات من طراز « ت ٦٢ » لم تكن قد دخلت إلى الخدمة فى قوات حلف وارسو – ومع ذلك كانت عاملة مع السلاح المصرى سنة ١٩٧٣ .

● ● ● **ورابعها** – أن إسرائيل – لأول مرة فى حياتها – فوجئت بعمل عربى أخذ فى يده زمام المبادأة ، وكان أكبر عون له هو الغرور الإسرائيلى الذى تزايد بعد سنة ١٩٦٧ ، ووصل إلى درجة قاتلة حين أصبح التفكير والتخطيط الإسرائيليان قائمين على أسس جامدة رغم الشواهد – فقد ظلوا إلى آخر لحظة متجمدين عند قناعة « **أن العرب لا يملكون خيارا عسكريا قط** » .

● ● ● **وخامسها** – أن القوات المصرية كانت لأول مرة فى عملية تستهدف تحرير أرضها ، وقد طالت معرفتها وألفتها مع الخطة خدمة وتدريبا ومناورة على عملية التحرير التى

(*) تقرير اللجنة الفرعية للجنة الدفاع (القوات المسلحة) فى الكونجرس ، وقد كانت اللجنة فى مصر وإسرائيل فى الاسبوع الأول من شهر نوفمبر ، وقد حرر التقرير رسميا بتاريخ ٣ ديسمبر ١٩٧٣ .

أخذت هذا الاسم الرمزى أثناء المناورات فعلا ، فأصبح هناك مشروع « تحرير ١ » و« تحرير ٢ » و« تحرير ٣ » وهكذا ...

وحين جاءت اللحظة لعملية التحرير الفعلية فإن القوات لم تتقدم فقط لتحرير الأرض - وإنما تقدمت إلى عملية عاشتها وتآلفت معها طوال تجارب طويلة ، وهكذا فإنه حين جاءت تجربة الحقيقة ، فإن الشباب والرجال قاموا بها وكأنهم بالفعل يقومون بعملية تدريب أخرى (على حد تعبير الفريق « أحمد اسماعيل ») .

● ● ● **وسادسها** - أن التفجير الذرى الذى جرى فى أعماق الشعب المصرى وأطلق شحناته الهائلة ، كان له مثيله فيما حدث لشعوب عربية أخرى . وقد كان ذلك ما جعل الملك « فيصل » على سبيل المثال يلوح مبكرا بإمكانية استخدام البترول . بل وقد كان هناك شىء قريب الشبه بذلك فى موقف الاتحاد السوفيتى نفسه فى تلك الفترة . ذلك أن كثرة الإلحاح عليه دفعته على نحو ما إلى أن يستجيب ولو بالكم ، مما أحدث فارقا هائلا فى تركيز وكثافة النيران .

وعلى سبيل المثال فإن قرار مصر بالحرب سنة ١٩٧٣ - كان يقضى باستعمال كل « الوسائل المتاحة لدى الجيش المصرى فى عمل عسكرى لعبور القناة » ، وكان هذا هو نفس التعبير الذى استعمل فى ربيع سنة ١٩٧١ حينما كان الفريق « محمد فوزى » وزيرا للحربية وقائدا عاما للقوات المسلحة - لكن الفارق بين حجم السلاح فى ربيع سنة ١٩٧١ وحجمه فى خريف سنة ١٩٧٣ - كان بنسبة الضعف تقريبا فى حجم النيران .

معنى ذلك أنه كانت هناك عوامل موضوعية يمكن لها أن تفسر المعجزة ، لكن الإحساس بالمعجزة نفسها - بعيدا عن أسبابها - كان هو العنصر الطاغى على المشاعر تلك الليلة الحاسمة - ليلة ٦ - ٧ أكتوبر ١٩٧٣ .

● ● ● **وسابعها** - أن الرأى العام العالمى ضاق ذرعا بالعناد الإسرائيلى المصمم على عدم الانسحاب من الأراضى المحتلة اعتمادا على أن العرب لن يحاربوا ، وذلك خلق جوا مواتيا لتقبل العمل العربى حينما حان أوانه !

□

ولقد قال الرئيس « السادات » بنفسه صباح يوم ٧ أكتوبر ، إنه لم ينم طوال الليل ، وإنما كان يفكر . ولم يستفض فى شرح شواغله التى أدت به إلى الأرق ، وإن كان يمكن استخلاص بعضها من تصرفاته فيما بعد .

وعلى نحو ما فإن تصرفاته فيما بعد تظهر مراحل تفكيره بمقدار ما يمكن أن يصل إليه تحليل موقف فى غياب صاحبه :

١ - لقد رأى وعاش معجزة .... (لايحتاج ذلك الاستنتاج إلى شاهد) .

٢ - لقد كان هو الذى أعطى الإشارة فوقعت المعجزة (وشاهد ذلك ما تكرر على لسانه

كثيرا فيما بعد عن « جيشى » و« طيرانى » و« أسطولى » ، وكثير غير ذلك منسوب إليه شخصيا) .

٣ - إنه يريد أن يحتفظ بنسب المعجزة إليه وحده (وشاهد ذلك قوله فى هذا الوقت المبكر إنه لا يريد زحاما حوله .. حتى من مستشاره للأمن القومى الذى أرسله ليعمل من قصر الأمير السابق « محمد عبد المنعم ») .

٤ - ولقد كان يشعر فى أعماقه أن المعجزة التى رآها تحدث أمامه من صنع قوى يعرفها ، وقوى أخرى لا يعرفها كانت فى أعماق الناس أو خافية عليه غير مرئية . وبقدر ما هو مبهور بما أتيح له مما رآه ، فإنه يريد أن يتوقى البعيد الخفى الذى لا يراه (وشاهد ذلك أنه لم يستطع أن يرد المعجزة إلى أسبابها المنطقية ، ولعل أقرب مثل إلى حالته فى تلك الأوقات هو ما أحس به العلماء الكبار الذين قاموا على صنع القنبلة الذرية من أمثال « روبرت أوبنهايمر » ، ذلك أنهم عندما رأوا قوة الطاقة التى تمكنوا من تفجيرها ، ساورهم الخوف وراحوا يفكرون فى كيفية السيطرة على هذه القوة الطاغية التى توهجت إمكانياتها أمامهم على ساحة التجارب فى صحراء « نيو مكسيكو ») .

٥ - وهو يرغب فى الاحتفاظ بهذه المعجزة ، ولذلك فهو يخشى من تقلب الأمور (وشاهد ذلك اقتناعه بتأجيل إلقاء بيان عنها يوجهه إلى الشعب والأمة فى نفس الليلة ، خصوصا بعد أن قرأ تقرير مكتبه العسكرى وفيه الإشارة إلى تحسب هجوم إسرائيلى مضاد) .

٦ - وهو نتيجة لذلك كله مطالب - فى تقديره - بضرورة التحرك بسرعة لتثبيت المعجزة واستمرار بقائها فى حوزته وإحكام السيطرة عليها قبل أن يحدث أى شىء . ولقد قاده ذلك بالطبع إلى التفكير فى إسرائيل ، وقاده التفكير فى إسرائيل إلى التفكير فى الولايات المتحدة الأمريكية (وشاهد ذلك ما فعله صباح يوم ٧ أكتوبر) .

□

صباح يوم ٧ أكتوبر - (وباكرا جدا ، فى حوالى الساعة السادسة صباحا) - كان الرئيس « السادات » يقرأ برقية جاءته من وزير خارجيته الدكتور « محمد حسن الزيات » من نيويورك ، وكان نصها على النحو التالى :

« من نيويورك

برقية رمزية واردة برقم ٦٨٦٧(*)

(سرى للغاية ومحظور)

١ - اتصل بى كيسنجر من واشنطن ، وكان قد سافر إليها بعد أحداث الشرق الأوسط فى الصباح ، وذكر الآتى :

(*) فى ملحق صور الوثائق توجد صورة للصفحة الأولى من برقية الدكتور « الزيات » ، وهى منشورة تحت رقم (٥٣) - على صفحة ٧٩١ من الكتاب .

أ – قال إنه كان مسرورا ومتفائلا بإمكان بدء مجهود حقيقى وفعال بالتعاون المشترك لتسوية مشكلة الشرق الأوسط من حديثه معى يوم ٥ أكتوبر .
وقد جاءت أحداث اليوم لذلك (٦ أكتوبر مساء بتوقيت واشنطن) – مفاجأة وهو يرى أن القتال إذا لم يتوقف فى وقت معقول فإن الأمر سيخرج عن أيدينا .
ب – وقال إن معلوماتهم وتقديرهم ، وقد يكونوا مخطئين ، هو :
أولا : أننا نحن الذين بدأنا هجوم اليوم .
ثانياً : أن القتال إذا استمر فسينتهى بنجاح الجانب الآخر – الإسرائيليين . وتقديرهم أن الجانب الآخر سيقوم بهجوم مضاد كبير خلال اليومين القادمين .
جـ – وقال إنه يود أن يذكر لى من جديد أنه إذا حدث ذلك فإنهم لا يوافقون على احتلال إسرائيل لأراضى جديدة .
د – وتساءل لذلك عن استحسان فكرة إصدار قرار من مجلس الأمن بإيقاف النار مع إعادة الحالة إلى ما كانت عليه .
هـ – وقال إن إثارة مناقشة في الجمعية العامة عندما تعاود الاجتماع يوم الاثنين القادم سيزيد من تعقيد الموضوع .

أجبته بما يلى :
أ – بأنه فى أثناء حديثنا (يقصد حديثه السابق مع كيسنجر يوم ٥ أكتوبر) تبين أن إسرائيل مطمئنة إلى قدرتها على المحافظة على إيقاف النار ومرتاحة إليه . ولا ترى داعيا لتغيير الحالة القائمة . وبالتالى فإن أمريكا لا تستطيع أن تضغط عليها للتوصل إلى مثل هذه التسويات التى تقبلها مصر – لذلك فمهما كانت أسباب حوادث اليوم – وهل هى حسبما شرحتها للجمعية العامة فى خطاب مرسل اليوم(*) ، أو حسب معلومات واشنطن – فلا شك أنها تبين أن قناة السويس ليست حاجز الأمن الذى لا يمكن أن يخترق من جهة (ومن جهة أخرى) وأن إيقاف النار ليست هى حالة الدوام .
ب – أن اقتراح العودة إلى الحالة التى كانت قائمة ، أى التقهقر خلف قناة السويس هو اقتراح غير مقبول ، وغير قابل للنقل للقاهرة . واعتقد أن الاقتراح المعقول هو إيقاف النار والعودة إلى الحالة التى كانت قائمة قبل حرب ١٩٦٧ .
جـ – وفيما يخص إثارة الموضوع فى الأمم المتحدة ، سواء فى مجلس الأمن أو الجمعية العامة ، بينت أنه ليست لدى تعليمات من القاهرة – ولذلك فإذا كانت لديه أفكار يمكن إبلاغكم بها غير الفكرة الغير قابلة للنقل الخاصة بإيقاف النار والانسحاب المصرى من جميع الأراضى – وذكرت أن هذا مجرد سؤال خطر لى وليس سؤالا من القاهرة .
د – قال كيسنجر إنه يفهم ما ذكرته – ويعتقد أن لأعمال اليوم دلالتها – لاتينى (ينقل عبارة قالها كيسنجر وأراد نقلها كما هى بالانجليزية) « يو ميد ايه سترونج بوينت »(**) You made a strong point – أى أنكم سجلتم نقطة قوية ، قاصدا بذلك النجاح الساحق لعملية العبور » .

وقرر الرئيس « السادات » أن يتصرف بمفرده فى أمر « معجزته » ، وفى نسبتها إليه ، وفى

(*) يقصد الدكتور « الزيات » خطابا بعث به للجمعية العامة يقول إن إسرائيل هى التى بدأت العمليات بهجوم شنته قواتها على مواقع مصرية فى خليج السويس ، وذلك طبقا للبيان الذى صدر من القاهرة عن بدء العمليات .
(**) كتب الدكتور « الزيات » فى برقيته حروف الكلمة الانجليزية باللغة العربية حرفا حرفا منبها أن حروفها من الشمال لليمين « واى – أو – يو » .. وهكذا .

فرص الاحتفاظ بها مع السيطرة على قواها المتفجرة وإشعاعاتها المتوهجة وربما الخطرة أيضا . وعلى الأرجح فقد تداعت فى أفكاره بسرعة قناعات له سابقة على انفجار الأمس الهائل :

١ - أن مفتاح الموقف ما زال فى يد الولايات المتحدة الأمريكية : حلا بالاقتراب منه ولو قليلا ، وحربا بدعم إسرائيل - وفى الغالب - كثيرا !

٢ - وأن « هنرى كيسنجر » شخصيا هو الرجل الذى يمسك فى يده بالمفتاح .

وهكذا فإنه فى الوقت الذى فرغ فيه الرئيس « السادات » من قراءة آخر برقية شفرية أرسلها الدكتور « الزيات » - فإن أول ما خطر بباله كان : « هنرى كيسنجر » !

٣

صباح يوم الأحد ٧ أكتوبر - ولم يكن قد مضى على بدء المعارك أكثر من عشرين ساعة - بعث الرئيس « أنور السادات » برسالة إلى الدكتور « هنرى كيسنجر » ، وقد وقعها السيد « حافظ اسماعيل » مستشار الرئيس « السادات » للأمن القومى . وكان نصها كما يلى :(٢)

« من السيد حافظ اسماعيل(٣)

إلى الدكتور هنرى كيسنجر

أ - لقد نقل إلينا الدكتور الزيات ما تم بينكما من محادثات ومناقشات خلال الأيام الماضية .

ب - وإننى أود اتساقا مع روح المصارحة التى سادت اجتماعاتنا - أن أبدى ملاحظات قليلة بصدد النقاط التى أثيرت خلال مناقشاتنا :

١ - إن الاشتباكات التى تحدث حاليا فى المنطقة لا يصح أن تثير أية دهشة لدى جميع أولئك الذين تتبعوا الإستفزازات الاسرائيلية المستمرة ، ليس على الخطوط السورية واللبنانية فحسب ، بل أيضا على الجبهة المصرية ، وكثيرا ما لفتنا النظر إلى مثل هذه الاستفزازات التى لم تتوقف قط رغم الإدانة الدولية .

٢ - وعلى ذلك فقد كان على مصر أن تتخذ قرارا لمواجهة أية استفزازات إسرائيلية جديدة بالحزم ، وبالتالى أن تتخذ الاحتياطات الضرورية لكى تواجه أى تصرف إسرائيلى من قبيل ذلك الذى وقع فوق سوريا يوم ١٣ سبتمبر ١٩٧٣ .

٣ - والمصادمات التى حدثت على جبهة القناة كنتيجة للاستفزازات الإسرائيلية ، كان المقصود

---

(٢) حرصا على دقة الترجمة فقد حرصت على أن يقوم بترجمة هذه المجموعة من الوثائق أحد المسئولين الكبار فى قسم الترجمة برئاسة الجمهورية فى ذلك الوقت ، وذلك حتى تكون لغة الوثيقة أقرب ما تكون حتى فى ألفاظها إلى الأسلوب الرسمى المعتمد أيامها .

(٣) نشرت نص هذه الوثيقة بالكامل لأول مرة فى حديث صحفى أجراه معى الأستاذ « صلاح عيسى » ونشرته جريدة الأهالى بتاريخ ١٨ مايو ١٩٨٣ . وأحدث نشر هذه الوثيقة أيامها ضجة كبيرة ، ولم يتصور أحد أن هذه الوثيقة واحدة من مجموعة . وتوجد صورة لهذه الوثيقة فى ملحق صور الوثائق تحت رقم (٥٤) على صفحة ٧٩٢ من الكتاب .

منها من جانبنا أن نظهر لإسرائيل أننا لسنا خائفين ، ولسنا عاجزين ، وأننا نرفض أن نستسلم لشروط مخطط عدوانى يهدف إلى احتجاز أرضنا كرهينة للمساومة .

٤ – وكنتيجة للاشتباكات فإن موقفا جديدا قد نشأ فى المنطقة . ولأنه كان طبيعيا توقع تطورات جديدة فى خلال الأيام القلائل القادمة – فإننا نود تحديد إطار موقفنا .

٥ – إن هدفنا الأساسى لا يزال كما كان دائما ، تحقيق سلام فى الشرق الأوسط ، وليس تحقيق تسويات جزئية .

٦ – إننا لا نعتزم تعميق مدى الاشتباكات أو توسيع مدى المواجهة .

جـ – وإذ أحسب أنكم تلقيتم من المستر روكفللر رد رئيسنا على رسالتكم ، ذلك الرد الذى أعيد فيه توكيد موقفنا كما توضح منذ أول اتصال لنا – أرجو أن تسمحوا لى أن أوضحه بجلاء مرة أخرى :

١ – إن على إسرائيل أن تنسحب من جميع الأراضى المحتلة .

٢ – وعندئذ سنكون على استعداد للمساهمة فى مؤتمر سلام بالأمم المتحدة على أى شكل مقبول سواء كان تحت إشراف السكرتير العام ، أو ممثلى الأعضاء الدائمين فى مجلس الأمن ، أو أى هيئة أخرى مناسبة .

٣ – إننا نوافق على حرية الملاحة فى مضايق تيران ، ونقبل – كضمان – تواجدا دوليا ، لفترة محدودة .

د – وإنى لأستشعر الثقة من أنكم تقدرون أن هذه العودة لشرح موقفنا مبعثها رغبة حقيقية مخلصة ، وليست منبعثة عن استعداد لبدء سلسلة من التنازلات . والحق أننا نذكر أن مستر روجرز قد أضر بفرص السلام ، حين أخطأ تفسير مبادرتنا للسلام فى فبراير ١٩٧١ بطريقة انحرفت بتلك المبادرة عن طبيعتها وهدفها الحقيقيين .

وتفضلوا بقبول أطيب التمنيات .

حافظ اسماعيل »

كانت هذه الرسالة – شكلا وموضوعا – علامة خطيرة تجعلها بداية تحول لا شك فيه فى إدارة الصراع كله .

● ● ● **من ناحية الشكل** فإن هذه الرسالة جرى توصيلها إلى « هنرى كيسنجر » عن طريق القناة الثانية – أى القناة السرية التى تمر عن طريق وكالة المخابرات المركزية الأمريكية – وربما كانت هناك حاجة إلى هذه القناة عندما كانت هناك الرغبة فى تجنب وزارة الخارجية والاتصال من وراء ظهرها بالدكتور « هنرى كيسنجر » فى البيت الأبيض . ولكن « هنرى كيسنجر » أصبح الآن وزيرا للخارجية خلفا لـ « ويليام روجرز » ، وبالتالى فإن الاتصال به عن طريق القناة السرية لم يعد يخدم الهدف المقصود من الأصل . وقد كان واضحا أن « هنرى كيسنجر » يدرك طبيعة هذا الاختلاف فى الصورة . فهو لم يبعث برسالته عن طريق القناة الثانية ، وإنما بعث بها عن طريق وزير الخارجية . ولم يجعلها فى صيغة رسالة ، وإنما كانت فى صورة اتصال وحديث رسمى مع الرجل الذى اعتبره ممثلا للسياسة المصرية .

ومعنى ذلك بالتالى أن السرية كانت – بالدرجة الأولى – موجهة إلى وزارة الخارجية المصرية وإلى الوفد المصرى فى نيويورك برئاسة الدكتور « الزيات » – الذى لم تكن لديه بالطبع وسيلة لمتابعة الاتصالات الجارية فى القناة الخلفية .

ولم يكن الأمر مقصورا على بقاء وزير الخارجية نفسه فى الظلام أو فى دائرة العلم المحدد بمقدار ما يبلغ إليه – وإنما امتدت عملية التعتيم إلى كل الوفد . وفى حين أن « كيسنجر » مع الإسرائيليين كان يتعامل مباشرة مع الوفد الإسرائيلى فى نيويورك ، ومع السفارة الإسرائيلية فى واشنطن ومع كل أعضائها وخبرائها – فإن الوفد المصرى بكل ما فيه من طاقات كان معطلا فى هذا الوقت الخطير .

يتصل بهذا الجانب من ناحية الشكل أمر على درجة شديدة من الخطورة . ذلك أن العودة إلى هذه القناة السرية فى هذا الوقت ، والتذكرة بالاتصالات السابقة وما دار فيها – كان من شأنه على الفور أن يستعيد بطريقة كاملة أجواء هذه المحادثات والموضوعات والتفاصيل التى تم بحثها من خلالها . ولما كان ذلك كله قد جرى قبل الحرب وقبل الصورة المعجزة للعبور فى اليوم السابق ، فإن الجانب المصرى ، سواء وعى ذلك أو غاب عنه ، عاد إلى استئناف الحديث مع « كيسنجر » من حيث تركه آخر مرة فى فبراير ١٩٧٣ ، مع أن الصورة العامة بعد القتال اختلفت تماما عما قبله . وكان أبسط ما تقتضيه وتفرضه الحقائق المستجدة على الجانب المصرى هو أن يعطى نفسه بداية جديدة تتناسب مع حجم التغيير الكبير الذى تحقق منذ ساعات بما يشبه قوة انفجار نووى .

● ● ● **أما من ناحية الموضوع** ، فإن بعض العبارات كانت – ولاتزال – مثيرة للدهشة والاستغراب :

١ – إن العبارة التى وردت فى الرسالة والتى جاء فيها بالنص فى البند رقم « ٦ » من الرسالة : « **إننا لا نعتزم تعميق مدى الاشتباكات أو توسيع مدى المواجهة** » – كانت أول مرة – ربما فى التاريخ كله – يقول فيها طرف محارب لعدوه نواياه كاملة ، ويعطيه من التأكيدات ما يمنحه حرية فى الحركة السياسية والعسكرية على النحو الذى يراه ملائما له وعلى كل الجبهات . وذلك أن هذا التعهد بـ « عدم تعميق مدى الاشتباكات أو توسيع مدى المواجهة » معناه بالنسبة لإسرائيل – وقد كانت الرسالة فى خاتمة المطاف واصلة إليها – أنها تستطيع أن تعيد ترتيب موقفها بأعصاب هادئة ، وتستطيع تنظيم أولوياتها . وقد كان ذلك ما حدث فعلا ، واختارت إسرائيل – الواثقة من نوايا الجانب المصرى – أن تركز كما تشاء على الجبهة السورية ، ثم تعود بعد ذلك إلى الجبهة المصرية لتصفية بقية الحساب .

٢ – إنه كان غريبا أن يتحدث الجانب الذى حقق بالأمس انتصارا بهر العالم كله – بكلمات من نوع « الضعف » و« الخوف » و« العجز » و« الأرض الرهينة » وحتى إن كان ذلك فى مجال النفى . فالنفى فى مثل هذه المواقف يكاد يكون أقرب إلى التأكيد فى المعنى من أى شىء يقول به اللفظ .

٣ – إن البند الثانى حوى إشارة لم يكن لها لزوم حين تحدث عن مؤتمر سلام للأمم المتحدة « على أى شكل مقبول – سواء كان تحت إشراف السكرتير العام أو ممثلى الأعضاء

الدائمين فى مجلس الأمن » - ثم أضاف إلى ذلك عبارة « **أو هيئة أخرى مناسبة** » . فقد كانت هذه العبارة تحمل - ولو ضمنيا - معنى القبول بإشراف أمريكى على المحادثات .

٤ - ومرة أخرى فإن العودة إلى التذكير بالاجتماعات السابقة وبالرد على الرسالة التى حملها « روكفللر » إلى الرئيس « السادات » - كانت تعنى العودة إلى مجمل الشروط التى كانت مطروحة قبل الحرب - وكأن الحرب لم تؤثر على الموقف السياسى فى شىء .

٥ - وأخيرا كانت هناك تلك الإشارة التى لم يكن هناك داع لها ، والتى صبت اللوم فى فشل المحاولات السابقة للوصول إلى حل سلمى - على عاتق وزير الخارجية الأمريكى السابق « ويليام روجرز » . وحتى إذا قام لدى أحد تصور بإمكان إرضاء « كيسنجر » على حساب « روجرز » ، فإنه كان من الممكن الترفع عن مثل ذلك فى وقت جد وأحداث جسام .

ومن سوء الحظ أن « هنرى كيسنجر » فهم الرسالة بما تعنيه فعلا بصرف النظر عن صياغات الألفاظ .

□

وكانت الحوادث تجرى . والأيام تتلاحق . والرسائل السيئة الحظ تتواصل يوما بيوم .

الفصل الرابع

يوم ٧ أكتوبر



٧ أكتوبر فى القاهرة (صباحا) :

كان الرئيس « أنور السادات » بعد أن بعث برسالته إلى « كيسنجر » – فى حالة انتظار – يتوقع منه ردا ، ويتابع مجرى القتال على الجبهة . وقد كان تقرير مكتبه العسكرى فى ذلك اليوم ، وهو تقرير الموقف رقم « ٢ » ، يحوى المعلومات التالية(*)

العدو :

- **ما زال العدو يتمسك ببعض مواقعه مع سقوط موقع كيلومتر « ١٠ » .**
- **مازال العدو يدفع باحتياطياته من العمق .**
- **هاجم العدو بعض مطاراتنا والتشكيلات البرية وأسقط له بعض الطائرات .**
- **تم اشتباك بحرى شرق بورسعيد**
- **أصدر العدو تعليمات إلى طائراته بعدم الاقتراب من قناة السويس حتى عمق ١٥ كم شرقا .**
- **ركز العدو نشاطه الجوى على الجبهة السورية .**

خسائر العدو :

- **أسقط للعدو ٣٢ طائرة مقاتلة + ١ طائرة هليوكوبتر .**

(*) مجموعة تقارير مكتب الشئون العسكرية لرئيس الجمهورية محفوظة كلها فى ملف واحد مودع فى أرشيف رئاسة الجمهورية .

قواتنا :

- تم صد معظم الهجمات المضادة .
- قواتنا تتدفق إلى شرق القناة طبقا للخطة .
- قامت قواتنا البحرية بقصف مواقع العدو فى خليج السويس .
- قامت قواتنا الجوية بقصف قوات العدو المتقدمة تجاه القنطرة .

الجبهة السورية :

- وصلت وحدات مدرعة للقوات السورية على مشارف نهر الأردن ،وقامت بصد هجوم مضاد لدبابات العدو على خط الخشنية - عين زيفان .
- دفعت الوحدات المدرعة لاستغلال نجاح النسق الأول .
- طيران العدو مكثف على الجبهة السورية(*) .

التعليق :

- يعمل العدو حاليا على استعادة السيطرة على قواته وإعادة تجميعها ، ومحاولة توجيه الضربات المضادة ضد رؤوس الكبارى مستخدما الاحتياطيات التكتيكية .
- يركز العدو بالتمسك بموقع بورفؤاد للارتكاز عليها فى أى أعمال تعرضية يمكن توجيهها ضد منطقة بورسعيد .
- من المنتظر قيام العدو بتوجيه ضربة جوية مركزة ضد المطارات والقواعد الجوية ووسائل الدفاع الجوى على الجبهة المصرية .
- من المنتظر أن ينشط العدو عملياته الخاصة ضد الأهداف الحيوية فى العمق ، وضد الأهداف العسكرية المنعزلة وخاصة فى منطقة البحر الأحمر » .

كانت أصداء المعارك تصل إلى كل مكان فى العالم العربى ، وتحدث ردود فعل أشبه ما تكون بسلسلة ردود فعل انفجار نووى بما يتبعه من إشعاعات وتساقطات . وربما عبرت عن ذلك برقية من بغداد حملها المهندس « عبد الفتاح عبد الله » وزير شئون رئاسة الجمهورية - إلى الرئيس « السادات » فى تلك اللحظة ، وكان نصها كما يلى بالحرف :

« برقية من المخابرات الحربية رقم ١٥،/ ٢ / ش / ٧٢٠٧
أبلغنا مكتبنا فى بغداد بما يلى :
استدعى القائم بالأعمال إلى الخارجية العراقية ومعه السورى . حضر رئيس الأركان وقائد القوات الجوية المؤتمر . أبلغنا بالآتى :

(*) فى ليلة وصباح ٧ أكتوبر كانت هناك ١٠٢١ طلعة جوية على مواقع القوات المصرية ، فى حين أن عدد الطلعات على الجبهة السورية وصل إلى ٣٨٢٠ طلعة .

من رئيس الجمهورية ... العراقيون جنودا بالجبهة .. النتيجة مشرفة .. حاول الرئيس العراقى الاتصال بالسادات ولم يتمكن .. وضع تحت طلب سوريا ٢ سرب سوخوى وسرب ميج / ٢١ .. مطلوب عاجلا ترتيبات تمركزها فى سوريا واستخدامها .. مطارات العراق الأمامية فى خدمة الأردن وسوريا .. كعمق .. مطلوب اتصال سوريا بالأردن لخدمة ولتنسيق تحركات الطائرات لخدمة المعركة .. بالنسبة لجمهورية مصر العربية مطلوب إرسال ذخيرة لسرب الهوكر وقطع غيار .. مطلوب ام ١٢ لحمل المطلوب وستعود معها الطائرات العراقية بالذخيرة وقطع الغيار وأية مهمات أخرى مطلوبة .. بلغ دمشق ما يخصها من برقيتنا هذه لعطل اللاسلكى بين بغداد ودمشق .. والإفادة .... »



٧ أكتوبر فى تل أبيب :

كان الهجوم المصرى – السورى منسقا بدرجة عالية الكفاءة . وقد نجحت القوات العربية فى تحقيق مفاجأة استراتيجية وتكتيكية حققت نتائج لم تكن فى تقديرات إسرائيل .

وفى ليلة ٧ أكتوبر – العاشرة مساء (يوم ٦ أكتوبر) – انعقد مجلس الوزراء الإسرائيلى بهيئته الكاملة لأول مرة بعد نشوب المعارك ، واستمر الاجتماع ساعتين(١) . وكان أول المتحدثين هو رئيس أركان الحرب الجنرال « اليعازر » ، وقد قدم تقريرا عن سير المعارك استغرق ثلاثة أرباع الساعة . وكان ملخص تقريره على النحو التالى :

أ – هناك نجاح مصرى – سورى أولى لا شك فيه .
ب – الخسائر الإسرائيلية عالية خلال الساعات الأولى من القتال .
جـ – رغم ذلك فهو متفائل لأن الاحتياطيات والتعزيزات سوف تصل إلى الجبهة الجنوبية والشمالية خلال فترة قدرها بما بين ٢٤ – ٤٨ ساعة .
وهذا سوف يغير الموازين ويعيد المبادأة إلى يد الجيش الإسرائيلى .

وكان المتحدث التالى بعده هو الجنرال « موشى ديان » وزير الدفاع . وقد أعاد هو بنفسه رواية تقريره أمام مجلس الوزراء بقوله بالحرف :

« إننى أشعر بهمّ ثقيل على قلبى ، ولا أستطيع أن أشارك رئيس الأركان فى تفاؤله لأن المصريين حققوا مكاسب قوية ، فى حين أننا نحن عانينا من ضربة ثقيلة . لقد عبروا قناة السويس ، وأنشأوا كبارى للعبور ، وحركوا عليها المدرعات والمشاة والأسلحة المضادة للدبابات . ونحن لم نفشل فقط فى منعهم من ذلك ، ولكننا لم نستطع أن نلحق بالمصريين إلا خسائر قليلة نسبيا . إن ميدان القتال

(١) مقابلات الدكتور « مايكل بريشر » مع كل صناع القرار الإسرائيلى ، وفى مقدمتهم « مائير » و « ديان » و « اليعازر » . وكذلك محاضر تحقيقات لجنة « أجرانات » .

الحرج بالنسبة لنا هو جبهة قناة السويس . ونحن فى حاجة إلى كثير من الحظ لكى نستطيع أن ننهى معارك يوم الغد لصالحنا . وبعد ذلك ، وفى اليوم الثالث أو الرابع من الحرب (أى يومى ٨ و ٩ أكتوبر) فقد نكون فى موقف يسمح لنا بتوجيه قوة الدروع اللازمة للجنوب . وقد نكون قادرين على شن حرب دبابات . إنها لن تكون مسألة بسيطة ، ولكن امكانيات النجاح جيدة . ولهذا فإنه يبدو لى تأسيسا على ذلك أن علينا أن ننسحب إلى خط ثان ، وأن نقاتل المصريين فى حزام يبتعد ٢٠ كم عن القناة ، وهناك نحشد قوتنا للمعركة القادمة . أما على الجبهة الشمالية فإننى أتوقع أن ننجح فى إيقاف السوريين عند خط الحدود[٢] . »

وفى الساعة السابعة صباحا من يوم ٧ أكتوبر عاد مجلس الوزراء الإسرائيلى إلى الاجتماع مرة ثانية ليستمع إلى تقرير عن الموقف العسكرى قدمه الجنرال « دافيد اليعازر » . وكان ملخص تقريره كمايلى :

١ – إن هناك قتالا عنيفا على كل الجبهات ، وأن المدرعات والمشاة المصرية والسورية تواصل تقدمها طوال الليل وحتى الفجر .

٢ – إن قوات الاحتياطى والتعزيزات الإسرائيلية تصل إلى الجبهات :

- **على الجبهة المصرية كانت هذه القوات الواصلة إلى الجبهة تشتبك مع القوات المصرية فور وصولها ، وقد تكبدت خسائر كبيرة .**
- **على الجبهة السورية تشير آخر التقارير إلى أن الاندفاعة السورية الأولى عبر الجولان أمكن تعطيلها عند الفجر (وقبل اجتماع مجلس الوزراء بساعتين) .**

٣ – إن حشود القوات المصرية على الجبهة قد أصبحت كثيفة وتم عبورها بسرعة لم تكن متوقعة . فإن الجيش الثانى تمكن من العبور أثناء الليل على كل القطاع الشمالى . كما أن الجيش الثالث يستكمل الآن عبوره فى القطاع الجنوبى – لكن الجيشين معا ليسا حتى الآن فى مواقع محصنة . وبالتالى فمن الممكن ردهما إلى الشاطىء الآخر من القناة فى وقت قصير .

ولم يحضر الجنرال « ديان » هذا الاجتماع لمجلس الوزراء لأنه قرر الذهاب فى الفجر إلى مواقع المعارك على جبهتى القتال . كما استأذن الجنرال « اليعازر » وغادر اجتماع مجلس الوزراء قائلا إنه هو الآخر ذاهب إلى ميادين القتال .

وفى الساعة الرابعة بعد الظهر (يوم ٧ أكتوبر) عاد الجنرال « ديان » من زيارته للجبهة . وبعده بساعة واحدة – الساعة الخامسة – عاد الجنرال « اليعازر » . ودعى الاثنان إلى مكتب رئيسة الوزراء ، وكان معها نائب رئيس الوزراء « ييجال آللون » ، ووزير الدولة « يزرائيل جاليلى » .

وأثناء الاجتماع اختلفت الآراء (للمرة الرابعة أو الخامسة منذ بدء الأزمة) بين وزير الدفاع ورئيس الأركان :

- كان رأى الجنرال « اليعازر » : أن الموقف تحت السيطرة رغم الخسائر الكبيرة ، ورغم صدمة المفاجأة وقوة الهجوم .

---

(٢) كتاب « موشى ديان » بعنوان « حياتى » – صفحة ٣٩٠ – ٣٩١ .



دیان فی أحد المواقع الاسرائيلية فی الجبهة الشمالية يلاحظ سير المعركة بين القوات السورية والاسرائيلية .

● وكان رأى الجنرال « ديان » : أن الموقف أسوأ بكثير مما عرضه رئيس الأركان . وتقديره أنه لابد من اخلاء بقية النقط الإسرائيلية الحصينة على قناة السويس ، والتراجع إلى خط دفاعی جديد على بعد ٢٠ كم من قناة السويس على أن يتم التمسك بهذا الخط بأى ثمن .

وقد لاحظ الوزير « جاليلى » أن « ديان » كان منهارا ، كما أن « جولدا مائير » كانت فى حالة ذهول مما تسمعه[٣] .

وقد استقر الرأى فى الاجتماع على أن يتوجه رئيس الأركان فورا إلى الجبهة الجنوبية لتقييم الموقف وبحث امكانيات قيام إسرائيل بهجوم مضاد . وتقرر فى الاجتماع أيضا أن يتخلى « بارليف » عن واجباته كوزير للصناعة والتجارة . وأن يعود إلى الخدمة العسكرية مؤقتا برتبته السابقة عندما كان رئيسا لهيئة أركان الحرب ، ويتوجه فورا إلى الجبهة الشمالية لإجراء تقدير جديد للموقف وبحث إمكانية هجوم إسرائيلى مضاد .

ولاحظ الجنرال « ديان » أن رئيسة الوزراء تتجاهله كوزير للدفاع . فعرض استقالته تحملا للمسئولية . ورفضتها « جولدا مائير » على الفور لأنها رأت أن تحمل المسئولية يقتضى بقاءه أكثر مما يستوجب استقالته .

---

(٣) أقوال الاثنين كما سجلها الدكتور « مايكل بريشر » بعد لقائه بهما . وكذلك محاضر تحقيقات لجنة « أجرانات » .

ثم قررت أن تدعو مجلس الوزراء كاملا فى الساعة الثامنة مساء (يوم ٧ أكتوبر) . وانعقد اجتماع مجلس الوزراء فى الموعد المقرر فعلا . وعرض الجنرال « اليعازر » أمامه تقريرا بعنوان « تقرير عن الـ ٢٤ ساعة الأولى من القتال » . وفوجىء المجلس بما ذكره الجنرال « اليعازر » عن أرقام الخسائر الإسرائيلية . فقد ذكر للمجلس أن إسرائيل فقدت فى تلك الساعات : ٤٠ طائرة أسقطت و ٢٠٠ دبابة دمرت .

وانتهى المجلس إلى قرار يطلب إلى الولايات المتحدة إمدادا عاجلا من السلاح ، خصوصا من الطائرات والدبابات . وكانت « جولدا مائير » بعد الاجتماع شديدة العصبية وهى تعطى الأوامر بطلب النجدة الأمريكية سريعا وبدون إبطاء . ولهذا فقد قررت أن تستعمل لتوجيه طلبها كل القنوات المتاحة أمامها . وبالفعل فقد وجهت ثلاثة طلبات متوازية بطلب الأسلحة :

- طلب من وزارة الدفاع الإسرائيلية موجه إلى السفارة الأمريكية فى إسرائيل .
- طلب من « دينتز » السفير الإسرائيلى فى واشنطن موجه إلى « هنرى كيسنجر » مباشرة .
- وطلب من الملحق العسكرى الإسرائيلى فى واشنطن الجنرال « موردخاى جور » موجه إلى البنتاجون .

وروى الأدميرال « رومفالت » رئيس عمليات البحرية الأمريكية فى ذلك الوقت – فى مذكراته : « أنه فى كل ساعة من هذا اليوم كان أحد المسئولين الإسرائيليين يقدم قائمة جديدة بطلبات سلاح أمريكى عاجل إلى إسرائيل ، وكانت الطلبات تزيد فى كل مرة » !



٧ أكتوبر فى واشنطن :

كان « كيسنجر » يتحرك بكل قوة . وقد كان همه الأول ليلة ٧ أكتوبر (صباح ٧ أكتوبر أيضا بتوقيت القاهرة) أن يمسك بزمام التحركات فى الأمم المتحدة بحيث يمنع بحث الأزمة أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة . لأنه كان يخشى من أغلبية دول العالم الثالث الموجودة فيها ، ويعتبرها موالية للعرب . وقد نجح أيضا فى تعطيل اجتماع طارىء لمجلس الأمن . فلم يكن يريد لأى تحرك دولى أن يقيد حريته فى التصرف إزاء مجريات الأزمة . وكان اعتقاده الراسخ أن إسرائيل سوف ترد الهجوم المصرى وسوف تحوله بسرعة إلى هزيمة ساحقة . وقد عبر عن ذلك

بنفسه فى مذكراته[٤] بقوله : « إنه يوم أو يومين وتقوم إسرائيل بهجومها المضاد وتقلب كل الموازين ، ويصبح العرب على حافة كارثة » .

وكانت تعليمات « كيسنجر » لمساعديه فى تلك الفترة هى إعداد مشروع قرار « يقضى بعودة جميع القوات إلى مواقعها السابقة قبل بدء العمليات » .

وعندما تلقى « هنرى كيسنجر » رسالة الرئيس « السادات » بتوقيع « حافظ اسماعيل » ، فقد زاد اقتناعه بموقفه . وتعزز هذا الاقتناع بالتقارير الواردة إليه من الكولونيل « بيلى فورسمان » الملحق العسكرى الأمريكى فى تل أبيب . وكان « فورسمان » يقول فى تقريره الأولى عن الموقف « إن إسرائيل تلتزم الدفاع على كل الجبهات حتى تعطى نفسها فرصة لاستكمال دعوة الاحتياطى ، ومن ثم تقوم بالهجوم المضاد المنتظر » .

لكن تقريرا لاحقا من « فورسمان » أعطى صورة مقلقة عن حجم النجاح المصرى والسورى . فقد ذكر أن خسائر إسرائيل فى اليوم الأول قتال هى ٣٥ طائرة .

وفى الساعة ٩,٤٠ من صباح يوم ٧ أكتوبر (بتوقيت واشنطن) اتصل « شاليف » القائم بأعمال السفارة الإسرائيلية - بمكتب وزير الخارجية الأمريكى ينقل إليه رسالة « جولدا مائير » ، وكانت تحوى نقطتين :

● نحن نواجه الأمور بكل شجاعة وحزم حتى تتم دعوة الاحتياطى من القوات والسلاح ، ومن ثم يبدأ هجومنا المضاد .

● نطلب على وجه الاستعجال تعويضا عن الخسائر التى تكبدناها خلال الـ ٢٤ ساعة الماضية ، خصوصا فى الطيران .

وقام « كيسنجر » على الفور بدعوة مجموعة العمل الخاصة فى مجلس الأمن القومى لبحث الموقف الخطير المتفجر فى الشرق الأوسط . وقد دخل قاعة الاجتماع ومعه طلب « جولدا مائير » ، وبدأ بعرضه ملحقا به توصيته بضرورة الاستجابة وتعويض إسرائيل بسرعة عن خسائرها من الطائرات . ودارت مناقشة توزعت فيها الآراء واختلفت :

- أبدى « جيمس نويز » مساعد وزير الدفاع رأيا مؤداه أن الإسرائيليين لا يحتاجون فى حقيقة الأمر إلى أية أسلحة ، على الأقل فى هذه اللحظة ، لأن ما لديهم يكفيهم .

- أبدى « جيمس شليزنجر » وزير الدفاع رأيا مؤيدا لموقف مساعده ، وقال إنه يوافق على رأى « جيمس نويز » ولا يرى أن إسرائيل فى حاجة إلى أى معدات بسرعة . وأنه من الأفضل ألا تتورط الولايات المتحدة فى هذا الوقت فى إرسال أسلحة لإسرائيل حتى تتمكن من الظهور أمام الأطراف كلها بمظهر « الوسيط الأمين » (honest broker) .

---

(٤) مذكرات « هنرى كيسنجر » . الجزء الثانى . بعنوان « سنوات القلاقل » . الصفحات من ٤٧١ إلى ٤٧٥ .

– أبدى « كينيث راش » نائب وزير الخارجية رأيا مماثلا مؤكدا أن إسرائيل ليس لديها نقص حقيقى فى المعدات . وكل ما تحتاجه هو فتح باب مخازنها .

واعترض « كيسنجر » بشدة على هذه الآراء قائلا « إنه يرى ضرورة تزويد إسرائيل بما طلبته لأسباب سياسية أكثر منها عسكرية ، لأنه إذا كسب العرب – بمساعدة الاتحاد السوفيتى وبسلاحه – فإن الاتحاد السوفيتى سوف يبرز فى المنطقة باعتباره القوة القادرة » .

ومن المفارقات أن « هنرى كيسنجر » ينقل عن محضر اجتماع مجموعة العمل الخاصة فى مذكراته حوارا شارك فيه على هامش هذا الاجتماع ، وجرى على النحو التالى :

« هنرى كيسنجر : كيف يمكن تفسير عجرفة العرب الآن ؟ ولماذا لم يطلبوا وقف إطلاق النار ؟

جيمس شليزنجر : يظهر أن حماسة الموقف أخذتهم .

ويليام كولبى (مدير المخابرات المركزية) : إن السوريين يظنون أن أحوالهم جيدة ، وهم لاينظرون إلى المدى الطويل . وبالنسبة لمصر فأظن أنهم حددوا هدفهم بعبور قناة السويس(*) .

هنرى كيسنجر : إننى أتساءل لماذا لايفكرون فى المحافظة على ماكسبوه ؟ إن كل سفير غربى قابل السادات اليوم سمع منه أن القوات المصرية لن تتوقف حتى تصل إلى حدود إسرائيل ؟

جيمس شليزنجر : أنت تتحدث بالمنطق ، ولاتستطيع أن تطلب منهم أن يفكروا بمقتضى هذا المنطق .

كينيث راش (نائب وزير الخارجية) : إنه يصعب علىّ أن أتصور أن السادات سوف يعبر قناة السويس ثم يكتفى بالبقاء هناك .

هنرى كيسنجر : رأيى أنه وقد عبر قناة السويس ، لن يفعل أكثر من الاكتفاء بالجلوس هناك . وأنا لا أعتقد أنه سوف يقوم بتعميق مدى عملياته فى سيناء(**) . »

□

□ **وفى الساعة العاشرة والنصف صباحا** (بتوقيت واشنطن) غادر « هنرى كيسنجر » اجتماع مجموعة العمل الخاصة فى مجلس الأمن القومى ، لكى يقابل « شاليف » القائم بالأعمال الإسرائيلى الذى وصل بدون موعد سابق ليؤكد رسالة « جولدا مائير » التى سبق له نقلها بالتليفون .

وبعد اجتماعه مع « شاليف » اتصل « هنرى كيسنجر » بالجنرال « الكسندر هيج » رئيس أركان البيت الأبيض طالبا نقل رسالة منه إلى الرئيس « نيكسون » مؤداها (طبقا لمذكرات « كيسنجر ») أنه إذا انتصر العرب فسوف يكون من المستحيل إجراء أية مفاوضات للوصول إلى حل للأزمة . وأن توصيته كوزير للخارجية هى أن الولايات المتحدة يتعين عليها أن تقدم لإسرائيل

(*) كان « كولبى » قد اطلع بالتأكيد على رسالة الرئيس « السادات » بتوقيع « حافظ إسماعيل » إلى « كيسنجر » لأنها مرت عن طريق القناة السرية .

(**) كان ذلك بالحرف نص ما ورد فى رسالة الرئيس « السادات » المرسلة إلى « كيسنجر » بتوقيع « حافظ إسماعيل » .

ما تحتاج إليه لتعويض خسائرها ، وحتى تتمكن من تثبيت وتصحيح الموقف العسكرى بسرعة خلال يومين أو ثلاثة على أقصى تقدير .

وقد عاد الجنرال « هيج » فاتصل بـ « هنرى كيسنجر » بعد ربع ساعة وأبلغه أن الرئيس « نيكسون » وافق على توصيته ، وأنه سيتم تبليغ هذه الموافقة إلى وزير الدفاع « جيمس شليزنجر » .

□ **وفى الساعة الثانية عشرة ظهرا** كان « كيسنجر » يشعر أن وزارة الدفاع تتلكأ فى تنفيذ أمر الرئيس الذى أبلغ إليها عن طريق « آل (تصغير اسم ألكسندر للتدليل) هيج » . واتصل بنفسه بـ « كى بسكاين » بولاية فلوريدا – حيث كان الرئيس « نيكسون » – طالبا أن يتحدث إليه . وقد قال له « كيسنجر » إنه تلقى الآن تقريرا وصل إلى وزارة الخارجية نقلا عن سفير أوروبى غربى فى مصر ، مؤداه أنه « سمع من السادات أنه لا يريد أى اجتماعات لمجلس الأمن (يصدر عنها قرار بوقف إطلاق النار) لأنه مصمم على مواصلة الهجوم حتى يتحقق تحرير سيناء بالكامل » .

ولم يكن ذلك صحيحا :

● لأن الرئيس « السادات » لم يستقبل فى الساعات السابقة أى سفير غربى .

● ثم إن « كيسنجر » كان قد قرأ بالفعل رسالة الرئيس « السادات » التى تلقاها بتوقيع « حافظ اسماعيل » ، وفيها التعهد بصراحة بأن « مصر لا تعتزم تعميق مدى الاشتباكات أو توسيع مدى المواجهة » .

● وأيضا فإنه كان مقتنعا بذلك إلى درجة أنه أفتى به أثناء المناقشة التى اشتركت فيها مجموعة العمل قبل نصف ساعة فقط !

وقد أضاف « كيسنجر » بعد ذلك إلى الحاحه على الرئيس « نيكسون » نبرة تحريض قائلا للرئيس إنه « يتحتم على وزارة الدفاع أن تستجيب لطلبات إسرائيل ، وأن تنصاع لتوجيهات الرئيس بسرعة شحن الطلبات الإسرائيلية ، وألا ترسم سياسة خاصة بها » .

□ **وفى الساعة الواحدة والنصف ظهرا** ، وبعد حديثه مع الرئيس « نيكسون » ، اتصل « كيسنجر » بوزير الدفاع « شليزنجر » ونقل إليه على لسان « نيكسون » أمره بالإسراع بشحن الطائرات والذخائر وبعض المعدات التكنولوجية الحساسة بما فيها صواريخ ''sidewinder'' .

□ **وفى الساعة الثانية** قام « هنرى كيسنجر » باستدعاء « شاليف » القائم بالأعمال الإسرائيلى إلى مقابلته ، وطلب منه ترتيب مجىء عدد من طائرات شركة « العال » الإسرائيلية لتنقل المعدات المطلوبة بسرعة لأن وزارة الدفاع قد تتعلل بنقص إمكانيات النقل .

وقد بدا « شاليف » محرجا أمام « كيسنجر » من الصورة التى ظهرت بها إسرائيل ، وأبدى ملاحظة قال فيها « إنه مندهش من تأخر الهجوم الإسرائيلى المضاد » . ورد عليه « كيسنجر » قائلا

بالحرف « يبدو أنهم فوجئوا حقيقة هذه المرة « I think they were really surprised this time .

□ **وفى الساعة ٣,١٠** عاد « كيسنجر » يتصل بـ « آل هيج » للمرة الثالثة طالبا تدخل « نيكسون » شخصيا فى الضغط على وزارة الدفاع لأن الاستجابة السريعة للطلبات الإسرائيلية ضرورة سيكولوجية كما هى سياسية وعسكرية ، لأن العرب لا ينبغى لهم أن يحققوا أية مكاسب بأسلحة سوفيتية .

□ **وفى الساعة ٣,٤٠** قام « آل هيج » باتصال تليفونى مع « شليزنجر » وأبلغه باسم الرئيس « نيكسون » أمرا صريحا بسرعة إعداد الطلبات الإسرائيلية ، وأضاف إلى ذلك قوله نقلا عن الرئيس « إن العرب لا ينبغى لهم تحقيق انتصار بأسلحة سوفيتية » . وكان ذلك نفس تعبير « هنرى كيسنجر » .

□ **وفى الساعة السادسة مساء** كان « سيمحا دينتز » قد عاد من إسرائيل إلى واشنطن ، وتوجه مباشرة من المطار إلى لقاء « كيسنجر » حاملا معه استعداد إسرائيل لإرسال طائرات « العال » بأسرع وقت للمشاركة فى نقل إمدادات السلاح . وتحمس « كيسنجر » قائلا « إن طائرة العال المسافرة إلى إسرائيل على الخط العادى تستطيع هذه الليلة أن تأخذ معها بعض المعدات ، ومن ضمنها ٨٠ صاروخا من طراز "Sidewinder" .

وفى هذه الليلة أجرى « كيسنجر » تحليلا للموقف على ضوء أحداث الأربع والعشرين ساعة الأخيرة ، بما فيها تلك الرسالة التى تلقاها من الرئيس « أنور السادات » قبل ساعات ، والتى كانت فى جزء منها استعادة للمناخ الذى جرت فيه محاولات الحل السلمى قبل الحرب . وقد تمكن « كيسنجر » – طبقا لروايته – من وضع تصور عام للموقف كانت خطوطه على النحو التالى(٥) :

١ – إن حالة اللا سلم واللا حرب قد انتهت فى الشرق الأوسط – وهناك الآن حرب .
٢ – لا يمكن السماح تحت أى ظرف بهزيمة تحيق بإسرائيل ، حتى ولو أدى ذلك إلى تدخل أمريكى مباشر .
٣ – لا يجب أن يظهر الاتحاد السوفيتى بعد هذه المعركة باعتباره المنقذ الوحيد للعرب .
٤ – إذا انتصرت إسرائيل فى هذه الحرب بطريقة ساحقة ، فينبغى ألا تجد أمريكا نفسها هدفا لسخط عربى واسع بسبب إمدادات السلاح .
٥ – إن العمل الأمريكى إذن يجب أن يكون موجها إلى إثبات عدم جدوى الحرب .
٦ – إذا تحقق ذلك فالخطوة التالية هى التوجه نحو السلام .
٧ – إذا حدث التوجه نحو السلام فلا بد أن يكون ذلك بإشراف أمريكى كامل .

وكان آخر ما فعله فى ذلك اليوم أن أعطى تعليماته للوفد الأمريكى فى الأمم المتحدة للبدء فى اتصالات لعقد جلسة لمجلس الأمن فى خلال الأربع والعشرين ساعة القادمة ، فمثل هذا الاجتماع كان أمرا ضروريا ومنطقيا ، وكانت الولايات المتحدة هى التى تعرقله حتى تترك لإسرائيل الفرصة لتصحيح الوضع العسكرى – والآن وقد بدأت إسرائيل تتلقى كل ما يلزمها ،

---

(٥) مذكرات « هنرى كيسنجر » ـ الجزء الثانى ـ بعنوان « سنوات القلاقل » ـ صفحتى ٤٨١ و ٤٨٢ .

فإن « كيسنجر » يستطيع أن يقبل انعقاد مجلس الأمن لبحث الأزمة – ولكن بعد أربعة وعشرين ساعة من الآن .

□

لكن « هنرى كيسنجر » لم ينم مستريحا تلك الليلة . فبعد أن دخل إلى جناح الطوارىء الخاص به فى مبنى وزارة الخارجية الأمريكية ، ذهب إليه مدير مكتبه « لارى ايجلبرجر » يحمل رسالة من الملك « فيصل » (ردا على رسالة « كيسنجر » إليه يوم ٦ أكتوبر ، والتى ناشده فيها أن يبذل نفوذه لمنع نشوب الحرب) . وكانت رسالة الملك تقول بالنص[٦] :

« هذه الرسالة من جلالة الملك فيصل
إلى معالى الوزير هنرى كيسنجر ،
وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية

تلقيت رسالة معاليكم المستندة إلى تقرير وردكم من إسرائيل بأن القوات المصرية والسورية تنوى شن هجوم منسق على القوات الإسرائيلية .

ولدى بدء الاشتباك فعلا بين القوات المصرية والسورية من جهة والقوات الإسرائيلية من جهة أخرى فى البر والجو ، فإن معاليكم تأكد بأن البادىء بهذا الهجوم هى إسرائيل ، وفى اعتقادى أن هذا الهجوم هو حلقة من حلقات السياسة الإسرائيلية لتنفيذ الخطة التوسعية التى رسمتها لتطبيق سياستها العدوانية ضد الدول العربية . لأن العرب لم يقوموا بأى عدوان ضد إسرائيل من تاريخ نشأتها ، وأن العدوان كان دائما من قبل إسرائيل لتكسب فى كل عدوان مساحة من الأرض وفقا لمخططاتها المرسومة . فإذا لم تهب الولايات المتحدة بردع إسرائيل عن التمادى فى غيها وعدوانها فسوف ينفجر البركان الهاجع حتى الآن فى منطقة الشرق الأوسط ، وسوف لا يقتصر تدميره على المنطقة لوحدها بل سيتعداها إلى حرب عالمية شاملة تصطلى جميع دول العالم بنارها على الرغم مما نصت عليه اتفاقيات عدم المجابهة بين الدول الكبرى .

ولهذا فإن المسئولية الكبرى فى هذا الصراع القائم فى المنطقة تقع على عاتق إسرائيل . وعلى الولايات المتحدة الأمريكية أن تجبر إسرائيل على الانسحاب عن الأرض العربية وإعطاء الشعب الفلسطينى حقه فى أرضه ووطنه » .

وبينما كان « كيسنجر » يطالع سطور هذه الرسالة التى اعتبر أن أوانها قد فات بنشوب القتال فعلا ، هرع إلى جناحه أحد موظفى مكتبه يحمل رسالة ثانية من الملك على شكل مذكرة شفوية سلمت للسفارة الأمريكية فى المملكة العربية السعودية ، لتوصيلها باسم الملك « فيصل » إلى الرئيس « نيكسون » . وكان نصها كما يلى[٧] :

---

(٦) محفوظات الديوان الملكى السعودى - المكتب الخاص - ملف واحد كبير فى مكتب الملك « فيصل » قام بإعداده وترتيبه السيد « عمر السقاف » وكيل وزارة الخارجية السعودية التى كان « الأمير فيصل » - ثم الملك « فيصل » بعد ذلك - يشرف بنفسه على شئونها من أواخر العشرينات . وتوجد صورة للرسالة فى ملحق صور الوثائق تحت رقم (٥٥) – على صفحة ٧٩٤ من الكتاب .

(٧) المصدر السابق . وتوجد فى ملحق صور الوثائق صورة من المذكرة تحت رقم (٥٦) على صفحة ٧٩٥ من الكتاب .

« مذكرة شفوية تسلمت للسفارة الأمريكية لإرسالها
لفخامة الرئيس نيكسون من جلالة الملك فيصل

فخامة الرئيس

لقد اندلعت نار الحرب للمرة الرابعة فى منطقة الشرق الأوسط نتيجة لمخطط توسعى تقوم اسرائيل بتحقيقه تنفيذا لتعليمات الصهيونية العالمية . ولقد أسدينا النصح لكل من اجتمعنا به من اصدقائنا الأمريكان ، وكتبنا لفخامتكم ولفخامة سلفكم الرئيس جونسون بأن الحرب قائمة لا محالة اذا لم تسارع أمريكا بالضغط على إسرائيل بعدم التمادى فى غيها وغطرستها والإقلاع عن تحديها لقرارات الأمم المتحدة والرأى العام العالمى . وما من شك بأن هذه الحرب إذا استمرت فسوف تضطر جميع الدول العربية بخوض غمارها ، ومن بعدها الدول الاسلامية والدول الصديقة وستكون حربا شرسة تدمر حضارة القرن العشرين وجميع القيم الإنسانية . كما لن تكون الدول الكبرى بمنأى عنها حفاظا على مصالحها فى هذا الجزء الحساس من العالم .

وإننا لنناشد الولايات المتحدة الأمريكية أن تنظر لهذا الموضوع بعين الحكمة والعقل ، لأن هذه الحرب ليست كالحروب السابقة لأن المشاعر العربية ملتهبة والصبر لدى العرب بلغ مداه . ولهذا فإننا ننصح أن تجبر الولايات المتحدة إسرائيل على الانسحاب عن الأراضى المحتلة وتطبيق قرارات الأمم المتحدة التى وافقت عليها الدول المعنية ، ونأمل من الولايات المتحدة أن لا تزود إسرائيل بالسلاح لئلا يطول أمد الحرب وتتصعد ويلاتها ولكى لا تنتشر الشيوعية فى المنطقة » .

وكان « هنرى كيسنجر » متحيرا فى هذه المراسلات . فهو من ناحية يعرف أن الآراء والمواقف المهمة فى بعض بلدان العالم العربى ، لا تعبر عن نفسها كتابة ، بل العكس فإن ما يكتب على الورق هو المعد للاستهلاك العام ، وأما المقاصد والنوايا الحقيقية فالشفاه وحدها تهمس بها .

ومن ناحية أخرى فإن « كيسنجر » كان يشعر بقلق من الملك « فيصل » بالذات ، ويعتبره عربيا متعصبا خصوصا فيما يتعلق بالقدس ...

٤

٧ أكتوبر فى القاهرة (مساء) :

ومساء ذلك اليوم (الأحد ٧ أكتوبر) كان الرئيس « السادات » فى حالة استرخاء بعد كل التوتر الذى صاحب مرحلة الانتظار والقرار ، والجسور والعبور .

وقد وصل المهندس « سيد مرعى » و « محمد حسنين هيكل » إلى قصر الطاهرة فى الساعة السابعة مساء ، وكان الرئيس « السادات » جالسا فى الدور الأول داخل الصالون المؤدى إلى الشرفة ، وكان يرتدى الملابس العسكرية للقائد الأعلى للقوات المسلحة . واستمع الرئيس من الاثنين معا عن تفاصيل اجتماع عقد فى الصباح فى مكتب الدكتور « محمود فوزى » فى وزارة

الخارجية ، وشارك فيه كذلك الدكتور « مصطفى خليل » . وقد كان ذلك الاجتماع فى معظمه مخصصا لأسلوب استعمال البترول سلاحا فى المعركة ، وكان المتحدث الرئيسى بالطبع هو الدكتور « مصطفى خليل » الذى قدم مراجعة أخيرة لتقرير أعده عن هذا الموضوع .

ودخل المهندس « عبد الفتاح عبد الله » وزير شئون رئاسة الجمهورية يقرأ مجموعة من البرقيات الواردة من الجبهة . كما أن الدكتور « أشرف مروان » جاء ليقول إن سربا ثانيا من طائرات « الميراج » الليبية وصل لينضم إلى سرب سبق وصوله قبل بدء القتال .

وبدا الرئيس « السادات » راضيا من كل ما سمعه ، ثم تذكر أنه يريد أن يأكل ، وصعد الباقون معه إلى الدور الثانى ، فدخل غرفة نومه وخلع ملابسه العسكرية واستبدلها بـ « بيجاما » و « روب دى شامبر » ، ثم خرج وجلس إلى عشائه ومعه السيدة « جيهان » والمهندس « سيد مرعى » و« محمد حسنين هيكل » ، وكان الرئيس « السادات » يأكل طعامه الخاص المصنوع بدون نشويات وبدون سكر طبيعى . وكان الطبق الرئيسى تلك الليلة من المكرونة بالدجاج ، وإلى جواره طبق من الخضروات المسلوقة ، وبعده طبق من الكنافة ، والمكرونة والكنافة كلتاهما مصنوع - بمواصفات صحية - من دقيق خاص مستورد من سويسرا .

وقد راح الرئيس « السادات » يتحدث حديثا مرسلا كان واضحا أنه يفرج به عن نفسه بعد كبت شديد:

ولقد راح يستعيد ذكريات أيام سابقة على الانتظار والإحباط .

ثم هنأ نفسه بالتوصل إلى استراتيجية سليمة أثبتت التجربة سلامتها .

وأبدى رضاه عن المقادير التى تدخلت لتغيير موعد بدء المعركة الذى تسرب إلى الإسرائيليين - بموعد آخر جاءهم مفاجأة تكتيكية .

وتحدث عن أسلوب العمل الذى يريده للطيران ، فهو يخشى عليه من معارك جوية إزاء تفوق العدو ، وبالتالى فهو يريد من الطيران أن يظهر ليضرب ثم يبتعد ويختفى .

وأشار برضا إلى بعض القواد بالتحديد ، وبينهم اللواء « عبد المنعم واصل » ، وقال إنه كان على جسر العبور فى الموجة الأولى من قواته .

وبينما هو مسترخ فى أحاديثه ، قيل له إن السفير السوفيتى « فلاديمير فينوجرادوف » على التليفون يريد أن يتحدث إليه بصفة عاجلة . وطلب تحويل المكالمة إليه حيث هو ، وقد رحب بالسفير بحرارة ، ثم راح يستمع إليه ويقول بالانجليزية « نعم ... نعم ... نعم » ، وكررها ست مرات ، ثم أضاف إليها قوله : « رائع » (استعمل كلمة magnificent) . ثم قال للسفير سعيدا : « أبلغ الرفيق بريجنيف شكرى ومن أعماق قلبى ... من أعماق قلبى حقيقة » .

ثم وضع سماعة التليفون ، ووجه حديثه إلى الجالسين معه ، وقد أصبحوا الآن خمسة إذ انضمت إليهم كريمته وخطيبها ، وقال :

- « أبلغنى فلاديمير أنهم استجابوا لطلب قدمته له هذا الصباح بصواريخ الـ« فولجا » - هذه

سوف تساعدنا على تغطية القوات داخل سيناء ، وذلك يسمح لنا بتاكتيك قفزات الضفادع (leap frogging) داخل سيناء عندما تبتعد القوات عن حائط الصواريخ .

الـ « فولجا » سوف تأتى إلينا بالطائرات مساء اليوم .
هناك معدات أخرى مهمة ثقيلة سوف تشحن على المراكب » .

وطلب الرئيس « السادات » توصيله بالفريق « أحمد اسماعيل » وأبلغه بما سمعه من السفير السوفيتى ، وأشار على القائد العام أن يبقى ضابط الاتصال السوفيتى على علم « بالصورة العامة » .

وانتهت المكالمة والتفت الرئيس « السادات » إلى « محمد حسنين هيكل » وسأله :
– « كيف ترى موقف السوفيت الآن؟ »

وكان الرد : « إنهم وجدوا الفرصة لاستعادة موقفهم فى الشرق الأوسط ، ولن يفرطوا فيها » .

وأحس الرئيس « السادات » أنه يريد أن يغير أجواء الشواغل المحيطة به فاقترح إعداد قاعة السينما لعرض فيلم ، وتوجه إليها ومعه كل من كانوا معه . وقوطع أثناء عرض الفيلم ببرقية حملتها وكالات الأنباء عن مشاورات يجريها الرئيس « نيكسون » لدعوة مجلس الأمن إلى اجتماع عاجل ، والتفت إلى « محمد حسنين هيكل » وناوله البرقيه ، وسأله :
– « ماذا يعنى ذلك ... وهل يمكن أن يكون مقدمة لإجراء harsh (عنيف) يتخذونه معنا ؟ »

وكان الرد : « إن ذلك على الأرجح مستبعد . فلو كان نيكسون يريد اتخاذ إجراءات عنيفة لما اتجه إلى مجلس الأمن حيث يمكن أن يعرقله الفيتو السوفيتى أو الفيتو الصينى . ومادام اتجاهه هو الذهاب إلى مجلس الأمن ، فمعنى ذلك أنه استبعد خيار العمل المنفرد . »

وبدا أن الرئيس استراح لهذا التفسير .

ولعله فى قرارة نفسه وفى أعماق سره – كان قلقا على رسالته فى الصباح إلى « كيسنجر » .

الفصل الخامس

يوم ٨ أكتوبر

١

٨ أكتوبر فى القاهرة : صباحا

استيقظ الرئيس « السادات » من نومه الساعة السابعة إلا الربع صباحا . وقد اتصل بمكتب الشئون العسكرية من تليفون غرفة نومه يسأل عن أوضاع القوات فى سيناء . وكان تقرير مكتب الشئون العسكرية جاهزا فى انتظاره ، وكان نصه :

« سرى جدا

مكتب الشئون العسكرية
تقرير موقف عن اليوم الثالث قتال ٨ / ١٠ / ١٩٧٣

☐ **العدو :**

- **قام العدو بعدة ضربات مضادة ومعارك تعطيلية فى منطقة رؤوس الكبارى مع عدم التورط مع قواتنا فى معارك حاسمة .**
- **قام العدو بعدة عمليات خاصة فى العمق .**
- **يركز العدو مجهوده الجوى لتعطيل معابر القطاع الجنوبى وأجهزة الرادار .**
- **يركز العدو جهوده لتثبيت الجبهة السورية ليتفرغ للجبهة المصرية .**

- يعانى العدو من انخفاض الروح المعنوية .
- يستخدم العدو أعمال الخداع اللاسلكى بصورة واسعة .

□ **قواتنا :**

□ **القوات البرية**

- تواصل قواتنا تنفيذ مهامها القتالية بنجاح .
- جارى تحقيق المهام النهائية لتشكيلات النسق الأول رغم تدخل العدو الجوى .
- تقوم قواتنا بصد الهجمات المضادة بمعاونة القوات الجوية لاحتياطيات العدو التكتيكية والتعبوية .

□ **القوات الجوية**

- قامت قواتنا الجوية بتنفيذ هجمات ضد أهداف العدو الجوية ومراكز قياداته وتجمعات مدرعاته التى تستعد للضربة المضادة على المحور الأوسط .

□ **القوات البحرية**

- تم قصف مراكز العدو وتجمعاته بخليج السويس مع استكمال تلغيم مدخل الخليج .
- تم إغراق ٣ - ٤ لنش معادى .
- تم إغراق مركب تجارى إسرائيلى فى البحر الأحمر بواسطة غواصة مصرية .

□ **الجبهة السورية :**

- معدل تقدم بطىء عن اليومين السابقين .
- تواجه القوات السورية مقاومة شديدة من قوات العدو .

□ **التعليق :**

- يهدف العدو إلى كسب الوقت مع تثبيت قواتنا فى حدود المنطقة التى استردتها فى سيناء حتى الآن لحين توفير قدرات مناسبة وخاصة من قواته المدرعة ، مع محاولة سحب قواتنا المدرعة خارج نطاق الدفاع الجوى .
- لم يستخدم العدو قواته الجوية بأقصى طاقاتها بعد ، ومن المنتظر أن يتم ذلك مرتبطا بتوفير قدراته لتنفيذ ضربة مضادة قوية بقواته المدرعة .
- ينتظر أن يستمر العدو فى اتباع أساليب الخداع مع محاولة استعادة المبادأة لجانبه .
- يتوقع تنفيذ عمليات خاصة فى منطقة البحر الأحمر والعمق وغرب بورسعيد خلال الفترة الحالية .ه

□

كان التقرير يعطى صورة رسمية بأكثر من اللازم عما يجرى فى جبهة القتال ، بينما الواقع أن الصورة الحقيقية كانت أكثر إثارة وحيوية . فقد كانت التعزيزات الإسرائيلية تهرع مسرعة إلى خطوط القتال وتصطدم مع المواقع المصرية وتتكبد خسائر لم تكن فى حسبانها . وواقع الحال أن القيادة الإسرائيلية كانت تتعجل تحقيق شىء ما على الجبهة المصرية يكون من شأنه احتواء الهجوم المصرى ، ومن هنا فإنها كانت ترسل قواتها إلى القتال دون قدر كاف من الحشد والتركيز . وكان ذلك يؤدى بها إلى خسائر تسارع إيقاعها إلى درجة أحدثت ارتباكا شديدا فى تحركات وأوضاع القوات الإسرائيلية .

وقد عرف الرئيس « السادات » تفاصيل الصورة على نحو أكثر دقة من اتصال تليفونى أجراه مع الفريق « أحمد اسماعيل » . وفى هذا الاتصال ، رغم الصورة الداعية إلى التفاؤل ، فإن الرئيس « السادات » طلب إلى وزير الحربية تأجيل تطوير المرحلة الثانية من الهجوم المصرى ، والتى كانت تستهدف الوصول إلى المضايق ، وذلك لسببين أبداهما له :

□ **أولهما** – انتظار رد « كيسنجر » على رسالته فى اليوم السابق ، وقد تعهد له فيها بأن « مصر لا تعتزم تعميق مدى الاشتباكات أو توسيع مدى المواجهة » ، وكان الفريق « أحمد اسماعيل » على علم بها ، باعتبار أنه هو نفسه الذى أنشأ القناة الثانية وأشرف على الاتصالات من خلالها أثناء عمله فى المخابرات العامة ، ثم ظل يتابعها حتى عندما أصبح وزيرا للحربية .

□ **وكان السبب الثانى** الذى أبداه الرئيس « السادات » للتأجيل هو : « إنه لا مانع من ترك الإسرائيليين يخبطون رؤوسهم فى حائط المواقع المصرية ، ويتكبدون أكبر قدر من الخسائر فى حالتهم العصبية هذه . »

وقد فرغ الرئيس « السادات » من حديثه مع الفريق « أحمد اسماعيل » تتجاذبه نزعات مختلفة ، وأحيانا متناقضة .

● كان شعوره بالانتصار الذى حققه يتزايد مع كل ساعة ، خصوصا وأن ردود الفعل من العالم العربى والعالم الخارجى على مسار الحرب قد حولته خلال يومين إلى بطل حقيقى .

● وقد كان ما تحقق له أوسع بكثير مما دار فى خياله – لكن هالة الانتصار التى أحاطت به بدأ يشوبها القلق بسبب ما كان يتحسب له من هجوم إسرائيلى مضاد .

● وربما كان أكثر ما يقلقه فى ذات الوقت هو انتظاره لرد من « كيسنجر » وقد مضى على رسالته إليه أكثر من ٢٤ ساعة دون أن تصله كلمة من واشنطن جوابا عليها .

وكان يريد على نحو ما أن يفعل شيئا ينفس به عن مشاعره الموزعة والمتناقضة ، ولم يستطع أن يحدد بالضبط ما يريد عمله . وقد عاودته مرة أخرى هذا الصباح فكرة توجيه بيان عن طريق التليفزيون والإذاعة إلى الأمة . وأملى على سكرتيره مجموعة من النقاط التى يرى أن يتضمنها البيان ، وبعث بها إلى « محمد حسنين هيكل » ، واتصل به تليفونيا فى الساعة العاشرة

إلا ربعا – سائلا « هل وصلتك الورقة »(*) ؟ وكان الرد أنها « وصلت الآن فورا » . واستطرد الرئيس « السادات » يقول « إنه يرى الوقت ملائما الآن للحديث إلى الناس ، وأن المشاعر كلها متأججة ، والكل ينتظر منه كلمة » .

كانت النقاط التى اقترحها الرئيس « السادات » لكى يتضمنها خطابه – على النحو التالى :

« ١ – إعلان تحرير أول مدينة مصرية فى سيناء (القنطرة شرق) .

٢ – كيفية تحرير المدينة .. ثم حصارها داخليا وخارجيا .. اقتحام مشارفها .. القتال داخل المدينة فى الشوارع والمبانى . استعادة المدينة بالكامل .

٣ – القبض على أفراد العدو الذين استسلموا بعد انهيارهم أمام إصرار وعنف قتال الجندى المصرى ، وأسر كميات كبيرة من معدات العدو سليمة منها بعض الدبابات السنتوريون .

٤ – فرحة المواطنين المصريين داخل المدينة – تقدم إخوانهم أفراد القوات المسلحة المصرية ، ومعاونتهم للقوات المصرية .

٥ – نداء إلى المواطنين المصريين فى القنطرة شرق وتهنئتهم بتخليصهم من نير الاحتلال الصهيونى .

٦ – تحية أفراد القوات المسلحة .

٧ – العزم والتصميم على تحرير كل مدن سيناء وكل شبر فيها .

٨ – نداء إلى أهالى سيناء لمعاونة القوات المسلحة المصرية وانتظارها ، فهى فى طريقها إليهم لتحريرهم .»

وقد ظهر ضيق الرئيس « السادات » من ملاحظة أبداها « محمد حسنين هيكل » مكررا رأيه قبل يومين بأن الوقت ما زال مبكرا لتوجيه بيان إلى الأمة . وتجلى ضيق الرئيس « السادات » فى رده بسرعة قائلا إنه « بهذه الطريقة فإن حافظ الأسد سوف يسبقنا بالحديث إلى الناس ، وبالتالى يكون هو الذى يستقطب مشاعرهم إليه » . وكان رأى « هيكل » أن الرئيس « الأسد » يمكن له بالطبع أن يقول ما يشاء ، لكننا هنا فى القاهرة ينبغى أن نحاذر أكثر . ولم يقتنع الرئيس « السادات » إلا عندما أشار « هيكل » إلى النقطة الثامنة فى البيان المقترح ، وهى « النداء إلى أهالى سيناء لمعاونة القوات المسلحة المصرية وانتظارها ، فهى فى طريقها إليهم لتحريرهم » – وكان رأى « هيكل » أن « مثل هذا الكلام الآن ، وفى مناخ الحماسة الجارفة قد يدفع كثيرين من أبناء سيناء إلى أوضاع مقاومة علنية فى حين أننا لا نستطيع أن نقطع بالضبط متى تصل إليهم القوات المصرية لتحريرهم ، بينما يكونوا هم فى ذلك الوقت قد كشفوا أنفسهم وتعرضوا لمخاطر لا يستطيع أحد أن يساعدهم على دفعها إذا لم نكن متأكدين من دقة ما نقول .»

وربما أن الرئيس « السادات » قبل هذا المنطق بسرعة ، وهو يعلم فى دخيلة نفسه أن ما قد يقوله فى بيانه العلنى المقترح متعارض تماما مع ما قاله لـ « كيسنجر » فى رسالته السرية إليه . وقد أبدى قراره بالميل إلى تأجيل إلقاء البيان ، وطلب إلى « محمد حسنين هيكل » أن يقابله فى

(*) توجد صورة من ورقة النقط التى اقترحها الرئيس « السادت » وأملاها على سكرتاريته الخاصة ، وأرسلها إلى « محمد حسنين هيكل » لكى يتضمنها خطابه ، وهى منشورة فى ملحق صور الوثائق تحت رقم (٥٧) – على صفحة ٧٩٦ من الكتاب .

قصر الطاهرة فى الساعة الخامسة بعد الظهر لإعادة بحث الموضوع ، وربما للتوصل إلى نقاط مختلفة يحتويها .

□

وعند الظهر كان الرئيس « السادات » لا يزال موزع المشاعر . وقد أبدى تبرمه من خطاب ألقاه العقيد « معمر القذافى » فى جماهير حاشدة فى طرابلس خرجت على شكل مظاهرات تأييدا وحماسة لتطورات القتال . وقد طرح العقيد « القذافى » فى هذا الخطاب لأول مرة شعارا تكرر كثيرا فيما بعد عما إذا كانت المعركة « حرب تحرير » أو « حرب تحريك » (أى حربا شاملة إلى النهاية ، أو حربا لتحقيق هدف سياسى محدد ، وهى قضية يطول فيها الحديث ويتخبط) .

ويبدو أن العقيد « القذافى » عرف بطريق غير مباشر أن الرئيس « السادات » لم يكن مرتاحا لكلامه . وقد اتصل به تليفونيا ، وعكس الحوار الذى دار فى هذه المحادثة شيئا من سوء التفاهم بين الاثنين ، وإن لم يشر إليه أحدهما صراحة . وكان نص المحادثة بينهما كما يلى :(١)

« سرى جدا(*)

نص الحديث التليفونى

بين سيادة الرئيس أنور السادات والعقيد معمر القذافى

السيد الرئيس : أهلا .. ازيك يا معمر .

العقيد القذافى: أهلا .. نريد صورة عن الموقف .

السيد الرئيس : ابعت لنا حد يامعمر .. من عندك يقعد معانا وينقل لك الصورة .

العقيد القذافى: احنا بس عاوزين نطمئن .

السيد الرئيس : الموقف بخير .. خلصنا القنطرة .. والجزء الشمالى من القناة .. ماشيين الحمد لله زى ما احنا .. كويسين .

العقيد القذافى: ياريس شدوا حيلكم .

السيد الرئيس : احنا ماشيين يا معمر .

العقيد القذافى: يا ريس .. الإذاعة بتوضح العمليات أمام العدو .. بلاش الإذاعة .. احنا هنا متضايقين .. لازم يكون فيه أسلوب متفق عليه بواسطة الإذاعة .

السيد الرئيس : كل حاجة عال .. ابعت لنا حد يقعد معانا يومين ويبقى يرجع تانى عندك .. علشان يبلغك أول بأول .. يعنى حد يوصل يومين ويرجع وهكذا .

العقيد القذافى: أنباء سوريا ايه ؟

السيد الرئيس : النهاردة المغرب أخدوا موقع أهم من جبل الشيخ .

العقيد القذافى: وأخبار القنيطرة ؟

السيد الرئيس : القنيطرة خلاص .

العقيد القذافى: والمضايق ؟

---

(١) تقرير بنص محادثة تليفونية .

(*) فى ملحق صور الوثائق توجد صورة للصفحة الأولى من تقرير الحديث التليفونى بين الرئيس « السادات » والعقيد « القذافى » ، وهى منشورة تحت رقم (٥٨) - على صفحة ٧٩٧ من الكتاب .

السيد الرئيس: حسب الخطة يا معمر .. واحدة واحدة .. خليك مطمئن قوى على وجود القوات فى سيناء وما تقلقش .. القوات والدبابات عبرت .. ما تقلقش .

العقيد القذافى: ومندوبنا فى الأمم المتحدة ؟

السيد الرئيس: احنا سياستنا فى الأمم المتحدة رفض وقف إطلاق النار .. إسرائيل وأمريكا طالبين عقد المجلس .

العقيد القذافى: يا ريس .. القواعد الإسرائيلية ما تخلوهاش تعمل .

السيد الرئيس: لما تكمل الطيارات يا معمر .

العقيد القذافى: ما دامت المعركة وقعت لا بد من الاستمرار بغض النظر عن اختلاف وجهات النظر .

السيد الرئيس: صح .. صح .

العقيد القذافى: شكرا ..

السيد الرئيس: طب مع السلامة .

العقيد القذافى: مع السلامة » .



٨ أكتوبر فى تل أبيب :

كانت الصورة فى إسرائيل يوم ٨ أكتوبر رمادية قاتمة ، فالموازين فى معارك الدبابات بين القوات الإسرائيلية والقوات المصرية كانت كلها لصالح القوات المصرية . وفى نفس الوقت فإن الجيشين الثانى والثالث المصريين أكملا عبورهما ، وراحا يعززان مواقعهما على الضفة الشرقية ، وكان الطيران الإسرائيلى الذى نقل جزءا واضحا من تركيزه إلى الجبهة المصرية - يتعرض لخسائر مؤثرة .

وقد تبدى هذا الوضع فى قرار صدر عن رئيسة الوزراء بعزل الجنرال « جونين » قائد الجبهة الجنوبية ، وتعيين الجنرال « بارليف » - الذى تخلى قبل ساعات عن وزارة التجارة والصناعة ليكون مستشارا لقيادة الجبهة الجنوبية - ومسئولا عاما عن الجبهة .

وكان وزير الدفاع الجنرال « ديان » يتعرض لنقد جارح فى كل مراكز القيادات التى كان يزورها ذلك اليوم ليشرح لضباطها أسباب قرار رئيسة الوزراء بعزل الجنرال « جونين » قائد الجبهة الجنوبية . وينقل الدكتور « بريشر » عن محضر لاجتماع عاصف - تفاصيل مثيرة عما دار بين وزير الدفاع الإسرائيلى وعدد من ضباط الأركان فى مقر القيادة الجنوبية :

أ - هاجموه وهو يدافع عن القرار الخاص بامتناع إسرائيل عن توجيه ضربة إجهاض بالطيران للقوات المصرية والسورية قبل ساعات من بدء الهجوم . وكان رده : « لم يكن فى مقدور الأمريكان أن يساعدونا كما يفعلون الآن لو أننا كنا بدأنا بضربة وقائية . وليست لدينا كفاية من

الأصدقاء لنفرط فيهم ، وهو ما كان سيحدث لو أننا كنا الذين بدأنا الحرب . ولو كنا فعلنا ذلك لما كان من حقنا انتظار أن يصفق لنا الآخرون .»(٢)


بارليف

٢ - هاجموه على الطريقة التى بدت بها إسرائيل غير مستعدة لمفاجأة الحرب . وكان رده : « إننى أسلم بأن هالة التفوق الإسرائيلى halo of superiority فقدت بريقها . فقد كانت هذه الهالة تعتمد بالدرجة الأولى على أن العرب لن يجرأوا على البدء بقتال شامل ، وإذا فعلوا فلا بد من هزيمتهم من أول لحظة . وهو يوافق معهم على أن إسرائيل يجب أن تعتمد دائما على نفسها وعلى موازين القوة بينها وبين أعدائها . وعلى أى حال فإن ضياع هالة التفوق يمكن تعويضها هذه المرة بـ « العامل الأمريكى » . »

وهكذا فإنه فى هذا اليوم العصيب ، لم يكن لدى إسرائيل ما تعتمد عليه إلا هذا « العامل الأمريكى » الذى أشار إليه الجنرال « ديان » إزاء كل ما وجهه إليه ضباطه من اعتراضات . (وقد تكررت نفس الحجج بعد ذلك فى اجتماع مغلق مع رؤساء تحرير الصحف الإسرائيلية) .

□

على الجبهة السورية فى نفس اليوم كانت إسرائيل تواجه موقفا شديد الخطورة بدأ مع الفجر (٨ أكتوبر) . فقد اندفع الجيش السورى إلى هجوم مدرع قوى أدى تقريبا إلى انهيار الخطوط الإسرائيلية فى الجولان ، وهدد بالوصول إلى مستعمرات وادى الأردن . وقبل ظهر ٨ أكتوبر ظهرت المدرعات السورية أمام المعسكرات الإسرائيلية فى منطقة « نافخ » على طرف الجولان . وبدا أن فى استطاعة هذه القوات أن تصل إلى وادى « الحوله » عبر جسر « بنات يعقوب » . واتخذ الجنرال « اليعازر » قرارا عند الظهر بتركيز كل الطيران الإسرائيلى تقريبا لوقف التقدم السورى إلى مناطق الكثافة السكانية الحساسة فى الجليل الأعلى . وكانت ضربة الطيران الإسرائيلى مركزة إلى درجة أن القيادة الإسرائيلية قدرت خسائر سوريا فى الدبابات ما بين الساعة الثانية والثالثة بعد الظهر بما حجمه ٦٠٠ دبابة . (والواقع أن الخسائر السورية من جراء هذه الضربة الجوية المركزة كانت ما بين ٣٥٠ - ٤٠٠ دبابة) . وفى كل الأحوال فإن تلك كانت بلا جدال ضربة إسرائيلية قوية . وبرغم ذلك فإن تقرير لجنة « أجرانات » بعد الحرب وصف وقائع ما دار على جبهات القتال يوم ٨ أكتوبر بالنص التالى :

---

(٢) دراسة الدكتور « مايكل بريشر » . صفحة ١٨٥ .

« لقد كان هذا اليوم يوما اختلت فيه عوامل السيطرة والقيادة . وتبدت فيه القراءة المغلوطة لمجرى القتال - رغم النتائج الهامة التى تحققت على الجبهة الشمالية بوقف الهجوم السورى . »

٣

٨ أكتوبر فى واشنطن :

صباح هذا اليوم ، لم تكن واشنطن على علم كامل بتفاصيل الموقف الذى تواجهه القوات الإسرائيلية . ومع ذلك فقد بدأ اليوم فى العاصمة الأمريكية برسالة من « نيكسون » إلى « كيسنجر » قال فيها : **« من الصعب علىّ أن أصدق أن المصريين والسوريين تحركوا على هذا النحو الضخم بغير علم السوفيت ، وربما بغير تشجيعهم المباشر »** .(٣) وأضاف « نيكسون » قائلا : **« وأكثر من ذلك فإننى متضايق من أن الهجوم على إسرائيل كان مفاجأة كاملة لى . فأنا أشعر بالإحباط من قصور معلومات مخابراتنا . كما أننى فى ذهول من فشل المخابرات الإسرائيلية ، وقد كنت أعتقد أنها من أفضل أجهزة المخابرات فى العالم ، لكنه يبدو لى أنهم فوجئوا بطريقة أفقدتهم توازنهم .»**

□

وفى نفس هذا الصباح (٨ أكتوبر) كان « كيسنجر » مشغولا بمحاولات التعطيل على جبهتين :

● **جبهة مجلس الأمن** - وكان المجلس على وشك أن يجتمع وليست هناك بعد مشروعات قرارات يناقشها ، ومن ثم يصدرها . ولما كان اجتماع المجلس مقررا ويصعب على أحد تأجيله فى هذه الظروف ، فقد اقترح السكرتير العام للأمم المتحدة « كورت فالدهايم » أن يبدأ اجتماع مجلس الأمن الأول بمناقشة عامة . وكان « كيسنجر » يشجع على ذلك ، وتقديره - وقد شاركته فيه وكالة المخابرات المركزية ومخابرات وزارة الدفاع - هو « أن بطء الإجراءات فى مجلس الأمن يعطى لإسرائيل فرصة مواصلة هجومها المضاد فى مرتفعات الجولان » . وكانت توقعاتهم جميعا أن تتم هذه العملية فى يوم أو يومين . وبعد ذلك يركز الجيش الإسرائيلى جهده على الجبهة المصرية .

وكانت تعليمات « كيسنجر » إلى رئيس الوفد الأمريكى الدائم السفير « سكالى » ، وطبقا لمذكرات « كيسنجر » :

---

(٣) صفحة ٩٢١ من مذكرات الرئيس « ريتشارد نيكسون » .

« لا يجب أن يصدر عن مجلس الأمن قرار بوقف إطلاق النار إلا عندما يصل الجيش الإسرائيلى إلى المواقع التى كان عندها قبل بدء القتال - أى خط المياه بالنسبة لقناة السويس - على أن تكون إسرائيل وقتها قد تمكنت من تدمير ما يمكن تدميره من قوات ومعدات الجيش المصرى .»

● **وكانت الجبهة الثانية** التى ركز عليها « كيسنجر » جهوده للتعطيل هى الجبهة المصرية . فقد قرر أن يرد على رسالة الرئيس « السادات » إليه فى اليوم السابق ، وكان واضحا من كل سطر من سطورها أنه ما زال يلعب ويتلاعب (حسب تعبيره القديم عن محادثاته مع السيد « حافظ اسماعيل » فى فبراير ١٩٧٣) . وكان نص رسالته على النحو التالى :

« **عزيزى السيد اسماعيل(*)**

إننى شاكر جدا لكونكم فى وسط مشغولياتكم الكبيرة الراهنة ، تجتزئون وقتا لكى تتشاطرون معى تفكيركم فيما يتعلق بالتطورات بالشرق الأوسط .

وإنه حتى فيما قبل نشوب العمليات الحربية الحالية ، قد سبق لى أن أخطرت وزير الخارجية الزيات ، بأننى على استعداد لأن أستطلع بصفة جدية ومكثفة ، مع جميع الأطراف وبخاصة مصر ، ما قد تكون الولايات المتحدة قادرة على القيام به ، لمساعدة الأطراف على تحقيق سلام فى الشرق الأوسط ، ولا يزال هذا العرض قائما .

ومن الظاهر أن مجهودا كهذا يمكن أن يصيب النجاح على خير وجه ، فى أهدأ جو ممكن ، ولهذا السبب فإن الولايات المتحدة حاولت الوصول إلى وقف للقتال ، دون أن تتخذ فى الوقت ذاته موقفا يحتمل أن يؤدى إلى مواجهة مع الجانب المصرى .

وفيما يتعلق بالنقاط المدرجة بمذكرتكم المؤرخة ٧ أكتوبر ، هناك نقطتان :

الأولى هى أنه ليس من الواضح لدى الجانب الأمريكى ما إذا كانت النقطة الأولى فى موقف الجانب المصرى ، بوجوب انسحاب إسرائيل من جميع الأراضى المحتلة ، يجب تنفيذها قبل إمكان عقد مؤتمر ، أم أن المتوقع هو الموافقة من حيث المبدأ على هذا الشرط .

والنقطة الثانية هى أن الجانب الأمريكى تلقى الرسالة التالية من سفيره فى طهران :

« أن هويدا رئيس الوزراء ، قد استدعانى بناء على تعليمات من الشاه فى الساعة ١٤١٥ بالتوقيت المحلى ، لكى يتلو علىّ برقية من الرئيس السادات إلى الشاه ، مبلغة إليه عن طريق السفير الإيرانى بالقاهرة ، الذى قابل السادات فى أوائل بعد ظهر يوم ٧ أكتوبر بالتوقيت المصرى ، وباختصار فإن البرقية تتضمن وصفا يتسم بالتفاؤل للموقف العسكرى المصرى على الضفة الشرقية لقناة السويس ، وللبطولة المصرية فى عبور القناة وإنشاء رأس جسر هناك . ثم تطلب البرقية من الشاه إبلاغ الرئيس نيكسون بأن مصر حتى الآن كانت من أجل تفادى القتال ، على استعداد لقبول السلام بشروط معينة ، ومع ذلك فإنها مضطرة الآن للقتال واحتمال الخسائر ، وهى لا تزال تريد السلام ، سلاما دائما فى المنطقة . ويود السادات أن يعرف الرئيس نيكسون ، أنه إذا كانت إسرائيل

(*) فى ملحق صور الوثائق توجد صورة للصفحة الأولى من رسالة « كيسنجر » يوم ٨ أكتوبر للسيد « حافظ إسماعيل » ، وهى منشورة تحت رقم (٥٩) - على صفحة ٧٩٨ من الكتاب .

سوف تجلو عن جميع الأراضى التى احتلت منذ ٥ يونيه ١٩٦٧ ، فإن مصر سوف تكون على استعداد للتفاوض بإخلاص ، لوضع هذه الأراضى تحت رقابة الأمم المتحدة ، أو تحت رقابة الدول الأربع الكبرى ، أو تحت رقابة ما دولية أخرى يتفق عليها ، أما فيما يتعلق بشرم الشيخ ، فإن مصر على استعداد لقبول رقابة دولية لحرية الملاحة عبر خليج العقبة ، بعد الانسحاب الإسرائيلى .. ويود السادات قيام الشاه بشرح ما سبق للرئيس نيكسون ، من أجل إيقاف الخسائر بأسرع ما يمكن .»

إن الجانب الأمريكى يكون شاكرا جدا لإيضاح للموقف ، فيما يتعلق بالانسحاب ، وللاختلافات بين مواقف الجانب المصرى التى تضمنتها مذكرتكم ، وبين ما أبلغ لسفيرنا ، وأن يوضح بصفة خاصة ما إذا كان سفيرنا قد نقل على وجه الدقة موقف الرئيس السادات بصدد الجلاء عن الأراضى ، ووضعها تحت رقابة دولية ؟

وإنى لأود أن أكرر القول بأن الولايات المتحدة سوف تفعل كل شىء ممكن لمساعدة الأطراف المتنازعة على الوصول إلى إيقاف القتال ، كما أن الولايات المتحدة ، وأنا شخصيا ، سوف نساهم بنشاط ، فى معاونة الأطراف على الوصول إلى حل عادل للمشاكل التى حاقت بالشرق الأوسط ، على هذا المدى الطويل .

تحياتى الشخصية الحارة .

دكتور كيسنجر »

كانت الرسالة ، كما هو واضح من نصها ، مجموعة أسئلة واستفسارات تتوه بالأزمة فى دهاليز قصر شاه إيران إلى حد السؤال عن دقة معلومات بلغتهم نقلا عن شاه إيران . ثم إنها كانت عودة إلى أجواء اتصالات الشاه مع « هنرى كيسنجر » قبل الحرب ، هذا فى حين أن الحرب غيرت - وكان لا بد لها أن تغير - الكثير . كذلك فقد تعمد « كيسنجر » أن يشير إلى كلمة « الانسحاب » فى رسالته ، ولو من باب التلويح بسراب وسط صحراء أمام ما أحس به من لهفة فى القاهرة على الاتصال به فى ذلك الوقت المبكر من المعركة .

كان « كيسنجر » يريد أن يكسب وقتا . وكانت التقارير الواردة إليه تشجعه على الاستمرار فى لعبة كسب الساعات والأيام بما نقدمه له من طمأنينة زائفة ، فقد أبلغه السفير الإسرائيلى « دينتز » - اعتمادا على ما كان يجرى فى الجبهة السورية - بأن إسرائيل أخذت زمام المبادأة فى الحرب على الجبهتين المصرية والسورية . كذلك فقد اطلع على تقرير من وكالة المخابرات المركزية الأمريكية يستنتج أن وقوع غارة جوية شديدة على بورسعيد إنما هو دليل على أن القوات الإسرائيلية ترتب لعملية عبور إسرائيلية إلى الضفة الغربية . واللافت للنظر أن « كيسنجر » اتصل بثلاثة من كبار الدبلوماسيين المشاركين فى مناقشات مجلس الأمن ، وأبلغ كلا منهم بالرسالة التى تناسب مطالبه :

● اتصل بوزير الخارجية المصرى الدكتور « الزيات » طالبا منه أن يكون تدخله فى مناقشات مجلس الأمن « هادئا » ، حتى يترك الباب مفتوحا لمشاورات تؤدى إلى حل .

● واتصل بالسفير الأمريكى لدى الأمم المتحدة « جون سكالى » طالبا منه أن يكون كلامه أمام المجلس « عاما وفلسفيا » (bland and philosophical) .

● واتصل بوزير خارجية إسرائيل « آبا ايبان » يطلب منه أن يتكلم طويلا قدر ما يستطيع ، وأن « يضحى بالبلاغة فى سبيل الاسهاب » .

□

وقد اتصل « كيسنجر » بالرئيس « نيكسون » تليفونيا وأعطاه صورة متفائلة عن الموقف ، وأنه يمكن أن يتحول خلال يوم أو يومين لصالح إسرائيل . وقد أضاف « كيسنجر » إلى صورته المتفائلة قوله بثقة زائدة :

- « إذا استطعنا أن نصل إلى نهاية لهذا الموقف دون أن تنفجر علاقاتنا مع العرب أو مع السوفيت ، فسوف تصبح تلك معجزة وانتصارا » .

ورد عليه « نيكسون » بقوله :

- « حسنا .. ولكن الأمر الذى أعرفه أنا وتعرفه أنت إذا نظرنا إلى أبعد على الطريق - هو أن إسرائيل عندما تفرغ من تحطيم المصريين والسوريين - وهو ما سوف تفعله - فإنها سوف تصبح طرفا يصعب التعامل معه أكثر مما هو الحال الآن . ولذلك فأنت وأنا لا بد أن نقرر فى عقولنا كيف يمكن التوصل إلى تسوية دبلوماسية فى المنطقة .»

٤

٨ أكتوبر فى القاهرة : مساء

فى الساعة الخامسة بعد الظهر من يوم الاثنين ٨ أكتوبر كان قصر الطاهرة مسرحا لمشهد من أغرب المشاهد فى حرب أكتوبر كلها . وقد وصل « محمد حسنين هيكل » فى هذه الساعة إلى القصر للموعد الذى حدده له الرئيس « السادات » فى حديثهما التليفونى فى الصباح . وعند وصوله علم أن الرئيس « السادات » موجود مع السفير السوفيتى « فلاديمير فينوجرادوف » فى المكتب الداخلى الصغير الذى يلى صالون الاستقبال الرئيسى فى القصر . وتوجه « هيكل » إلى الشرفة ووقف فيها يتحدث مع الدكتور « أشرف مروان » سكرتير الرئيس للمعلومات وقتها ، والعقيد « عبد الرؤوف رضا » مدير المكتب العسكرى ، ولم يكن هناك فى الجو ما يشير إلى أزمة . فقد بدا أن لقاء السفير السوفيتى مع رئيس الجمهورية هو من الأمور العادية والمحتملة فى تلك الظروف . وكانت نسمات هواء رطب تجىء مع الأصيل محملة برائحة الخضرة الممتدة تحت شرفة القصر إلى صف من الأشجار العالية تظهر شامخة فى نهاية الحديقة . وكان صوت القارىء

العظيم الشيخ « محمد رفعت » يتلو القرآن بصوته الرخيم مسموعا من جهاز راديو كان فى الغالب موجودا فى أحد مواقع الحرس الجمهورى وراء أشجار الحديقة . وكانت تلك هى القراءة التى تمهد لأذان المغرب – والإفطار فى شهر رمضان – ولم يتبق على موعده أكثر من ربع ساعة .

وفجأة تناهت إلى الشرفة أصوات حركة فى البهو الرئيسى للقصر الذى تتصل به الشرفة الكبيرة . والتفت من كانوا فى الشرفة إلى البهو ليجدوا حركة فهموا منها أن مقابلة الرئيس « السادات » مع السفير « فينوجرادوف » قد انتهت ، وكان كلاهما ما زال يتحدث إلى الآخر . ووراء الرئيس « السادات » وقف « عبد الفتاح عبد الله » وزير شئون رئاسة الجمهورية ، وهو ما زال ممسكا بأوراق وبقلم محاولا أن يسمع ما يدور بين الاثنين فى الدقيقة الأخيرة من لقائهما ، وفى الغالب فإنه كان يريد أن يضمنه محضره عن المقابلة . وكان الجو على نحو ما موحيا بأن المقابلة شابها نوع من التوتر . وتوجه الرئيس « السادات » إلى الحمام بينما كان وزير شئون رئاسة الجمهورية يتأهب لكى يودع السفير السوفيتى إلى مدخل باب القصر بعد انتهاء مقابلته للرئيس . ولكن السفير « فينوجرادوف » لمح « محمد حسنين هيكل » عند الباب ما بين الشرفة وبهو القصر الكبير ، فتقدم نحوه مسلما وهمس قائلا له : « إننى أريد أن أقابلك الليلة بأى طريقة . فالأمور خطيرة ، ولدىّ ما أريد أن أناقشه معك . » وأبدى له « هيكل » أنه « لا يعرف متى يفرغ من لقائه مع الرئيس السادات » . وكان رد « فينوجرادوف » : « إننى سوف أنتظرك فى بيتى فى أى وقت تفرغ من لقائك مع الرئيس هنا حتى ولو كان ذلك عند الفجر » . وزاد على ذلك قوله « إن بيتك قرب بيتى وأنت فى النهاية ذاهب لتنام وتستطيع أن تمر علىّ ولو لدقائق قبل أن تأوى إلى فراشك » .

وبدا الطلب مثيرا وداعيا للقلق . وقد انصرف السفير ، وذهب لوداعه المهندس « عبد الفتاح عبد الله » فى نفس اللحظة التى عاد فيها الرئيس « السادات » من الحمام . وتوجه مباشرة إلى الشرفة ، وكان يبدو ثائر الأعصاب إلى درجة أفزعت أحد العاملين فى الخدمة الخاصة للرئيس « السادات » ، وقد دخل يحمل صينية رصت عليها أقداح المشروبات الساخنة والباردة ، فاضطرب ووقعت الصينية من يده . وزاد ذلك من انفعال الرئيس « السادات » .

وقد لاحظ أن نظرات الكل ترقبه فى دهشة . ولم ينتظر حتى يسأله أحد ، بل وجه حديثه إلى « محمد حسنين هيكل » قائلا : « هل رأيت ما فعله بى موسولينى « بتاعى » ؟ » ودهش « هيكل » ولم يفهم فى البداية قصد الرئيس « السادات » الذى راح يوضح قائلا : « حافظ الأسد .. الموقف على الجبهة السورية خطير .. خسروا بعد ظهر اليوم ما بين ٥٠٠ إلى ٦٠٠ دبابة ، وأنا لا أعرف كيف يمكن أن يخسر أحد كل هذه الدبابات فى ساعة أو ساعتين .» وحاول « هيكل » أن يخفف من انفعال الرئيس « السادات » ، فقال له باسما : « ولكن التشبيه هنا صعب . فإذا كنت تضع حافظ الأسد فى موضع موسولينى « بتاعك » فمعنى ذلك أنك تضع نفسك فى موضع هتلر » . ولم يظهر أن الملاحظة راقت للرئيس « السادات » .. لكنه أدرك أنه مطالب بشرح ما حدث . وبدأ يقول : « إن السفير السوفيتى جاءنى الآن يقول إن السوريين طلبوا منهم المساعدة على إصدار

قرار من مجلس الأمن يقضى بوقف إطلاق النار لأن الموقف عندهم الآن خطير - خسروا كما قلت لك مئات الدبابات فى معركة لم تدم أكثر من ساعة » . ثم استطرد الرئيس « السادات » : « وظهر لى من كلام السفير أنهم منذ يوم الجمعة ، ومن قبل أن يبدأ القتال ، كانوا متفقين مع حافظ الأسد على أن يتقدموا بمشروع قرار أمام مجلس الأمن إذا تطورت الأمور على نحو لا يعجبهم . والآن يريد السوفيت أن يضعونى أمام الأمر الواقع ويخطروننى بأنهم سوف يتقدمون إلى مجلس الأمن مساء اليوم بقرار لوقف إطلاق النار . وأنا لست مستعدا لقبول ذلك . فالموقف على جبهتى ممتاز ، وإذا أرادوا أن يخرجوا من الحرب ومعهم الاتحاد السوفيتى ، فليتفضلوا من الآن .. والباب يساع الجمل . »

□

وكانت الصورة - فعلا - شديدة الخطورة والتعقيد . وكان الرئيس « السادات » يروح ويجىء فى الشرفة ثائر الأعصاب وغاضبا . وتقدم « محمد حسنين هيكل » بسؤال إلى الرئيس « السادات » حاول به تهدئة مشاعره مع بداية محاولة للبحث عن الحقيقة فى نفس الوقت . فاقترح عليه أن يبعث برسالة إلى الرئيس « حافظ الأسد » يستوضح منه ما جرى بينه وبين السوفيت بالضبط وبالدقة . ووافق الرئيس « السادات » على الاقتراح . وجرت محاولة لكتابة رسالة للرئيس « الأسد » . وبالفعل أعد المهندس « عبد الفتاح عبد الله » ، وبالتشاور مع بعض الموجودين ، صيغة رسالة عرضها على الرئيس « السادات » ، وكان نصها كما يلى(*) :

« من الرئيس أنور السادات
إلى الرئيس حافظ الأسد

تحياتى ،

أبلغنى السفير السوفييتى اليوم بأنكم طلبتم إلى السوفييت التدخل لوقف إطلاق النار فى اجتماع مجلس الأمن لأسباب تتعلق بسير المعركة فى سوريا .. وأريد أن أضع أمامك فى هذه اللحظات المصيرية عدة اعتبارات :

١ - أن وقف إطلاق النار مع احتفاظنا بمواقعنا الآن سيعيدنا إلى وضع أسوأ مما كنا فيه ، وستزداد شراسة إسرائيل واستعداداتها وصلفها بأكثر مما كانت ولن تحل القضية إلا بشروطها وفى الوقت الذى تراه .

٢ - لقد أكد لى السفير السوفييتى أن الاتحاد السوفييتى قرر تعويضكم بالكامل عن كل ما فقد فورا من العراق .

٣ - أن وقف إطلاق النار سيحرمنا من استنزاف العدو ، وهو الهدف الأساسى الذى يجب أن نحرص عليه ، وهو مالا تحتمله إسرائيل مما لا بد وأن يغير الموقف ، فقط مطلوب منا الصمود .

(*) فى ملحق صور الوثائق توجد صورة للصفحة الأولى من رسالة الرئيس « السادات » إلى الرئيس « حافظ الأسد » ، وهى منشورة تحت رقم (٦٠) - على صفحة ٧٩٩ من الكتاب .

٤ – أرجو ألا يكون الهدف فى هذه المرحلة هو الأرض .. والهدف هو كسر وقف إطلاق النار واستنزاف العدو ، وعلينا أن نتحمل الخسائر المترتبة على ذلك .

٥ – لهذه الاعتبارات مجتمعة فإننى كما عودتك أقول لك إننى لا أتفق معك فى الرأى على وقف إطلاق النار فى المرحلة الحالية ، وبعد مراجعة القائد العام الذى أفاد أن الضباط والجنود السوريين على درجة عالية من الكفاءة والروح العالية .. لذلك فإننى أنصح بدفع الفرقة المدرعة الاحتياطية لعمل توازن للموقف وإعطائه دفعة جديدة ، مع سحب فرقة من المشاه إلى الخلف لإعادة تنظيمها مع تكليفها بمهمة الدفاع عن دمشق .. ويكتفى أن تصمد فى مكانك لاستنزاف العدو حتى تحين الفرصة المناسبة لتكملة المهمة الأساسية . وإننى أرى أن لا تعطى للأرض الأهمية التى تعطى للصمود والاستنزاف .

إننى أناشدك أن تعطى لهذا الأمر ما يستحق من أهمية .. فمسئوليتنا التاريخية أمام الأمة العربية تحتم علينا أن نتحمل فى سبيل إتمام المسيرة .

مع تمنياتى لكم بالنصر .

أخوكم
(أنور السادات) »

وفى انتظار وصول رد على هذه الرسالة التى أرسلت مساء الاثنين ٨ أكتوبر ، راح الرئيس « السادات » يتحدث عن جوانب مختلفة من الصورة العامة للموقف ، بما فيها أنه غيّر رأيه فيما يتعلق بتوجيه رسالة إلى الأمة لأسباب تختلف عن الأسباب التى أبداها له « هيكل » فى حديثهما التليفونى فى الصباح . وقد انفعل إزاء هذا الموضوع بما جعله يقول متسائلا : « بيان ايه نلقيه على الناس والموقف فى سوريا كما نسمع ونرى الآن » .

وفى الساعة الحادية عشرة مساء ، استأذن منه « هيكل » بعد أن روى له تفاصيل ما همس به إليه السفير السوفيتى قبل خروجه من القصر .

وغادر قصر الطاهرة متوجها إلى بيت السفير السوفيتى فى الجيزة دون أن يعرف أنه بعد خروجه بدقائق وصل الرد المنتظر من الرئيس « حافظ الأسد » . وكان نصه كما يلى :(*)

« سرى جدا

برقية رمزية

من : دمشق رقم البرقية : ٣ (ش . س . م .) مجموعة الوقت والتاريخ : ٩ / ١٠ / ٧٣

من الرئيس حافظ الأسد
إلى السيد الرئيس السادات

تحياتى
الحالة :

(*) فى ملحق صور الوثائق توجد صورة من هذه الرسالة التى رد فيها الرئيس « الأسد » على الرئيس « السادات » ، وهى منشورة تحت رقم (٦١) – على صفحة ٨٠٠ من الكتاب .

١ – لم أطلب من السوفييت التدخل لوقف إطلاق النار ، وغريب أن يتحدث السفير بهذا الشكل ، وقد كان (الذى قلته لهم) إن وقف إطلاق النار مرتبط بتحرير الأرض .

٢ – ليست هناك أى أسباب فى المعركة تدعو لوقف إطلاق النار ، فالمعركة تسير بشكل جيد ، ونلحق بالقوات الإسرائيلية أكبر الخسائر بالرجال والعتاد ، وقد تم حتى الآن تحرير أكثر من نصف مرتفعات الجولان .

٣ – خسائرنا فى الحدود الطبيعية ويجرى بشكل منتظم استعواض خسائرنا .

٤ – ليس للعراق علاقة باستعواض خسائرنا فليس فى العراق فائض مما نحتاج إليه .

٥ – موضوع كموضوع وقف إطلاق النار لا يتم إلا بالاتفاق بيننا ، ولا أعتقد أن هناك حاجة الآن لنبحث الموضوع .

وختاما ، أتمنى لكم النصر المبين .

أخوكم
(حافظ الأسد) »

□

فى الساعة الثانية عشرة إلا الربع وصل « محمد حسنين هيكل » إلى بيت السفير السوفيتى ، ووجد أحد مساعديه فى انتظاره فى حديقة البيت المظلمة (بسبب قيود الإضاءة وقت الحرب) . وقد قاده مساعد السفير مباشرة إلى غرفة الاستقبال فى البيت ، وكانت تنبعث منها أنغام بيانو تدق حركة من كونشرتو البيانو الثانى لـ « راحمانينوف » . ودخل « هيكل » إلى القاعة ، وكان « فلاديمير فينوجرادوف » جالسا أمام البيانو يهدىء أعصابه – كما يبدو – بلحن عاطفى رقيق . ووقف « هيكل » وراءه فى صمت والسفير لا يشعر ، وحين توقف لحظة عن العزف صفق له قائلا « برافو » – وكان يقصد إلى تلطيف أجواء المقابلة ، وقد توقعها حافلة بأخبار لا تسر ولا تريح .

ونهض « فينوجرادوف » من مقعده أمام البيانو مرحبا ، واتجه الاثنان إلى ركن من الصالون . وراح السفير السوفيتى يفتح قلبه ويفضى بما عنده . والحقيقة أنه بتعبيرات وجهه ونبرة كلماته – كان رجلا يعانى من أزمة سياسية وشخصية عنيفة . وكان مؤدى ما قاله على النحو التالى :

« ١ – إنه أصبح يجد صعوبة بالغة فى التحدث بصراحة مع الرئيس « السادات » . فمنذ قرار طرد الخبراء السوفيت والرئيس جاف فى التعامل معه . وبرغم أنهم قدموا إليه كل ما طلب بعد أن أهانهم علنا – كما يعتقدون – فإنهم يخشون أن شكوكه كثيرة فيهم . وأنه هو شخصيا يعانى من هذه الحالة باعتباره المسئول عن العلاقة السوفيتية مع الرئيس مباشرة .

٢ – إنه يستطيع أن يفهم ويقدر عصبية الرئيس فى هذه الظروف – لكنه يتوقع أن يفسح له الرئيس صدره لكى يجرى تبادل الآراء والمعلومات وتنسيق المواقف بين الاتحاد السوفيتى وبين

مصر بطريقة هادئة وموضوعية فى ظرف دولى عصيب يختبر فيه معدن العلاقات بين البلدين . وهو شخصيا على استعداد لأن يتحمل ، ولكنه يريد أن تكون صورة ما تريده مصر فى هذه الظروف واضحة حتى يستطيع أن يؤدى مهمته فى النقل بأمانة بين الكرملين وقصر الطاهرة .

٣ - إن كيفية التصرف فى الأمم المتحدة بعد نشوب القتال موضوع سبقت مناقشته من قبل الحرب . وقد نوقش بتوسع إلى حد ما بين السفير السوفيتى فى دمشق « محيى الدينوف » وبين الرئيس « حافظ الأسد » . فقد كان معروفا مسبقا لكل الأطراف أن مجلس الأمن لا بد أن يدعى إلى الاجتماع فور وقوع حالة تهدد الأمن والسلام فى منطقة الشرق الأوسط . وأن كل الأطراف المعنية سوف تكون مطالبة باتخاذ موقف محدد فى مداولات مجلس الأمن . ومن الطبيعى أن يكون أول ما يطرح هو مشروع قرار بوقف إطلاق النار . ولهذا فإننى قابلت الرئيس « السادات » لهذا الموضوع يوم السبت (أول أمس) ، ولم يعطنى تصورا محددا ، بل أحالنى على الدكتور « محمود فوزى » الذى بدا لى هو الآخر غير محدد .

٤ - وكان سفيرنا فى دمشق « محيى الدينوف » قد فهم من الرئيس « حافظ الأسد » أنه طالما كان الموقف العسكرى فى صالح العرب فإن المطلوب منا هو أن نعطل صدور قرار . وأما إذا كان الموقف غير موات للعرب ، ففى تلك اللحظة قد يكون صدور قرار من مجلس الأمن بوقف إطلاق النار مفيدا سياسيا وعسكريا قبل أن تسوء الأمور .

٥ - وإزاء تطورات الموقف على الجبهة السورية بعد ظهر أمس ، فقد خطر لنا أن نسأل - مجرد سؤال - هل الوقت الآن مناسب لمثل هذا القرار ، خصوصا وأن الأمريكان على اتصال بوفدنا فى نيويورك يتشاورون معه لصياغة قرار يقدم إلى المجلس .

٦ - إن الرئيس « السادات » لم يعطنى فرصة بعد ظهر اليوم لأشرح وجهة نظرنا . ولكنه قاطعنى سائلا بحدة عما إذا كان الرئيس « الأسد » قد طلب منا تقديم قرار لوقف إطلاق النار . وحين حاولت أن أشرح له خلفية هذا الموضوع خبط يده على المائدة وقال « إذن فأنتم ترتبون مع حافظ الأسد من وراء ظهرى » . وحين ألححت عليه أن يسمع منى بقية كلامى قاطعنى بأن الأمور واضحة أمامه ولا يحتاج فيها إلى شرح جديد .»

وسكت «فينوجرادوف » بعد أن ألقى بكل هذه النقاط فى نفس واحد تقريبا .

□

وتوجه إليه « محمد حسنين هيكل » بسؤال عن معلوماته بالدقة عما جرى فى الجبهة السورية بعد ظهر اليوم ، وما هى أسبابه فى رأيه . وقال « فينوجرادوف » ما مؤداه أن هذه أيضا قصة محزنة ومؤلمة . فالتنسيق بين الجبهتين غير قائم ، وقد اقتصر على تحديد ساعة الصفر ، وتم فتح إطلاق النار على الجبهتين فى نفس الثانية ، ثم راحت كل جبهة تتصرف كما يخطر لها دون « جهد مشترك » كان ضروريا فى مثل هذه الحالة ، بل وكان حيويا .

ثم استطرد يقول : « وبصراحة ، فإن الذى حدث هو ما كان متوقعا ، وهو أن الإسرائيليين ركزوا فى البداية على الجبهة السورية لقربها من المواقع الحساسة فى إسرائيل ، ووجهوا إليها مجهودهم الرئيسى فى الثمانية والأربعين ساعة الأولى من الحرب حتى يفرغوا منها تماما ، ثم ينزلون بكامل قوتهم بعد ذلك إلى الجبهة الجنوبية . وكان يجب عليكم وفقا لأى منطق فى العمل المشترك ، أن تتنبهوا إلى ذلك وتحولوا دونه .»

واستطرد « فينوجرادوف » بما مؤاده : « إن الجبهة المصرية تبدو حتى هذه اللحظة ، وهذا هو اليوم الثالث من القتال ، وكأن همها الأكبر هو تدعيم وتثبيت رؤوس الكبارى على الضفة الشرقية . وأخشى ما أخشاه أننا فى يومين أو ثلاثة سوف نجد الجيش الإسرائيلى ، بما فيه الطيران ، منفردا بالجبهة المصرية وحدها بعد أن يكون قد « سوى أموره على الجبهة الشمالية » . »

ثم قال « فينوجرادوف » وقد انخفض صوته إلى درجة الهمس : « إن خبراءنا جميعا لا يفهمون لماذا لم تتقدموا لاحتلال المضايق ؟ فذلك أولا كان عنصرا فى الخطة التى اتفقتم عليها مع السوريين – ثم إنه ثانيا يخفف الضغط عن سوريا – ثم إنه ثالثا يعطيكم مواقع دفاعية أفضل كثيرا من أية تحصينات تقيمونها لتدعيم رؤوس الكبارى . »

ورد عليه « محمد حسنين هيكل » قائلا بأنه « وإن كان بعيدا عن تفاصيل خطط العمليات – يتصور أن القيادة العسكرية تريد أن تفرغ من تأمين مرحلة العبور قبل أن تتقدم إلى مرحلة أخرى تالية لها ، سواء كان ذلك بعمل لاحتلال المضايق أو بشىء آخر . »

وقاطعه « فينوجرادوف » قائلا « إن الموقف ملائم جدا لتقدمكم لاحتلال المضايق ولا يزال حتى هذه اللحظة ملائما . ولكنكم لا تنتهزون الفرصة . »

وأحس « فينوجرادوف » أن زائره يريد أن يسمع منه أكثر ، فقام إلى التليفون وطلب رقما داخليا ، وتحدث باللغة الروسية مع طرف على الجانب الآخر . ثم تبادل مع محدثه عدة جمل ووضع سماعة التليفون ، والتفت إلى ضيفه قائلا « تعال معى إلى غرفة الخرائط » .

وخرج الاثنان من قاعة الاستقبال ، وتوجها عبر دهليز طويل ومتعرج يقود إلى مبنى السفارة ، وهو ملاصق ومتصل ببيت السفير . ووصل الاثنان إلى غرفة كان يقف على بابها فى انتظارهما ضابط برتبة جنرال فى الجيش السوفيتى . ودخل الاثنان إلى الغرفة وأغلق وراءهما باب حديدى ، وفى نفس اللحظة كان هناك ضابط سوفيتى آخر يدوس على زر ، فإذا ستار يرتفع عن خريطة للجبهة المصرية ، وبدأ الجنرال السوفيتى الذى قدمه « فينوجرادوف » باسم جنرال « سماخودسكى » يشرح أوضاع القوات على الجبهة . وكان مؤدى ما قاله « إن الاحتياطى الإسرائيلى الذى كان فى المؤخرة ، وضمن مسئولياته حماية المضايق ، قد خرج من مكامنه واشترك فى معارك الدبابات خلال الساعات الأخيرة وتكبد خسائر كبيرة . ونتيجة لذلك ، فإن حجم القوات الإسرائيلية فى المضايق ، أو على مشارف الطرق المؤدية إليها ، أو على نقاط الاقتراب منها – قوات ضئيلة لا تتجاوز فى هذه الساعة مجموعة لواءين . وهذه قوة يمكن أن تكتسحها

القوات المصرية فى ساعتين أو ثلاثة وتسيطر على أهم موقع استراتيجى فى سيناء ، بما يسمح لها بأفضل الأوضاع لرد أى هجوم إسرائيلى مضاد .»

واعتبر « هيكل » أن هذا اللقاء فى غرفة الخرائط فى مكتب الجنرال السوفيتى « سماخودسكى » أهم ما سمعه فى تلك الليلة . وقد رأى أن يخرج من السفارة السوفيتية بأسرع وقت ممكن ، ليتصل بالرئيس « السادات » .

فى الساعة الواحدة وعشر دقائق كان « محمد حسنين هيكل » يتصل من بيته بالرئيس « السادات » . ولم يجده فى قصر الطاهرة ، وإنما عرف من الضابط النوبتجى أن الرئيس « خرج مع ابنته الكبرى لبنى وذهبا إلى حى سيدنا الحسين بالسيارة لكى يروا ويعيشوا مشاعر الجماهير - وكانت القاهرة فعلا فى تلك الأيام ، خصوصا مع احتفالات وتقاليد شهر رمضان ، تسهر إلى الصباح بجوار أجهزة الراديو والتليفزيون ، والكل يتابع دقيقة بدقيقة كل كلمة تذاع ، بل كل حرف . وكانت حقائق ما دار فى الجبهة المصرية حتى الآن قد أصبحت مؤكدة ، وبالتالى فإن مشاعر الحماسة والفرح كانت عارمة .

وترك « هيكل » للرئيس « السادات » رسالة ترجوه أن يتفضل بالاتصال به فى أى وقت فور رجوعه .

وفى الساعة الثانية والثلث دق جرس التليفون ، وكان الرئيس « السادات » هو المتحدث ، وخطر له أن محدثه يريد سؤاله عما إذا كان الرئيس « حافظ الأسد » قد رد على رسالته . وبادر بقوله : « إن حافظ رد على الرسالة . والموضوع كله كما يبدو لى سوء فهم من السوفيت ، أو أنه سوء نية » . وأضاف : « إنهم - يقصد السوفيت - سوف يظلون إلى آخر عمرهم موجوعين من الكف الذى نزل على وجههم عندما طرد خبراءهم » ! - ثم تذكر الرئيس « السادات » ذلك الموعد مع « فينوجرادوف » فسأل : « هيه . عملت ايه ؟ » وبدأ « هيكل » يشرح له ما سمع ورأى ، مركزا على نقطة المضايق . وكان الرئيس « السادات » يصغى باهتمام ، وقد سأل مرتين أو ثلاثة عن بعض التفاصيل واستعادها . وسكت لبعض الوقت ، ثم عاد بعد ذلك يقول لمحدثه « لدىّ اقتراح .. اتصل بأحمد اسماعيل الآن وبلغه ما سمعت » .

واتصل « هيكل » بالرقم المباشر للفريق « أحمد اسماعيل » ، وفوجىء بأن الذى رد عليه من الناحية الأخرى هو الفريق « سعد الدين الشاذلى » رئيس هيئة أركان الحرب ، وسأله « هيكل » عن الفريق « أحمد اسماعيل » ، وقال الفريق « الشاذلى » إنه نائم ، وشرح أنهما يتبادلان معا الورديات أثناء الليل بحيث يستطيع أحدهما أن يأخذ قسطا من الراحة فى حين يكون الثانى قائما بالعمل . وسأله « هيكل » عن الموعد الذى سوف يستيقظ فيه الفريق « أحمد اسماعيل » ، ورد الفريق « الشاذلى » بأن موعده هو الساعة السادسة صباحا .

كانت الساعة الآن تقترب من الثالثة صباحا ، وهناك ثلاث ساعات قد تضيع ، وربما تكون لها قيمة أو فائدة فى موقف يتحرك بسرعة . وفى لحظة استحسن « هيكل » أن يقول ما عنده للفريق « سعد الدين الشاذلى » . واستمع رئيس هيئة أركان الحرب باهتمام . ثم كان رده : « سوف أقول لك .. رأيى أن ننتظر فى هذا الموضوع حتى يستيقظ الفريق أحمد اسماعيل » . ثم أبدى الفريق « الشاذلى » ملاحظة نقلت إلى محدثه الشعور بأنه ليس متحمسا للفكرة ، وأضاف : « وفى مقدورك أن تتصل به فى أى وقت وتناقش معه الموضوع » . وبينما المكالمة توشك أن تصل إلى نهايتها ، استدرك الفريق « سعد الشاذلى » قائلا بالحرف : « هل أستطيع أن أرجوك فى شىء ؟ .. عندما تتصل بالوزير لا تذكر له أنك قلت لى عن الموضوع الذى تريد أن تحدثه فيه » . وبدا الطلب داعيا للدهشة . وعلى أى حال فلم يكن هناك خيار آخر .

ولأهمية الموضوع ، عاد « هيكل » فاتصل بالفريق « أحمد اسماعيل » فى الساعة السادسة والربع صباحا . وكان واضحا له أن الوزير ليس متحمسا لفكرة التقدم إلى المضايق .



٨ أكتوبر فى واشنطن : بعد الظهر

فى الساعة ٥,٤٠ بعد الظهر اتصل السفير السوفيتى فى واشنطن « أناتولى دوبرينين » بـ « كيسنجر » قائلا له إن « الاتحاد السوفيتى ليس لديه مشروع قرار يتقدم به إلى مجلس الأمن ، أو قرار يشارك فى تقديمه ، لأنهم ما زالوا على اتصال بالدول العربية » . وكانت هذه الرسالة تناسب خطة « كيسنجر » القائمة على إعطاء الوقت لهجوم إسرائيل المضاد والحاسم . وقد دعا « كيسنجر » بعد هذه الرسالة إلى اجتماع لمجموعة العمل الخاصة بالبيت الأبيض ، وكان أهم ما ظهر خلال هذا الاجتماع أن الجميع ينتظرون فى أى لحظة أن يتلقوا أخبارا عن نجاح إسرائيلى ساحق .(٥)

وفى الساعة الثامنة مساء عاد « دوبرينين » إلى الاتصال بـ « كيسنجر » تليفونيا ليقرأ عليه رسالة من « بريجنيف » تقول « إن الاتحاد السوفيتى يجرى مشاورات مع الدول العربية بشأن وقف إطلاق النار ، وسوف يتصلون به فى أسرع وقت » . وعلق « كيسنجر » على هذه الرسالة بقوله « إن تلك كلها أشياء تساعد على وضع الفرملة على الجهود الدبلوماسية ، بما يعطى لإسرائيل الوقت الكافى لتنجز ما تريد إنجازه » !

---

(٥) مذكرات « هنرى كيسنجر » - الجزء الثانى - « سنوات القلاقل » - صفحة ٤٨٩ - صفحة ٤٩١ .

الفصل السادس

يوم ٩ أكتوبر

١

٩ أكتوبر فى القاهرة :

بدأ الرئيس « السادات » يومه متأخراً ، فهو لم ينم فى اليوم السابق إلا فى الفجر - لكنه حينما استيقظ كانت الأخبار التى وجدها فى انتظاره طيبة . وفى واقع الأمر فإن يوم ٩ أكتوبر كان هو اليوم الذى بلغ فيه الموقف العربى ذروة نجاحه .

وكان تقرير مكتب الشئون العسكرية يعرض الموقف على الجبهات المختلفة كما يلى :

« سرى جداً

تقرير موقف رقم (٤)

تقرير موقف عن اليوم الرابع قتال ١٩٧٣/١٠/٩

☐ **العدو :**

- يستمر العدو فى محاولته إجهاد قواتنا ومنعها من تطوير الهجوم شرقاً .
- فشل هجوم مضاد (للعدو) بقوة لواء مدرع وتم أسر قائد اللواء .
- فشل هجوم مضاد آخر بقوة لواء مدرع وتم أسر قائد اللواء ودمر له ٤٢ دبابة .
- قام العدو باستطلاع بحرى فى منطقة البحر الأحمر ، واشتبكت معه قواتنا وأغرق له ٤ زورق .

- ركز العدو هجماته الجوية على بورسعيد والمعابر وخسر ١٠ طائرات .
- هاجم عدداً من الطائرات وخسر ٦ طائرة وأسر له ٢ طيار .

☐ قواتنـــا :

- ما زالت قواتنا تحاصر بعض النقاط القوية وتم الاستيلاء على ١٦ نقطة قوية .
- قامت قواتنا بصد الهجمات المضادة .
- تعمل قواتنا حالياً على تطوير الهجوم .

☐ الجبهة السورية :

- تم استيلاء القوات السورية على القنيطرة صباح اليوم .
- تمكنت القوات السورية من صد الهجوم الإسرائيلى رغم الضغط وتعاون قوات العدو المدرعة والجوية .

☐ التعليق :

- يعمل العدو على محاولة تثبيت الجبهة السورية تمهيداً للتفرغ للقتال على الجبهة المصرية .
- من المتوقع (قيام العدو) بهجوم مضاد بواسطة اللواء المدرع على المحور الشمالى مرتكزاً على النقاط القوية التى ما زال متمسك بها العدو ، وتهديد مدينة بورسعيد مع توقع عمليات خاصة بالبحر الأحمر .
- من المنتظر أن يعاود العدو هجومه المضاد فى اتجاه القنطرة ليلاً .
- ينتظر أن يدفع العدو مجموعة عملياته على المحور الأوسط للقيام بضربة مضادة فى اتجاه الاسماعيلية بهدف ضرب التجمع الرئيسى لقوات الجيش الثانى . ومن المرجح أن يتم الهجوم ليلاً .
- من المتوقع أن تستمر عمليات العدو الخاصة فى منطقة البحر الأحمر . »

☐

وقد أضيفت إلى أسباب رضا الرئيس « السادات » حادثتان سمع تفاصيلهما بنفسه :

● **الأولى** من اللواء « حسنى مبارك » قائد سلاح الطيران الذى روى له أنه كان موجوداً بنفسه فى مطار المنصورة عندما تعرض المطار لغارة جوية إسرائيلية تم فيها إسقاط إحدى طائرات العدو وأسر طيارها . وقد طلب اللواء « مبارك » أن يستجوب بنفسه الطيار الإسرائيلى الأسير . وقد قال له فى بداية الاستجواب إنه راقب طريقة عمل تشكيله من مركز قيادته فى القاعدة الجوية ، وأدهشته كمية الأخطاء التى وقع فيها التشكيل . وقال له « ماذا حصل لكم ؟ يظهر أنكم أختلفتم عما كنا نعرفه من كفاءتكم » . ورد عليه الطيار الأسير قائلاً « سيدى ، نحن لم نتغير ، ولكن أنتم تغيرتم » . وقد راح الرئيس « السادات » يروى هذه القصة سعيداً بها وفخوراً .

● **وأما الحادثة الثانية** ، وقد سمع تفاصيلها مباشرة أيضاً من مدير المخابرات العسكرية ، فقد كانت خاصة بضرب الجنرال « ماندلر » قائد المدرعات الإسرائيلية وقتله فى سيناء ، وذلك

بعد أن تمكنت المخابرات فى الوقت المناسب تماماً من فك رموز رسالة شفرية أظهرت أن « ماندلر » قد دعا أحد قواده إلى الاجتماع به فى نقطة معينة على الطريق الأوسط فى سيناء . وبعملية تنسيق سريع قامت إحدى المقاتلات - وقد حصلت على موعد الاجتماع ومكانه - بضرب الموقع وتدميره بما أدى إلى قتل الجنرال « ماندلر » فى وقت كانت معركة المدرعات فيه تجتاز أحرج أوقاتها . وهنا أيضاً كان الرئيس « السادات » يروى القصة فى أضيق الحدود ، ويعلق على تفصيلها بقوله « قمة التكنولوجيا » » .

وكان على حق ...

□

وكانت المراسلات السرية للرئيس « السادات » إلى الدكتور « كيسنجر » بواسطة السيد « حافظ إسماعيل » على وشك نقل الرسالة الثالثة فى السلسلة الطويلة من المراسلات التى دارت بينهما فى ذلك الوقت .

وكان نص هذه الرسالة كما يلى :

« من حافظ إسماعيل
إلى الدكتور كيسنجر

يود السيد إسماعيل شكر الدكتور كيسنجر على رسالته المؤرخة ٨ أكتوبر ١٩٧٣ ، كما يود أيضاً الإعراب عن تقديرنا لما للحكومة الأمريكية من نوايا طيبة ، ولاستعدادها للمساهمة فى الجهود التى تبذل للوصول إلى السلام فى الشرق الأوسط .

إن رسالة السيد إسماعيل المؤرخة ٧ أكتوبر ١٩٧٣ قد قصد بها أولاً إعادة الاتصالات عن هذا الطريق (القناة) الخاص بين البيت الأبيض والرئاسة (*) ، وقصد بها ثانياً إيضاح الموقف المصرى مباشرة للحكومة الأمريكية ، فيما يتعلق بالتطورات الأخيرة فى الشرق الأوسط ، ولا حاجة بمصر إلى أن تلجأ إلى قنوات أخرى (**) بصدد مسائل خطيرة وعاجلة ، كتلك التى تضمنتها رسالتنا .. ومع ذلك فإنى أود أن أؤكد مرة أخرى :

١ - أن إسرائيل يجب أن تنسحب إلى خط ٥ يونيه ١٩٦٧ ، وعندئذ سوف يعقد مؤتمر سلام ، لوضع إتفاق سلام نهائى .
٢ - لم يحدث قط أن كان هناك حديث عن وضع الأراضى التى تجلو عنها إسرائيل ، تحت رقابة دولية ، أو غيرها ، إذ سيكون هذا انتهاكاً لسيادة مصر .
٣ - الشرط الخاص بتواجد دولى لمدة محدودة فى شرم الشيخ ، عرضة للقبول للإشراف على حرية الملاحة فى مضايق تيران .

(*) صورة للصفحة الأولى من رسالة حافظ إسماعيل إلى كيسنجر ، موجودة فى ملحق صور الوثائق تحت رقم (٦٢) - وهى على صفحة ٨٠١ من الكتاب .
(* *) يقصد فى الغالب شاه إيران .

ويود السيد إسماعيل انتهاز هذه الفرصة للفت انتباه الدكتور كيسنجر إلى التطورات التالية :

١ - تحركات الأسطول السادس الأمريكى فى شرق البحر الأبيض المتوسط .

٢ - التدفق المستمر للمتطوعين إلى إسرائيل ، ينقلون بطائرات مدنية أمريكية .

٣ - قصف إسرائيل لمدينة بورسعيد ، إذ من شأن هذه التطورات ، كما يدرك دكتور كيسنجر جيداً ، ما يضيف إلى الموقف بعداً جديداً وأشد خطورة ، ويتجه به إلى توسع نطاق النزاع بدلاً من احتوائه .

أطيب التحيات .

٩/١٠/١٩٧٣ »



٩ أكتوبر فى تل أبيب :

عاد الجنرال « ديان » من زيارة لجبهات القتال متشائماً ، وقد وجد طلباً من رؤساء تحرير الصحف الإسرائيلية يرجونه أن يجتمع بهم لكى يعرفوا الصورة لمجرد العلم ، وليس للنشر فى مطلق الأحوال .[1] وقد رأى الجنرال « ديان » أن يصارحهم بالحقيقة ، وعرضها عليهم على النحو التالى :

١ - إن الموقف على الجبهة الشمالية قد تم تثبيته . وأن الجزء السيىء منه قد انتهى the worst was over .

٢ - وأما على الجبهة الجنوبية فإن الموقف مختلف :

أ - القتال على الجبهة الجنوبية يمكن أن يطول ، ومن الصعب جداً أن يتم أى نوع من السيطرة على الموقف فيها خلال الأيام العشرة القادمة .

ب - إن المصريين لديهم سلاح بلا نهاية ، وقد عبر عن ذلك بقوله بالنص : "it's fantastic, it is terrible to fight against such a thing" (إنه شىء مذهل ، وإنه لمن المخيف أن يحارب المرء فى مثل هذا الوضع) .

جـ - لا يستبعد تقدم الجيش المصرى لاحتلال آبار البترول فى أبورديس ، بل إنه فى استطاعة المصريين الوصول إلى شرم الشيخ .

---

(١) قامت رئيسة الوزراء « جولدا مائير » بعد ذلك بإعطاء إذن رسمى لجريدة « ها آرتس » لكى تنشر وقائع هذا المؤتمر ، وذلك فى إطار الصراع بينها وبين « ديان » . وقد نشرته « ها آرتس » فعلاً فى عددها الصادر يوم ١٥ فبراير ١٩٧٤ ، وحينما كان قادة إسرائيل يتبادلون الاتهامات عن مسئولية ما جرى فى الأيام الأولى للحرب .

٣ - ليست هناك تحركات على الجبهة الأردنية أو اللبنانية ضد إسرائيل . وبضرب سوريا بسرعة فقد أصبح احتمال أى تحرك على الجبهتين الأردنية واللبنانية صعباً . وقد ذكر « ديان » أن لبنان أبلغ إسرائيل بطريقة سرية أنه لن يسمح باستعمال الجيش السورى لأراضيه تحت أية ظروف .



جولدا مائير

□

وانعقد اجتماع عاجل لمجلس الوزراء ، وقد كرر فيه الجنرال « ديان » ما سبق أن قاله فى اجتماعه المغلق مع رؤساء تحرير الصحف الإسرائيلية .

وكان المجلس فى حالة ذهول وهو يستمع إلى تقرير وزير الدفاع . وأثناء انعقاد المجلس اتخذت « جولدا مائير » عدة إجراءات :

● طلبت من نائبها الجنرال « آللون » أن يقابل السفير الأمريكى ليستعجل طلبات السلاح من الولايات المتحدة الأمريكية . وقد وصل السفير الأمريكى « كيتنج » بالفعل إلى مقر رئاسة مجلس الوزراء ، وقابل « آللون » ومعه وزيره المفوض « فاليوتس » .

● أبدت « جولدا مائير » أنها رغم التأكيدات الواصلة لإسرائيل عن طريق الاتصال السرى مع لبنان - فإنه من المستحسن القيام بعمل حازم لمنع سوريا من الحصول على أية ميزات من لبنان . وقد أتخذ المجلس نتيجة لذلك قراراً بضرب محطة الرادار اللبنانية فى منطقة البارقة للاشتباه فى أنها ترصد معلومات تقوم بتبليغها للجيش السورى عن تحركات القوات الإسرائيلية .

● طلبت جولدا توجيه تحذير شديد للملك « حسين » ، لأن الضغوط الشعبية فى الأردن قد تدفعه إلى تدخل من نوع ما - ومن المستحسن أن تشترك الولايات المتحدة فى توجيه هذا التحذير إلى الملك . (استجاب « هنرى كيسنجر » لطلبها وبعث فى نفس اليوم رسالة تحذير إلى الملك « حسين ») .

وأكثر من ذلك فإن « جولدا مائير » بلغ بها القلق من تطور الأمور على الجبهة المصرية إلى حد أنه خطر لها أن تهرع بنفسها إلى القيام بزيارة سرية إلى واشنطن ، لكى تقابل الرئيس « نيكسون » وتقدم له شخصياً نداءً مباشراً بنجدة إسرائيل . وقد وافقها الجنرال « ديان » على هذه الفكرة قائلاً لها : « إن ذلك قد يساعد إسرائيل فى الحصول على ما تحتاج إليه بشدة وعجلة فى هذه اللحظات » .

٣

٩ أكتوبر فى واشنطن : صباحاً

فى الساعة ١,٤٥ طلب السفير الإسرائيلى فى واشنطن « سيمحا دينتز » إيقاظ وزير الخارجية الأمريكى « هنرى كيسنجر » من نومه ، وفاجأه بسؤال عن مدى إمكانيات المسارعة أكثر بإرسال مدد عسكرى لإسرائيل (٢) . وقد فوجىء « كيسنجر » بالسؤال ، خصوصاً وأنه تذكر تطمينات « دينتز » له قبل ساعات . وسأله « كيسنجر » بصوت نصف نائم « ما هى المشكلة ، وما هو سبب العجلة ؟ » ورد عليه « دينتز » بأن « هناك حاجة ماسة إلى طائرات وذخائر وبعض المعدات الالكترونية » . وقد روى « كيسنجر » أنه استغرب إقدام « دينتز » على إيقاظه ، وخطر بباله أن السفير الإسرائيلى يوقظه من النوم لمجرد استعراض عضلاته أمام الحكومة الإسرائيلية ، ولإثبات أنه يستطيع أن يوقظ وزير خارجية الولايات المتحدة من نومه فى أى وقت . وقد أبدى « كيسنجر » لـ « دينتز » أن كل الطلبات تمت الموافقة عليها ، وأنه فى الصباح سوف يقوم باستعجال عمليات الشحن ، وسوف تتم بسرعة .

وفى الساعة الثالثة صباحاً عاد « دينتز » إلى إيقاظ « كيسنجر » من نومه للمرة الثانية فى نفس الليلة . وبدأ « كيسنجر » يحس أن الموقف لابد أن يكون أخطر مما يتصور . ودعا « دينتز » إلى مقابلته فى البيت الأبيض فى الساعة الثامنة صباحاً .

ووصل « دينتز » إلى البيت الأبيض ومعه الملحق العسكرى الإسرائيلى الجنرال « موردخاى جور » . وطلب الاثنان أن يدور الحديث فى غرفة الخرائط حيث يستطيع الجنرال « جور » أن يشرح لوزير الخارجية الأمريكى تطورات الموقف أمام خريطة . وتم ذلك بالفعل . وكان تعقيب الجنرال « جور » فى نهاية عرضه للموقف هو قوله : « إن خسائر إسرائيل حتى هذه اللحظة مروعة staggering . وقد جاءت غير متوقعة بالمرة totally unexpected ، فلقد أسقطت لنا حتى الآن ٤٩ طائرة . بينها ١٤ طائرة من طراز « فانتوم » ، إلى جانب ٥٠٠ دبابة . » (أى أن الجيش الإسرائيلى فقد خمس طائراته وربع دباباته فى أربعة أيام من القتال) . وكان « كيسنجر » يسمع صامتاً وإن لم يخف دهشته بتقاطيع وجهه . وقد تدخل « دينتز » فى الحديث طالباً من « كيسنجر » أن يبقى هذه المعلومات سراً لنفسه ولا يبوح بها لأحد ، لأن تسربها يمكن أن يؤدى إلى كارثة . وكان أول ما نطق به « كيسنجر » هو تساؤله « كيف حدث ذلك ؟ » وراح الجنرال « جور » يقدم تفسيره . ولكن « كيسنجر » كان ، إلى جانب دهشته ، مملوءا بالغضب ، وقد توجه إلى « دينتز »

---

(٢) مذكرات « هنرى كيسنجر » - الجزء الثانى - بعنوان « سنوات القلاقل » - صفحة ٤٩١ .

يسأله : « أين ذهبت توقعاتك بالانتصار الساحق وقد عدت لتأكيدها لى قبل ساعات ؟ » ورد « دينتز » بأسى : «something went wrong» (لقد أختلت الأمور) .

ووجد « كيسنجر » نفسه – إلى جانب الدهشة والغيظ – واقعاً فى حالة من الحيرة سببها أن تقديراتهم العسكرية ، ومن ثم تحركاتهم الدبلوماسية ، خصوصاً فى اتصالاتهم مع الاتحاد السوفيتى – كانت قائمة على أساس انتظار نصر إسرائيلى سريع ، وساحق !

وقد أبدى « كيسنجر » للجنرال « جور » ملاحظة قال فيها – متأملاً – « يظهر لى والأمور على هذا النحو ، أنه ليس فى استطاعتكم تغيير الموقف بالسرعة التى نتصورها . فالجيش السورى ولو أنه تلقى ضربة قوية – إلا أنه لم ينكسر حتى الآن . وبالتالى فإنه سوف يكون من الصعب عليكم نقل القوة الرئيسية للجيش الإسرائيلى من جبهة الجولان إلى سيناء » . وتوجه الجنرال « جور » بسؤال إلى « كيسنجر » قال فيه : « هل يمكن أن تعطينا وكالة المخابرات المركزية والمخابرات العسكرية الأمريكية كل ما لديكم من معلومات عن أوضاع الجبهة ؟ » وقام « كيسنجر » باستدعاء مساعده الجنرال « سكوكروفت » وطلب منه أن تستجيب الوكالات المختصة بالمخابرات لكل الطلبات الإسرائيلية .

وفى هذه اللحظة طلب « دينتز » أن يختلى بـ « كيسنجر » وحده لمدة خمس دقائق . وخرج « جور » و « سكوكروفت » . وفوجىء « كيسنجر » بالسفير الإسرائيلى فى واشنطن يفضى إليه همساً برغبة رئيسة الوزراء « جولدا مائير » بالقدوم إلى واشنطن فى زيارة سرية لمقابلة الرئيس « نيكسون » ولتشرح له بنفسها خطورة الموقف .

(ذكر « كيسنجر » فى مذكراته (صفحة ٤٩٢) أنه لم يكن يعرف أنه فى نفس هذه اللحظة كان « ديان » فى حالة انهيار كامل ، وقد تقدم يطلب من مجلس الوزراء الإسرائيلى إذناً بالانسحاب إلى الخط الدفاعى الثانى فى سيناء وراء خط المضايق ، وهو خط قريب من الحدود المصرية) .

□

فى الساعة ٩,٤٠ صباحاً (يوم ٩ أكتوبر) دعا « كيسنجر » إلى اجتماع عاجل لمجموعة العمل الخاصة . وعرض على أعضائها بعض ما سمع من السفير ومن الملحق العسكرى الإسرائيليين . ونشب خلاف داخل المجموعة : ذلك أن « ويليام كولبى » مدير المخابرات المركزية قال إن طلبات إسرائيل من السلاح كما شرحها « دينتز » و « جور » مبالغ فيها ، وقد يكون الدافع إليها هو الرغبة فى تدعيم موقف إسرائيل بعد إنتهاء القتال . وقد أيده فى ذلك، نائب وزير الخارجية « كينيث راش » . واقترح وزير الدفاع « شليزنجر » استجابة جزئية لمطالب إسرائيل . وأوصى بشكل خاص بألا ترسل فى الوقت الحاضر أية أسلحة يحتاج تشغيلها إلى خبراء أمريكيين ، ثم علق بملاحظة قال فيها : « إن الولايات المتحدة ملتزمة بالدفاع عن حدود إسرائيل كما كانت قبل

حرب ١٩٦٧ ، ولكنها ليست ملتزمة بالدفاع عن الأراضى المحتلة بعد ذلك » . وفقد « هنرى كيسنجر » أعصابه قائلاً بحدة : « إن الوقت قد فات والحوادث تعدت مثل هذه التعريفات الفنية » . ثم واصل كلامه قائلاً : « إن إسرائيل قد تلقت هزيمة استراتيجية ، بصرف النظر عما يمكن أن يحدث بعد ذلك ، "Israel has suffered a strategic defeat no matter what happens" ولا ينبغى للولايات المتحدة أن تسمح لهذه الهزيمة بالوصول إلى مداها » (٣) .

وتوتر جو المناقشة ، وطرح اقتراح بتأجيل الجلسة لمدة نصف ساعة للاستراحة .

---

(٣) ومن المفارقات المحيرة أن ذلك اليوم - ٩ أكتوبر - كان هو اليوم المقرر لتطوير الهجوم شرقاً والوصول إلى المضايق . ويروى المشير « محمد عبد الغنى الجمسى » فى مذكراته (صفحة ٣٨٣) التفاصيل التالية بالحرف :

« وحان الوقت يوم ٩ أكتوبر لتقرر مصر متى يستأنف الهجوم وتطويره شرقاً فى اتجاه المضايق تنفيذاً لخطة الحرب . كان ترك العدو الإسرائيلى بدون ضغط مستمر عليه معناه انتقال المبادأة له . ولا ينتظر أن تتخذ القوات الإسرائيلية أوضاعاً دفاعية حتى نهاية الحرب ، بل إنها ستحاول اختراق أحد القطاعات بالجبهة حتى يكون دفاعها إيجابياً نشطا ، وقد تصل بعض قواتها إلى خط القناة . ولذلك يجب حرمان العدو من القيام بهذا العمل بالمحافظة على المبادأة فى أيدينا ، ولا يتحقق ذلك إلا بتطوير العمليات الهجومية شرقاً .

ولقد كانت القوات الإسرائيلية فى سيناء فى وضع سيىء من الناحية المعنوية والقدرة القتالية بعد الفشل الذى لحق بها ، والخسائر الكبيرة التى تحملتها . أما موقفها فى الجولان فقد كان يشير إلى تطوره فى صالحها تكتيكياً . وأصبح واضحاً للقيادة الإسرائيلية أن عمق رؤوس الكبارى المصرية وصل إلى ١٢ - ١٥ كيلومترا ، وأن لدينا أعدادا كبيرة من الدبابات والمدفعية والأسلحة المختلفة . كان ذلك يجبر إسرائيل على اتخاذ الأوضاع الدفاعية على مواجهة واسعة ، حوالى مائة كيلومتر من القنطرة شمالاً حتى السويس جنوباً .

كان من رأيى ضرورة استغلال الموقف لتطوير الهجوم شرقاً طبقاً للخطة دون أن نتوقف طويلاً حتى نحرم العدو من فرصة تدعيم مواقعه أمام قوات الجيش . وهذا يعنى أن استئناف الهجوم يتم فى الظرف الأفضل لنا والأسوأ للعدو .

ناقشت الفريق أول أحمد إسماعيل فى هذا الموضوع يوم ٩ أكتوبر خلال مقابلتين معه داخل مركز العمليات . وجدت منه الحذر الشديد من سرعة التقدم شرقاً ، فكان يرى الانتظار لتكبيد العدو أكبر خسائر ممكنة من أوضاع قواتنا فى رؤوس الكبارى قبل استئناف الهجوم . وكان الفريق أول أحمد إسماعيل يرى أيضاً أن القوات البرية القائمة بالهجوم ستتعرض بشدة للطيران الإسرائيلى فى وقت لا تتمكن فيه المقاتلات وصواريخ الدفاع الجوى من توفير الحماية الكافية لها .

وفى مناقشتى معه أوضحت أن استئناف هجومنا يترتب عليه التحام قواتنا مع قوات العدو ، الأمر الذى يجعل تأثير السلاح الجوى الإسرائيلى أقل . وللحد من تأثير السلاح الجوى المعادى ، يجب استغلال طاقة قواتنا الجوية التى أثبتت قدرتها ضد طيران العدو خلال الأيام الأربعة ٦ - ٩ أكتوبر .

فضلاً عن ذلك فإن صواريخ الدفاع الجوى - خفيفة الحركة - برغم قلتها إلا أنها مؤثرة ، وفى نفس الوقت يمكننا تحريك بعض كتائب صواريخ الدفاع الجوى - بطيئة الحركة - على وثبات للأمام .

وقلت أيضاً إن احتفاظنا بالمبادأة باستئناف الهجوم استغلالا للنجاح الذى تحقق يعطينا فرصة تحقيق الهدف الاستراتيجى بنجاح برغم أننا نتحمل الخسائر ، ولكنها خسائر مقبولة . وفى المقابل فإن طول الانتظار يعطى فرصة أفضل للعدو ليكون فى موقف أقوى عندما نستأنف الهجوم » .

٤

٩ أكتوبر في موسكو :

كان الاتحاد السوفيتي في هذه الساعات على علم بتفاصيل التطورات على الجبهة المصرية . وكان واضحاً له - حتى الآن - أن الأمور تسير في اتجاه ملائم للعرب بصفة عامة . وبشكل ما فإن حالة من « الإشعاع النووى السياسى والنفسى » الذى أحدثه الانفجار الهائل فى المنطقة - كانت قد وصلت إلى موسكو . فإذا العاصمة السوفيتية تخرج عن حذرها إلى درجة أن الزعماء السوفيت ، بمن فيهم « بريجنيف » ، قاموا بإجراء اتصالات مع بعض الدول العربية ، وبينها العراق والجزائر والأردن ، لسؤالها عما تفعله فى هذه المرحلة الحاسمة من معركة العرب مع إسرائيل .

وكتب السفير المصرى فى موسكو « يحيى عبد القادر » برقية رمزية برقم ٧١٢٨ (*) قال فيها بالنص :

« ذكر لى سفير العراق اليوم فى وجود كل من سفيرى الجزائر وسوريا ما يلى :

١ - أنه قد جاء إلى موسكو مبعوث خاص فور بدء القتال وقابل بودجورنى ، وذلك حتى يتدخل الاتحاد السوفيتى لدى إيران لتخفيف حدة التوتر بينهما ليتسنى للعراق دخول المعركة .

٢ - أكد له بودجورنى أنهم سيضغطون على الحكومة الإيرانية وأن الأمر يقتضى المرونة من الطرفين حتى يمكن الوصول إلى تفاهم بينهما ، مشيراً إلى أن إيران لن تجرؤ على إتخاذ أى موقف عدائى حيال العراق والاتحاد السوفيتى قادر على إلزامها بذلك (صدر بعد ذلك بيان إعادة العلاقات والمفاوضات) .

٣ - أبدى بودجورنى تعجبه من أن الدول العربية لم تقدم حتى الآن كل ما تملكه من معدات عسكرية إلى مصر وسوريا ، متسائلاً عن السبب فى حصول العراق أو الجزائر على كل هذا العتاد الحربى من الاتحاد السوفيتى .. هل لمحاربة الكويت أم المغرب !! وإذا لم تقدمه اليوم لمساندة مصر وسوريا فمتى ستستخدمه ؟

٤ - قال إن الحكومة الإسرائيلية تعلم أنها لن تستطيع الحرب على جبهتين ، ولذلك تركز جهودها اليوم لتحطيم الجبهة السورية لإخراج سوريا من المعركة ولتتفرغ بعد ذلك لجبهة مصر ، وأعرب عن أمله فى أن تتمكن القوات المصرية من التقدم بصورة أسرع حتى تخفف الضغط على الجبهة السورية ، متسائلاً عن السبب فى عدم فتح جبهة ثالثة .

٥ - ويضيف بودجورنى أن حكومته اتصلت بحكومة المغرب لحثها على مشاركة قواتها الموجودة فى سوريا فى المعركة .

٦ - يشك بودجورنى فى تدخل أمريكى مباشر .

ويضيف السفير العراقى أن العراق سيشترك فى المعركة بقوات حددها ارتاح لها الجانب السوفيتى ،

(*) أصل البرقية موجود فى محفوظات وزارة الخارجية ، وتوجد صورة للصفحة الأولى منها فى ملحق صور الوثائق تحت رقم (٦٣) - على صفحة ٨٠٢ من الكتاب .

ولكن يحد من قدرتها على تنفيذ كل ذلك نقص عربات النقل ، وقد اتصلت حكومته بكل من حكومتى الكويت والأردن لتزويدها بما لديها من عربات ولكنهما اعتذرتا .

السفير .

كان موقف الاتحاد السوفيتى علامة تستحق الاهتمام لو أن أحدا تنبه لها ، وقد نحى عن مشاعره بعيداً أية تعقيدات سابقة فى العلاقات . كان الموقف السوفيتى يعنى أن جزءاً مؤثراً ومهما فى السلطة الحاكمة قد أخذته الانتصارات العربية ، وأعطته مبرراً وفرصة لجعل صوته مسموعاً أكثر فى الكرملين ، وفى الغالب فلعلها كانت المؤسسة العسكرية - الصناعية ، إلى جانب « بريجنيف » شخصياً .

وكان المعروف دواماً أن هناك أكثر من وجهة نظر فيما يتعلق بالعرب عموماً والمصريين خصوصاً ، وبالذات بعد قرار الرئيس « السادات » بطرد الخبراء السوفيت .

كان هناك من رأوا أن السياسة العربية للاتحاد السوفيتى مكلفة ، وفوق تكلفتها فإنها غير مضمونة ، وبصرف النظر عن التكلفة والضمان ، فقد كان واضحاً أن اختيار العرب للاتحاد السوفيتى ليس خيارهم الأول ، وإنما هو الخيار الذى بقى أمامهم بعد ظهور الانحياز الأمريكى ، والغربى عموماً ، لإسرائيل - أى أن الاتحاد السوفيتى كان « بديل ضرورة » وليس « اختيارا حراً » - وكان ذلك يؤلم السوفيت دواماً .

ولكن مدرسة أخرى - والعسكريون على رأسها - كانت تنظر إلى المصالح والموازين الاستراتيجية ، وبالتالى فإن رهانها كان على العرب . ومع انتصارات العرب فى ميدان القتال ، فقد راحت هذه المدرسة تطالب بما كاد يفلت منها قبل أن يبدأ القتال .

فالعرب الآن يبدون قوة صاعدة ، وجماهيرهم فيما يبدو قد أصبحت تياراً غالباً واحداً بصرف النظر عن سلطة الحكام ، وهم لأول مرة يقاتلون بجد ، وسلاحهم فى القتال سوفيتى ، وهذه مسألة كبيرة ، وسوف يدرك العرب - بل هم أدركوا - أن سلاحهم الوحيد الذى يستطيع قتال الإسرائيليين سوفيتى ، ولا يمكن أن يكون غير ذلك ، كما أن السلاح الذى تقاتلهم به إسرائيل أمريكى ، وهذا لم يعد يحتاج إلى دليل . وإذن فإن العرب بعد الحرب سوف يكونون فى وضع يفعلون فيه ما كان السوفيت يرجونه دائماً ، وهو أن يميزوا بين صديقهم وعدوهم ، أو على الأقل صديق عدوهم . وهكذا تزايدت آمالهم ، وخف تردد عناصر فى القيادة كانت غالباً مترددة (« كوسيجين » و « بادجورنى ») - وربما زادت توقعاتهم بعد أن زادت الضغوط من العواصم والجماهير العربية تطالب بدخول البترول العربى سلاحاً من أسلحة الحرب - وإذن فهم فى الشرق الأوسط مع الطرف الأقوى ، وتلك فرصة ما بعدها فرصة فى رأيهم .

٥

٩ أكتوبر فى واشنطن : ظهراً

وعادت مجموعة العمل إلى استئناف اجتماعاتها ، وكانت الساعة الثانية عشرة إلا ثلثا . وبدأ « كيسنجر » الاجتماع بقوله « إنه خلال الاستراحة قرأ عدة برقيات واردة إلى وزارة الخارجية وإلى مجلس الأمن القومى ، تفيد أن الزعيم السوفيتى « ليونيد بريجنيف » بعث برسالتين إلى الملك « حسين » فى عمان وإلى الرئيس « بومدين » فى الجزائر ، يناشدهما فيها دخول المعركة بكل قوة » . وأضاف « كيسنجر » قائلاً « وإذن فأمامنا الآن قضيتين :

- **الأولى** دعم إسرائيل فوراً .
- **والثانية** ردع الاتحاد السوفيتى فوراً . »

وزاد « كيسنجر » على ذلك قوله إنه أثناء الاستراحة « اتصل بالرئيس نيكسون الذى طلب إليه إبلاغ وزير الدفاع « شليزنجر » على لسانه ، بضرورة شحن طائرات الفانتوم لإسرائيل فورا ، ومن خطوط الإنتاج مباشرة إذا أقتضى الأمر ، وتجهيزها بأحدث معدات الكترونية ، حتى ولو كانت هذه المعدات لم تسلم بعد للقوات الأمريكية » (٤) .

وخرج « كيسنجر » من الاجتماع ليقوم بتحركات سريعة وجدها ضرورية :

١ - بعث برسالة إلى الملك « حسين » يرجوه « أن يحافظ على مصداقيته كرجل دولة » ، وواعدا بمساعدات أمريكية للأردن بعد الحرب .

(رد عليه الملك « حسين » بأنه سوف يمارس ضبط النفس طالما كان ذلك ممكناً - لكنه إذا لم يحدث وقف إطلاق نار سريع ، فلن يكون ذلك فى مقدوره . وأشار الملك فى رسالته - طبقاً لرواية « كيسنجر » - إلى أن استمرار الحرب سوف يؤدى إلى تقوية نفوذ الاتحاد السوفيتى فى المنطقة) .

٢ - اتصل « كيسنجر » بـ « أناتولى دوبرينين » السفير السوفيتى فى واشنطن ، ووجه إليه تحذيراً شديد اللهجة بأن « بريجنيف » يقوم بعملية تحريض لـ « بومدين » ، وأن ذلك سوف يؤدى إلى أزمة مع الولايات المتحدة الأمريكية .

٣ - اتصل « كيسنجر » بالسفير الإسرائيلى « دينتز » وطلب إليه أن تتحرك كل جماعات الضغط الإسرائيلية وتركز نشاطها على الكونجرس ، حتى يقوم الكونجرس بدوره بالضغط على الرئيس الأمريكى « نيكسون » !!

□

---

(٤) مذكرات « هنرى كيسنجر » ـ الجزء الثانى ـ بعنوان « سنوات القلاقل » ـ صفحة ٤٩٤ .

وفى الساعة ٤,٤٥ كان الرئيس « نيكسون » قد عاد إلى واشنطن ، وعقد اجتماعاً فى البيت الأبيض حضره « كيسنجر » ، ورئيس أركان حرب البيت الأبيض الجنرال « آل هيج » ، والقائم بأعمال مستشار الأمن القومى الجنرال « برنت سكوكروفت » (وكان « نيكسون » يومها مشغولاً ببعض ذيول فضيحة « ووترجيت » ، كما أن استقالة « سبيرو آجنيو » نائب الرئيس كانت على وشك أن تعلن خلال ساعات) . وقد بدأ الاجتماع بأن قام « كيسنجر » بإبلاغ « نيكسون » برغبة « جولدا مائير » فى القيام بزيارة سرية لواشنطن لمقابلته . وعقب على ذلك قائلاً : « إنه إذا كانت مائير على استعداد لأن تترك إسرائيل فى وقت حرب وتجىء إلى واشنطن سراً ، فمعنى ذلك أن الموقف العسكرى سيىء جداً » . ثم واصل « كيسنجر » كلامه قائلاً : « إذا أحس العرب بأن إسرائيل قد تعرضت لهذا الحجم من الخسائر ، فإن ذلك قد يغريهم بالاندفاع أكثر . وفى هذه الحالة فإن إسرائيل لن تكون فى وضع يسمح لها بقبول قرار لوقف إطلاق النار » .

كان ضغط الكونجرس (بتحريض من وزير خارجيته !) قد أصبح محسوساً على الرئيس الأمريكى . وطالت المناقشات حتى الساعة السادسة وعشر دقائق . وطرح « كيسنجر » مشروع قرار يتضمن موافقة الرئيس الأمريكى على كافة طلبات إسرائيل . ووافق « نيكسون » قائلاً ، إنه يظن أن الولايات المتحدة لا ينبغى أن تسمح لإسرائيل أن تخسر الحرب » . وقد وافق على مشروع القرار الذى عرضه « كيسنجر » ، وخوله إبلاغه إلى « دينتز » بالنيابة عنه ، راجياً منه فى نفس الوقت أن ينقل إلى السفير الإسرائيلى شعوره « بأن الوقت قد لا يكون مناسباً لزيارة سرية تقوم بها « جولدا مائير » لواشنطن . فمثل هذه الزيارة لن تظل سراً ، ثم إن من شأن إعلانها فى هذا الوقت إعطاء انطباع للعرب بأن إسرائيل تواجه موقفاً ميئوساً منه . وهذا خطر بالنسبة لإسرائيل ، كما أنه قد يكون محرجاً بغير داع للولايات المتحدة . »

وقام « كيسنجر » باستدعاء « دينتز » إلى البيت الأبيض ، وأبلغه بنص القرار . وكان على النحو التالى :

« إن الرئيس قد استجاب لكل طلباتكم الخاصة ، ووافق على كل قائمة الأسلحة التى تقدمتم بها . وبالنسبة لقائمة الذخائر والمعدات الالكترونية ، فإنها سوف تصل إليكم بالطائرات . وكذلك سوف تصل إليكم تعويضات كاملة عن كل ما خسرتموه فى الطيران . وأما فيما يتعلق بالمعدات الثقيلة كالدبابات ، فإنكم سوف تحصلون على عدد كاف من دبابات « م ٦٠ » وهى أحدث ما لدينا .

وسوف يجرى تعويضكم بالفانتوم ـ فوراً ـ كما أننا نستطيع بعد ذلك أن نعمل على مهل لترتيب جدول شحن ببقية ما قد تطلبوه .

كذلك سوف تصل إليكم ذخيرة الأسلحة المضادة للدبابات ، وقد تلقى وزير الدفاع الأوامر الخاصة بذلك . وإن صادفتكم عراقيل فى وزارة الدفاع فيمكنكم الاتصال مباشرة بالجنرال سكوكروفت . إن ذلك يستجيب لجميع طلباتكم فيما عدا بند واحد . وهو قنابل الليزر .

ونحن ندرك أنكم سوف تحتاجون إلى دبابات أكثر بعد هذه المعركة . ونحن نقدم لكم تعهدنا بشحنها .

كذلك فنحن نقدم إليكم تأكيدنا الإضافى بأنه إذا نشأت ضرورة مفاجئة فإننا نتعهد بإرسال الدبابات بالطائرات » (٥) .

□

وقبل أن ينام « هنرى كيسنجر » هذه الليلة عاد « دينتز » إلى الاتصال به ليبلغه رسالة من « جولدا مائير » تبدى فيها تقديرها للقرارات « العظيمة والشجاعة » التى اتخذها الرئيس الأمريكى ، كما تبدى شكرها وتقديرها للجهد « المخلص والهائل » الذى عرفت أن « هنرى كيسنجر » قد قام به شخصياً فى هذا الصدد .

وكان « كيسنجر » يتابع الاتصالات التى راحت تجرى فى مجلس الأمن بحثاً عن مشروع قرار يصدره المجلس . ورأى قبل أن ينام أن من المناسب له أن يقوم بعملية تخدير وإلهاء للجانب المصرى . وهكذا بعث عن طريق القناة الثانية السرية برسالة جديدة إلى الرئيس « السادات » - موجهة بالاسم إلى السيد « حافظ إسماعيل ، قال فيها بالنص : (*)

« من الدكتور كيسنجر إلى السيد حافظ إسماعيل

يود الدكتور كيسنجر أن يعرب عن شكره للسيد إسماعيل ، لرده الفورى ، وما تضمنته رسالته المؤرخة ١٩٧٣/١٠/٩ من عبارات ودية .

إن الجانب الأمريكى على ثقة من أن الجانب المصرى يفهم أن ما فعلته الولايات المتحدة حتى الآن فى الأزمة الراهنة ، هو تصرف الحد الأدنى المطلق الذى استطاعت القيام به ، نظراً للضغط الشعبى الذى تعرضت له الحكومة الأمريكية . ونتيجة لما تضمنته رسالة السيد إسماعيل من إيضاح ، فإن الجانب الأمريكى يفهم الآن بجلاء الموقف المصرى ، فيما يتعلق بتسوية سلام .

غير أن الجانب الأمريكى أقل استنارة بصدد آراء الجانب المصرى بصدد كيفية إمكان وضع نهاية للقتال الراهن ، حيث ستكون هذه الآراء مفيدة جداً للجانب الأمريكى فى صياغة موقفه فى المناقشة الراهنة بمجلس الأمن ، وعلى أمل سماع آراء الجانب المصرى ، سوف يمسك الجانب الأمريكى أطول وقت ممكن عن إبداء موقف أمريكى نهائى فى مجلس الأمن .

ويود الجانب الأمريكى أن يكرر إبداء استعداده للتشاور عاجلاً مع الأطراف المعنية ، من أجل تحقيق تسوية سلام عادل فى الشرق الأوسط . ومن المهم فى هذه الأوقات العصيبة ألا يبرح عن البال منظور المدى الطويل هذا ، وتفادى المواجهات والنقاش المرير ، حيث نسعى لحل الأزمة الراهنة .

---

(٥) مذكرات « كيسنجر » - الجزء الثانى - بعنوان « سنوات القلاقل » - صفحة ٤٩٦ .

(*) فى ملحق صور الوثائق توجد صورة لهذه الرسالة ، وهى تحت رقم (٦٤) - على صفحة ٨٠٣ من الكتاب .

ولسوف يكون هذا المبدأ المرشد للجانب الأمريكى ، ونحن نأمل أنه سيحفز بالمثل تصرفات الجانب المصرى .

مع تحياتى الشخصية الحارة . »

وكانت الرسالة مجرد كلمات إنشائية وأسئلة نظرية عن التشاور وعن التسوية ، بالإضافة إلى كلام مائع يصف المساعدات الأمريكية لإسرائيل - وقد تسربت أنباء عنها إلى وكالات الأنباء - بأنه تصرف « الحد الأدنى المطلق نظراً للضغط الشعبى الذى تعرضت له الحكومة الأمريكية » .

ولعلها أيضاً كانت عملية لعب وتلاعب واضحة الأهداف !

الفصل السابع

يوم ١٠ أكتوبر

١

١٠ أكتوبر فى القاهرة :

بدأ الرئيس « السادات » يومه كالعادة بقراءة تقرير الموقف العسكرى . وكان نصه يوم ١٠ أكتوبر كما يلى :

« سرى جداً

تقرير موقف رقم (٥)

تقرير موقف اليوم الخامس قتال ١٩٧٣/١٠/١٠

□ العـدو :

- **يستمر العدو فى تنفيذ الدفاع التعطيلى ، ويجهز دفاع تعطيلى على المضايق .**
- **زج العدو بمعظم مدرعاته إلى الجبهتين المصرية والسورية ، ويحتفظ باحتياط فى العمق .**
- **يركز العدو مجهوده الرئيسى على القطاع الأوسط والجنوبى .**
- **يركز العدو أعمال القصف على منطقة بورسعيد .**
- **نفذ العدو عدة طلعات استطلاع جوية وبحرية .**
- **نفذ العدو عدة طلعات شبه مستمرة على مطارات وسط سيناء .**
- **يعيد العدو تجميع وتشكيل قواته السابق اشتراكها فى المعارك للاستمرار فى بناء احتياطه التعبوى فى العمق .**

إجمالى خسائر العدو :

- ١٤٣ طائرة مقاتلة منهم ٥٣ على الجبهة الشمالية (*) .
- ٢١٥ دبابة منهم ٢٦ مستولى عليهم (سليمة) .
- زوارق بحرية (٩)
- قتلى وجرحى : عدد كبير
- أسرى : ١٥٧
- معدات أخرى : كمية كبيرة من الأسلحة والمعدات .

□ قواتنـــا :

- تقوم قواتنا بتوسيع رؤوس الكبارى مع القيام بصد الهجمات المضادة .
- أستولت قواتنا على النقط القوية فى نمرة (٦) ، وجارى حصار النقطة القوية فى تل سلام .
- تم دفع قواتنا للمفارز المتقدمة ونقط قتال أمامية .
- قامت قوات الصاعقة بالإغارة على بعض المواقع فى خليج السويس .
- تم دفع أحد التشكيلات جنوباً على الجانب الشرقى لخليج السويس .

□ الجبهة السورية :

- تستمر قوات العدو فى الضغط بشدة على القوات السورية .
- عدلت القوات السورية أوضاعها الدفاعية شرقاً .
- تم تكبيد العدو خسائر جسيمة فى المدرعات .
- قصف العدو أهداف مدنية فى قطنه .

□ التعليق :

- من المنتظر فى حالة تمكن العدو من تثبيت الجبهة السورية أن يتحول مجهوده الرئيسى إلى الجبهة المصرية .
- يهدف العدو من هجماته المضادة تعطيل وإرهاق قواتنا حتى يتم خلق الظروف المناسبة لتوجيه ضربة جوية وبحرية قوية بغرض استعادة الأوضاع على الجبهة المصرية .
- تزداد احتمالات قيام العدو بالعمليات الخاصة فى مؤخرة وأجناب قواتنا وفى العمق .
- توضح بيانات العدو الرسمية وتصريحات المسئولين الإسرائيليين مدى التضارب الذى يعكس موقف الارتباك وعدم اتزان موقفه العسكرى .

ولم يكن الرئيس « السادات » فى أحسن أحواله هذا اليوم ، فقد بدت ساحة الحرب أكثر اتساعاً من مقدرة رجل واحد على إدارتها . وقد فرغ من قراءة تقرير الموقف العسكرى ، ثم جاءته بعدها رسالة « كيسنجر » التى وصلت قبل ساعات إلى السيد « حافظ إسماعيل » . وقرر أن يرد عليها . وكان رده على نحو ما بعيداً عن واقع اللحظة ومستبقاً لتطورات الحوادث . وقد بدا واضحاً فى

(*) يبدو من مقارنة الأرقام المصرية بالأرقام الإسرائيلية - الأمريكية فى الخسائر أنه ربما كانت على الجانب المصرى مبالغة فى خسائر الجانب الإسرائيلى من الطائرات ، مع عدم تنبه إلى ضخامة الخسائر الإسرائيلية الفعلية فى الدبابات .

سطورها أن الرئيس « السادات » فى تلهفه على مواصلة الاتصال بـ « كيسنجر » - قد بدأ يقترب أكثر وأكثر من منطقة حساسة لا تستوجبها - فى تلك اللحظات - ضرورات الموقف .

وكانت رسالته إلى « كيسنجر » كما يلى :

« رسالة من السيد حافظ اسماعيل
إلى الدكتور كيسنجر

يشكر السيد اسماعيل الدكتور كيسنجر على رسالته المؤرخة ١٠ أكتوبر . ويود السيد إسماعيل أيضاً الإعراب عن أنه بينما أخذ الجانب المصرى علما بالحافز على الموقف الذى اتخذته الحكومة الأمريكية ، ....

وعلى ذلك فإن السيد إسماعيل يود أن يضع للنظر بمعرفة دكتور كيسنجر آراء مصر بصدد سبل تطوير موقف يؤدى إلى تحقيق السلام :

١ - إيقاف القتال وانسحاب القوات الإسرائيلية فى فترة محددة إلى خط ما قبل ٥ يونيه ١٩٦٧ ، تحت إشراف الأمم المتحدة .

٢ - ضمان حرية الملاحة فى مضايق تيران ، بتواجد للأمم المتحدة فى شرم الشيخ ، لمدة محددة .

٣ - لدى الانسحاب الكامل للقوات الإسرائيلية ، سوف تنتهى حالة الحرب .

٤ - يوضع قطاع غزة بعد جلاء القوات الإسرائيلية عنه ، تحت إشراف الأمم المتحدة ، لحين ممارسة سكانه لحقهم فى تقرير المصير .

٥ - فى خلال فترة محددة من إنتهاء حالة الحرب ، سوف يعقد مؤتمر سلام تحت إشراف الأمم المتحدة ، بمساهمة جميع الأطراف ذات المصلحة ، بما فى ذلك الفلسطينيون والدول الكبرى ، ولسوف يعالج هذا المؤتمر بصفة جوهرية ، إعادة توكيد المسائل المتعلقة بالسيادة ، والأمن ، وحرية الملاحة .

ويأمل السيد إسماعيل فى أن الموقف المصرى السابق ذكره ، سوف يوضع موضع النظر بنفس الروح التى تم بها تفصيله ، بمعنى أنها مساهمة ايجابية فى الجهود المخلصة التى تبذل فى سبيل سلام عادل ودائم » .

ومن المفارقات أنه عند تسليم هذه الرسالة إلى مندوب المخابرات المركزية فى القاهرة ، جرى إبلاغ المندوب بأن الرئيس « السادات » يتمنى لو استطاع « كيسنجر » أن يقوم بزيارة القاهرة لبحث موضوعات الساعة مباشرة مع الرئيس « السادات » الذى يسعده أن يوجه دعوة إلى وزير الخارجية الأمريكى ، إذا تلقى إشارة بأن الدعوة مقبولة .

ويلفت النظر أن « كيسنجر » حين قرأ رسالة الرئيس « السادات » استخلص منها [1] نتيجتين :

١ - أن الرئيس المصرى يدعوه إلى تقديم مقترحات من عنده ، وذلك هو مدلول عبارة « أن السيد حافظ إسماعيل يضع تحت النظر بمعرفة الدكتور هنرى كيسنجر .... » .

---

(١) كانت استنتاجات « كيسنجر » صحيحة ، وأهم من ذلك فإنها مثلت مرة أخرى أن الموقف التفاوضى المصرى مشدود سواء بالوعى أو بالغريزة إلى نفس الحوار الذى كان دائراً قبل الحرب ، وإلى ذات أسلوب التفاوض - وكأن شيئاً لم يتغير من وقتها وإلى الآن .

٢ - أن الرئيس المصرى لم يعد يطالب بتسوية شاملة ، وذلك هو مدلول المقترحات الواردة فى رسالته والمتصلة بمراحل وجداول زمنية .

□

وكانت الضغوط شديدة على الرئيس « السادات » . ولم يكن الضغط مقصوراً فقط على ما يجرى فى ميادين القتال ، ولا على مناورات « هنرى كيسنجر » التى اختلفت فيها تصرفاته فى واشنطن عن رسائله إلى القاهرة اختلافاً فادحاً - وإنما زادت على ذلك ضغوط من العالم العربى . ذلك أن الرأى العام العربى على امتداد المنطقة من المحيط إلى الخليج ، بدأ يستشعر أن انتصاراً عربياً هائلاً قد تحقق ، أو هو على وشك أن يتحقق . وفى تلك الساعات فقد كان الرئيس « السادات » فى وضع يسمح له بأن يطلب ما يشاء ممن يشاء فى العالم العربى دون أن يملك أحد غير الاستجابة الكاملة راضياً أو مضطراً .

وربما عبرت عن ذلك بوضوح برقية شفرية تلقاها الرئيس « السادات » ظهر ذلك اليوم من العقيد « معمر القذافى » . وقد كان نص البرقية كما يلى (*) .

« سرى جداً
برقية رمزية

من : طرابلس رقم البرقية : ٩١ (ش . س . م .)
من : العقيد القذافى
إلى : السيد الرئيس السادات
بعد التحية ،

فى الطريق إليكم الصواريخ الكروتال المطلوبة معها حامية طبرق ، ونحاول نقل كتيبة صواريخ سام إلى طبرق لتحل محل الكروتال .

أصدرت الأمر بنقل اللواء المدرع بأطقمه إلى مصر فوراً . سنحاول تشكيل لواء بدلاً منه . قد تحتاج طواقم تدريب قدر الإمكان تحت هذه الظروف . النفط تحت تصرفكم واعتبروه نفطكم . مرسل لكم قوافل من الأدوية قدر المستطاع والمؤن بقدر ما تيسر لنا فى السوق والمخازن . المدافع الـ MG. ٤٠٠ فى الطريق إليكم .

سمعت أنك مستاء من بعض كلامى « أنا قلت حتى لو تغيرت نتيجة القتال فى غير صالحنا لا سمح الله فذلك إذا حصل يرجع لتطور الأسلحة وليس لمعدن الرجال ، يكفى أن الجندى الإسرائيلى يفر الآن أمام الجندى المصرى » إن هذا الكلام له معانى بعيدة خارج مصر ، وفيه إطراء لمصر ولا يمكننى أن أقصد غير ذلك فى

(*) فى ملحق صور الوثائق توجد صورة لهذه البرقية من العقيد « القذافى » إلى الرئيس « السادات » ، وهى منشورة تحت رقم (٦٥) - على صفحة ٨٠٤ من الكتاب .

مثل هذه الظروف . إن شعبنا سيادة الرئيس مستاء هو الآخر من تجاهل دوره السياسى ، والإشادة بفيصل فى كل نشرة من نشرات القاهرة دون ذكر ليبيا ، وليس خافى ما يجرى الآن فى إفريقيا وأوروبا .

آسف سيدى الرئيس لهذه الملحوظة ، المهم تصميمنا على القتال ووفقكم الله فى مثل هذه الظروف .

(معمر القذافى) »

□

ووصلت الضغوط مداها بعد الظهر حين تلقى الرئيس « السادات » رداً على آخر رسالة بعث بها إلى « كيسنجر » ، وكان نص الرد كما يلى : (*)

« من الدكتور هنرى كيسنجر

إلى السيد حافظ إسماعيل

« إن لدى الجانب المصرى بناء على ذلك ، قراراً هاماً عليه اتخاذه ، فالإصرار على برنامجه بالحد الأقصى ، يعنى استمرار الحرب ، والإضرار المحتمل بكل ما تحقق ، ولسوف تحسم النتيجة عندئذ بالإجراءات الحربية ، وسوف لا يطلق الجانب الأمريكى العنان للتفكير فى هذه النتيجة ، ولكنه يشك فيما إذا كانت ستجىء واضحة المعالم ، وعلى أى حال فإن الظروف لجهد دبلوماسى أمريكى ، قد لا تكون مواتية .

فإذا كان يراد إعطاء الدبلوماسية فرصة كاملة ، فيجب أن يسبقها إيقاف للقتال ، إذ فى هذه الظروف فقط ، يمكن تطوير الجهد الدبلوماسى الأمريكى الموعود ، ولسوف تجد مصر ضمانات جدية هذا الجهد ، فى الوعد الرسمى من الجانب الأمريكى ، بانهماكه كلية فى الموقف الموضوعى على حد سواء .

ويجب أن يكون الهدف تحقيق وقف القتال ، وتحويله سريعاً إلى سلام حقيقى وعادل ، يوفق ما بين مبادىء السيادة والأمن .

إن الجانب الأمريكى يعتقد أن تقدماً يمكن إحرازه على أساس إيقاف قتال فى الموقع ، يصاحبه تعهد من جانب الأطراف ببدء محادثات تحت رعاية السكرتير العام ، بقصد تحقيق تسوية ، طبقاً لقرار مجلس الأمن ٢٤٢ بجميع أجزائه ، بما فى ذلك انسحاب القوات ، الذى تصوره ذلك القرار .

والدكتور كيسنجر شاكر كثيراً للدعوة الكريمة من الجانب المصرى لزيارة مصر ، وبمجرد أن يتحقق إيقاف للقتال ، فلسوف يسره أن يولى هذه الدعوة اعتباراً متعاطفاً متناهى الجدية ، كجانب من جهد جدى فى سبيل تحقيق سلام دائم بالشرق الأوسط .

مع أحر التحيات . »

كانت الرسالة كما هو واضح فى نصوصها تحمل تهديداً مبطناً يحذر من استمرار الحرب . ويبدو على نحو ما أن الرئيس « السادات » استخلص منها أنه مطالب بإبداء نوع من إشارات حسن النية أمام الجانب الأمريكى ، وقد قرر أن يعطى هذه الإشارة . وبعد اتصال بالفريق « أحمد إسماعيل » كان من الواضح أن هناك قراراً مصيرياً مؤثراً على مجرى الحرب قد تقرر اتخاذه دون أن يكون واضحاً بالضبط ما سوف يترتب عليه من عواقب ومضاعفات .

(*) فى ملحق صور الوثائق توجد صورة لهذه الرسالة ، وهى منشورة تحت رقم (٦٦) - على صفحة ٨٠٥ من الكتاب .

ففى نهاية ذلك اليوم الحافل - تم إعلان ذلك القرار الذى اشتهر بقرار « الوقفة التعبوية » وبمقتضى هذا القرار أعلن القائد العام للقوات المصرية أن قواته - فى واقع الأمر - سوف توقف ضغطها الذى كان متواصلاً حتى هذه اللحظة على إمتداد جبهة القتال فى سيناء .

كان القرار قد أتخذ بالأمس - ٩ أكتوبر - وبدون إعلان . وبمقتضى هذه « الوقفة التعبوية » فإن الجيش الذى كان ينتظر أمراً بالتقدم إلى المضايق - فرض عليه التزام الدفاع مرة واحدة . وعلى نحو ما فقد كان ذلك – واقعيا – قراراً بوقف العمليات العسكرية من جانب واحد – مع إعلان هذا القرار للكافة : الأعداء والأصدقاء !



١٠ أكتوبر فى تل أبيب :

بدأت « جولدا مائير » يوم ١٠ أكتوبر بتحرير رسالة مكتوبة إلى الرئيس الأمريكى « ريتشارد نيكسون » – تعزز رسالتها الشفوية بشكره على ما قدمه لها . وجاء فى الرسالة بالنص : « لقد أخطرت عند الفجر بقراركم بتأكيد إمداد إسرائيل فوراً بسيل من العتاد الأمريكى immediate flow of U.S. material . ولقد كنت أدرك أننى فى لحظة الحاجة هذه أستطيع أن أتوجه إليكم بطلب المساعدة ، وأستطيع أن أعتمد على فهمكم الدقيق لضرورات الموقف إلى جانب مشاعركم العميقة تجاه إسرائيل » .

كانت رسالة « جولدا مائير » تعكس نوعاً من الاطمئنان ، ولكن مجلس الوزراء بكامله كان لا يزال فى حالة انهيار من تأثير تقرير « ديان » ، ذلك أن الجنرال « ديان » كان يبدو – حسب تعبير الوزير « يزرائيل جاليلى » – « أمامنا باستمرار نموذجاً حياً لجندى إسرائيل المقاتل – لكنه فى هذه اللحظة الحاسمة تهاوى كأنه تمثال مصنوع من التراب ، وليس من الرخام » .

وقد قرر المجلس – وهو فى حالة انعقاد دائم – تفويض الجنرال « بارليف » باستعمال قوات الاحتياطى لمواجهة احتمالات تقدم الجيشين المصريين الثانى والثالث . وكان تقدير المجلس أنه وقد تأكد الآن تدفق سيل المساعدات الأمريكية – فإن الاحتياطى الإسرائيلى يمكن دفعه إلى المعركة .

وقد وجه الجنرال « بارليف » دعوة إلى اجتماع للقيادة العامة لبحث ما يمكن عمله على الجبهة الجنوبية (وكان قد أصبح مسئولاً عنها بعد عزل قائدها الأصلى الجنرال « جونين ») . ودعى إلى المشاركة فيه كل من الجنرال « ديان » ، والجنرال « آللون » ، والجنرال « تال » ، والجنرال « زاييرا » ، والجنرال « بيليد » ، وانضم إليهم وزير الدولة « يزرائيل جاليلى » .

وكان أهم ما تقرر فى هذا الاجتماع :

١ - وقف العمليات المحدودة التى تشتبك فيها قوات الاحتياطى الواصلة إلى الجبهة لأن هذه السياسة أدت إلى بعثرة القوات وتكبيدها خسائر فادحة . ثم إنها جعلت الجبهة كلها فى حالة اهتزاز .

٢ - بما أن الجيش المصرى لم يتقدم بعد مساء ٧ أكتوبر عندما فرغ من تعزيز مواقع الجيشين (الثانى والثالث) - فإن هناك فرصة لالتقاط الأنفاس وحشد قوة كافية للقيام بهجوم كبير ، والتفكير والتخطيط لوضع خطة تدفع هذا الهجوم الكبير إلى أية مواقع تتجاوز خطوط ١٩٦٧ ، وذلك لمحاولة العبور إلى الناحية الأخرى من القناة لاحتلال أرض يمكن المساومة عليها فيما بعد .

٣ - ضرورة التحرك عسكرياً بسرعة لأن الضغوط فى نيويورك تتزايد من أجل اتخاذ قرار فى مجلس الأمن يقضى بوقف إطلاق النار .



١٠ أكتوبر فى واشنطن :

كانت الضغوط بالفعل متزايدة فى مجلس الأمن ، وكان معظم أعضائه ، يؤيدهم السكرتير العام للأمم المتحدة « كورت فالدهايم » ، يطالبون بضرورة صدور قرار عن مجلس الأمن بشأن الحرب فى الشرق الأوسط . وكان الاتجاه العام بشدة هو أن مجلس الأمن لا يستطيع مواصلة مناقشة الحرب بأساليب إنشائية وخطابية دون أن يصدر عنه قرار محدد ليتصدى بعلاج لحالة لا شك فى أنها تهدد الأمن والسلام فى الشرق الاوسط ، بل وفى العالم بأسره .

وفى الساعة الثامنة صباحاً (يوم ١٠ أكتوبر) اتصل السفير السوفيتى فى واشنطن « هنرى كيسنجر » يبلغه تليفونياً رسالة مؤداها :

● إن الاتحاد السوفيتى لن يعترض على قرار يصدر عن مجلس الأمن ويطالب الأطراف بوقف بسيط لإطلاق النار - أى وقف إطلاق النار فى المواقع الحالية .

● ومن الضرورى أن يطالب مثل هذا القرار بالبدء فى تسوية تفاوضية على أساس تحرير الأرض العربية التى احتلتها إسرائيل سنة ١٩٦٧ .

واستمع « هنرى كيسنجر » دون أن يعلق ، ثم قال إنه سوف يطرح « التفكير السوفيتى »

للبحث والدراسة . ودعا إلى عقد اجتماع لمجموعة العمل الخاصة ، وبدأ بأن طرح على أعضائه تحليله للموقف قاطعاً بذلك الطريق على أى مناقشة جادة .

وكان تحليل « كيسنجر » على النحو التالى :

١ – إن العرض السوفيتى باقتراح مشروع قرار يعرض الآن على مجلس الأمن – يجىء فى وقت غير مناسب للاستراتيجية الأمريكية التى تريد أن تكسب وقتاً تتغير فيه الموازين العسكرية على الأرض .

٢ – إذا طرح مشروع قرار بهذا المعنى ، فمن الراجح أن كل أعضاء مجلس الأمن – بما فيهم الحلفاء الأوروبيون لأمريكا – سوف يوافقون عليه .

٣ – إن إسرائيل لن تقبل الموافقة على قرار من هذا النوع – بينما الموقف العسكرى فى الجبهة على ما هو عليه الآن . والولايات المتحدة لا تستطيع أن تختلف مع إسرائيل فى هذا الموضوع أو غيره فى مثل هذا الوقت .

٤ – إن وقف إطلاق النار الآن بينما القوات المصرية فى مواقعها الحالية معناه أن السلاح السوفيتى حقق نتيجة ، وأن الدبلوماسية السوفيتية تمكنت من حماية هذه النتيجة .

٥ – إن ذلك كله معناه أن أية مفاوضات سوف تجرى بعد ذلك سوف تتم تحت تهديد العودة إلى استعمال السلاح .

وقد أضاف « هنرى كيسنجر » إلى هذا التحليل تعقيباً قال فيه : « إنه يبدو له أن الأطراف على الجانب الآخر (يقصد مصر وسوريا والاتحاد السوفيتى) – لا تنسق مع بعضها . وهذا يعطينا الوقت الذى نطلبه لتغيير الموقف العسكرى » (٢) .

وقرر « كيسنجر » أن يمارس مع « دوبرينين » نوعاً من « لعبة القط والفأر » . وفى محاولة منه لكسب الوقت دون إثارة شكوك « دوبرينين » – فإنه اتصل به يقول له « إن الاقتراح السوفيتى بناء لكنهم يحتاجون بعض الوقت لدراسته » .

وألح « دوبرينين » بأن الوقت ضيق ، والضغوط شديدة . ووعده « كيسنجر » بأن يتصل به فى أقل من نصف ساعة .

وحتى الساعة الحادية عشرة والنصف صباحاً (بتوقيت واشنطن) – لم يكن « هنرى كيسنجر » قد اتصل بـ « أناتولى دوبرينين » . ورأى « دوبرينين » أن يعاود الاتصال دؤوبا وملحا . ورد « كيسنجر » عليه بأنه « لم يستطع حتى الآن لسوء الحظ أن يتحدث مع الرئيس نيكسون ،

---

(٢) مذكرات « هنرى كيسنجر » - الجزء الثانى - بعنوان « سنوات القلاقل » - صفحة ٤٩٨ . ومن الواضح أنه يقصد أن رسائل القناة السرية من مصر ليست داخلة فى علم أحد خارجها !

ويعرض الأمر عليه لأن الرئيس كان مشغولاً مع ضيف من إفريقيا ، هو الجنرال موبوتو رئيس زائير » .

ومرت ساعات . وقبل منتصف الليل بربع ساعة أحس « كيسنجر » أنه لا يستطيع أن يترك السفير السوفيتى معلقاً فى الهواء دون رد على مقترحاته فى الصباح . ولم يكن لديه حتى تلك الساعة رد على مقترحات « دوبرينين » لأن هدفه كان لا يزال كسب الوقت . وهكذا هداه تفكيره ، طبقاً لروايته هو ، إلى أن يقول لـ « دوبرينين » شيئاً – أى شيء . وهكذا فقد اتصل به تليفونياً قبل منتصف الليل بدقائق ليقول له « إن هناك موضوعاً سياسياً هاماً على وشك أن يعلن ، و « أردت أن أحيطك علماً به قبل إعلانه لكى تتصرف وفق ما تراه مناسباً . لقد تقدم سبيرو أجنيو نائب الرئيس باستقالته ، وتم قبولها ، وسوف تعلن فى مؤتمر صحفى بعد فترة قصيرة » . وربما أنه – أى السفير السوفيتى – يستطيع الآن أن يفهم لماذا تأخر كيسنجر فى الرد عليه ، ولماذا لم يستطع أن يتحدث مع الرئيس نيكسون بشأن مقترحاته (مقترحات السفير السوفيتى) » .

وفى نفس هذا الوقت (الساعة ١٢,٠٥) كان « كيسنجر » يستقبل السفير الإسرائيلى « دينتز » سائلاً عن « آخر ما لديهم من معلومات » ؟ وحين راح « دينتز » يتحدث عن ضراوة القتال ، قاطعه « كيسنجر » قائلاً بنفاد صبر « إنه من الضرورى على إسرائيل أن تسارع بهجومها المضاد ، وأن تحقق به نتائج حاسمة لأننا لا نستطيع تعطيل قرار بوقف إطلاق النار إلى الأبد » .

وعند خروج « دينتز » من مكتب « كيسنجر » ، التقاه مساعده – القائم بأعمال مستشار الأمن القومى الجنرال « برنت سكوكروفت » – الذى رجاه « أن تقوم إسرائيل خلال الـ ٤٨ ساعة القادمة بأقصى جهد ممكن لتغيير الميزان العسكرى على الجبهة » . ومن المفارقات أن « دينتز » رد عليه قائلاً إنه « لا يستطيع أن يربط حكومته بجدول زمنى معين » .

وكان آخر اتصال تلقاه « كيسنجر » تلك الليلة من وزير الدفاع « شليزنجر » الذى أبدى قلقه لوزير الخارجية من أن الضغوط الشعبية على حكومتى الأردن والسعودية تشتد . وقد طمأنه « كيسنجر » بأنه سوف يبعث برسالة أخرى إلى الملك « حسين » يرجوه ألا يتورط فى القتال ، على الأقل في مدى الـ ٤٨ ساعة القادمة ، « لأننا نقوم بمسعى جاد من أجل وقف إطلاق النار ، واشتراككم الآن فى القتال سوف يؤدى إلى تعقيد المسائل » .

وفيما يتعلق بالسعودية فإن « كيسنجر » طمأن « شليزنجر » أيضاً بأنه « يسعى بكل جهده لقرار بوقف إطلاق النار . ومع أنه يعرف أن هناك لواء سعودياً يتحرك فى اتجاه سوريا ، إلا أن هذا اللواء سوف يحتاج إلى أيام حتى يصل ويشترك فى المعارك . وعندما يحدث ذلك فسوف يكون الموقف قد تغير » .

□

وكان آخر ما فعله « كيسنجر » فى ذلك اليوم أن كتب بعض خواطره قبل أن يأوى إلى فراشه . وقد سجل أنه يشعر بنوع من الرضا رغم سوء الموقف العسكرى بالنسبة لإسرائيل . وسبب ذلك فى تقديره :

١ - أنه الآن على اتصال فى شأن الأزمة بجميع الأطراف : العربية ، والإسرائيلية ، والسوفيتية ، وحتى منظمة التحرير (٣) .

٢ - وهو يحقق خطته ويتحكم فى إيقاع الحركة الدبلوماسية الدولية فى مجلس الأمن .

٣ - وقد نجح بالكامل فى فتح الباب على مصراعيه لتدفقات السلاح إلى إسرائيل .

٤ - وهو يأمل أن يتمكن الجيش الإسرائيلى من « تحويل الدفة » فى ميدان القتال ، حتى يستطيع هو أن يمسك بالدفة بسرعة فى مجلس الأمن .

---

(٣) ذكر « كيسنجر » فى مذكراته أنه فى ذلك اليوم تلقى رسالة على لسان السيد « ياسر عرفات » . وقد ورد ذلك فى صفحة ٥٠٣ من الجزء الثانى من مذكراته بعنوان « سنوات القلاقل » .

الفصل الثامن

يوم ١١ أكتوبر

١

١١ أكتوبر فى القاهرة (صباحاً) :

كانت إشارات الخطر قد بدأت فى الظهور على آفاق ميادين القتال - لكن أحدا لم يتنبه بالقدر الكافى لملاحقة الإشارات وربطها معاً ، واستخلاص النتائج التى كان يجب استخلاصها منها . ربما كانت أسباب ذلك القصور راجعة إلى مجموعة عوامل تكاثفت معاً فغطت على بعض جوانب الصورة :

١ - أن الرئيس « السادات » فى ذلك الوقت بدأ يركز أكثر على اتصالاته مع « كيسنجر » . وقد راوده ظن أن هذه الاتصالات هى النقطة التى يجب أن يكثف عليها جهده الرئيسى .

٢ - أن التنسيق بين الجبهتين المصرية والسورية كاد يتلاشى ، وكل ما بقى منه هو إمكانية تبادل بعض المعلومات عن سير العمليات فى حدود ما يقوم به ضباط الاتصال بين الجبهتين .

٣ - أن قرار القائد الأعلى (الرئيس « السادات ») والقائد العام (الفريق « أحمد إسماعيل ») بأن تتخذ القوات المصرية على الجبهة « وقفه تعبوية » ، ثم إعلان هذا القرار - أدى إلى نوع من البلبلة لم تعد القوات إزاءه واثقة بالضبط من طبائع مهامها فى هذه المرحلة من القتال .

٤ - أن مدد السلاح الأمريكى لإسرائيل راح يحدث تأثيره على الجبهة .

وفى المحصلة ، فإن إدارة الحرب على كل الجبهات بدأت تهتز بطريقة محسوسة على الأرض لأول مرة .

□

وفى الصباح الباكر قرأ الرئيس « السادات » – كعادته فى تلك الأيام – تقرير مكتبه للشئون العسكرية ، وكان نصه على النحو التالى :

« سرى جداً

تقرير موقف رقم (٦)

تقرير موقف اليوم السادس قتال ١٩٧٣/١٠/١١

□ **العدو :**

- تركزت هجمات العدو الجوية على بورسعيد وبعض المطارات المتقدمة والمعابر . وتكبد العدو خسائر جسيمة فى الطائرات .
- بدأ العدو فى تنشيط أعمال التخريب فى العمق .
- قام العدو بعدة طلعات للاستطلاع وتصوير والكترونية على الجبهة حتى الزعفرانة .

خسائر العدو :

- ٢٣ طائرة
- ١٢ دبابة
- ١٥٩ أسيرا حتى الآن

عدد كبير من القتلى والجرحى

عدد كبير من المعدات

□ **قواتنا :**

- تمكنت قواتنا من صد الهجمات المضادة .
- تتقدم قواتنا على الساحل الشرقى لخليج السويس بالرغم من تعرضها لقصف جوى شديد .
- استعادت منطقة بورسعيد موقف الدفاع الجوى حيث أسقطت ٤ طائرات .

□ **الجبهة السورية :**

- اخترق العدو فى القطاع الشمالى من خط وقف إطلاق النار على الجبهة السورية وبعمق من ٣ – ٥ كم ، وتمكن من عمل ثغرة اختراق .
- قام العدو بقصف جوى على مطارات وقواعد وأهداف حول دمشق ، وأسقط للعدو ٢٣ طائرة فى هذه الهجمات .

□ **التعليق :**

- يحاول العدو إتمام السيطرة على الموقف على الجبهة السورية للتفرغ للجبهة المصرية .
- من المنتظر أن يعيد العدو تجميع قواته ويحشد طاقاته لتوجيه ضربة جوية فى حدود من ٢٤ – ٤٨ ساعة ، وضربة برية مضادة فى حدود من ٤٨ – ٧٢ ساعة من الآن ضد رأس الكوبرى .

- **سيعمل العدو على استعادة المبادأة خلال هذه الفترة وتنشيط العمليات الخاصة واستمرار التركيز على قصف بورسعيد ورادارات الإنذار ، مع استمرار إجهاد القوات واستنزافها فى منطقة رأس الشاطىء .**
- **يتضح من دراسة أساليب قتال العدو الجوى استخدام طيارين متطوعين جدد فى المعركة .**

☐

وفى الوقت الذى كان الرئيس « السادات » فيه يفرغ من قراءة هذا التقرير ، كانت الصورة على الأرض فى ميدان القتال قد أصبحت أكثر مدعاة للقلق . فالقوات التى أشار تقرير مكتب الشئون العسكرية إلى « تقدمها على الساحل الشرقى لخليج السويس بالرغم من تعرضها لقصف جوى شديد » – كانت تواجه موقفاً بالغ الحرج . ذلك أن الإشارات التى وصلت إلى القيادة العامة من قيادة الجيش الثالث وقيادة الفرقة ١٩ مشاه ، راحت تتحدث عن « أن الاتصال أصبح مفقوداً تماماً مع اللواء الأول ، ولا أحد يعرف على وجه التحديد ماذا حدث له » . ثم تبين أن هذا اللواء « فقد ٩٠٪ من رجاله وأسلحته ومعداته » (١) . وقد استدعى ذلك قيام رئيس أركان حرب القوات المسلحة المصرية بزيارة سريعة للجبهة لكى يطمئن بنفسه على عملية إنقاذ ما يمكن إنقاذه من رجال ومعدات اللواء الأول (الفرقة ١٩ مشاه) . وبالفعل فقد نجحت إلى حد ما عملية إنقاذ أكبر عدد ممكن من الرجال والمعدات .

وعاد رئيس أركان حرب القوات المسلحة المصرية من الجبهة ، وقدم تقريراً قال فيه « إن الموقف على الجبهة مطمئن ، والقوات هناك قادرة على صد أى هجوم مدرع آخر » . لكن رئيس الأركان لاحظ ما أسماه فى تقريره بـ « نقط ضعف خطيرة فى مدى السيطرة على الكبارى ووسائل العبور المختلفة » (٢) .

☐

وعند الظهر ، اتصل الدكتور « محمود فوزى » تليفونياً بالرئيس « السادات » قائلاً له إنه « لا يريد إزعاجه ، وأنه منذ بداية القتال حرص على أن يتابع من بعيد مجريات الحوادث دون أن يقترب ، حتى لا يشكل اقترابه نوعاً من الإلحاح على الرئيس بينما هو يشعر أن زحام الحوادث من حوله شديد – لكنه الآن بدأ يحس بهواجس رأى معها – « وأمره لله » – أن يقول ما عنده » . وأبدى الدكتور « فوزى » بعد ذلك مجموعة من الملاحظات :

١ – قال إن ما وصله من معلومات يظهر له أن الموقف على الجبهة السورية يزداد خطورة .

٢ – وفى نفس الوقت فإن إعلان « وقفة تعبوية » للقوات المصرية قد زاد من قلقه ، فقد كان يتصور أن الموقف على الجبهة السورية يدعونا إلى تشديد الضغط بدلاً من وقفة سواء كانت تعبوية أو غير تعبوية .

٣ – إنه يشعر من متابعته لما يجرى فى مجلس الأمن ومن تقارير البعثة الدائمة هناك أن هناك

---

(١) نص الإشارة كما أوردها الفريق « سعد الدين الشاذلى » فى مذكراته عن حرب أكتوبر - صفحة ٢٤٣ .

(٢) نفس المصدر - صفحة ٢٤٤ .

محاولة لتعطيل صدور قرار عن المجلس ، وبطريقة يبدو أنها مرتبة لغرض فى نفوس المدبرين لهذا الترتيب » .

وكان رد الرئيس « السادات » على ما سمع هو قوله للدكتور « فوزى » إنه « وافق على الوقفة التعبوية لنفس السبب الذى بدأ به الدكتور « فوزى » ملاحظاته ، وهو سوء الموقف على الجبهة السورية ، ذلك لأنه فى حرصه على سلامة القوات المصرية يريد لها أن تأخذ موقف دفاع تكون به فى وضع مناسب لها حينما يتحول الجهد الرئيسى لإسرائيل إلى الجبهة المصرية » .

وكانت الملاحظة الأخيرة للدكتور « فوزى » خلال هذا الحديث أنه « إذا كان ذلك رأى العسكريين وتقديرهم ، فهو يحترمه لأنهم أدرى بضروراتهم من مدنى يتابع الموقف من بعيد » . وعقب الرئيس « السادات » بقوله للدكتور « فوزى » : « اطمئن .. اطمئن .. فأنا ماسك الأمور فى يدى » .

ولم يكن الشعور بالقلق مقصوراً على الدكتور « فوزى » ، فقد عاد مكتب الشئون العسكرية يبلغ الرئيس تليفونياً بأن إعلان قرار « الوقفة التعبوية » قد أدى إلى إحداث ارتباك بين القوات ، وأصبح موضوعاً لمناقشات كثيرة بين الضباط على كل المستويات ومن مختلف الرتب . كما أن وزارة الداخلية ووزارة الإعلام أبلغتاه بأن هناك تساؤلات فى أوساط الرأى العام عن معنى ومدلول قرار « الوقفة التعبوية » !

واتصل الرئيس « السادات » بالفريق « أحمد إسماعيل » وتحدث إليه فى التأثير الناشىء عن « الوقفة التعبوية » . وكانت معلومات وزير الحربية متفقة مع غيرها من المعلومات عن وقوع « بلبلة » فى الجبهة بسبب إعلان القرار . ثم اتصل الرئيس « السادات » بآخرين فى القيادة وفى المخابرات العسكرية والمخابرات العامة . ثم بدأ يتردد .

ثم ما لبث بعد الظهر بقليل أن اتصل بالقائد العام الفريق « أحمد إسماعيل » يطلب منه أن يكون جاهزاً فور تلقى الأمر – لتنفيذ المرحلة الثانية من الخطة ، وذلك بالتقدم فى إتجاه المضايق !



١١ أكتوبر فى تل أبيب :

اجتمع مجلس الوزراء الإسرائيلى عند الظهر تماماً ليستمع إلى تقرير مشترك قدمه وزير الدفاع « موشى ديان » ، والمسئول العام عن الجبهة الجنوبية الجنرال « بارليف » . وقد ركز ديان

على الجبهة الشمالية قائلاً « إن الاستراتيجية العامة لإسرائيل قد أمكن تطبيقها ، ذلك أن القوات الإسرائيلية تمكنت من احتلال أراضى جديدة للمساومة عليها مع السوريين . وقد أمكن تحقيق هذا التقدم بقوات جديدة استدعيت من الاحتياطي ولم تشترك حتى الآن فى أى قتال . وقد دخلت هذه القوات الطازجة (fresh) وتمكنت من احتلال جيب عمقه ١٠ كم » . وأضاف « ديان » أن المخابرات الإسرائيلية التقطت إشارات من القيادة السورية موجهة إلى القائد العام للقيادة المشتركة فى مصر تلح عليه بالتحرك لتخفيف الضغط على الجبهة السورية . كذلك وصلتهم معلومات بأن السوفيت بدورهم يلحون على مصر بأن تقوم بعمل من شأنه تخفيف الضغط على سوريا .

وأما الجنرال « بارليف » فقد تقدم للمجلس بمشروع خطة لعبور إسرائيلى مضاد إلى الضفة الغربية من قناة السويس ، على أن يتم ذلك فى المفصل الحرج بين مواقع الجيشين الثانى والثالث . وخوله المجلس دراسة هذه الخطة وإعدادها للتنفيذ فور صدور قرار سياسى بالبدء فى تنفيذها .



١١ أكتوبر فى واشنطن :

بعد ظهر هذا اليوم (١١ أكتوبر) اتصل الرئيس « نيكسون » بـ « هنرى كيسنجر » مستفزاً وساخطا ، وقال له إنه رأى الآن على التليفزيون وقائع مؤتمر صحفى عقده الجنرال « ديان » وقد وقف فيه يقول « إن الجيش الإسرائيلى فى الطريق إلى دمشق » . وكان رأى « نيكسون » أن هذا التصرف من جانب « ديان » وفى هذا الوقت تصرف غير مسئول ، وهو محرج لـ « نيكسون » إزاء الاتحاد السوفيتي وإزاء غيره . وقد طلب الرئيس الأمريكى من وزير خارجيته أن يستدعى السفير الإسرائيلى ، وأن يبلغه غضبه الشديد على تصرفات الجنرال « ديان » الذى يريد الآن بالتفاخر الأجوف أن يصحح صورته المهزوزة أمام الرأى العام الإسرائيلى والرأى العام العالمى .

وقام « كيسنجر » بالفعل بالاتصال بـ « دينتز » ، وكان فى زيارة خارج السفارة ، فطلب إلى نائبه « شاليف » أن يجيء إلى مقابلة عاجلة معه ، وأبلغه برسالة على لسان الرئيس الأمريكى جاء فيها [٣] : « إنه ليس تصرفاً معقولاً من جانبكم أن تطالبونا من ناحية بتعطيل إجراءات الأمم المتحدة ، ومن ناحية أخرى تتركون ديان لكى يعلن فى الإذاعة والتليفزيون أن قواتكم زاحفة إلى دمشق . كيف يتسنى لنا تعطيل إجراءات الأمم المتحدة إزاء تصريحات من هذا النوع يدلى بها

(٣) مذكرات « هنرى كيسنجر » ـ الجزء الثانى ـ بعنوان « سنوات القلاقل » ـ صفحة ٥٠٤ .

وزير دفاعكم ؟ إن هذه التصرفات تظهر أمام الآخرين أننا متواطئون معكم بشكل من الأشكال ، كما أنها تكشف وجود نوايا سيئة تستفز كل الناس » .

وعاد « نيكسون » يطلب « كيسنجر » مرة أخرى ، ويطلب إليه تبليغ السفير الإسرائيلى « دينتز » أنه « سيعتبره شخصياً مسئولاً أمامه إذا تكررت مثل هذه التصريحات على لسان أحد من الرسميين فى إسرائيل » . ثم أضاف « نيكسون » إلى ذلك طلبه من « كيسنجر » أن يتصل بالسفير السوفيتى « دوبرينين » وأن يحاول تهدئته ، وأن يخدر أعصابه بكل الوسائل .

□

وتلقى « كيسنجر » فى الساعة الثالثة بعد الظهر تقريراً من موسكو يشير إلى « أن الاتحاد السوفيتى قد كثف مساعداته لسوريا ، وأن أمرا قد صدر من وزارة الدفاع فى موسكو بوضع ثلاث فرق من القوات المحمولة جوا تحت حالة تأهب » . ودعا « كيسنجر » إلى اجتماع طارىء لمجموعة العمل ، وعرض أمامها آخر تطورات الموقف قائلاً « إنه سعيد بالأخبار الواردة من الجبهة السورية ، ولو أنه كان يتمنى لو أن إسرائيل لم تعلن ولم تتفاخر بما حققته قواتها من تقدم حتى لا تسبب قلقاً للاتحاد السوفيتى » .

وكان التقدير العام فى اجتماع المجموعة الخاصة أنه حتى لو صحت الأخبار الواردة من موسكو عن وضع ثلاث فرق محمولة جوا فى حالة تأهب – فإن أى تدخل سوفيتى مباشر فى المعركة لا يزال أمراً مستبعداً ، إلا إذا أقدمت إسرائيل على عمل أحمق بدخول دمشق . وقد جرى استبعاد هذا النوع من الحماقة الإسرائيلية .

ثم انتهت مجموعة العمل بعد مراجعة مختلف جوانب الموقف ، إلى أن الأمور بدأت تتخذ منحنى خطراً يؤثر دون شك على العلاقات بين القوتين الأعظم ، وأن دواعى الحرص تفرض على الولايات المتحدة الآن أن ترفع يدها عن الأمم المتحدة بما يسمح بصدور قرار بوقف إطلاق النار .

□

وفى الساعة السادسة مساء تلقى « هنرى كيسنجر » اتصالاً تليفونيا من « ادوارد هيث » رئيس الوزراء البريطانى . وكان « هيث » يريد أن يبلغ « كيسنجر » بأن « الملك حسين يضغط عليه طول اليوم لكى يسمح له بإرسال لواء للقتال على الجبهة السورية ، لأن الضغوط الشعبية والسياسية النازلة عليه وصلت إلى درجة يصعب احتمالها . وقد رأى أن يطلب عن طريق لندن تأكيداً بأن الإسرائيليين لن يتخذوا من ذلك ذريعة لهجوم إسرائيلى على الأردن » .

ثم تطرق « هيث » إلى الموضوع الثانى الذى دفعه إلى الاتصال بـ « كيسنجر » وهو رأى الحكومة البريطانية بأنه « لم يعد ممكناً تعطيل دور مجلس الأمن بأكثر مما تعطل ، وأن الوفد البريطانى فى نيويورك أصبح يرى أن تلك ضرورة لا تحتمل التأجيل ، وإلا فقدت الولايات المتحدة ، وبريطانيا معها ، كل مصداقية لهما فى المجتمع الدولى » .

وقد تشاور الاثنان طويلاً فى هذه النقطة ، واستقر الرأى بينهما على أنه قد يكون مناسبا أن يشرع الوفد البريطانى فى إجراء مشاورات فى الأمم المتحدة بقصد التوصل إلى مشروع وصيغة قرار يقدم إلى مجلس الأمن .

□

وفى المساء تلقى الدكتور « كيسنجر » من الرئيس « السادات » بتوقيع السيد « حافظ إسماعيل » ـ رسالة كانت لها دلالتها فى التعبير عن الأوضاع المتغيرة فى ساحات القتال . وكان نص الرسالة كما يلى (*) :

عزيزى الدكتور كيسنجر

أبعث إليكم بهذه الرسالة العاجلة جداً لكى ألفت انتباهكم إلى تطور خطير جدا ، سوف يجعل الموقف أشد خطورة ومبعثاً على القلق إلى أقصى حد .

ففى يوم ١٠ و ١١ أكتوبر ، هاجمت الطائرات الإسرائيلية أهدافاً مدنية فى داخل دلتا النيل ، حيث بلغت الخسائر زهاء خمسمائة ما بين قتيل وجريح .

وأود أيضاً أن أعيد إلى الأذهان رسالتى المؤرخة ٩ أكتوبر ، التى وجهت فيها نظركم إلى قيام إسرائيل بقصف بورسعيد ، قصفاً دام من يوم ٩ أكتوبر إلى يوم ١١ أكتوبر .

وقد أمرنى الرئيس بأن أبعث إليكم بهذه الرسالة على أمل أن النفوذ الأمريكى سوف تجرى ممارسته لكبح جماح إسرائيل عن مثل هذه التصرفات . يضاف إلى ذلك أنه أمرنى بأن أوضح بجلاء إنه إذا استمرت عمليات القصف هذه ، فإن مصر ترى نفسها حرة فى اتخاذ أى عمل تدعو إليه الحاجة .

مع أطيب تحياتى .

حافظ إسماعيل »

كان الواضح فى هذه الرسالة أمران :

● **الأمر الأول** ـ أن مصر تشكو إلى الولايات المتحدة وتطلب تدخلها لدى إسرائيل لأول مرة منذ بدء القتال .

● **والأمر الثانى** ـ أن مصر فى واقع الأمر تخطر الولايات المتحدة بأنها تعتزم القيام بعمل آخر يتناقض مع تعهدها فى ثانى يوم من أيام القتال « بأنها لا تعتزم تعميق مدى الاشتباكات أو توسيع مدى المواجهة » .

وقد رد « كيسنجر » على رسالة الرئيس « السادات » إليه فوراً . واتخذ فى رده طابعاً هجومياً ظهرت فى بعض عباراته نبرة تهديد . وجاءت رسالته على النحو التالى (**) :

(*) فى ملحق صور الوثائق توجد صورة من هذه الرسالة ، وهى منشورة تحت رقم (٦٧) – على صفحة ٨٠٦ من الكتاب .

(**) فى ملحق صور الوثائق توجد صورة من هذه الرسالة ، وهى منشورة تحت رقم (٦٨) – على صفحة ٨٠٧ من الكتاب .

« شكراً لرسالتكم المؤرخة ١٩٧٣/١٠/١١ ، التى أبلغ محتواها فوراً بطبيعة الحال إلى الرئيس نيكسون .

إنكم تدركون طبعاً حقيقة أن الولايات المتحدة على غير معرفة بتفاصيل أى عمليات عسكرية إسرائيلية ، كما أنها لا تحاط علما مقدماً بهذه العمليات .

ومع ذلك فإن الولايات المتحدة سوف تستخدم أقصى حد من النفوذ لمنع أى هجوم على الأهداف المدنية . وقد قدمت احتجاجات شديدة فى هذا الشأن إلى الحكومة الإسرائيلية .

ومن المهم فى هذا الصدد الإشارة إلى أن الأباطيل والأكاذيب السافرة عن النشاط الأمريكى فى الأزمة الراهنة ، تجعل الأمور صعبة جداً ، فأنباء القاهرة الصحفية القائلة بأن قوات الولايات المتحدة متورطة فى العمليات العسكرية ، أنباء مختلقة بدرجة صارخة كليا ، إذ ليس هناك قوات للولايات المتحدة مشتركة فى عمليات عسكرية ، وما من قوات أمريكية سوف تشترك بأى سبيل ، ما لم تتدخل دول أخرى من خارج منطقة القتال .

وترغب الولايات المتحدة فى أن تؤكد مرة أخرى أنها سوف تبذل غاية جهدها لانتهاج سلوك يتيح لها المقدرة على القيام بدور مفيد فى حل مشاكل الشرق الأوسط ، بإنهاء القتال الحالى والوصول إلى سلام دائم قائم على العدل ، على حد سواء .

والولايات المتحدة على استعداد للنظر فى فهم ونية طيبة ، لأية جهود مصرية تبذل لإنهاء القتال ، ولسوف تحاول أن تكون ذات جدوى حين ينتهى القتال ، ومهما كانت الضغوط التى لا مناص منها فى الوقت الراهنْ ، فإن الولايات المتحدة تأمل فى أن لا تغيب عن نظر كلا الجانبين ، هذه الحقيقة .

مع تحياتى الشخصية الحارة .

دكتور كيسنجر »

وكان الرأى العام العربى فى حالة هياج . فقد كانت صورة ما يجرى على الجبهة السورية واضحة للناس إزاء خطر تتعرض له دمشق ، كما أن موضوع « الوقفة التعبوية » على الجبهة المصرية بدا غير مفهوم ، ومثيراً لأشد دواعى القلق . وتعالت أصوات عربية تطالب باستعمال سلاح البترول كوسيلة للضغط على الغرب ، والولايات المتحدة فى مقدمته .

ورأى « كيسنجر » أن يعقد مؤتمرا صحفياً يوضح فيه دوافع الموقف الأمريكى . وكان مؤدى ما قاله فى هذا المؤتمر : « إن الولايات المتحدة تقوم بجهد جاد لتسوية الأزمة فى الشرق الأوسط ، آخذة فى اعتبارها آراء ومشاعر ومخاوف العرب . لكنها فى نفس الوقت لا تقبل الابتزاز بكثرة النداءات عن استعمال سلاح البترول ، وهى مستعدة فى هذا الصدد لمواجهة كل الاحتمالات » .



١١ أكتوبر فى القاهرة (مساء) :

لم تكن النذر التى بدت إشاراتها فى ميدان القتال ظاهرة فى قصر الطاهرة مساء ذلك اليوم

(١١ أكتوبر) . فقد وصل « محمد حسنين هيكل » إلى القصر ليجد السيدة « جيهان السادات » ومعها أولادها جميعاً ينتظرون أن يفرغ الرئيس « السادات » من مقابلته مع وزير الدفاع الكويتى الشيخ « سعد العبد الله الصباح » ، لكى يجلسوا معه . وكانت ابنته الصغرى « جيهان » تقول إنها لم تر « بابا » منذ أسبوع . وقد راحت تدق قدميها متلهفة للقاء أبيها . وانصرف الشيخ « سعد العبد الله » ، وودعه حتى باب القصر الفريق « أحمد إسماعيل » الذى حضر المقابلة معه ، ثم عاد إلى الصالون ، وصعد الجميع معه إلى الدور الثانى حيث كان الرئيس لا يزال جالساً وأمامه بعض الخرائط ، وإلى جانبه المهندس « عبد الفتاح عبد الله » وزير الدولة . ويبدو أنه كان يستعمل هذه الخرائط أثناء حديثه مع وزير الدفاع الكويتى .

ودار حديث عن الصورة العامة . ولمح الفريق « أحمد اسماعيل » طبقاً من الفاكهة على مائدة فى الغرفة ، وتذكر أنه جائع ، فقام وعاد بعنقود من العنب راح يأكل حباته . ونهض الرئيس « السادات » قائلاً إنه سوف يغير ملابسه ثم يعود ثانية . ومن غرفة نومه بعث فاستدعى « محمد حسنين هيكل » الذى دخل فوجده يخلع ملابسه العسكرية ويرتدى بيجامة ذات خطوط رمادية .

وكان الرئيس « السادات » فى مزاج بدا مختلفاً بشدة عن الإشارات الواردة من ميادين القتال . فقد بدأ يتحدث عن ارتياحه للوضع فى سوريا ، وكيف أن السوريين تمكنوا من تثبيت الجبهة . وأن الإمدادات تتدفق عليهم من الاتحاد السوفيتى ، وقد وصلتهم اليوم حمولة ٤٠ طائرة . ثم أشار إلى رسالة تلقاها من الملك « حسين » قائلاً : « حسين خايف يضربوه على الجبهة الأردنية ، وعاوز يبعث قوات للجبهة السورية تساعد ... عامر خماش (رئيس الأركان الأردنى) كان عندى قبل الشيخ سعد (العبد الله) وجاب رسالة من الملك » .

ثم استطرد الرئيس : « فيه لواء سعودى فى الطريق مغزاه سياسى ... بصرف النظر عن الناحية العسكرية » .

ثم واصل كلامه قائلاً : « بعثت رسالة اليوم للبكر أطلب منه السماح باستخدام طيارة الردع الـ « تى يو » من بغداد ضد إسرائيل ... بعث البكر يقول لى حاضر » .

وواصل كلامه : « أحمد اسماعيل أول ما دخل كان عاوز يقول لى إن السوريين استطاعوا تثبيت الهجوم المضاد الإسرائيلى . قلت له يا أحمد أنا عارف قبل ما تقول لى ، وأنا مطمئن » .

ثم قال : « حكمتك يارب . كل الناس فى العالم العربى بياخدوا منى دلوقتى أوامر . أقول أى شىء يقولوا حاضر يا فندم » .

ثم انتقل الرئيس بدون مقدمات إلى حكاية أخرى ، فقال : « تعرف أنا صليت الجمعة اللى فاتت فين ؟ صليت فى زاوية صغيرة كنت صليت فيها من خمسين سنة أول ما جيت القاهرة من السودان وعمرى أربع سنين ، وكنا ساكنين فى منشية البكرى . قبل الحرب يوم الجمعة الماضية (٥ أكتوبر) صليت هناك تفاؤلاً . والجمعة بكرة رايح أصلى هناك . غريبة الزاوية زمان كان فيها لمبة جاز ، دلوقتى بقت لمبة كهرباء ، لكن ما زالت زى ما هى » .

ثم عاد إلى حديث الموقف الراهن ، فقال : « فيصل ماشى كويس ويتصرف بطريقة معقولة وهادية . وشيخ أبو ظبى بعث لى النهاردة من لندن شيك بمائة مليون دولار .. الصبح كان عندى عزيز (يقصد الدكتور « عزيز صدقى ») جالى بمشروع عن إعادة التعمير بعد المعركة ، وكانت عينيه بتلعب وهو بيتكلم . وكدت أكلفه بمسئولية التعمير لكن افتكرت أنه حيعمل مجلس وزراء تانى غير مجلس الوزراء الموجود ، وسوف ندخل فى مشاكل أنا فى غنى عنها الآن » .

ثم استطرد: « شوف يا محمد ، أنا حاطلب من العرب بليون دولار . وعايز أحجز منها ١٠٠ مليون لمطالب ما بعد المعركة » .

ولم تكن هذه الآمال والمشاعر السياسية والإنسانية متسقة بالكامل مع النذر الظاهرة فى سماء ميدان القتال تلك الليلة .

الفصل التاسع

يوم ١٢ أكتوبر

١

١٢ أكتوبر فى القاهرة :

كان الرئيس « السادات » متعباً هذا اليوم ومرهقاً . وقد قال لـ « محمد حسنين هيكل » حين اتصل به فى الصباح – كما كان يفعل كل يوم – إنه لم ينم بالأمس لأن الغارة على مدينة بورسعيد ، والإصابات التى حدثت للمدنيين – رجالاً ونساء وأطفالاً – ضايقته . واختار « محمد حسنين هيكل » أن يذهب إليه بنفسه فى قصر الطاهرة ، وكان عادة لا يفعل ذلك فى الصباح مكتفياً بزيارة مسائية أصبحت شبه عادة تقليدية طوال تلك الأيام . وقد كان يذهب إلى قصر الطاهرة بعد انتهاء عمله فى « الأهرام » ، ويجد الرئيس « السادات » جالساً فى الشرفة المطلة على حديقة القصر وقد ارتدى بيجامته وتدثر فوقها بعباءة سميكة سوداء ، لأن نسمات الليل فى هذا الوقت من أكتوبر كانت تجىء معها ببوادر برد الخريف . وفى العادة فقد كانت هذه الجلسة تضم ثلاثة أو أربعة أشخاص من الذين يستريح إليهم الرئيس « السادات » ، وفى مقدمتهم زوجته السيدة « جيهان » والمهندس « سيد مرعى » ، وينضم إليهم أحياناً الدكتور « أشرف مروان » سكرتير الرئيس للمعلومات حاملاً معه باستمرار مجموعة من آخر التقارير والأخبار . وفى بعض المرات كان يجىء إلى الشرفة المهندس « عبد الفتاح عبد الله » وزير شئون رئاسة الجمهورية حينما تطرأ حاجة تدعوه أو تستدعيه إلى إبلاغ الرئيس بشىء .

□

وفى ذلك اليوم (١٢ أكتوبر) وصل « محمد حسنين هيكل » إلى قصر الطاهرة بعد حديثه التليفونى مع الرئيس « السادات » وقد استشعر ضيقه - فوجده ما زال فى فراشه لم يغادره حتى هذه الساعة (العاشرة والربع) .

ودار الحديث عن تطورات المعركة وضرورة تطوير الجانب الشعبى منها . وكان المهندس « سيد مرعى » قد حمل التقرير الذى أعده الدكتور « مصطفى خليل » عن استعمال البترول فى المعركة ، وسلمه للملك « فيصل » مع رسالة شخصية من الرئيس « السادات » قبل ساعات . والآن كان « هيكل » يحمل نسخة من تقرير ثان كتبه الدكتور « عزيز صدقى » عن طريقة العمل للإضرار بالمصالح الأمريكية فى المنطقة .

وكان رأى « هيكل » بعد حوار طويل جرى فيه استعراض الموقف من جميع جوانبه :

« أن الوقت قد حان لممارسة نوع من الضغط على الولايات المتحدة وعلى مصالحها . فالمساندة الأمريكية لإسرائيل ظاهرة ، والرأى العام العربى ضاغط ، ومسار الأحداث على جبهات القتال يستدعى جهداً مضافاً .

ولقد مضى الآن أسبوع كامل على بدء القتال ، وقامت القوات العربية المسلحة طواله بأداء واجبها وزيادة على كل الجبهات ، كما أن كل الناس وراء الخطوط يعملون ، والاتحاد السوفيتى يتحرك كما لم يتحرك فى أى أزمة من قبل - وإذن فهى اللحظة المناسبة لدخول البترول العربى لأداء دوره ، وإلا فإنه إذا تأخر عن الوقت المناسب قل تأثيره وضعفت فاعليته » .

ولم يظهر الرئيس « السادات » حماسة شديدة للبحث فى هذه التفاصيل . وكان واضحاً أن غارة بورسعيد ما زالت تلح على أعصابه .

□

وقرأ الرئيس « السادات » تقرير مكتب الشئون العسكرية عن اليوم السابع قتال . وكان نصه كما يلى :

« سرى جداً

تقرير موقف رقم (٧)

تقرير موقف عن اليوم السابع قتال ١٩٧٣/١٠/١٢

□ العـدو :

- **يستمر العدو فى تركيز مجهوده الرئيسى وخاصة الجوى على الجبهة السورية لليوم الرابع على التوالى ، مع استمرار محاولاته لإشغال قواتنا على الجبهة المصرية .**
- **يحافظ العدو على الاتصال بقواتنا البرية والقيام بهجمات مضادة .**
- **يستعد العدو للقيام بمجهوده الرئيسى للجبهة المصرية خلال ٢٤ - ٤٨ ساعة .**
- **ما زال العدو محتفظاً ببعض النقط القوية ، وطلبت النقطة القوية فى لسان بورتوفيق التسليم .**

- انخفض نشاط العدو البحرى مع إصابة زورق فى منطقة مرسى السادات .
- تدمر للعدو عدد ٢ طائرة هليوكوبتر حاولت الاختراق .
- قام العدو بعدة طلعات للاستطلاع وركز قصف منطقة بورسعيد .

□ خسائر العدو :

- ٢٢ طائرة مقاتلة
- ٧ طائرة هليوكوبتر
- ٢٨ دبابة

قتلى وجرحى ٢١٤

□ قواتنا :

- تعزز قواتنا فى منطقة رأس الشاطىء .
- قامت قواتنا بصد عدة هجمات مضادة .
- تمكنت وحدات الصاعقة من صد وإيقاف مدرعات العدو فى وادى سدر .
- تم قصف مدرعات وتجمعات العدو .
- قامت قواتنا بعدة عمليات استطلاع للمنطقة التكتيكية شرق القناة .
- أصابت قوات الدفاع الجوى عدد ١٢ طائرة مقاتلة و ٣ طائرة هليوكوبتر فى قطاع بورسعيد والجبهة .

□ الجبهة السورية :

- استمر العدو فى تطوير هجومه فى ثغرة الاختراق فى القطاع الشمالى والأوسط .
- أسقط العدو كتيبة مظلات فى منطقة العدسية / كفر الماسخ .
- اشترك اللواء العراقى المدرع فى تثبيت العدو وتوجيه ضربة مضادة ، ومنعه من تطوير هجومه شرقاً ، ومنع قوات العدو من الاتصال بكتيبة مظلات العدو . واستعاد الأوضاع .
- معركة بحرية بين عدد ٩ قطع بحرية للعدو وعدد من زوارق الصواريخ السورية فى مواجهة ميناء اللاذقية وتكبد العدو خسائر جسيمة .

□ التعليق :

- من المنتظر أن يستمر العدو فى تركيز مجهوده الرئيسى ضد الجبهة السورية (وخاصة بعد تدعيمها) فى محاولة لتصفية الموقف عليها ، ثم التحول للعمل ضد جبهتنا ، مع استمرار محاولة تقليل فاعلية الطيران المصرى بضرب المطارات الأمامية وكذا فى شمال الدلتا ، والبدء فى التعامل ضد أجناب شبكة الصواريخ د / جو باستغلال إمكانياته الجديدة فى الإعاقة والشوشرة .
- يستمر العدو فى إعادة تجميع قواته فى العمق التكتيكى والتعبوى فى سيناء استعداداً للضربة المضادة - مع استمرار إتباع أسلوبه السابق فى تنفيذ هجمات مضادة محدودة بغرض الإزعاج والإجهاد والاستنزاف لقوات رأس الكوبرى .
- من المنتظر أن يتوسع العدو فى تنفيذ العمليات الخاصة بأعمال الإبرار البحرى والجوى ضد

بعض الأهداف الحيوية والاستراتيجية ومراكز القيادة ومراكز السيطرة والمطارات ووسائل الإنذار ، وخاصة من اتجاه خليج السويس – تتم بغرض الإرباك وتشديد الجهود مستغلاً الفترة القمرية الحالية .

– من المنتظر أن يعمل العدو على بث الذعر فى الجبهة الداخلية بواسطة استخدام الشراك الخداعية وبث الإشاعات والقيام ببعض العمليات الخاصة الفردية (مثل الاغتيالات – أعمال عنف – تخريب – قنابل فى مناطق التجمع العامة .. الخ) مما يتطلب التأكيد على سلامة الإجراءات المضادة لمقاومة أعمال العدو فى هذا الاتجاه » .

□

كانت الضغوط المتعددة الواقعة على الرئيس « السادات » سياسياً وشعبياً – شديدة وقوية . وعاد مرة أخرى إلى الاتصال بالقائد العام الفريق « أحمد إسماعيل » طالباً منه الآن أن يستأنف تطوير الهجوم ، ويعود إلى الخطة الأصلية ويتقدم إلى المضايق . ونتيجة لذلك ، فإن الفريق « أحمد إسماعيل » عقد اجتماعاً لقيادته عند الظهر ، وبدأه بقوله : « إن هناك قراراً سياسياً يحتم علينا ضرورة تطوير الهجوم نحو المضايق ، ويجب أن يبدأ ذلك صباح غد ١٣ أكتوبر » . وحين حاول بعض القادة مناقشته استمع إلى وجهات نظرهم ، ثم كان قوله فى النهاية « إن القرار سياسى » .

وفى الساعة الواحدة والنصف كانت التعليمات الخاصة بتطوير الهجوم قد تم إعدادها . وتحرك اللواء « غنيم » إلى الجيش الثانى ، واللواء « المجدوب » إلى الجيش الثالث ، حاملين معهما الأوامر إلى قائدى الجيشين (١) . وحوالى الساعة الثالثة والنصف بعد الظهر اتصل اللواء « سعد مأمون » قائد الجيش الثانى بالفريق « سعد الشاذلى » رئيس الأركان – عارضاً استقالته وقائلاً « إنه لا يستطيع أن يقوم بتنفيذ التعليمات التى أرسلت إليه مع اللواء غنيم » . ولم تمض بضع دقائق حتى كان اللواء « عبد المنعم واصل » قائد الجيش الثالث يتصل هو الآخر بالفريق « سعد الشاذلى » مبدياً معارضته الشديدة للتعليمات التى وصلت إليه مع اللواء « طه المجدوب » . وتقرر عقد مؤتمر بالقيادة فى الساعة السادسة مساء ، دعى إلى حضوره كل من قائدى الجيشين الثانى والثالث اللواءين « سعد مأمون » و « عبد المنعم واصل » . وامتد المؤتمر إلى قرب منتصف الليل . واستمع القائد العام إلى كل وجهات النظر ، ثم أبدى فى النهاية رأيه وهو « ضرورة تطوير الهجوم لأن ذلك قرار سياسى ويتحتم الالتزام به » . وبعد مناقشات لاحقة قبل القائد العام تأجيل موعد الهجوم ليصبح فجر ١٤ أكتوبر بدلاً من ١٣ أكتوبر .

---

(١) مذكرات الفريق « سعد الدين الشاذلى » بعنوان « حرب أكتوبر » .. صفحة ٢٤٥ .

الطبيعية) – وقد لاحظ « هنرى كيسنجر » أن الرئيس « نيكسون » مستغرق بالكامل فى مشاكله الخاصة بفضيحة « ووترجيت » . ثم إنه فى ذلك اليوم بالذات كان مشغولاً أكثر باختيار نائب رئيس جديد له يعرض اسمه على الكونجرس بعد استقالة « سبيرو أجنيو » . وقد شعر « كيسنجر » أنه فى حقيقة الأمر يستطيع أن يتصرف كما يشاء فى الأزمة عارفاً أن الرئيس ليس لديه وقت كاف لها .

وعند الظهر التقى « كيسنجر » و « دوبرينين » على غداء عمل فى وزارة الخارجية الأمريكية . وقد جاء « دوبرينين » إلى الغداء ومعه مذكرة بملاحظات للقيادة السوفيتية عن تصرفات وأقوال صدرت عن « كيسنجر » . وكانت بدايتها ملاحظة عن تصريحات قالها « كيسنجر » فى أحاديث صحفية اتهم فيها السوفيت بتشجيع العرب على البدء بهجوم ضد إسرائيل . ودارت بين الاثنين مناقشة حول هذه النقطة .

قال « كيسنجر » إن « الاتحاد السوفيتى بالفعل يؤيد تصرفات العرب ، وهذا التأييد يحمل معنى التشجيع ، وذلك ما قصده » .

وسأله « دوبرينين » : « ألستم أنتم من جانبكم تؤيدون إسرائيل وتصدرون تصريحات موالية لها ؟ »

ورد « كيسنجر » قائلاً : « صحيح ، ولكنكم تنسون من الذى بدأ القتال » .

وكانت النقطة التالية فى المذكرة السوفيتية : تساؤل عن السبب الذى دعا إلى تحريك الأسطول الأمريكى السادس إلى قرب « كريت » ؟

ورد « كيسنجر » بقوله « إن السوفيت وضعوا ٣ فرق محمولة جوا تحت الإنذار » .

ورد « دوبرينين » قائلاً « إن الاتحاد السوفيتى لا يستطيع أن يقف مكتوف الأيدى إزاء تهديد موجه إلى دمشق » .

وهنا انفعل « كيسنجر » وراح يحذر « دوبرينين » من عواقب تدخل سوفيتى سافر فى الأزمة ، ويقول « إنه يرى أن خطورة الموقف تتصاعد وتهدد العلاقات بين القوتين الأعظم » .

□

وفى الساعة الثالثة والربع (بتوقيت واشنطن) ، وبعد إنتهاء الغداء بين « كيسنجر » و « دوبرينين » مباشرة ، اتصل « كيسنجر » بالسفارة الإسرائيلية ووجد السفير « دينتز » مع وزير الخارجية « آبا ايبان » فى نيويورك . وهكذا دعا القائم بالأعمال « شاليف » إلى مقابلته فوراً ، وأبلغه بأن « الموقف يتحرج بين القوتين الأعظم ، وأنه يوشك أن يدخل فى مرحلة خطيرة . وأن تأخير صدور قرار بوقف إطلاق النار من مجلس الأمن أصبح صعباً للغاية » . وأضاف « كيسنجر » : « إننا قد نستطيع التعطيل لساعات أخرى بحجة إجراء مشاورات لازمة للتوصل لمشروع قرار . ولكن ليس أكثر من ساعات » .

وبعد خروج « شاليف » اتصل « كيسنجر » بنفسه بـ « آبا ايبان » فى نيويورك ليطلب منه إبلاغ « جولدا مائير » بأنه يحاول تأخير صدور قرار بقدر الإمكان ، « ولكننا لم نعد نستطيع أن نتأخر أكثر من ٢٤ ساعة » .

وقد اتصل « آبا ايبان » بـ « جولدا مائير » فى تل أبيب ، وكان معه « دينتز » . وكان العنصر السوفيتى هو العنصر الضاغط على حديث الثلاثة . وأبدت « جولدا مائير » على مضض استعدادها لقبول وقف لإطلاق النار يصدر بعد ٢٤ ساعة . وفى هذه الحالة فإنه يمكن أن يكون وقف إطلاق نار ثابت . (وكان فى ذهنها بالطبع أن هجوماً مصرياً على وشك أن يبدأ صباح اليوم التالى ١٣ أكتوبر ـ طبقاً للمعلومات التى أدلى بها الجنرال « بارليف » أمام مجلس الوزراء المصغر) .

وكان ذلك يتفق مع رأى « كيسنجر » الذى فضل أن يتصرف على مهل حتى لا تفسر أى هرولة باعتبارها نزولاً على ضغط سوفيتى .

□

وفى المساء (الجمعة ١٢ أكتوبر) توجه « أبا ايبان » ومعه « دينتز » بطائرة خاصة من نيويورك إلى واشنطن لمقابلة « هنرى كيسنجر » . وقد جاء معهما إلى مقابلته الوزير المفوض « شاليف » . وكان الثلاثة يحملون رسالة من « جولدا مائير » تحوى تفصيلاً للظروف والشروط التى قبلت على أساسها بمبدأ وقف إطلاق النار . وكانت على النحو التالى :

١ ـ إنها على استعداد لقبول وقف إطلاق النار فى المواقع فى ظرف ٢٤ ساعة من الآن . (وبالطبع كان فى ذهنها موضوع الهجوم المصرى الوشيك ، وإمكانية ضربه ، وفتح الطريق بعد ذلك إلى عبور مضاد لقناة السويس يصل إلى ضفتها الغربية) .

٢ ـ إن عمليات شحن الإمدادات العسكرية لا تتم بالسرعة الواجبة ولا بالحجم الضرورى . وهناك وقت يضيع فى عملية النقل بسبب الصعوبات الفنية التى تبديها وزارة الدفاع الأمريكية ، متأثرة فى ذلك بمنطق وزيرها « جيمس شليزنجر » الذى اعتبر أن قيام الطائرات العسكرية الأمريكية بالعمل على الجسر الجوى صراحة يؤثر على مصداقية الولايات المتحدة ، سواء فى مجلس الأمن أو فى العالم العربى ، لأنها حينئذ سوف تظهر كطرف فعلى فى الحرب ، وليس حكماً ظاهرياً فى الأزمة .

٣ ـ ضرورة استمرار شحن المعدات والذخائر حتى إذا صدر قرار بوقف إطلاق النار .

٤ ـ إن « جولدا مائير » ، لا هى ولا الحكومة ، ولا الكنيست ولا شعب إسرائيل ، ولا يهود العالم ـ على استعداد للقبول باحتمال هزيمة إسرائيل . (كانت فى ذهنها بالطبع مخاوف خسائر الأيام الأولى فى القتال وتقارير « ديان » المتشائمة فى تلك الفترة ـ وربما أيضاً الاحتمالات المجهولة للهجوم المصرى المقرر له صباح الغد ١٣ أكتوبر) .

□

وذهب « كيسنجر » بعد اجتماعه بالثلاثة إلى مقابلة « نيكسون » . وكان دافعه الأساسى أن يشكو من وزير الدفاع « شليزنجر » ومن العقبات التى تثيرها وزارته فى وجه قيام الطائرات العسكرية الأمريكية بالعمل على الجسر الجوى صراحة من الولايات المتحدة إلى إسرائيل . والغريب أن « نيكسون » فى هذه اللحظة كان أكثر اندفاعاً من وزير خارجيته « كيسنجر » (ربما لاحتياجه إلى العنصر اليهودى فى أزمته الداخلية الناشئة عن فضيحة « ووترجيت ») . وهكذا فإن « نيكسون » قال لـ « كيسنجر » طبقاً لرواية « نيكسون » نفسه (٣) : « إننا سوف نتلقى لوما من العرب سواء أرسلنا ثلاث طائرات أو مائة طائرة . ولهذا فإن التردد لم يعد له معنى . قل لهم (يقصد وزارة الدفاع) أن يتحركوا بسرعة وبدون حرج ، وأن يبعثوا حمولاتهم فى وضح النهار على أى شىء يمكن أن يطير من هنا إلى إسرائيل » .

□

واتجه « كيسنجر » باهتمامه بعد ذلك إلى الأمم المتحدة ، فأعطى الإشارة للوفد الأمريكى بأن يكثف اتصالاته ومشاوراته من أجل التوصل لمشروع قرار بوقف إطلاق النار . والغريب أنه فكر فى استطلاع رأى إسرائيل فى مشروع القرار أثناء استكمال صياغته ، ولم يفكر فى استطلاع رأى مصر فيه رغم أن القناة السرية بينه وبين السيد « حافظ إسماعيل » كانت تعمل بنشاط منذ ٧ أكتوبر . وكان ظنه أنه إذا قام بعرض مشروع القرار على مصر فقد تتشكك فى نواياه . ومن المفارقات أن الاتحاد السوفيتى أيضاً لم يكن يريد عرض مشروع القرار على مصر قبل إنتهاء صياغته ، بسبب حساسيتهم ومخافة اتهامهم مصرياً وعربياً ـ بالتفريط .

وهكذا بدأ « كيسنجر » يبحث عن طرف آخر يعرض مشروع القرار على مصر . وقد استبعد فرنسا من أول لحظة لشكوكه فى أنها تحاول القيام بدور مستقل . واستقر رأيه على أن تقوم بريطانيا بهذا الدور .

---

(٣) مقابلة صحفية أجراها الرئيس « نيكسون » مع المعلق البريطانى الأشهر « دافيد فروست » ، وقد أذيعت فى لندن يوم ١٢ مايو ١٩٧٧ .

الفصل العاشر

يوم ١٣ أكتوبر

١

١٣ أكتوبر فى القاهرة (صباحاً) :

فى الساعة السابعة والربع من صباح يوم السبت ١٣ أكتوبر ، كان « محمد حسنين هيكل » فى مكتبه فى الأهرام يحاول وضع الخطوط العريضة لخطاب سوف يلقيه الرئيس أمام مجلس الأمة بعد ثلاثة أيام (يوم ١٦ أكتوبر) . وفوجىء « هيكل » بأن اللواء « حسن البدرى » موجود فى الغرفة الخارجية لمكتبه يطلب مقابلته على وجه الاستعجال . وقد ادهشه مجىء اللواء « البدرى » فى تلك الساعة من الصباح ، ولم يكن قد سمع منه خلال الأيام السابقة . وقد قدر أنه كان مشغولاً بالكامل مع رفيقيه : اللواء « حسن طلعت » واللواء « مصطفى الجمل » (فى المركز رقم « ١١ ») يتابعون مجرى العمليات عن بعد ، متحررين من ضغوط المعركة ، باعثين بما يعن لهم من توصيات إلى القائد العام .

ودخل اللواء « حسن البدرى » ، وكان بادياً من أول لحظة أنه رجل مثقل بالهموم . وقد بدأ حديثه مع « هيكل » داخلاً بدون مقدمات إلى الموضوع الذى دعاه إلى ترك شواغله فى هذا الوقت والمجىء إلى الأهرام . كان كلام اللواء « البدرى » خطيراً ، وكان مؤداه كما يلى :

١ - إن الموقف فى قيادة القوات فى المركز رقم « ١٠ » ليس كما ينبغى له أن يكون . فهناك اختلافات وتوترات وضغوط لا داعى لها فى هذا الوقت تؤثر على أخطر القرارات .

٢ - إنهم (فى المركز رقم « ١١ ») لم يقصروا فيما طلب منهم ، وقد بعثوا بتوصياتهم باستمرار إلى المركز رقم « ١٠ » ، ولكن يبدو أن الكل هناك مستغرق فيما يفعله وليس لديه وقت لسماع رأى من خارج هذا المركز . وهم يشعرون بالاحباط لإهمال توصيات بعثوا بها إلى القيادة ولم يكن لها أثر على القرار ، فى حين اثبتت تطورات المعارك أن كثيراً منها كان صائباً ومفيداً لو أنه أخذ فى الاعتبار . ومن ذلك مثلاً أنهم نصحوا بالتقدم إلى المضايق ابتداء من يوم ٧ أكتوبر ، ولم يستجب لهم أحد ولا حتى برد يناقش وجهة نظرهم . بل وقد حدث يوم ٨ أكتوبر أن اللواء « حسن طلعت » الذى رأى فرصة سانحة توشك أن تضيع كتب بنفسه وبخطه على ورقة أمامه رسالة إلى القائد العام من ثلاث كلمات : « اطلق المدرعات للمضايق » . وقد وصلت الرسالة فعلاً إلى القائد العام ، ولم يظهر لها أثر .

٣ - لقد توصلوا جميعاً إلى إستنتاج ملخصه أن النجاح الذى حققته القوات فى عملية العبور كان مفاجئاً للقيادة السياسية والقيادة العسكرية التى لم تتوقعه بهذه السرعة ، ولم تتحرك لاستغلاله فى الوقت المناسب .

٤ - إن هناك الآن عملية إعداد لتطوير الهجوم إلى المضايق . وهذه العملية لسوء الحظ فات وقتها ، والإقدام عليها مخاطرة كبرى ما لم تكن هناك عوامل عسكرية موجودة على الأرض تعلم بها « القيادة » ولا يعلم بها الآخرون ! وإذا تقرر المضى فى الهجوم الذى يرتب له الآن والمنتظر خلال ساعات - فإن نتائجه قد تكون خطيرة ليس فقط بالنسبة لهذه الخطوة من المعركة ، ولكن كذلك بالنسبة للخطوة التالية . فإذا لم ينجح هذا الهجوم - وفرص نجاحه لا تزيد على ما بين ٢٠ - ٣٠٪ فإن العدو سوف يستغل نجاحه هو فى تعميق هجومه المضاد وتشديد ضغطه على رؤوس كبارى العبور .

٥ - إن هناك معارضة شديدة فى مركز القيادة العامة لهذه العملية . وقد قيل للمعارضين إن دواعى تطوير الهجوم هى دواعى سياسية بالدرجة الأولى . وهم يخشون من دخول إعتبارات سياسية فى تنفيذ عمليات عسكرية ، خصوصاً إذا كان الوقت المناسب لهذه العمليات قد فات فعلاً .

وكان طلب اللواء « البدرى » بعد هذه الصورة الخطيرة هو « أن يتوجه « هيكل » الآن لمقابلة الرئيس « السادات » ، ويتحدث إليه فى الأمر » .

وأبدى « هيكل » تردده مستنداً فى ذلك إلى حجتين :

● **أولاهما** - أنه لم يتدخل أبداً فى أمور العمل العسكرى ، وكان أقصى ما وصل إليه هو اقتراح مجموعة عمل (فى المركز رقم « ١١ ») تفكر وتتصور ، وأمامها كل المعلومات دون أن تكون عليها أثقال وأعباء المعركة .

● **وثانيتهما** - أنه لا ينبغى لأحد فى هذا الوقت - خصوصاً إذا كان مدنياً - أن يتدخل فى شىء يمس العلاقة بين القائد الأعلى للقوات المسلحة وبين قيادتها العامة .

وبعد مناقشة امتدت إلى أكثر من ساعة برز اقتراح مؤداه أن يقوم الضباط الثلاثة الكبار المكلفون بالتفكير والمتابعة والاقتراح – بكتابة وجهة نظرهم للرئيس « السادات » . ولم يتحمس اللواء « البدرى » ، وكان قوله فى النهاية إنه أدى واجبه ونبه إلى خطورة الحالة ، وطرح ما لديه أمام رجل يعرف أنه قريب من الرئيس « السادات » ويستطيع الوصول إليه فى أى لحظة .

□

وصل « هيكل » إلى قصر الطاهرة فى الساعة العاشرة وخمس دقائق . وكان الرئيس « السادات » قد فرغ من قراءة تقرير مكتب الشئون العسكرية . وكان نصه :

« سرى جداً

تقرير موقف رقم (٨)

تقرير موقف عن اليوم الثامن قتال ١٣/١٠/١٩٧٣

□ العـدو :

- **اقتصرت أعمال العدو على القيام بهجمات مضادة محدودة قوة سرية دبابات .**
- **قام العدو بعمليات استطلاع بقوة لمنطقة الشط وكبريت .**
- **يجرى العدو إعادة تجميع لقواته فى العمق .**
- **يقوم العدو بتجهيز خط دفاعى عن منطقة المضايق .**
- **يستخدم العدو الإعاقة والشوشرة على أجهزة الاتصال .**
- **قامت النقطة القوية للعدو فى بور توفيق بالتسليم .**
- **قام العدو بنشاط استطلاع بحرى فى منطقة سفاجا وقوبل بمدفعية ساحلية واضطر للانسحاب .**
- **نشاط زائد للطائرات الهليوكوبتر .**

□ خسائر العدو :

١٠ طائرات مقاتلة
٢ طائرة هليوكوبتر
٣٨ دبابة
١٠ عربة مصفحة
٣٣ جريح
٣٧ أسير

□ قواتنا :

- **دفعت قواتنا مفارز متقدمة ونقط قتال خارجية .**
- **تمكنت قواتنا من صد هجمات العدو المضادة .**
- **أسقطت قوات الدفاع الجوى ١٠ طائرات مقاتلة .**

□ التعليق :

- من الواضح أن العدو قد قرر التحول إلى الدفاع النشط على خط المضايق ، وهو على اتصال بقواتنا لحين تصفية الموقف على سوريا ، مع تنفيذ ضربات مضادة قوية عند رؤوس الكبارى ، محاولاً احتلال أجزاء من رؤوس الكبارى أو على اجنابها يستغلها كقاعدة لتهديد اجناب التشكيلات أثناء تنفيذه للضربات المضادة الرئيسية المنتظرة أو لاستغلال النجاح من خلالها .
- من المنتظر أن يزداد حجم المجهود الجوى المخصص للعمل ضد الجبهة المصرية اعتباراً من صباح باكر . وينتظر أن يتركز مجهوده ضد القوات البرية فى رؤوس الكبارى والاحتياطيات ، وضد وسائل الانذار والدفاع الجوى ، والاستمرار فى قصف منطقة بورسعيد .
- ما زالت احتمالات العمليات العسكرية ضد الأهداف الحيوية العسكرية والمدنية بأعمال الإبرار البحرى والجوى قائمة .

□

وقد وجد « محمد حسنين هيكل » أن المعلومات الواردة فى التقرير تعطيه مدخلا إلى ما سمعه من اللواء « حسن البدرى » من ساعة واحدة . وكان تعليق الرئيس « السادات » ، وهو يطلب من محدثه أن يطمئن : « إن الذين يتابعون الموقف من خارج القيادة يتحدثون بطريقة نظرية بعيدة إلى حد كبير عن الضرورات التى تحكم القرار فى هذه اللحظات » . ثم أشار إلى أنه يحاول تخفيف الضغط على سوريا . ولم يكن هناك داع للإلحاح أكثر (١) .

□

---

(١) فيما بعد ظل هذا الموضوع يشغلنى ، ولعله كان وراء سؤالى المباشر للفريق « أحمد اسماعيل على » الذى نشر فى حديث أجريته معه فى الأهرام بتاريخ ١٤ نوفمبر ١٩٧٣ . وكان سؤالى له بالنص ، وكما نشر فى ذلك الوقت :

« أريد أن أسألك -- وقد تأذن لى أن أكون صريحا -- عن السبب الذى من أجله لم يجر تطوير هجومنا الشامل بالسرعة الواجبة فى رأى بعض الخبراء ؟ وهناك تساؤلات كثيرة فى هذا الصدد :

- هل كان تخطيطنا المسبق لافتتاحية العبور العظيم وحدها ؟
- هل لم نستطع أن نرى الفرصة المتاحة لنا ؟
- هل كنا أكثر بطئا مما يجب ؟ ... أو ماذا حدث بالضبط ؟ »

إن الفريق « أحمد اسماعيل على » رد على هذه الأسئلة رداً حذراً ربما اقتضته الظروف وقتها ، ولكن المشير « محمد عبد الغنى الجمسى » فى مذكراته عن حرب أكتوبر ١٩٧٣ كتب فى صفحة ٣٩١ يرد على أسئلتى بالتحديد ، بعد أن استشهد بها وعرض إجابات القائد العام فى ذلك الوقت عليها .

وقد كتب المشير « الجمسى » فى مذكراته بالحرف وتحت عنوان « وإنى أقول » :

● أن خطة الحرب التى لا خلاف عليها عسكرياً وسياسياً قد وضعت للوصول إلى خط المضايق كهدف نهائى للحرب .

● ولم تحتم هذه الخطة عمل « وقفة تعبوية » بعد اقتحام القناة وإنشاء رؤوس كبارى الجيوش . بل نصت على تطوير الهجوم شرقاً للاستيلاء على المضايق حسب الموقف .

وكان توقيت تطوير الهجوم من أهم عوامل نجاحه لسرعة استغلال النجاح الذى تحقق . وكلما كانت فترة الانتظار أقصر كان ذلك أفضل لنا .

● لقد كان القائد العام الفريق « أحمد اسماعيل » حذراً أكثر مما يجب وأبطأ مما يجب . الأمر الذى دعاه إلى الانتظار الطويل -- عمل وقفة تعبوية من يوم ١٠ حتى يوم ١٣ أكتوبر . وكان يرى كما قال فى حديثه (لهيكل) « علىّ أن لا أغامر » . =

وفى الساعة الواحدة والنصف وقع حادث خطير كان لا بد له أن يلفت الأنظار . فقد قامت طائرة أمريكية من طراز SR 71 A بعملية استطلاع واسعة لم تقتصر على الجبهة ، وإنما امتدت إلى كل الدلتا وراء منطقة قناة السويس . وكانت تطير بسرعة ثلاثة أمثال سرعة الصوت (مخ ٣) . وبذلك فقد كانت بعيدة عن مجال عمل كل أنواع الصواريخ المتاحة لمصر .

وقد عرفت القيادة على الفور أنها عملية استطلاع أمريكى شاملة لجبهة القتال وما وراءها ، وأن صورها سوف تكون فى إسرائيل خلال أقل من ساعة واحدة (٢) .



١٣ أكتوبر فى تل أبيب :

طوال يوم ١٣ أكتوبر كانت القيادة السياسية والعسكرية الإسرائيلية مشغولة بالكامل فى أمرين :

● انتظار الهجوم المصرى المتوقع فى هذا اليوم والتأهب لرده ، واستغلال ذلك لضمان نجاح هجوم مضاد واسع هدفه اختراق مفصل ما بين الجيشين الثانى والثالث ، واحتلال أى مساحة من الأرض على الضفة الغربية للقناة يمكن استعمالها فى المساومة إذا ما صدر عن مجلس الأمن قرار بوقف إطلاق النار خلال الساعات القادمة .

● استقبال الأسلحة والذخائر الواصلة من الولايات المتحدة على الجسر الجوى الأمريكى المباشر إلى إسرائيل . وكانت الطائرات الأمريكية العملاقة من طراز « جلاكسى » C5 و C141 رائحة غادية عليه(٣) .

= وكان عليه أن يغامر بعد أن ضاعت منا فرصة استغلال النجاح بسرعة لتحقيق الهدف الاستراتيجى .

● ويقع عبء إدارة العمليات الحربية لتنفيذ الخطة على القيادة العسكرية دون تدخل من القيادة السياسية ، وهو الأسلوب الصحيح لإدارة العمليات .

وقد حاولت خلال الحرب معرفة مبررات البطء فى تطوير الهجوم شرقاً ، وهل كان هناك قيد سياسى على القائد العام يتطلب ذلك ، إلا أن الفريق أول أحمد اسماعيل لم يفصح لى عن هذا القيد لو كان موجوداً .

ولما أصدر الرئيس السادات قراراً بذلك إلى القائد العام فى الساعات الأولى من يوم ١٢ أكتوبر لتطوير الهجوم بعد تدهور الموقف العسكرى فى الجبهة السورية ، أسرع الفريق أول أحمد اسماعيل بإصدار الأوامر فى نفس اليوم للتطوير بحيث يبدأ صباح اليوم التالى ١٣ أكتوبر . وقد تأجل لاعتبارات عسكرية ليكون صباح يوم ١٤ أكتوبر . واتضح من هذا التصرف أن « الوقفة التعبوية » من ١٠ - ١٣ أكتوبر كانت باتفاق وموافقة الرئيس السادات والقائد العام أحمد اسماعيل ، كما أن قرار تطوير الهجوم بعد الوقفة التعبوية كان قراراً سياسياً .

(٢) مذكرات الفريق « سعد الدين الشاذلى » - صفحة ٢٥٠ .

(٣) يقول المشير « محمد عبد الغنى الجمسى » فى مذكراته عن حرب أكتوبر - صفحة ٣٩٧ - أن الولايات المتحدة الأمريكية استخدمت على هذا الجسر الجوى لإسرائيل ٢٢٨ طائرة ، منها ٥١ طائرة من طراز « سى ٥ » و ١٧ طائرة من طراز « سى ١٤١ » . وقد نفذت هذه الطائرات ٥٦٩ رحلة تم فيها نقل ٢٢٤٩٧ طنا من الأسلحة والمعدات والذخيرة - هذا غير الجسر البحرى الذى قام بنقل حمولة مقدارها ٣٣٢١٠ طنا من الدبابات والمدافع والعربات .

٣

١٣ أكتوبر فى واشنطن :

فى الساعة التاسعة صباحاً اتصال « هنرى كيسنجر » من مكتبه فى البيت الأبيض باللورد « كرومر » [٤] السفير البريطانى فى واشنطن ، طالباً منه أن يتقدم الوفد البريطانى لدى الأمم المتحدة بمشروع قرار إلى مجلس الأمن يقضى بوقف إطلاق النار فى المواقع . وكان تقدير « كيسنجر » أنه عندما يتم إعداد وطرح هذا القرار للمناقشة ، ومن ثم للتصويت ، فإن إسرائيل تكون حققت هجومها المنتظر على الجبهة المصرية . وعلى فرض أن ذلك لم يحدث فإن وجود دمشق فى مرمى المدافع الإسرائيلية يمكن أن يكون كفيلاً لوحده بتقوية مركز إسرائيل فى المرحلة التالية لوقف إطلاق النار .

وقال لورد « كرومر » لـ « كيسنجر » إنه سوف يبعث باقتراحه إلى رئيس الوزراء « ادوارد هيث » ، وإلى وزير خارجيته « دوجلاس هيوم » .

وما كاد « كيسنجر » يفرغ من حديثه مع لورد « كرومر » حتى تلقى اتصالاً من السفير السوفيتى « أناتولى دوبرينين » يطلب لقاءه « الآن وفوراً » . وقد وصل « دوبرينين » إلى البيت الأبيض فى ظرف دقائق ، يحمل معه مذكرتين :

● **الأولى** – احتجاج سوفيتى على الغارات الهمجية التى يقوم بها الطيران الإسرائيلى على أهداف مدنية مصرية وسورية . وكان من ضمنها ميناء اللاذقية السورى حيث تعرضت إحدى البواخر السوفيتية التجارية إلى إصابة مباشرة من صاروخ إسرائيلى . وكان أكثر ما أقلق « كيسنجر » فى هذه المذكرة الأولى عبارة وردت قرب نهايتها وقالت بالنص : « إن المراكز السكانية الآهلة فى إسرائيل قد لا تكون آمنة إلى الأبد » . وكان مبعث قلق « كيسنجر » أن العبارة حوت تهديداً صريحاً لإسرائيل .

كذلك أحس « كيسنجر » بالقلق حينما قالت المذكرة السوفيتية فى معرض حديثها عن إصابة باخرة تجارية سوفيتية – ما نصه : « إن الاتحاد السوفيتى سوف يقوم باتخاذ الإجراءات التى يراها ضرورية لحماية بواخره وكافة وسائل نقله الأخرى » .

● **وكانت المذكرة الثانية** احتجاجاً آخر ضد جسر الإمداد الجوى المستمر لإسرائيل . وقد توصلت المذكرة إلى القول : « إن الاتحاد السوفيتى كان يتوقع بدلاً من ذلك أن تبذل الولايات المتحدة جهدها لتوجيه الأمور نحو تحقيق وقف لإطلاق النار فى الشرق الأوسط » .

---

(٤) حفيد للورد كرومر الشهير فى التاريخ المصرى الحديث .

وأضاف « دوبرينين » إلى ذلك أنهم فى موسكو مندهشون لأنهم سبق لهم منذ يومين أن لفتوا نظر واشنطن إلى أن الوقت مناسب للتحرك نحو مشروع قرار يقضى بوقف إطلاق النار ، ويصدر عن مجلس الأمن .

وانتهز « كيسنجر » هذه النقطة من الحديث ليخطر « دوبرينين » أنه « قبل دخوله إلى هذا المكتب بدقائق ، كان هو (أى « كيسنجر ») قد اتصل فعلاً بالسفير البريطانى فى واشنطن اللورد « كرومر » يطلب إليه أن تتقدم الحكومة البريطانية بمشروع قرار بوقف إطلاق النار يجرى التصويت عليه فى مجلس الأمن » .

□

وقبل الظهر عاد اللورد « كرومر » يتصل بـ « كيسنجر » يبلغه باستفسار من لندن « عما إذا كانت إسرائيل موافقة على اقتراح بوقف بسيط لإطلاق النار ، لأنه لا فائدة من مشروع يقدم ويرفض ، خصوصاً وأنهم فى لندن يظنون أن مصر لن تقبل بالمشروع إذا عرضوه عليها ما لم يرد فيه نص أو إشارة إلى استعداد إسرائيل للانسحاب إلى خطوط سنة ١٩٦٧ » .

وقال « كيسنجر » للورد « كرومر » إنه سوف يبحث الموضوع أثناء احتفال يقام مساء اليوم فى البيت الأبيض ، ويقوم فيه الرئيس « نيكسون » بتقديم نائبه المختار الجديد : « جيرالد فورد » .

وفى المساء ، وقبل احتفال العشاء المقام لـ « جيرالد فورد » ذهب « كيسنجر » إلى حيث كان يقف « سيمحا دينتز » السفير الإسرائيلى ، وأخطره بتفاصيل لقائه مع « دوبرينين » فى الصباح ، بما فى ذلك مذكرتا الاحتجاج المقدمتان من الاتحاد السوفيتى ، وما فيهما من نبرات التهديد . ثم أبلغه – بدون الرجوع إلى الرئيس « نيكسون » – « أن عليه أن يطمئن إلى أن الولايات المتحدة سوف تتدخل مباشرة إذا ظهرت دلائل على وجود أو نشاط قوات سوفيتية فى المنطقة » .

واتفق الاثنان – « كيسنجر » و « دينتز » – على اللقاء بعد حفل العشاء ، وأن يكون لقاؤهما فى الساعة الحادية عشرة مساء فى مكتب « كيسنجر » فى البيت الأبيض .

ولمح « كيسنجر » وجود « دوبرينين » فى ناحية من قاعة الاحتفال ، فقصد إليه مباشرة يطرح عليه الاستفسارات التى وجهتها لندن حول ما يمكن أن يكون عليه رد فعل القاهرة تجاه مشروع قرار وقف إطلاق النار . ورد « دوبرينين » بأنه لا يستطيع أن يتحدث بالنيابة عن الرئيس « السادات » ، وإن كان يظن أن خطورة الموقف تسمح للكل بأن يقوموا برهان معقول .

□

بعد احتفال العشاء عاد « كيسنجر » ليقضى ساعة فى وزارة الخارجية . وهناك وصلته آخر المعلومات عن الجبهة المصرية ، بما فى ذلك الصور التى التقطتها طائرة الاستطلاع ''SR 71 A'' – كما أنه قرأ تحليلاً لما تقول به الصور . وكان أهم ما فيه أن فرقتين مصريتين ،

وهما الفرقة المدرعة ٢١ ، والفرقة المدرعة الرابعة تتحركان إلى داخل سيناء . وكان « كيسنجر » يعرف أن هاتين الفرقتين تمثلان الاحتياطى الاستراتيجى المصرى (٥) . وقد أبدى دهشته مما تقول به الصور .

كانت دلالة هذه التحركات أن القيادة المصرية تعتزم تطوير الهجوم فعلاً فى ظرف ساعات .

وكانت دهشته أن القوات المصرية دفعت باحتياطيها الاستراتيجى إلى المعركة ، ومعنى ذلك أن هذه القيادة استغنت عن هذا الاحتياطى الاستراتيجى فى وقت حرج من المعركة ، ولعمل سوف يتم على الأرجح خارج نطاق حماية حائط الصواريخ المصرى .

وكانت استنتاجات « كيسنجر » صحيحة ، وكانت دهشته مبررة .

٤

١٣ أكتوبر فى القاهرة (مساء) :

فى الساعة الواحدة بعد منتصف الليل (بتوقيت القاهرة) ، طلب السفير البريطانى فى مصر السير « فيليب آدامز » موعداً فورياً مع الرئيس « السادات » . واستقبله الرئيس « السادات » بالفعل فى الساعة الواحدة والنصف صباحاً (صباح ١٤ أكتوبر) . وشرح السفير البريطانى فى هذه المقابلة للرئيس « السادات » تفاصيل الاتصالات الدائرة بين الأعضاء الدائمين فى مجلس الأمن للتوصل إلى مشروع قرار ، وقد ركزوا فى مشاوراتهم على الاتحاد السوفيتى باعتباره الطرف الذى يحتمل أن يعرف أكثر من غيره عن التفكير المصرى . وعندما وصل السير « فيليب آدامز » لهذه النقطة قاطعه الرئيس « السادات » قائلاً له بغضب : « إن الاتحاد السوفيتى لا يعرف شيئاً عن أفكارى ، وهو لا يملك أن يتحدث باسمى . وعندما تريدون أن تعرفوا وجهة نظرى فلا بد أن تتصلوا بى أنا وليس بالاتحاد السوفيتى » . وقال له السير « فيليب آدامز » إن « ذلك ما يفعلونه الآن . وقد طلب إلىّ المستر « ادوارد هيث » رئيس الوزراء أن أتعرف منكم مباشرة على رأيكم فى قرار يقدم إلى مجلس الأمن ويطلب من الأطراف التوقف عن إطلاق النار .

(٥) كانت هاتان الفرقتان – إلى جانب وجودهما فى الاحتياطى تحت تصرف القيادة العامة – مكلفتين أيضاً بتنفيذ الخطة الدفاعية رقم ٢٠٠ والتى تتحسب لعملية اختراق إسرائيلى إلى الجبهة الغربية من قناة السويس ، وترتب لضرب هذه المحاولة .

ورد عليه الرئيس « السادات » بقوله – طبقاً لروايته : « أنا مستعد لوقف إطلاق النار فى حالة موافقة إسرائيل على الانسحاب من الأراضى العربية » [٦] .

ولم تدم المقابلة أكثر من ثلث ساعة . وربما أخطأ السفير البريطانى بإشارته إلى مشاورات مع الاتحاد السوفيتى . لأن هذه الإشارة تكفلت بإثارة أعصاب الرئيس « السادات » الذى كان موقفه من الاتحاد السوفيتى يتذبذب بسرعة بين الرضا والسخط .

ومن المحتمل أيضاً أن الرئيس « السادات » الذى كان يعرف أن هجوماً مصرياً فى اتجاه المضايق على وشك أن يبدأ بعد ساعات قليلة – لم يكن مستعداً لأن يلزم نفسه بشىء قبل المعركة .

(٦) كتاب الرئيس « السادات » بعنوان « البحث عن الذات » (قصة حياتى) – صفحة ٣٤٤ .

الفصل الحادى عشر

يوم ١٤ أكتوبر

١

١٤ أكتوبر فى القاهرة :

كانت أجواء ميادين القتال مزدحمة بإشارات الخطر مع شروق الشمس صباح يوم ١٤ أكتوبر . فقد بدأ الهجوم المصرى المنتظر نحو المضايق فى الساعة السادسة صباحاً .

وكانت خطة الهجوم (١) تتضمن استخدام ٤ ألوية مدرعة ولواء مشاه ميكانيكى فى أربعة اتجاهات مختلفة على النحو التالى :

١ – لواء مدرع فى اتجاه ممر متلا (القطاع الجنوبى) .
٢ – لواء مشاه ميكانيكى فى اتجاه ممر الجدى (القطاع الجنوبى) .
٣ – لواءان مدرعان فى اتجاه الطاسة (القطاع الأوسط) .
٤ – لواء مدرع فى اتجاه بالوظة (القطاع الشمالى) .

وكان ظاهراً منذ البداية أن القوات الإسرائيلية مستعدة لمقابلة الهجوم ، ومزودة بمعلومات مسبقة عن اتجاهاته الأساسية . كذلك فإن سيل الإمداد الأمريكى لإسرائيل بدأ يصل إلى الجبهة ، وأهم بنوده صواريخ « تاو » ''TOW'' المحملة على طائرات هليوكوبتر . وقد نزلت بها الطائرات

(١) مذكرات الفريق ، سعد الدين الشاذلى ، صفحة ٢٤٦ .

الأمريكية فى مطار العريش ، ودخلت فورا للعمل فى المعركة التى بدأت تحتدم وقتها . وقد أضيف إلى ذلك عنصر آخر ، وهو أن تدفق المدد العسكرى الأمريكى على إسرائيل دفعها مطمئنة إلى استعمال مخزون احتياطياتها الاستراتيجية فى المعركة بدون تردد .

وكان الرئيس « السادات » يتابع تطورات المعركة منذ الصباح . وفى الساعة الواحدة ظهراً توجه بنفسه إلى المركز رقم « ١٠ » ليعرف على خرائط العمليات كيف تسير الأمور . ولم يكن ما رآه مشجعاً . فعندما جاءت الساعة الثالثة بعد الظهر ، كانت خسائر القوات المصرية فى الدبابات قد وصلت إلى ٢٤٠ دبابة . وكان ذلك فوق الاحتمال . وقد استأذنه الفريق « أحمد اسماعيل » فى إيقاف الهجوم ، وأذن ، وعاد إلى قصر الطاهرة وهو فى حالة من الاكتئاب النفسى استولت عليه ، ولم يستطع أن يحجبها حتى عن ملامح وجهه .

وفى قصر الطاهرة كان فى انتظاره تقرير مكتب الشئون العسكرية . وقد جاء فيه :

« سرى جداً

تقرير موقف رقم (٩)

تقرير موقف عن اليوم التاسع قتال ١٩٧٣/١٠/١٤

☐ العدو :

- **أبرزت المعارك التى جرت صباح اليوم أن العدو قد أعاد تنظيم دفاعه على الجبهة المصرية على أساس فكرة الدفاع المتحرك مستخدماً الستائر المضادة للدبابات بكفاءة ، وبالتعاون مع الهليوكوبتر بستائر طائرة مضادة للدبابات .**
- **هدف العدو هو استنزاف القدرة الهجومية لقواتنا بإحداث أكبر خسائر فى مدرعاتنا خلال نطاق الأمن ، وهو يحتفظ باحتياطياته ليستخدمها بعد إعادة البناء فى ضربات مضادة يطورها ضد رؤوس الكبارى لاستعادة الموقف على القناة .**
- **يدفع العدو عناصر مضادة للدبابات إضافية فى اتجاه الجبهة .**
- **قام العدو بقصف جوى ضد تشكيلاتنا البرية ومطارات المعاونة المباشرة ووسائل الدفاع الجوى .**
- **قام العدو بطلعة استطلاع ودمرت له طائرتان استطلاع من طراز فانتوم .**

☐ قواتنا :

- **تعرضت قواتنا المدرعة لمقاومة شديدة من مدرعات العدو ، والأسلحة المضادة للدبابات (ستائر مضادة للدبابات + صواريخ مضادة للدبابات تطلق من الهليوكوبتر) .**
- **قامت قواتنا الجوية بقصف أهداف حتى عمق ١٠٠ كم شرقاً ، وقامت بمعاونة التشكيلات المدرعة أثناء التقدم .**
- **قامت قواتنا الجوية بالاعتراض لطائرات العدو وأسقطت له ١٥ طائرة فى معارك جوية .**
- **قامت قوات الدفاع الجوى بتأمين قواتنا فى رأس الكوبرى حيث أسقطت للعدو ٢٩ طائرة منها ٢ طائرة استطلاع .**

□ **الجبهة السورية :**

– **تمكنت القوات السورية من إيقاف تقدم العدو وتكبيده خسائر فادحة .**
– **أصيب للعدو زورق بحرى بالمدفعية الساحلية السورية .**

. . . .
. . . . »

□

فى الساعة التاسعة من مساء ذلك اليوم وصل « محمد حسنين هيكل » إلى قصر الطاهرة يحمل معه مشروع الخطاب الذى كان من المقرر أن يلقيه الرئيس « السادات » أمام مجلس الشعب بعد غد (يوم ١٦ أكتوبر) . وكان الرئيس « السادات » قد سيطر على أعصابه رغم كل الأنباء التى تلقاها من الجبهة ، وكانت سيئة ، وربما أسوأها أن اللواء « سعد مأمون » قائد الجيش الثانى أصيب بنوبة قلبية ، وقرر الأطباء « إخلاءه » ونقله إلى المستشفى العسكرى فى القاهرة . وكانت إصابة اللواء « سعد مأمون » بهذه النوبة راجعة بلا شك إلى الصدمة التى تلقتها قواته فى هجوم الصباح . وكان على الرئيس « السادات » أن يختار قائداً بديلاً للجيش الثانى .

وبرغم هذا كله ، فقد بدا الرئيس « السادات » متماسكاً . وقد جلس مع « محمد حسنين هيكل » فى إحدى القاعات حيث أستمع إليه وهو يقرأ عليه نص الخطبة . وأقرها بدون تعديل . ثم توجه الاثنان إلى الشرفة ، وانضمت إليهما بعد ذلك السيدة « جيهان السادات » والدكتور « أشرف مروان » والمهندس « سيد مرعى » .

وكان معظم الحديث بالطبع حول تطورات ما جرى فى ميدان القتال هذا الصباح . وكان الرئيس « السادات » يتحدث بثقة ، وفى بعض اللحظات بدت معنوياته عالية إلى درجة إبداء ملاحظة بالرضا عن الاتحاد السوفيتى . فقد لمح فى السماء ضوء طائرة ، ثم لاح ضوء طائرة ثانية ، وطائرة ثالثة . وعلق الرئيس « السادات » على ما رآه بقوله بالنص : « نحن أحياناً نلعن السوفيت ... ولكن ... » . وصمت لحظة مشيراً إلى الأضواء المتحركة وراء بعضها فى السماء ، واستأنف حديثه : « ولكن ماذا كنا نفعل لو لم يكن هذا الجسر السوفيتى يواصل إمدادنا بالسلاح » ؟

ولم يشأ أن يترك رضاه عن السوفيت مطلقاً ، فاستطرد يقول : « ولكنهم مع سوريا أكثر استجابة » !

٢

١٤ أكتوبر فى تل أبيب :

كان الجنرال « بارليف » يقوم بنفسه على إدارة المعركة المحتدمة على مشارف المضايق . وفور انتهائها بتوقف الهجوم المصرى فى الساعة الثالثة بعد الظهر وتراجع قواته إلى مواقعها الأصلية – قام الجنرال « بارليف » بنفسه بتبليغ نتائجها تليفونياً لرئيسة الوزراء « جولدا مائير » . وقد طلب منها فى نفس الوقت إعطاء الإذن ببدء الهجوم الإسرائيلى المضاد ، والعبور إلى الغرب إذا أمكن . وكان تقديره يستند إلى عدة أسباب : (٢)

١ – الاحتفاظ بالمبادأة فى يد القوات الإسرائيلية .
٢ – استغلال اهتزاز معنويات القوات المصرية نتيجة لفشل هجومها .
٣ – انتهاز فرصة أن القوات العائدة إلى مواقعها الأصلية من الجيش الثانى والثالث (المصرى) لم تستقر بعد فى المواقع التى عادت إليها ، وبالتالى فإن المفصل بين الجيشين مفتوح بأكثر من أى وقت – الآن .
٤ – أن المسرح مهيأ لأن فرقتى الاحتياطى اللتين كانتا تحت تصرف القيادة العامة المصرية فى الغرب ، قد تم استخدامهما فى تطوير الهجوم المصرى صباح اليوم . وبالتالى فإن عمق الجبهة المصرية مكشوف ، وتوازنها بصفة عامة قلق .

ووافقت « جولدا مائير » على تقديرات « بارليف » ، وأعطته الإذن الذى طلبه . والغريب أن وزير الدفاع الجنرال « ديان » كان متردداً .



١٤ أكتوبر فى واشنطن :

فى الصباح الباكر كانت لندن لا تزال فى انتظار تقرير سفيرها فى القاهرة السير « فيليب آدامز » عن مقابلته للرئيس « السادات » قبل ساعات قليلة . ومع ذلك فإن السير « أليك دوجلاس هيوم » وزير الخارجية البريطانى اتصل تليفونياً بـ « هنرى كيسنجر » يتشاور معه فى احتمالات الموقف . وكان تقدير « دوجلاس هيوم » :

---

(٢) حديث للجنرال « بارليف » مع الدكتور « مايكل بريشر » .

١ – أن الرئيس « السادات » فى الغالب لن يقبل بوقف إطلاق النار فى المواقع (ceasefire in place) إلا إذا كان مصحوباً بتعهد قاطع بانسحاب إسرائيل إلى خطوط ما قبل يونيو ١٩٦٧ .

٢ – أن القوة الوحيدة التى تستطيع إرغام « السادات » على قبول وقف إطلاق النار فى المواقع هى الاتحاد السوفيتى ، وذلك إذا قامت موسكو بتهديده (يقصد تهديد الرئيس « السادات ») بقطع الإمداد العسكرى عنه . وهو (أى وزير الخارجية البريطانى) يشك فى أن الاتحاد السوفيتى يمكن أن يقبل ذلك .

٣ – أن الحل الوسط المعقول الذى يراه السير « أليك دوجلاس هيوم » هو أن يكون هناك وقف إطلاق نار فى المواقع على أن تنسحب إسرائيل من سيناء وتحل محلها قوات تابعة للأمم المتحدة . وهو يشك أن إسرائيل يمكن أن تقبل ذلك .

وقد أبدى « كيسنجر » عدم اقتناعه بخطوط التفكير البريطانى كما عبر عنها وزير الخارجية السير « أليك دوجلاس هيوم » . وقد علق على ما سمع بقوله :

١ – إن هذه الأفكار البريطانية تعطى لـ « السادات » أكثر مما طلب هو بنفسه . ثم أفضى « كيسنجر » لوزير الخارجية البريطانى بأن الرئيس « السادات » على اتصال به ، وأن كل ما طلبه منه هو « إقرار مبدأ انسحاب إسرائيل إلى خطوط ١٩٦٧ » .

٢ – إن الولايات المتحدة ترفض أى قرار يقدم فى هذه اللحظة ويشير على أى نحو إلى إمكانية حلول قوات تابعة للأمم المتحدة محل القوات الإسرائيلية فى سيناء (وقد هدد « كيسنجر » باستعمال حق الفيتو ضد أى مشروع قرار من هذا النوع) .

وفى نهاية الحديث ، قال « كيسنجر » لزميله البريطانى :

– « إنه من الأفضل عدم استباق الحوادث ، وانتظار تقرير فيليب آدامز ، وأنه إذا أحست بريطانيا بأى حرج نتيجة لمقابلة فيليب آدامز مع السادات فإن أستراليا – وهو على اتصال بوفدها – مستعدة لأن تتبنى هى مشروع قرار يقدم إلى المجلس ويكون متوافقاً مع وجهة النظر الأمريكية » .

□

وفى الساعة ٣,٣٥ بعد الظهر ، عاد وزير الخارجية البريطانى السير « أليك دوجلاس هيوم » يتصل بـ « كيسنجر » ويبلغه بأن « السادات رفض مجمل الأفكار الواردة فى مشروع القرار البريطانى ، كما رفض اقتراح وقف إطلاق النار فى المواقع (ceasefire in place) » . وأضاف « هيوم » : « يظهر أن السادات يخشى من تواطؤ بين الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة الأمريكية ، وقد قال لفيليب (يقصد السفير فيليب آدامز) – إنه إذا أحس بذلك فسوف يطلب من الصين أن تستعمل حق الفيتو ضد مشروع القرار » .

وقد أحس وزير الخارجية البريطانى بتصلب « هنرى كيسنجر » وتشدده ، فسأله عن « مدى

حرصهم على الوفاق مع الاتحاد السوفيتى » . ورد « كيسنجر » بهدوء أعصاب قائلاً : « إنه يظن أن سياق الحوادث سوف يدفع إلى مواجهة بين البلدين » .

□

وفور إنتهاء حديثه مع وزير الخارجية البريطانى ، اتصل « هنرى كيسنجر » بالسفير الإسرائيلى فى واشنطن « سيمحا دينتز » يبلغه رسالة إلى « جولدا مائير » [٣] مؤداها : « إنه يلح فى ضرورة أن تقوم إسرائيل بتغيير الموقف العسكرى على الجبهة المصرية بطريقة حاسمة فى ظرف ٢٤ ساعة ، فهم (يقصد الولايات المتحدة) فى الطريق إلى مواجهة مع الاتحاد السوفيتى . وهو يرى هذه المواجهة على وشك أن تبدأ ، ويتمنى أن تكون مدتها أقصر ما يمكن ، وأن يخرجوا هم (الأمريكان) منها على قمة الموقف (on top) بطريقة قاطعة حتى لا تؤدى المواجهة إلى مضاعفات يصعب التنبؤ بها » .

وقد كرر « هنرى كيسنجر » نفس هذه اللهجة فى حديث تليفونى لاحق مع اللورد « كرومر » السفير البريطانى . وقال له « كرومر » : « إن هذه المواجهة سوف تكون عملية خشنة (it's going to be rough) » . وكان رد « كيسنجر » : « ليس لدينا خيار (we have no choice) » .

وفى تلك الساعة اتصل « دوبرينين » بـ « كيسنجر » يقول إن لديه رسالة من « بريجنيف » ملخصها « أن الموقف الأمريكى المنحاز بالكامل لإسرائيل ، هو الذى يثير تردد العرب فى قبول وقف إطلاق النار » . وكان رد « كيسنجر » عليه « أن الجسر الجوى السوفيتى الذى يمد العرب بالسلاح هو الذى يجعلهم يعاندون » .

□

ويبدو أن الرئيس « نيكسون » تنبه ولو للحظة إلى أن الأزمة تدار بعيداً عنه ، وبينما هو مشغول بفضيحة « ووترجيت » وباختيار نائب جديد للرئيس . فاتصل بـ « هنرى كيسنجر » مبدياً قلقه من أن تطورات الأمور على النحو الذى يراه فى التقارير الواصلة إلى مكتبه - قد يؤثر على موقف السعودية ، وهى فى نظره « أهم الأطراف العربية » . وقد اقترح عليه « كيسنجر » أن يشغل الملك « فيصل » بخطاب شخصى إليه . وبالفعل أعدت وزارة الخارجية مشروع خطاب للملك وقعه الرئيس « نيكسون » فعلاً ، وتم الإبراق به إلى السفارة الأمريكية فى السعودية . وكانت الرسالة تلعب على مشاعر الملك المعروفة تجاه الشيوعية وتجاه الاتحاد السوفيتى . ونظراً لضيق الوقت فقد تقرر أن تكون الرسالة شفوية .

---

(٣) مذكرات « هنرى كيسنجر » - الجزء الثانى - بعنوان « سنوات القلاقل » - صفحة ٥٢٢ - ٥٢٣ .

وللإنصاف فإن الملك « فيصل » رد عليها كتابة فى نفس اليوم . وجاء فى رده بالنص : [٤]

« فخامة الرئيس

لقد استلمت رسالتكم الشفوية الأخيرة اليوم ١٤ أكتوبر ١٩٧٣ . كما استمعت إلى تصريحات فخامتكم العديدة التى تؤيدون فيها حق كل دولة فى الشرق الأوسط فى الحفاظ على أمنها واستقلالها . كما سمعت الكثير عن رغبة الولايات المتحدة فى نشر لواء السلام الدائم فى العالم . فهل هذا الحق يقتصر على دولة واحدة فى المنطقة ، أم يسرى على جميع دولها ؟

فخامة الرئيس

لقد انحسر المد الشيوعى انحساراً كان يبشر بالخير نتيجة للجهود التى بذلت فى سبيل ذلك ، وقد أمكن الوصول إلى نتائج إيجابية تشهدون بها ، ومنها تخفيض عدد الروس فى مصر ، وإعادة العلاقات مع الجمهورية العربية اليمنية . ولكننا نقول - وبمزيد من الأسف - أن الولايات المتحدة لم تستفد من هذه الخطوات الإيجابية معتقدة بأنها سيطرت على الوضع فى العالم بعد أن نسقت سياسياً مع الاتحاد السوفيتى تجنباً للمجابهة ، متجاهلة أن الأهواء والمطامع لا يمكن السيطرة عليها بالاتفاقيات والمعاهدات التى سوف تتمزق عند أول فرصة سانحة ، كما حدث فى مستهل الحرب العالمية الثانية بين ألمانيا والاتحاد السوفيتى » .

□

وكان « كيسنجر » قد أطلع على تقرير يشير إلى الدور الذى تقوم به القوات العراقية فى قطاع سعسع ، وهو آخر خط دفاعى قبل دمشق . وقرر أن يقوم بمسعى لدى شاه إيران « محمد رضا بهلوى » يقنعه بممارسة أى نوع من ضغط عسكرى على العراق حتى يضطر إلى تحديد دوره على الجبهة السورية ، ويتوقف عن إرسال أية إمدادات جديدة يعتزم إرسالها هناك . وقد برر « هنرى كيسنجر » طلبه بأن قال فى رسالته للشاه بالحرف :

« إننى آمل أن توافقوا جلالتكم معى على أن انتصاراً عربياً فى المعركة الدائرة الآن سوف يكون منسوباً إلى السلاح السوفيتى . فإذا أضفتم جلالتكم إلى ذلك انتصاراً عسكرياً سابقاً تحقق بقوة السلاح السوفيتى ، وهو انتصار الهند على باكستان فى حرب ١٩٧١ بينهما ، فإنكم سوف ترون بلا شك أن مثل هذا الانتصار العربى الآن سوف يؤدى إلى زيادة تطرف الأنظمة فى المنطقة .

إن الرئيس نيكسون بالطبع يقدر لكم شجاعة قراركم القيادى برفضكم طلب الاتحاد السوفيتى بمرور امداداته من السلاح إلى العراق وإلى سوريا عبر الأجواء الإيرانية » .

كانت إسرائيل على وشك أن تلقى بكل قواتها فى المعركة .

وكان « هنرى كيسنجر » قد ألقى فعلاً بكل نفوذ الولايات المتحدة وتأييدها السياسى والعسكرى - وراء إسرائيل .

---

(٤) محفوظات الديوان الملكى - المكتب الخاص - المملكة العربية السعودية - ملف واحد يحتوى على كل مراسلات الملك مع الإدارة الأمريكية فى ظروف حرب أكتوبر ١٩٧٣ ، وقد أعده السيد « عمر السقاف » .

الفصل الثانى عشر

يوم ١٥ أكتوبر

١

١ أكتوبر فى القاهرة :

كان يوم ١٥ أكتوبر واحدا من تلك الأيام التى يصدق عليها الوصف المشهور : « ضباب حرب » ، والمقصود به هو تلك الأيام التى تلى أو تسبق المعارك الكبرى التى ينشغل فيها أطراف بإعادة حساباتهم وبتأمل خططهم ، وفى التفكير فيما يجب أو يمكن أو يحتمل .

وكان الرئيس « السادات » صباح ذلك اليوم قد استوعب الصدمة العسكرية التى تلقاها فى أمس ، وراح يقلب أموره على وجوهها المختلفة . وقد راوده تصور – لعله كان سابقاً لأوانه – ن دور السلاح فى الحرب قد تراجع ، وأن دور السياسة هو الذى يتقدم . والحاصل أن ذلك كان تناقضاً مع منطق ونظرية الحرب المحدودة فى صميمها . ذلك أن الحرب المحدودة لكى تحقق نتائجها لا بد لها أن تركز على أن يكون تأثير السلاح عند النهاية أكثر مما كان عند البداية . وبالتالى ن ما يستطيع أى طرف أن يصل إليه فى الساعات الأخيرة من القتال هو الذى يعكس ظله على أرضية السياسية التى تجرى فوقها أية جهود للبحث عن حلول للأزمات .

كان الرئيس « السادات » مهتماً بالمشاورات التى تجرى فى مجلس الأمن بشأن مشروع قرار قف إطلاق النار . وكانت وقائع مقابلته للسير « فيليب آدامز » السفير البريطانى فى القاهرة – زالت حية فى ذهنه . ومع أنه رفض خطوط مشروع القرار التى عرضها عليه السير « فيليب امز » ، فقد كان عملياً إلى درجة جعلته يحس :

● أن خسارة معركة الأمس – وهى طارىء جديد بعد رفضه للمشروع البريطانى – سوف تفلل من تقدير الآخرين لهذا الرفض .

● أن التوترات الظاهرة فى العلاقات بين القوتين الأعظم سوف تدفعهما أكثر إلى سرعة العمل على الوصول إلى مشروع قرار ، تجنباً لاحتكاكات بينهما قد تؤدى إلى مضاعفات لا يريدها كلتاهما .

وقد خطر له أن يضمن خطابه فى الغد – ١٦ أكتوبر – أمام مجلس الشعب ، خطوط مشروع يتقدم به هو ، ويفتح الباب إلى مجلس الأمن على زاوية تناسبه أكثر .

واتصل بـ « محمد حسنين هيكل » يدعوه لمقابلته ، ويقترح إدخال تعديل على مشروع الخطاب يتضمن فى واقع الأمر خطوط مشروع قرار يقدم لمجلس الأمن . ودارت مناقشة بين الاثنين حول صياغة الفقرة الجديدة التى رأى إدخالها . وطلب « هيكل » أفضلية التشاور فى الأمر مع الدكتور « محمود فوزى » . ولم يعترض الرئيس « السادات » ، فقد كان المهم لديه التوصل بسرعة إلى صياغة يقبلها . وتصور « هيكل » أن الفرصة ملائمة لاقتراح آخر ، فتساءل عما إذا لم يكن مناسباً إيفاد الدكتور « محمود فوزى » إلى نيويورك بسرعة لكى يقود معركة مجلس الأمن بنفسه ، وهو أكبر الخبراء العارفين بدخائل هذا المسرح الدولى الهام . وبشكل ما ، فإن الرئيس « السادات » وإن أبدى عدم اعتراضه على الاقتراح ، لم يبد حماسة شديدة له ، وإن كان قد طلب إلى « هيكل » أن يتصل بالدكتور « فوزى » عارضاً عليه الأمر .

وتوجه « محمد حسنين هيكل » من قصر الطاهرة إلى مبنى وزارة الخارجية القديم حيث كان الدكتور « محمود فوزى » قد اتخذ مقراً لمكتبه هناك . ومن المثير للملاحظة أن الدكتور « محمود فوزى » استمع بهدوء كعادته إلى ما سمعه من زائره ، ثم كان رده على مهل هو الاعتذار عن السفر إلى نيويورك . ثم كان سؤاله المباشر بعد ذلك لزائره هو « هل جاء هذا الاقتراح من الرئيس أم جاء منك ؟ » وبدا السؤال مفاجئا . ورد زائره عليه بقوله « إن الرئيس هو الذى طلب منى أن أجيء إليك الآن ، وأنا قادم إلى هنا مباشرة من قصر الطاهرة » . وكان تعليق الدكتور « فوزى » أنه « استنتج من هذه الإجابة ما يتصور أنه صحيح . وهو آخر من يتردد فى الاستجابة لنداء بلده إذا دعاه الواجب إلى أداء دور . لكنه بكل أمانة يشعر أن الوقت متأخر جداً لكى يستطيع عمل شيء . فالأمور قد اتخذت مساراً بعيداً عنه منذ البداية ، وهو يسمع من بعيد « طراطيش كلام » عن اتصالات وصياغات ، وهذا كله قطع شوطاً طويلاً بحيث تحتم الضرورات أن يكمل الطريق من بدأ بالسير عليه . وهو لا يرى داعياً « لتغيير جياد العربة أثناء عبور النهر » . »

وكانت ملاحظات الدكتور « فوزى » مستغربة ولافتة للنظر ، خصوصاً وأن قائلها كان يبدو فى حالة تمزق حقيقى .

ولم يتأثر الرئيس « السادات » حين علم باعتذار الدكتور « فوزى » عن الذهاب إلى مجلس الأمن ، ولم يزد ما قاله عن تعليق فى جملة واحدة قال فيها « أحسن » . ولم يغير رأيه حين قيل

له إن عدم ذهاب « فوزى » خسارة ، بل أكد رأيه قائلاً : « من المستحسن أن نبت فى كل الأمور من هنا من القاهرة ، وأن يجيئوا إلىّ شخصياً كلما أرادوا إدخال أو تغيير كلمة أو حرف » .

□

وكان الموقف على الجبهة العسكرية مشوشاً هو الآخر . فالهجوم المصرى بالأمس لم ينجح ، والهجوم الإسرائيلى لم يكن قد بدأ بعد . وكان تقرير مكتب الشئون العسكرية فى ذلك اليوم (١٥ أكتوبر) على النحو التالى :

« سرى جداً

تقرير موقف رقم (١٠)

تقرير موقف عن اليوم العاشر قتال ١٩٧٣/١٠/١٥

□ العـدو :

- **يعيد العدو تجميع قواته واستعواض الخسائر .**
- **يقوم العدو بالتعزيز على خط أمام الحد الأمامى لقواتنا ١ - ٣ كم ، مركزاً مجهوده الرئيسى فى المحور الأوسط .**
- **يقوم العدو بتنفيذ عدة هجمات مضادة لاستنزاف قواتنا وتأميناً لإعادة التجميع والاستعواض والإصلاح .**
- **نفذ العدو إغارة بحرية بعدد ٢ زورق بخليج السويس وأصيب له زورق فى هذه الإغارة .**
- **تلاحظ أن اتجاه طائرات المظلات فوق سيناء وإسرائيل تأتى من اتجاه الشمال مباشرة (يرجح حاملة طائرات) . جارى المتابعة والتأكيد .**
- **وردت أخبار تفيد بعبور ٢١ طائرة فانتوم قادمة من لشبونة فى اتجاه إسرائيل . كما سبق أن وردت أخبار تفيد بوصول ٢٠ طائرة فانتوم من قاعدة أمريكية فى تركيا إلى إسرائيل .**

خسائر العدو :

٢٥ طائرة مقاتلة
٣٦ دبابة
٣ طيار أسير
١ زورق حربى
٣ كتائب صواريخ هوك

□ قواتنا :

- **تستمر قواتنا فى تعزيز الخط التى وصلت إليه مع تعديل أوضاعها ودفع مفارز تأمين نقط قتال خارجية ، مع إعادة تجميع القوات المدرعة فى منطقة رأس الكوبرى .**
- **قامت قواتنا بمحاولة الاستيلاء على النقطة القوية للعدو شرق بورفؤاد بالتعاون مع القوات البحرية والجوية .**

- نفذت قواتنا الجوية مهام المظلات وأعمال تأمين المطارات والقوات ، وقصف أرتال مدرعة للعدو فى مواجهة القطاع الأوسط ، وأسقطت للعدو ٦ طائرات .

☐ الجبهة السورية :

- وصلت قوات العدو فى ثغرة الاختراق إلى الخط العام كفر ناسخ / تل شمس / مزرعة بيت جان / تل المال بعمق حوالى ٢٠ كم .
- استخدم العدو طائرات استطلاع بدون طيار .
- قام العدو بقصف مستودعات البترول فى اللاذقية وطرطوس .
- تقوم القوات السورية بالمعاونة مع القوات العراقية فى تثبيت العدو والقيام بعدة هجمات مضادة محدودة .

☐ التعليق :

- من الواضح أن مجهود العدو الجوى قد تأثر بحجم الخسائر الكبيرة التى أصيب بها منذ بدء العمليات - رغم ما يتردد من استعواض لخسائره الجوية حتى الآن . ويتضح ذلك من الشواهد التالية :
  - متوسط حجم الطلعات اليومى للعدو يبلغ من ١١٠٠ - ١٢٠٠ طلعة فى الوقت الذى تشير فيه التقديرات إلى إمكان العدو تنفيذ ٢٠٠٠ - ٢٥٠٠ طلعة - طائرة - يوم .
  - عدم قدرة تركيز العدو لأعماله الجوية على الجبهتين المصرية والسورية فى وقت واحد .

  ولذلك نجد أن العدو يركز على تنفيذ مهمة رئيسية واحدة بقواته الجوية خلال اليوم . ويوضح هذا الأسلوب :
- قيام العدو بتركيز مجهوده الرئيسى يوم ١٤ أكتوبر على قطاع الجيش الثانى .
- وتركيز مجهوده الرئيسى اليوم ١٠/١٥ على قطاع الجيش الثالث .
- موقف العدو البرى وخاصة قواته المدرعة - رغم تحقيقها لبعض أهدافها على الجبهة السورية (اختراق خط وقف إطلاق النار) ، وعلى الجبهة (تثبيت القوات المدرعة فى منطقة رأس الكوبرى) إلا أن مدرعات العدو قد أصيبت بخسائر كبيرة وأجهدت فى أعمال القتال خلال الفترة السابقة . ولذلك فهى تلجأ إلى تعزيز الخطوط التى تتمسك بها ، وذلك فى صورة دفاع مجهز وعلى اتصال بالقوات . وهذا الموقف لا يمكن العدو من تجميع طاقته لتنفيذ ضربة مضادة قوية تحقق له أهدافه على إحدى الجبهتين .
- ومن ذلك فإن نوايا العدو من وجهة النظر التعبوية يمكن أن نوجزها فى أحد الاحتمالات التالية :
  - تركيز جهوده على التمسك بالأوضاع الحالية على الجبهتين مع اتخاذ الإجراءات اللازمة لمنع تدهور الموقف العسكرى بالنسبة له على إحداهما . وذلك انتظاراً لتسوية يمكن أن تتم عن طريق مجلس الأمن .

  وفى هذه الحالة فإن موقف العدو يكون متزناً وغير ضعيف ، حيث أن مكاسبه على الجبهة السورية تعوض له ما خسره من أرض على الجبهة المصرية .
  - العمل بسرعة على رفع قدراته القتالية وخاصة فى مجال القوات الجوية والمدرعة تمكنه

من استغلال الموقف على إحدى الجبهتين ، وبصورة تحقق له أحد أهدافه التالية :

- تهديد دمشق بالاحتلال

أو

- توجيه ضربة مضادة لاستعادة الأوضاع على الجبهة المصرية » .

وكان الرئيس « السادات » قد وضع بقلمه خطا تحت الاحتمال الأول من تقديرات نوايا العدو ، بما يظهر أن ذلك الاحتمال هو ما يرجحه هو شخصياً ، أى أن العدو سوف « يركز جهده على التمسك بالأوضاع الحالية لمنع تدهور الموقف العسكرى وذلك انتظاراً لتسوية يمكن أن تتم عن طريق مجلس الأمن » .

□

وقد تعزز هذا الاعتقاد لدى الرئيس « السادات » عندما تلقى فى الساعة الواحدة والربع بعد الظهر رسالة عن طريق القناة السرية من « كيسنجر » بعث بها باسم السيد « حافظ إسماعيل » . وكان نصها كما يلى :

« من الدكتور هنرى كيسنجر
إلى السيد حافظ إسماعيل

إن الولايات المتحدة ، كما أشار الدكتور كيسنجر للسيد إسماعيل ، قد تصرفت بقدر بالغ من ضبط النفس ، إزاء الأحداث الأخيرة فى الشرق الأوسط ، والسيد إسماعيل على إدراك بأن الولايات المتحدة لم توجه أى انتقاد للتصرفات العربية ، سواء كان ذلك فى الأمم المتحدة ، أو فى البيانات العلنية التى صدرت عن كبار موظفى حكومتها ، يضاف إلى ذلك أنه لم يجر استئناف إرسال إمدادات إلى إسرائيل ، طوال أسبوع ، بالرغم من الطلبات الإسرائيلية المتسمة بالإصرار ، بإرسال إمدادات وعتاد . وقد احتفظت الولايات المتحدة بضبط النفس هذا حتى فى مواجهة عملية نقل جوى سوفيتية ضخمة للعتاد الحربى ، إلى المحاربين العرب .

غير أن الولايات المتحدة قد أرغمت الآن على إعادة النظر فى موقفها فيما يتعلق بالعودة إلى الإمداد الجوى ، لسببين رئيسيين :

(١) فى يوم ١١ أكتوبر ، أخطرت الولايات المتحدة بواسطة الاتحاد السوفيتى بأن مصر على استعداد لإيقاف القتال فى الموقع ، إذا كان سيجرى التصويت على ذلك فى مجلس الأمن ، وأن الاتحاد السوفيتى سوف يمتنع عن التصويت على مثل هذا القرار ، وعندئذ قضت الولايات المتحدة يومين تبذل جهوداً دبلوماسية محاولة تدبير تصويت على إيقاف القتال ، وإيجاد من يتبنى مشروع القرار ، وقد تكلفت فى هذا الصدد ثمناً غالياً فيما يتعلق بالموقف الداخلى فى أمريكا ، وبصعوبة بالغة حصلت الولايات المتحدة على موافقة إسرائيلية على هذا النهج ، وإذا بها تتلقى فى اللحظة الأخيرة عن طريق بريطانيا العظمى ، وأخيراً عن طريق الاتحاد السوفيتى ، إخطارا مفاده أن اقتراح وقف القتال هذا لن يكون مقبولاً لدى مصر .

(٢) إن عملية النقل الجوى السوفيتية الضخمة التى كانت جارية لمدة أكثر من أربعة أيام الآن ، قد أرغمت الولايات المتحدة على البدء فى عملية استئنافها لإرسال إمدادات ، مؤكدة أنها فى معظمها أصناف استهلاكية .

ويود الجانب الأمريكى إخطار الجانب المصرى بأنه على استعداد لإيقاف جهوده فى استئناف إرسال الإمدادات جوا ، فور الوصول إلى إيقاف للقتال .

وتود الولايات المتحدة أن تؤكد مرة أخرى أنها تعترف بعدم قابلية الجانب المصرى للأوضاع التى كانت قائمة فيما قبل نشوب القتال الأخير ، ولسوف يبذل الجانب الأمريكى جهداً بالغاً بمجرد إنهاء القتال ، فى المساعدة على إقامة سلام عادل ودائم فى الشرق الأوسط ، وهو يواصل الأمل فى أن قناة الاتصال هذه مع مصر ، والتى أقيمت بكثير من الصعوبة ، سوف تجرى المحافظة عليها ، حتى تحت ضغط الأحداث .

ولسوف تعمل الولايات المتحدة كل ما يمكنها فى هذا المفهوم » .

وبعد ساعة واحدة من وصول هذا الخطاب إلى الرئيس « السادات » حدث شيء كان لا بد أن يلفت النظر . فقد أبلغت قيادة الدفاع الجوى عن قيام طائرة استطلاع أمريكية من طراز (SR-71 A) بمهمة جديدة وواسعة دارت فيها فوق الجبهة المصرية ومؤخرتها الخلفية . وكانت طائرة الاستطلاع الأمريكية تطير على ارتفاع شاهق يتعدى بكثير مدى الصواريخ المصرية . وكان مؤكداً أن صور الاستطلاع سوف تصل إلى إسرائيل فى أقل من ساعة .



١٥ أكتوبر فى تل أبيب :

اجتمع مجلس الوزراء الإسرائيلى المصغر فى الساعة السابعة من صباح هذا اليوم (١٥ أكتوبر) . وكان أمام المجتمعين تقرير من الجنرال « بارليف » يقول فيه إن القوات جاهزة ، وأن الموعد الذى تقرر لبدء الهجوم الإسرائيلى المضاد هو السابعة مساء ، وأن اختراق المفصل ما بين الجيشين الثانى والثالث لفتح ثغرة بينهما إلى الغرب – سوف يجرى فى منطقة الدفرسوار .

وتقرر دعوة مجلس الوزراء إلى اجتماع فى نفس هذه الساعة حتى تكون القيادة السياسية جاهزة لاستقبال المعلومات الواردة من الجبهة ، واتخاذ أية قرارات قد تدعو إليها ظروف العمليات .

وكان الجو العام فى الجبهة محموماً باستعدادات التنفيذ ، كما أن الجو السياسى العام كان متوترا فى انتظار بدايته .

وتقدمت المدرعات الإسرائيلية بالفعل فى منطقة المفصل ، واقتربت من خط المياه ، لكن القوات المصرية تنبهت إلى تحركاتها وتصدت لها ، مما تسبب فى تأخير العملية بحيث لم يبدأ نزول القوارب المطاطية لعبور القناة إلا فى الساعة الواحدة والنصف صباحاً . ومع ذلك فقد كانت المقاومة

المصرية شديدة إلى درجة حالت دون تمكن قوات الجنرال « برين » الإسرائيلى من تركيب وتأمين موقع جسر تعبر عليه القوات الإسرائيلية .

وفى لحظة من اللحظات كان احتمال فشل العبور ماثلاً أمام مجلس الوزراء الإسرائيلى الذى ظل مجتمعاً منذ الساعة السابعة مساء حتى الفجر . وقد وصلت إليه توصية من الجنرال « ديان » يقترح وقف العملية وصرف النظر عنها . ولكن الجنرال « بارليف » أبدى معارضة شديدة لوقف العملية . وانحازت « جولدا مائير » ووراءها مجلس الوزراء بالكامل إلى « بارليف » فى ضرورة الاستمرار لاحتلال وتأمين جسر تعبر عليه المدرعات لحماية مجموعات من قوات الكوماندوز سبقت إلى العبور بالقوارب المطاطية . وعهد الجنرال « بارليف » إلى زميله الجنرال « آريل شارون » بالتقدم بمدرعاته مهما كانت المقاومة أمامه ، بحيث يتحقق تأمين رأس جسر يمد عليه ولو « كوبرى » متحركا (Pontoon bridge) حتى تتمكن المدرعات من العبور .



شارون

وعند الفجر (الساعة الرابعة والنصف صباحاً) انفض اجتماع مجلس الوزراء الإسرائيلى بعد أن تأكد أن عملية « شارون » تمضى فى طريقها .



١٥ أكتوبر فى واشنطن :

دعا « هنرى كيسنجر » إلى اجتماع لمجموعة العمل الخاصة فى الساعة السادسة صباحاً من هذا اليوم (١٥ أكتوبر) ، وذلك لاستعراض الموقف وتقرير الخطوات التالية فى ظرف كان يعتبره « كيسنجر » معبأ بالاحتمالات . وكان أول المتحدثين في الاجتماع هو الأدميرال « مورر » الذى قال « إنه وقد فشل الهجوم المصرى – فإن إسرائيل أمامها يومين أو ثلاثة لكى تكسر الجبهة المصرية » . وقد خالفه « كيسنجر » فى تقديره مبديا نوعاً من التحفظ لخصه بقوله « إن إسرائيل يمكن أن تخترق الجبهة المصرية دون أن تكسرها » .

وانشغل « كيسنجر » بعد أن انتهى اجتماع مجموعة العمل الخاصة – فى اتصالات مع الوفد الأمريكى فى الأمم المتحدة . ثم اتصل بالجنرال « جور » الملحق العسكرى الإسرائيلى فى واشنطن يسأله إذا كانت لديه معلومات عن الهجوم الإسرائيلى المضاد المنتظر . وأبلغه « جور » بأنه سوف يتلقى أنباء مؤكدة فى ظرف دقائق ، وسوف يعود للاتصال به . وبالفعل عاد للاتصال به يبلغه أن مجلس الوزراء الإسرائيلى منعقد فى تل أبيب ، وأن الكل فى انتظار تطورات هامة من الجبهة . ثم أبلغه باعتقاده أن إسرائيل بدأت فى الحركة (we are on the go) .

□

وقبل الظهر (بتوقيت واشنطن) تلقى « هنرى كيسنجر » رداً عاجلاً على رسالته الأخيرة إلى الرئيس « السادات » ، وقد أدهشته هذه الرسالة . وسجل دهشته قائلاً بالنص : (١)

« لقد كنت أتوقع غضباً عربياً عارماً بعد أن ظهر تأثير الأسلحة الأمريكية عملياً فى الميدان – ولكن الرسالة التى تلقيتها من حافظ اسماعيل مساء يوم ١٥/١٠ جاءت بطريقة لا يمكن وصفها – فى الملابسات التى وصلت فيها – إلا بأنها شىء خارق للعادة » .

وقد لخص « كيسنجر » أهم نقاط الرسالة فى مذكراته على النحو التالى :

١ – إن مصر (برغم كل شىء) « ترغب فى إبقاء قناة الاتصال الخاصة مفتوحة » .

٢ – إن الإشارة بالتعريض بالاتحاد السوفيتى واضحة فى قول الرسالة « إنه لا أحد يتحدث باسم مصر » .

٣ – إن مصر تريد التوصل إلى « شروط لا تؤدى إلى إهانة إسرائيل لأن مصر نفسها عانت معنى الإهانة (!) »

٤ – « إن مصر تقدر جهود أمريكا » من أجل الوصول إلى وقف إطلاق نار كمقدمة لتسوية سياسية .

(كما لاحظ « كيسنجر » أيضاً) :(٢)

١ – أن « حافظ اسماعيل » كان يتكلم مع « مورد السلاح لعدو مصر » كما يتحدث رجل متحضر من رجال الأعمال مع زميل له .

٢ – أن السيد « حافظ اسماعيل » لم يشر إلى الجسر الجوى الضخم الذى يحمل السلاح من أمريكا إلى إسرائيل إلا فى آخر الرسالة ، وأنه أشار إلى ذلك بطريقة مهذبة .

٣ – أنه بدا له أن الرئيس « السادات » يحاول إبعاد نفسه عن الاتحاد السوفيتى ، والتوجه إلى الولايات المتحدة .

٤ – أنه فى هذا الوقت بالذات تلقى تأكيداً بدعوته لزيارة مصر « تقديراً لجهوده » .

---

(١) مذكرات الدكتور « هنرى كيسنجر » – الجزء الثانى بعنوان « سنوات القلاقل » – صفحة ٥٢٧ .

(٢) مذكرات الدكتور « هنرى كيسنجر » – الجزء الثانى بعنوان « سنوات القلاقل » – صفحة ٥٢٧ .

وكان النص الكامل والحرفى للرسالة على النحو التالى :

« من حافظ اسماعيل

إلى الدكتور كيسنجر

١ - لقد تلقى السيد اسماعيل رسالة الدكتور كيسنجر المؤرخة ١٥ أكتوبر ١٩٧٣ ، وهو يود إعادة تأكيد عزم الجانب المصرى على إبقاء قناة الاتصال هذه مفتوحة . كما يرغب أيضاً فى إعادة تأكيد أنه فيما يتعلق بالمسائل الأساسية بصدد موقفه إزاء الموقف الراهن فى الشرق الأوسط ، ليس هناك من طرف آخر يتكلم باسم مصر ، ولعل هذا واضح بجلاء منذ صيف ١٩٧٢ (*) .

٢ - ويود السيد إسماعيل الإعراب عن تقديره للتصرف الأمريكى الذى تضمنت وصفه رسالة الدكتور « كيسنجر » ، تجاه الأحداث الأخيرة فى الشرق الأوسط ، ومثل ضبط النفس هذا ، أمر جوهرى ، إذا كان يراد للسلام أن يتحقق .

٣ - وتود مصر أن توضح بجلاء أنها لا تسعى إلى إلحاق المهانة بإسرائيل ، لأن مصر ذاقت معنى المهانة ، وبالرغم من حقيقة أن الولايات المتحدة ساهمت فى ذلك عن طريق تزويد إسرائيل المستمر بالسلاح ، والحرب النفسية الشعواء التى وجهت ضد مصر ، وفى هذا الصدد ، كان من شأن إرسال الطائرات الأمريكية (SR-71 A) فوق مصر ، أنها (مصر) اضطرت إلى أن تطلب من الاتحاد السوفيتى إمكانية مماثلة .

٤ - يقدر الجانب المصرى الجهود الأمريكية المبذولة فى سبيل إيقاف القتال ، كتمهيد لتسوية سياسية ، غير أنه يجب ملاحظة أن دروس الماضى لا تشجع على اتخاذ مثل هذا النهج ، إذ لا يمكن أن يتحقق السلام بينما الأراضى المصرية محتلة . إن مصر فى حاجة إلى سلام نهائى فوراً ، وهى تعمل لهذا الهدف عن طريق إصرارها على انسحاب القوات الإسرائيلية انسحاباً كاملاً ، ومطلبنا يبين رغبتنا فى سلام حقيقى ، وإلا فإن مناقشة السلام بينما إسرائيل تحتل الأراضى المصرية معناها عدم التوازن بين الجانبين ، ولا يمكن أن تعنى سوى إملاء إسرائيل لشروطها .. وكما قال دكتور كيسنجر عن صواب فى رسالته ، فإن الموقف على ما كان قبل ٦ أكتوبر ، كان غير مقبول لدى مصر ، ولا يزال كذلك .

٥ - لقد تحدث الدكتور كيسنجر عن القرار الأمريكى باستئناف إعادة إرسال الإمدادات جوا إلى إسرائيل ، وهذا موقف غير مقبول لدى مصر ، لسبب بسيط ، هو أن الإمدادات الأمريكية لإسرائيل تسهل مواصلتها لاحتلال الأرض المصرية ، وإملاء شروطها ، أما إمدادات الاتحاد السوفيتى لمصر بأصناف استهلاكية ، فمن أجل تحرير أرضها .

ويود السيد إسماعيل لفت نظر الدكتور كيسنجر إلى تدفق المتطوعين المستمر على إسرائيل من الخارج ، ومن الولايات المتحدة بصفة رئيسية . وبينما يجرى الزعم بأن هؤلاء المتطوعين أصحاب جنسية مزدوجة ، فإن مصر سوف لا تعاملهم فيما يتعلق بجنسيتهم ووضعهم ، إلا على أساس القواعد المعترف بها قانوناً .

٦ - وقد تحدث الدكتور كيسنجر فى رسالته عن جهد أمريكى كبير ، يبذل للمساعدة على تحقيق سلام عادل ودائم بمجرد إنهاء القتال ، ومصر تتساءل عما هنالك من ضمانات ، لضمان سلام عادل ودائم ، إذ أن إسرائيل فيما قبل ٦ أكتوبر ، لم تأبه قط بقرارات الأمم المتحدة ، أو الرأى العام

(*) يشير إلى تاريخ طرد الخبراء السوفيت من مصر !

الدولى ، أو حتى بممارسة النفوذ الأمريكى ، كما اعترف الدكتور كيسنجر بذلك شخصياً . أليس من الأفضل خلق موقف تكافؤ ، بصوره انسحاب القوات الإسرائيلية الكامل ، كضمان قوى لتحقيق السلام ؟

٧ – مع هذه الاعتبارات ، والنقاط الخمس التى وضعت تحت نظر الدكتور كيسنجر فى رسالة السيد اسماعيل المؤرخة ١٠ أكتوبر ، من المنتظر أن يجد الدكتور كيسنجر أن الموقف يستحق جهداً كبيراً كالذى بذله يوم ١١ أكتوبر ، للحصول على موافقة إسرائيل على إيقاف القتال ، وفى هذه المرة سيكون إيقافاً للقتال مصحوباً بانسحاب كامل ، ونهاية لحالة الحرب بينما يرحل آخر الإسرائيليين عن أرض مصر . وهذا سلام حقيقى يستحق تأييد الدكتور كيسنجر الكامل .

٨ – ولسوف ترحب مصر بالدكتور كيسنجر تقديراً لجهوده ، وسوف يكون الجانب المصرى على استعداد لبحث أى موضوع ، أو اقتراح ، أو مشروع ، فى داخل نطاق مبدأين ، لا يعتقد أن الدكتور كيسنجر أو أحد غيره ، يعارضهما ، وهما أن مصر لا يمكنها تقديم أى تنازلات ، فى الأرض والسيادة .

مع أحر التحيات .

١٩٧٣/١٠/١٥

حافظ إسماعيل »

الفصل الثالث عشر

يوم ١٦ أكتوبر

١

١٦ أكتوبر فى القاهرة (صباحاً) :

كانت الشواغل السياسية هى العنصر الطاغى على عملية صنع القرار فى القاهرة صباح ذلك اليوم الخطير (١٦ أكتوبر) .

كان الرئيس « السادات » يتأهب فى الصباح لخطابه المنتظر أمام مجلس الشعب . وكانت تلك أول مرة يتحدث فيها إلى الأمة منذ بدأت الحرب . وقد طلب إلى الفريق « أحمد اسماعيل » أن يمر عليه فى قصر الطاهرة ، وأن يخرج معه فى سيارة مكشوفة وموكب رسمى من قصر الطاهرة إلى مجلس الشعب .

وفى انتظار الموعد فقد انشغل بقراءة مشروع خطابه مرتين لكى يعود نفسه على السياق وعلى الألفاظ ، ويختار الإيقاع الذى يستعمله فى إلقائه . وفى ذلك الوقت قاطعته رسالتان :

● خبر نقلته وكالات الأنباء من تل أبيب يقول إن السيدة « جولدا مائير » سوف تلقى خطاباً أمام الكنيست لأول مرة منذ بدأ القتال . وكان موعد خطابها متفقاً مع الموعد المقرر لإلقاء خطابه . وقد اعتبر الرئيس « السادات » ذلك محاولة من رئيسة وزراء إسرائيل « للتشويش » على خطابه .

● وأما الرسالة الثانية ، فقد أبلغها إليه السفير السوفيتى « فلاديمير فينوجرادوف » ، وكان



الرئيس السادات عند وصوله إلى قاعة مجلس الشعب ليلقى خطابه فى الجلسة الطارئة يوم ١٦ اكتوبر ١٩٧٣ .

مؤداها أن القيادة السوفيتية قررت إرسال رئيس الوزراء « أليكسى كوسجين » على رأس وفد عال إلى القاهرة اليوم لبحث تطورات الموقف معه شخصياً .

□

كان استقبال الرئيس « السادات » فى شوارع القاهرة مظاهرة شعبية رائعة . وكان استقباله فى مجلس الشعب عاصفة مدوية من الحماسة والكبرياء . وكان أهم البنود فى خطابه هو أنه عرض مشروعه للسلام . وقد جاءت الفقرة الخاصة بهذا المشروع على شكل رسالة مفتوحة إلى الرئيس « نيكسون » أوردها الخطاب بالنص التالى : (١)

« أيها الأخوة والأخوات .. لقد فكرت أن أبعث إلى الرئيس « ريتشارد نيكسون » بخطاب نحدد فيه موقفنا بوضوح ، ولكنى ترددت خشية إساءة التفكير . ولذلك فإننى قررت أن أستعيض عن ذلك بتوجيه كلمة مفتوحة إليه من هنا ... رسالة لا يمليها الخوف ولكن تمليها الثقة ... رسالة لا تصدر عن ضعف ولكن تصدر عن رغبة حقيقية فى صون السلام ودعم الوفاق .

---

(١) كانت القناة السرية قد نقلت حتى الآن وإلى الجانبين أكثر من عشر رسائل !

أريد أن أقول له بوضوح أن مطلبنا فى الحرب معروف لا حاجة بنا لإعادته ، وإذا كنتم تريدون معرفة مطلبنا فى السلام ، فإليكم مشروعنا للسلام :

□ **أولاً** - إننا قاتلنا وسوف نقاتل لتحرير أراضينا التى أمسك بها الاحتلال سنة ١٩٦٧ ، ولإيجاد السبيل لاستعادة واحترام الحقوق المشروعة لشعب فلسطين . ونحن هنا نقبل التزامنا بقرارات الأمم المتحدة .. الجمعية العامة .. ومجلس الأمن .

□ **ثانياً** - إننا على استعداد لقبول وقف إطلاق النار على أساس انسحاب القوات الإسرائيلية من كل الأراضى العربية المحتلة فوراً ... وتحت إشراف دولى إلى خطوط ما قبل يونيو ١٩٦٧ .

□ **ثالثاً** - إننا على استعداد فور إتمام الانسحاب من كل الأراضى أن نحضر مؤتمر سلام دولى فى الأمم المتحدة . وسوف أحاول جهدى أن أقنع به رفاقى من القادة العرب المسئولين مباشرة عن إدارة صراعنا مع العدو . كما أننى سوف أحاول جهدى أن أقنع به ممثلى الشعب الفلسطينى ، وذلك لكى يشاركوا معنا ومع مجتمع الدول فى وضع قواعد وضوابط لسلام فى المنطقة يقوم على احترام الحقوق المشروعة لكل شعوب المنطقة .

□ **رابعاً** - إننا على استعداد هذه الساعة ، بل هذه الدقيقة ، أن نبدأ فى تطهير قناة السويس وفتحها أمام الملاحة العالمية لكى تعود إلى أداء دورها فى خدمة رخاء العالم وازدهاره . ولقد أصدرت الأمر بالفعل إلى رئيس هيئة قناة السويس بالبدء فى هذه العملية غداة إتمام تحرير الضفة الشرقية للقناة .

□ **خامساً** - إننا لسنا على استعداد فى هذا كله لقبول وعود مبهمة أو عبارات مطاطة تقبل كل تفسير وكل تأويل ، وتستنزف الوقت فيما لا جدوى فيه ، وتعيد قضيتنا إلى جمود لم نعد نقبل به مهما كانت الأسباب لدى غيرنا أو التضحيات بالنسبة لنا . فما نريده الآن هو الوضوح ... الوضوح فى الغايات والوضوح فى الوسائل » .

□

كان الرئيس « السادات » قبل أن يتوجه إلى مجلس الشعب قد اتصل بـ « محمد حسنين هيكل » يطلب إليه أن يقابله فى صالون رئيس الجمهورية فى مجلس الشعب فور إنتهاء إلقاء الخطاب . وأبدى له « هيكل » أنه لن يحضر جلسة المجلس ، « وهو فى العادة لا يحضر هذه المناسبات » . ورد الرئيس « السادات » بحزم قائلا : « ولكن هذه ليست مناسبة عادية » . ثم اقتنع بعد ذلك حين قال له محدثه إنه « يفضل أن يظل فى مكتبه ، على الأقل لكى يرى خطاب الرئيس « السادات » على التليفزيون ، ويتمكن فى نفس الوقت من متابعة خطاب « جولدا مائير » فى الكنيست عن طريق ما تحمله برقيات وكالات الأنباء أولاً بأول » .

وقد بدأت وكالات الأنباء مع الظهر تماماً تحمل بوادر خطاب رئيسة وزراء إسرائيل . وقد أشارت جميعها إلى الجو المتوتر الذى يسود أروقة وقاعات الكنيست . كما أشارت إلى اجتماع

مغلق للجنة الأمن والدفاع فى الكنيست جرى عقده مباشرة قبل انعقاد المجلس الرسمى المفتوح .

ثم راحت أقوال « جولدا مائير » تترى نقطة بعد نقطة :

١ ـ بدأت « جولدا مائير » بالتركيز الشديد والمبالغ فيه على ما وصفته بالـ « دور الشرير للاتحاد السوفيتى » (وكان قصدها من ذلك بالطبع هو استثارة الرأى العام الأمريكى ، والمساعدة على خلق جو من المواجهة بين القوتين الأعظم) .

٢ ـ وأعلنت « جولدا مائير » رفضها لوقف إطلاق النار وفق المشروعات التى كانت تناقش فى ذلك الوقت فى مجلس الأمن (وكان ذلك لاعتقادها أن المعركة تسير لصالح إسرائيل بالنجاح الذى تحقق عند الفجر بواسطة قوات الجنرال « شارون ») .

٣ ـ وكان أكثر ما يلفت النظر هو إعلانها بالنص « أن القوات الإسرائيلية تحارب بشجاعة على ضفتى القناة شرقاً وغرباً (وكانت هذه هى المفاجأة الكبرى فى الخطاب) .

وعاد الرئيس « السادات » من مجلس الشعب إلى قصر الطاهرة فى موكب أكثر حماسة وعاطفية من ذلك الذى لقيه ذاهباً إليه .

وأتصل تليفونياً بـ « محمد حسنين هيكل » ، وكان أول ما قاله هو عبارة « رائع يا محمد » . ثم أضاف إلى ذلك قوله « ألف ألف شكر » - وكان بذلك يعبر عن تقديره ورضاه عن الخطاب الذى انتهى من إلقائه قبل نصف ساعة أمام مجلس الشعب .

وكان خطاب « جولدا مائير » يلح على الاهتمام أكثر من أى شاغل آخر . وقام « هيكل » بإبلاغ الرئيس « السادات » بما قالته « جولدا مائير » فى خطابها . وقرأ عليه برقية من وكالة « الأسوشيتد برس » نصها :

« أعلنت جولدا مائير أمام الكنيست الآن أن القوات الإسرائيلية تحارب شرق وغرب قناة السويس » .

وبدا أن الرئيس « السادات » مستنكر لما يسمع . وكان رد فعله الفورى هو أن ما قالته « جولدا مائير » هو مجرد محاولة لإضعاف تأثير خطابه على العالم . وكان رأى « هيكل » أن « الموضوع لا بد أن يكون له أساس بشكل ما ، لأنه لا يتصور أن تقف رئيسة وزراء إسرائيل أمام الكنيست وتقول كلاماً مختلقاً بالكامل » .

ورد الرئيس « السادات » بأنه سوف يسأل الفريق « أحمد اسماعيل » ويعود للاتصال بـ « هيكل » مرة ثانية . وفى ذلك الوقت ، كان المسئول فى « الأهرام » عن متابعة خطاب « جولدا مائير » - وهو الأستاذ « عبد الحميد سرايا » - قد جاء بمجموعة من برقيات وكالات الأنباء تتحدث كلها بالتفصيل عن قتال شديد يجرى فى غرب القناة .

وبعد عشر دقائق عاد الرئيس « السادات » يتصل بـ « هيكل » ورأيه أنه يظهر أن « الأمور مفكوكة فى إسرائيل ، وقد عملوا اليوم مسرحية فبعثوا بشوية دبابات تبرجس » . ولما أبدى

« هيكل » عدم فهم لكلمة « تبرجس » ترجمها الرئيس « السادات » بقوله : « يعنى فوتوا شوية دبابات يتسللوا للغرب ويستخبوا فى وسط الشجر علشان تقدر تقول إن عندها قوات فى الغرب » . ثم أبدى الرئيس « السادات » اقتناعه بـ « أنها مسرحية قصد بها إعطاء « جولدا مائير » شيئاً تتكلم عنه فى خطابها لكى تغطى خطابه هو وتشوش عليه » . ثم عبر عن يقينه بأن هذه الدبابات دخلت فى مصيدة لن تخرج منها .

ثم قال الرئيس « السادات » إنه سوف يحاول أن يستريح بعض الوقت من انفعالات الصباح ليكون جاهزاً فى المساء لمقابلة « كوسيجين » الذى وصل إلى القاهرة حوالى هذا الوقت .

ولم تكد المكالمة مع الرئيس « السادات » تنتهى حتى دق التليفون ، وكان المتحدث هو الفريق « أحمد اسماعيل » ، الذى بدأ على الفور بكلمة عتاب أبدى فيها أنه « ليس من الضرورى إزعاج الرئيس بأى خبر تنقله وكالات الأنباء » . ثم أضاف أن « كل ما هناك هو ٧ أو ٨ دبابات تبرجس » . وسأله « هيكل » : « إذن ، فلا بد أن تكون أنت صاحب تعبير البرجسة الذى سمعته الآن من الرئيس السادات ؟ » ورد الفريق « أحمد اسماعيل » قائلاً : « هل تريد أن تقول إنك لا تعرف شيئاً عن برجسة الخيل ؟ ... الخيل عندما تتراقص ؟ » وكان تقدير القائد العام بعد ذلك « أن ما قامت به إسرائيل هو محاولة من محاولات الحرب النفسية أكثر منها عملاً عسكرياً . فهى تريد استغلال مقولة إنهم يقاتلون فى الغرب بقصد إعطاء قوة لخطاب « جولدا مائير » ، وأيضاً للتأثير على الرأى العام الإسرائيلى الذى أصبح على علم كامل بحجم الخسائر الإسرائيلية فى الحرب » .

وحوالى الساعة الرابعة بعد الظهر ، وكانت وكالات الأنباء ملأى بأخبار عن العمليات العسكرية الإسرائيلية غرب القناة ، عاد « هيكل » فاتصل بالفريق « أحمد اسماعيل » قائلاً له إنه يشعر بالقلق لسببين :

- أن برقيات معظم وكالات الأنباء القادمة من منطقة القتال معنونة كلها (datelined) من غرب القناة . وهذا معناه أن هناك مراسلين لوكالات الأنباء العالمية موجودون فعلاً فى المنطقة .

- أن برقيات وكالات الأنباء تتحدث عن وجود جنرال إسرائيلى مع القوات فى الغرب .

وإذا كان هناك جنرال إسرائيلى فى مواقع بهذه الخطورة ، فمعنى ذلك أن هناك قوات إسرائيلية لا يمكن أن يقل حجمها عن مجموعة لواء .

وكان الفريق « أحمد اسماعيل » على استعداد لأن يقبل « أن حجم المدرعات الإسرائيلية التى تسللت إلى الغرب أكبر مما جرى تقديره سابقاً » . ثم كان قوله بعد ذلك إنه « سوف يتم القضاء هذه الليلة على كل الدبابات الإسرائيلية التى عبرت للغرب » . ثم عاد الفريق « أحمد اسماعيل » بعد ساعة واتصل قائلاً « إن تقديرنا هو أن هذا نوع من حرب العصابات بالدبابات ، وسوف يتم القضاء على هذه القوة الليلة حتى لو اضطررنا إلى حرق كل مزارع الفاكهة التى تختبىء فيها هذه الدبابات » .

وكانت صورة الموقف ظاهرة فى خطوطها العامة من تقرير مكتب الشئون العسكرية عن ذلك اليوم . وكان نصه :

« سرى جداً

تقرير موقف رقم (١١)

تقرير موقف عن اليوم الحادى عشر قتال ١٩٧٣/١٠/١٦

□ عـام :

- يستمر العدو فى تركيز مجهوده الرئيسى التعبوى على الجبهة المصرية .
- ويسعى العدو إلى استعادة المبادأة أو المحافظة عليها ، وذلك بتنفيذ عدد من العمليات الخاصة والهجمات المضادة مع محاولة تحقيق اختراق فى منطقة الثغرة بين الجيشين الثانى والثالث ، وتنفيذ إغارة غرب قناة السويس .

□ الجبهة المصرية :

العـدو :

القوات البرية :

- ركز العدو مجهوده الرئيسى على المحور الأوسط حيث قام بتنفيذ عدد من الهجمات المضادة بواسطة وحداته المدرعة . وتمكنت قوة منها تقدر بسرية مشاه ميكانيكية + ٢ فصيلة دبابات برمائية من التسلل غرباً حيث قامت بتنفيذ عدد من الإغارات على وحدات الصواريخ المضادة للطائرات فى المنطقة ، وحاولت السيطرة على بعض تقاطعات الطرق فى المنطقة .
- يتجمع للعدو قوة تقدر بعدد ١٨ هليوكوبتر بمطار « المليز » .

القوات الجوية :

- ركز العدو هجماته الجوية على الأهداف التالية بالأسبقية .
  × رادارات بلطيم - الزعفرانه - رأس البر .
  × قطاع بورسعيد
  × التشكيلات البرية
- استخدم العدو الصواريخ شرايك ضد مواقع الصواريخ فى بورسعيد .
- نفذ العدو استطلاع جوى فى قطاع الجيش الثالث والساحل الغربى لخليج السويس من السخنة إلى شرق القطامية مع اختراق خط الجبهة .

خسائر العدو على الجبهة المصرية :

- بلغ إجمالى خسائر العدو اليوم على الجبهة المصرية :

تدمير ٤٠ دبابة + تدمير ١٢ عربة نصف جنزير + ٤٤٥ قتيل وجريح + ٢١٥ أسير + عدد كبير من المعدات .

- خسر العدو عدد ٢ زورق سريع + إصابة عدد ١ زورق (محتمل سعر) (٢) .
- بلغ إجمالى خسائر العدو طبقاً لبلاغات الدفاع الجوى ١٣ مقاتلة منها طائرة استطلاع موجهة باللاسلكى من طراز رايان .

□ **الجبهة السورية :**

- تمكنت قوات العدو المدرعة من القيام بهجوم مضاد ناجح استردت فيه معظم الأجزاء التى تمكنت من استردادها فرقة ٣ مشاه العراقية .

□ **التعليق :**

- تهدف هجمات العدو المضادة إلى تصفية أحد رؤوس الكبارى وتطوير الهجوم المضاد فى الضفة الغربية .
- ما زالت احتمالات عزل قطاع بورفؤاد وبورسعيد قائمة بغرض التهديد بالاستيلاء عليها .
- يتوسع العدو فى تنفيذ العمليات الخاصة فى عمق قواتنا ضد الأهداف العسكرية والمدنية .



١٦ أكتوبر فى تل أبيب :

كانت القيادة الإسرائيلية فى ذلك اليوم مشغولة بالكامل بأمرين :

- متابعة تطور الهجوم الذى قامت به قوات الجنرال « شارون » .
- التحسب من زيارة رئيس الوزراء السوفيتى « كوسيجين » إلى القاهرة وما يمكن أن تسفر عنه ، وقد ساد فى اجتماع مجلس الوزراء المستمر الذى عاد إلى الانعقاد - اعتقاد بأن الموازين قد انتقلت من المستوى الإقليمى بين العرب وإسرائيل ، إلى المستوى الدولى الأعلى بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى .

(٢) طراز من الزوارق الإسرائيلية المزودة بالصواريخ .

٣

١٦ أكتوبر فى واشنطن :

دعا « كيسنجر » إلى اجتماع فى البيت الأبيض لمجموعة العمل الخاصة تحدد له الساعة العاشرة صباحاً .

ولاحظ « كيسنجر » أن الروح المعنوية لأعضاء مجموعة العمل الخاصة قد تحولت بطريقة سحرية ، وأصبحت عالية جداً نتيجة وصول التقارير الأولى عن الاختراق الإسرائيلى فى منطقة الدفرسوار . وطلب « كيسنجر » إلى وزير الدفاع « شليزنجر » تكثيف شحنات الجسر الجوى العسكرى لإسرائيل « لأن حسم الموقف بات قريباً » . كما طلب إبلاغ كل المتحدثين الرسميين فى البيت الأبيض ووزارة الخارجية بوقف تصريحاتهم وبياناتهم عن الجسر الجوى لإسرائيل ، لأنه يفضل الآن أن تكون لهجة الولايات المتحدة هادئة (low key) .

وقد تلقى أثناء الاجتماع تقريراً من موسكو يفيد بأن رئيس الوزراء « أليكسى كوسيجين » ألغى موعداً مقرراً بينه وبين رئيس وزراء الدانمرك الذى كان يزور العاصمة السوفيتية . ثم تلقى إشارة بأنه تم رصد طائرة خاصة (هامة جداً) فى طريقها الآن من موسكو إلى القاهرة ، ولم يلبث أن عرف شخصية راكبها بعد رسالة موجهة إلى الرئيس « نيكسون » من الزعيم السوفيتى « ليونيد بريجنيف » ، وكانت تحمل ثلاث نقط يود « بريجنيف » إخطار « نيكسون » بها :

١ - أن رئيس الوزراء « كوسيجين » فى طريقه الآن إلى القاهرة .

٢ - أن الموقف فى الشرق الأوسط خطير ، ولا ينبغى ترك تداعياته تقود إلى مواجهة بين القوتين الأعظم .

٣ - أنه إذا انسحبت إسرائيل إلى خطوط ما قبل ١٩٦٧ فإن الاتحاد السوفيتى على استعداد لأن ينضم للولايات المتحدة فى ضمان لأمن إسرائيل داخل حدودها .

وقد عرض « كيسنجر » تحليله لزيارة « كوسيجين » للقاهرة ، واستنتج أن هدف لقائه مع « السادات » هو محاولة إقناعه بوقف إطلاق النار ، وأن محادثات الاثنين (« كوسيجين » و « السادات ») لن تسفر إلا عن أحد بديلين كلاهما مناسب للولايات المتحدة الأمريكية :

- إما أن ينجح « كوسيجين » فى إقناع « السادات » بقبول وقف إطلاق النار الآن وفى المواقع - وهذا يناسبهم طالما أن القوات الإسرائيلية موجودة الآن على الضفة الغربية للقناة .

- وإما أن يفشل « كوسيجين » فى إقناع « السادات » وحينئذ تتفجر الخلافات بينه وبين السوفيت - وهذا أيضاً يناسبهم من حيث يجعل اتصالات حل الأزمة محصورة فيهم .

ورأى « كيسنجر » أن الفرصة مناسبة لتشديد قبضته على الموقف ، ولاستباق مهمة

« كوسيجين » ، وتعزيز دوره قبلها . وهكذا كتب إلى الرئيس « السادات » عن طريق السيد « حافظ اسماعيل » رسالة قال فيها بالنص :

« من الدكتور هنرى كيسنجر
إلى السيد حافظ اسماعيل

إن الدكتور كيسنجر يود أن يقدم تقييمه الصريح للموقف الحالى .

إن هدف الجانب الأمريكى لا يزال البحث عن طريقة لإنهاء القتال الجارى فى ظروف يمكنها تسهيل التقدم نحو تسوية نهائية . إن القوات المصرية قد حققت بالفعل نجاحات كبيرة . وقد زال الشعور بالمهانة الذى كان يشعر به المصريون والعرب بعد سنة ١٩٦٧ ، وانمحى . وقد نشأ موقف جديد يتأكد فيه أن اعتماد أى قوة على التفوق العسكرى الدائم هو نوع من الوهم . وبالتالى ، فقد برزت حقيقة سياسية ظاهرة أمام جميع الأطراف بأنه لا بديل عن الحل السلمى .

ما الذى تستطيع الولايات المتحدة أن تقوم به فى هذه الظروف ؟ إن الدكتور كيسنجر قال دواما إنه لا يستطيع أن يعد إلا بما يستطيع أن يفى به ، ولكنه يفى بكل ما يعد به . إن النقاط الخمسة التى تضمنتها رسالة السيد اسماعيل بتاريخ ١٠ أكتوبر تعنى أن الجانب المصرى يطلب فى واقع الأمر من الطرف الإسرائيلى أن يوافق - كجزء من وقف إطلاق النار - على الشروط المصرية لتسوية دائمة . وفى رأى الدكتور كيسنجر أن هذا لا يمكن تحقيقه إلا عن طريق حرب ممتدة . وليس هناك قدر من النفوذ الأمريكى يستطيع أن يحقق هذا الهدف فى الظروف الراهنة .

إن كل ما يستطيع الطرف الأمريكى أن يعد به وأن ينفذه هو بذل أقصى جهد فى تحقيق الهدف النهائى بتسوية شاملة ، فور التوصل إلى وقف لإطلاق النار . ويعتقد الدكتور كيسنجر أن الحوادث الأخيرة سوف توضح أكثر كيف يستطيع الجانب الأمريكى فى المستقبل أن يمارس نفوذه البناء فى صالح تسوية سلمية .

إن الدكتور كيسنجر يكرر ما سبق له قوله وهو أن الجانب المصرى عليه قرار مهم لا بد أن يتخذه .

إن الإصرار على الحد الأقصى يعنى استمرار الحرب ، ويعنى تضييع كل ما أمكن تحقيقه . إن النتيجة فى ذلك الوقت سوف تتقرر بالخيار العسكرى . والولايات المتحدة لا تريد أن تدخل فى تصورات عن النتيجة المحتملة ، لكنها تشك فى أن هذه النتيجة سوف تكون قاطعة . وعلى كل الأحوال فإن جهود الولايات المتحدة الدبلوماسية سوف تكون فى تلك الحالة معوقة .

ومن أجل إعطاء الدبلوماسية فرصة كاملة ، فإن وقفا لإطلاق النار يجب أن يسبقها . وفى هذه الحالة وحدها تستطيع الولايات المتحدة أن تعد بتوسيع جهودها . إن مصر سوف تجد ضماناً لجدية ذلك الجهد فى استعداد الولايات المتحدة لربط نفسها ربطاً كاملاً بحل الأزمة بطريقة موضوعية .

إن الهدف الآن يجب أن يكون تحقيق وقف لإطلاق النار وتحويله بسرعة إلى سلام حقيقى وعادل يوفق بين رغبة الأطراف فى السيادة والأمن . ويعتقد الطرف الأمريكى أن التقدم يمكن أن يتحقق على أساس وقف إطلاق نار فى المواقع ، مصحوباً بتعهد من جميع الأطراف بالبدء فى محادثات تحت إشراف السكرتير العام تؤدى إلى تسوية تتفق مع قرار مجلس الأمن ٢٤٢ بكل أجزائه ، بما فى ذلك انسحاب القوات الوارد ذكره فى القرار .

إن الدكتور كيسنجر يقدر تقديراً عالياً الدعوة المصرية الكريمة إليه بزيارة مصر . وفور الوصول

إلى وقف إطلاق للنار ، فإنه سوف يسعده أن يعطى لهذه الدعوة اعتباره الجاد والودى كجزء من جهد جدى لتحقيق سلام دائم فى الشرق الأوسط .

ومع أصدق التحية » .

□

ثم توقف « كيسنجر » بقية النهار عن الاهتمام بأزمة الشرق الأوسط . فقد وصلته من ستوكهولم أنباء عن حصوله على جائزة نوبل للسلام مناصفة مع « لى دوك تو » وهو المفاوض الرئيسى معه أثناء تسوية أزمة فيتنام .

لكنه عاد فى المساء مرة أخرى إلى الحرب فى الشرق الأوسط يدرس تقريراً من وكالة المخابرات المركزية الأمريكية يشير إلى أن الدبابات الإسرائيلية المتدفقة من ثغرة الدفرسوار تقوم بغارات منظمة على مواقع الصواريخ المصرية ، مما يؤدى إلى تعرية الجيش المصرى من غطائه إزاء الطيران الإسرائيلى . وكان آخر تعليق أملاه فى مذكراته ذلك اليوم هو أنه سجل بارتياح قوله « إن الوقت الآن يعمل لصالحنا بوضوح (time is now clearly working for us) » .

٤

١٦ أكتوبر فى القاهرة (مساء) :

التقى الرئيس « السادات » ورئيس الوزراء السوفيتى « كوسيجين » مساء اليوم (١٦ أكتوبر) – وقد بدأ الحديث بينهما بأن قال الرئيس « السادات » لضيفه إنه « كان يتمنى لو أنه جاء فى الصباح وشاهد استقباله فى شوارع القاهرة ذاهباً إلى مجلس الشعب ، وشهد أيضاً حديثه أمام هذا المجلس ، وكيف استقبله النواب » . ورد « كوسيجين » بأنه « سمع من « فينوجرادوف » صورة كاملة عن الحماسة الشعبية والتأييد الجماهيرى الذى لاقاه الرئيس » .

وانتقل الرئيس « السادات » إلى تذكير « كوسيجين » بعبارات الشكر والعرفان التى ذكرها فى خطابه عن دور الاتحاد السوفيتى وموقفه من تأييد العرب ، وكيف أنه قال « إن الأمة العربية لن تنسى أصدقاء هذه الساعات الذين يقفون معها ، ولن تنسى أعداء هذه الساعات الذين يقفون مع عدوها » .

ثم قدم الرئيس « السادات » لضيفه عرضاً للمشروع الذى طرحه أمام مجلس الشعب ، فأبدى فيه استعداده لقبول وقف إطلاق النار .

والتقط « كوسيجين » حبل الحديث من هذه النقطة ، وراح يحاول إقناع الرئيس « السادات »

بأفكار ونصوص مشروع قرار مجلس الأمن الذى سبق عرضه عليه بواسطة بريطانيا رسميا - وبواسطة السفير السوفيتى بطريقة غير رسمية . وكان الرئيس « السادات » قاطعاً في رفضه لأن ذلك كان يعنى قبول وقف لإطلاق النار فى المواقع الحالية . ولما كان الإسرائيليون الآن يتحركون على مواقع من الضفة الغربية من قناة السويس ، فقد كان معنى القبول بوقف إطلاق نار في المواقع هو استمرار بقاء القوات الإسرائيلية فى الغرب ، بينما كان الرئيس « السادات » يتوقع أنه سوف تتم تصفية هذه القوات وتدميرها ، ولو بالحريق - هذه الليلة .

ولم يتعرض « كوسيجين » بالتفاصيل إلى عملية الاختراق الإسرائيلى ، وقد كانت فى باله . وكذلك لم يتوقف الرئيس « السادات » عندها طويلاً ، وكانت فى باله أيضاً . وتم الاتفاق على تأجيل الاجتماع إلى صباح الغد ، والرئيس « السادات » يعتقد فى سريرة نفسه أنه سوف يجىء فى الغد ومعه موقف عسكرى أفضل يتحقق به طرد قوات الثغرة ، وبالتالى يكون لكل حدث حديث .

□

وقد أبلغ الرئيس « السادات » بعد إنتهاء مقابلته مع « كوسيجين » فى الساعة الحادية عشرة والثلث مساء - أن الفريق « أحمد اسماعيل » اتصل به تليفونياً ، ووجده مشغولاً مع رئيس الوزراء السوفيتى ، وترك له رسالة أن يتصل به فى المركز رقم « ١٠ » . ورأى الرئيس « السادات » اختصار الإجراءات ، وربما للبحث بنفسه عن طمأنينة تريحه قبل استئناف المحادثات فى الغد - وهكذا قرر أن يتوجه إلى المركز رقم « ١٠ » ، وطلب من مدير مكتبه للشئون العسكرية إبلاغ القائد العام بأنه فى الطريق إليه .

وكان وصول الرئيس « السادات » إلى مركز القيادة فى وقته تماماً . فقد كانت الخلافات منفجرة بين وزير الحربية والقائد العام وبين رئيس الأركان - وكانت نقطة التفجير هى تصادم الآراء حول الطريقة التى يمكن بها التعامل مع ثغرة الاختراق الذى قامت به القوات الإسرائيلية :

● الفريق « أحمد اسماعيل » - من ناحية - يرى من الأفضل ضرب الثغرة من الشرق - بمعنى سد الفتحة التى تتدفق منها المدرعات الإسرائيلية إلى غرب القناة .

● والفريق « سعد الشاذلى » - من ناحية أخرى - يرى أن قطع الثغرة عن سيناء من الغرب أكثر فاعلية . ولكن ذلك يقتضى سحب الفرقة المدرعة الرابعة من سيناء إلى غرب القناة لتقوم بهذه المهمة .

وبلغ الخلاف بين الاثنين مبلغاً خطيراً ، خصوصاً وأن الفريق « الشاذلى » كان قد اقترح فى اليوم السابق على الثغرة - عملية من هذا النوع لإعادة التوازن إلى الجبهة بعد فشل تطوير الهجوم المصرى إلى المضايق .

وأدت حدة الخلاف بين الرجلين إلى موقف شديد الحرج لبقية القادة من هيئة أركان الحرب . وكان الأمر يحتاج إلى حكم أعلى منهما . وهكذا كان وصول الرئيس « السادات » فى اللحظة

المناسبة تماماً . وبدأ كلاهما يعرض وجهة نظره أمام الرئيس « السادات » . وكان رأى الفريق « أحمد اسماعيل » هو الأكثر رجاحة فى هذه اللحظة - لأى مراقب ينظر للموقف نظرة شاملة . فالقائد العام لم يكن ينظر للموضوع من وجهة نظر العمليات فقط ، وإنما كانت نظرته أشمل . وقد قال بوضوح إنه إذا بدأ سحب قوات الفرقة المدرعة الرابعة إلى غرب القناة فى هذه الساعات ، فإن القوات كلها فى الشرق سوف تشعر بحركتها ، وقد تتصور - خصوصاً مع انتشار أخبار الثغرة - أن تلك مقدمة لانسحاب عام يقوم به الجيش المصرى من الشرق . وبالتالى فإن هذه القوات سوف تبدأ - راضية أو كارهة - فى التأثر بعقلية الانسحاب . وهذا قد يعيد إليها أجواء سنة ١٩٦٧ .

كان الفريق « أحمد اسماعيل » على حق . ففى تلك اللحظات ، وبصرف النظر عن أية آراء سابقة ، فإن الاعتبارات النفسية للقوات كان لا بد أن يكون لها الغلبة فى أى حساب تخطيط لطريقة مواجهة الثغرة .

لكن المشكلة الكامنة أن الاختلاف الذى احتدم بين الرجلين وتفجر ، أخرج ما كان مكتوماً فى صدر كل منهما تجاه الآخر من تأثيرات علاقاتهما السابقة (تجربة الكونجو وما بعدها) .

وكان منطقياً أن ينحاز الرئيس « السادات » إلى صف الفريق « أحمد اسماعيل » . لكنه من تأثير الضغوط الواقعة عليه ترك انحيازه يتحول إلى إهانة لرئيس الأركان . فقد « ثار ثورة عارمة ، وفقد أعصابه ، وأخذ يصرخ بعصبية قائلاً إنه لا يريد أن يسمع من الشاذلى هذه الاقتراحات مرة ثانية ، وإذا سمعها فسوف يقدمه إلى مجلس عسكرى لمحاكمته » (٣) .

(٣) مذكرات الفريق « سعد الدين الشاذلى » - صفحة ٢٥٣ .

الفصل الرابع عشر

يوم ١٧ أكتوبر

١

١٧ أكتوبر فى القاهرة :

صباح هذا اليوم (١٧ أكتوبر) كانت القوات المصرية المكلفة بقفل الثغرة من الشرق ، وهى اللواء ١٦ مشاه والفرقة ٢١ مدرعة واللواء ٢٥ مدرع - تقوم بجهود مستميتة لوقف تدفق المدرعات الإسرائيلية إلى الغرب . وقد حققت فى بداية الأمر قسطا من النجاح - عاونتها فيه من الغرب قوات من الصاعقة دخلت معركة بطولية استشهد فيها قائد هذه القوات المقدم « إبراهيم الرفاعى » - لكن قوة الاندفاع الإسرائيلى كان من الصعب إيقافها تماما .

وقد تلقى الرئيس « السادات » من مكتبه للشئون العسكرية تقارير أولية عما يجرى فى ميدان القتال ، كان أثرها المبدئى عليه هو أن طلب إخطار « كوسيجين » برجائه فى تأجيل الاجتماع المتفق عليه صباح اليوم إلى بعد الظهر . فلم يكن فى مقدوره - ومن وجهة نظره - أن يجلس مع « كوسيجين » ويتفاوض بأعصاب هادئة .

وقبل « كوسيجين » بتأجيل الموعد ، ولعله رحب به . فقد أحس أنه هو الآخر فى حاجة إلى معلومات إضافية تكمل له صورة الموقف على الجبهة قبل أن يقابل الرئيس « السادات » . وقضى ساعات الصباح كلها فى اجتماعات مع السفير السوفيتى « فلاديمير فينوجرادوف » حضرها عدد من العسكريين السوفيت ، وتخللتها اتصالات تليفونية متعددة مع موسكو .

□

وذهب الرئيس « السادات » بعد الظهر إلى موعده مع « كوسيجين » . ولم يكن فى أحسن أحواله . فالثغرة التى استطاعت بها القوات الإسرائيلية اختراق الجبهة المصرية فى الدفرسوار لم تغلق . والعمليات فى المنطقة يتسع نطاقها . والطيران الإسرائيلى يركز كل نشاطه على القوات المصرية التى تتصدى لعملية حصر ومحاولة تطويق جيب الاختراق الإسرائيلى . وقد أحس الرئيس « السادات » أن هذه الحالة تضعف موقفه أمام « كوسيجين » ، ولم يكن واثقا من حجم الحقائق التى توافرت لدى ضيفه من اجتماعاته واتصالاته فى الصباح . وهكذا فإنه دخل إلى اجتماعه مع رئيس الوزراء السوفيتى وقد تشبث فى تفكيره بنقطتين ، كان الإلحاح عليهما فى تلك الظروف غير مبرر فى الواقع الموضوعى(*) :

● **فى النقطة الأولى :** راح الرئيس « السادات » يلوم الاتحاد السوفيتى على تقصيره فى إمداد مصر بالسلاح . وقد استشهد مرات بالفارق الكمى والنوعى بين جسر الإمداد الأمريكى لإسرائيل ، وجسر الإمداد السوفيتى لمصر .

● **وكانت النقطة الثانية :** أن الرئيس « السادات » حاول التهوين من شأن الثغرة الإسرائيلية ، مظهرا مقدرة القوات المصرية على التعامل معها وضربها مع تسليمه بأن الأمر قد يحتاج إلى وقت أطول عما كان مقدرا .

وبدأ نفاد الصبر على لهجة « كوسيجين » وهو يتحدث ، فقد ضايقه ما بدا له أنها محاولة لإلقاء اللوم على الاتحاد السوفيتى . وبدأ كلامه قائلا « إنه يريد أن يتحدث مع الرئيس بصراحة » . ثم قال « كوسيجين » : « إننا قبل هذه الأزمة كنا أصدقاء ، وبهذه الأزمة ونحن فيها معا ، فقد أصبحنا حلفاء . ولقد قدمنا إليكم ما طلبتموه منا . وحتى هذه اللحظة فإن الجسر الجوى السوفيتى نقل إلى مصر أكثر من ستة آلاف طن من المعدات . وقد حاربتم بالمعدات السوفيتية فى الأيام الأولى من القتال بطريقة أثبتت كفايتها وكفاءتها . وبعد ذلك فإن إدارة المعركة كانت فى أيديكم ونحن لم نقترب منها ، مع أنه كانت لنا ملاحظات على الطريقة التى دخلتم بها إلى المعركة وحققتم انتصارا مبدئيا شهد به العالم لكم ، ثم توقفتم بعد ذلك دون سبب مفهوم . وقد تركتم حلفاءكم على الجبهة الشمالية حتى يضربهم العدو ثم يتحول إليكم . ومع ذلك فأنا لا أريد أن أدخل فى تفاصيل إدارة مجهودكم الحربى لأن ذلك شىء يخصكم . لكننى اضطررت إلى إبداء ما أبديت من الملاحظات إزاء ما قلتوه . والاتحاد السوفيتى ليس على استعداد لقبول ما قلتوه : حين يتحقق انتصار فهذا الانتصار لكم وحدكم ولا شأن لنا به ، وحين تقع مشكلة فنحن سبب المشكلة بتقصيرنا فى إمداد السلاح اللازم وأنتم لا دخل لكم بالموضوع » .

وفيما يتعلق بالنقطة الثانية عن حجم القوات الإسرائيلية التى تمكنت من دخول الثغرة ، فقد قال « كوسيجين » إن « صديقنا الرئيس السادات يقلل من الخطر الذى تواجهه القوات المصرية . وأنا مضطر أن أضع أمامه الحقيقة حتى يستطيع أن يقيم حساباته على أساس سليم » .

(*) محضر للجلسة كتبه المهندس « عبد الفتاح عبد الله » وزير شئون رئاسة الجمهورية .

والتفت « كوسيجين » إلى أحد العسكريين من أعضاء وفده الذى رفع حقيبة كان يضعها تحت مائدة الاجتماع ، ثم فتحها وأخرج منها مظروفا كبيرا سلمه لـ « كوسيجين » الذى أخرج منه مجموعة من الصور الفوتوغرافية الملتقطة بالأقمار الصناعية (وكان عددها ١٨ صورة) . وقام « كوسيجين » من مقعده متجها إلى الناحية التى يجلس عليها الرئيس « السادات » من مائدة المفاوضات ، ثم وضع أمامه الصور راجيا منه أن يدقق النظر فيها .

وكانت الصور واضحة بطريقة مذهلة . فقد بدت فيها منطقة الثغرة الإسرائيلية وما حولها . وكانت هناك علامات ودوائر مرسومة عليها تحدد مواقع القوات الإسرائيلية وطوابيرها .

وراح « كوسيجين » يشرح قائلا : « هذه الصور لا تشير إلى قوات صغيرة تمكنت من عبور الثغرة إلى الضفة الغربية من القناة » . ثم استطرد « كوسيجين » يقول : « هذه الصور تظهر أنه حتى ساعة التقاطها ظهر اليوم كان لإسرائيل فى الغرب ٧٦٠ قطعة مدرعة ما بين دبابات وعربات مصفحة . وهذه قوة كبيرة ، وتعزيزها لا زال مستمرا ، وأنتم أمام موقف خطير تفرض عليكم الظروف مواجهته ووقفه عند حده حتى تستطيعوا المحافظة على حجم انتصاراتكم المبدئية » .

□

كان الرئيس « السادات » يستمع إلى « كوسيجين » وإحساسه - كما قال بنفسه فيما بعد - « أنه لم يشعر بكراهية للروس قط مثلما شعر بها فى هذه اللحظة » . وقد استمع بدون حماسة إلى ما عرضه « كوسيجين » عليه بعد ذلك من « أنهم فى موسكو يجرون اتصالات مع واشنطن على أعلى مستوى ، ويحاولون التوصل إلى مشروع قرار يقدم إلى مجلس الأمن ، على أن ينص فيه صراحة على ضرورة الانسحاب الكامل » .

وعقب الرئيس « السادات » بأنه على استعداد لقبول قرار من هذا النوع إذا نص فيه فعلا على الانسحاب الكامل . وقد تضايق حينما أبلغه « كوسيجين » بأنه سوف « يمد زيارته للقاهرة إلى الغد ١٨ أكتوبر ، لكى يستطيع إبلاغه بنفسه بنتائج الاتصالات بين موسكو وواشنطن فى أوقات صعبة لا تحتمل الانتظار ، ولا إجراء الاتصالات عن طريق السفراء والبرقيات » .

□

كان تقرير مكتب الشئون العسكرية عن وقائع اليوم الثانى عشر قتال معبرا بشكل عسكرى مقتضب عن أحوال الجبهة . فقد جاء فيه ما يلى :

« سرى جدا

تقرير موقف رقم (١٢)

تقرير موقف عن اليوم الثانى عشر قتال ١٧ / ١٠ / ١٩٧٣

- يستمر العدو فى تركيز مجهوده الرئيسى على الجبهة المصرية مع تثبيت أوضاعه فى ثغرة الاختراق على الجبهة السورية .

- يحاول العدو إقامة رأس كوبرى فى منطقة الدفرسوار ويركز جهوده لتحقيق هذا الغرض فى القطاع الأوسط من سيناء .
- يعمل العدو على احتفاظه بالمبادأة .
- يهدف العدو لخلق الظروف المناسبة لإنشاء المعابر والعبور للضفة الغربية فى منطقة الدفرسوار بالتعاون مع قوات الإبرار الجوى .
- توسع العدو فى عمليات التخريب فى العمق باستخدام المجموعات الخاصة السابق إبرارها لضرب قواعد الصواريخ المصرية ، وأيضا ضد الموانى باستخدام الضفادع البشرية .
- تابع العدو أعمال القصف المركز ضد بورسعيد فى محاولة لتليين الدفاعات وتصفية موقف الدفاع الجوى فيها تمهيدا لمحاولة عزلها أو احتلالها .
- تركز نشاط العدو فى الجو على تنفيذ الآتى :
  × معاونة أعمال قتال قواته البرية .
  × قصف بورسعيد مركزا على القوات البحرية ووسائل الدفاع الجوى .
  × قصف مطار القطامية .
  × استطلاع القطاع من شرق بورسعيد إلى شرق كبريت ومن رأس العريش إلى رأس البر .
- استخدم العدو عمليات التداخل السلبى والإيجابى بكثافة شديدة على جميع أنواع الرادار » .



١٧ أكتوبر فى تل أبيب :

صباح هذا اليوم (١٧ أكتوبر) كان وزير الدفاع الإسرائيلى « موشى ديان » موجودا فى قيادة الجبهة الجنوبية . وقد عقد اجتماعا شارك فيه الجنرال « بارليف » (المشرف على الجبهة الجنوبية) ، والجنرال « دافيد اليعازر » رئيس هيئة أركان الحرب . وكان رأى الثلاثة متفقا على ضرورة توسيع قوات الثغرة إلى أقصى حد ممكن ، برغم المقاومة المصرية المستميتة . وهكذا صدرت الأوامر إلى قوات الجنرال « برين » بأن تتحرك لتدعيم قوات « شارون » . وفى حين أن قوات « شارون » نفسها - وهو معها - كانت داخل الجيب الإسرائيلى على الضفة الغربية ، فإن مهمة قوات الجنرال « برين » استوجبت - طبقا للتعليمات الصادرة إليه - أن يكون هو المسئول عن حراسة بوابة الثغرة واستمرار فتحها أكثر وأكثر ، وتأمينها لعبور مزيد من القوات .

وبعد الاجتماع توجه الجنرال « دافيد اليعازر » إلى تل أبيب ليحضر اجتماعا لمجلس الوزراء المصغر ، ويقدم إليه تقريرا عن الصورة على الجبهة الجنوبية ، ثم يغادر هذا الاجتماع قاصدا الجبهة الشمالية ليطمئن إلى ثبات الأوضاع عليها .

وبعد الظهر بقليل اتصل الجنرال « ديان » بنفسه تليفونيا بـ « جولدا مائير » يطمئنها إلى أن الأوضاع فى الجنوب تحسنت بأكثر مما سمعته من رئيس أركان الحرب . فالثغرة فى الجنوب اتسعت الآن بوجود لواءين مدرعين ولواءين من المشاه الميكانيكية .

٣

١٧ أكتوبر فى واشنطن :

كانت الأنظار فى واشنطن فى ذلك اليوم (١٧ أكتوبر) مركزة على حدثين :

● **أولهما** – اجتماع بين الرئيس الأمريكى « ريتشارد نيكسون » ووفد من وزراء خارجية الدول العربية ، فقد رأى وزراء الخارجية العرب ، وهم جميعا فى نيويورك يحضرون دورة الجمعية العامة ، أن لقاء مع الرئيس الأمريكى يمكن أن يكون مفيدا ، وتحدد موعد لاستقبال عدد منهم لا يزيد على ثلاثة أو أربعة ، وتقرر بعد مداولات بين الوزراء أن يكون الوفد من أربعة ، هم وزراء خارجية السعودية والكويت والجزائر والمغرب . وكانت تركيبة الوفد على هذا النحو من اقتراح الأستاذ « محمد المصمودى » وزير خارجية تونس الذى رأى أن يكون وفد الوزراء وفدا « تفوح منه رائحة البترول دون أن يكون بترولا كله » .

● **والثانى** – اجتماع وزراء البترول العرب فى الكويت ، والذى تقرر له هذا اليوم أثناء اجتماع سابق لوزراء البترول العرب مع غيرهم من وزراء « الأوبك » كان قد عقد فى فيينا يوم ٨ أكتوبر . كان الوزراء العرب قد بدأوا فى بحث عملية استخدام البترول كسلاح فى المعركة ، وذلك فى اجتماعهم السابق (٨ أكتوبر) ولكن وزراء نفط « الأوبك » أبدوا أن هذا موضوع يخص العرب وحدهم . وهكذا قرر وزراء البترول العرب أن يجتمعوا وحدهم فى الكويت يوم ١٧ أكتوبر . وفى واقع الأمر فقد كانت المسافة بين الاجتماعين كبيرة ، فقد بلغت عشرة أيام فى ظرف نشوب حرب واسعة النطاق فى المنطقة يخوضها العرب ضد إسرائيل .

وكان المعروف أن هناك خطة مصرية لاستعمال النفط فى المعركة أرسلها الرئيس « السادات » إلى الملك « فيصل » من يوم ١٠ أكتوبر ، وقام بحملها إليه مبعوث خاص من الرئيس « السادات » هو المهندس « سيد مرعى » . وكان العالم كله ينتظر اجتماع « الأوبك » ليعرف ما إذا كان العرب سيمضون فى استخدام البترول كسلاح فى المعركة ؟.. وإذا استعملوه فعلى أى أساس ؟.. وهل تكون هى الخطة المصرية أم خطة بديلة لها ؟[١]

□

كان « كيسنجر » على باب المكتب البيضاوى فى استقبال وفد وزراء الخارجية العرب الذين قصدوا إلى البيت الأبيض للاجتماع مع الرئيس « نيكسون » ، وقد قال الوزراء العرب إنهم يريدون مترجماً ينقل إليهم كلام الرئيس للغة العربية لأن بينهم وزيرين لا يعرفان من اللغات الأجنبية غير

---

(١) كانت هذه الخطة هى التى أعدها الدكتور « مصطفى خليل » أثناء رئاسته لوحدة دراسات الطاقة فى مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية فى الأهرام ، وقام « محمد حسنين هيكل » بتقديمها للرئيس « السادات » .

الفرنسية ، وهما وزيرا خارجية المغرب والجزائر . ورد « كيسنجر » بأن الوقت متأخر لذلك الآن ، لكنه يعد بإعداد محضر كامل للمقابلة يوزع على المشتركين فى الاجتماع فور انتهائه .

وقد بدأ الرئيس « نيكسون » كلامه مع الوزراء العرب - فى حضور « كيسنجر » و« سيسكو » - وحاول أن يكون رقيقا بقدر استطاعته . فقد بدأ بأن قال إنه أحس بسعادة حينما طلب وزراء الخارجية العرب مقابلته . وقد استجاب لطلبهم فورا « لأنكم فى الحرب السابقة ١٩٦٧ - اتهمتمونا فورا بالتواطؤ مع إسرائيل ، وقطع كثيرون منكم علاقاتهم معنا . وأما فى هذه المرة فإنكم جئتم لتتحدثوا إلينا . وهذا فارق كبير بين الموقفين » . ثم قال « نيكسون » إن « العرب يتهمون الولايات المتحدة بأنها هرعت لمساعدة إسرائيل بمجرد ظهور دلائل على انتصار مصرى - سورى عليها . وهذا ليس دقيقا . فنحن بدأنا الجسر الجوى لمساعدة إسرائيل بعد أن بدأ السوفيت فى مساعدة مصر وسوريا » . ثم استطرد « نيكسون » وهو يشير إلى « كيسنجر » الجالس بجواره « إن معى هنا وزير خارجيتى ، وسوف يكون هو الذى يتحدث معكم . وقد يتهمه البعض منكم أنه يهودى ، وهذا صحيح . لكنه فى الوقت نفسه أمريكى ، وهو يؤدى دوره فى خدمتى بكفاءة . وأنا واثق أن مشاعره كيهودى لن تؤثر على ولائه لأمريكا أو على ولائه لى . وستجدونه رجلا بناءً » . ثم حاول نيكسون » أن يلطف الجو أكثر بإلقاء نكتة ، فقال إن « **مسز مائير قالت لسفيرنا فى إسرائيل ذات يوم : « وزير خارجيتنا ووزير خارجيتكم الآن يهوديان ، والاختلاف الوحيد بينهما أن وزير الخارجية الإسرائيلى يعرف الانجليزية أكثر مما يعرفها وزير خارجيتكم » . »** ثم وصل « نيكسون » من ذلك إلى قوله إن جولدا مائير سيدة عظيمة وتتميز بكفاءة كبيرة . وكانت قوتها - فى جزء منها - تعتمد على شعورها بالتفوق العسكرى . أما الآن فالموقف مختلف » . ثم أضاف : « ولكنى أريد أن أقول لكم إن أمن إسرائيل شىء لا نستطيع المساومة عليه . ونحن لسنا من أنصار التوسع الإسرائيلى ، لكننا نريد أن تتوافر لها حدود آمنة » .

□

ولقد استطاع وزراء الخارجية العرب الذين قابلوا « نيكسون » و« كيسنجر » فى البيت الأبيض أن يجمعوا ما يمكن أن يكون نص محضر للقائهم ، وذلك بعد أن لم تصلهم من « كيسنجر » كما وعد - صورة لمحضر كامل عما دار فى صلب المقابلة . وقد وضعه الدكتور « محمد حسن الزيات » فى صياغة تقرير بعث به إلى الرئيس « السادات » من نيويورك ، وكان نصه على النحو التالى(*) :

(*) فى ملحق صور الوثائق توجد صورة للصفحة الأولى من هذه البرقية ، وهى منشورة تحت رقم (٦٩) . على صفحة ٨٠٨ من الكتاب .

« وزارة الخارجية
إدارة الرمز

سرى للغاية

من : نيويورك ت . و . أ : ١٨ / ١٠ / ٧٠٠ .
رقم : ٧٥٦٠ ت . و . و : ١٨ / ١٠ / ١٥٠٥ .

١ – عاد وزراء خارجية السعودية والكويت والمغرب والجزائر مساء اليوم (الأربعاء) بعد أن قابلهم كيسنجر وحضر معهم مقابلة نيكسون ، ثم واصلوا الحديث مع كيسنجر وذلك فى مقابلة حضرها سيسكو . وقد ذكروا لى أن مقابلتهم مع نيكسون سجلت فى البيت الأبيض ، وأنه سيرسل لهم غدا الخميس محضرا « ترانسكريبت » للاجتماع . ونظرا لأنهم لم يأخذوا نقطا بما تم أثناء المقابلة فإنهم يفضلون الانتظار لإعطائنا نسخة من المحضر ، ويفضلون كذلك الانتظار قبل إرسال أى تقارير للعواصم .

٢ – على أنه فى اجتماع ضمهم وحضره معى ومع نائب وزير خارجية سوريا كل من وزراء خارجية السودان والأردن ولبنان واليمن والإمارات تحدث كل منهم عما دار فى المقابلة ، وكانت أحاديثهم تقاطع من الحاضرين بالأسئلة وتتفرع عنها مناقشات مختلفة ، ومع ذلك يمكن أن نستخلص منها المعلومات الآتية التى رأيت الإبراق لكم بها فورا .

أولا : كانت مقابلة نيكسون لهم ودية جدا وأحسوا أنهم يدخلون رافعى الرؤوس وأن نيكسون يعاملهم باحترام ، وقد بدأوا المقابلة بأن تلا وزير خارجية السعودية السقاف كلمة عامة كانوا حضروها ، ورد نيكسون فأخبرهم أنه يعرف البلاد العربية وأكثر رؤساءها ، وبلاده لها علاقات قائمة مع الكثير منها ، وأنه يتطلع إلى معرفة من لا يعرفه من الرؤساء وإلى إعادة العلاقات مع الدول التى ليس لأمريكا معها علاقات مثل الجزائر ومصر وسوريا ، وقال لهم إنه لا يعمل إلا لصالح أمريكا ومهتم بالأمن الدولى ، ولا يدير سياسته فى الشرق الأوسط على أساس اعتبارات السياسة المحلية الأمريكية ، وهذا هو شأن وزير الخارجية مع أنه من أصل يهودى ، كما أشار إلى مسز مائير فوصفها بالكفاية وبالتشدد ، وقال إن مواقفها المتشددة كانت تستند إلى شعورها بالقوة العسكرية التى كانت تمتاز بها والآن تغير الموقف ، ويعتقد أن أمريكا الآن أصبحت أكثر قدرة على التحرك . وقد أشار نيكسون أيضا أثناء حديثه إلى أن بلاده لا تريد أن يتسبب الموقف الحاضر فى الشرق الأوسط فى قيام صراع بين بلاده وبين الاتحاد السوفيتى .

ولاحظ الوزراء أن حوالى مائة صحفى ومصور حضروا لتسجيل دخولهم وخروجهم مع أنهم كانوا قد وعدوا بعدم وجود صحفيين أو مصورين .

ثانيا : وتناولت أحاديثهم مع كيسنجر عدة موضوعات منها ضرورة :

أ – إيقاف العمليات القتالية « سيزاشن أوف هوستاليتيز »(*) ، فقال فى هذا الصدد إن التقديرات العسكرية الأمريكية الأولى كانت تذهب إلى أن الإسرائيليين سيحرزون نصرا أكيدا فى خلال الأيام الأولى للقتال ، وبناء على تلك التقديرات كانوا قد اقترحوا الانسحاب إلى خطوط ستة أكتوبر مع إيقاف النار ، وكانوا يقدرون أن إعلان هذا الموقف الأمريكى سيكون مفيدا للعرب فى حالة تجاوز إسرائيل

(*) cesation of hostilities

لهذه الحدود توغلا فى أراضى مصر وسوريا ، وقد ظهر الآن خطأ هذه التقديرات العسكرية الأمريكية ، وهم الآن لا يطالبون بالعودة إلى خطوط ٦ أكتوبر ، وإنما يمكن إيقاف العمليات القتالية فى موضعها ثم بدء المفاوضات فورا للتوصل إلى تسوية . وعندما أشار الوزير بوتفليقة إلى أن الجزائريين والفيتناميين لو كانوا أوقفوا النار عندما بدأوا مفاوضاتهم لتغيرت نتيجة المفاوضات ، أجاب كيسنجر بأن الحرب ليست حرب عصابات ويمكن إيقافها ، فإذا لم تنجح المفاوضات تستأنف الحرب . وعندما سأل الوزير العربى عما يحدث إذا غدرت إسرائيل وحاربت من جانبها ، قال كيسنجر إن إسرائيل لا يمكن لها أن تحارب وحدها أكثر من ٩ أيام ثم تحتاج لمعونة وفى أمريكا وفى هذه الحالة لا تقدم أمريكا لأهلها المعونة .

ب - أسس التفاوض :

وذكر الوزراء أن قرار ٢٤٢ ذكر كأساس للتفاوض فى مقابلتهم لنيكسون الذى قال إنه يضع ثقله كرئيس للجمهورية إلى جانب تنفيذه ، وكذلك عند مقابلتهم لكيسنجر . وعندما سأل الوزراء العرب كيسنجر لماذا لم ينفذ قرار ٢٤٢ منذ صدر ، أجاب صراحة أن ذلك بسبب تفوق إسرائيل العسكرى التام مما لم يكن يدعوها إلى الاهتمام بتنفيذه ، وقال كذلك إن الضعيف لا يفاوض ، والعرب كانوا ضعفاء وهم اليوم أقوياء وبالتالى أكفاء للمفاوضة . وقال إن العرب قد حققوا أكثر مما كنا نتصور أنهم قادرون فى أى وقت على تحقيقه ، بل لعلهم حققوا أكثر مما كانوا يتصورون هم أنهم قادرون على تحقيقه .

جـ - الانسحاب إلى حدود يونيه ١٩٦٧ :

ولما سُئل كيسنجر هل يمكن الانسحاب إلى حدود يونيه ٦٧ أو ارتباط بذلك ، أجاب صراحة بالنفى وقال إن رجوع العرب إلى خطوط يونيه ٦٧ سيعيد الأخطار التى كانت تواجه إسرائيل فى ذلك التاريخ .

د - نزع سلاح سيناء :

عندما ذكر وزير خارجية السعودية السقاف أننا لا نقبل نزع سلاح سيناء ، قال كيسنجر إن إسرائيل لا تقبله أيضا لأنها لا تفكر فى بقائها فى سيناء .

هـ - حقوق الشعب الفلسطينى :

عندما تحدث الوزراء عن حقوق الشعب الفلسطينى ، قال لهم كيسنجر إن الكلام الذى قالوه معناه الوحيد إما خراب إسرائيل أو خراب الأردن .

و - تزويد أمريكا لإسرائيل بالسلاح :

وفيما يخص تزويد إسرائيل بالسلاح الأمريكى ، أشار كيسنجر إلى حجم المساعدات السوفيتية لمصر وسوريا - كمبرر لهذه المساعدة ، وقال لهم إن أمريكا لم تقرر إرسال الأسلحة إلا عندما رأت أن ميزان القوى سيختل ، وقال لهم كذلك إن أمريكا أبلغت الاتحاد السوفيتى صراحة أن أمريكا ستستمر فى مساعداتها إلى أن يوجد التوازن ، وعندما يتحقق هذا التوازن ستتوقف مساعداتها لإسرائيل .

ز - مواجهة الاتحاد السوفيتى - وقال كيسنجر للعرب يجب أن نتجنب مصادمة عالمية .

ح - تدخل أمريكا المباشر - قال كيسنجر إن هذا لا يقع إلا إذا حدث اعتداء على إسرائيل نفسها - فإذا حدث هذا الاعتداء فستتدخل أمريكا .

ط – التوقيت :

قال كيسنجر إن أمامه زيارة للصين بعد عشرة أيام ، وبمجرد عودته منها سيطلب الملف ويبدأ العمل على طريقته ، وهى ليست إلقاء خطب ولا الطواف بالعواصم ، وهنا قال « وهذا مع الاعتذار لسيسكو » . وعندما سأله الوزير بوتفليقة هل الصين تأتى أسبقيتها الآن قبل الشرق الأوسط أن العكس ، أجاب أن الأسبقيات يمكن تعديلها ودائما .

وبهذه المناسبة تذكر الوزير السقاف أنه فى مقابلته الخاصة لكيسنجر ، كان كيسنجر قد أخبره أنه لا بد من الانتظار مدة أسبوعين إلى أربعة ينتظر أن ينتهى بعدها القتال بتعب الطرفين ، وذلك قبل القيام بأى عمل للتسوية .

ى – بيان الرئيس السادات :

إجابة على سؤال من الجانب العربى قال كيسنجر إن خطاب الرئيس السادات مع أننا لا نتفق مع كل ما قيل فيه ، فإن فيه نقطا بناءة constructive approaches . كما قال إننا لا نعتبر السادات عدونا .

ا.ا <u>تعليق :</u>

١ – طرح الصحفيون على السقاف سؤالا عند خروجه – وبجانبه نيكسون – عن الاجتماع ، فقال إنه مفيد وإن الرجل الذى حقق السلام فى فيتنام يمكن أن يحقق السلام فى الشرق الأوسط . فلما سألوه هل تحدثتم عن البترول ، تدخل نيكسون وقال إنه ليس من العدل not fair تقديم أسئلة للوزير لأنه يتحدث باسم الدول العربية كلها . وذكرت الإذاعات كذلك أن الحالة الآن تختلف عن ستة يونيه ١٩٦٧ عندما قطع العرب علاقاتهم الدبلوماسية مع أمريكا ، فإنهم الآن يتحدثون معها . وذكرت بعض الإذاعات أن المسئولين فى واشنطون يرون أنه لا يمكن إيجاد تسوية متوازنة قبل أن يوجد توازن عسكرى .

وقد علق الوزير بوتفليقة على المقابلتين أثناء اجتماع الوزراء العرب الليلة بقوله إن انطباعه أن أمريكا ترى أن الموقف فى الشرق الأوسط قد دخل عليه عامل جديد هو التحرك العسكرى العربى الناجح . وأنها تعمل على أسس من الرغبة فى الحفاظ على أمن إسرائيل ولإنقاذها من الهزيمة ، ولا تعمل بدافع العطف على العرب . وهى ترى أنه لا بد من الانتظار حتى ينتصر الإسرائيليون قليلا ، أو ينهار العرب قليلا قبل أن يستطيع التدخل بهذا الغرض .

وكان تعليق وزير الكويت الصباح أنه يعتقد أن الأمر بيد العرب ، وأن التسوية ستتشكل حسب ما يحرزونه من تقدم ونصر فى الميدان .

٢ - كان وزير خارجية السودان منصور خالد قد قابل كيسنجر وحده صباح أمس « الثلاثاء » ، وقد أبلغنى بملخص مقابلته وليس فيها ما يزيد على ما تقدم ، وفيها تأييد لاعتقاد الأمريكان أن إسرائيل لن تقبل العودة إلى حدود ٥ يونيه ١٩٦٧ قبل التفاوض . وقد قال كيسنجر لمنصور خالد إنه لو كان كل من الطرفين فى مفاوضات فيتنام قد أصر على الإقرار بمطالبه قبل بدء المفاوضات لكان مصيرها الفشل العاجل .

الوزير

وفى الساعة الثالثة بعد الظهر ، وعقب انتهاء مقابلة وزراء الخارجية العرب الأربعة مع « نيكسون » بحضور « كيسنجر » و« سيسكو » - دعا « كيسنجر » إلى اجتماع لمجموعة العمل الخاصة . وقد عرض عليها تصوراته للتطورات المحتملة ولخصها فيما يلى :

١ - إنه يتوقع هدوءا فى النشاط الدبلوماسى أثناء وجود « كوسيجين » فى القاهرة . وقد عرفوا من تقارير وصلتهم أنه باق فيها حتى الغد (١٨ أكتوبر) .

٢ - إنه لا يتوقع - على أساس استنتاجاته - من مقابلة وزراء الخارجية العرب للرئيس « نيكسون » التى حضرها - أن يلجأ العرب لاستعمال سلاح البترول ضد أمريكا . (أضاف « كيسنجر » أن رأيه فى هذه المسألة يختلف عن رأى الرئيس « نيكسون » الذى قال له بعد نهاية الاجتماع أنه لا يزال يظن أن العرب سوف يستعملون سلاح البترول) .

٣ - طلب « كيسنجر » فى الاجتماع أن يزداد التركيز أكثر وأكثر على تكثيف الجسرالجوى لإسرائيل . وقال بالحرف : « لا بد أن نمشى فى هذا الشوط إلى آخره حتى يصرخ أحد الأطراف ويخرج من المعركة » .

وقبل أن ينتهى الاجتماع تلقى « كيسنجر » إشارة عن القرارات التى توصل إليها وزراء البترول العرب المجتمعون فى الكويت . فقد قرروا أن يدخل البترول سلاحا فى المعركة . ثم بدأت برقيات وكالات الأنباء تدخل إلى قاعة الاجتماع حاملة كامل التفاصيل :

١ - تقرر تخفيض الإنتاج العربى الكلى بنسبة ٥٪ فورا .

٢ - تقرر تخفيض ٥٪ من الإنتاج كل شهر حتى تنسحب إسرائيل إلى خطوط ما قبل ١٩٦٧ .

ثم حملت وكالات الأنباء بعد ذلك اجراءات مستقلة اتخذتها بعض الدول المنتجة للبترول ، إلى جانب الإجراءات العامة التى اتخذتها « الأوابك » ، وبينها :

- **قرار ست دول بترولية برفع سعر بترولها بنسبة ٧٠٪ - أى من ٣,١ دولار إلى ٥,١٢ دولار للبرميل .**

- **قررت بعض الدول العربية حظر تصدير البترول كلية إلى الدول التى يثبت تأييدها لإسرائيل بما فيها الولايات المتحدة .**

وكان « كيسنجر » ثائر الأعصاب ، وقد اعتبر هذه القرارات التى اتخذتها الدول العربية داخل منظمتها (« الأوابك ») أو خارجها أمورا لا يمكن السكوت عنها . وقبل أن ينتهى اجتماع مجموعة العمل الخاصة كان يعرض أفكاره على النحو التالى :

١ - أن العرب أعطوا أنفسهم الحق فى استخدام البترول كسلاح ، وهذا أمر بالغ الخطورة لأنه يعكس نزعتهم إلى محاولة السيطرة علينا .

٢ ـ أن منتجى البترول بهذا القرار أعطوا أنفسهم من جانب واحد ولأول مرة فى التاريخ حق تحديد أسعاره .

٣ ـ أنه إذا طبق الحظر على الولايات المتحدة فسوف تكون هذه ضربة لا يمكن قبولها لهيبة ونفوذ دولة ترى نفسها فى مقعد القيادة لشئون العالم .

ولم ينس « كيسنجر » فور انتهاء الاجتماع أن يخطر السفير الإسرائيلى « دينتز » بأنهم « يتعين عليهم تشديد ضغطهم على الجبهة المصرية ، وتحقيق أهدافهم على الجبهتين فى ظرف الـ ٤٨ ساعة القادمة ، لأنه بعدها سوف يكون مضطرا للتحرك بطريقة جدية لتمرير قرار بوقف إطلاق النار فى مجلس الأمن » .

وطلب « كيسنجر » من « دينتز » أن « يفكروا معهم فى تعبيرات صياغة القرار ، لأنه يعرف بسابق تجربته أن إسرائيل ترفض باستمرار الصيغة الأولى لأى صياغة تقدم لها حتى ولو كانت من الولايات المتحدة » .

ولعل عصبية « كيسنجر » زادت عندما وصل إلى وزارة الخارجية ليجد فى انتظاره تقريرا من السفير الأمريكى فى السعودية عن مقابلة دعى إليها مع الملك « فيصل » . وفيها أبلغه الملك برسالة إلى الرئيس « نيكسون » تحتوى على ثلاث نقاط :

- **إذا استمرت الولايات المتحدة فى مساندة إسرائيل ، فإن العلاقات السعودية الأمريكية قد تتعرض لمشاكل .**

- **أن السعودية سوف تخفض إنتاجها بنسبة ١٠٪ وليس ٥٪ فقط كما قرر وزراء البترول العرب .**

- **قال السفير فى تقريره ان الملك ألمح إلى احتمال وقف شحن البترول السعودى إلى الولايات المتحدة إذا تعذر الوصول إلى نتائج سريعة وملموسة فى الأزمة .**

وقد زاد غضب « كيسنجر » أكثر وأكثر حين بدأت ردود الأفعال تجيئه من أوروبا واليابان نتيجة لاستخدام سلاح البترول فى المعركة .

كانت العاصفة الحقيقية الناشئة عن هذا القرار هى التأثيرات على أوروبا الغربية واليابان . وأما بالنسبة للولايات المتحدة ، فإن الشركات الأمريكية الكبرى المسيطرة على أسواق النفط كانت قد بدأت على الفور فى تحويل معركة البترول كلها إلى قضية أسعار تستفيد منها الشركات الأمريكية على حساب أوروبا الغربية واليابان ، فى حين أن التأثير الحقيقى على الولايات المتحدة كان هو مجرد الأثر الأدبى والمساس بالمكانة والهيبة .

الفصل الخامس عشر

يوم ١٨ أكتوبر

١

١٨ أكتوبر فى القاهرة :

كانت الأجواء فى قصر الطاهرة مليئة بشحنات مكهربة فى الصباح الباكر من هذا اليوم (١٨ أكتوبر) . فقد جرت واقعة غريبة وخطيرة قبل الفجر . ففى الساعة الثالثة وصل إلى باب القصر على غير انتظار عدد من الضباط الشبان العاملين فى القيادة العامة (ما بين ١٢ إلى ١٥ ضابطا) . وقد طلبوا الدخول لمقابلة الرئيس ، فتصدت لهم الحراسة . ونشأ موقف ينذر باحتمال حدوث مضاعفات . وجرى استدعاء الضابط النوبتجى فى مكتب الشئون العسكرية الذى تدارك الأمر فدعا الضباط القادمين فى الفجر للدخول إلى مكتبه والتحدث معه بهدوء .

كانوا مصرين على مقابلة « رئيس الجمهورية والقائد الأعلى » . وحين قيل لهم إنه نائم ، أصروا على إيقاظه . وبسبب الظروف والملابسات وتوتر الجو فى مناخ حرب ، فإن الضابط النوبتجى طلب منهم أن يمنحوه فرصة ليتحدث إلى الرئيس « السادات » . وبالفعل صعد الضابط النوبتجى إلى الدور الثانى متوجها إلى قاعة السكرتارية بجوار غرفة نوم الرئيس ، وشرح ظروف الموقف الخطر الذى حل بالقصر فجأة ، ثم اقترح إيقاظ الرئيس من النوم ووضع الأمر أمامه يشير فيه بما يرى .

وفوجىء الرئيس « السادات » الذى كان مستغرقا فى النوم بأحد أفراد سكرتاريته يوقظه من النوم مضطربا ويروى له ما حدث . وانفعل الرئيس « السادات » لأول وهلة . ثم سكنت أعصابه

عندما جاء الضابط النوبتجى من مكتب الشئون العسكرية وروى له ما أحس به من مشاعر الضباط القادمين فى الفجر ، وأنهم يريدون مقابلته باعتباره القائد الأعلى ، ولم تصدر عن واحد منهم كلمة خارجة أو تصرف غير لائق . واعتدل الرئيس « السادات » فى فراشه ، ثم بدأ يهم ببطء نازلا من سريره وهو يفكر بسرعة . وقد ذهب إلى دولاب فى قاعة النوم ، وأخذ منه « روب دى شامبر » وضعه على بيجامته ، ثم طلب من الضابط النوبتجى أن يجىء إليه بالضباط فى الصالون الملاصق لحجرة النوم .

واستجمع الرئيس « السادات » أعصابه بسرعة وتوجه إلى الصالون ، بينما كانت مجموعة الضباط القادمين إلى قصر الطاهرة عند الفجر يصعدون السلم إلى الدور الثانى . وحين دخلوا عليه كان واقفا فى استقبالهم محاولا أن يبتسم ويسألهم بود ظاهر قائلا - طبق روايته - « خير يا أولادى » ؟

وبدأ اثنان أو ثلاثة منهم يتكلمون فى نفس اللحظة . ورجاهم الرئيس « السادات » أن يتحدث واحد منهم لأنه يريد أن يفهم بهدوء ما دعاهم إلى مقابلته فى هذه الساعة . وتكلم أحدهم ، وكان مؤدى كلامه :

- « إنهم جميعا من ضباط القيادة ، وقد لجأوا إليه باعتباره القائد الأعلى عندما شعروا طوال الليل أن القيادة العامة للقوات المسلحة فى حالة انقسام تجاه ما يمكن عمله لوقف الثغرة ، وفى حالة عجز عن مواجهتها . وأنهم فكروا وتناقشوا ، وطافت برؤوسهم أفكار - وصفها الضابط المتكلم بأنها مجنونة - لكنهم سيطروا على أعصابهم ، وقرروا أن يلجأوا إليه لأنه لا بد أن يفعل شيئا بنفسه فى هذه اللحظة ، وأن يتدخل بشخصه لإعادة الأمور إلى وضع صحيح وسليم . فمصير البلد فى خطر ، ومصير قواتها المسلحة معرض لكارثة » .

وكان الرئيس « السادات » يصغى باهتمام ، ودارت مناقشة شابتها العصبية فى بعض اللحظات . ثم تمكن الرئيس « السادات » من السيطرة على الموقف بالكامل . وكان آخر ما قاله : « اطمئنوا يا أولادى ، واتركوا لى الموقف ، وأنا المسئول عن البلد وعن الجيش » .

وبعد أن انصرف الضباط ظل الرئيس « السادات » جالسا فى الصالون الملحق بغرفة نومه ، وقد طلب غليونه وعلبة التبغ ، وراح يدخن فى صمت .

وفى الساعة التاسعة صباحا ، كان الفريق « أحمد اسماعيل » معه . وقد طال حديثهما لمدة ساعة وعشر دقائق ، وقد فوجىء وزير الحربية بما سمع من الرئيس ، وكان رد فعله أن الأمر خطير ، ويستدعى التحقيق مع هؤلاء الضباط بعد التعرف على شخصياتهم ، وهو أمر ممكن . وأقنعه الرئيس « السادات » أن ذلك « ليس وقته » .

وكان ما حدث عند الفجر فى قصر الطاهرة قد عرف فى دوائر محدودة ، ووصل إلى بيت الرئيس « السادات » فى الجيزة . وتوجهت السيدة « جيهان السادات » مسرعة إلى قصر الطاهرة ، وكان الفريق « أحمد اسماعيل » ما زال مجتمعا بالرئيس « السادات » . وكتبت السيدة جيهان

السادات » بخط يدها على ورقة رسالة إلى الفريق « أحمد اسماعيل » قالت فى بدايتها : « **سيادة الفريق ، أستحلفك بالله أن تجد من بين رجالك الصالح لقيادة المعركة وممن تتوافر لهم ثقة الضباط** » . ثم أكملت الرسالة ، واستغرقت ستة سطور . وطلبت إلى السيد « فوزى عبد الحافظ » سكرتير الرئيس أن يعطيها للفريق « أحمد اسماعيل » فى يده وهو يقوم بتوصيله إلى سيارته بعد انتهاء المقابلة .

وتوجه الرئيس « السادات » بعد ذلك متعبا ومرهقا إلى لقائه الأخير مع رئيس الوزراء السوفيتى « أليكسى كوسيجين » . ولم يطل اجتماعهما أكثر من ساعة تم الاتفاق خلالها على نقطتين :

- استعداد مصر لقبول قرار وقف إطلاق النار .
- أن يتم ذلك فى مقابل انسحاب إسرائيل من الأراضى المحتلة طبقا لقرار ٢٤٢ .

وعاد الرئيس « السادات » بعد أن ودع « كوسيجين » إلى قصر الطاهرة . وكان فى انتظاره تقرير مكتب الشئون العسكرية ، وهو يقول بما يلى :

« سرى جدا

تقرير موقف رقم (١٣)

تقرير موقف عن اليوم الثالث عشر قتال ١٨ / ١٠ / ١٩٧٣

□ **عام :**

- **يستمر العدو فى تركيز مجهوده على الجبهة المصرية مع قيامه بدفع قوات جديدة إلى جبهة سيناء .**
- **يحاول العدو استغلال نجاحه فى الاختراق والعبور غربا بأقصى طاقته مركزا جهوده فى القطاع الأوسط .**
- **يستمر الإمداد الأمريكى لإسرائيل بصورة متزايدة ، وخاصة بالنسبة للدبابات والطائرات والأسلحة المضادة للدبابات .**
- **يسعى العدو بأعمال مفارزه المدرعة لتصفية موقف وسائل الدفاع والإنذار الجوى لتهيئة أنسب الظروف لتنفيذ عملية إبرار وإسقاط جوى . وكذا الحصول على السيطرة الجوية فى المنطقة لتوفير حرية لقواته الجوية فى معاونته لقواته البرية . كما يستغل هذه الأعمال لإرباك القيادة المصرية وتشتيت واستهلاك الاحتياطيات .**
- **عزز العدو قواته غرب القناة بقوات إضافية .**

. . . .

. . . . »

وكان حائط الصواريخ المصرى يتعرض لضغط شديد . فقد راحت مجموعات من الدبابات

الإسرائيلية ـ من ٥ ـ ٦ دبابات ـ تظهر فجأة أمام قواعد الصواريخ وتقوم على الفوز بإطلاق مدافعها بقصد تدميرها وتعطيلها عن أداء دورها فى الدفاع الجوى .

وغادر الرئيس « السادات » قصر الطاهرة فى الساعة الثانية بعد الظهر قاصدا إلى المركز رقم « ١٠ » . وقد استمع إلى تقرير من الفريق « أحمد اسماعيل » ثم طلب من الفريق « سعد الدين الشاذلى » رئيس هيئة أركان الحرب ـ أن يتحرك فورا إلى الجبهة ، وأن يتولى بنفسه وضع خطة على الطبيعة لمواجهة تطورات الموقف فى الثغرة .

ثم عاد الرئيس بعد ذلك إلى قصر الطاهرة طالبا من مكتبه للشئون العسكرية أن يعطوه صورة كاملة عما حدث ، وكيف ، ولماذا ؟ وكتب له أحد ضباط المكتب بخط يده ورقة احتوت خريطة وإلى جانبها بعض الملاحظات . كانت الملاحظات كما يلى :(*)

« الضربة المضادة

☐ **العدو :**

(١) نجح فى تحديد نقطة الاتصال بين الجيشين (يقصد المفصل) .
(٢) نجح فى عبور القناة تحت النيران ، وتأمين رأس كوبرى على الضفة الغربية . استمر فى القتال ٤ أيام (يقصد يوم ١٥ ـ يوم ١٦ ـ يوم ١٧ ـ يوم ١٨) .

☐ **الهدف :**

- **الاحتفاظ برهينة أرض ثمينة للمساومة .**
- **تمزيق خطوط المواصلات وإيقاف التدعيمات لإتاحة الفرصة الأفضل للهجوم المضاد العام فى الشرق .**
- **ربط قوات رئيسية غرب القناة .**
- **تدمير مصادر النيران لعناصر الدفاع الجوى والنيران (يقصد مدفعية) .**
- **الحصول على نصر سياسى وإعلامى .**

☐

ولم تتوقف مشاكل الرئيس « السادات » فى هذا اليوم المزعج عند هذا الحد . فقبل أن يحل المساء ، تلقى رسالة من الرئيس « حافظ الأسد » كان نصها كما يلى :

(*) فى ملحق صور الوثائق توجد صورة للخريطة رسمها مكتب الشئون العسكرية بسرعة للرئيس « السادات » ، كما توجد عليها بخط راسمها الملاحظات التى شاء إبداءها للرئيس « السادات » ، وهى منشورة تحت رقم (٧٠) ـ على صفحة ٨٠٩ من الكتاب .

« برقية رمزية(*)
من دمشق
من الرئيس حافظ الأسد
إلى الرئيس السادات

كنت أتمنى ونحن فى خضم المعركة أن أطلع على المشروع الوارد فى خطابكم الأخير أمام مجلس قبل إعلانه على الناس ، لا لأننى أرغب أن أكون العقيد القذافى مع المشروع أو ضده ، ولكن لأن من منا أن يطلع الآخر عن آرائه وتصوراته قبل أن يسمعها من الإذاعة . ولم أكن أود أن أكتب هذه الكلمات فضلت وبعد مضى يومين على الخطاب أن لا أخفى عنك رأيى ومشاعرى سيما ونحن نخوض معركة أو الموت .

حافظ الأسد »

وأمسك الرئيس « السادات » بقلمه على الفور ، وكتب بخط يده على نفس الرسالة ما :

« الأخ الرئيس حافظ

المشروع قائم على الأساس الذى نحن متفقون عليه ، وليس فيه جديد يدعو إلى التشاور ، وهو الا وحقوق شعب فلسطين . وما دعانى للمبادرة به هو حديث جولدا مائير ، وضرورة أن ندفع بالمعركة ال مع المعركة العسكرية وداخل المبادىء الأساسية التى بدأنا عليها معركتنا . أعتقد أننا نستطيع أن نتحر نناور . أما إذا كان هناك تغيير ، فهنا يتحتم التشاور قبل عمل أى شىء . وأشكرك لأنك لم تخف هذا الم حتى لا يحدث بيننا فى المستقبل أى سوء فهم .

مع أطيب تمنياتى .

أنور السادات »



١٨ أكتوبر فى تل أبيب :

كان مجلس الوزراء المصغر منعقدا كالعادة ابتداء من الساعة السادسة صباحا . وقد الجنرال « ديان » إلى تل أبيب لحضور اجتماعه وتقديم تقرير عن سير العمليات . وكان الج « ديان » متفائلا . وتبدى إلحاح المجلس على سؤال واحد ، وهو : « هل يمكن أن تحقق الق الإسرائيلية أهدافها كاملة فى الغرب قبل صدور قرار بوقف إطلاق النار » ؟ وكان « ديان » يـ طمأنة المجلس إلى ثقته بأن الجواب على سؤال أعضائه هو بـ « نعم » .

(*) فى ملحق صور الوثائق توجد صورة من هذه البرقية ، وهى منشورة تحت رقم (٧١) ـ على صفحة ٨١٠ من الك كما تظهر على نفس البرقية صورة تأشيرة الرئيس « السادات » بخط يده عليها .

ولم تكن « جولدا مائير » على استعداد لأن ترى وزير دفاعها الذى كان منهارا قبل أيام يتحدث بهذه الثقة الآن وكأن الموقف الجديد هو من صنعه ، بينما هى تعتبر نفسها صانعة الموقف الجديد ، وأنها لو قبلت بتوصيات « ديان » قبل أيام لكانت الصورة مختلفة .

وقد تركت قاعة المجلس قائلة إن لديها اتصالات سياسية عالية وعاجلة مع واشنطن .



١٨ أكتوبر فى واشنطن :

بينما كان « كوسيجين » لا يزال فى الطائرة عائدا إلى موسكو ، كان السفير السوفيتى فى واشنطن « أناتولى دوبرينين » يتصل بـ « هنرى كيسنجر » يبلغه استعداده لمناقشة قرار يصدر عن مجلس الأمن يتضمن نقطتين :

(أ) وقف إطلاق النار .

(ب) انسحاب القوات الإسرائيلية من الأراضى المحتلة طبقا لقرار ٢٤٢ .

ورد عليه « كيسنجر » بأنه يقبل النقطة (أ) فى اقتراحه ، وهى وقف إطلاق النار ، ولكنه يتحفظ على النقطة (ب) (الانسحاب) .

ثم يقول « كيسنجر » لـ « دوبرينين » إنهم « سوف يدرسون » مقترحاته ثم يعود هو للإتصال به . وطلب « كيسنجر » بعد حديثه مع « دوبرينين » - إلى الجنرال « سكوكروفت » أن يتصل بالسفير الإسرائيلى « دينتز » ويخطره باقتراح « دوبرينين » . بينما دعا هو (« كيسنجر ») إلى اجتماع لمستشاريه فى وزارة الخارجية انتهوا فيه إلى أنه مهما كانت اعتراضات « جولدا مائير » ، فإن أى قرار لمجلس الأمن بوقف إطلاق النار لا بد أن يشتمل على إشارة إلى القرار ٢٤٢ لأن هذا القرار هو الأساس القانونى الوحيد الموجود للتسوية .

وقبل الظهر (بتوقيت واشنطن) اتصل « كيسنجر » بنفسه بـ « دينتز » طالبا رأى الحكومة الإسرائيلية - ومضيفا « أنه يتحتم على إسرائيل أن تقذف بأكبر قدر من قواتها فى المعركة الآن لكى تحسمها بطريقة نهائية خلال ٤٨ ساعة ، لأن مجلس الأمن سوف يتحرك » .

واتصل « دينتز » بـ « جولدا مائير » فى تل أبيب وأبلغها برسالة « كيسنجر » . كذلك رأى أن يبلغ نفس الرسالة لـ « أبا ايبان » وزير الخارجية الذى كان موجودا فى نيويورك .

وقرر « أبا ايبان » أن يبعث ببرقية عاجلة إلى « جولدا مائير » يقترح فيها :

● القبول بوقف إطلاق النار لم يعد منه مفر بعد التصاعد فى الموقف الدولى .

● إن الإشارة إلى ٢٤٢ ممكنة ، ويمكن ربطها بقيام مصر بالإفراج عن الأسرى الإسرائيليين لديها . وكان « أبا ايبان » يعرف أن « جولدا مائير » شديدة الحساسية بالنسبة لموضوع الأسرى الإسرائيليين لدى مصر ، خصوصا وأنه كان بينهم ٣٦ طيارا .

● وفى ختام برقيته كانت مشورة « أبا ايبان » لـ « جولدا مائير » (مع موافقتها على وقف إطلاق النار ، وقبول الإشارة إلى ٢٤٢ مع ربطه بموضوع الأسرى) - هى أن تكون موافقتها مصحوبة بطلب وقت للتشاور (وفى الواقع أنه فى نفس البرقية ذكر صراحة أنه يطلب الوقت للتشاور لإتاحة الفرصة لإتمام التحركات العسكرية الإسرائيلية بحيث يجىء وقف إطلاق النار والقوات فى مواقع ملائمة لسلامتها من ناحية ، وللهدف السياسى من ناحية أخرى) .

ورأى « أبا ايبان » أن من الأنسب له أن يترك نيويورك إلى واشنطن بسرعة ، وأن يتحدث بنفسه مع « كيسنجر » ، ثم أن يخطره بأن رئيسة الوزراء طلبت منه العودة فورا إلى إسرائيل للاشتراك فى المشاورات السياسية ، وأنه سوف يسافر بعد ساعتين[1] .

□

وفى الساعة التاسعة إلا ربعا وصل « دوبرينين » إلى البيت الأبيض لمقابلة كيسنجر يحمل صياغة اقتراح سوفيتى لمشروع قرار لوقف إطلاق النار يتضمن :

١ - دعوة لوقف إطلاق النار (فى المواقع) .

٢ - نداء من مجلس الأمن بانسحاب إسرائيلى من الأراضى المحتلة إلى الخطوط التى تتفق مع قرار مجلس الأمن ٢٤٢ ، مع اتمام الانسحاب فى أقصر مدة ممكنة طبقا لجدول زمنى .

٣ - نداء بالبدء فى مشاورات مع الأطراف لتحقيق ما سبقت الإشارة إليه عمليا .

ووعده « كيسنجر » بأن يرد عليه . ثم دعا إلى اجتماع كامل لمجلس الأمن القومى ينعقد فى الساعة الحادية عشرة قبل منتصف الليل .

وفى الساعة العاشرة والنصف تلقى « كيسنجر » رسالة من الملك « حسين » يبدى مخاوفه من احتمال أن يبقى الأردن خارج تسوية يراها قريبة بانتقال زمام الموقف إلى مجلس الأمن ، وصدور قرار بوقف إطلاق النار ، وبالخطوط العامة لحل من نوع ما . ورد عليه « كيسنجر » برسالة قال فيها :

« إننى أريدك أن تكون على علم كامل بما أقوم به . إننا الآن نتحدث مع السوفيت راغبين فى التوصل إلى قرار من مجلس الأمن يدعو إلى وقف لإطلاق النار فى المواقع . ثم تتبعه على الفور مفاوضات بين الأطراف من أجل تسوية أساسية . وفى مثل هذه التسوية فإننى لا يمكن أن أتصور - ياصاحب الجلالة - أن مصالح الأردن كما عبرتم عنها ببلاغة فى خطابكم ، يمكن إهمالها . إن آراءكم - وهذا ما يمكننى تأييده لكم - سوف تلقى الوزن الكامل الذى تستحقه » .

---

(١) رواية « ابا ايبان » للدكتور « مايكل بريشر » .

ثم توجه « هنرى كيسنجر » إلى قاعة اجتماع مجلس الأمن القومى . وهناك عرض سياسته على النحو التالى :

- أن الجيش المصرى على حافة كارثة .

- أنه يشعر أن الوقت قد حان لكى يتحرك بسرعة ، لأنه لا يريد لكارثة الجيش المصرى أن تتحول إلى كارثة لـ « السادات » شخصيا . وقد عرض على مجلس الأمن القومى مشروع رسالة يقترح أن يبعث بها للرئيس « السادات » تتضمن النقاط التالية :

١ - أن مصر وحلفاءها العرب أحدثوا تغييرا مهما فى الموقف نتيجة الأداء الشجاع لجيوشهم فى ميادين القتال .

٢ - أنه حتى مع تغير الموقف العسكرى ، فإن الولايات المتحدة حريصة على أن تحتفظ لمصر بكرامتها .

٣ - أن كل شىء مرهون بالتوصل إلى وقف إطلاق النار على الجبهات فورا .

الفصل السادس عشر

يوم ١٩ أكتوبر

١

١٩ أكتوبر فى القاهرة (صباحا) :

استيقظ الرئيس « السادات » من نومه فى الساعة السادسة وعشر دقائق صباحا ، وكان رأسه مزدحما بهواجس كثيرة تركزت فى النهاية حول نقطتين :

- موقف الاتحاد السوفيتى وما يمكن أن يتطور إليه بعد اجتماعاته بالأمس مع « كوسيجين » ، وقد أحس الرئيس « السادات » بعد اللقاء أن موازين القوى بين القوتين الأعظم راحت تهتز بشدة نتيجة لاعتبارات تتخطى حرب الشرق الأوسط .

- نتائج مهمة الفريق « سعد الشاذلى » رئيس الأركان فى جبهة القتال ، وما إذا كانت ستنجح فى تثبيت الأوضاع على الجبهة – أو ما هى الاحتمالات .

وفيما يتعلق بـ « كوسيجين » فقد خطر له أن يبعث للرئيس « الأسد » بتفاصيل ما جرى بينهما . وهكذا أملى من فراشه برقية إلى دمشق كان نصها كما يلى(*) :

(*) فى ملحق صور الوثائق توجد صورة من هذه البرقية ، وهى منشورة تحت رقم (٧٢) ـ على صفحة ٨١١ من الكتاب .

« من الرئيس أنور السادات
إلى الرئيس حافظ الأسد
تحية أخوية عربية وبعد ،

انتهت مباحثاتنا مساء أمس مع الرفيق كاسيجين ولقد رأيت أن أبعث لكم بمبعوث خاص يحمل مع تحياتي النتائج التي توصلت إليها حول الجهد الدبلوماسي السوفيتي في المرحلة القادمة . وسوف نخطركم غدا بموعد وصول المبعوث .

مع أطيب التحيات لكم يا أخي المناضل

محمد أنور السادات »

لكن الأوضاع في الجبهة كانت هي الضاغط الأكبر عليه . فاتصل بالفريق « أحمد اسماعيل » ، وكان اتصاله به في الساعة السابعة إلا ربعا . وأخبره القائد العام « أنه كان حتى دقائق قليلة على اتصال مع « سعد الشاذلي » ، وأن الموقف يعود إلى السيطرة تدريجيا ، فإن قوة مكونة من لواء من المظلات وكتيبتين من الصاعقة - تمكنت من إيقاف تقدم قوات « شارون » . ويبدو أن القوات الإسرائيلية كانت تستهدف التقدم نحو الاسماعيلية بقصد احتلالها ، ولكن تقدمها تم إيقافه بخسائر فادحة للإسرائيليين ، مع خسائر كبيرة أيضا للقوة المصرية التي نجحت في تحقيق هدفها . وأن المعركة بصفة عامة مستمرة بين جذب وشد ، لكن الاحتمال كبير في إمكانية قفل الثغرة هذه الليلة ، ثم التعامل بعد ذلك مع بقية القوات الإسرائيلية الموجودة في الغرب » .

□

وطلب الرئيس بعد ذلك تقرير مكتب الشئون العسكرية عن اليوم الرابع عشر قتال . ولم تكن الصورة التي يحملها مطمئنة ، فقد جاء في مقدمته :

« - **يستمر العدو في تركيز مجهوده الرئيسي على الجبهة المصرية ، ويدعم قواته بقوات جديدة من الاحتياط العام .**
- **يحقق العدو أكبر نجاح في القطاع الأوسط مع تنشيط قواته على المحور الشمالي والجنوبي لمنع قواتنا من التدخل في معركة ثغرة الاختراق .**
- **يركز العدو أعماله في رأس الكوبري لتدمير شبكات الصواريخ المضادة للطائرات ومدفعية الميدان .**
- **نجح العدو في تدعيم قواته غرب القناة وإمدادها .**
- **يثبت العدو رؤوس كباري قواتنا بأعمال التراشق وستائر مضادة للدبابات مع قصف مركز من الطيران .**
- **يواصل العدو قصف مدينة بور سعيد .**
- **حاول العدو القيام بعملية إغارة بحرية في البحر الأحمر وتصدت له قواتنا البحرية .**

□ التعليق والنوايا المحتملة للعدو :

- تزداد احتمالات بدء العمل ضد مواقعنا شرق بور فؤاد وضد بور سعيد اعتبارا من اليوم بعزلها واحتلالها .

- من المنتظر أن يستمر العدو فى تصفية موقف وسائل الدفاع الجوى والإنذار بهدف الحصول على سيطرة جوية فوق ميدان معركته مستقبلا .

- فى حالة تمكن العدو من استمرار تدعيم قواته غرب القناة ، وعلى ضوء نجاحه فى ذلك من المحتمل أن تشمل عملياته ما يلى :
  - تهديد أهداف حيوية غرب القناة .
  - دفع جزء من قواته لتطويق مؤخرة الجيوش الميدانية بالتعاون مع عناصر الإبرار الجوى المعادى .

- رغم قيام الولايات المتحدة باستعواض جزء كبير من خسائر العدو فى الطائرات (وصل حتى الآن ٤٠ طائرة فانتوم ، وجارى وصول ٣٢ سكاى هوك) إلا أن نشاط العدو الجوى مازال محدودا مما يشير إلى أن العدو قرر الاحتفاظ بطائراته لحين تدمير شبكة الدفاع الجوى بواسطة القوات البرية - ثم يقوم بعد ذلك بإحراز السيطرة الجوية لإدارة عملياته البرية بالاعتماد على معاونة فعالة من قواته الجوية » .



١٩ أكتوبر فى تل أبيب :

كان مجلس الوزراء المصغر مجتمعا منذ الساعة السابعة صباحا ، وقد اشترك فى جزء من اجتماعاته كل من الجنرالات « موشى ديان » و« حاييم بارليف » و« دافيد اليعازر » . ثم خرج الجنرالات : « ديان » و« بارليف » عائدان إلى الجبهة الجنوبية ، و« اليعازر » متوجها إلى الجبهة الشمالية . وقد عادت « جولدا مائير » إلى مكتبها لتتابع بنفسها من هناك عملية الاتصالات مع واشنطن بعد أن اطمأنت من تقارير الجنرالات الثلاثة إلى أن الأوضاع على جبهات القتال خصوصا الجبهة المصرية - تتطور بسرعة لصالح إسرائيل :

- فالهجوم الإسرائيلى على الجبهة الجنوبية مستمر بكل قوة .
- وهناك فى الغرب الآن أكثر من ٣٠٠ دبابة .
- وعمليات قطع مواصلات القوات المصرية تجرى بطريقة منتظمة ، وهناك تقدم فى الثغرة من الشمال تجاه الاسماعيلية ، ومن الجنوب حول البحيرات المرة ، كما أن طريق القاهرة - السويس قد أصبح مهددا .

٣

١٩ أكتوبر فى واشنطن (صباحا) :

كان « هنرى كيسنجر » نائما فى غرفة الطوارىء فى البيت الأبيض تلك الليلة . وقد دخل إلى مكتبه فى الساعة السابعة صباحا ، وأطلع على آخر التقارير مركزا على الأوضاع فى الجبهة المصرية . ووجد أن ما يجرى عليها يناسب خطته إلى أبعد حد .

وفى الساعة العاشرة صباحا اتصل به السفير السوفيتى « أناتولى دوبرينين » طالبا أن يجىء إليه على الفور لأن لديه رسالة من « بريجنيف » . ووصل « دوبرينين » بعد ربع ساعة ، وكانت رسالة « بريجنيف » تركز على ثلاثة نقاط :

١ - أن تطور الأمور فى الشرق الأوسط على وشك أن يحدث تأثيرا بالضرر البالغ على العلاقات الأمريكية - السوفيتية نفسها .

٢ - أن « بريجنيف » يقترح - بما أن الوقت يجرى والمخاطر تزداد - أن يسافر « كيسنجر » إلى موسكو لمناقشة الموقف معه وجها لوجه ، شريطة أن يجىء « كيسنجر » إلى موسكو بـ « صلاحيات كاملة من الرئيس » تجعله جاهزا للتوصل إلى اتفاق .

٣ - ويقترح « بريجنيف » أن يتواجد « كيسنجر » فى موسكو غدا (السبت ٢٠ أكتوبر) .

ويسجل « كيسنجر » فى مذكراته أنه وجد أن رسالة « بريجنيف » تصب فى صالح خطته لثلاثة أسباب أخرى :

١ - أنها سوف تعطى لإسرائيل مهلة أكثر من الوقت لإتمام عملياتها العسكرية ضد الجيش المصرى . فالسفر إلى موسكو والمحادثات هناك والتوصل إلى قرارات - سوف تستغرق ثلاثة أو أربعة أيام على الأقل .

٢ - أنه مهما ساء الموقف على جبهة القتال فإن السوفيت لن يستطيعوا أن يفعلوا شيئا مادام هو فى الطريق إلى موسكو أو موجودا فيها للمحادثات .

٣ - أنه خلال هذا الوقت فإن الأمم المتحدة سوف تكون معطلة إلا عن الكلام مادامت المشاورات جارية بين القوتين الأعظم .

وطلب « كيسنجر » من « دوبرينين » أن ينتظره حتى يذهب للتشاور مع الرئيس « نيكسون » الموجود الآن فى المكتب البيضاوى على بعد خطوات من مكتب مستشاره للأمن القومى . وهناك وجد « نيكسون » ومعه رئيس أركان حرب البيت الأبيض الجنرال « آل هيج » إلى جانب نائب مستشاره للأمن القومى الجنرال « برنت سكوكروفت » . وقام « كيسنجر » بعرض ما سمع من

« دوبرينين » على الرئيس . واتفق رأى الثلاثة على أن سفر « كيسنجر » إلى موسكو فكرة معقولة ، خصوصا وأنها تساعد الاستراتيجية الأمريكية (would advance our strategy) .

وعاد « كيسنجر » إلى مكتبه ليقول لـ « دوبرينين » – ورغبته فى كسب الوقت ما زالت تقود تصرفاته – إنه « سوف يسافر إلى موسكو بعد منتصف الليل مباشرة ، فهو مدعو على العشاء فى السفارة الصينية ، وإذا اعتذر عن العشاء فإن ذلك قد يضايق الصين ، بينما حضوره للعشاء بطريقة طبيعية قد يكون مساعدا على تليين موقفها . »

وسجل « كيسنجر » فى مذكراته « أن نيته الحقيقية كانت أن يعطى لإسرائيل ساعات إضافية أكثر لتعزيز مكاسبها ، لأن تقديره أن المحادثات لن تبدأ فى موسكو قبل ٤٨ ساعة من هذه اللحظة . أى أنه بالسفر بعد العشاء يكون قد ضمن يومين إضافيين لإسرائيل . »

وراح « دوبرينين » يلح على « كيسنجر » فى دواعى الاستعجال . وأبلغه « كيسنجر » أنه سوف يتصل به خلال ساعة واحدة ، لأنه فى حاجة إلى مزيد من التشاور مع الرئيس « نيكسون » .

□

وفور خروج « دوبرينين » قام « كيسنجر » باستدعاء السفير الإسرائيلى « دينتز » وطلب منه أن يزوده بصورة تفصيلية عن آخر تطورات الموقف .

ثم توجه « كيسنجر » إلى مكتب « نيكسون » وقضى هناك ربع ساعة . ثم عاد إلى مكتبه يتصل بـ « دوبرينين » تليفونيا ليقول له « إن الرأى استقر نهائيا على سفره من واشنطن بعد عشاء السفارة الصينية ، وبالتالى فإنه سوف يغادر واشنطن فجر السبت ٢٠ أكتوبر ، ليكون حاضرا فى موسكو فى المساء ، وجاهزا صباح الأحد ٢١ أكتوبر للبدء فى المحادثات . » ثم قال « كيسنجر » لـ « دوبرينين » إن لديه شرطين يريد موافقة عليهما قبل السفر :

١ – تعهد سوفيتى بعدم الإقدام على أى عمل منفرد قبل إجراء المحادثات .

٢ – أن تصدر وتعلن دعوة رسمية من « بريجنيف » له حتى لا يبدو متطفلا على موسكو عندما يظهر فيها .

وقد أبلغه « دوبرينين » بعد ساعة بأن موسكو قبلت الشرطين .

وجاء « دينتز » إلى موعده المضروب مع « كيسنجر » الذى شرح له خطته فى المحادثات الجارية مع السوفيت ، قائلا إنه « سوف يجريها طبقا لأفضليات إسرائيل ، فهو ينوى أن يربط الانسحاب ببدء مفاوضات مباشرة بين الأطراف ، ولن يقبل التفسير السوفيتى للقرار ٢٤٢ بأنه يعنى الانسحاب الإسرائيلى الكامل » . ثم أضاف « كيسنجر » أنه « سوف يكون من الصعب عليه استبعاد أى إشارة للقرار ٢٤٢ باعتباره لا يزال الأساس القانونى المتفق عليه للتسوية » .

ولم يخطر « كيسنجر » محدثه بسفره الوشيك إلى موسكو ، ولكنه ترك تعليمات لمساعده « سكوكروفت » بأن يرتب مع « دينتز » بعد سفره على أساس :

● أن يبعث إليه ، أو تبعث إليه « جولدا مائير » مباشرة ، بكل تطورات الموقف العسكرى أثناء وجوده فى موسكو .

● أنه وهو يتوقع أن تطول محادثاته فى العاصمة السوفيتية إلى مساء الأحد ٢١ أكتوبر على الأقل – فإنه « يطلب من إسرائيل أن تفرغ بسرعة مما تريد تحقيقه قبل هذا التوقيت » .

وسجل « كيسنجر » فى مذكراته أنه يجد هذه اللحظة مناسبة تماما لإدارة أمريكية للأزمة كلها للأسباب التالية :

١ – أنه هو الوحيد المتصل بجميع الأطراف – « جولدا مائير » و « السادات » و« بريجنيف » .

٢ – أنه هو الوحيد الذى يستطيع الآن أن يصوغ خطوط تسوية تعيد الولايات المتحدة إلى الشرق الأوسط من أوسع الأبواب .

٣ – أنه حقق جميع أهدافه حتى هذه اللحظة – لكنه لا ينبغى له أن يدفع الأمور إلى أكثر من ذلك ، لأنه يشعر أنه « يركب عدة جياد متوحشة فى نفس الوقت » . وهو لا يستطيع أن يواصل هذه اللعبة أكثر من ذلك وإلا اكتشفها السوفيت وتحركوا فى اتجاه لا يناسبه .

٤ – أنه فى كل الأحوال ضمن لإسرائيل ما تريده كاملا ، كما أن أعداءها من العرب يتطلعون الآن إليه باعتباره منقذا .

□

وبينما كان « كيسنجر » فى طريقه إلى المطار بعد عشائه فى السفارة الصينية ، كان الرئيس « نيكسون » يبعث إلى « جولدا مائير » برسالة تخطرها بأن وزير خارجيته هو الآن فى طريقه إلى لقاء مع « بريجنيف » فى موسكو ، وأنهم سوف يبحثون هناك إمكانية الوصول إلى مشروع قرار تشترك القوتان الأعظم فى تقديمه إلى مجلس الأمن .

والغريب أن « نيكسون » بدأ رسالته إلى « جولدا مائير » معتذرا لها عن عدم تشاوره المسبق معها قبل سفر « كيسنجر » إلى موسكو . وكان عذره « أن احتمالات المواجهة بين القوتين الأعظم كانت تلوح أمامه . »

ثم استطرد « نيكسون » فى رسالته إلى « جولدا مائير » يقول « إن الولايات المتحدة ترى أن الوقت ملائم من وجهة نظر مصالحها ، وأيضا من وجهة نظر المصالح المشتركة الأمريكية – الإسرائيلية ، للتحرك بجدية نحو إصدار قرار بوقف إطلاق النار . »

ولعل « نيكسون » أحس أن إسرائيل قد تتردد فى الاستجابة السريعة لوقف إطلاق النار بينما

الموقف العسكرى يسير فى صالحها - فكان أن أضاف إلى خطابه قطعة السكر المعتادة لترضية إسرائيل :

● قام بتذكير « جولدا مائير » بأن الولايات المتحدة استجابت لجميع الطلبات الإسرائيلية ونفذتها على عجل ، وسوف تواصل نفس السياسة ضمانا لأمن إسرائيل .

● أنه سوف يقدم إلى الكونجرس مشروع قانون بمنح إسرائيل مساعدة دفاع طارئة مقدارها ٢,٢ بليون دولار . (كانت تكاليف ما أرسل لإسرائيل من معدات قد وصلت بليون دولار - ولكن إسرائيل بالغت وطلبت مساعدة طارئة مقدارها ٣,٣ بليون دولار . ويظهر أن « نيكسون » اختار حلا وسطا وهو أن يقدم لإسرائيل ٢,٢ بليون دولار) .

ولم يكن السفير الإسرائيلى فى واشنطن « سيمحا دينتز » قد عرف من « كيسنجر » أثناء لقائه معه بمسألة سفره إلى موسكو - ولكنه عرف بالخبر أثناء توجه « كيسنجر » إلى مطار « دالاس » ، وبادر بإرسال برقية إلى « جولدا مائير » يخبرها بما سمع ، ويبدى اعتقاده بأن لقاء « كيسنجر » مع « بريجنيف » سوف يسفر بالتأكيد عن قرار تتفق عليه القوتان الأعظم . وبالتالى ، فإن الوقت الباقى أمام إسرائيل لتحقيق أهدافها النهائية على الجبهة قد أصبح وقتا محددا ومحصورا ، وعلى إسرائيل أن تستغله إلى أقصى طاقتها .

وكانت « جولدا مائير » قد عرفت بسفر « كيسنجر » إلى موسكو من رسالة « نيكسون » المباشرة إليها .

□

وقبل أن يركب « كيسنجر » الطائرة ، رأى - إحكاما لقبضته على كل الخيوط - أن يخطر الرئيس « السادات » بأمر سفره . وهكذا بعث إلى السيد « حافظ اسماعيل » عن طريق القناة السرية برسالة جاء فيها ما يلى بالنص :(*)

« من الدكتور هنرى كيسنجر
إلى السيد حافظ اسماعيل

١ - يود الوزير كيسنجر إخطاركم بأنه قبل دعوة من الحكومة السوفيتية للتوجه إلى موسكو فورا لمواصلة المباحثات التى كانت تجرى عبر القنوات الدبلوماسية مع الحكومة السوفيتية ، والتى أنتم على علم كامل بصددها . وسوف يكون مسافرا فى منتصف الليل بتوقيت واشنطن يوم ١٩ أكتوبر ، وسوف يود البقاء على إتصال بكم طوال الفترة ، فإذا رغبتم الإتصال به ، فإن أسرع الطرق وأشد فعالية ، سوف تكون بواسطة قناة الإتصال الخاص هذه ، ولسوف تبلغ أية رسائل إلى الدكتور كيسنجر فى موسكو فورا .

(*) فى ملحق صور الوثائق توجد صورة لأصل هذه البرقية وهى منشورة تحت رقم (٧٣) - على صفحة ٨١٢ من الكتاب .

٢ – ويود الدكتور كيسنجر تأكيد أن هدفنا لا يزال هو السابق الإعراب عنه لكم : المساعدة على إيجاد وقف فورى للقتال ، والبدء فورا فى عملية دبلوماسية للتحرك نحو تسوية أساسية .

٣ – سوف يعلن نبأ رحلة الدكتور كيسنجر عقب أن يكون قد غادر واشنطن .

مع أحر التحيات . »

٤

١٩ أكتوبر فى القاهرة (مساء) :

عاد الفريق « سعد الدين الشاذلى » رئيس هيئة أركان حرب القوات المسلحة المصرية إلى المركز رقم « ١٠ » بعد أن قضى فى الجبهة ٢٤ ساعة – وقدم تقريرا إلى الفريق « أحمد اسماعيل » رأى فيه أن المعركة « تتطور بسرعة »(١) على الجبهة ، وأن « توزيع قواتنا لا يتمشى مطلقا مع متطلبات المعركة ، وأن مسئولية كل قائد هى أن يحشد قواته وإمكانياته فى المعركة لا أن يترك جزء منها يقاتل تحت ظروف سيئة بينما تقف باقى القوات موقف المتفرج » . واقترح الفريق « الشاذلى » فى نهاية تقريره « سحب أربعة ألوية مدرعة من الشرق لمقابلة التهديد الإسرائيلى فى الغرب » .

كان ذلك رأى رئيس الأركان سابقا ، وقد عاد إليه لاحقا ، لكنه سابقا ولاحقا لم يستطع إقناع الفريق « أحمد اسماعيل » به . واحتدمت مناقشات فى القيادة أظهرت انقساما خطيرا فى الرأى داخلها . واقترح اللواء « سعيد الماحى » قائد المدفعية ، دعوة رئيس الجمهورية بوصفه القائد الأعلى للقوات المسلحة لحسم الخلاف واتخاذ القرار بمقتضى مسئولياته التاريخية .

كان الرئيس « السادات » فى قصر الطاهرة ، وقد قام فى الساعة الثامنة مساء باستقبال السفير السوفيتى « فلاديمير فينوجرادوف » الذى حمل إليه رسالة من موسكو عن دعوة « كيسنجر » إلى لقاء وجها لوجه مع « بريجنيف » – اختصارا للوقت وتعجلا للوصول إلى نتائج . وكان السفير السوفيتى يحمل معه أيضا صيغة أولية لمشروع قرار ينوى السوفيت أن يتحدثوا مع « كيسنجر » على أساسه ، وينص على وقف لإطلاق النار فى المواقع على أساس تطبيق قرار مجلس الأمن ٢٤٢ بما يؤدى إلى انسحاب إسرائيل من الأراضى العربية .

وفى الساعة الثامنة والنصف مساء وصل « محمد حسنين هيكل » إلى قصر الطاهرة بناء على اتصال تليفونى بالرئيس عند الظهر .

---

(١) مذكرات الفريق « سعد الدين الشاذلى » – صفحة ٢٦٥ .

كان الرئيس « السادات » مجتمعا مع السفير السوفيتى . وجلس « محمد حسنين هيكل » فى الصالون ينتظره ، ودخلت إلى الصالون السيدة « جيهان السادات » ومعها الوزير « عبد الفتاح عبد الله » وزير شئون رئاسة الجمهورية ، ودار حديث بين الثلاثة حول الثغرة . ووقع خلاف بين الوزير « عبد الفتاح عبد الله » وبين « هيكل » ، فقد كانت معلومات وزير شئون رئاسة الجمهورية أن الثغرة قد أقفلت أو فى طريقها إلى القفل ، وكانت معلومات « هيكل » أنها لم تقفل وإنما تتسع ، وذلك واضح من مجمل برقيات وكالات الأنباء التى اطلع عليها منذ نصف ساعة وقبل أن يترك مبنى « الأهرام » متوجها إلى قصر الطاهرة . وكانت السيدة « جيهان السادات » تتابع خلاف التقدير بين الاثنين باهتمام . وقد أضاف « هيكل » إلى ما قاله عن الثغرة ملاحظة مؤداها « أن الإعلام الرسمى أصيب فجأة بنوع من السكتة القلبية . فمنذ بدأت الثغرة والإعلام الرسمى يحاول تجاهل الحقائق على عكس ما كان يحدث قبلها . وقد أصبحت بيانات القيادة العامة غير مفهومة ، الأمر الذى أثار بلبلة شديدة فى أوساط الرأى العام » . واقترح « هيكل » تكثيف المعلومات بدلا من حجبها ، وأنه لابد فى هذا الوقت من ثلاثة مؤتمرات صحفية فى اليوم لشرح الموقف للصحفيين : مؤتمر للموقف العسكرى فى الصباح ، وواحد آخر فى المساء . وبين الاثنين عند الظهر مؤتمر لشرح الموقف السياسى . وتحمست السيدة « جيهان السادات » لما سمعته ، واقترحت على الوزير « عبد الفتاح عبد الله » أن ينقل هذا الاقتراح للدكتور « أشرف غربال » المتحدث الرسمى باسم الرئيس .

وكان باديا أن السيدة « جيهان السادات » مثقلة المشاعر ومهمومة . وقالت إن الرئيس كان متعبا جدا بالأمس ، وأنه ظل يتقلب فى فراشه . وكانت هى الأخرى يقظى ، وقد خشيت أن ينسحب أرقها عليه ، فقامت من الفراش وتركته فى غرفة النوم وحده لكى يشعر أنها ذاهبة للنوم فى غرفة أخرى لعله يستغرق هو فى النوم بعد ذلك . ولكنها فى الصباح أحست أنه لم ينم تقريبا طوال الليل .

وانقطع الحوار عندما جاء من يقول للثلاثة « إن الرئيس موجود فى الشرفة ، وهو يطلبهم لكى ينضموا إليه » بعد أن فرغ من مقابلاته . وتوجه الثلاثة إلى الشرفة ، وكان الرئيس « السادات » جالسا وحده فى الظلام . وقد بادرت السيدة « جيهان السادات » فأخبرته عن ملاحظة « هيكل » بشأن الإعلام الرسمى ، وعن مقترحاته لعقد ثلاثة مؤتمرات صحفية فى اليوم (اثنين للتطورات العسكرية ، وواحد للتطورات السياسية) . ووافق الرئيس « السادات » ، وأصدر تعليماته بذلك إلى وزير شئون رئاسة الجمهورية .

وروى « هيكل » للرئيس « السادات » تفاصيل لقاء جرى بينه وبين السيد « أحمد السويدى » وزير خارجية دولة الإمارات ، صباحا فى « الأهرام » . وفى هذا الاجتماع كان للسيد « أحمد السويدى » رأى مقتضاه أن المعركة قد تطول فى وسط ظروف معقدة وصعبة ، وأن الدول المشتركة فى الحرب سوف تحتاج إلى دعم غير عادى . وهو يرى أن تتكفل ليبيا بسد كل احتياجات سوريا ، وأن تتكفل دول الخليج بسد كل احتياجات مصر .

وكان أول تعليق للرئيس « السادات » على ذلك هو إبداء غضبه من العقيد « معمر القذافى » ،

قائلا إن « معمر اتصل بحافظ الأسد تليفونيا ، وقال له إن هناك مشاورات لوضع مشروع لوقف إطلاق النار . وسأله أثناء الحديث عما إذا كان الرئيس « السادات » قد شاوره فيما يجرى الكلام عنه ، وقال له « حافظ الأسد » إنه لم يخطر بشيء . »

وعقب الرئيس « السادات » على ذلك بوصف لأسلوب « معمر القذافى » قاس وعنيف .

وأبدى « هيكل » رأيا مؤداه أنه قد يكون من المناسب على أى حال « إخطار عدد من الأطراف بالخطوط التى تدور حولها المشاورات » . وكانت هذه الأطراف فى رأيه هى الرئيس « الأسد » ، والملك « فيصل » والسيد « ياسر عرفات » ، والملك « حسين » - كما أنه « ليس هناك مايمنع من إبقاء القذافى فى الصورة » .

ولم يجب الرئيس « السادات » صراحة على ذلك ، وانتقل بالحديث إلى موضوع آخر فقال « إن الموقف يسير نحو صدور قرار لوقف إطلاق النار ، وأنه أصدر توجيها للفريق « أحمد اسماعيل » بأن يعطيه فرصة أسبوع من الصمود تمكنه من الاشتراك فى المشاورات والوصول إلى مشروع قرار ملائم .

□

وفى هذه اللحظة ، وكانت الساعة العاشرة إلا خمس دقائق ، جيء للرئيس « السادات » بالتليفون ، وقيل له إن الفريق « أحمد اسماعيل » يريد التحدث إليه . وبدأ الحوار بين الاثنين على التليفون ، والمسموع منه هو ما يقوله الرئيس « السادات » بالطبع .

« - **أيوه يا أحمد**

- . . . .

- **طيب - هيه ... خللى دى شوية لغاية ما ندى فرصة لكيسنجر فى موسكو .**

- . . . .

- **هيه ..**

- . . . .

- **كده**

- . . . .

- **كده**

- . . . .

- **كده**

- . . . .

- **عاوزنى عندك يا أحمد ؟**

- . . . .

- **أجيلك شوية .**

- . . . .

- **طيب - أنا جاى** » .

وكان الكل يتابع المكالمة فى ترقب وقلق .

وقام الرئيس « السادات » من الشرفة متوجها إلى غرفة نومه ، ومشى معه « محمد حسنين هيكل » يسأله عما حدث ، وقال الرئيس « السادات » إن « الشاذلى رجع من هناك .. من الجبهة .. ومعه صورة للموقف العسكرى . ويعتقد أحمد اسماعيل أن الموضوع يحتاج إلى قرار سياسى منى » .

وعلى باب غرفة النوم ، كان المرافق الذى يتولى إعداد ملابس الرئيس على الباب ، وطلب إليه الرئيس تحضير بدلته . وسأله المرافق : « بدلة حربى ؟ » ورد الرئيس « السادات » : « عندك أوفرول جاهز ؟ » – وبدأ المرافق يرتب ما طلبه الرئيس بينما هو يخلع الـ « روب دى شامبر » والـ « بيجامه » ثم يجلس على السرير يلبس جوربه والبنطلون . ثم يقرر أن يذهب إلى الحمام . وجاء ابنه « جمال » يرتدى زيا من الكاكى ويضع مسدسا فى حزامه . وسأل عن والده ، وعندما قيل له إنه فى الحمام ، خرج من الغرفة .

وعاد الرئيس « السادات » إلى استكمال ارتداء ملابسه ، وتناول عصاه فوضعها تحت إبطه ، ثم توجه ومعه « هيكل » إلى المصعد نازلين من الدور الثانى إلى الدور الأرضى . وبجوار باب المصعد كانت السيدة « جيهان السادات » ومعها المهندس « سيد مرعى » . وقال لهما الرئيس « السادات » إنه ذاهب إلى القيادة . وبدا الوجوم على الاثنين . وتحركت سيارة الرئيس « السادات » قاصدة إلى القيادة ومعه المهندس « عبد الفتاح عبد الله » . وعاد الثلاثة (السيدة « جيهان السادات » والمهندس « سيد مرعى » و« محمد حسنين هيكل ») إلى الصالون ، وراح الحديث بينهم يدور عن تطورات الحوادث فى انتظار عودة الرئيس .

وتعثر الحديث بعض الشىء فى إحدى اللحظات ، فعندما جاء ذكر الحظر البترولى ، علق « هيكل » بأن « قرارات البترول جاءت متأخرة عما ينبغى ، ثم أنها تحتاج إلى رقابة على مدى فاعليتها » . وسأله المهندس « سيد مرعى » عن دواعى اعتراضه ؟.. ورد « هيكل » بتساؤلات عن « مدى سيطرة الدول العربية على الانتاج وعلى الضخ وعلى الشحن وعلى خطوط سير الناقلات ؟ »

وفى موضع آخر من الحديث أثارت السيدة « جيهان السادات » مسألة مقال كتبه « هيكل » ونشره « الأهرام » ذلك اليوم تحت عنوان « نظرية الأمن الإسرائيلى » . وقالت السيدة « جيهان » إن « شخصا تحترمه قال لها إن المقال لم يعجبه ، وأنه مثبط للهمم » . وأيدها المهندس « سيد مرعى » فى هذا الرأى(٢) . واختلف معه « هيكل » واقترح مراجعة نصوص المقال . وقامت

---

(٢) كانت بداية هذا المقال على النحو التالى بالحرف :

« برغم كل مشاريع السلام التى تطير فى الأجواء كأنها أسراب من الحمام الأبيض روعتها طلقات المدافع . وبرغم الخط الساخن الذى يعمل طوال النهار والليل بين البيت الأبيض فى واشنطن والكرملين فى موسكو ينقل إلى كل طرف – مسبقا – نوايا الطرف الآخر وتحركاته مخافة خطأ فى التقديرات يؤثر على سياسة الوفاق . وبرغم النشاط الحائر فى الأمم =

« نهى » كريمة الرئيس « السادات » (وكانت قد انضمت إلى الثلاثة فى الصالون) فجاءت بنسخة من « الأهرام » من أحد ضباط الحرس . وراح المهندس « سيد مرعى » يبحث فى المقال عن الفقرات التى يعترض عليها . ودارت مناقشة تغير مجراها عندما دخل الدكتور « أشرف مروان » قادما من المطار بعد رحلة سريعة نقل فيها رسائل عن الرئيس « السادات » إلى دمشق والجزائر ، ثم عاد عن طريق باريس . وقد بدأ يروى بعض أخباره على النحو التالى :

□ أن هناك ٥٠ طائرة من طراز « ميراج » بقطع غيارها توجهت إلى إسرائيل قادمة من جنوب إفريقيا . وقد عرف الفرنسيون الذين باعوا هذه الطائرات لجنوب أفريقيا بهذا الأمر وأخطروه به .

□ أن السوريين شكوا للفرنسيين بأن المصريين تخلوا عنهم ، فأوقفوا القتال أياما دون مبرر وتركوهم وحدهم .

□ أن الرئيس « بومدين » الذى قام بزيارة سريعة لموسكو ، وجد أن « بريجنيف » خائف جدا على الوفاق ، وأنه لا يزال عاتبا على الرئيس « السادات » بسبب قرار طرد الخبراء السوفيت ، وبأن أحدا لم يخطرهم بالموعد المحدد للعمليات ولا بخطط هذه العمليات . وقد روى له الرئيس « بومدين » أنه أثناء لقائه مع « بريجنيف » رفض أن يدخل فى دهاليز الأحاديث السياسية ، واختصر الطريق قائلا لـ « بريجنيف » إن الجزائر تضع مائة مليون دولار لصالح شراء أسلحة لمصر ، ومائة مليون دولار أخرى لصالح شراء أسلحة لسوريا .

ثم قام الدكتور « أشرف مروان » قاصدا إلى مكتب الشئون العسكرية فى بدروم قصر الطاهرة ، لكى يسأل عن الموضوع الذى من أجله رأى القائد العام أن يدعو رئيس الجمهورية بنفسه للذهاب إلى القيادة . وقد غاب هناك ، وقام « محمد حسنين هيكل » يلحق به ليعرف ما إذا كان اجتماع الرئيس فى القيادة انتهى أم لا . وفى مكتب الشئون العسكرية ، وفى غرفة الخرائط ، التقى « هيكل » مع العقيد « عبد الرؤوف رضا » وسمع منه التفاصيل :

المتحدة ، يهم ويقعد ، يمشى ويقف ، باحثا عن صيغة أو حتى عن مشروع صيغة يمكن أن يساعد على وقف الحرب فى الشرق الأوسط ..

... برغم ذلك كله فلا بد أن أقول إنه يصعب علىّ - حتى هذه اللحظة - أن أرى نهاية قريبة لهذه المعارك الطاحنة التى تدور رحاها على المرتفعات السورية فى الشمال وعلى رمال سيناء فى الجنوب .

وحتى إذا حدث - ولا أظن أنه سيحدث - وتوقف القتال فى منتصف الطريق ، فلعلى أقول من الآن ومبكرا إن إسرائيل لن تنتظر طويلا قبل أن تعود إلى إطلاق النار مرة أخرى وإلى إشعال الحريق ..

وإذا بدا لبعضنا أو لغيرنا أن إسرائيل لا تمانع الآن فى قبول وقف إطلاق النار فى المواقع الحالية التى وصلت إليها قواتنا شرق قناة السويس - فلقد يكون مفيدا أن نحتاط ، وأن نقدر أن هذا القول الإسرائيلى ليس علامة تسليم من جانبهم بأمر واقع جديد ، وإنما هو فرصة وقت لالتقاط أنفاس أربكتها المفاجأة ثم اضطرب انتظامها مع سرعة تدافع الحوادث بعد المفاجأة !

تكرار جديد - مخيف أكثر وخطير أكثر - لمأساة الهدنة الأولى فى فلسطين صيف ١٩٤٨ !

- الاجتماع مازال مستمرا .
- الثغرة لا زالت تتسع ، وقد أصبح الآن ثلاثة جيوب .
- هناك محاولة الآن للالتفاف حول الفرقة ١٦ من الجيش الثانى ، والمحاولة تجرى من الشرق وهدفها خلع هذا الجيش عن الاستناد إلى قناة السويس وراءه .

ولم يكن هناك ما يدعو للانتظار أكثر . وخرج « سيد مرعى » و« محمد حسنين هيكل » فى سيارة « سيد مرعى » ، وتوجها إلى « الأهرام » . ومن هناك سألا فى قصر الطاهرة ، ولم يكن الرئيس قد عاد بعد . وقام المهندس « سيد مرعى » بتوصيل « هيكل » إلى بيته . وكان الجو ثقيلا وكئيبا .

الفصل السابع عشر

يوم ٢٠ أكتوبر

١

٢٠ أكتوبر فى القاهرة (عند الفجر) :

حتى الساعة الواحدة عند منتصف هذه الليلة (ليلة ٢٠ أكتوبر) كان الرئيس « السادات » مازال فى المركز رقم « ١٠ » . وكانت الصورة هناك كما يبدو من روايات شهودها مزعجة إلى أقصى درجة .

وهناك ثلاث روايات عما جرى تلك الليلة :

□ **أولا** – هناك رواية الرئيس « السادات » وقد كتبها بنفسه فى كتاب « البحث عن الذات » .(١)

« فى يوم ١٦ أكتوبر (ظهر فى كتابه على هذا النحو ، والتاريخ ليس دقيقا – وصحته ١٨ أكتوبر) أرسلت رئيس الأركان الجنرال سعد الشاذلى للتعامل مع الثغرة . وكان من السهل جدا التعامل معها فى ذلك اليوم ، فقد كان السباق فيها للزمن .. ولو أنه نفذ ما طلبته منه أنا والفريق أحمد اسماعيل ، وفى التوقيت الذى حددته له ، فأحاط شاطىء البحيرة المرة بسد يسجنهم داخلها ويوقفهم فى مكانهم لأصبح من السهل القضاء عليهم وكان فى إمكانه أن ينتهى من العملية كلها بعد وصوله بساعات ، لكنه أضاع الليلة بأكملها فى جمع المعلومات وإنشاء قيادة له ينافس بها قيادة غريمه

(١) صفحة ٣٤٨ من كتاب « البحث عن الذات » .

الجنرال اسماعيل ، وكانت قوات الصاعقة قد تقدمت إلى الدفرسوار ووصلت فعلا إلى نقطة النزول واعترف الإسرائيليون بشراسة قتال قوات الصاعقة والقوات الخاصة .. ولكن الشاذلى أعطاهم الأمر بالانسحاب إلى أن يجمع المعلومات ، وكانت النتيجة أن توسع اليهود فى الثغرة .

فى يوم ١٩ أكتوبر عاد الشاذلى منهارا ، وقال لابد أن نسحب قواتنا فى شرق القناة لأن الغرب مهدد .. وكان هذا - لو تم - هو ما يريده الإسرائيليون .. فطلب منى أحمد اسماعيل فى منتصف ليلة ١٩ / ٢٠ أكتوبر أن أذهب إلى القيادة حتى أتخذ قرارا مهما بوصفى القائد الأعلى للقوات المسلحة .. ذهبت إلى القيادة . واستعرضت الموقف فوجدت أن لنا خمس فرق كاملة فى شرق القناة ، وعندنا ١٢٠٠ دبابة فى الشرق أيضا ، أما فى الغرب فعندنا فرقة مدرعة تواجه قوات إسرائيل . وفى القاهرة فرقة يمكن سحبها - هذا غير الحرس الجمهورى الخاص بى ، والذى أدخلته الحرب وقاتل قتالا مجيدا وعاد كاملا بكل دباباته .

بعدما اتضح الموقف لى جمعت القادة كلهم ، وكان معى الفريق أحمد اسماعيل القائد العام للقوات المسلحة ، والفريق الجمسى مدير العمليات ، والفريق حسنى مبارك ، والفريق محمد على فهمى قائد سلاح الصواريخ ، وكانوا جميعا من رأيى وهو أنه لم يحدث شىء يستدعى القلق .. فأعطيت الأمر الذى أعتبره أهم من قرار ٦ أكتوبر - بأن لا ينسحب جندى واحد ولا بندقية واحدة ، ولا أى شىء على الإطلاق من شرق القناة ، وأنه علينا أن نتعامل مع الغرب حسب الأوضاع الموجودة . ثم بدأت أتصل بنفسى مع الفرقة المدرعة فى الغرب ، وكان يقودها ضابط اسمه قابيل وهو بطل من أبطال أكتوبر ، وقلت له : ثبت الاسرائيليين ولا تجعلهم يتمكنوا من التوسع ، وإياك أن تشتبك معهم إلى أن تصلك الإمدادات .

فى هذه الليلة أعطيت تعليماتى لأحمد اسماعيل بعزل الشاذلى من رئاسة الأركان على أن لا يعلن هذا القرار على القوات حتى لا يحدث رد فعل عندنا أو عند الإسرائيليين .. وفى نفس الليلة استدعيت الجمسى وعينته رئيسا للأركان » .

□

□ **ثانيا** - وهناك رواية أخرى للفريق « سعد الدين الشاذلى » :

« بعد أن فشلت فى إقناع الوزير بوجهة نظرى أفضيت لبعض مساعدى بقلقى على الموقف ، وأفضيت لهم بأنه إذا لم نسحب جزءا من قواتنا من الشرق إلى الغرب فسوف تقع كارثة لا يعلم أبعادها إلا الله . وهنا اقترح علىّ اللواء سعيد الماحى قائد المدفعية أن أدعو الرئيس وأشرح الموقف . لم أتحمس أول الأمر لهذا الاقتراح لأنى أعرف وجهة نظر الرئيس السادات منذ الخلاف الذى وقع بينى وبينه فى غرفة العمليات يوم ١٦ أكتوبر (قبل ذلك بثلاثة أيام) . ولاعتقادى بأن أحمد اسماعيل وهو رجل عسكرى قبل أن يكون سياسيا ، ما كان ليقبل مثل هذا الموقف لولا أنه تحت ضغط سياسى . ولكنى بعد أن فكرت قليلا قررت أن استدعاء السادات وشرح الموقف أمامه سوف يضعه أمام مسئوليته التاريخية . ذهبت إلى أحمد اسماعيل فى غرفته وقلت له « إن الموقف خطير ويجب أن يحضر الرئيس للاستماع إلى وجهة نظر القادة » . حاول أن يثنينى عن رأيى ، وقال إن الوقت متأخر الآن ولا داعى لإزعاج الرئيس الآن . ولكنى أصررت على ضرورة حضور الرئيس إلى المركز ١٠ فورا . إنها مسئولية تاريخية ويجب أن يستمع الرئيس إلى الموقف العسكرى بأمانة . لم أخرج من عند الوزير إلا بعد أن وعدنى بأنه سيتصل به فورا .

عدت إلى غرفة العمليات وبعد دقائق حضر الوزير وأخطرنى بأنه اتصل بالرئيس وقد وعد بأنه سيحضر فورا . اتفقت مع الوزير على أن يحضر هذا اللقاء مع الرئيس كل من أحمد اسماعيل ، سعد الشاذلى ، محمد على فهمى ، حسنى مبارك ، عبد الغنى الجمسى ، سعيد الماحى ، فؤاد نصار . وصل رئيس الجمهورية ومعه المهندس عبد الفتاح عبد الله إلى المركز ١٠ حوالى الساعة ٢٢٣٠ يوم ١٩ . وتوجه فورا إلى غرفة أحمد اسماعيل حيث بقى معه ما يقرب من ساعة . بينما كنت أنا مجتمعا مع باقى الأعضاء فى غرفة المؤتمرات الملاصقة لغرفة العمليات نتبادل وجهات النظر حول الموقف .

وفى النهاية دخل علينا الرئيس ومعه أحمد اسماعيل والمهندس عبد الفتاح عبد الله . طلب الرئيس الكلمة من المجتمعين واحدا بعد الآخر . وقد قام كل منهم بشرح موقف القوات بأمانة تامة . وبعد أن استمع إليهم لم يطلب منى الكلمة وعلق قائلا : « لن نقوم بسحب أى جندى من الشرق » . لم أتكلم ولم أعلق . غمزنى المهندس عبد الفتاح عبد الله وهمس فى أذنى « قل شيئا » . ولكنى تجاهلت نصيحته . ماذا أتكلم وقد اتخذ الرئيس القرار ولا يريد أن يسمعنى . إننى أريد أن أسحب ٤ ألوية مدرعة من الشرق وهو يعارض سحب جندى واحد . إنه لم يتخذ هذا القرار عن جهل بل عن معرفة تامة بالموقف . إنه لا يستطيع أن يدعى بعد ذلك بأنه كان يعتقد أن العدو لديه ٧ دبابات فى الغرب . إنه يعرف الحقائق كلها عن الموقف وهذا هو قراره .

وقد ادعى السادات فى مذكراته بأننى عدت من الجبهة منهارا يوم ١٩ أكتوبر وأننى طالبت « بسحب قواتنا من شرق القناة لأن الغرب مهدد » ، ويؤسفنى بأن أقول إن هذا (.....)(*) . لقد كنا تسعة أشخاص مات واحد ومازال الثمانية الآخرون أحياء . وإنى أتحدى إذا كان أحد من هؤلاء الأحياء يستطيع أن يشهد بصدق مايدعيه السادات . لقد طالبت حقا بسحب جزء من قواتنا من الشرق إلى الغرب . وكانت مطالبتى بهذه العملية يوم ١ أكتوبر هى خامس محاولة جادة لإنقاذ الموقف » .

□

□ **ثالثا** - وهناك أخيرا رواية محايدة للواء « محمد عبد الغنى الجمسى » ، ولعلها الأقرب إلى الموضوعية بسبب أن صاحبها كان شاهدا ولم يكن طرفا فى خصومة قديمة أو طارئة :(**)

« حضر الرئيس السادات إلى مركز العمليات وبعد أن استمع إلى تقرير عن الموقف من الفريق أحمد اسماعيل ، تقرر إيفاد الفريق الشاذلى إلى قيادة الجيش الثانى للعمل على منع تدهور الموقف ، وذلك باتخاذ الإجراءات للقضاء على قوة العدو فى غرب القناة ومحاولة قفل الثغرة فى شرق القناة ، وهى كلها فى قطاع الجيش الثانى .

كان الفريق الشاذلى فى قيادة الجيش الثانى بعد ظهر يوم ١٨ أكتوبر ، وكنت على اتصال مستمر معه لتبادل المعلومات والآراء . وبعد أن ألم بالموقف تماما ، عاد مساء يوم ١٩ أكتوبر بالرأى الذى يراه لمواجهة تهديد العدو الموجود فى غرب القناة ، وهو ضرورة سحب أربعة لواءات مدرعة من الشرق إلى الغرب خلال الـ ٢٤ ساعة التالية للدخول فى معركة ضد قوات العدو . وأن ذلك من

(*) أوصاف قاسية .

(**) مذكرات المشير « محمد عبد الغنى الجمسى » بعنوان « أكتوبر ١٩٧٣ » - الصفحات ٤١٩ - ٤٢١ .

وجهة نظره لا يؤثر على كفاءة دفاعاتنا فى الشرق ، كما كان يرى أن الموقف خطير ويجب طلب حضور رئيس الجمهورية لشرح الموقف أمامه .

. . . .

. . . .

عندما حضر الرئيس السادات إلى مركز العمليات حوالى الساعة العاشرة والنصف مساء يوم ٢٠ أكتوبر ، كان الفريق الشاذلى واللواء محمد حسنى مبارك واللواء محمد على فهمى وأنا واللواء فؤاد نصار مدير المخابرات الحربية واللواء سعيد الماحى مدير المدفعية مجتمعين فى غرفة المؤتمرات داخل مركز العمليات .

واجتمع الرئيس مع الفريق أول أحمد اسماعيل على انفراد لمدة حوالى ساعة قبل بدء المؤتمر . ومن الطبيعى أن يكون الوزير أحمد اسماعيل قد قدم للرئيس تقريرا عن الموقف ، ووجهة نظره ، ورأى الفريق الشاذلى ، وهما رأيان متعارضان لمواجهة هذا الموقف . وكانت نقطة الخلاف الرئيسية هى أن الشاذلى كان يرى سحب أربعة لواءات مدرعة من الشرق إلى الغرب ، أما أحمد اسماعيل فكان يرفض ذلك .

دخل الرئيس ومعه الوزير أحمد اسماعيل والمهندس عبد الفتاح عبد الله وزير الدولة لشئون رئاسة الجمهورية غرفة المؤتمرات . طلب الرئيس رأى المجتمعين واحدا بعد الآخر .

بدأ مدير المخابرات الحربية بشرح موقف العدو ونواياه التى أبرز فيها أن العدو يهدف فى معركته غرب القناة إلى احتلال مدينة الاسماعيلية أو السويس ، وهو ما يحقق له هدفا سياسيا بالإضافة لتأثير ذلك على الموقف العسكرى لقواتنا .

وكنت أنا المتحدث الثانى ، حيث شرحت فى حديثى موقف قواتنا ، أبرزت فيه أن قواتنا فى شرق القناة قوية بالقدر الكافى الذى يجعل منها صخرة تتحطم عليها أى محاولات للعدو ضدها . ونظرا لأن الإنجاز العسكرى الكبير الذى تحقق بوجود قواتنا فى سيناء ، لا يجب التنازل عنه أو تعريضه للخطر ، لذلك فإن المحافظة على قواتنا شرق القناة كما هى دون سحب أى قوات رئيسية منها أمر واجب . وكان رأيى أن سحب اللواءات المدرعة المصرية من الشرق إلى الغرب يترتب عليه اهتزاز دفاعات قواتنا فى الشرق الأمر الذى لا يمكن قبوله . فضلا عن ذلك فإن التأثير المعنوى على القوات بعد سحب اللواءات المدرعة من الشرق يصبح شديدا بطريقة سلبية . وأتذكر أنى قدمت أعداد الأسلحة الرئيسية من الدبابات والمدفعية وأسلحة المشاة ، وبصفة خاصة كميات الذخيرة الموجودة فى الشرق موضحا أنها تكفى لتحقيق مهمة الاحتفاظ بمواقع قواتنا فى سيناء بكفاءة .

وبعد أن استمع الرئيس لرأى باقى القادة ، لاحظت أن الفريق الشاذلى لم يتكلم . وقرر الرئيس « عدم سحب أى قوات من الشرق مع احتواء قوات العدو فى الغرب » .

. . . .

. . . .

فى مثل هذا الموقف المعقد الذى كانت تواجهه قواتنا تتعدد الآراء وتتباين وجهات النظر . وعندما يتخذ القائد العام – وأى قائد فى مستوى أقل – قراره ، فلابد أن تلتزم قيادته وقواته بالتنفيذ . لقد عاصرت الفريق الشاذلى خلال الحرب ، وقام بزيارة الجبهة أكثر من مرة ، وكان بين اللواءات فى سيناء فى بعض هذه الزيارات . وأقرر أنه عندما عاد من الجبهة يوم ٢٠ أكتوبر لم يكن منهارا ،

كما وصفه الرئيس السادات فى مذكراته (البحث عن الذات – ص ٣٤٨) بعد الحرب . لا أقول ذلك دفاعا عن الفريق الشاذلى لهدف أو مصلحة ، ولكنها الحقيقة أقولها للتاريخ . لقد كان هناك خلاف فى فكر رئيس الأركان وفكر القائد العام على الطريقة التى نواجه بها موقفا عسكريا أمامنا ، وهذا واجب وحق لكل مسئول فى جهاز القيادة أن يبدى رأيه واقتراحه فى الموقف . ولكن القرار فى النهاية الذى يتحتم على الجميع الالتزام به هو قرار القائد العام المسئول عن إدارة العمليات .

لقد التزمت القيادة العامة بالقرار الذى اتخذه القائد العام مؤيدا بقرار من القائد الأعلى للقوات المسلحة فى هذا الموقف . ومازلت أقول حتى اليوم إن هذا القرار – من وجهة نظرى – كان صحيحا وسليما لمواجهة الموقف الذى كان يواجهنا .

وعندما انتهى الاجتماع ، غادر الرئيس السادات مركز العمليات دون أن يبين لنا أنه يفكر فى الموافقة على وقف إطلاق النار ، بعد أن تكرر رفضه له أكثر من مرة خلال الحرب » .

□

كانت هذه هى الروايات الثلاث عما دار فى اجتماعات القيادة حتى ما بعد منتصف الليل . وبصرف النظر عن الاختلاف بينها فإن الذى يمكن استنتاجه بثقة هو :

- أن القيادة العامة للقوات المسلحة كانت فى ذلك الوقت منقسمة بآراء متعارضة ، وقد تداخل هذا الانقسام مع توترات خصومات شخصية سابقة . والأمر على هذا النحو يمكن أن يسحب تأثيره سلبيا على مسار العمليات .

- أن القوات المسلحة المصرية نفسها كانت على كل جبهات القتال تحارب بشجاعة وكفاءة رغم ارتباك اليد التى تمسك أمورها بحزم وتوجه جهدها باقتدار .

وقد غادر الرئيس « السادات » مقر القيادة فى الساعة الثانية وعشر دقائق . ومن المؤكد أنه عندما وصل إلى قصر الطاهرة كانت خطوته – أو خطاه – التالية تتكشف فى فكره وتتحدد .

واتصل الرئيس « السادات » فى الساعة الثالثة والنصف عند الفجر بـ « محمد حسنين هيكل » وأخبره أنه استدعى السفير السوفيتى وأبلغه بأنه على استعداد لقبول وقف إطلاق النار فى أى وقت ابتداء من الآن ، طبقا للشروط التى شرحها له من قبل ، وطلب منه إبلاغ هذا القبول إلى الرفيق « بريجنيف » فى موسكو . وسأله « هيكل » عن السبب الذى دعاه إلى ذلك بهذه السرعة ، وكان رد الرئيس « السادات »:« الحقيقة أن أحمد اسماعيل أخذنى إلى مكتبه قبل اجتماع القيادة وعرض أمامى الموقف كله ، وقال لى إن أحوالنا فى الجبهة حتى الآن جيدة ، ولكن الواجب يحتم عليه أن يصارحنى بالحقيقة ، وأن يقول لى إننى إذا وجدت وسيلة إلى وقف إطلاق نار مشرف ، فمن المستحسن أن أقبلها حتى لا يتعرض الجيش والبلد إلى أخطار محققة » . وأضاف الرئيس « السادات » أن « فينوجرادوف خرج من عنده ، وسوف يتحدث بنفسه تليفونيا مع بريجنيف رغم أن الوقت متأخر » .

□

وفى الساعة السابعة صباحا كان « محمد حسنين هيكل » يدخل قصر الطاهرة ، وقد عرف هناك أن الرئيس « السادات » ظل ساهرا حتى الصباح ، وأن تطورات كثيرة وقعت فى قصر الطاهرة وتوالت ومازالت تتوالى ، ذلك أن الرئيس « السادات » - بعد مقابلته للسفير السوفيتى - أملى على المهندس « عبد الفتاح عبد الله » رسالة منه إلى الرئيس « حافظ الأسد » ، كان نصها كما يلى :(*)

« برقية
رقم ٢٠ بتاريخ ٢٠ / ١٠ / ١٩٧٣

إلى الرئيس حافظ الأسد

لقد حاربنا إسرائيل إلى اليوم الخامس عشر . وفى الأربعة أيام الأولى كانت إسرائيل وحدها ، فكشفنا موقفها فى الجبهة المصرية والسورية وسقط لهم باعترافهم ٨٠٠ دبابة على الجبهتين وأكثر من مائتى طائرة .

أما فى العشرة أيام الأخيرة فإننى على الجبهة المصرية أحارب أمريكا بأحدث ما لديها من أسلحة . إننى ببساطة لا أستطيع أن أحارب أمريكا أو أن أتحمل المسئولية التاريخية لتدمير قواتنا المسلحة مرة أخرى .

لذلك فإننى أخطرت الاتحاد السوفيتى بأننى أقبل وقف إطلاق النار على الخطوط الحالية بالشروط التالية :

١ - ضمان الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة لانسحاب إسرائيل كما عرض الاتحاد السوفيتى .

٢ - بدء مؤتمر سلام فى الأمم المتحدة للاتفاق على تسوية شاملة كما عرض الاتحاد السوفيتى .

إن قلبى ليقطر دما وأنا أخطرك بهذا ، ولكننى أحس أن مسئوليتى تحتم علىّ اتخاذ هذا القرار . ولسوف أواجه شعبنا وأمتنا فى الوقت المناسب لكى يحاسبنى الشعب .

مع أطيب تمنياتى .

أنور السادات »

وقد أرسلت هذه البرقية فى الساعة الثالثة وأربعين دقيقة بالضبط . وتقاطعت معها فى نفس الوقت تقريبا برقية أخرى من جدة كان باديا فيها قلق الملك « فيصل » ، وكانت البرقية موقعة باسم السيد « كمال أدهم » مستشاره للأمن - موجهة إلى الدكتور « أشرف مروان » بوصفه سكرتير الرئيس « السادات » للمعلومات .

(*) فى ملحق صور الوثائق توجد صورة لأصل هذه البرقية ، وهى منشورة تحت رقم (٧٤) . على صفحة ٨١٣ من الكتاب .

كان نص الرسالة كما يلى بالحرف :(*)

« من السيد كمال أدهم
إلى السيد أشرف مروان

الأخبار عن معركة القناة أقلقتنا كثيرا . أرجو تطميننا عن الوضع للأهمية » .

وقد أدرك الرئيس « السادات » على الفور شخصية السائل فى الرسالة ، بصرف النظر عن الاسم الذى وقع عليها ، وهكذا فقد كتب على أصلها رده عليها بخط يده . وكان نصه :

« الموقف دقيق بسبب تدفق العتاد الأمريكى والمتطوعين للدبابات والطيارات من أمريكا أساسا ومن باقى أوروبا . وقد اعترف طيار أسير بأن الطائرات الأمريكية تأتى بطيارين أمريكان ، وسجلنا له ذلك وسنذيعه .

نحن نبذل كل ما فى طاقة البشر بل ما هو أكثر .

والله هو الموفق »

□

وكانت خاتمة ما حدث فى تلك الليلة الحافلة ، أن القناة السرية نشطت للعمل فى هذه الساعة . فقد بعث الرئيس « السادات » بتوقيع السيد « حافظ اسماعيل » برسالة إلى « هنرى كيسنجر » الموجود فى موسكو – نصها كما يلى بالحرف :(**)

« من حافظ اسماعيل
إلى الدكتور كيسنجر

يشكر السيد اسماعيل الدكتور كيسنجر على رسالته المؤرخة ١٩ / ١٠ / ١٩٧٣ .

٢ – يشكر السيد اسماعيل تحديد الدكتور كيسنجر لسياسة الولايات المتحدة ، فيما يتعلق بـ :

أ – المساعدة على إيجاد وقف عاجل للقتال .

ب – البدء فورا فى عملية دبلوماسية للتحرك نحو تسوية أساسية .

٣ – وكما سبق الإيضاح ، فإن ما لدى مصر من تجربة – وبصفة خاصة فى ١٩٧٠ ، لا يشجع الجانب المصرى ، غير أن ربطا بين إيقاف القتال وبين تسوية نهائية ، قد يكون مضمونا ، لو أن الدولتين العظميين يضمنان خاتمة سريعة لتسوية كهذه .

(*) فى ملحق صور الوثائق توجد صورة لأصل هذه الرسالة ، وعليها تأشيرة الرئيس « السادات » بخط يده . وهى منشورة تحت رقم (٧٥) على صفحة ٨١٤ من الكتاب .

(**) فى ملحق صور الوثائق توجد صورة لأصل هذه الرسالة ، وهى منشورة تحت رقم (٧٦) . على صفحة ٨١٥ من الكتاب .

٤ - وعلى هذا الأساس - وأخذا فى الاعتبار بأن العمل العسكرى فى حد ذاته ، لا يحل الموقف ، فإن الحكومة المصرية توضح الموقف التالى فيما يتعلق بالنزاع الراهن :

أ - وقف للقتال على الخطوط الحالية .

ب - عقد مؤتمر سلام بهدف الوصول إلى تسوية أساسية .

جـ - ضمان من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى لوقف القتال وانسحاب القوات الإسرائيلية .

٥ - وفى اعتقاد السيد اسماعيل أن وجود الدكتور كيسنجر الآن فى موسكو سوف يكون مساعدا على الوصول إلى اتفاق على الخطوط التى سبق ذكرها أعلاه .

مع أحر التحيات . »



٢٠ أكتوبر فى تل أبيب :

فى الساعة السادسة صباحا كان مجلس الوزراء المصغر مجتمعا فى بيت « جولدا مائير » . وقد أحيط المجلس علما بوجود « كيسنجر » فى موسكو ، وبرسالة الرئيس « نيكسون » إلى رئيسة الوزراء . وكالعادة ، كان الجنرالات الثلاثة حاضرين ذلك الاجتماع الباكر لمجلس الوزراء المصغر . وبعد مناقشات تبين للجميع أن الظروف قد تضعهم سريعا جدا أمام قرار بوقف إطلاق النار ، ولكن الجنرالات الثلاثة كانوا يحتاجون إلى وقت أكثر مما هو متاح « لأن القوات فى الميدان مرهقة ، والمقاومة أمامها شديدة ، وهى لا تستطيع أن تصل إلى المواقع المثالية التى تريدها مهما حدث فى موسكو » . وقد اتصل السفير الإسرائيلى فى واشنطن « سيمحا دينتز » برئيسة الوزراء أثناء اجتماع مجلس الوزراء المصغر قائلا لها إن « كيسنجر » اتصل به من موسكو بواسطة مساعده الجنرال سكوكروفت طالبا تقريرا عن الموقف العسكرى كل أربع ساعات » . وطلبت إليه « جولدا مائير » أن يبعث برسالة إلى « كيسنجر » يطلب منه فيها إعطاء إسرائيل أكبر فسحة ممكنة من الوقت .

ثم عاد « دينتز » يتصل بـ « جولدا مائير » ويقول لها « إنه أخطر (بواسطة الجنرال سكوكروفت أيضا) - بأن الرئيس نيكسون تلقى رسالة من بريجنيف فى نفس اللحظة التى كانت طائرة كيسنجر تهبط فيها فى مطار العاصمة السوفيتية بدا منها أن الزعيم السوفيتى فى حالة نفاد صبر . فقد قال فى رسالته لنيكسون بالحرف « **إنه إذا مضت الأمور على هذا النحو ، فإننى أخشى أن الحكومة السوفيتية سوف تكون مضطرة إلى اتخاذ قرارات يصعب الرجوع فيها** » . »

ثم عاد « دينتز » يتصل مرة ثالثة برئيسة الوزراء الإسرائيلية يخطرها بأنه سمع نقلا عن الجنرال « زومفالد » رئيس المخابرات البحرية أن هناك ثلاثة أسراب من طائرات « ميج ٢٥ » قادها طيارون سوفيت إلى مصر مباشرة . وقد نقل إليها أن تحليل المخابرات البحرية الأمريكية يتوقع أن يكون ذهاب هذه الأسراب إلى مصر - مقدمة لإرسال قوات أكبر .

وكانت « جولدا مائير » تطلب إليه أن يكون على اتصال مستمر بـ « « كيسنجر » في موسكو .

٣

٢٠ أكتوبر في واشنطن :

كان اليوم عصيبا بالنسبة للرئيس « ريتشارد نيكسون » ، ولأسباب مختلفة بعيدة عن حرب الشرق الأوسط . فقد وجد نفسه مضطرا ذلك اليوم إلى طرد المدعي العام المكلف بالتحقيق في فضيحة « ووترجيت » ، وهو القاضي « كوكس » . وفوجىء « نيكسون » بأن وزير العدل « اليوت ريتشاردسون » ونائبه « ويليام راكلهاوس » قدما استقالتيهما تضامنا مع القاضي « كوكس » .

ويبدو أن « نيكسون » أراد أن يغطي على مشاكله الداخلية بأن يجد لنفسه دورا في الأزمة التي ارتفعت درجة حرارتها في الشرق الأوسط ، وارتفعت معها درجة حرارة الموقف الدولي . وهكذا ، فإنه بعث برسالة إلى الرئيس « بريجنيف » طلب إذاعة نصها على الفور . وقد جاء فيها بالنص :

« إن وزير خارجيتي الدكتور هنري كيسنجر يحمل معه تأييدي الكامل . وقد منحته قبل سفره كل السلطات التي تمكنه من الوصول معكم إلى أية ترتيبات مقبولة من الأطراف » .

٤

٢٠ أكتوبر في موسكو :

وصل « كيسنجر » إلى موسكو حوالي الساعة العاشرة بتوقيت العاصمة السوفيتية . وقد أخطر بأن مجموعة من الرسائل في انتظاره :

● ● ● رسالة من السفير الإسرائيلي في واشنطن « سيمحا دينتز » جاء فيها ما يلي :

« إن كل أعمالنا على الجبهة الآن محكومة باعتبارات تتصل باحتمال صدور قرار سريع بوقف إطلاق النار فى المواقع . والحكومة الإسرائيلية ترجوك أن يكون أى قرار لوقف إطلاق النار متوافقا مع توقيت وصولنا إلى خط يسمح لنا بتحقيق ما نراه ملائما من وجهة النظر السياسية العسكرية إننا نتحرك بقوة على كل المواقع ، والأمور تتطور لصالحنا بفضل الروح العالية لقواتنا . ولكننا جميعا يجب أن ندرك أن هذه القوات كانت ولا تزال مرهقة بمعارك عنيفة وبغير انقطاع منذ ٦ أكتوبر » .

وبوحى هذه الرسالة فقد رأى « كيسنجر » أن يخطر « بريجنيف » بأنه قد لا يكون مستعدا لمحادثات قبل صباح غد (الأحد) لأنه قدم إلى موسكو بعد رحلة طويلة ومرهقة .

● ● ● رسالة من الرئيس « نيكسون » تحمل نص ما بعث به إلى « بريجنيف » عن تفويضه بالكامل أثناء مهمته فى موسكو .

وقد اعتبر « كيسنجر » أن هذه الرسالة تقوى موقفه فى موسكو .

● ● ● لكن « كيسنجر » وجد رسالة أخرى له من الرئيس « نيكسون » تختلف عن تلك التى أذيعت . فقد بدت فيها لهفة « نيكسون » للحصول على نصر خارجى يغطى على موقفه الداخلى الناشىء عن فضيحة « ووترجيت » . فقد بعث إلى « كيسنجر » يعرض عليه - من أجل ضمان للحصول على تسوية سريعة - أن يقترح على السوفيت « **أن تتوصل القوتين الأعظم إلى حل متكامل لأزمة الشرق الأوسط تقومان بفرضه على العرب والإسرائيليين معا** » . وقد قال « نيكسون » فى هذه الرسالة إن « **الأصوات اليهودية لن يكون لها تأثير - أكرر لن يكون لها تأثير - على قراراتنا فى هذه الصدد . وأريدك أن تعرف أننى على استعداد لممارسة الضغط المطلوب على الإسرائيليين بصرف النظر عن عواقب ذلك على السياسة الداخلية** » .

وقرر « كيسنجر » أن يتجاهل هذه الرسالة من رئيسه (كما قال بنفسه فى مذكراته) .

● ● ● ثم لحقت بهذه الرسائل كلها رسالة السيد « حافظ اسماعيل » الأخيرة إليه .

وقرر « كيسنجر » (طبقا لما قاله فى مذكراته أيضا) أنه لن يستجيب إلى فحوى هذه الرسالة من السيد «حافظ اسماعيل » لأنه من ناحية لم يكن مستعدا لتقديم ضمانات بالاشتراك مع الاتحاد السوفيتى ، فقد انعقد عزمه على أن تكون التسوية أمريكية بحتة ، كما أنه - من ناحية أخرى - أصبح مقتنعا (طبقا لما قاله فى مذكراته) بأن ما نقله إليه السيد « حافظ اسماعيل » « ليس هو أكثر ما يستطيع الحصول عليه من تنازلات مصرية » .

□

ولم يقبل « ليونيد بريجنيف » أن ينتظر « هنرى كيسنجر » حتى صباح الأحد كما كان يطلب ، وكل ما كان مستعدا له هو أن يترك « كيسنجر » يستريح حتى مساء اليوم ثم يلتقيان فى الكرملين . وعندما وصل « كيسنجر » إلى اجتماعه مع « بريجنيف » فى المساء ، أدرك أن أمامه ليلة طويلة .

الفصل الثامن عشر

يوم ٢١ أكتوبر

١

٢١ أكتوبر فى القاهرة (صباحا) :

بدأ الرئيس « السادات » يومه فى حالة من العصبية الشديدة . فقد أحس أن الأمور على الجبهة مهددة بالتدهور ، خصوصا وأن القوات المقاتلة فى ميادين القتال بدأ يساورها شعور بأن قيادتها فى القاهرة غير ممسكة تماما بزمام الموقف . وكانت القرارات العسكرية تصل إلى الجبهة مترددة فى بعض الأحيان ومتضاربة .

وقد أحس الرئيس « السادات » بشكل من الأشكال أن المسئولية انتقلت إليه بالكامل ، وأن القيادة العسكرية نقلت إليه أعباء الصورة العامة طالبة منه أن يتصرف . وليس أمامه غير أن يتصرف . وقد قرر دعوة السفير السوفيتى « فلاديمير فينوجرادوف » إلى لقائه وأبلغه أنه « رغبة فى تسهيل عملية التفاوض بين بريجنيف وكيسنجر فى موسكو ، فإنه قرر أن يفصل بين وقف إطلاق النار وبين مطلب العودة إلى خطوط ١٩٦٧ » . وخرج « فينوجرادوف » ليخطر موسكو بهذا التطور المهم فى مطالب الرئيس « السادات » .

□

وبعد خروج السفير السوفيتى ، تلقى الرئيس « السادات » ردا من الرئيس « حافظ الأسد » على رسالته المؤثرة إليه بالأمس . وكان نصها على النحو التالى :(*)

(*) فى ملحق صور الوثائق توجد صورة لأصل هذه الرسالة ، وهى منشورة تحت رقم (٧٧) . على صفحة ٨١٦ من الكتاب .

« برقية
رقم ٢١ بتاريخ ٢١ / ١٠ / ١٩٧٣.

من الرئيس حافظ الأسد

إلى الرئيس أنور السادات

تلقيت رسالتكم أمس ببالغ التأثر . أخى بعد وصول البرقية « أود » أن أعيد النظر مرة أخرى فى الموقف العسكرى على الجبهة الشمالية وعلى ضفتى القناة ، وخرجت باستنتاج وهو أن الوضع لا يدعو إلى التشاؤم وأنه بالإمكان أن يستمر الصراع مع القوات المعادية سواء منها تلك التى اجتازت القناة إلى الضفة الغربية أم تلك الموجودة أمام قواتنا فى الضفة الشرقية . يمكن أن يؤدى استمرار القتال وتطويره إلى تدمير القوات المعادية التى عبرت القنال .

أخى السادات

قد يكون من الضرورى رفع معنويات إخواننا العسكريين ، فبمجرد خرق العدو للجبهة لا يعنى أن النصر أصبح فى جانبه . فقد خرق الجبهة الشمالية منذ أيام ، ولكن الصمود المستمر والقتال العنيف فى الخطوط والمواقع المختلفة يدفعنا إلى مزيد من التفاؤل يوم بعد يوم . فقد أوقفنا الخرق عند مواقع معينة ، وإننى واثق أننا سنستعيد منطقة الخرق فى الأيام القليلة المقبلة . فى تقديرى أن المهم بالنسبة لنا جميعا أن تصمد جيوشنا بمعنويات عالية .

أخى الرئيس

لا يخامرنى شك فى أنك تثق بأننى أتكلم بروح المسئولية ولا سيما ونحن نجتاز أكثر اللحظات دقة وحرجا ، ولذلك كان على أن أرسل لك رأى بعد أن فكرت جيدا فى الأمر ، وبعد أن أعدت تقدير الموقف العسكرى العام وعلى الجبهة الغربية بوجه خاص .

ختاما تحياتى وتمنياتى لك بالتوفيق وكان الله فى عونك فى معركتنا التى نخوضها .

حافظ الأسد »

وقرأ الرئيس « السادات » الرسالة ولم يكن سعيدا بها . فقد بدا له – على حد تعبيره – أن « حافظ يريد أن يعطينى درسا فى الصمود » .



٢١ أكتوبر فى تل أبيب :

كان مجلس الوزراء الإسرائيلى مجتمعا كالعادة فى الساعة السابعة والنصف صباحا . ولم يحضر من القادة العسكريين إلا الجنرال « اليعازر » . فقد كان الجنرال « ديان » والجنرال « بارليف » كلاهما على الجبهة المصرية . وكان للجنرال « اليعازر » طلب واحد من مجلس الوزراء : فسحة أطول من الوقت قبل وقف إطلاق النار حتى تستطيع القوات الإسرائيلية أن تتقدم إلى المواقع التى تريدها فى وجه مقاومة مصرية شديدة .

وقامت « جولدا مائير » بالإتصال بنفسها مع « سيمحا دينتز » فى واشنطن تطلب إليه إخطار « سكوكروفت » بإبلاغ رسالة منها إلى « كيسنجر » تطلب منه التمهل قبل الوصول إلى قرار بوقف إطلاق النار .

٣

٢١ أكتوبر فى موسكو :

تأجل اجتماع الصباح بين « بريجنيف » و« كيسنجر » من الساعة العاشرة إلى الساعة الحادية عشرة ، لأن « كيسنجر » اتصل بالكرملين يقول إنه ينتظر رسالة عاجلة من الرئيس « نيكسون » وأنه يريد أن يعرف محتواها قبل لقائه مع « بريجنيف » ، وأنه متوجه إلى الكرملين فور الانتهاء من حل رموزها وقراءة نصوصها .

وعندما بدأ الاجتماع الثانى بينه وبين « بريجنيف » ، فوجىء « كيسنجر » بأن الزعيم السوفيتى قد أسقط إصراره على وجود صلة بين قرار وقف إطلاق النار وبين مطالبة إسرائيل بالانسحاب إلى خطوط ما قبل يونيو ١٩٦٧ .

(وكان هذا التغيير المفاجىء فى الموقف السوفيتى نتيجة لبرقية من السفير « فينوجرادوف » بعد لقائه مع الرئيس « السادات » فى القاهرة ، ولكن « كيسنجر » فوجىء لأنه لم يكن يعرف بهذا التطور) .

وقد أمكن بعد ذلك خلال جلسة الصباح التوصل إلى صيغة ما عرف فيما بعد بالقرار رقم ٣٣٨ .

وتقرر إرسال هذا النص إلى القاهرة وإلى تل أبيب لكى يطلع عليه الطرفان قبل إعلانه . وهكذا تأجلت الجلسة إلى ما بعد الظهر فى انتظار معرفة رأى الأطراف المحليين فيما توصلت إليه القوتان الأعظم .

وبينما كان « كيسنجر » فى السفارة الأمريكية فى موسكو ينتظر ردود القاهرة وتل أبيب ، اتصل به الجنرال « سكوكروفت » ليبلغه رسالة جاءته من « جولدا مائير » عن طريق سفيرها فى واشنطن « سيمحا دينتز » . كانت « جولدا مائير » الآن تخطر « كيسنجر » بأنها لا تستطيع أن تبحث أى صياغة لقرار يصدر عن مجلس الأمن إلا إذا توازى معه قرار بالإفراج عن الأسرى الإسرائيليين فى مصر . وبدأ « كيسنجر » يشعر بحرج موقفه إزاء « بريجنيف » . فالعودة إليه بعد الظهر بشرط إسرائيلى إضافى لم يكن موجودا فى الصباح بطلب الإفراج عن الأسرى الإسرائيليين – سوف يبدو تعنتا لا مبرر له فى هذه اللحظة . وعلى أى حال ، فإنه أثاره مع « بريجنيف » عندما عاد إلى الالتقاء به فى المساء ، ورد عليه « بريجنيف » بأن هذا « موضوع



بريجنيف يستقبل كيسنجر فى موسكو .

لا يملكه ، وإن كان يعد ببذل قصارى جهده لتسريع عملية تبادل الأسرى بين الجانبين بعد سريان وقف إطلاق النار » .

□

كان أخطر ما فى مشروع القرار ٣٣٨ أنه يدعو كل الأطراف المشتركة فى القتال الجارى – إلى التوقف عن إطلاق النار ، وإيقاف أية نشاطات عسكرية على الفور فى مدة لا تتجاوز ١٢ ساعة من لحظة الموافقة عليه . كما أنه يتعين على جميع القوات من الجانبين أن تثبت فى المواقع التى هى فيها الآن .

كان نص القرار يوحى بالفصل بين مواقف الدول العربية كأطراف متعددة ، ولا يشير إليها كطرف واحد فى مقابل الطرف الإسرائيلى . ومعنى ذلك أن قبول أى طرف عربى به لا يلزم بقية الأطراف . وبالتالى فإن أيا منهم يستطيع أن يتصرف منفردا .

وكان ذلك بالضبط ما لاحظته « جولدا مائير » وهى تقدم مشروع القرار للكنيست قائلة « إن موافقة إسرائيل على مشروع قرار بوقف إطلاق النار مع مصر هو رهن بموافقة مصر وحدها وليس بموافقة سوريا ، وبنفس المقدار فإن موافقة سوريا إذا حدثت ليست مرتبطة بموافقة مصر » .

وكان ذلك ما تقول به المادة الأولى من مشروع القرار ، وأما المادة الثالثة فقد كانت خطورتها أنها تحدثت عن ضرورة البدء فى محادثات مباشرة بين الأطراف لتثبيت وقف إطلاق النار . أى أن محادثات مباشرة بين أى طرف عربى – مصر فى هذه الحالة – وبين إسرائيل يمكن أن تبدأ دون انتظار وتحت ضغط الظروف العسكرية الراهنة . وكان ذلك مزعجا !

□

ورأى « كيسنجر » أن الوقت قد حان ليقوم باتصال آخر مع مصر عن طريق القناة السرية ، وهكذا كتب رسالة إلى السيد « حافظ اسماعيل » كان نصها كما يلى :

« رسالة من الدكتور هنرى كيسنجر
إلى السيد حافظ اسماعيل

أشكر لكم كثيرا رسالتكم المؤرخة ٢١ أكتوبر التى وصلتنى منذ ساعات قلائل فى موسكو . ولقد توصلنا إلى اتفاق مع السكرتير العام بريجنيف على أن تقوم حكومتانا بتقديم مشروع قرار مشترك فى مجلس الأمن مساء اليوم يدعو إلى وقف قتال عاجل ، فى وقت لا يتجاوز ١٢ ساعة بعد الموافقة على القرار ، وتنفيذ القرار ٢٤٢ بجميع أجزائه ، وقرار بالبدء فى مفاوضات تحت إشراف مناسب ، تستهدف الوصول إلى سلام عادل قابل للدوام . وفى اعتقادى أنه على هذا الأساس ، يمكن لنا أن نتطلع إلى تسوية مرضية لجميع الأطراف . ولهذه الغاية اتفقنا مع الحكومة السوفيتية على أن الولايات المتحدة ومعها الاتحاد السوفيتى ، سوف تكونان على استعداد لاستخدام مساعيهما الحميدة ، والمساهمة حسبما تدعو إليه الحاجة ، فى تسهيل أمر تسوية أساسية . وعلى هذا النحو ، أخذت فى الاعتبار بالمشروع المشترك ، الثلاثة الأجزاء التى تضمنتها رسالتكم لى . ويمكن لى أن أؤكد لكم أنه بينما يتوقف القتال ، فإن الولايات المتحدة سوف تستخدم نفوذها لإحراز سلام دائم فى الشرق الأوسط ، على أساس عادل لجميع الأطراف .

ولقد أكد لنا الاتحاد السوفيتى أيضا أنه سوف يستخدم أقصى ما له من نفوذ لتحقيق تبادل فورى للأسرى .

وأود أن أضيف أملى الخاص فى أننا نستطيع مواصلة استخدام هذا الاتصال الخاص الذى أقمناه ، والذى ثبتت فائدته فى الأيام الأخيرة .

تحيات حارة » .

وربما كان بين أهم ما ورد فى الرسالة هو عبارتها الأخيرة التى أظهر فيها « كيسنجر » حرصه على مواصلة استخدام القناة السرية بينه وبين الرئيس « السادات » .

□

ويظهر أنه لم يكن لدى « هنرى كيسنجر » ما يكفى لإرضاء « جولدا مائير » . فما كاد « كيسنجر » يعود إلى السفارة الأمريكية فى موسكو بعد محادثاته مع « بريجنيف » حتى تلقى رسالة من « سكوكروفت » نقلها إليه السفير الإسرائيلى « دينتز » بطلب من رئيسة وزراء إسرائيل . وقالت « جولدا مائير » فى رسالتها لـ « كيسنجر » إنها « تقدر جهوده للتوصل إلى قرار لوقف إطلاق

النار ، وأنها مع موافقتها على مشروع القرار كما وصل إليها - إلا أنها ترى حاجة إلى استيضاح بعض النقط الواردة فيه . وهى تقترح عليه أن يتوقف فى إسرائيل فى طريق عودته من موسكو إلى واشنطن » .

ولعله كان بين أسبابها - إضافة إلى كل الحسابات - رغبتها فى كسب وقت إضافى لقوادها فى الجبهة .

والمدهش أن « هنرى كيسنجر » قبل اقتراحها بغير تردد ، ولعله كان معها فى أسبابها وحساباتها الأصلية والإضافية !

٤

٢١ أكتوبر فى القاهرة (مساء) :

كان الجو فى قصر الطاهرة مشدودا على الآخر بينما الظلام ينزل على العاصمة التى لم تكن قد استوعبت بعد ما يدور فى كواليس قمتها .

وفى الساعة الثامنة وعشر دقائق وصل « محمد حسنين هيكل » إلى القصر ، وهناك عرف أن الرئيس « السادات » توجه قبل لحظات من غرفته فجلس فى الشرفة ، وأن السيدة « جيهان السادات » معه فيها .

وطلب « هيكل » إبلاغ الرئيس بوصوله ، ودعى إلى هناك فقصد إلى الشرفة ، ووجد الرئيس « السادات » جالسا بعد تناول عشاء خفيف مبكر ، وكان يشرب كوبا من الشاى بالنعناع . وأبلغه الرئيس « السادات » على الفور أنه تلقى مشروع قرار بوقف إطلاق النار تم التوصل إليه فى موسكو ، وأن مجلس الأمن سوف يصوت عليه هذه الليلة (بتوقيت نيويورك - أى غدا بتوقيت القاهرة) . وسأل « هيكل » عن نص مشروع القرار ؟ - ورد الرئيس « السادات » بأنه « اطلع على هذا النص ووافق عليه ، وأن « حافظ » (يقصد السيد « حافظ اسماعيل ») قادم إلى هنا ومعه النص الرسمى . » وفى دقائق كان عدد الحضور على الشرفة قد زاد . فقد وصل المهندس « سيد مرعى » ، ولحق به كل من المهندس « عبد الفتاح عبد الله » وزير شئون رئاسة الجمهورية ، ومعه الدكتور « أشرف مروان » سكرتير الرئيس للمعلومات . ثم وصل السيد « حافظ اسماعيل » . وخرجت السيدة « جيهان السادات » فى هذه اللحظة من الشرفة لأمر دعاها إلى القيام .

كان « هيكل » يعرف حجم التوترات المضغوطة فى قصر الطاهرة تلك الليلة . ولكنه لم يكن يعتقد أنها وصلت إلى هذه الحالة من الاستعداد للانفجار . فقد بدأ واستأذن الرئيس فى أن يطلع

على النص الرسمى لمشروع القرار . وأعطى الرئيس « السادات » إشارة تعطى معنى الموافقة ، وقام السيد « حافظ اسماعيل » بفتح حقيبة جلدية يحملها معه ، فأخرج منها ملفا أبرز منه ورقة تحوى نص مشروع القرار . ولكن « هيكل » سأل ، وهو لم يقرأ النص بعد : « هل وافقت سوريا عليه ؟ » ورد الرئيس « السادات » بسرعة قائلا : « لا أعرف .. أظن أنهم سوف يوافقون » . ومع أن الإلحاح لم يكن مطلوبا – فإن الموقف كان يفرض على الجميع أن يتكلموا حتى وإن أحسوا أنهم تجاوزوا . وهكذا عاد « هيكل » يسأل قائلا : « ولكن هل يعرف السوريون بالموعد المقرر لوقف إطلاق النار ؟ » ورد الرئيس « السادات » وقد بدت الحدة تظهر فى نبرات صوته قائلا : « يقول لهم الروس » . وقال « هيكل » للرئيس « السادات » : « عفوا للإلحاح ، ولكن السوريين عندما فتحوا النار يوم ٦ أكتوبر نسقوا معنا ولم ينسقوا مع السوفيت ، فإذا كان هناك وقف لإطلاق النار تقرر له توقيت محدد ، فلابد أن يعرف السوريون منا ... منك ، وليس من السوفيت » . وبدا الضيق على الرئيس « السادات » – وتمتم قائلا : « إن هذه مسألة شكلية ، وهى ليست بيت القصيد الآن ... ويمكن أن نتصل بحافظ » (يقصد الرئيس « حافظ الأسد ») .

ولاحظ « هيكل » أيضا أن القرار يشير إلى بدء محادثات مباشرة بين الأطراف فور سريان وقف إطلاق النار ، وأبدى دهشته من ورود هذا النص ، وسأل الرئيس إذا كان قد وافق على هذا الكلام ؟ – وقال الرئيس « السادات » بحزم : « أيوه » . وقال « هيكل » إن « ربط وقف إطلاق النار بمفاوضات مباشرة مسألة لم تحدث من قبل » – ثم أضاف : « نحن لم نكن نقبل بذلك قبل الحرب ، فكيف نقبل به الآن » ؟

كان يعرف إنه يضغط على أعصاب الرئيس « السادات » ، ولكن القضايا فى تلك الساعة كانت أكبر من الأشخاص والمشاعر .

ويبدو أن السيد « حافظ اسماعيل » كان قد تحمل فوق طاقته . وقد وجد ما تصور الآن أنه فرصة مناسبة ليقول رأيه . وبطريقته فى الأداء واختيار الألفاظ قال بصوت يبدو فيه التأثر : « سيادة الرئيس ، ليس هناك ما يدعونا إلى هذه العجلة . وأنا أخشى أن يكون إخواننا العسكريون قد أعطوا سيادتك صورة مبالغة فى تشاؤمها . وأنا أسلم أن الموقف خطر ، ولكنى أعتقد بأمانة أن القوات قادرة على مواجهته حتى ...»

ولم يتركه الرئيس يكمل عرضه ، فقد هم واقفا نصف وقفة فى مقعده ، وصاح فى السيد « حافظ اسماعيل » قائلا : « جرى لك ايه يا حافظ ؟ جرى لك أيه يا حافظ ؟ أنت راجل عسكرى يا حافظ وتعرف أن احتياطيك الاستراتيجى خلص يا حافظ » . وحاول السيد « حافظ اسماعيل » أن يكتم مشاعره . وقد أدرك كل الذين رأوا المشهد أن الرجل فى هذه الثانية لم يعد فى طاقته أن يحتمل أكثر . وقد كتم مشاعره ، وبانت محاولته لكتمانها من الطريقة التى راح بها يضغط أسنان فكيه . والتزم الصمت طول المساء .

وراح الرئيس « السادات » يروى تفاصيل الموقف الذى رآه فى القيادة العسكرية ، وأنه كاد يصدر أمرا بعزل الفريق « الشاذلى » فى ساعتها وتقديمه لمحاكمة عسكرية . ثم استطرد إلى ذكر

الأسلحة الأمريكية التى تتدفق على إسرائيل ، وراح ينحي باللائمة على السوفيت لأنهم عجزوا عن إمداده بما أعطته أمريكا لإسرائيل . ثم بدأ يبرر موقفه بأنه واصل القتال حتى اليوم ثمانية عشر يوما ، وسوف يكون هو أسعد الناس عندما يتوقف القتال عند منتصف الليل .

وعاد « هيكل » يتساءل : « هل تم الاتفاق فعلا على وقف إطلاق النار عند منتصف الليل .. هذه الليلة » ؟ — وقال الرئيس « السادات » : « أيوه .. وأنا أريد أن أعطى أولادى فى الجبهة فرصة أن يناموا هذه الليلة مسترحين . فهم طوال الأسبوع الماضى لم يذوقوا طعم النوم » .

ولم يستطع « هيكل » أن يكتم رأيه ، فقال للرئيس « السادات » : « أنت أول من يعلم بتجاربنا مع إسرائيل فى وقف إطلاق النار وكسره . وذلك أمر تكرر منذ هدنات سنة ١٩٤٨ ولا يجب أن نكرره الآن . ورأيى أنه لابد أن تكون هناك رقابة على الأرض تحفظ خطوط وقف إطلاق النار من أى تعد عليها بعد سريان وقف إطلاق النار . واقتراحى المحدد هو أن نطلب من السكرتير العام للأمم المتحدة إرسال قوة مراقبين قبل أن يسرى وقف إطلاق النار » . واعترض الرئيس « السادات » بأنه « ليس هناك وقت لمثل هذا الطلب . فإجراءات تنفيذه سوف تستغرق أياما » . ورد « هيكل » بأنه « يعرف أن هناك قوة للأمم المتحدة فى قبرص ، وأن فالدهايم يستطيع إرسال مجموعة من ضباطها إلى خطوط التماس بين القوات حتى لا يقوم الإسرائيليون بعمليات تؤثر على سلامة القوات وسلامة الجبهة . »

وقد بدأ الرئيس « السادات » يتضايق قائلا : « قلت لك إن هذا ليس وقته الآن . فقد وافقت على موعد وقف إطلاق النار وانتهى الأمر » . وقال « هيكل » : « كيف نستطيع أن نقبل الاحتكام إلى قانون لم يجىء بعد قاضيه » . ورد الرئيس « السادات » بحدة : « أنت لا زلت تتكلم على قديمه . هذا وقف إطلاق نار من نوع مختلف ، وراءه ضمان القوتان الأعظم ، وليس وراءه فالدهايم العاجز وضباطه الأكثر عجزاً فى قبرص .» ورد « هيكل » بأن « القوى الأعظم لا تستطيع أن تضمن مواقف تاكتيكية على مواقع قتال محدودة فى جهات بعيدة ، لكن هذه المواقع يمكن أن تحدث فارقا هائلا بين أطرافها على الأرض . »

وكان واضحا أن الجو يتوتر بسرعة . ولمح « هيكل » فى عينى المهندس « سيد مرعى » نظرة قلق من تطور الحوار .

كانت أعصاب الرئيس على آخرها ، وكان من العدل أن تترك للرجل فرصة يخلو إلى نفسه ويفكر فيها وحده . وبعد قليل ، وكانت الساعة قد بلغت الحادية عشرة والنصف ، استأذن المهندس « سيد مرعى » فى الانصراف ، وربما أرادها إشارة للآخرين بأن يتركوا الرئيس لشواغله . وهكذا خرج « هيكل » مع المهندس « سيد مرعى » الذى قام بتوصيله مرة أخرى إلى بيته . وفى السيارة قال المهندس « سيد مرعى » لـ « هيكل » إنه « يتفهم بعض أسبابه فيما قال ، ولكن الرجل تحمل بأكثر من الطاقة ، وقد أدى واجبه ، ولابد أن نقف معه ونساعده بدلا من أن نضغط على أعصابه . »

الفصل التاسع عشر

يوم ٢٢ أكتوبر

١

٢٢ أكتوبر فى القاهرة (صباحا) :

صباح يوم ٢٢ أكتوبر - وهو يوم من أخطر أيام التاريخ المصرى المعاصر - كانت القمة فى القاهرة فى حالة تثير المخاوف وتجلب الهموم . فقد كانت كل مراكز صنع القرار أو التأثير عليه فى عزلة عن بعضها . لم يكن مركز منها على اتصال بآخر بطريقة منظمة ، ولا كان مركز فيها على علم كاف بالحقائق العسكرية أو السياسية .

كان الرئيس « السادات » وحده فى قصر الطاهرة ، وقد علق آماله كلها على مهمة « كيسنجر » فى موسكو . وقد ترسخ لديه يقين كامل بأن « ساحر فيتنام » (« هنرى كيسنجر ») سوف يمارس سحره فى أزمة الشرق الأوسط . وحينما جرى لفت نظره إلى اختلاف الظروف ، كان رده بحدة « إن هناك عاملا ثابتا مهما تغيرت الظروف ، وهو أن كيسنجر يريد أن ينجح ، وأن يحافظ على سمعته الأسطورية التى بناها فى السنوات السابقة » . وحينئذ قيل له إن « كيسنجر » يمكن أن ينجح على الشروط الأمريكية وربما الإسرائيلية أيضا . لكن السؤال هو إذا كانت هذه الشروط تلائم الموقف العربى فى أزمة الشرق الأسط ؟ وفى كل الأحوال ، فإن الشىء الوحيد الذى يمكن أن يؤثر على « كيسنجر » وهو يخوض امتحانه من أجل النجاح هو صلابة الموقف العربى ، وليس أى ثقة « غيبية » من العرب فى كفاءاته .

والشاهد أن المناخ فى قصر الطاهرة صباح ذلك اليوم كان معبأ بشحنات مكهربة ظهرت -

لأسباب حقيقية – فى الأيام الأخيرة ، ولكنها راحت تتزايد بسرعة شديدة ، وقد بدا أن الحرب تجتاز ساعاتها الأخيرة قبل وقف لإطلاق النار قادم دون شك خلال ساعات .

وقد أحس « محمد حسنين هيكل » بهذه الشحنات المكهربة فى قصر الطاهرة عندما وصل ذلك الصباح – ٢٢ أكتوبر – واتجه قبل أن يلتقى بالرئيس « السادات » – إلى مكتب الشئون العسكرية حيث وجد العقيد « عبد الرؤوف رضا » وقد وضع كفيه على رأسه وأستند بكوعيه على مكتبه . وحين سأله « هيكل » عن أسباب علامات التشاؤم البادية عليه ، بدا أن العقيد « عبد الرؤوف رضا » على وشك الانفجار .

بدأ مدير مكتب الشئون العسكرية للرئيس موجها كلامه لزائره هذا الصباح وقائلا : « إننى أريد أن أكلمك كوطنى أولا .. إن مصر فى خطر . »

كانت البداية على هذا النحو مفاجئة . وجلس « هيكل » على مقعد أمام العقيد « عبد الرؤوف رضا » ، وقد رجاه أن يتحدث إليه بصراحة وبطريقة مرتبة . وكانت الصورة التى طرحها مدير مكتب الشئون العسكرية على النحو التالى :

١ – إن الرئيس لا يستمع إلى مستشاريه وأحيانا لا يقابلهم . وقد حاول هو أن يعرض عليه بنفسه صورة للموقف العسكرى ، فلم يتمكن . وهو يعتقد أن الأوراق لا تقول كل شىء ، وأن هناك أشياء لابد أن تقال وتستوعب حقائقها دون أن تكون بالضرورة تقارير رسمية لأن التقارير الرسمية تتداول ، وهناك من الحقائق ما لا يصح تداوله كما لا يصح غيابه عن صانع القرار .

٢ – إن هذه الحالة لا تنطبق على مكتب الشئون العسكرية فقط ، ولكنها تنطبق أيضا على وزير شئون رئاسة الجمهورية الذى ظهر فى الصور مع الرئيس ورافقه فى اجتماعاته خلال الـ ٤٨ ساعة الأخيرة ، لكن الفرصة لم تسنح له ليجلس مع رئيسه ويقول رأيه فيما يجرى من أحداث يعتبرها جسيمة ، ويعتبرها مؤثرة على مستقبل البلاد .

٣ – إن الأجواء فى القيادة العامة ملبدة ومتقلبة . ويكفى أن هذه القيادة فى ظرف ٢٤ ساعة غيرت الصورة أمام الرئيس من الوردى إلى الأسود « مرة واحدة وبدون ظلال » . فيوم ١٩ أكتوبر كان رأيهم أن قفل الثغرة ممكن ، ويوم ٢٠ أكتوبر أصبح رأيهم العكس . وهو لا يريد أن يضع مسئولية على أحد بالذات ، ولكن الحقائق تتحدث عن نفسها .

٤ – إن هناك حالة من الإحباط والغضب بين شباب الضباط فى هيئة العمليات . فهؤلاء الضباط كان لهم دور كبير فى دراسة ووضع تفاصيل الخطة . وقد نجحت خطتهم فوق ما كان يتوقع أحد . ومع ذلك فقد رأوا القرارات تصدر لأسباب غير مفهومة بالنسبة لهم وتؤثر على بنيان وتماسك الخطة .

٥ – إن القيادة العامة تبدو منقسمة أمام ضباط أركان الحرب العاملين فى القيادة . فبعض الكبار وصلوا إلى حد أنهم لم يعودوا يوجهون الخطاب إلى بعضهم . كما أن بينهم من احتكر الحركة ، وبينهم من اعتكف ، وبينهم من ابتعد ينتظر ما سوف تؤول إليه الأمور .

٦ – لكن الغريب ، رغم ذلك كله ، أن الموقف على الجبهة قد تحسن فى الساعات الأخيرة بطريقة تدعو للاطمئنان . فالطوابير الإسرائيلية الزاحفة يتعطل تقدمها ، وهى تواجه مقاومة عنيدة فى كل القطاعات تقريبا . وقد لحقت بها خسائر كبيرة جدا . وهذه كلها عناصر يمكن استغلالها . وحتى إذا كان وقف إطلاق النار سيجىء اليوم ، فإن تدعيم الموقف على الجبهة وترسيخ ثبات القوات المصرية يمكن أن يكون له مردود سياسى كبير حتى فى حالة وقف إطلاق النار .

وبينما كان حديث الاثنين جاريا ، وصل الدكتور « أشرف مروان » سكرتير الرئيس للمعلومات ، وقد سمع نهاية الحديث ، واتصل من مكتب الشئون العسكرية باللواء « حسنى مبارك » قائد الطيران يسأله عن أحوال المعركة فى الجو . وقد رد اللواء « حسنى مبارك » مؤكدا « أن العدو لحقت به خسائر كبيرة ، وأن تقديراته على أساس المعلومات الواصلة إليه هى أن الإسرائيليين فقدوا ١٢ هليوكوبتر وما بين ٨ – ٩ طائرة « ميراج » ، وأن القوات الجوية المصرية فقدت ٤ طائرات – اثنتان منها ضربتا فى الجو ، واثنتان منها سقطتا لنفاد الوقود لأن الطيارين فى اندفاعهم إلى مهامهم القتالية ، لم يكن فى رؤوسهم غيره ، وقد اندفعوا إلى آخر نقطة وقود » .

□

كانت رغبة الرئيس « السادات » فى الاحتفاظ بكل خيوط الموقف فى يده ظاهرة فى تصرفاته فى الأيام الأخيرة التى بدا فيها أن الحركة الرئيسية فى الموقف على وشك أن تنتقل من المسرح العسكرى إلى المسرح السياسى . وقد تجلت هذه الرغبة حتى فى بعض المواقف البسيطة . فقبلها بأربعة وعشرين ساعة ، وعندما أعلن عن وجود « كيسنجر » فى موسكو ، اتصل الدكتور « عزيز صدقى » بـ « محمد حسنين هيكل » وطلب إليه أن ينقل للرئيس « السادات » استعداده للذهاب إلى موسكو فورا لكى يقوم باتصالات مباشرة مع القادة السوفيت ، وفى مقدمتهم « ليونيد بريجنيف » الذى تربطه به علاقة قديمة ووثيقة . وحين عرض « هيكل » هذا الاقتراح تليفونيا على الرئيس « السادات » لاحظ أن صيغة رفضه للاقتراح كانت حادة . فقد قال بضيق « لا ، لا ، لا ، لا داعى لمثل هذا الكلام الآن . أنا أريد أن تكون الخطوط مباشرة ، ولا أريد بينى وبين بريجنيف وسيطا . عندى هنا التليفون المباشر على فينوجرادوف ، وهو (أى فينوجرادوف) عنده الخط المباشر مع بريجنيف » .

ومن وجهة نظره ، فإن الرئيس « السادات » كان بالفعل فى لحظة حرجة ، وقد فضل أن يمسك فى يده بكل الخيوط . وقد سجل السيد « حافظ اسماعيل » ، الذى كان مستشاره للأمن القومى ، هذه الظاهرة فى مذكراته[1] حين قال بالحرف : « كان الرئيس وحيدا ، وكان هو الذى اختار أن يواجه الموقف وحده . لقد اتخذ وحده من قبل قرارات مصيرية متعددة ، وربما لم يجد ضرورة الآن ، وحدة الأزمة تتصاعد ، أن يدعو رفاقه ومعاونيه . واختار أن يجتاز الأزمة وحده . ولقد أراد أن يكون صاحب النصر عندما ننتصر ، وهو الآن يرفض إلا أن يكون المسئول عن

(١) مذكرات « حافظ اسماعيل » بعنوان « أمن مصر القومى » – صفحة ٣٦٠ .

تحول المعركة . بينما كنت أظن أن هذه الساعات الحرجة التى نمر بها هى بالضبط الظروف التى من أجلها بنى « تنظيم الأمن القومى » لكى يدعى ليتحمل مسئولياته ويعاون على اتخاذ القرارات المصيرية . لقد كان الموقف يتطلب تفويضا جديدا . »

وربما كانت الحقيقة أعقد بعض الشيء مما شرحه السيد « حافظ اسماعيل » ، وإن كان فى قوله الكثير من عناصرها . وربما أن الرئيس « السادات » فى تلك الساعات كان – من ناحية – غير قادر على تصور واقع انتصاره الاستراتيجى ، والعثور على الطريقة الملائمة لاستغلال هذا الانتصار الاستراتيجى الذى كان « هنرى كيسنجر » أول المعترفين به . ومن ناحية أخرى – فقد كان على نحو ما يشعر أن مستقبله ومستقبل نظامه كله مرتبط بهذه الساعات . ولم يكن على استعداد لأن يترك لغيره أمور مصيره أو مصير نظامه .

وكان مجلس الوزراء المصرى ، الذى كان بعيدا عن التطورات العسكرية والسياسية للمعركة . ومركزا كل جهوده على تسيير المرافق العامة وما هو ضرورى من الشئون الداخلية – قد اضطر أخيرا إلى أن يناقش صورة الموقف العسكرى والسياسى بما هو أكثر من مجرد العناوين العامة .

وقد حضر السيد « حافظ اسماعيل » اجتماعا لمجلس الوزراء فى تلك الساعات . وانفعل أمام أعضاء مجلس الوزراء ، وأحدث انفعاله صدمة . وبعد مناقشات فى التفاصيل لم يكن فى مجلس الوزراء من هو مستعد للاتصال بالرئيس « السادات » مباشرة . وقد طلبوا إلى الدكتور « عبد القادر حاتم » الذى كان قائما بأعمال رئيس الوزراء ، أن يتصل بالفريق « أحمد إسماعيل » وأن يستوضح منه حقائق الموقف . وقد أدار « عبد القادر حاتم » هذه الجلسة بكفاءة خففت من حدة القلق ، مما جعل السيد « اسماعيل فهمى »(*) يتدخل فى المناقشة قائلا : « إننا مطالبون مهما كان قلقنا أن نقدم للرئيس « السادات » فى هذه الساعة كل ما يمكن أن يتجمع لدينا أو لدى أحد منا من اقتراحات عملية تساعده على اتخاذ القرار » .



٢٢ أكتوبر فى تل أبيب (صباحا) :

كان مجلس الوزراء الإسرائيلى مجتمعا بكامل هيئته منذ الساعة السادسة صباحا . وقد عرضت « جولدا مائير » لتفاصيل ما تلقته من « هنرى كيسنجر » فى موسكو . وأخطرت المجلس

(*) كان وزيرا للسياحة ، وبحكم سابق تجربته كسفير ووكيل لوزارة الخارجية فقد كان رأيه فى القضايا المتصلة بالأزمة مسموعاً ومؤثرا .

بأن « هنرى قادم إلى هنا فى ظرف ساعات » ، وأنها مع قبولها بمشروع القرار مبدئيا ، فإنها تخشى أن يكون « كيسنجر » قد تصرف بمقتضى توازن العلاقات بين القوتين الأعظم أكثر مما تصرف وفى ذهنه مصلحة إسرائيل .

وكان الجنرال « ديان » الذى حضر الاجتماع – ملحا على نقطة واحدة ، وهى عدم التسرع فى وقف إطلاق النار لأن قوات جيش الدفاع الإسرائيلى تحتاج إلى يومين أو ثلاثة على الأقل لفتح الطريق أمام تقدمها ضد مقاومة مصرية تتزايد شدتها ، رغم أن المعركة فى عمومها تسير لصالح إسرائيل .

٣

٢٢ أكتوبر فى موسكو (صباحا) :

إنتهى « كيسنجر » من اجتماعه الثانى مع « بريجنيف » قبل الفجر بقليل . وقد عاد إلى السفارة الأمريكية يتصل بالرئيس « نيكسون » ويعرض عليه ما توصل إليه مع « بريجنيف » ، واقترح عليه أن يكتب رسالة شخصية منه إلى السيدة « جولدا مائير » تمهدها نفسيا للقاء معه (أى « كيسنجر ») عندما يصل إلى إسرائيل فى ظرف ساعات . وقد فعل « كيسنجر » ما هو أكثر . فقد بعث إلى مساعده « سكوكروفت » بمشروع كامل للرسالة التى يقترح على الرئيس « نيكسون » أن يبعث بها إلى « جولدا مائير » وقد وافق عليها « نيكسون » ومهرها بإمضائه ، وبعث بها لـ « جولدا مائير » . وكان نصها كما يلى :

« سيدتى رئيسة الوزراء[٢]

إننا نعتقد أن إنجازا كبيرا قد تحقق لكم ولنا ، وهو إنجاز يؤيد الشجاعة القتالية لقواتكم ويصون منجزاتها . فقد توصل وزير الخارجية هنرى كيسنجر إلى صيغة مشروع قرار لوقف إطلاق النار مع القيادة السوفيتية . وأنا أعرف أن نصوص هذا المشروع قد وصلت إليكم ، ولكنه من المهم أن ألفت نظرك إلى بعض النقاط الأساسية فى مشروع القرار :

أولا – إن مشروع القرار يترك قواتكم فى المواقع التى وصلت إليها .

ثانيا – إنه لا توجد فى المشروع على الإطلاق أية إشارة من أى نوع إلى كلمة الانسحاب .

ثالثا – إنه لأول مرة تمكنا من إقناع الاتحاد السوفيتى على موافقة منه بمفاوضات مباشرة بين الأطراف وبدون أى اشتراطات أو قيود ، وأن تتم المفاوضات تحت الرعاية الملائمة .

---

(٢) مذكرات « هنرى كيسنجر » – الجزء الثانى – بعنوان « سنوات القلاقل » – صفحة ٥٥٥ وصفحة ٥٥٦ .

رابعا – وفى نفس الوقت فقد اتفقنا نحن والسوفيت بطريقة شخصية على أن نضع عملية التفاوض تحت رعايتنا المشتركة لتسهيل العملية .

ونحن نأمل أن يكون ذلك موضع موافقة بين الأطراف . »

وعند الظهر كان « كيسنجر » لا يزال فى موسكو ، وقد دعاه وزير الخارجية « جروميكو » إلى غداء مبكر اقتصر عليهما . واتفقا على إرسال صيغة مشروع القرار إلى نيويورك لكى تتداول فيه الوفود قبل التصويت عليه هذا المساء فى الأمم المتحدة .

ويبدو أن « جروميكو » أبدى تشككه فى موافقة الصين على مشروع القرار . وكان رأى « كيسنجر » أن الرئيس « السادات » قد يستطيع التكفل بأمر الصين .

(وحدث ذلك فعلا ، فقد أبرق الرئيس « السادات » إلى الزعيم الصينى « ماو تسى تونج » شخصيا يرجوه ألا تستعمل الصين حق الفيتو ضد هذا المشروع . كما أن التعليمات صدرت لدى الوفد المصرى فى الأمم المتحدة بأن يتصل بالوفد الصينى الدائم ، وأن ينقل إليه فحوى برقية « السادات » إلى « ماو تسى تونج » ، وأن يضيف إلى ذلك جهده مع السفير « هوانج زان » مندوب الصين فى الأمم المتحدة . ووجد الدكتور « الزيات » – وزير الخارجية الذى كان لا يزال فى نيويورك – أن الوفد الصينى معارض لمشروع القرار . وحين اقترح على رئيسه الامتناع عن التصويت ، كان رده « إنه لا يليق بكرامة الصين أن تكون حاضرة فى اجتماع يناقش قضية على هذه الدرجة من الأهمية ثم تمتنع عن التصويت » . ثم تلقى « هوانج زان » مكالمة تليفونية من بكين تنقل إليه تعليمات جديدة مؤداها « أنه ما دام « أصدقاؤنا » العرب يعتبرون مرور المشروع مسألة حيوية بالنسبة لهم ، ولما كانوا هم الأدرى بمصلحتهم – فإن الوفد الصينى يستطيع أن يتغيب عن جلسة مجلس الأمن أصلا حتى يتجنب التصويت على مشروع قرار لا يعتقد بصوابه ، وحتى لا يعترض على مشروع قرار يعتقد العرب أنه فى مصلحتهم ، ومن ناحية ثالثة فإن الغياب عن الجلسة يعفى الوفد الصينى من دور سلبى مهين (وهو أن يمتنع عن التصويت رغم حضوره الجلسة) . وفى كل الأحوال فغياب الوفد الصينى عن الجلسة فى حد ذاته موقف ! » .

كان « هنرى كيسنجر » يشعر بأن مصير العالم يتوقف عليه شخصيا . وقد داخله إحساس بالعظمة دعاه – قبل أن يقوم من موسكو – إلى حد توهم مخاطر تنتظر طائرته فى أجواء البحر الأبيض عندما يعبرها فى طريقه إلى إسرائيل . وقد اتصل بمدير مكتبه « ايجلبرجر » يطلب منه أن يرتب مع « البنتاجون » حماية جوية كافية لطائرته بواسطة الأسطول الأمريكى السادس . وبالفعل فإن أعدادا ضخمة من الطائرات خرجت إلى حماية طائرته ، وإن وصلت إلى موقعها متأخرة لأن قائد طائرة « كيسنجر » – بدعوى الأمن – كان يرفض أن يحدد موقعه لمحطات المراقبة . لكن الأسطول السادس عثر على طائرة « كيسنجر » أخيرا ، وأحاطت طائراته بطائرته حتى وصولها إلى مطار اللد .

وقد أراحها « كيسنجر » حين ألمح لها أن « جيش الدفاع يستطيع مواصلة عملياته بعد وقف إطلاق النار ، على الأقل طوال المدة التى تستغرقها طائرتى من هنا إلى واشنطن – علما بأننى سوف أتوقف ساعات فى لندن . »

ثم كان البند الثالث فى طلبات « جولدا مائير » هو استعادة الأسرى الإسرائيليين فى مصر . وفى بعض مشاهد المناقشة ، صاحت فى وجه « كيسنجر » قائلة : « إذا لم تكن هناك عودة للأسرى – فلن يكون هناك وقف لإطلاق النار » .

وقد حاول « كيسنجر » أن يشرح للمفاوضين الإسرائيليين نقطتين :

الأولى – أن الاتحاد السوفيتى لن يسمح بهزيمة لأصدقائه العرب كما حدث سنة ١٩٦٧ . وهذا يمكن أن يقود إلى مواجهة مفزعة بين القوتين الأعظم .

والثانية – أنه لا مصلحة لإسرائيل فى إلحاق هزيمة ساحقة بالعرب ، لأن الإحساس بالمهانة قد يمنعهم من التفاوض مهما كان الثمن .

لكن « جولدا مائير » كانت فى حالة وصفها « كيسنجر » بأنها « متوحشة » .

وكان الانطباع الأخير الذى خرج به « كيسنجر » من زيارته لإسرائيل ، هو أن القادة الذين قابلهم جميعا يعرفون – رجالا ونساء – أنهم مهزومون وأن مستقبلهم السياسى والعسكرى قد انتهى . فكل حرب لها كباش فداء » ، وهؤلاء القادة الإسرائيليون ينصرفون وكأنهم « كباش الفداء » المنتظرة ، ثم إنهم كانوا على استعداد لعمل أى شىء للهرب من هذا المصير .



٢٢ أكتوبر فى القاهرة (بعد الظهر) :

كانت القناة السرية بين القاهرة وبين « هنرى كيسنجر » تعمل بنشاط لم يدخل فى حسابه حقائق الأمور ، بصرف النظر عما تقول به ظواهرها . ولعل الأعصاب كانت هى التى تتصرف ، فى حين أن الإرادة كانت إلى حد ما معطلة .

كان « هنرى كيسنجر » قد بعث – وهو لا يزال فى موسكو – إلى الرئيس « السادات » برسالة عن طريق السيد « حافظ اسماعيل » ، جاء نصها كما يلى :(*)

(*) فى ملحق صور الوثائق توجد صورة لأصل هذه الرسالة ، وهى منشورة تحت رقم (٧٨) . على صفحة ٨١٧ من الكتاب .

« من الدكتور هنرى كيسنجر
إلى السيد حافظ اسماعيل

١ - يود وزير الخارجية كيسنجر أن تعلموا أنه خلال الساعات القلائل القادمة سوف يكون مسافرا لإسرائيل . ونحن نريد أن تتفهم حكومتكم بجلاء الغرض من هذه الرحلة ، إذ هى للمساعدة على التأكد من أن قرار مجلس الأمن المقدم مشروعه بواسطة الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى ، سوف ينفذ فورا . وكذلك لتدبر أمور الإشراف الأمريكى السوفيتى على ما يتبع ذلك من جهود السلام .

٢ - وأملى أن نستطيع الاعتماد على كامل تعاون الحكومة المصرية فى هذا الصدد . وإنى أتطلع إلى المحافظة على إتصالاتنا .

تحياتى الحارة » .

وتقرر فى القاهرة على الفور إرسال رد إلى « كيسنجر » ، مع الإلحاح على تحويله إليه حيث هو الآن فى إسرائيل . وكان نص الرد كما يلى :(*)

« من السيد حافظ اسماعيل
إلى الدكتور كيسنجر

لقد تلقى السيد اسماعيل رسالة الدكتور كيسنجر المؤرخة ٢٢ أكتوبر . ويود إخطاركم بأن الحكومة المصرية تتفهم الغرض من زيارته لإسرائيل . والحكومة المصرية تعتبر أنه مما يخدم الغرض ذاته لو أن الدكتور كيسنجر زار القاهرة بعد رحلته إلى إسرائيل .

أطيب التحيات . »

ورد السيد « حافظ إسماعيل » فورا برسالة نصها :(**)

« من السيد حافظ اسماعيل
إلى الدكتور هنرى كيسنجر

١ - يود السيد اسماعيل شكر الدكتور كيسنجر على رسالته المؤرخة ٢٢ أكتوبر ، وأن يعرب عن تقديره لما بذله من جهود كبيرة ، من المأمول أنها سوف تؤدى إلى حل عاجل عادل ودائم .

٢ - ويرغب السيد اسماعيل أن يوجه انتباه الدكتور كيسنجر إلى ما يلى :

أ - إن مصر تحدد سعت ١٧٠٠ بالتوقيت المحلى يوم ٢٢ أكتوبر لبدء تنفيذ وقف القتال ، طبقا لقرار مجلس الأمن .

ب - إننا نأمل بصفة جدية فى أن الجانب الإسرائيلى سوف لا يحاول بأى حال الاستفادة من الموقف السائد . »

(*) فى ملحق صور الوثائق توجد صورة لأصل هذه الرسالة ، وهى منشورة تحت رقم (٧٩) ـ على صفحة ٨١٨ من الكتاب .

(**) فى ملحق صور الوثائق توجد صورة لأصل هذه البرقية ، وهى منشورة تحت رقم (٨٠) ـ على صفحة ٨١٩ من الكتاب .

وأبدت إسرائيل رغبتها فى التأجيل ساعتين . وعاد السيد « حافظ اسماعيل » يكتب إلى « كيسنجر » :(*)

« من السيد حافظ اسماعيل
إلى الدكتور هنرى كيسنجر

أود اخطاركم بأن الأوامر صدرت بإيقاف القتال فى الموقع فى الساعة ٥٢ : ١٨ بتوقيت القاهرة .

وسوف تنفذ هذه الأوامر إذا كان الجانب الآخر يحترم وقف القتال .

تحيات حارة » .

ورد « كيسنجر » شاكرا وقائلا بالحرف :(**)

« رسالة من الدكتور كيسنجر
إلى السيد حافظ إسماعيل

شكرا كثيرا على رسالتكم . ولقد تم إبلاغ الإسرائيليين بالمعلومات الخاصة بوقف القتال ، وكان ردهم كما يلى :

لقد صدرت الأوامر بوقف القتال فى الموقع ، فى الساعة ١٨٥٢ بتوقيت تل أبيب ، وسوف تنفذ هذه الأوامر إذا كان الجانب الآخر ينفذ الأوامر التى قيل إنه أصدرها .

تحيات حارة .

هنرى أ. كيسنجر »

وقرر « كيسنجر » أن يعتذر عن الذهاب إلى القاهرة مقدرا أنه سيتعرض فيها لضغوط تطلب منه تعهدا بالمحافظة على وقف إطلاق النار ، وهو ما لم يكن مستعدا له . كذلك فقد تصور أن « جولدا مائير » قد تستريب فى ذهابه إلى القاهرة هذه الساعات . وهكذا كتب ، وهو لا يزال فى إسرائيل ، رسالة إلى السيد « حافظ اسماعيل » كان نصها كما يلى :

« من الدكتور هنرى كيسنجر
إلى السيد حافظ اسماعيل

يود وزير الخارجية كيسنجر أن يشكر السيد اسماعيل على رسالتيه الأخيرتين . وكما يعلم السيد اسماعيل استطاع الوزير كيسنجر الحصول على موافقة إسرائيل على وقف إطلاق النار بصفة عاجلة بشروط لا تمنح أى الطرفين ميزة على الطرف الآخر .

(*) فى ملحق صور الوثائق توجد صورة لأصل هذه البرقية ، وهى منشورة تحت رقم (٨١) . على صفحة ٨٢٠ من الكتاب .

(**) فى ملحق صور الوثائق توجد صورة لأصل هذه البرقية ، وهى منشورة تحت رقم (٨٢) . على صفحة ٨٢٠ من الكتاب .

وإذ يؤكد الوزير كيسنجر استعداد الولايات المتحدة للإسهام فى التحرك الدبلوماسى الذى سوف يعقب وقف إطلاق النار ، فإن الإشراف من جانب الولايات المتحدة يستلزم مع ذلك خلق المناخ المناسب ، ولذا فإن الوزير يرى من الضرورى تنفيذ التفاهم غير الرسمى الذى تم فى موسكو حول التبادل العاجل لأسرى الحرب فى أسرع وقت ممكن .

هذا ويشكر الوزير كيسنجر السيد اسماعيل على دعوته الكريمة لزيارة القاهرة . ولكن من سوء الحظ أن الدعوة وصلته بعد أن ترك المنطقة وأصبح فى طريقه إلى لندن . ومع ذلك فإنه الآن وقد تم تحقيق وقف إطلاق النار فإنه يقبل بسرور دعوة السيد اسماعيل لزيارة القاهرة فى وقت قريب ، ويتطلع لتحديد موعد مناسب للطرفين فى المستقبل القريب جدا وفى استمرار الاتصال مع السيد اسماعيل عن نفس الطريق » .



٢٢ أكتوبر فى لندن (مساء) :

توقف « هنرى كيسنجر » فى لندن وهو فى طريق عودته إلى واشنطن . فقد كان مهما بالنسبة له أن يكون حلفاؤه فى بريطانيا على علم بما جرى . والتقى فور وصوله إلى لندن بالسير « أليك دوجلاس هيوم » . وعندما عرف وزير الخارجية من « كيسنجر » أن وقف إطلاق النار سوف يكون ساريا بعد ساعات ، قال له إن المخابرات البريطانية لديها معلومات أن سوريا تستعد لهجوم مضاد ضد القوات الإسرائيلية صباح اليوم التالى (٢٣ أكتوبر) . وفوجىء « كيسنجر » بهذه المعلومات التى يمكن أن تؤثر على ترتيباته التى تركها وراءه فى المنطقة . واتصل على الفور بالسفير السوفيتى فى لندن وأبلغه برسالة طلب منه توجيهها بسرعة إلى « بريجنيف » ، مؤداها أن إسرائيل قبلت قرار وقف إطلاق النار ، وأن مصر قبلت هى الأخرى . وقد تحدد موعد اتفق عليه الطرفان لسريان وقف إطلاق النار ، وإذا قامت القوات السورية بهجوم جديد صباح غد فإن الأمور قد تتعقد !



٢٢ أكتوبر فى القاهرة (مساء) :

كانت الدقائق الحاسمة بالنسبة للرئيس « السادات » تقترب بسرعة . ولم يكن على استعداد لأن يسمح لأحد بأن « يشوش » عليه فى هذه الدقائق . واتصل به العقيد « معمر القذافى » من

طرابلس فى الساعة الثانية والنصف بعد الظهر ، وفكر الرئيس « السادات » لوهلة فى أن يعتذر عن تلقى المكالمة ، لكنه عرف من تجربته مع العقيد « القذافى » أنه سوف يطارده بمكالماته طوال اليوم حتى يتمكن من العثور عليه . وقد آثر أن يتلقى المكالمة ليريح نفسه .

كانت المكالمة جافة ، ويظهر تقرير الاستماع المسجل لها أن الحوار جرى فيها على النحو التالى بالحرف :(*)

« الحديث التليفونى
بين الرئيسين أنور السادات ومعمر القذافى

الوقت : ١٤٣٠
التاريخ : ٢٢ / ١٠ / ١٩٧٣
الرئيس السادات (ويرمز إليه بحرف س)
الرئيس معمر القذافى (ويرمز إليه بحرف م)

س : أيوه .. آلو
م : ازيك يا ريس
س : أهلا يا معمر .. أهلا
م : كيف الحال ؟
س : الحمد لله
م : كيف الأخبار
س : احنا حانوقف إطلاق النار إن شاء الله
م : امتى
س : اليوم
م : وكيف يا ريس
س : لأنى أنا ماسك المعركة من الأول وهى ماشية كدة يا معمر .
م : ما يكونش هذا فى صالح اليهود ؟
س : لأ ... أنا حاسبها كويس ، ولما أشوفك أقول لك على كل حاجة إن شاء الله
م : قالوا سوريا بترفض إيقاف إطلاق النار !!
س : أنا كلمت حافظ وشرحت له الصورة الكاملة ، وهم لسه ما خدوش
م : أنا سمعت أن وزير الخارجية قابل السفراء العرب ، وأبلغهم قرار رفض وقف إطلاق النار !!
س : حصل .. وأنا سألت حافظ وقال احنا لسه ما خدناش القرار

(*) فى ملحق صور الوثائق توجد صورة لتقرير الاستماع عن هذا الحديث التليفونى بين الاثنين ، وهو منشور تحت رقم (٨٣) - على صفحة ٨٢١ من الكتاب .

م : كلام مجلس الأمن بتاع امبارح ما فيهش أى كلام عن الانسحاب !!

س : خللى الكلام لما نتقابل إن شاء الله

م : والله انت اللى عارف الموقف عندك

س : بالضبط كده .. ولما تعرف الموقف كله وأطرافه وأبعاده كلها تقول لى رأيك

م : طيب يا ريس

س : طيب يا معمر

ثم تبادلا التحية . ٥

الفصل العشرون

يوم ٢٢ أكتوبر

١

لم يكن كل شيىء هادئا فى ميادين القتال بعد أن سرى مفعول وقف إطلاق النار عند منتصف الليل . كانت القيادة المصرية قد التزمت بالقرار وتوقعت التزاما إسرائيليا مماثلا . ولكن ذلك لم يتحقق كما كان متصورا . والذى حدث هو أنه عند الساعة المقررة خف النشاط العسكرى بطريقة ملحوظة ، وكان الظن أن تلك هى المقدمة لوقفه تماما . لكن النشاط عاد يزداد تدريجيا ، ومع فجر ٢٢ أكتوبر كانت الطوابير الإسرائيلية المدرعة تتحرك .

واتصل الفريق « أحمد اسماعيل » بالرئيس « السادات » مبكرا فى الصباح يخطره بأن القوات الإسرائيلية تواصل عملياتها وكأن شيئا لم يحدث ، وهى تحاول التقدم إلى مواقع جديدة . وكان أول ما خطر للرئيس « السادات » هو أن يطلب من السيد « حافظ اسماعيل » أن يتصل بـ « هنرى كيسنجر » عن طريق القناة السرية .

وكتب السيد « حافظ اسماعيل » الرسالة التالية بالنص(*) :

« من السيد حافظ اسماعيل
إلى الدكتور هنرى كيسنجر

يود السيد اسماعيل إخطار الدكتور كيسنجر بأن القوات الإسرائيلية قد انتهكت وقف القتال ، وتحاول استغلال الإذعان المصرى لقرار مجلس الأمن ٣٣٨ بتاريخ ٢٢ / ١٠ / ١٩٧٣ ، باحتلال

(*) فى ملحق صور الوثائق توجد صورة لأصل هذه البرقية ، وهى منشورة تحت رقم (٨٤) . على صفحة ٨٢٢ من الكتاب .

مواقع جديدة . وإنه إذا كان لما يحدث الآن أية دلالة ، فإنه قطعا يصور مدى القيمة التى تقدر لأى التزام إسرائيلى مستقبلا .

وتقوم مصر من جانبها باتخاذ جميع الإجراءات اللازمة لضمان أمنها .

ويود الجانب المصرى معرفة الإجراءات التى سوف تتخذها الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى ، لضمان الإذعان الإسرائيلى والاحترام الكامل لوقف القتال » .

وفى الوقت الذى تلقى فيه « كيسنجر » رسالة السيد « حافظ اسماعيل » – كانت هناك رسالة أخرى على وشك أن تسلم إليه من السفير الأمريكى فى تل أبيب « كينيث كيتنج » . وبدت هذه الرسالة لـ « كيسنجر » مؤشرا إلى شكل الحوادث القادمة . فقد احتوت تفاصيل مقابلة بين رئيسة وزراء إسرائيل « جولدا مائير » والسفير الأمريكى فى تل أبيب « كينيث كيتنج » . وكان أهم مافيها :

● أن « جولدا مائير » أبلغته بأنها تجد صعوبة كبيرة فى إقناع الكنيست وأحزاب المعارضة بوقف إطلاق النار !

● أن « جولدا مائير » شكت له من أن هناك قوات أردنية تحارب مع السوريين . وسوريا لم تقبل حتى الآن وقف إطلاق النار ، مع أن الأردن قبل بالقرار على جبهته ، وجبهته لم يحدث عليها قتال على الإطلاق . لكن الأردنيين حاربوا على الجبهة السورية وما زالوا يحاربون .

● وسجل « كيتنج » فى تقريره أنه لاحظ صمت « جولدا مائير » عما يجرى على الجبهة المصرية . وقد سألها فى ذلك ، وردت عليه بصراحة كاملة قائلة : « إن قوادها العسكريين رجوها فى يومين إضافيين أو ثلاثة يواصلون فيها القتال لتحقيق هدف حصار الجيش الثالث . »

● وأضاف « كيتنج » فى تقريره أن « جولدا مائير » قالت له إنها وافقت قوادها على طلب المهلة الإضافية عندما وجدت أن القوات المصرية قامت بتحركات بعد وقف إطلاق النار .

□

إن كل الوثائق تشير إلى أن إسرائيل أعلنت قبولها لوقف إطلاق النار وهى عازمة على خرقه بصرف النظر عن أية اعتبارات . وقد كان ذلك ظاهرا فى صياغة نص قرار مجلس الوزراء الإسرائيلى بشأن قبول وقف إطلاق النار كما جرى إثباته فى محضر الجلسة[1] . فقد جاءت صياغة هذه الفقرة كما يلى :

« إذا لم يستطع المصريون أن يفوا بتعهدهم بوقف كل التحركات ، فإن جيش الدفاع الإسرائيلى يتحتم عليه أن يواجه العدو عند البوابة « repel the enemy at the gate » .

---

(١) اطلع الدكتور « بريشر » على نص المحضر وأورده فى دراسته .

كان مؤدى هذه الصياغة أن القيادة الإسرائيلية العسكرية أعطيت تفويضا بالحركة وفق ماتراه مناسبا لها . وقد ادعت القوات الإسرائيلية أنها لاحظت وجود تحركات فى مواقع الجيش الثالث ، وأعطت نفسها حرية التصرف ، وهى تعرف بمقتضى ما لديها من معلومات صحيحة - بصرف النظر عن الأهواء - أن الجيش الثالث لم يكن يقوم بعمليات عسكرية وإنما كان يخلى جرحاه . واجتمع « ديان » و « بارليف » واستقر رأيهما على عدم الانتظار ، وكان الهدف فى الواقع مزدوجا :

- **محاولة السيطرة على السويس والاندفاع إلى ميناء الأدبية (وقال « بارليف » إنه يحتاج إلى يومين لتنفيذ هذه العملية) .**

- **محاولة حصار الجيش الثالث وقطع طرق إمداده وتموينه ، واتخاذه أداة للضغط على الجانب المصرى فى أى مفاوضات مقبلة .**

والواضح أن « كيسنجر » لم يكن مفاجأ بهذه التطورات . وقد اعترف فى مذكراته بأنه « ربما **شجع الإسرائيليين على خرق وقف إطلاق النار بينما هو يقنع قادتها بقبوله » . فعندما أخطرته « جولدا مائير » بحاجة قواتها إلى وقت إضافى ، كان رده عليها « إننا سوف نتفهم موقفكم إذا قمتم « بزحلقة » وقف إطلاق النار لعدة ساعات ، وعلى الأقل للمدة التى سوف أقضيها فى الجو مسافرا من تل أبيب إلى واشنطن » .**

□

كان القتال يتسع على الجبهة ، وكان جليا أمام الرئيس « السادات » أن القتال الذى يجرى هناك لا يقتصر على مخالفات محدودة لوقف إطلاق النار ، وقد لاحظ بناء على تقارير الفريق « أحمد اسماعيل » أن الأمر تعدى ذلك . كما أنه لم يكن مطمئنا إلى الرد الذى بعث به « كيسنجر » إلى السيد « حافظ اسماعيل » بواسطة القناة السرية ردا على رسالته إليه قبل ساعة واحدة . فقد بدا له هذا الرد مائعا إلى درجة يمكن أن تحرجه أمام القيادة العسكرية وأمام القوات .

كان نص رد « هنرى كيسنجر » على النحو التالى :

« من الدكتور هنرى كيسنجر
إلى السيد حافظ اسماعيل

لقد تلقى الدكتور كيسنجر رسالة السيد اسماعيل العاجلة بشأن استمرار النشاط العسكرى ، وقد كنا فيما قبل تلقى الرسالة قد اتخذنا الخطوات التى طلبتها الحكومة المصرية ، ويفترض الجانب الأمريكى أن الجانب المصرى سوف يتخذ من جانبه خطوات مماثلة عاجلة لإنهاء القتال .

وان العمل العاجل بواسطة كلا الجانبين فى هذا الصدد ، سوف يساعد على خلق الظروف اللازمة للتحرك سريعا نحو تسوية دائمة فى الشرق الأوسط . »

وقد رأى الرئيس « السادات » أن يستدعى السفير السوفيتى ، وأن يضعه فى صورة ما يحدث

على الجبهة . كما قرر الموافقة على اقتراح من السيد « اسماعيل فهمى » - وزير الخارجية بالنيابة - بأن تقدم مصر شكوى إلى مجلس الأمن متهمة إسرائيل بانتهاك قرار وقف إطلاق النار .

٢

وفى الساعة الرابعة والنصف بعد الظهر (بتوقيت القاهرة) - قام السكرتير العام للأمم المتحدة « كورت فالدهايم » الذى تلقى طلب مصر بالدعوة إلى اجتماع عاجل لمجلس الأمن - بالاتصال بوزير الخارجية الأمريكى « هنرى كيسنجر » وأبلغه بالطلب الذى تلقاه من الوفد المصرى فى نيويورك . وكان هدف « فالدهايم » من هذا الاتصال أن يبحث ما يمكن عمله فى مجلس الأمن مع وزير الخارجية الأمريكى . وكان اقتراحه المبدئى هو أن يجتمع المجلس فى ظرف ساعتين ، وأن يطرح عليه مشروع قرار يتضمن نقطتين : أولاهما ، نداء إلى الأطراف بتجديد التزامها بوقف إطلاق النار - وثانيتهما ، إرسال قوة مراقبين على الفور إلى جبهات القتال للتحقق من التزام الأطراف بالقرار . وقد أشار « فالدهايم » فى حديثه مع « كيسنجر » إلى أنه التقى قبل قليل بالمندوب السوفيتى ، وفهم منه أنه تلقى تعليمات بتعزيز الطلب المصرى بدعوة مجلس الأمن على وجه الاستعجال لبحث انتهاكات وقف إطلاق النار ، وأنه ناقش معه نفس ما يتحدث فيه مع « كيسنجر » الآن . وبالتالى ، فهو واثق أن الاتحاد السوفيتى يؤيده فيما ينوى عمله .

واعترض « كيسنجر » على « فالدهايم » طالبا منه أن يؤخر الدعوة إلى اجتماع لمجلس الأمن حتى يتيح له وقتا يتشاور فيه مع الرئيس « نيكسون » ، كما أنه أيضا يريد أن ينسق خطاه مع السوفيت « لأن قرار وقف إطلاق النار من البداية جاء نتيجة جهد أمريكى سوفيتى مشترك » .

وقام « كيسنجر » بعد ذلك بالاتصال بالقائم بالأعمال السوفيتى « فورونتسوف » . واللافت للنظر أنه لم يطلب إليه شيئا يتعلق بما كان يتحدث فيه مع « فالدهايم » ، وإنما كان طلبه أمرين :

١ - رجاء إلى « فورونتسوف » بأن يبعث برسالة شكر منه إلى « بريجنيف » على ما لقيه من حسن الضيافة فى موسكو .

٢ - وطلب بأن تقوم موسكو باتصال مع المصريين والسوريين لإقناعهم بإطلاق سراح الأسرى الإسرائيليين بسرعة وفورا إذا كان ذلك ممكنا .

كان « كيسنجر » يكسب وقتا لإسرائيل !

□

وكان الرئيس « السادات » يزداد عصبية لحظة بعد أخرى . وقد رأى أن يبعث إلى

« كيسنجر » برسالة أخرى أكثر شدة . وهكذا كتب السيد « حافظ اسماعيل » - عن طريق القناة السرية - رسالة جديدة إلى « هنرى كيسنجر » كان نصها على النحو التالى :(*)

« عاجل جدا
من السيد حافظ اسماعيل
إلى الدكتور كيسنجر

لقد ألفتنا انتباهكم بشدة إلى أخطار وقف القتال ، ومن أجل ذلك طالبنا بضمانات بتنفيذ كلا الجانبين لالتزاماتهما بمجرد أن يقبلا وقف القتال . ومن المفهوم لدينا طبقا للتقارير التى وردت من الاتحاد السوفيتى أن الحكومة الأمريكية قد قبلت ضمان وقف القتال الذى سوف يوجد الظروف اللازمة لبدء محادثات السلام .

وإسرائيل تستغل هذا الموقف ، وتطور مواقعها على الجانب الغربى لقناة السويس ، لخلق موقف عسكرى جديد .

وعلى ذلك فإن مطلب الحكومة المصرية هو أن الحكومة الأمريكية يجب أن تقوم رسميا وعاجلا بالتدخل لوضع نهاية لهذا التطور طبقا لتعهدات الحكومة الأمريكية الحازمة ، وإعادة الموقف إلى ما كان عليه وقت وقف القتال » .

□

كان « بريجنيف » فى موسكو غاضبا ، وقام القائم بالأعمال السوفيتى فى واشنطن « فورونتسوف » بإبلاغ غضبه إلى « كيسنجر » نفسه ، ناقلا إليه رسالة من الزعيم السوفيتى ، جاء فيها ما يلى :

« إن القوات الإسرائيلية لا تزال تتحرك على الضفة الغربية لقناة السويس وتقوم بعمليات واسعة النطاق . وهذه المعلومات ليست من المصريين ، وإنما هى من وسائلنا الخاصة بالاستطلاع ، وأن هذا الأمر غير مقبول ، وهو يشكل من جانب الإسرائيليين عملية خداع صارخة يصعب السكوت عليها ، ولا بد أن يدينها مجلس الأمن وأن يطالب بوقفها ، وأن يحدث هذا فى ظرف مدة لا تتجاوز الساعتين » .

وأحس « كيسنجر » بأن « بريجنيف » غاضب فعلا ، وأن موقف الاتحاد السوفيتى قد يتغير . واتصل بالسفير الإسرائيلى « سيمحا دينتز » ورجاه أن ينقل لـ « جولدا مائير » مخاوفه من احتمالات تعقد الموقف .

وحين وصلت رسالة « كيسنجر » عن طريق « دينتز » إلى « جولدا مائير » قررت أن تتصل مباشرة وبنفسها بـ « كيسنجر » . وقالت له « إن المصريين هم الذين كسروا وقف إطلاق النار » . وأبدى « كيسنجر » عدم تصديقه لذلك . وقد تجاوز هذه النقطة إلى ما بعدها عارضا فكرة مشروع يقدم إلى مجلس الأمن يقترح أن تتراجع القوات الإسرائيلية « بضع مئات من الياردات » ، ثم قائلا

(*) فى ملحق صور الوثائق توجد صورة لأصل هذه البرقية ، وهى منشورة تحت رقم (٨٥) . على صفحة ٨٢٣ من الكتاب .

لها « إن ذلك قد يكفى لتهدئة غضب السوفيت » . ولم تقبل « جولدا مائير » الاقتراح . ويسجل « كيسنجر » فى مذكراته(٢) أنه « **عند هذه اللحظة أدرك بوضوح أن إسرائيل مصممة على المضى فى عملياتها بهدف قطع طرق الإمداد إلى مدينة السويس ، وتطويق الجيش الثالث** » . وسجل « كيسنجر » أيضا فى مذكراته أنه أحس بأن هناك أزمة تقترب ، وأنه لابد أن يكسب وقتا لإفراغها من عناصر الانفجار . وهكذا عاد فاتصل بـ « فورونتسوف » يبلغه بأن « الولايات المتحدة لا تمانع فى دعوة مجلس الأمن إلى الاجتماع ، ولكنها لا تستطيع قبول الصياغة السوفيتية للقرار التى تقترح الانسحاب إلى خطوط ٢٢ أكتوبر لأن تحديد هذه الخطوط أمر صعب . »

ويظهر أن « جولدا مائير » أرادت أن تؤكد أفكارها واضحة لـ « هنرى كيسنجر » فطلبت من سفيرها « دينتز » أن ينقل رسالة منها إلى وزير الخارجية الأمريكى تحتوى على ثلاث نقاط :

١ - إن إسرائيل لا تستطيع أن تقبل أى انسحاب من المواقع الحالية التى وصلت إليها قواتها .

٢ - أنه لا الحكومة الإسرائيلية ولا أى طرف آخر يستطيع أن يحدد على وجه القطع أين كانت الخطوط بين القوات المصرية والقوات الإسرائيلية عند منتصف ليلة ٢٢ أكتوبر . وبالتالى ،فالحكومة الإسرائيلية لا تعرف إلى أين تأمر قواتها بالانسحاب !

٣ - أن إسرائيل حريصة على مصداقية الأمم المتحدة ، وبالتالى فهى لا تستطيع قبول قرار يستحيل تنفيذه عمليا !

وأصدر « هنرى كيسنجر » تعليمات إلى المندوب الأمريكى الدائم فى مجلس الأمن « جون سكالى » أن يبذل كل جهده لتعطيل انعقاد مجلس الأمن ، حتى يستقر رأى الحكومة الأمريكية على طريقة للتصرف فى الموقف .

وكان الرئيس « السادات » - تحت ضغوط القيادة العسكرية والقوات والرأى العام - قد ازداد شعورا بخطورة الموقف . وقرر أن تكون رسالته الجديدة - عن طريق القناة السرية - باسمه صراحة وموجهة إلى الرئيس « نيكسون » شخصيا . وكان نصها كما يلى :(*)

« من السيد حافظ اسماعيل

إلى الدكتور كيسنجر

مطلوب إبلاغ الرسالة التالية عاجلا من الرئيس السادات إلى الرئيس نيكسون :

إنه على ضوء تطورات الموقف على الجبهة المصرية - الإسرائيلية ، والرسائل المتبادلة مع البيت الأبيض ، فإنى أطلب منكم رسميا التدخل بفعالية ، حتى إذا استدعى ذلك استخدام القوات ، من أجل ضمان التنفيذ الكامل لقرار إيقاف القتال ، طبقا للاتفاق الأمريكى - السوفيتى المشترك . فلقد طلب منا الإذعان لقرار وقف القتال مع تفهم كامل لفعالية الضمان المشترك ، وأملى أن يكون

---

(٢) مذكرات « هنرى كيسنجر » - الجزء الثانى - بعنوان « سنوات القلاقل » - صفحة ٥٧١ .

(*) فى ملحق صور الوثائق توجد صورة لأصل هذه الرسالة ، وهى منشورة تحت رقم (٨٦) - على صفحة ٨٢٤ من الكتاب .

هذا التدخل عاجلا ومباشرا لأن إسرائيل تستغل إيقاف القتال ، لكى تغير الموقف تغييرا كليا على الجبهة العسكرية .

إن الحكومة المصرية سوف تعتبر الحكومة الأمريكية مسئولة مسئولية كاملة عما يحدث حاليا بالرغم من ضماناتكم ، ومن قرار مجلس الأمن الذى تبنته الولايات المتحدة بالاشتراك مع الاتحاد السوفيتى ، وكذلك بالرغم من قبولنا للقرار على الأساس المتقدم .

وأملى كذلك أنكم سوف تتخذون الإجراءات اللازمة مع رئيس مجلس الأمن من أجل التنفيذ الفورى لإيقاف القتال ، طبقا لقرار مجلس الأمن الصادر يوم ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣ .

إن ما يحدث الآن على الجبهة العسكرية لا يمكن أن يساهم فى الجهود التى تبذل من أجل السلام الذى نؤيده .

يضاف إلى ما تقدم ، أن ما يجرى الآن ، على ضوء ضماناتكم ، لا يغرى بالثقة فى أى ضمانات أخرى مستقبلة .

مع أحر التحيات . . »



كان غضب الرئيس « السادات » واضحا . وأراد « كيسنجر » فيما يبدو احتواءه مبكرا برد مناسب ، وأراد أيضا أن يكون هذا الرد حازما . فقد لاحظ « كيسنجر » أن رسالة الرئيس « السادات » احتوت نقطتين لم يجد أنه يستطيع السكوت عليهما - من وجهة نظره :

● حديث الرئيس « السادات » عن ضمانات أمريكية قدمت لمصر (وقد علق على ذلك بقوله إن « السادات » يخطرنا بأنه قبل منا ضمانات لم نقدمها إليه !)

● وطلبه أيضا لاستخدام قوات أمريكية (وسوفيتية) فى وقف انتهاكات إسرائيل عن طريق التواجد فى خطوط القتال والقيام بأعمال المراقبة .

ومن المؤكد أن الرسالة ، وإن كانت موجهة من الرئيس « نيكسون » إلى الرئيس « السادات » - فإنها بالكامل من صياغة « هنرى كيسنجر » . وكان نصها على النحو التالى :(*)

« من الدكتور كيسنجر
إلى السيد حافظ اسماعيل

مطلوب إبلاغ الرسالة التالية عاجلا من الرئيس نيكسون إلى الرئيس السادات :

(*) فى ملحق صور الوثائق توجد صورة لأصل هذه الرسالة ، وهى منشورة تحت رقم (٨٧) . على صفحة ٨٢٥ من الكتاب .

إنى شاكر لرسالتكم الأخيرة وللصراحة التى تحدثتم بها ، ودعونى أكون بالمثل صريحا ، لا يكون هناك سوء تفاهم بيننا .. إن كل ما ضمناه - بصرف النظر عما قد تكون مصادر أخرى أبلغتكم به - هو الانهماك كلية وبصفة بناءة ، فى السعى قدما بعملية سياسية تستهدف جعل تس سياسية أمرا ممكنا .

ومع ذلك ، فإنه كدليل على رغبتنا الجادة فى السير قدما فى سبيل تسوية دائمة فى الش الأوسط ، ولزيادة تحسن العلاقات بين بلدينا ، قد أصدرت تعليمات للوزير كيسنجر بتقديم احتجا عاجلة لحكومة إسرائيل ، يطلب منها إذعانا كاملا لقرار مجلس الأمن رقم ٣٣٨ . وطبيعى أنه الجوهرى على حد سواء أن تلتزم القوات المصرية بدقة ، بإيقاف القتال .

ومن شأن أفراد قوة المراقبة الدولية ، التى صدر من مجلس الأمن بعد ظهر يومنا هذا بتفويضها ، أن تكون مفيدة فى التأكد من إذعان جميع الجوانب .

مع أحر التحيات » .

□

فى نفس الوقت كان « بريجنيف » يكتب إلى « نيكسون » أيضا . وكانت رسالته نافدة الص وحادة . وقد بدا ذلك من أول سطر فيها . فقد وجهها إلى « نيكسون » بصيغة مختلفة عن الص التى كان يكتب بها عادة . كان فى العادة يوجه رسائله إلى « صديقى الرئيس » ، والآن كان يت إليه موجها الحديث قائلا « الرئيس المحترم المستر نيكسون » . وتحدث « بريجنيف » فى رس عن « **الخيانة الإسرائيلية فى انتهاك وقف إطلاق النار ، وتحدى الإرادة الدولية وهيبة القو الكبيرتين** » . ووصل فى رسالته إلى حد المطالبة بـ « **ضرورة اتخاذ أشد الإجراءات حزما وبد تأخير مع إسرائيل ، لفرض احترام وقف إطلاق النار** » .

وكتب « كيسنجر » مشروع رد باسم « نيكسون » يرسل لـ « بريجنيف » ، ووافق الرئيس الأمريكى . وجاء فيه : « **إننى أريد أن أؤكد لك أننا نتحمل كامل المسئولية فى تح وقف كامل لإطلاق النار . لكننا نريد إبلاغكم بأن معلوماتنا هى أن مسئولية انتهاك وقف إط النار تقع على الجانب المصرى . ومع ذلك فإن هذا الوقت ليس أنسب الأوقات لمناقشة هذا النوع . لقد طلبنا إلى إسرائيل أن تتخذ من جانبها كل الخطوات الفعالة لوقف العمليا ونحن ندعوكم إلى أن تقوموا بنفس الشىء مع الجانب المصرى .**»[٣]

واتصل « هنرى كيسنجر » بالقائم بالأعمال السوفيتى « فورونتسوف » ينقل إليه نص ر « نيكسون » (« كيسنجر ») إلى « بريجنيف » . وقد انتهز الفرصة وتحدث فى بعض « أف الخاصة » مع « فورونتسوف » ، وكان بين ما قاله :

● إن الوقت ربما أصبح ملائما الآن لاجتماع مجلس الأمن بقصد تأكيد وقف إطلاق الن

(٢) مذكرات « هنرى كيسنجر » - الجزء الثانى - بعنوان « سنوات القلاقل » - صفحة ٥٧٢

● إنه ربما كان مناسبا أن تتضمن صياغة القرار دعوة إلى مفاوضات بين مصر وإسرائيل بقصد تحديد خطوط ٢٢ أكتوبر على أساس أن الطرفين المتقاتلين يمكنهما عمل ذلك أكثر من غيرهما .

● إن الموقف يمكن أن يصبح أسهل بكثير لو أن مصر بادرت بإطلاق سراح الأسرى الإسرائيليين فورا .

ورأى « كيسنجر » بعد ذلك أن يعاود الإلحاح على السفير الإسرائيلى « سيمحا دينتز » . فاتصل به يبدى مخاوفه من احتمال أن يتقدم الاتحاد السوفيتى بمشروع قرار إلى مجلس الأمن يوجه اللوم إلى إسرائيل ، ويحملها مسئولية انتهاك وقف إطلاق النار . ورد عليه « دينتز » قائلا : « إن الحكومة الإسرائيلية تتوقع فى هذه الحالة أن تقوم الولايات المتحدة باستعمال حق الفيتو لإسقاط أى مشروع قرار يوجه اللوم إليها ، أو يفرض عليها اتخاذ خطوة لا تريدها . »

وخشيت « جولدا مائير » عندما اطلعت على تقرير « دينتز » - أن يكون « كيسنجر » بدأ يتردد . وقررت أن تبعث إليه برسالة مباشرة منها ، قالت فيها « إن رئيسة الوزراء تعترض ليس فقط على احتمال أن يقدم السوفيت مشروع قرار لمجلس الأمن - ولكن أيضا على ما يبدو من أن هناك مشاورات أمريكية - سوفيتية تجرى من وراء ظهرها . وأنه من المستحيل على إسرائيل مرة بعد مرة أن تقبل بإنذارات مصرية سوفيتية ، ويزعجها أشد الإزعاج أن ترى الولايات المتحدة مستعدة لقبول هذا الابتزاز ! »

وانتهز « كيسنجر » فرصة قيام « دينتز » بإبلاغه رسالة « جولدا مائير » وأبدى له بعض مخاوفه :

● إنكم تريدون ضرب الجيش الثالث بتدميره أو بتجويعه . وهذا سوف يؤدى إلى مواجهة مع الاتحاد السوفيتى .

● إنكم تضغطون على « السادات » بحيث تضعفون موقفه فى أى مفاوضات معكم .

● أن « السادات » يقترب بسرعة من أمريكا ، وينبغى لكم أن تشجعوه على ذلك بدلا من أن تعرقلوا خطواته . فبرغم كل ما يجرى على الجبهة فقد ختم رسالته الأخيرة للرئيس « نيكسون » بقوله : « مع أحر تحياتى » . وقد اندهشت شخصيا من هذه العبارة فى هذا الوقت ! »

□

وفى نهاية ذلك اليوم الحاسم اتخذ مجلس الأمن قراره رقم ٣٣٩ بعد أن عدل نص مشروعه الأصلى من « مطالبة إسرائيل » بالعودة إلى خطوط ٢٢ أكتوبر ، فجعلها « مناشدة إسرائيل » !

الفصل الحادى والعشرون

يوم ٢٤ أكتوبر

١

رغم صدور القرار ٣٣٩ عن مجلس الأمن ، فإن القوات الإسرائيلية راحت تواصل هجماتها طوال ليلة وصباح ٢٤ أكتوبر . وكان تركيزها على الجيش الثالث . ومرة ثانية رأى الرئيس « السادات » أن يستعمل القناة السرية فى رسالة موجهة باسمه إلى الرئيس « نيكسون » . وكان نصها كما يلى :(*)

« رسالة عاجلة
من الرئيس السادات
إلى الرئيس ريتشارد نيكسون

ردا على رسالتكم المؤرخة ٢٣ أكتوبر ١٩٧٣ ، أود إحاطتكم علما بأن الإسرائيليين استأنفوا هجماتهم على مواقع الجيش الثالث على كلا الجانبين الشرقى والغربى للقناة . والذى أطلبه منكم هو ما وعدتم به : أى التزام إسرائيل بقرار وقف القتال . ويجرى حاليا إبلاغكم بهذا الإعلان ، وإبلاغ مجلس الأمن . ومع ذلك فإن الإسرائيليين يواصلون إطلاق النار على مواقع الجيش الثالث .

واسمحوا لى أن أكرر القول بأنى أطلب منكم التدخل ، حتى على الأرض ، لإرغام إسرائيل على الإذعان لوقف القتال ، الأمر الذى كثيرا ما وعدتم به .

(*) فى ملحق صور الوثائق توجد صورة لأصل هذه البرقية ، وهى منشورة تحت رقم (٨٨) - على صفحة ٨٢٦ من الكتاب .

وإذا كان هدفنا هو الوصول إلى تسوية نهائية كما تصورتم ، فإن الانتهاكات الإسرائيلية الراهنة لوقف القتال ، تخلق تطورات خطيرة ، سوف تعرقل تحقيق هدفنا .

مع أطيب التحيات .»

وقام « كيسنجر » بالاتصال بالسفير الإسرائيلي فى واشنطن « سيمحا دينتز » يخطره برسالة الرئيس « السادات » إلى الرئيس « نيكسون » . ورد عليه « دينتز » بقوله « إنه كان على اتصال بتل أبيب ، وقد علم فعلا أن العمليات مستمرة ، ولكن سببها هو أن الجيش المصرى الثالث رغبة فى تجنب الحصار يقوم بهجمات فى ثلاث اتجاهات :

- **هجوم فى اتجاه مدينة السويس .**
- **هجوم فى اتجاه ممر متلا .**
- **هجوم فى اتجاه الجيش الثانى .**

وأن كل ما تفعله القوات الإسرائيلية هو أنها تحاول أن تسد الطرق على الجيش الثالث » .

وأبدى « كيسنجر » لـ « دينتز » تشككه فيما يسمعه قائلا إنه « يتصور منطقيا أنه إذا أراد أى جيش محاصر أن يفلت من حصاره ، فلابد أن تكون حركته فى اتجاه الالتحاق بقاعدته وليس مبتعدا عنها فى اتجاه ممر متلا » . ثم أضاف « كيسنجر » إلى ذلك قوله إنه « كان مستعدا لفهم الموقف الإسرائيلي أكثر لو كان القصد من هجماتهم هو تحطيم كل رؤوس كبارى الجيش المصرى فى الشرق » . ثم يقول « كيسنجر » مستشهدا برسالة الرئيس « السادات » إلى « نيكسون » ، والتى ناشده فيها التدخل لفرض قبول إسرائيل بوقف إطلاق النار كما وعد - بأن « هذه ليست لهجة رجل يعرف أن جيشه على الهجوم » . ثم خلص « كيسنجر » إلى أن الموقف الآن « قد يؤدى إلى تدخل سوفيتى يقود إلى مواجهة بين القوتين الأعظم » . وأن التصرف الإسرائيلي على هذا النحو يحرج الولايات المتحدة ، وقد يمنعها من ممارسة الدور الذى رسمته لنفسها فى قيادة جهود التسوية بعد انتهاء المعارك ، وهو دور ترحب به كل الأطراف العربية - و« السادات » أول الجميع .

وكان « كيسنجر » ما زال يحاول أن يكسب وقتا . وهكذا فقد أعد ردا موجها إلى الرئيس « السادات » من « نيكسون » كان نصه كما يلى :(*)

« من الرئيس نيكسون
إلى الرئيس السادات

إنه فور تلقى رسالتكم ، أصدرت التعليمات للوزير كيسنجر بتقديم احتجاجات عاجلة إلى الإسرائيليين مفادها أن استمرار العمليات العسكرية الهجومية سوف تكون له أشد العواقب خطورة فيما يختص بالعلاقات الأمريكية الإسرائيلية . وقد أجابت الحكومة الإسرائيلية بما يفيد أن الجيش الثالث هو الذى يبدأ الهجمات ، وأن القوات الإسرائيلية ملتزمة جانب الدفاع ، ولديها أوامر بعدم

(*) فى ملحق صور الوثائق توجد صورة لأصل هذه البرقية ، وهى منشورة تحت رقم (٨٩) - على صفحة ٨٢٧ من الكتاب .

إطلاق النيران إلا ردا على الهجوم . ومن ثم فإن من المستحيل الجزم بالحقائق الصحيحة . وأود أن أؤكد لكم أن الولايات المتحدة على موقفها لا يستبدل من معارضة للعمل العسكرى الإسرائيلى الهجومى ، وأنها على استعداد لاتخاذ الخطوات الفعالة لإنهائه . وفى الوقت ذاته هل يمكنكم التأكد من أن قواتكم قد أوقفت كل عمل عسكرى . ولسوف يتصل الوزير كيسنجر بالسيد اسماعيل فيما بعد من يومنا هذا ، بصدد إمكان اجراء محادثات مباشرة بين الجانبين ، بشأن دبلوماسية ما بعد الحرب .

لقد تلقينا لتونا إخطارا من رئيسة وزراء إسرائيل بأنه قد صدرت تعليمات مشددة للقوات الإسرائيلية المسلحة بالبقاء فى مواقع دفاعية ، وألا تطلق النيران ، إلا إذا أطلقت عليها النيران .

وردا على اقتراحكم بصدد مراقبين بريين أمريكان ، فقد وافقت الحكومة الإسرائيلية أيضا على السماح للملحقين العسكريين الأمريكان بالتوجه فورا إلى منطقة النزاع لمراقبة أن هذه الأوامر يجرى تنفيذها .

ولسوف يكون من المفيد جدا فى هذا الوقت لو أمكنكم إصدار تعليمات لقواتكم وفق هذا . »

□

وبالتوازى مع رسالة « نيكسون » إلى الرئيس « السادات » أراد « كيسنجر » أن يعزز رسالة الرئيس « نيكسون » برسالة موجهة منه شخصيا (أى « كيسنجر ») إلى السيد « حافظ اسماعيل » وكان نصها كما يلى :

« من الدكتور هنرى كيسنجر
إلى السيد حافظ اسماعيل

يود الدكتور كيسنجر إخطار السيد اسماعيل بأن الرئيس نيكسون قد قام حسبما وعد الرئيس السادات فى آخر رسالة له ، بتقديم احتجاجات عاجلة إلى الحكومة الإسرائيلية طالبا منها إيقاف أى عمل هجومى والإذعان لقرار مجلس الأمن رقم ٣٣٨ ، وقد أخطرتنا الحكومة الإسرائيلية ردا على ذلك ، بأنها سوف تمتنع عن أى عمل هجومى آخر .

غير أنه يجدر بالسيد اسماعيل أن يكون مدركا لحقيقة أن حكومة إسرائيل قد أخطرت الرئيس نيكسون بأنها سوف لا تستطيع المحافظة على هذا الموقف ، إذا كانت القوات المصرية سوف تقوم بأعمال هجومية خاصة بها ، وعلى ذلك فإن الدكتور كيسنجر يود رؤية ما إذا كان الرئيس السادات يرغب أن يصدر أمرا جديدا بإيقاف القتال . وإذا قرر إصدار مثل هذا الأمر ، فإن السيد اسماعيل يقوم إذا رغب بإخطار الدكتور كيسنجر بهذه الحقيقة لاسترشاد الجانب الأمريكى ، إذا حدث أن اتصلت حكومات أخرى بنا .

إن الدكتور كيسنجر مغتبط باستطاعته الإبلاغ عن قرار الحكومة الإسرائيلية ، لأنه من صالح الجميع إنهاء القتال فى الشرق الأوسط ، والعمل من أجل مفاوضات تستهدف إيجاد سلام دائم فى المنطقة . »

□

ولكن الهجمات الإسرائيلية كانت لا تزال مستمرة ، وتركيزها بالدرجة الأولى على الجيش

الثالث . وعادت القناة السرية إلى العمل تحمل رسالة من السيد « حافظ اسماعيل » إلى الدكتور « هنرى كيسنجر » . وكان نصها كما يلى :

« من السيد حافظ اسماعيل
إلى الدكتور هنرى كيسنجر

لقد طلبتم منا برسالتكم المؤرخة ٢٤ أكتوبر أن نصدر أوامر باحترام وقف القتال من جانب قواتنا . وقد صدرت هذه الأوامر لإيقاف القتال فى الساعة ٠٧٠٠ بتوقيت القاهرة يوم ٢٤ أكتوبر ١٩٧٣ ، ومع ذلك فإن الإسرائيليين قد استأنفوا هجماتهم ضد الجيش الثالث ، لكسب مواقع جديدة على خطوط مواصلاته . وهذا قد حفز الرئيس السادات على أن يبعث برسالة أخرى إلى الرئيس نيكسون . ومن المأمول أن الدكتور كيسنجر سوف يراعى أن إجراءات عملية وفعالة تتخذ لإرغام إسرائيل على الإذعان لقرار وقف القتال . »

وكان الرئيس « السادات » هذه المرة هو الذى عزز رسالة « حافظ اسماعيل » إلى « كيسنجر » برسالة منه إلى الرئيس « نيكسون » ، كان نصها كما يلى :(*)

« من الرئيس السادات
إلى الرئيس نيكسون

لقد تلقيت رسالتيكم المؤرختين ٢٤ أكتوبر ١٩٧٣ ، وأود أن أعيد تأكيد حقيقة أن القوات الإسرائيلية على الجانب الغربى للقناة مسئولة عن انتهاك وقف القتال ، وتقوم بعمليات هجومية ، محاولة عزل الجيش المصرى الثالث شرق القناة .

وأود إخطاركم بأننا نوافق على إرسال فورى لمراقبين أمريكان أو قوات أمريكية لتنفيذ قرارات مجلس الأمن الصادرة يومى ٢٢ و٢٣ أكتوبر ١٩٧٣ .

ولقد أخطرت الاتحاد السوفيتى بأمر الرسائل المتبادلة بيننا ، وأنا أطلب رسميا أيضا من الاتحاد السوفيتى اتخاذ إجراء مماثل . »

وأحس « كيسنجر » أن صبر الجانب المصرى يمتحن بأكثر مما يحتمل ، وأن ذلك قد يكون دفعا له فى اتجاه الاتحاد السوفيتى . ولقد أراد أن يقوم بعملية تثبيت ونقل للأنظار وللاهتمام . وهكذا اختار أن يلوح – مرة أخرى ! – بقطعة سكر تصور أنها قد تكون قادرة على الإلهاء . فكتب إلى السيد « حافظ اسماعيل » عن طريق القناة السرية الرسالة التالى نصها :(**)

« من الدكتور كيسنجر
إلى السيد حافظ اسماعيل

أن الدكتور كيسنجر – كما علم الجانب المصرى دون ريب – سوف يقوم بزيارة جمهورية الصين الشعبية خلال فترة ١٠ – ١٣ نوفمبر . ويتراءى للدكتور كيسنجر أن هذه الفترة من الزمن قد تكون فرصة طيبة جدا لقبول دعوة الجانب المصرى الكريمة إلى زيارة القاهرة . وأن زيارة فى هذا الوقت

(*) فى ملحق صور الوثائق توجد صورة لأصل هذه الرسالة ، وهى منشورة تحت رقم (٩٠) – على صفحة ٨٢٨ من الكتاب .

(* *) فى ملحق صور الوثائق توجد صورة لأصل هذه الرسالة ، وهى منشورة تحت رقم (٩١) – على صفحة ٨٢٩ من الكتاب .

تبدو أنها تتيح فرصة ممتازة لاستعراض الموقف ، ووضع خطة الأعمال المناسبة فى اتجاه تسوية دائمة .

وخير فرصة للدكتور كيسنجر إلى حد بعيد ، لزيارة القاهرة ، يمكن أن تكون يوم ٧ نوفمبر فى الطريق إلى بكين ، وإن كان قد يكون من الممكن فيما يتصور أن يقوم بالزيارة لدى العودة من بكين ، حوالى يوم ١٥ نوفمبر ، وسوف نكون شاكرين لرد الجانب المصرى بأسرع ما يمكن .

وفى اعتقاد الجانب الأمريكى أنه من الجوهرى فيما قبل زيارة الدكتور كيسنجر ، أن يجرى السير بالعلاقات الأمريكية - المصرية ، على نحو يحافظ على مناخ يؤدى إلى مباحثات بناءة .

وبمجرد ورود رد مصر ايجابى ، يمكن للجانبين عندئذ الاتفاق على وقت لإعلان النبأ ، وعلى التفاصيل الفنية الأخرى » .

أى أن « كيسنجر » يلوح الآن بزيارته لمصر ، وهو يعلم أن الرئيس « السادات » متشوق لها ، ثم إنه عن طريق التلويح بالزيارة يحكم سيطرته على ردود الفعل المصرية ... وصبرها الذى يبدو وكأنه ينفد !

٢

وفجأة ، ارتفعت حرارة الموقف بطريقة فرضت على العالم كله أن يركز أنظاره على الأزمة مأخوذا ومضطرب الأنفاس . فقد صدر فى موسكو بيان يحمل توقيع « بريجنيف » شخصيا ، كان فى واقع أمره إنذارا . فقد جاء فيه « **أن استمرار العدوان الإسرائيلى سوف يسفر عن عواقب وخيمة إذا لم يتوقف هذا العدوان على الفور . ونظرا إلى أن إسرائيل لم تلتزم بقرارات مجلس الأمن ، ونظرا لما يبدو من أن الولايات المتحدة تنقصها الرغبة فى التعاون بغرض تطبيقه ، فإن الاتحاد السوفيتى سوف يقرر لنفسه منفردا اتخاذ الخطوات الضرورية والعاجلة لتأكيد احترام وقف إطلاق النار . فلا يمكن لإسرائيل أن تفلت من مسئولية انتهاكاتها له** » .

واتصل « كيسنجر » بالسفير الإسرائيلى فى واشنطن « سيمحا دينتز » يلفت نظره إلى أن الإنذار السوفيتى يمثل تطورا خطيرا ، خصوصا وأنه وصلت إليهم معلومات بأن ثلاثة فرق سوفيتية محمولة جوا قد وضعت تحت حالة الطوارىء . كذلك فإن تحركات الأسطول السوفيتى فى البحر الأبيض لابد لها أن تثير القلق . وأخيرا فإن صدور البيان السوفيتى باسم « بريجنيف » يحمل دلائل شؤم . فذلك معناه أن القيادة السوفيتية وضعت هيبتها فى الميزان . وأضاف « كيسنجر » قائلا لـ « دينتز » : « إن الولايات المتحدة فعلت كل شىء من أجل إسرائيل حتى الآن ، ولكن لابد لإسرائيل أن تدرك أن هناك حدودا فى العلاقات الدولية يجب مراعاتها ، وأن أحد هذه الحدود هو عدم التسبب فى إحراج أو المساس بهيبة زعيم إحدى القوتين الأعظم . » ثم قال « كيسنجر » إنه « يتصور أن السادات بعث لبريجنيف كما بعث لنيكسون ، وأن إنذار بريجنيف هو فى واقع الأمر

استجابة لطلب السادات . وأنه إذا وصلت قوات سوفيتية إلى مصر لضمان وقف إطلاق النار ، فإن إسرائيل تكون هى التى أوقعت نفسها فى المأزق بـ « شطارتها الزائدة » (outsmarted itself) » .

ورد « دينتز » على « كيسنجر » بأن « إسرائيل مستعدة لإيقاف القتال إذا التزم الجيش المصرى الثالث بنفس الشيء » . ثم قال إنه « مخول بأن يعرض على كيسنجر استعداد إسرائيل بأن تسمح للملحق العسكرى بالسفارة الأمريكية فى تل أبيب بزيارة الجبهة ليتحقق بنفسه من التزام إسرائيل بوقف إطلاق النار » .

□

ووجد « كيسنجر » أنه مطالب بحركة سريعة للالتفاف بالمناورة حول الإنذار السوفيتى حتى لا تتحرج الأمور ويجد الجميع أنفسهم عند حافة الهاوية !

وسارع بالاتصال بـ « دوبرينين » (الذى كان مع « كيسنجر » أثناء وجوده فى موسكو وتخلف بعده هناك لمدة يومين) . وبادره قائلا « يظهر أن الجنون التقليدى فى الشرق الأوسط يمارس دوره مرة أخرى . فكل طرف من الطرفين – المصريين والإسرائيليين – يزعم أن الطرف الآخر يكسر وقف إطلاق النار . لكن الولايات المتحدة اليوم واثقة من أن الجيش المصرى هو الذى كسر وقف إطلاق النار آخر مرة . ونحن نحاول أن نتأكد ، ونرجوكم أيضا أن تتأكدوا . » ووعد « دوبرينين » بأن يتصل بموسكو للحصول على تأكيد .

ولم يمض على هذا الاتصال أكثر من دقائق حتى عاد « كيسنجر » إلى الاتصال بـ « دوبرينين » (وهدفه هو إرباكه على حد تعبيره) – وكان فى هذا الاتصال يفضى إليه بأن « إسرائيل عرضت على الولايات المتحدة أن يتوجه الملحق العسكرى فى تل أبيب إلى الجبهة للتأكد من أن الجيش الإسرائيلى يلتزم بوقف إطلاق النار . »

ووصل « كيسنجر » فى هذا الحديث مع « دوبرينين » إلى ما هو أكثر من ذلك . فقد أفضى إلى « دوبرينين » بأن « السادات » على اتصال بالرئيس « نيكسون » عن طريق قناة سرية . ومع أن رسالته توضح أنه غاضب ، فإن غضبه لم يصل إلى الدرجة التى وصل إليها غضب « بريجنيف » !!

(وكانت الوقيعة بالطبع بين مقاصده) .

□

ويبدو أن « بريجنيف » لم يكن على استعداد للدخول إلى فخاخ « كيسنجر » . فقد بعث برسالة إلى واشنطن موجهة إلى الرئيس « نيكسون » . وكانت أكثر شدة من كل ما سبقها : لم تكن مقدمة توجيهها « إلى صديقنا الرئيس نيكسون » – ولا « إلى الرئيس نيكسون المحترم » – وإنما كان توجيهها بعبارة « **السيد الرئيس – إننا نسائل أنفسنا عن الهدف من وراء كل ما يجرى أمامنا**

من تصرفات . وأنا أريد أن أقول لكم بصراحة إننا واثقون من أن الولايات المتحدة لديها كل الامكانيات للضغط على إسرائيل حتى تضع نهاية لهذا المسلك الاستفزازى الذى تنتهجه . ولقد كنا نأمل أن يلتزم كلانا بمصداقية كلمته وبالاتفاق الذى توصلنا إليه . وأنا أريد أن أتلقى منك على الفور معلومات بشأن الخطوات التى سوف تتخذونها لإرغام إسرائيل على الالتزام الفورى والكامل بقرارات مجلس الأمن يومى ٢٢ و٢٣ أكتوبر . »

وعندما اطلع « كيسنجر » على هذه الرسالة ، اتصل بالرئيس « نيكسون » يقترح عليه أن يكتب رسالة بنفسه إلى « جولدا مائير » يطلب منها وقف العمليات العسكرية فورا .

٣

كان الرئيس « السادات » قد عرف بالعرض الإسرائيلى على الولايات المتحدة باستعدادها للسماح للملحق العسكرى الأمريكى فى تل أبيب بالتوجه إلى جبهات القتال للتأكد من الالتزام بوقف إطلاق النار . وقد عرف الرئيس « السادات » بذلك من قراءة رسالة على القناة السرية وصلت إلى السيد « حافظ اسماعيل » من « هنرى كيسنجر » ، وكان نصها :(*)

« من الدكتور هنرى كيسنجر
إلى السيد حافظ اسماعيل

يود الدكتور كيسنجر إخطار السيد اسماعيل بالخطوات العاجلة التى اتخذها الجانب الأمريكى لإيقاف تجدد القتال فى الشرق الأوسط :

١ - لقد تم إخطار الحكومة الإسرائيلية بأن أى عمليات هجومية أخرى سوف تؤدى إلى تدهور حاد فى العلاقات بين الحكومتين الإسرائيلية والأمريكية .

٢ - طلبت الولايات المتحدة قيام رجال ملحقها العسكرى من السفارة الأمريكية فى تل أبيب ، بالمراقبة الشخصية للنشاط العسكرى الإسرائيلى فى منطقة تجدد القتال للتأكد من عدم قيام القوات الإسرائيلية بإجراء هجومى .

٣ - أن الرئيس قد تدخل شخصيا لدى رئيسة وزراء إسرائيل لإيقاف القتال .

وقد تلقت الولايات المتحدة منذ ذلك الحين التأكيدات الرسمية التالية :

- **دعى الملحق العسكرى الأمريكى لزيارة الجبهة .**
- **أنه لم يحدث فى أى مكان ، منذ بدء إيقاف القتال سعت ٧٠٠ اليوم ، أن حاول الإسرائيليون التقدم ، وسوف لا يحاولون القيام بذلك .**
- **فى الساعة ٧٠٠ صباحا بالتوقيت المحلى طلب الإسرائيليون من مراقبى الأمم المتحدة الدخول**

(*) فى ملحق صور الوثائق توجد صورة لأصل هذه البرقية ، وهى منشورة تحت رقم (٩٢) - على صفحة ٨٣٠ من الكتاب .

إلى مسرح الأحداث على جميع الطرق المؤدية من القناة نحو الغرب ، لكى يتأكدوا من أنه ليست هناك تحركات للقوات .

- ليس لدى الإسرائيليين نية لتحريك قواتهم على الشاطىء الغربى عابرة إلى الشاطىء الشرقى لمهاجمة القوات المصرية على ذلك الجانب من القناة . ويحاول الإسرائيليون « تحمل ما يوجه إليهم من نيران دون رد » . ولم يكن هناك نشاط على القطاع الشمالى للجبهة المصرية ، أو على الجبهة السورية .
- أن المراقبين (الدوليين) الموجودين فى القاهرة لم يصلوا بعد إلى الجبهة ، ربما لأن المصريين يحتجزونهم ، وأى نفوذ يمكن ممارسته لدى القاهرة للسماح لهم بالمجىء إلى الجبهة سوف يكون موضع تقدير .

وفى الوقت ذاته ، فإن الدكتور كيسنجر يود أن يشير للسيد اسماعيل إلى المعلومات الآتية التى تلقاها :

- أن فى حوزة الإسرائيليين رسالة من وزير الحربية المصرى صادرة خلال ذروة القتال ، وهى :
  ١ - تدعو القوات إلى مواصلة القتال .
  ٢ - تعد بالدعم الجوى .
  ٣ - تقول إنه يجرى إرسال ٢٥٠ دبابة من القاهرة ، لاختراق القوات الإسرائيلية على الضفة الغربية .
- يعرف الإسرائيليون أن هناك تحركات فى الفرقة المدرعة المعسكرة قرب القاهرة ، ولكنهم لا يعرفون ما إذا كانت الفرقة تتحرك نحو الضفة الغربية ، كما أنهم لا يعرفون عدد ما لدى الفرقة من دبابات . وعلى ضوء هذه التأكيدات والتصرفات من جانب الحكومة الأمريكية ، مطلوب أيضا من الجانب المصرى أن يراعى اتفاق وقف القتال بدقة . »

ورأى الرئيس « السادات » أن يطور هذا الاقتراح ، وبعث يطلب إرسال مراقبين أمريكيين إلى الجبهة المصرية لتحقيق نفس الهدف . واستنتج « كيسنجر » أن الرئيس « السادات » قد تقدم بطلب مماثل للاتحاد السوفيتى . وكان استنتاجه صحيحا . ولم تلبث وكالات الأنباء أن حملت برقيات من القاهرة تقول بأن مصر دعت إلى اجتماع عاجل لمجلس الأمن لكى تطلب إرسال قوات أمريكية وسوفيتية إلى الشرق الأوسط لتأمين وقف إطلاق النار . وأحدث هذا النبأ صدمة لدى « هنرى كيسنجر » رغم أن الموضوع لم يكن بعيدا عن خواطره . وقد سجل مشاعره فى مذكراته[1] قائلا :

« إننا لم نكن مستعدين لإرسال قوات أمريكية إلى مصر . وأهم من ذلك فإننا لم نكن مستعدين لقبول دخول قوات سوفيتية جديدة إلى المنطقة . إننا لم نعمل طوال هذه السنين لتقليل التواجد السوفيتى العسكرى فى مصر لكى نجد أنفسنا فى النهاية متعاونين فى تحقيق ذلك ، وبمقتضى قرار من الأمم المتحدة . وإن قبولنا بأى وجود سوفيتى من خلال قوة مشتركة معناه أننا نعطى شرعية لهذا التواجد فى هذه المنطقة . كما أننا بذلك نقوى النظم الراديكالية فيها ، ونحرج الدول المعادية للسوفيت مثل المملكة العربية السعودية ، والإمارات ، والأردن ، والكويت ، لأن هؤلاء جميعا سوف يصيبهم الذعر لمشهد تعاون أمريكى - سوفيتى على هذا النحو . »

(١) صفحة ٥٧٩ من مذكرات « كيسنجر » - الجزء الثانى - بعنوان « سنوات القلاقل » .

وفى الساعة الثانية صباحا بتوقيت موسكو والقاهرة (فجر ٢٥ أكتوبر) تلقى المندوب السوفيتى الدائم فى مجلس الأمن « جاكوب ماليك » تعليمات بأن « يؤيد أى مشروع قرار تقدمه مصر أو أى طرف آخر يدعو لإرسال قوات أمريكية وسوفيتية إلى الشرق الأوسط » .

واتصل « كيسنجر » بـ « دوبرينين » يقول إن الولايات المتحدة سوف تستعمل حق الفيتو ضد أى قرار من هذا النوع .

□

ولم يشأ « كيسنجر » أن يترك شيئا للمصادفات ، ورأى أن يكون الرئيس « السادات » على علم كامل بموقف الولايات المتحدة . وهكذا عادت القناة السرية إلى العمل تحمل رسالة من الدكتور « كيسنجر » إلى السيد « حافظ اسماعيل » تحوى نص تبليغ من الرئيس « نيكسون » إلى الرئيس « السادات » . وكان التبليغ على النحو التالى(*) :

« من الدكتور كيسنجر
إلى السيد اسماعيل

يود الوزير كيسنجر إحالة الرسالة التالية العاجلة ، من الرئيس نيكسون إلى الرئيس السادات :

" لقد علمت لتوى أن مشروع قرار قد يعرض على مجلس الأمن الليلة ، يحث على أن قوات عسكرية خارجية ، وضمن ذلك قوات أمريكية وسوفيتية ، ترسل إلى الشرق الأوسط ، لتنفيذ أمر وقف القتال . ولابد لى من أن أحيطكم علما بأنه إذا حدث أن مشروع قرار مثل هذا قدم إلى مجلس الأمن ، فإنه سوف يواجه بالاعتراض (Veto) الأمريكى للأسباب التالية :

× أنه سوف يكون من المستحيل تجميع قوة عسكرية خارجية تمثل ثقلا مواجها فعالا للقوات المحلية المشتبكة الآن فى القتال بالشرق الأوسط .
× أنه إذا دعيت الدولتان العظميان النوويتان إلى تقديم قوات ، فإن من شأن ذلك إدخال احتمال خطر إلى أقصى حد ، لمنافسة مباشرة بين الدول الكبرى فى المنطقة .
× فى رأينا أن التنفيذ الفعال لإيقاف القتال الذى نادى به فعلا مجلس الأمن ، يكون بالتواجد السريع لأفراد الرقابة التابعة للأمم المتحدة .
× ونحن نؤيد بقوة إجراء مثل هذا .

إن الولايات المتحدة - يا سيادة الرئيس - على استعداد للتحرك سريعا نحو حل سلمى للمشاكل المحزنة التى جعلت السلام فى الشرق الأوسط بمثل هذا الضعف . ولكننا على حد سواء نعتزم تفادى مواجهة لا ضرورة لها ، لن يكون من شأنها إلا زيادة صعوبة وخطورة موقف راهن معقد إلى أقصى حد . »

(*) فى ملحق صور الوثائق توجد صورة لأصل هذا التبليغ من « نيكسون » إلى « السادات » وهى منشورة تحت رقم (٩٣) - على صفحة ٨٣١ من الكتاب .

الفصل الثانى والعشرون

يوم ٢٥ أكتوبر

١

كان العالم فى مواجهة أزمة حقيقية يمكن أن تؤدى إلى مواجهة بين القوتين النوويتين الأعظم فى العالم .

ومع ذلك فإن اليوم بدأ بداية غريبة فى كل من القاهرة وواشنطن .

● ● ● **فى القاهرة** تحركت القناة السرية تحمل رسالة من السيد « حافظ اسماعيل » إلى الدكتور « كيسنجر » ، واللافت للنظر أن موضوعها تركز على زيارة « كيسنجر » القادمة للقاهرة . وكان نصها كما يلى :(*)

« من السيد حافظ اسماعيل
إلى الدكتور هنرى كيسنجر

١ - لقد تلقى السيد اسماعيل رسالة الدكتور كيسنجر المؤرخة ٢٤ أكتوبر ١٩٧٣ ، التى يقترح فيها موعدين محتملين لزيارته للقاهرة . وتوافق الحكومة المصرية على استقبال الدكتور كيسنجر فى أى من الموعدين ، وإن كانت تفضل يوم ٧ نوفمبر .

٢ - ويود السيد اسماعيل أن يؤكد للدكتور كيسنجر أن مصر تأمل فى أن جهود بلدينا المبذولة للوصول إلى تسوية عاجلة وعادلة ودائمة للنزاع سوف تفيد السير قدما برغبتهما المشتركة للمحافظة على علاقاتهما فى مناخ يؤدى إلى مباحثات بناءة .

(*) فى ملحق صور الوثائق توجد صورة لأصل هذه الرسالة ، وهى منشورة تحت رقم (٩٤) - على صفحة ٨٣٢ من الكتاب .

٣ – وقد يتفق الدكتور كيسنجر مع السيد اسماعيل على أن المناخ المثالى سوف يتحقق حين يكون هناك شعور حقيقى بأن جهدا أمريكيا كبيرا يبذل فى تسوية عادلة ، يؤتى ثماره . وكخطوة أولى جوهرية ، فإن الإذعان المحض من جانب إسرائيل لقرار مجلس الأمن بتاريخ ٢٣ أكتوبر ، أمر لابد منه . »

● ● ● **وفى واشنطن** كان الرئيس « نيكسون » يترنح أمام الضربات الموجهة إليه بسبب فضيحة « ووترجيت » . وقد شعر « كيسنجر » بذلك عندما قوطع أثناء عمله بمكالمة تليفونية من الرئيس « نيكسون » . وكان الرئيس الأمريكى فيما يبدو قد سهر طول الليل وشرب بأكثر مما كان لازما له . وهكذا بدا صوته لـ « كيسنجر » مشحونا بالمشاعر ، كما أن عباراته كانت خالية من أى تسلسل منطقى ، ثم إن الكلمات كانت تتعثر على شفتيه . وقد قال لوزير خارجيته(١) « إن أعداءه مصممون على تدميره حتى لو أدى ذلك إلى ضياع هيبة الولايات المتحدة .. إنهم يريدون قتلى وإلقاء كل ما أنجزناه من النافذة ... » . وانتهى « كيسنجر » من محادثته مع الرئيس « نيكسون » وقد استقر فى يقينه أن الرئيس الأمريكى لم يعد قادرا على قيادة أزمة المواجهة مع الاتحاد السوفيتى بسببَ حرب الشرق الأوسط . وبالتالى ، فإن عليه وحده أن يتحمل المسئولية الآن – عمليا : كما كان يفعل طوال الأزمة ، ورسميا : رئيسا للولايات المتحدة فيما يتعلق بالسياسة الخارجية . (وكان ذلك تعبيره حينما وصل بعد ذلك إلى القاهرة) .

□

وراح « كيسنجر » يتحرك بنشاط محموم .

● أصدر تعليمات إلى المندوب الأمريكى الدائم فى مجلس الأمن بأن يستعمل حق الفيتو ضد أى مشروع قرار يقدم إلى المجلس ويتضمن إرسال قوات إلى الشرق الأوسط تشترك فيها الدول ذات العضوية الدائمة فى مجلس الأمن . وأن يستعمل حق الفيتو أيضا إذا عرض على المجلس أى مشروع قرار يتضمن لوما لإسرائيل ، لأن ذلك قد يتخذ مبررا لتدخل مجلس الأمن . وأقصى ما يمكن أن يقبله « سكالى » هو أنه يستطيع الموافقة على إرسال قوة مراقبين من الأمم المتحدة إلى منطقة القتال .

● ولفت « كيسنجر » نظر « سكالى » إلى ضرورة التنسيق مع الصين ، مقدرا أنها « على وجه اليقين سوف تعترض على أى دور سوفيتى فى الأزمة » . وبالتالى ، فهى فى هذا الموقف حليف للولايات المتحدة بصرف النظر عن الأسباب .

● عاد « كيسنجر » إلى الاتصال بـ « دوبرينين » ورجاه « عدم دفع الأمور إلى حافة الهاوية » . وأن الولايات المتحدة على استعداد لإرسال مراقبين من الأمم المتحدة إلى المنطقة ، ولكنها « لن تقبل بقوة أمريكية – سوفيتية ، تظهر وتعمل فى المنطقة » . ورد « دوبرينين » بأن

---

(١) صفحة ٥٨١ من مذكرات « كيسنجر » – الجزء الثانى – بعنوان « سنوات القلاقل » .

« هدف موسكو ليس إرسال قوات ، ولكن القيادة السوفيتية غاضبة وتعتبر أن تصرفات الولايات المتحدة وإسرائيل بلغت حد الاستهتار بالأمم المتحدة وبالاتحاد السوفيتى وبأصدقائه » . ويرد عليه « كيسنجر » راجيا « أن يبذل دوبرينين نفوذه لكى لا تسيرّ الأمور إلى مواجهة بين القوتين الأعظم » ، ويقول له إنه « لا ينبغى تحويل هذه الأزمة إلى اختبار لرجولة كل واحد منا » (a test of manhood) .

● ثم قام « كيسنجر » بالاتصال بالسفيرالبريطانى اللورد « كرومر » يطلب منه أن تتخذ بريطانيا فى مجلس الأمن موقفا يتفق تماما مع الموقف الأمريكى . فإذا جدت حالة تستدعى قيام الولايات المتحدة باستعمال حق الفيتو ، فإن على بريطانيا أن تستعمل هذا الحق أيضا .

□

وفى المساء اتصل « دوبرينين » بـ « كيسنجر » ليقول له « إن وزير الخارجية المصرى الدكتور الزيات ألقى خطابا فى مجلس الأمن قبل دقائق ، وقد طلب فيه من المجلس أن يوافق على إرسال قوات أمريكية وسوفيتية إلى خطوط القتال بين مصر وإسرائيل » . ورد عليه « كيسنجر » قائلا « إن ذلك تعقل من جانب المصريين ، فقد وضعوا طلبهم لقوات أمريكية – سوفيتية فى إطار خطاب لوزير خارجيتهم ، ولم يحولوه إلى مشروع قرار يقدموه إلى مجلس الأمن » . ومع ذلك ، فإن « كيسنجر » بدأ يحس بالقلق ، خصوصا وأنه اطلع على تسجيل محادثة تليفونية جرت بين السيد « اسماعيل فهمى » وزير الخارجية بالنيابة فى القاهرة ، وبين الدكتور « محمد حسن الزيات » وزير الخارجية الأصلى فى نيويورك . وقد ورد فيها الحوار التالى نصه :

« اسماعيل فهمى (من القاهرة) : الرئيس بيقولك اطلب الروس والأمريكان ييجوا لغاية وقف إطلاق النار ما يقف .
الزيات (من نيويورك) : يعنى أطلب تنفيذ المعاهدة المصرية السوفيتية ؟
اسماعيل فهمى (من القاهرة) : المعاهدة المصرية السوفيتية ايه ؟ هو ده كلام يتقال فى مجلس الأمن ؟ وايه علاقة الأمريكان بالمعاهدة المصرية ـ السوفيتية ؟
الزيات (من نيويورك) : فهمت .. فهمت .»

وهكذا كتب « كيسنجر » رسالة باسم الرئيس « نيكسون » إلى الرئيس « السادات » ، كان نصها كما يلى :(*)

« من الدكتور كيسنجر
إلى السيد اسماعيل

يود الدكتور كيسنجر قيام السيد اسماعيل بإحالة الرسالة التالية العاجلة من الرئيس نيكسون ، إلى الرئيس السادات :

(*) فى ملحق صور الوثائق توجد صورة لأصل الرسالة التى تبين الانذار من « نيكسون » إلى « السادات » ، والصورة منشورة تحت رقم (٩٥) – على صفحة ٨٣٣ من الكتاب .

لقد تلقينا من الاتحاد السوفيتى اقتراحا بإرسال قوة مشتركة من القوات الأمريكية ـ السوفي
إلى الشرق الأوسط لغرض وقف القتال بالقوة .

وهذا اقتراح سوف لا يمكننا الموافقة عليه ، لأسباب سبق أن أجملتها فى رسالتى السابقة . وه
أنه لكى تكون القوات ذات فعالية فإنها يجب أن تكون كبيرة بحيث يمكنها التغلب على كلا الطرفي

وأنا أرجوكم النظر فى النتائج بالنسبة لبلادكم ، إذا كانت الدولتان العظميان النوويتان سوف تو
إحداهما الأخرى على هذا النحو ، فوق أرضكم . كما أرجوكم النظر فيما سيكون مستحيلا علينا
قيام بالمبادرة الدبلوماسية التى كانت ستبدأ مع زيارة الدكتور كيسنجر للقاهرة يوم ٧ نوفمبر ،
كانت قوات واحدة من الدولتين العظميين النوويتين سوف تتورط عسكريا فوق الأرض المصري

إننا فى مستهل فترة جديدة فى الشرق الأوسط ، فدعونا لا ندمرها فى هذه اللحظة ، وفى الو
ذاته ، فإننا حسبما أشرنا إليكم ، سوف نستخدم نفوذنا لدى إسرائيل ، للإذعان بأشد دقة ، لق
مجلس الأمن . »

وقد علق « كيسنجر » فى مذكراته على هذه الرسالة بأنه ، وقد كان يعلم حرص الرئي
« السادات » على زيارته لمصر وعلى إتمامها فى الموعد المقرر ، فإنه قامر بالتهديد بإلغائها
محاولة لممارسة أقوى درجات الضغط .

٢

وفى الساعة ٩,٣٥ مساء بتوقيت واشنطن (٤,٣٥ صباحا بتوقيت موسكو) اتص
« دوبرينين » بـ « كيسنجر » ليبلغه برسالة عاجلة من « بريجنيف » ، وقد كلف « نظرا لدقة الموق
وتسارع التطورات بأن يقرأها له على التليفون » . وكانت رسالة « بريجنيف » تقول :

« إن الاتحاد السوفيتى يرى أن الوقت قد حان لكى تعمل القوتان الكبيرتان معا ، وأن يقوم الاتح
السوفيتى والولايات المتحدة على وجه الاستعجال بإرسال وحدات من قواتهما المسلحة إلى منط
الصراع ، وتكون مهمة هذه القوات أن تتأكد من تطبيق قرارات مجلس الأمن بتاريخ ٢٢ و٢
أكتوبر ، وبغرض فرض احترام وقف إطلاق النار وإيقاف كل العمليات العسكرية .

إنه من الضرورى الاستجابة لهذا الطلب بدون تأخير . وإننى لأقول صراحة إنه إذا لم يكن ب
مقدوركم التصرف معنا بطريقة مشتركة لمواجهة هذا الموقف ، فإننا سوف نرى ما يمكن عم
منفردين . وفى كل الأحوال ، فنحن لا نقبل أن تتصرف إسرائيل بطريقة تعسفية معتمدة على تأ
الولايات المتحدة . »

وكان أخطر ما فى هذا الإنذار السوفيتى الأخير أنه جاء مصحوبا بتحركات عسكرية سوفيت
تسترعى الانتباه . وقد أوردها تقرير لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية ، وردت فيه المعلوما
التالية :

١ ـ أن الجسر الجوى السوفيتى لمصر وسوريا توقف رغم أن جسر الإمداد الأمريكى كان مستمرا . ومعنى ذلك فى تقدير خبراء الوكالة (وكالة المخابرات المركزية) أن أسطول النقل السوفيتى يعاد تجميعه لمهمة أخرى .

٢ ـ أن هناك زيادة كبيرة جدا فى وحدات الأسطول السوفيتى العاملة فى البحر الأحمر . فقد وصلت هذه الوحدات إلى ٨٥ قطعة ، وهناك أوامر صدرت الآن بانضمام ١٥ قطعة إليها من قوة أسطول المحيط الهندى .

٣ ـ أن قوات ألمانيا الشرقية وضعت فى حالة استعداد .

٤ ـ أنه تأكد فى الساعة الأخيرة أن وحدات بحرية سوفيتية تصل إلى ١٢ وحدة ، بينها قطعتان برمائيتان ـ تتجه بأقصى سرعة إلى ميناء الاسكندرية .

وعاد « كيسنجر » يتصل بالتليفون بـ « دوبرينين » ويقول له « إن إيقاع المواجهة بين القوتين الأعظم يزداد ، وأنه يريد أن يعرف منه تحركاته هذه الليلة لأنهم سوف يدرسون رسالة بريجنيف ويردون عليه » .

وفى ختام حديثهما التليفونى ، دار بينهما الحوار التالى ـ طبقا لمذكرات « كيسنجر »[٢] :

« هنرى كيسنجر : إننا دعونا « جماعتنا » لدراسة رسالتكم . وقد أردت أن تعرف أن أى عمل منفرد من جانبكم سوف يجعلنا نرد عليكم ، وسوف تكون لهذا كله عواقب خطيرة .

أناتولى دوبرينين : نعم ... وهو كذلك .

هنرى كيسنجر : هذا أمر بالغ الخطورة بالنسبة لنا . لا تضغطوا علينا . وأكرر مرة ثانية لا تضغطوا علينا .

أناتولى دوبرينين : فهمت . »

٣

ووجه « كيسنجر » دعوة إلى مجموعة العمل الخاصة فى البيت الأبيض . وقد أراد « كيسنجر » أن يكون الاجتماع فى البيت الأبيض لكى يظهر للسوفيت أنه فى هذا الموقف يتصرف باسم الرئيس مباشرة .

واستمرت جلسة مجموعة العمل الخاصة حتى الساعة الثانية صباحا (بتوقيت واشنطن) .

---

(٢) صفحة ٥٨٥ من مذكرات « كيسنجر » - الجزء الثانى - بعنوان « سنوات القلاقل » .

وشارك فى مداولاتها كل من وزير الدفاع « جيمس شليزنجر » – ومدير وكالة المخابرات المركزية « ويليام كولبى » – ورئيس هيئة أركان الحرب المشتركة الامريكية الأدميرال « توماس مورر » – ورئيس أركان حرب البيت الأبيض الجنرال « آل هيج » – ونائب مستشار الأمن القومى الجنرال « برنت سكوكروفت » – وأركان حرب مجلس الأمن القومى الكوماندر « جوناثان هاو »(٣) – وبالطبع كان الاجتماع برئاسة « هنرى كيسنجر » نفسه .

واحتدمت المناقشات فى مجموعة العمل . فقد عرض « كيسنجر » لتطورات الحوادث خلال الساعات الأخيرة وحتى الآن عندما وصل إنذار « بريجنيف » . وكان رأى الجنرال « هيج » أن الإنذار السوفيتى عملية « تهويش » ، وأضاف أنه لهذا السبب لم يشأ أن يوقظ الرئيس « نيكسون » من نومه . ثم علق بنوع من السخرية « أنه حتى لو أيقظ رئيسه من النوم ، فلم يكن فى استطاعته أن يحسم بقرار فى هذا الموقف لأنه فى حالة يائسة (hopeless) – بسبب فضيحة ووترجيت . » وقد اختلف « كيسنجر » مع « هيج » فى تقديره للإنذار السوفيتى ، وطرح الاحتمالات التالية :

أ – احتمال أن السوفيت كانوا طول الوقت يريدون توجيه إنذار . وأن دعوتهم له (أى « كيسنجر ») للذهاب إلى موسكو كانت مجرد تغطية ولكسب الوقت .

ب – واحتمال أن السوفيت لم يكن فى تخطيطهم أن تصل الأمور إلى الحد الذى وصلت إليه ، لكنهم اضطروا إلى ذلك تحت وطأة الضغوط الواقعة على القوات العربية .

جـ – واحتمال أنهم غاضبون جدا مما يتصورونه خداعا من جانب الولايات المتحدة وإسرائيل .

وأثناء انعقاد الاجتماع وصل السفير الإسرائيلى « دينتز » إلى البيت الأبيض على غير موعد ، وخرج « كيسنجر » للقائه . كان « دينتز » قادما للتعبير عن مخاوف إسرائيل وقلقها من الإنذار السوفيتى ، ولكن « كيسنجر » طمأنه قائلا : « إننا مجتمعون وسوف نرفض الإنذار السوفيتى بالتأكيد » . ولما عاد كيسنجر إلى الاجتماع بعد ربع ساعة ، اكتشف أن المناقشة فى غيابه اتخذت اتجاها وفاقيا . فقد ظهر نوع من التراضى بين الحاضرين على أن يكون رد الولايات المتحدة على إنذار « بريجنيف » بلهجة ودية فى ألفاظها ، وقوية فى مضمونها . والقصد من ذلك هو شد الاتحاد السوفيتى من اتجاه التصلب إلى اتجاه التفاوض . وتدخل « كيسنجر » فى المناقشة على الفور قائلا « إن أى اتجاه وفاقى فى هذه الأزمة سوف يؤثر على هيبة الولايات المتحدة وعلى مصالحها فى المنطقة . ونحن الآن بقرب النجاح ، ولا يصح لأحد أن يفقد أعصابه ويضحى بالمكتسبات التى تحققت للسياسة الأمريكية خلال هذه الأزمة . »

وقال « كيسنجر » إنه « ليس من أنصار الرد على إنذار بريجنيف باستفزاز ، لكنه يرى أن

---

(٣) هو الآن – صيف ١٩٩٣ – برتبة « أدميرال » وقد أصبح مندوبا ممثلا للأمم المتحدة فى الصومال يقود المعارك ضد اللواء « محمد عيديد » بقرار أمريكى يرفرف فوقه علم الأمم المتحدة !!



حاملة الطائرات الأمريكية جون كنيدى

يكون الرد قويا ، وأن تسبقه - قبل وصوله إلى موسكو -إجراءات أمريكية تظهر لموسكو أن الولايات المتحدة جادة فى قبول تحدى المواجهة .»

وأثناء المناقشات ، وصلت إلى مدير وكالة المخابرات المركزية معلومات تقول بأن هناك ثمانية طائرات سوفيتية من طراز « انتينوف ٢٢ » تستطيع كل منها أن تحمل ٢٠٠ جندى ، وأن هذه الطائرات موجودة الآن فى بودابست ، وهى توشك أن تقلع إلى إحدى القواعد الجوية المصرية .

واقترح « كيسنجر » إعلان حالة التأهب من الدرجة الثالثة - أى حالة الاستعداد للعمليات - ووضع القوات الاستراتيجية الجوية تحت حالة الإنذار . وإخطار الفرقة ٨٢ الأمريكية المحمولة جوا والمتمركزة فى ألمانيا أن تستعد للحركة . وتوجيه حاملة الطائرات « فرانكلين روزفلت » أن تقلع من ميناء نابولى فى ايطاليا وتنضم إلى حاملة الطائرات « اندبندنس » جنوب كريت . وأن تتوجه حاملة الطائرات « جون كنيدى » ووحدات البحرية المرافقة لها من المحيط الأطلنطى إلى البحر الأبيض .

وقال « كيسنجر » فى نهاية الاجتماع إنه « إذا ارتعشت أقدامنا الآن فسوف نجد أنفسنا فى مشكلة حقيقية » . واستطرد : « إن كل الإجراءات التى اتخذت فى هذا الاجتماع سوف تصل إلى القيادة السوفيتية وتدعوها إلى التفكير قبل أن يصلها الرد الأمريكى الرسمى على رسالة بريجنيف » .

وكان آخر ما قاله « كيسنجر » فى هذا الاجتماع إنه « ربما تكفل السادات بإنقاذ الجميع من هذا الموقف إذا هو استجاب بطريقة « عاقلة » للرسالة الأخيرة التى بعثنا بها إليه محذرين من عواقب « مواجهة نووية » بين القوتين الأعظم على أرض الشرق الأوسط .»

□

وفى الساعة الواحدة وثلاث دقائق قام « كيسنجر » بالاتصال بالسفير البريطانى فى واشنطن اللورد « كرومر » وأخطره بما اتخذته الولايات المتحدة من اجراءات ، وطلب منه أن تتخذ الحكومة البريطانية اجراءات مماثلة . ثم أبلغه أنهم سوف يدعون إلى اجتماع عاجل لمجلس حلف الأطلنطى .

وفى الساعة ١,٣٥ صباحا جاء السفير الإسرائيلى « دينتز » إلى البيت الأبيض مرة أخرى دون موعد ، يحمل رسالة من « جولدا مائير » ترجو فيها « كيسنجر » ألا تمارس الولايات المتحدة أى ضغط على إسرائيل للعودة إلى خطوط ٢٢ أكتوبر فى حالة توصلهم إلى أى اتفاق مع السوفيت لتجنب المواجهة بين القوتين الأعظم . وأكد له « كيسنجر » أن الولايات المتحدة لن تمارس أى ضغط على إسرائيل تحت ضغط مواجهتها الراهنة مع الاتحاد السوفيتى .

وفى الساعة ٥,٤٠ صباحا كان الرد الأمريكى على « بريجنيف » قد أعد . وقد أرسل إلى السفارة السوفيتية عن طريق رسول خاص لأن « كيسنجر » لم يكن يريد أن يسلمه لـ « دوبرينين » شخصيا . وكان مقصده أن يصل الرد على « بريجنيف » دون فرصة لـ « دوبرينين » يوجه فيها أسئلة أو استفسارات قد تكشف شيئا عن النوايا الأمريكية .

الفصل الثالث والعشرون

يوم ٢٦ أكتوبر



فى الساعة الثامنة صباحا استيقظ « هنرى كيسنجر » ليكتشف أن الرئيس « أنور السادات » قد تصرف على النحو الذى تمناه فى الليلة السابقة . فقد بعث برسالة نصها :(*)

« من الرئيس أنور السادات
إلى الرئيس نيكسون

لقد تلقيت رسالتيكم المؤرختين ٢٥ أكتوبر ، وإنى متفهم للظروف التى عرضتموها فيما يتعلق باستخدام قوة أمريكية – سوفيتية مشتركة . وقد طلبنا بالفعل من مجلس الأمن سرعة إرسال قوة دولية إلى المنطقة لضمان تنفيذ قرارات مجلس الأمن .

ونحن نأمل أن هذا الوضع سوف يمهد الطريق للاجراءات الأخرى التى جرى التعبير عنها فى قرار مجلس الأمن – بهدف إقامة سلام عادل فى المنطقة . »

و علق « كيسنجر » على هذه الرسالة كما يلى :

١ - أن هذه الرسالة تعنى أن الرئيس « السادات » قد سحب طلب مصر بقوة أمريكية – سوفيتية مشتركة . وكان هذا الطلب هو سبب استحكام الأزمة .

(*) فى ملحق صور الوثائق توجد صورة لأصل هذه الرسالة التى استجاب فيها الرئيس « السادات » لطلب « نيكسون » وتراجع عن طلب قوات أمريكية سوفيتية وأنهى المواجهة بين القوتين الأعظم . والصورة منشورة تحت رقم (٩٦) – على صفحة ٨٣٤ من الكتاب .

٢ – أن ذلك معناه أيضا أنه – حتى إذا كان الاتحاد السوفيتى يستعد لإرسال قوات إلى مصر – فإن هذه القوات لن تصل على الإطلاق لأنها لا تستطيع أن تذهب إلى أراضى دولة لم تعد تدعوها إلى الحضور .

٣ – أن هذا يعنى أن « مسار الأزمة يتجه إلى صالحنا .. فقد خرجنا على قمة الموقف » .

٤ – أن هذا يعنى أيضا أن الرئيس « السادات » قد وضع مصيره فى يد الولايات المتحدة الأمريكية .

وتوجه « كيسنجر » بسرعة إلى مقابلة مع الرئيس « نيكسون » يبلغه بأن الولايات المتحدة « انتصرت فى المواجهة » . ثم عرض عليه نص رسالة يقترح إرسالها إلى الرئيس « السادات » . ووافق الرئيس « نيكسون » وتمت صياغة الرسالة فى المكتب البيضاوى . وكان نص هذه الرسالة كما يلى :(*)

« من الدكتور هنرى كيسنجر
إلى السيد حافظ اسماعيل

يرجو الدكتور كيسنجر من السيد اسماعيل إحالة الرسالة التالية من الرئيس نيكسون إلى الرئيس السادات :

لقد تلقينا الرسائل منكم ومن السيد اسماعيل المؤرخة ٢٦ أكتوبر ١٩٧٣ .

ونحن نقدر إلى حد كبير تناولكم كرجل دولة لقضية قوات حفظ السلام . وفى اعتقادنا أن إدخال قوات أمريكية – سوفيتية محاربة ، كانت ستترتب عليه نتائج لا يمكن حسابها .

إن الولايات المتحدة على استعداد لتأييد قوة دولية ، مؤلفة من قوات من غير الدول الأعضاء الدائمين فى مجلس الأمن ، لكى ترسل إلى الشرق الأوسط لمراقبة تنفيذ قرار مجلس الأمن .

ونحن على ثقة من أن هذا سوف يفيد فى دعم وقف القتال ، ويفتح الطريق نحو مفاوضات لسلام عادل ودائم فى المنطقة ، وإن الولايات المتحدة لتكرر القول برغبتها فى القيام بدور فعال يبدأ بزيارة الوزير كيسنجر للقاهرة يوم ٧ نوفمبر . »

وفى ظرف نصف ساعة كان الرئيس « السادات » قد رد على هذه الرسالة ، وكان رده بالنص التالى :

« من السيد حافظ اسماعيل
إلى الدكتور هنرى كيسنجر

لقد تلقى الرئيس السادات رسالة الرئيس نيكسون المبلغة إليه عن طريق الدكتور كيسنجر ، وهو يشكره عليها .

(*) فى ملحق صور الوثائق توجد صورة لأصل هذه الرسالة من « نيكسون » إلى الرئيس « السادات » ، وهى منشورة تحت رقم (٩٧) – على صفحة ٨٣٥ من الكتاب .

١ – ونود إخطار الولايات المتحدة بأننا نوافق على تواجد قوة دولية من وحدات من غير الأعضاء الدائمين فى مجلس الأمن ، طالما أن هذه القوة تحظى بالتأييد الكامل من جانب الأعضاء الدائمين ، وبصفة خاصة الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى .
٢ – ونحن نعتبر أن المهمة الفورية والعاجلة جدا لهذه القوة ، هى الإشراف على – ومراقبة – تنفيذ قرار مجلس الأمن الصادر فى ٢٣ أكتوبر ١٩٧٣ ، أى انسحاب القوات الإسرائيلية إلى المواقع التى كانت فيها عند دخول قرار ٢٢ أكتوبر فى حيز التنفيذ .
٣ – ونحن ننتظر أن ترسل القوة فورا إلى المنطقة ، لتتولى مهامها ، قبل أن يتسبب أى تأخير فى نتائج بعيدة المدى ولا يمكن حسابها . »

وتلقى « هنرى كيسنجر » بعد ذلك مكالمة تليفونية من السكرتير العام للأمم المتحدة « كورت فالدهايم » ، أبلغه فيها أن السفير السوفيتى لدى الأمم المتحدة « جاكوب ماليك » جاء إلى لقائه قبل دقائق ، وقال له « إنه لم يعد أمام الاتحاد السوفيتى إلا مسايرة الاقتراح المصرى بإرسال قوات دولية » .

٢

وبينما كانت هذه التطورات تتلاحق على القمة الدولية ، كانت العلاقات بين القاهرة – ودمشق تشهد نوعا غريبا من سوء التفاهم ، ربما استوجبه تغير المواقف بسرعة .

كانت سوريا قد قبلت وقف إطلاق النار مساء يوم ٢٣ أكتوبر ، وأبلغت مجلس الأمن بذلك فعلا . وعندما واصلت القوات الإسرائيلية ضغوطها على الجبهة المصرية مستهدفة الجيش الثالث ، كانت الأحوال هادئة على الجبهة السورية .

وفى يوم ٢٥ أكتوبر توجه ضابط الاتصال المصرى فى سوريا إلى مقابلة مع الرئيس « حافظ الأسد » الذى سأله عن آخر تطورات الموقف على الجبهة المصرية . وكتب ضابط الاتصال برقية رمزية قال فيها :(*)

« سألنى الرئيس حافظ الأسد عن الموقف العسكرى ، فأجملت لسيادته به حسب آخر تقرير وصلنى منكم .

طلب منى إبلاغ الرئيس السادات بالآتى :

(*) فى ملحق صور الوثائق توجد صور من أصول هذه الرسائل المتبادلة بين القاهرة ودمشق ، والرئيسين « السادات » و « الأسد » ، وهى جميعا منشورة تحت رقم (٩٨) – على صفحة ٨٣٦ من الكتاب .

« أستدعى سيادته السفير السوفيتى وطلب منه حضور قوات سوفيتية فورا (إلى سوريا) . ويرجو سيادته من الرئيس أنور السادات موافاته برد السوفيت فور وصوله .»

وبعث الرئيس « السادات » عن طريق ضابط الاتصال برسالة نصها ما يلى :

« رد علىّ السوفيت فجر اليوم وأرسلوا سبعين مراقب . ولكننى أوافقك تماما على طلبك قوات سوفيتية إذا كان الموقف يستدعى ذلك .»

وطرأ تطور آخر على الجبهة السورية لأن الرئيس « أحمد حسن البكر » طلب سحب القوات الجوية العراقية العاملة فى سوريا طالما أنها (سوريا) قبلت وقف إطلاق النار . وبعثت قيادة الأركان السورية رسالة إلى القيادة العامة المصرية تقول فيها بالنص :

« أصدر الرئيس العراقى أمرا حوالى سعت ٢٢٠٠ إلى القوات الجوية العراقية بسوريا بالعودة باكر طيارين وطائرات إلى العراق - حاول الرئيس حافظ الأسد الاتصال بالرئيس البكر - فقيل له إنه غير موجود بالقصر - تطلب سوريا أن يترك العراقيون ١٠ طائرات « سوخوى » - لم يتم حتى الآن اتصال الرؤساء .»

وبعد ساعة استدعى الرئيس « حافظ الأسد » بنفسه ضابط الاتصال المصرى مع سوريا . وكتب ضابط الاتصال برقية رمزية عن اللقاء جاء فيها ما يلى :

« أبلغنا / ضابط اتصال سوريا بما يلى :

قابلت السيد الرئيس حافظ الأسد سعت ١٥٣٠ اليوم (٠) أبلغنى أنه طلب السفير السوفيتى أمس وأبلغه أن موقف الاتحاد السوفيتى سيكون سيىء جدا فى المنطقة إذا لم يتدخل بقوة واستفسر منه أين إذن الضمانات التى قدمها الاتحاد السوفيتى كما أيد سيادته إرسال قوات سوفيتية لـ ج .م .ع . فورا وطلب منه الاتصال بموسكو والإفادة بالرد(٠) وقد رد السوفيت صباح اليوم ردود إيجابية (٠) أما بخصوص القوات العراقية أفاد سيادته أنها بدأت تنسحب فعلا من سوريا وبسرعة (٠) وأنه استدعى السفير العراقى وسلمه برقية للرئيس البكر يطلب فيها بقاء قوات كنوع من الدعم المعنوى للجندى السورى وأفاد سيادته أنه رغم أن القدرة القتالية للقوات العراقية محدودة إلا أن وجودهم من الناحية المعنوية ضرورى (٠) وفى نهاية المقابلة طلب سيادته إرسال البرقية التالية إلى السيد الرئيس السادات (٠) توضيحا للقسم الثانى من برقية سيادتكم (٠) قصدت بسؤالى أن أستفسر عن جواب السوفيت حول طلبكم للقوات السوفيتية وقد استدعيت السفير السوفيتى أمس لأؤكد طلبكم بضرورة وصول قوات سوفيتية لـ ج .م .ع . (٠) ولم أقصد أن أطلب قوات سوفيتية لسوريا (٠) تحياتى ،،، »

وفى ذلك الوقت كان الرئيس « السادات » قد غير موقفه مستجيبا لرسالة « نيكسون » إليه التى حذرته من طلب قوات سوفيتية ، وهكذا فإنه بادر بإرسال برقية إلى الرئيس « حافظ الأسد» كان نصها كما يلى :

« من الرئيس أنور السادات
إلى الرئيس حافظ الأسد

فهمت من برقيتكم أمس أن طلب القوات السوفيتية كان لسوريا وذلك كنص البرقية المرسلة منكم .

وأيدتكم فى ذلك طالما أن الموقف عندكم يستدعى ذلك . أما الموقف بالنسبة لنا فلم نطلب قوات سوفيتية ، وإنما طلبنا مراقبين للاشتراك فى أعمال الرقابة على وقف إطلاق النار . وأفاد الاتحاد السوفيتى بموافقته على إرسال ٧٠ مراقب . وقد أخطرنا فالدهايم بذلك فى حينه . »

□

كان الجو العربى العام مشوشا ، والتصرفات متناقضة وأحيانا غامضة ، ولم يكن ذلك التشويش مقصورا على مستوى القمة ، وانما نزل التشويش أيضا إلى ما تحت القمة .

وقد انعكست حالة التشويش فى حوار جرى فى « لجنة عمل خاصة » تشكلت فى مجلس الوزراء المصرى برئاسة الدكتور « عبد القادر حاتم » - القائم بأعمال رئيس الوزراء ، وكان بين أعضائها السيد « حافظ اسماعيل » بوصفه مستشار الأمن القومى للرئيس ، وكان الهدف من عضويته فى اللجنة أن يكوّن صلة بين الرئاسة والوزارة .

وللحق فإن هذه اللجنة قامت بجهد هام فى تسيير الشئون الداخلية معتمدة على امكانية اقتصادية واجتماعية هائلة بناها الشعب المصرى فى سنوات سابقة - ولكن غياب المعلومات الصحيحة والكاملة عما يجرى فى ميادين القتال وضع اللجنة فى اللحظات الحرجة فى ضباب أجواء ثقيلة وأحيانا محزنة .

ففى جلسة عقدتها اللجنة صباح يوم ٢٤ أكتوبر ، كان السيد « حافظ اسماعيل » لا يزال متأثرا بالمناقشة العاصفة بينه وبين الرئيس « السادات » مساء يوم ٢١ أكتوبر حول موضوع وقف إطلاق النار ، وقد انعكست حالته النفسية على المناقشات . فقد بدأ الجلسة قائلا « **إن الموقف متدهور ، وإسرائيل تواصل كسر وقف إطلاق النار غير عابئة بالمجتمع الدولى ، وهو يخشى أن تصبح القاهرة نفسها مهددة لأن الجيش الإسرائيلى تقدم مسافة على طريق السويس - القاهرة .** »

وقاطعة الدكتور « عبد القادر حاتم » قائلا :

- « **ايه ده .. يا أخ حافظ خللى الكلام ده بعد الاجتماع** » .

ورد عليه السيد « حافظ اسماعيل » قائلا :

- « **أنا لا أتحمل المسئولية واحنا عايشين فى ظلام ، وإخواننا العسكريين أعطوا الرئيس صورة متشائمة ، والخطة .....** »

وقاطعه الدكتور « حاتم » قائلا :

- « **الخطة مسئولية قائد الجيش ونحن لا نستطيع مناقشتها هنا ، وليس ذلك اختصاصنا** » .

ورد السيد « حافظ اسماعيل » :

- « **أنا عسكرى وقد تعبت ....** »

وتدخل السيد « حافظ بدوى » وهو وقتها رئيس مجلس الشعب :

- « **إن الناس تتكلم فى أشياء كثيرة ، وهناك أخبار بأن الوضع منهار** » .

وقال الدكتور « عبد العزيز كامل » وكان نائبا لرئيس الوزراء ووزيرا للأوقاف :

- « **إننا لابد أن نقاتل.وإذا أدى الأمر ننقل العاصمة من القاهرة إلى الجنوب،وهذا له سوابق فى التاريخ** » .

ورد الدكتور « حاتم » :

- « **أشرف لنا أن نقاتل ... ونحن على أى حال نقاتل أسلحة أمريكية ، والحرب هجوم ودفاع وانسحاب ، وليس من شأننا هنا أن نضع خططا عسكرية ، وليس هناك داع أن ننقل للرئيس شيئا مما دار هنا !** »

ورغم ذلك فإن المناقشة وصلت إلى الرئيس « السادات » ، وقد ضايقته تفاصيلها ، وكان تعليقه عليها أن « الناس أعصابها فكت . وكان عندى حق من البداية أن أحمل المسئولية وحدى . وبدون ذيول أجرها ورائى وتعطلنى من غير أن تنفعنى » !



٣

وكانت إسرائيل التى أحست بتراجع جو الأزمة العالمية على القمة الدولية - قد راحت تشدد ضغطها على الجيش الثالث . وكتب الرئيس « السادات » إلى الرئيس « نيكسون » رسالة كان نصها كما يلى :

« عاجل
من الرئيس السادات
إلى الرئيس نيكسون

آسف لإخطاركم بأنه بينما كلانا نحاول أن نتعاون لإقامة السلام ، فإن إسرائيل تواصل انتهاكاتها لوقف القتال فى القطاع الجنوبى ، يضاف إلى ذلك أنها رفضت أمس السماح بمرور طائرة هليوكوبتر للأمم المتحدة والصليب الأحمر ، حاملة بلازما الدم ، وأدوية ، ومؤونة ، لبعض أشخاص جرحى على الشاطىء الشرقى للقناة ، وهذا بالرغم من حقيقة أن إسرائيل أخطرت رسميا بوجود مندوب الصليب الأحمر فى الطائرة .

ونظرا لما ينطوى عليه هذا الأمر من اعتبارات إنسانية ، وحقيقة أن على الولايات المتحدة مسئوليات فى ضمان وقف إطلاق النار ، فإنى أرجو تدخلكم الفورى الحاسم .»

ورد « نيكسون » (« كيسنجر ») على هذه الرسالة بالرد التالى نصه :

« من الدكتور هنرى كيسنجر
إلى السيد حافظ اسماعيل

لقد تلقيت رسالتكم بصدد تموين الطوارىء من بلازما الدم والأدوية لرجالكم على الشاطىء الشرقى لقناة السويس . وقد تم تقديم احتجاجات للحكومة الإسرائيلية ، وتلقينا إخطارا من تلك الحكومة بأنه حدث سعت ٨٠٠ بتوقيت القاهرة اليوم ، أن سمح لرجال الصليب الأحمر والإمدادات الطبية بالمرور إلى قواتكم على الشاطىء الشرقى . وقد أوضحت الحكومة الإسرائيلية أنها لم تستطع فيما قبل ذلك السماح بطلعات للهليوكوبتر ، بسبب أنه ما دامت الهليوكوبتر تحمل العلامة المصرية ، فإن الإسرائيليين لا يمكنهم من أجل هذا ضمان عدم تعرض الطائرات لنيران من القوات الإسرائيلية عرضا . وقد أخطرنا الجانب الإسرائيلى بأنه يحاول عاجلا وضع تدبير لطلعات الهليوكوبتر فى مهام إنسانية ، وهم يوافقون على اتخاذ جميع الإجراءات الممكنة للنجدة الإنسانية ، وأود أن أؤكد لكم يا سيادة الرئيس أن الولايات المتحدة ستعمل كل ما تستطيع لضمان فاعلية وقف القتال ، والحيلولة دون اكتساب أى من الطرفين ، لأى ميزة فردية منه .»

وكان واضحا أن إسرائيل تشدد ضغطها على الجيش الثالث . وكتب الرئيس « السادات » إلى الرئيس « نيكسون » ردا كان نصه كما يلى :

« من السيد حافظ اسماعيل
إلى الدكتور هنرى كيسنجر

بالإشارة إلى المعلومات التى تضمنتها رسالة الرئيس نيكسون إلى الرئيس السادات ، بشأن زعم سماح الإسرائيليين لرجال الصليب الأحمر والإمدادات الطبية بالمرور إلى قواتنا على الضفة الشرقية ، يود السيد اسماعيل أن يؤكد أن هذا الزعم باطل كلية .

ذلك أن الإمدادات الطبية جرى تأخيرها على طول الطريق عدة ساعات ، وحين بلغ مشارف السويس حوالى الغروب ، طلبت منه العودة مرة أخرى إلى القاهرة ، على أن يعود يوم ٢٦ أكتوبر ١٩٧٣ .

ولا يود السيد اسماعيل أن يعلق على هذه التصرفات الإسرائيلية ، ويترك للدكتور كيسنجر اتخاذ ما قد يراه ضروريا .. ولسوف يكون من المؤسف جدا والحالة هذه ، إذا كانت إسرئيل سوف تواصل مستقبلا التصرف على هذا النحو . وإنه لجدير بإسرائيل أن تتذكر الطريقة التى عالجت بها الحكومة المصرية سريعا ، استسلام الوحدة الإسرائيلية فى بورتوفيق يوم ١٣ أكتوبر ١٩٧٣ ، فى حضور الصليب الأحمر .

مع أطيب التحيات . »

ورأى « كيسنجر » أن يحول الاهتمام عن جبهة القتال ، وأن ينقل الاهتمام إلى الجبهة الدبلوماسية . واختار أن يعود إلى حديث رحلته لمصر ، وكتب إلى السيد « حافظ اسماعيل » رسالة كان نصها كما يلى :

« من الدكتور هنرى كيسنجر
إلى السيد حافظ اسماعيل

إنى شاكر جدا لدعوتى لزيارة مصر . ومع افتراض تفضيلكم ليوم ٧ نوفمبر ، فإنى سوف أخطط للوصول إلى القاهرة مساء ٦ نوفمبر ، والرحيل بعد ظهر يوم ٧ نوفمبر . وإنى أتطلع قدما للاجتماع

بكم ، ومع من ترونه مناسبا غيركم ، كما أتطلع قدما إلى مباحثات تمهيدية بناءة بصدد مجموعة القضايا التى تهم بلدينا ، وفى الفترة السابقة على لقائنا ، يجب أن يسعى كلانا لضمان المحافظة على مناخ بناء ، فى العلاقات بين مصر والولايات المتحدة .

واسمحوا أن أشغلكم بعدة تفاصيل فنية ، ولكنها تفاصيل هامة ، فأولا إنه ما دمت سأكون فى الطريق إلى بكين ، فإنه سوف يكون برفقتى زهاء ١٧ صحفيا ، وإنى على ثقة من أن وجودهم فى القاهرة سوف يكون مقبولا لديكم ، وأنهم لن يكونوا عبئا ثقيلا ، يضاف إلى ذلك أود أن أطلب زيادة مؤقتة متواضعة فى عدد العاملين فى قسم رعاية مصالحنا ، لضمان إعالة واتصالات على وجه مناسب خلال وجودى فى القاهرة . فإذا كان ذلك مقبولا لديكم ، فإنه يمكن معالجة التفاصيل الفنية الأخرى بواسطة قسم رعاية مصالحنا ومن قد تعينونه ، كمركز اتصال فى القاهرة .

وإنى أقترح إصدار إعلان مشترك عن زيارتى فى الساعة ١١٠٠ بتوقيت واشنطن يوم ٣١ أكتوبر ، وفيما يلى صيغة مقترحة للإعلان :

« لقد قبل وزير الخارجية هنرى كيسنجر دعوة جمهورية مصر العربية لزيارة القاهرة يوم ٧ نوفمبر ، ولسوف يكون الغرض من زيارته أن يبحث مع الرسميين المصريين طرق تحقيق سلام دائم فى الشرق الأوسط » .

وإنى لأتطلع قدما إلى رد قريب على هذه الرسالة ، وإلى الاجتماع بكم فى الشهر القادم .»

ويبدو أن « كيسنجر » أراد أن يعزز موقفه مع الرئيس « السادات » برسالة من الرئيس الأمريكى إليه ، فكتب إلى السيد « حافظ اسماعيل » (ناقلا عن الرئيس « نيكسون ») الرسالة التالية :

« من الدكتور هنرى كيسنجر
إلى السيد حافظ اسماعيل

أرجو إحالة الرسالة التالية من الرئيس نيكسون إلى الرئيس السادات :

شاكر كثيرا جدا لتلقى رسالتكم رقم ٦ .

إننا فى هذه اللحظة بالذات على اتصال عاجل بالحكومة الإسرائيلية لإيجاد ظروف محددة لعملية رجال مراقبة الهدنة التابعة للأمم المتحدة فى المنطقة ، فيما بين قوات إسرائيل والجيش المصرى الثالث ، وللسماح بإدخال الإمدادات غير الحربية إلى الجيش الثالث المصرى . ولسوف يكون من الضرورى مضى عدة ساعات للحصول على رد محدد على هذه النقاط . ونحن فيما بين ذلك نأمل جديا أن يمكنكم تفادى اتخاذ أى تصرفات لا يمكن الرجوع عنها .

وإنى لأستشعر تشجيعا كبيرا باستعداداتكم الحقيقية للمباحثات خلال زيارة الوزير كيسنجر القادمة ، ولكم أن تكونوا على يقين من أنه سوف يتخذ موقفا بناء ، ونأمل أن زيارته قد تمثل علامة على الطريق ، نحو تسوية دائمة وعادلة .»

ولكن إسرائيل كانت لا تزال تضغط فى الجبهة . وكتب السيد « حافظ اسماعيل » (باسم الرئيس « السادات ») إلى « هنرى كيسنجر » (موجهة للرئيس « نيكسون ») الرسالة التالى نصها :

« من السيد حافظ اسماعيل
إلى الدكتور هنرى كيسنجر

المرجو من الدكتور كيسنجر إحالة الرسالة التالية من الرئيس السادات إلى الرئيس نيكسون :

فى هذه اللحظة التى أتلقى رسالتكم المشجعة بصدد مستقبل السلام ، يقوم الإسرائيليون بشن هجمات جوية وبرية ضد الجيش الثالث ، بحجة كاذبة تزعم أن الجيش هو الذى بدأ الهجوم .

وأود إحاطتكم علما بأن هذه اللحظة خطيرة ، وأن مستقبل السلام فى خطر ، وأن ضمانتكم لقرارات مجلس الأمن يجرى تحديه بمزاعم كاذبة .

وأملى أننا نستطيع العمل سريعا لإيقاف تدهور الموقف فورا . »

ورد عليه « كيسنجر » برسالة باسم الرئيس « نيكسون » إلى الرئيس « السادات » جاء نصها على النحو التالى :

« من الدكتور هنرى كيسنجر
إلى السيد حافظ اسماعيل

لقد تلقيت رسالتكم رقم ٨ ، ويجدر بكم أن تعلموا أن الحكومة الإسرائيلية أخطرتنا بالآتى :

- أن مراكز مراقبة الهدنة التابعة للأمم المتحدة موجودة الآن فى النواحى الآتية :
  (١) القنطرة
  (٢) على طريق متلا
  (٣) على طريق الجدى
  (٤) على طريق الطاسة
- أنها سمحت لقافلة الإمدادات الطبية بدخول مدينة السويس ، يضاف إلى ذلك أنها نقلت الدم والبلازما مباشرة إلى الجيش الثالث . .
- أن الموقف العسكرى فى منطقة الجيش الثالث المصرى هو تماما عكس ما وصفتموه لى ، حيث القوات المصرية تهاجم عبر القناة من الشرق إلى الغرب ضد الوحدات الإسرائيلية على الضفة الغربية للقناة .

فيما يختص بالنقطة الأخيرة ، لابد أنكم تدركون أنه يستحيل علينا إصدار أحكام صائبة بصدد من يحافظ - أو من ينتهك - وقف القتال .

وأنا أقترح بصفة عاجلة أن خير طريق للتأكد من الإذعان اللائق لإيقاف القتال ، هو أن تحركوا المراقبين إلى المكان الذى تجرى فيه الهجمات ، حتى يتمكنوا من إثبات دعاواكم . ويمكن لى أن أؤكد لكم أنه إذا حدث أن أثبت هؤلاء المراقبون المحايدون انتهاكات لوقف القتال ، فإن الولايات المتحدة سوف تكون على استعداد للآتى :

١ - الانضمام إلى المزيد من دعوات مجلس الأمن لمراعاة وقف القتال .
٢ - معارضة أولئك الذين انتهكوا وقف القتال .
٣ - الإدانة العلنية لأولئك الذين انتهكوا وقف القتال . »

□

وفى الساعة الثالثة صباحا من يوم ٢٧ أكتوبر خطا « كيسنجر » خطوة أخرى . فقد رأى

أن الأجواء صالحة ومهيأة لنقلة جديدة فى الاتصالات المطلوبة بين الأطراف ، وقد حان الوقت له كى يترفع عن القيام بدور الوسيط الذى يتلقى الشكاوى عن انتهاكات وقف إطلاق النار ويرد عليها . وأن الأفضل الآن أن تجرى الاتصالات مباشرة بين مصر وإسرائيل . وكان ذلك ما تريده « جولدا مائير » أيضا ، وكتب إلى السيد « حافظ اسماعيل » الرسالة التالى نصها بالحرف(*) :

« من الدكتور هنرى كيسنجر

إلى السيد حافظ اسماعيل

إننى كما تعرفون من رسائلى السابقة ، كنت على اتصال عاجل بالحكومة الإسرائيلية ، بصدد موقف الجيش الثالث المصرى ، ولقد تلقيت لتوى الرسالة التالية من رئيسة الوزراء الإسرائيلية :

« نحن على استعداد للدخول فورا فى مباحثات مع المصريين حول كيفية حل هذا الموقف . وعلى المصريين اقتراح المكان ، والتوقيت ، ورتبة ممثلهم . ونحن على استعداد لإيفاد رئيس الأركان ، أو وزير الدفاع ، أو أى جنرال آخر ، أو أى مندوب آخر إلى المباحثات . ونحن نعتقد أن لدينا شيئا ما نعرضه عليهم ، شيئا ما هو ليس الاستسلام ولا المهانة ، مخرج مشرف من الموقف . وكل ما على المصريين عمله هو اقتراح المكان والتوقيت ورتبة ممثلهم .» - انتهت الرسالة الإسرائيلية .

ونحن نحيل هذه الرسالة من قبيل الوساطة . وليس من قبيل أنها توصية أو تزكية . ولسوف تقوم الولايات المتحدة من جانبها باستخدام كل نفوذها للخروج بحل مشرف لهذه المشكلة .»

وكانت عجلة الحوادث قد دارت دورة كاملة . فمصر التى كتبت إلى « كيسنجر » من قبل ، وفى ظروف مختلفة ، تقول إنها لا تريد أن تفرض المهانة على إسرائيل ، أصبحت تتلقى من إسرائيل الآن أنها « لا تعرض عليها الاستسلام ولا المهانة » !

□

كان الرئيس « السادات » قد بدأ يهيىء نفسه للمرحلة الدبلوماسية فى المعركة ، وبدايتها لقاؤه مع « هنرى كيسنجر » . وكان يتحسب لردود الفعل العربية عندما يعلن نبأ الزيارة . وكان الذى يعنيه من هذه الأطراف قبل غيره هو الرئيس « حافظ الأسد » لأنه يملك مصداقية المشاركة فى القتال . وكان الرئيس « حافظ الأسد » قد اتصل به تليفونيا ودار بينهما حوار بدا خاليا من أى مضمون ، وكأن زمالة السلاح قد وصلت بهما إلى حائط مسدود . وكان نص المكالمة التليفونية على النحو التالى :(**)

(*) فى ملحق صور الوثائق توجد صورة لهذه الرسالة الخطيرة بين « كيسنجر » و« حافظ اسماعيل » التى تتحدث عن عرض إسرائيلى بمفاوضات مباشرة لدى إسرائيل ما تقدمه فيها « ليس الاستسلام أو المهانة » - والصورة منشورة تحت رقم (٩٩) - على صفحة ٨٣٨ من الكتاب .

(**) فى ملحق صور الوثائق توجد صورة لتقرير الاستماع عن هذه المحادثة التليفونية بين الرئيس « السادات » والرئيس « الأسد » ، وهى منشورة تحت رقم (١٠٠) - على صفحة ٨٣٩ من الكتاب .

« سرى جدا

المكالمة التليفونية

بين الرئيس أنور السادات والرئيس حافظ الأسد

سعت ١٨٤٥

(بناء على طلب الرئيس الأسد)

الرئيس الأسـد : مرحبا .. آلو

الرئيس السادات : آلو .. ايوه

الرئيس الأسـد : مساء الخير

الرئيس السادات : أهلا مساء الخير يا أخ حافظ

الرئيس الأسـد : ازى صحتك

الرئيس السادات : الحمد لله ، كيف صحتك انت

الرئيس الأسـد : بدى نطمن عليك

الرئيس السادات : الحمد لله كل خير .. كل خير

الرئيس الأسـد : قالوا لى كنت نايم من شوية

الرئيس السادات : أنا كنت نايم فعلا أنا صحيت دلوقتى .. أهلا

الرئيس الأسـد : آه (ضحك) .. كيف أحوالكم

الرئيس السادات : الحمد لله بخير

الرئيس الأسـد : ماشى الحال ..

الرئيس السادات : ماشى الحال ..

الرئيس الأسـد : ماشى كويس

الرئيس السادات : لا الحمد لله كل خير

الرئيس الأسـد : عال .. ماشى الحال

الرئيس السادات : طيب

الرئيس الأسـد : طيب بس بدى اطمئن عليك

الرئيس السادات : ألف شكر قوى .. ألف شكر يا حافظ

الرئيس الأسـد : أهلين .. أهلين

الرئيس السادات : أهلين

الرئيس الأسـد : سلموا لنا كثير

الرئيس السادات : الله يحفظك

الرئيس الأسـد : مع السلامة ..»

وبعد انتهاء المكالمة أحس الرئيس « السادات » - على الأرجح - أنه كان يتعين عليه أن يقول شيئا لزميله السورى ، ولو عن زيارة « هنرى كيسنجر » المرتقبة . وهكذا بعث له الرسالة التالية :(*)

(*) فى ملحق صور الوثائق توجد صورة لأصل هذه الرسالة من الرئيس « السادات » إلى الرئيس « الأسد » ، وهى منشورة تحت رقم (١٠١) - على صفحة ٨٤٠ من الكتاب .

« من الرئيس أنور السادات

إلى الرئيس حافظ الأسد

أخى الرئيس حافظ الأسد

تحياتى .

اتفقت أمريكا معنا على زيارة يقوم بها كيسنجر لمصر يوم ٦ نوفمبر وسيعلن يوم ٣١ أكتوبر فى البلدين بيان بهذا الشأن .

أريدك أن تعرف أننى سأستمع ، وأن أية مباحثات سأتناولها لن تكون للجبهة المصرية فقط ، وإنما لجبهتنا السورية المصرية تحت المبدأين اللذين بدأنا عليهما معركتنا ، وهما لا تفريط فى شبر من الأرض ولا مساومة على حقوق شعب فلسطين .

وكما اتفقنا دائما فإن أى شىء يخص سوريا سيكون مرجعه لكم وسأعلن كيسنجر بذلك .

وأرجو أن لا يذاع عن هذه الزيارة شىء قبل صدور البيانات الرسمية .»

□

كان الطريق خطرا ومليئا بالمنحنيات وصاعدا إلى قمم عالية ونازلا إلى أخاديد عميقة ، مضيئا أحيانا ومعتما أحيانا ومظلما فى أحيان أخرى .

عشرون يوما تقريبا - من ٦ أكتوبر إلى ٢٧ أكتوبر ١٩٧٣ - عشرون يوما زلزلت الشرق الأوسط بعنف ، وهزت موازين العالم ، وكادت تودى به إلى حافة مجهولة لا أحد يعرف حساباته بعدها - وإلى أين ؟

الجزء الثالث

منحنى على الطريق

الفصل الأول

متغيرات من كل اتجاه

١

عندما تم تثبيت خطوط وقف إطلاق النار - إلى حد ما - فى الأيام الأخيرة من أكتوبر ، كانت كل الضرورات تدعو إلى إعادة تقييم للوضع من أوله إلى آخره استعدادا لمرحلة أخرى من الصراع .

كانت الإيجابيات ظاهرة - وكذلك كانت السلبيات . وكان الواجب تدعيم الإيجابيات وتعميقها ، وعلاج السلبيات وتجاوزها .

□

كانت الإيجابيات فى كل ما جرى من يوم ٦ أكتوبر إلى يوم ٢٦ أكتوبر على النحو التالى :

١ - أن هناك رجلا استطاع أن يملك شجاعة القرار ، وهو « أنور السادات » . وبصرف النظر عن المنحنيات الكثيرة التى مرت بها عملية اتخاذ القرار - فإن هذا الرجل حينما وصل إلى اللحظة التى واجهته فيها الظروف بالسؤال الحاسم - كان رده أن أعطى أمر القتال وأطلق شرارة الحرب .

٢ - أن مستوى التخطيط العلمى والعملى للمعركة كان دقيقا وكان ممتازا ، وقد استطاع فى الأيام الأولى من القتال أن يحقق هدفا استراتيجيا لا يختلف أحد - وأولهم « هنرى كيسنجر » - على أهميته ، وهو : كسر نظرية الأمن الإسرائيلى ، التى تقوم على عدة مرتكزات :

- **تفوق كيفى (أمام كم عربى) يعطى نفسه حق التصرف فى جرأة وقسوة .**
- **ضعف عربى عام (يعتمد على الكم بدون قيمة كيفية) والخوف دائما مزروع فى عقله وأعصابه .**
- **نتيجة ذلك وهن فى اتخاذ القرار العربى يحجم دائما ويقدم نادرا ، ويقدم رجلا ويؤخر الثانية عندما تجىء المواجهة .**

٣ - أنه كان هناك حشد من السلاح لم يسبق له أن توافر فى أيد عربية . فالإمداد السوفيتى تدفق بمعجزة بعد قرار طرد الخبراء السوفيت فى يوليو ١٩٧٢ ، وكان المتوقع أن يتوقف تماما بعد هذه الإهانة . ولكن الذى حدث أن الاتحاد السوفيتى أفاق إلى أنه يوشك أن يفقد مركزه العالمى كله ، ومن ثم فتح مخازنه . وربما كانت لدى الاتحاد السوفيتى دواع أخرى جعلته يفتح المخازن ، ولكن المهم أن هذه المخازن تفتحت على آخرها .

وقد كانت هناك إضافات ضخمة - إلى جانب السلاح السوفيتى - قدمتها الأمة كلها ، ولقد تلكأت بعض الأطراف ، لكنها فى النهاية لبت ، خصوصا فى سنة ١٩٧٢ و١٩٧٣ . وعلى سبيل المثال فإنه برغم كل مشاكل التعامل مع العقيد « معمر القذافى » - فإن ليبيا اشترت للجيش المصرى معدات عسكرية - بالذات فى الطيران والبحرية - وصلت قيمتها سنة ١٩٧٣ وحدها إلى حدود مليار دولار .

٤ - أن تغييرا هائلا ظهر فى المعارك منذ اللحظة الأولى ، وهو مستوى الجندى المصرى بالذات ، والجندى العربى بصفة عامة . فالحرب فى الظروف التى نشبت فيها تفجرت عن طاقة إنسانية لم يكن أحد يحسب لها حسابا ، أو يخطر بباله أنها موجودة على هذه الدرجة من الاقتدار .[1]

٥ - أنه إلى جانب هذا الانتصار الاستراتيجى - فإن انتصارا آخر على مستوى العمل العسكرى المباشر تحقق متمثلا فى عملية العبور الرائعة التى اكتسحت مانعا مائيا ضخما ، وأطاحت فى ساعات بخط دفاعى حصين على حافة الماء ، ثم دخلت لعدة أيام فى معارك بالمدرعات

---

(١) كتبت فى مقال بعنوان « السلام البعيد البعيد » نشر يوم ٢ نوفمبر ١٩٧٣ - بالأهرام - ما يلى بالحرف :

« إن بطل الحرب الحقيقى هو الإنسان العربى العادى ، وما كان ولايزال كامنا فى أعماقه ، إلى جانب ما كان ولايزال يحمله من السلاح . ولقد تتبعت تفاصيل كل المعارك على الجبهة المصرية وعلى الجبهة السورية ، وخرجت بيقين لم أتزحزح عنه ، وهو أن الإنسان المصرى العادى هو العنصر الجديد فى الجولة العربية الإسرائيلية الرابعة ... الراهنة . لقد استطاع أحمد وجرجس ... عويس ومرقص أن يواجهوا موشيه وحاييم ... آرى وأفراهام . استطاع خريج الهندسة المصرى المجند مثلا أن يواجه خريج التخنيون - أرقى معاهد التكنولوجيا فى إسرائيل - وكلاهما يدير أعقد الأجهزة الالكترونية ويوجه أشد الأسلحة وأكثرها تعقيدا . استطاع « الفلاح » المصرى أن يواجه « السابرا » الإسرائيلى ، وليد حركة المستعمرات فى إسرائيل - وأكثر من ذلك استطاع أن يضربه .

كان الإنسان العربى ، وهذه هى مفاجأة التاريخ ، على استعداد لأن يعطى بأكثر مما كان منتظرا منه ، بل بأكثر مما كان منتظرا بأى مقياس .»

والطيران ، وأمنت لنفسها عدة رؤوس كبارى داخل سيناء ، وألحقت بالعدو خسائر وصلت إلى ربع طائراته وثلث دباباته تقريبا فى ظرف أسبوع واحد من القتال .

٦ – أنه نتيجة لهذا النجاح ، فإن تحالفا واسعا على الناحية العربية للمعركة قام وراء جبهة القتال تمثل فى عدة خطوط تساند بعضها بطريقة تستطيع تعويض جزء كبير من الانحياز الأمريكى لإسرائيل .

- كانت الجيوش العربية المقاتلة بشجاعة : هى الخط الأول .
- وكانت الجبهات العربية الداخلية التى تجلت حيويتها وإرادتها : هى الخط الثانى .
- وكان دخول سلاح البترول إلى المعركة ، حتى مع دخوله متأخرا : هو الخط الثالث .
- وكانت الوقفة الحازمة للاتحاد السوفيتى – وقد وجد أصدقاءه العرب أخيرا يقاتلون بشجاعة ، وأدرك بوضوح أنها فرصته الأخيرة فى الشرق الأوسط ، أو تضيع منه كل أوراقه فى المنافسة مع الولايات المتحدة : هى الخط الرابع .
- وكان تأييد الرأى العام العالمى وتفهمه – وقد عبر عنه الرئيس الفرنسى « بومبيدو » بقوله « نحن نعرف أن العرب هم الذين بدأوا القتال ، ولكن من الذى يستطيع أن يلوم طرفا يقاتل لتحرير أرض احتلها أعداؤه » : هو الخط الخامس .

٧ – أن تداعيات ذلك كله وتفاعلاته كانت وعدا بعصر عربى جديد تتبدى على الأفق علامات تومىء إليه .. عصر كان يمكن أن يضع العرب فى موضع يرضونه لأنفسهم ، ويرضاه لهم تاريخ عادوا إليه الآن بعاصفة من الدم والنار .

□

وكانت السلبيات فيما جرى من يوم ٦ أكتوبر إلى يوم ٢٦ أكتوبر هى الأخرى ظاهرة – وكان يمكن عدها على النحو التالى :

١ – لم يكن هناك تنسيق كامل بين الجبهة الجنوبية فى مصر وبين الجبهة الشمالية فى سوريا . وإنما اقتصر التنسيق على التخطيط المبدئى للمعركة ، وعلى يومها وساعتها ، ولكن الأمر توقف عند هذا الحد رغم أن القائد العام للجبهتين كان واحدا وهو وزير الحربية المصرى . ومع التسليم بالمعتاد من حرص العرب على أن يكون لكل قبيلة منهم مراعيها الخاصة ومضارب خيامها – إلا أن الظروف كانت تقتضى هذه المرة نوعا آخر من الممارسات . والحاصل أنه لا القائد العام استعمل سلطته فى التنسيق مع الجبهة الشمالية ، ولا الجبهة الشمالية طلبت رأى القائد العام فى توجيه معركتها . ولم يقتصر « استقلال » الجبهتين على الجانب العسكرى ، وإنما امتد إلى الجانب السياسى . وفى ذلك الجانب فإن القاهرة هى التى راحت تتصرف فى الاتصالات الدولية ، حتى أن دمشق فوجئت بمشروع القاهرة للسلام الذى طرحه الرئيس « السادات » أمام مجلس الشعب فى خطابه يوم ١٦ أكتوبر . واستدعى ذلك تساؤلا من جانب الرئيس « حافظ الأسد » .

٢ – أن الرسالة التى بعث بها الرئيس « السادات » إلى « كيسنجر » يوم ٧ أكتوبر عن أن مصر « لا تنوى توسيع مدى أو عمق العمليات الحالية على الجبهة المصرية » – كانت خطأ على مستوى مأساوى . فهذه الرسالة فى ذروة الانتصارات العربية ، كانت عودة إلى أنواع الحلول المطروحة قبل الحرب وصياغاتها – بطريقة غير مبررة وغير متناسبة مع حجم ما تحقق بالسلاح على رقعة ميدان القتال . ثم إنها كانت إخطارا للعدو بالنوايا المصرية غير مقبول فى ظرف حرب ، وقد ساعدته على وجه اليقين كى يعيد ترتيب جدول أعماله وأولوياته ، وتنظيم أفكاره وخططه ، ويتحرك عارفا ومطمئنا إلى أنه يملك الفرصة والوقت . وتكفى مراجعة الطريقة التى تلقى بها « كيسنجر » هذه الرسالة والانطباعات التى خرج بها نتيجة لها – لكى تتضح فداحة الآثار التى ترتبت عليها .

٣ – إضاعة الفرصة المتاحة للتقدم نحو المضايق يوم ٩ أكتوبر ، رغم أن ذلك ما كانت تقتضيه الخطة الأصلية لعملية « بدر » كما تم الاتفاق عليها وجرى توقيعها مع الطرف السورى – يضاف إلى ذلك إلحاح القادة المصريين ، وفى مقدمتهم مدير العمليات فى ذلك الوقت ، اللواء « محمد عبد الغنى الجمسى » – هذا إلى جانب نصيحة الخبراء السوفيت الذين عرضوا ما لديهم من معلومات وصور توضح أن حجم القوات الإسرائيلية فى منطقة الاقتراب من المضايق حجم تستطيع القوات المصرية فى ذلك اليوم أن تفرغ من أمره فى ساعات .

ولو أن التقدم إلى المضايق تم فى موعده المقرر فى الخطة ، لكانت القوات المصرية قد بلغت مواقع طبيعية تستطيع التمركز فيها والدفاع عنها ومنع اجتيازها باختراق مضاد إلى الغرب من قناة السويس – كما حدث فيما بعد . وربما أن مجلس الوزراء الإسرائيلى لم يكن لديه فى هذه الحالة سوى أن يقبل نصيحة وزير الدفاع الجنرال « ديان » بالانسحاب إلى قرب خط الحدود المصرية الأصلى ، وكان ذلك كفيلا بإحداث نتائج سياسية قادرة على صنع حقائق سياسية جديدة فى المنطقة كلها .

وبالطبع فإنه من الظاهر أن التردد فى هذا الأمر كان راجعا إلى التعهد الذى وقع تقديمه لـ « كيسنجر » دون مقابل فى رسالة يوم ٧ أكتوبر المشئومة التى وعدت بـ « عدم توسيع أو تعميق حجم الاشتباكات الجارية على الجبهة المصرية الآن » !

٤ – ويلحق بهذه السلبيات ذلك القرار الذى صدر (تأسيسا على رسالة ٧ أكتوبر لـ « كيسنجر » أيضا) بأن تتخذ القوات المصرية « وقفة تعبوية » يوم ٩ أكتوبر ، ثم تقوم مصر بإعلان هذا القرار رسميا يوم١٠ – فى ذروة انتصارات القوات المصرية ، ودون تشاور مع الجبهة الشمالية ، ومفاجأة للكل بمن فيهم عناصر فى القيادة المصرية ذاتها .

٥ – ثم يجىء ذلك التضارب فى القرارات : تقدم ، ثم توقف ، ثم عودة مفاجئة إلى التقدم – تحت ضغوط الجبهة الشمالية ، واستجابة متأخرة وبعد فوات الفرصة لفريق من القادة العسكريين المصريين فاجأتهم حكاية « الوقفة التعبوية » . فقد صدر القرار بتطوير الهجوم المصرى شرقا والتقدم إلى مشارف المضايق يوم ١٢ لكى يتم تنفيذه يوم ١٣ ، ثم تبدت استحالة التنفيذ فى ذلك

اليوم ، فتأجل الهجوم إلى يوم ١٤ ، وكانت الفرصة قد أفلتت تماما ، وتعرضت القوات المصرية المهاجمة إلى صدمة لم تكن تستحقها ، وإن كان بعض القادة قد توقعوها واحتجوا مبكرا عليها .

٦ – دفع الفرقتين السادسة عشرة والرابعة المدرعتين إلى الشرق فى سيناء يومى ١٢ و١٣ لكى تشتركا فى تطوير هجوم فات وقته ، ويكون من شأن ذلك أن يحرم الجيش المقاتل من احتياطيه الاستراتيجى ، خصوصا وأن هذا الاحتياطى الاستراتيجى كان مكلفا من الأصل بتنفيذ الخطة ٢٠٠ التى تحسبت لاختراق إسرائيلى مضاد ، ورصدت القوات الكافية لضربه . وبذلك فإن عمق الجبهة المصرية انكشف دون مبرر معقول ، كما أن قدرة القوات على المناورة وجدت نفسها مقيدة حين وقع ما سبق التحسب له .

٧ – عدم التنبه المبكر إلى الثغرة الإسرائيلية – العبور المضاد (مساء يوم ١٥ أكتوبر) إلى الغرب – فى الوقت المناسب ، والميل إلى التقليل من خطورتها مما ترك لها الفرصة ليستفحل أمرها . ثم ما أعقب ذلك من خلاف حول أسلوب مواجهة هذا العبور المضاد ، مما مكنه من تحقيق أهدافه ودفع قواته إلى العريدة فى الشرق ، ومحاولة تدمير حائط الصواريخ المصرى ، بالإضافة إلى احتلال أرض جديدة للمساومة عليها بعد وقف إطلاق النار .

ولقد بدا القرار السياسى فى ذلك الوقت مرتبكا ومتعثرا ، مما انعكس أثره على جبهة القتال ، ومد تأثيره إلى الجبهة الداخلية دون داع أو ضرورة .(٢)

٨ – القبول بقرار لوقف إطلاق النار وتحديد موعد له دون التشاور مع سوريا ، وحتى دون إخطارها بالساعة . ولم يكن ذلك جائزا فى أوضاع حرب على جبهتين ومهما كان من شأن انعدام التنسيق فى العمليات قبل ذلك . فقرار بقبول وقف إطلاق للنار أمر خطير تترتب عليه نتائج واسعة المدى ، ولم يكن من حق القيادة العامة السياسية للحرب على الجبهتين أن تتصرف فيه منفردة ، أو تترك للسوفيت مهمة إخطار السوريين به – مهما كانت التبريرات .

٩ – ثم تجىء بعد ذلك سلسلة التصرفات العصبية عندما بدا إصرار إسرائيل على مواصلة خرق وقف إطلاق النار : من الشكوى إلى « كيسنجر » – إلى طلب مراقبين للإشراف على الخطوط – إلى طلب قوة أمريكية سوفيتية على الأرض – إلى التراجع عن هذا الطلب تحت ضغط « كيسنجر » ودون إخطار السوفيت (الذين فوجئوا بأمر واقع أهدر موقفهم الحازم بعد أن وصل

---

(٢) كتبت يوم ١٩ نوفمبر ١٩٧٣ مقالا نشر فى الأهرام ، وجاء فى نهايته بالحرف :

« إننى لا أتصور أن تعيش مصر هذه اللحظات فى جو تعتيم فكرى . والتعتيم فى شوارعنا ضرورة ، لكن التعتيم فى رؤيتنا للصورة الحقيقية لا مبرر له . ولقد كتبت ما كتبت (فى هذا المقال) إحقاقا للحق وإنصافا للواقع ، وكان فى ضميرى طول الوقت جهد أعظم الرجال ، وأشجع المقاتلين ، وأشرف الأجيال التى عاشت حتى الآن على أرض مصر .

رجال أعطوا وقاتلوا وأكدوا قيمتهم وقيمة وطنهم ، ولا تستطيع قوة على الأرض – ولا يجب أن نسمح لقوة على الأرض أن تسرق عطاءهم وقتالهم وتأكيدهم لقيمتهم وقيمة وطنهم .

لقد صنعوا ما صنعوه كله بالدم وفى النور .

ولا يمكن أن يضيع شىء منه بالغدر وفى الظلام .»

بالأزمة كلها إلى مستوى مواجهة دولية على القمة) . ثم انتهى ذلك كله إلى رسالة من الحكومة الإسرائيلية عن طريق « كيسنجر » تقترح مفاوضات عسكرية مباشرة « لا تقصد إلى إلحاق المهانة بمصر أو الاستسلام » ، وهو تحول غريب فى مسار حرب بدأت على مستوى ممتاز ، وانزلقت إلى مأزق لا ضرورة له ، ثم قبلت بما لم يكن هناك داع إلى القبول به .



لو أن عملية إعادة التقييم التى كانت ضرورية - جرت بعد أن تم تثبيت خطوط وقف إطلاق النار فى الأيام الأخيرة من شهر أكتوبر ١٩٧٣ - لتبين منها أن الصورة العامة ، فى المحصلة النهائية ، لم تكن سيئة إلى الدرجة التى بدت بها لصانع القرار المصرى مع بداية مرحلة أخرى من الصراع العربى - الإسرائيلى كانت على وشك أن تجىء بعد أن تسكت المدافع - أو على الأقل تهدأ ولو مؤقتا - على ميادين القتال .(٣)

لكن هذه العملية - لسوء الحظ - لم تحدث ، وراح القرار المصرى يواصل حركته العصبية المتعثرة فى اتجاهات متعددة ومختلفة ، وأحيانا متعارضة ومتصادمة . وحين كان الرئيس « أنور السادات » يسأل فى ذلك - فقد كان رده باستمرار أنه يريد أن « يحافظ على حجم انتصاره » - وكان ذلك حقا لاشك فيه وواجبا ، لكن ذلك الحق والواجب كان يحتاج فى تلك الأيام إلى قدر كبير من ضبط النفس وهدوء الأعصاب وحسن الاستعداد لمرحلة مختلفة كانت بالتأكيد قادمة بينما زيارة « هنرى كيسنجر » للمنطقة يجرى الإعداد لها والتحضير ، والكل يتوقع بل ويعرف أنها علامة فاصلة بين مرحلتين .

---

(٣) فى مقال منشور بالأهرام يوم ٩ نوفمبر ١٩٧٣ كتبت أقول بالحرف :
« ليس من حق الولايات المتحدة ولا غيرها أن يقولوا لنا : إنكم عبرتم إلى الشرق من قناة السويس ، ولكنهم أيضا عبروا إلى الغرب من قناة السويس ... وهنا نتوقف لنقيم ميزانا جديدا .

وهناك فارق فى الحقيقة بين عبور وعبور ، هناك فارق بين العبور المصرى أمام حصون خط بارليف وضد عدو حاول ترسيخ تفوقه ، وبين عبور إسرائيلى فى خضم معركة وضمن حركة اختراق ممكنة فى مسار الحروب ... مع التسليم بأنه لم يكن هناك ما يبرر وقوعها على النحو الذى وقعت به ولا التأخير فى حصرها وتصفيتها .

وربما كنت واحدا من الذين يعتبرون أن هذه النتيجة - برغم ذلك - وحتى بمقتضى المعايير الأمريكية هى لصالح العرب أكثر مما هى لصالح إسرائيل ، وذلك لسبب واضح :

كنا مهزومين ... ولم نعد مهزومين ... وهذا من وجهة نظرنا ونظر غيرنا صعود إلى أعلى .

وكانوا منتصرين ... ولم يعودوا منتصرين ... وهذا من وجهة نظرهم ونظر غيرهم هبوط إلىَ أدنى .

لكننى أسلم بأن هذا الوضع يمكن أن يكون خطيرا إذا وقفت الأمور عند هذا الحد وعادت الأمور إلى حالة الجمود مرة أخرى ومضت عليها الشهور والسنون ! »

ولعل إسرائيل لم تكن تريد أن تترك للرئيس « السادات » فرصة يستعيد فيها زمام فكره ويعيد ترتيب أوراقه ، واختارت أن تكون وسيلتها في ذلك هي استمرار محاولتها لتطويق الجيش الثالث .

وعادت القوات الإسرائيلية تتحرك وتمنع المراقبين الدوليين من الوصول إلى المواقع التى تكفل لهم متابعة ما يجرى على الأرض . ووجد الرئيس « السادات » نفسه مضطرا إلى استخدام القناة السرية مرة أخرى فى رسالة تحمل اسمه وموجهة إلى الرئيس « نيكسون » مباشرة . وكان نصها كما يلى :(*)

« عاجل جدا
من الرئيس السادات
إلى الرئيس نيكسون

١ - إنى أتحدث إليكم عن الموقف فى القطاع الجنوبى ، وأنتظر تدخلكم الشخصى والفورى .
٢ - إن الإسرائيليين قد استغلوا الفترة ما بين تنفيذ قرارات وقف القتال بتاريخ ٢٢ - ٢٣ أكتوبر ١٩٧٣ ، لتوطيد أنفسهم عبر خطوط مواصلات الجيش الثالث المصرى ، فى محاولة لعزله ، وإرغامه على الاستسلام فى مهانة . والإسرائيليون حتى هذه الساعة يحولون دون وصول مراقبى الأمم المتحدة إلى المنطقة المشار إليها .
٣ - إن الدولتين العظميين تتحملان مسئولية كبرى فى مراعاة أن قرارات مجلس الأمن يجرى تنفيذها فورا وعلى وجه كامل .
٤ - وصراحة إننى لا أرى كيف يمكن لنا الإعداد للمناخ المناسب لمباحثات بناءة مع وزير الخارجية الأمريكى خلال زيارته فى ٦ نوفمبر ، إذا استمر هذا الموقف سائدا .
وأود إخطاركم بأننا استعدادا للزيارة ، نعمل فى وضع مقترحات شاملة نأمل فى أن تكفل نقطة تحول ، نحو تسوية سلام نهائية .
٥ - وإن مسئولياتى تجاه قواتنا المسلحة ، تضطرنى إلى النظر فى إجراءات تتخذ - بصرف النظر عن العواقب - لإعادة فتح خطوط المواصلات إلى الجيش الثالث . وفى اعتبارنا أن مثل هذه الإجراءات لها ما يبررها على ضوء قرارات مجلس الأمن .
٦ - وأنا جار إخطار الاتحاد السوفيتى بهذه الرسالة . »

كان نص الرسالة واضحا ومعناها جليا ، خصوصا فى البند الرابع منها حيث هدد الرئيس « السادات » ضمنا بإلغاء زيارة وزير الخارجية الأمريكى إلى القاهرة .

ولكن التضارب وقع فى نفس اليوم - حين بعث السيد « حافظ اسماعيل » بعد ثلاث ساعات برسالة منه إلى الدكتور « هنرى كيسنجر » قال فيها بالحرف :(*)

(*) فى ملحق صور الوثائق توجد صورة لأصل هذه الرسالة ، وهى منشورة تحت رقم (١٠٢) - على صفحة ٨٤١ من الكتاب .
(*) فى ملحق صور الوثائق توجد صورة لأصل هذه الرسالة ، وهى منشورة تحت رقم (١٠٣) - على صفحة ٨٤٢ من الكتاب .

« من السيد حافظ اسماعيل

إلى الدكتور هنرى كيسنجر

أشكركم على رسالتكم بتاريخ ٢٥ أكتوبر ١٩٧٣ بصدد التدابير المقترحة لزيارتكم لمصر يوم ٦ نوفمبر ١٩٧٣ .

١ - نحن نوافق على النص الذى اقترحتموه للإعلان عن الزيارة ، وسوف نتخذ الإجراءات اللازمة لإصداره فى القاهرة سعت ١١,٠٠ صباحا بتوقيت واشنطن ، أى سعت ١٨,٠٠ بتوقيت القاهرة .

٢ - سوف نرتب لكم اللقاءات المناسبة لضمان أقصى فاعلية لمهمتكم .

٣ - سوف نرحب بأى عدد من الأشخاص - صحفيين أو غيرهم - يكون برفقتكم ، وسوف نتخذ الترتيبات الإدارية اللازمة فى هذا الصدد .

٤ - نوافق على الزيادة المؤقتة فى عدد العاملين بقسم رعاية المصالح الأمريكية فى القاهرة ، الزيادة التى يتراءى لكم أنها ضرورية لتسهيل مهمتكم فى مصر ، ويمكن لقسم رعاية المصالح الأمريكية الاتصال بمكتب وزير الخارجية بصدد التفاصيل الفنية .

٥ - ولسوف نبذل غاية وسعنا لضمان أن تتم زيارتكم فى جو بناء ، ونأمل أن تعمل الولايات المتحدة على المنوال ذاته .

٦ - مبلغ فهمى أنكم اطلعتم على آخر رسالة من الرئيس السادات إلى الرئيس نيكسون . »

وهكذا كان الرئيس « السادات » يلوح بإلغاء الزيارة ، وفى نفس الوقت كان مستشاره للأمن القومى - بعد ثلاث ساعات - يستأنف الحديث عن ترتيباتها ، وإن أضاف فى آخر بند من رسالته إشارة إلى الرسالة السابقة من الرئيس « السادات » إلى الرئيس « نيكسون » .

□

لم يكن الموقف مقلقا فى حد ذاته إلى هذه الدرجة ، ولكن الذى كان مثيرا للقلق هو العصبية الظاهرة فى التصرفات - رغم أن حقائق الموقف على الأرض كانت تشير إلى تحولات جارية تأخذ من الموقف الإسرائيلى وتعطى للموقف العربى .

● ● ● فى الموقف الإسرائيلى :

١ - كانت نظرية الأمن الإسرائيلى قد انكسرت على المستوى الاستراتيجى ، وهذه حقيقة لم يكن فيها شك . وأحدث هذا الانكسار حالة صدمة عسكرية وسياسية لم يسبق لها مثيل فى تاريخ إسرائيل ، وقد أدى ذلك بدوره إلى أن تركيبة القيادة السياسية والعسكرية فى إسرائيل انفكت روابطها وتمزقت علاقاتها .

٢ - كان انعكاس كسر نظرية الأمن الإسرائيلى أشد ما يكون على الجيش الإسرائيلى - فهذا الجيش عاش لسنوات طويلة أمل إسرائيل النهائى وموضع اعتزازها الأول ، وكانت قوته وكفاءته واستجابته السريعة لمتطلبات أمن إسرائيل قد ارتقت به إلى مرتبة الآلهة . وهكذا فإن الجيش الإسرائيلى كان أول الأصنام التى ضاعت قداستها ، كما أن أصناما أخرى بدأت تترنح وعلى وشك السقوط - مثل المخابرات الإسرائيلية التى كانت موضع حسد قوى عظمى ، ثم انكشفت

بالتجربة العملية – فإذا هى غائبة فى الوقت الذى كان حضورها فيه ألزم ما يكون . ولم يكن غيابها بالمعلومات فقط ، لكنه كان أيضا فى التحليل والربط والاستنتاج .

٣ – وأدى انكسار نظرية الأمن واهتزاز صورة الجيش الإسرائيلى ، والمخابرات الإسرائيلية ، إلى ثورة عارمة فى أوساط الرأى العام الإسرائيلى ، وراح الكل يتنصل من المسئولية ، وتطايرت الاتهامات ، وبدأت تصفية الحسابات – كل ذلك وأجواء الحرب مازالت محيطة بالآفاق . ولم يقتصر تبادل الاتهامات على سياسيين ضد سياسيين ، وإنما امتد إلى عسكريين ضد سياسيين ، وسياسيين ضد عسكريين ، بل إلى عسكريين ضد عسكريين . وكانت الصورة العامة كئيبة .

وتضاءلت وذابت أساطير ، ومنها أسطورة « جولدا » التى كان الظن أنها من فصيلة النمور المتوحشة ، فإذا هى قطة عاجزة بوقر السنين . وبينها أسطورة « موشى » (« ديان ») الذى كان الظن أنه « البطل الإسرائيلى المحارب » – فإذا معدنه يسيح تحت حرارة نيران أكتوبر .

٤ – وكان الموقف العسكرى الإسرائيلى على الأرض بالغ الخطورة ، فإن قيادة هذا الجيش وهى التى رغبت فى نشره فوق أوسع رقعة من الأرض غرب قناة السويس ، وبسرعة قبل سريان قرار وقف إطلاق النار ، وبعد سريانه بأيام – حققت له الاتساع فى الرقعة ، ولكنها لم تستطع أن تحقق له أى توازن بالعمق . وفى الحقيقة فإن انتشار الجيش الإسرائيلى من سعسع قرب دمشق ، إلى السخنة جنوب السويس ، كان خطا طويلا (أكثر من خمسمائة كيلو متر) يعجز أكبر الجيوش فى العالم عن الاحتفاظ به طويلا والدفاع عنه بكفاءة .

(وكانت تلك أخطر مواضع الانكشاف فى موقف إسرائيل فى هذه الفترة ، فالعنصر الحاسم فى أى خط عسكرى ليس مجرد طوله ، ولكن عمقه بالدرجة الأولى وتوازن هذا العمق مع الطول) .

٥ – أن هذا الطول المخيف فى الخطوط الإسرائيلية ، والذى كان يكشفها ويعرضها ، كان يفرض فى نفس الوقت استمرار التعبئة العامة إلى أقصى درجاتها . وفى حين أن إسرائيل تعودت من تجارب الماضى أن تفك التعبئة العامة لقواتها بأسرع ما يمكن – فإنها فى تجربة سنة ١٩٧٣ وجدت نفسها مرغمة على الاستمرار فى عملية التعبئة العامة لدعم خطوط طويلة وهشة ، وكان ذلك يعنى أن عجلة الإنتاج الإسرائيلى فى الزراعة وفى الصناعة – وحتى فى الخدمات – متوقفة تماما أو على وشك أن تتوقف .

٦ – وكان انعكاس ذلك كله على الخارج شديدا ، فالعالم الذى تعود على رؤية إسرائيل فى صورة ، اكتشفها فى صورة مختلفة .

وكانت الولايات المتحدة أكثر المذهولين من الصورة الجديدة ، وأول الذين طلب إليهم تحمل تكاليفها ودفع ضرائبها بإمدادات السلاح ومساعدات المال – وأخطر من ذلك احتمال خطر مواجهة نووية مع الاتحاد السوفيتى .

وكذلك كان الحال مع الحركة اليهودية الدولية ، وقد طلبت منها إسرائيل على الفور جمع ألف مليون دولار تبرع طوارىء .

ونفس الشيء مع أوروبا الغربية .

□

● ● ● وكان الموقف العربى يتحسن بوضوح :

١ - استطاعت القوات المصرية أن تعيد نوعا من التوازن إلى جبهتها . وبرغم الضغوط التى كانت إسرائيل تحاول تركيزها على الجيش الثالث ، فإن هذا الجيش كان يقاوم ببسالة ، كما أن أوضاعه الحقيقية كانت أفضل بكثير من الصورة التى تخيلتها السياسة من بعيد . هذا مع التسليم بأن إسرائيل حاولت بالفعل أن تجعل من الجيش الثالث رهينة تساوم عليها . لكن هذه المحاولات كانت غير قادرة على النجاح بسبب انتشار القوات الإسرائيلية وعدم قدرتها على تركيز مجهود رئيسى يقدر على تصفية موقف جيش بأكمله .

٢ - ولقد زاد على ذلك أن الأعصاب فى القيادة هدأت عندما بدأت دواعى الخطر التى أقلقتها تتراجع على الأرض . وعلى سبيل المثال ، فإنه فى يوم ٢٧ أكتوبر لم تكن هذه القيادة تملك على طول المسافة من خطوط السويس إلى القاهرة أكثر من ٧٤ دبابة . لكن الذى حدث فى الأيام الأخيرة من أكتوبر ، والأيام الأولى من نوفمبر ١٩٧٣ - أن مددا ضخما أصبح تحت تصرف هذه القيادة . فقد توجه السفير السوفيتى « فلاديمير فينوجرادوف » إلى مقابلة الرئيس « السادات » يوم ٢٨ أكتوبر ، وأبلغه أن القيادة السوفيتية قررت تعويض الجيش المصرى عن بعض خسائره من الدبابات ، وأهدته ٢٥٠ دبابة واصلة فى ظرف ٤٨ ساعة إلى ميناء الاسكندرية ، وكلها من طراز « تى - ٦٢ » .

وفى نفس الوقت بعث الرئيس « تيتو » إلى الرئيس « السادات » يخطره بأن لواء كاملا من الدبابات فى طريقه إلى مصر .

وفى نفس الوقت أيضا فإن لواء دبابات جزائرى وصل إلى مصر .

وفى المحصلة ، فإن القيادة التى لم يكن لديها ما بين خطوط السويس والقاهرة يوم ٢٧ أكتوبر غير ٧٤ دبابة - وجدت نفسها مع الأيام الأولى من نوفمبر وإذا تحت تصرفها ما يقرب من ٨٠٠ دبابة .

٣ - وكان العالم العربى بأسره - كما لاحظ الرئيس « السادات » - على استعداد لأن يستجيب لأى طلبات مصرية . فقد كانت تضحية النار ظاهرة أمام الجميع . ولم يكن من السهل على أحد أن يتردد إزاء شيء يطلب منه ، هو على وجه اليقين أرخص من الدم . وكان سلاح البترول لايزال مشهرا ، فتخفيض الانتاج كان يتم تلقائيا كل شهر بنسبة ٥٪ ، كذلك كانت قرارات

الحظر شبحا يهدد ويردع . وكان أمر الفوائض المالية العربية سؤالا معلقا على كل الأسواق التى راحت تسترضى العرب بكل وسيلة .

وإلى حد كبير فإن الضغط السياسى العربى كان يمارس دوره أيضا . وعلى سبيل المثال فإن الملك « فيصل » كتب بتاريخ ٢٨ أكتوبر ١٩٧٣ رسالة (٤) يرد فيها على « هنرى كيسنجر » ، كان نصها :(*)

« معالى الوزير هنرى أ .كيسنجر

استلمنا إفادتكم بخصوص مسعاكم لتنفيذ قرارات مجلس الأمن رقم ٣٣٨ و٣٣٩ ، وكما يعلم معاليكم ان الذى يحل الموضوع هو انسحاب إسرائيل من جميع الأراضى العربية المحتلة ، وإعطاء الشعب الفلسطينى حقوقه المشروعة لأن هذا هو أساس المشكلة ، فإذا لم يسارع بتنفيذ ذلك فستظل هذه المشكلة قائمة ولا فائدة من الحلول الجزئية المؤقتة ، إذ المهم هو إيجاد الحل العادل الذى ترضى عنه جميع الأطراف المعنية ، لأنه بدون ذلك فسوف تظل هذه الأطراف فى حالة الاستعداد لاستئناف القتال قريبا كان ذلك أم بعيدا . ولهذا ينبغى توجيه الجهود لاستئصال هذه المشكلة من جذورها لتنعم المنطقة بالأمن والاستقرار وتلتفت لبناء بلادها وازدهار اقتصادها .

فيصل آل سعود »

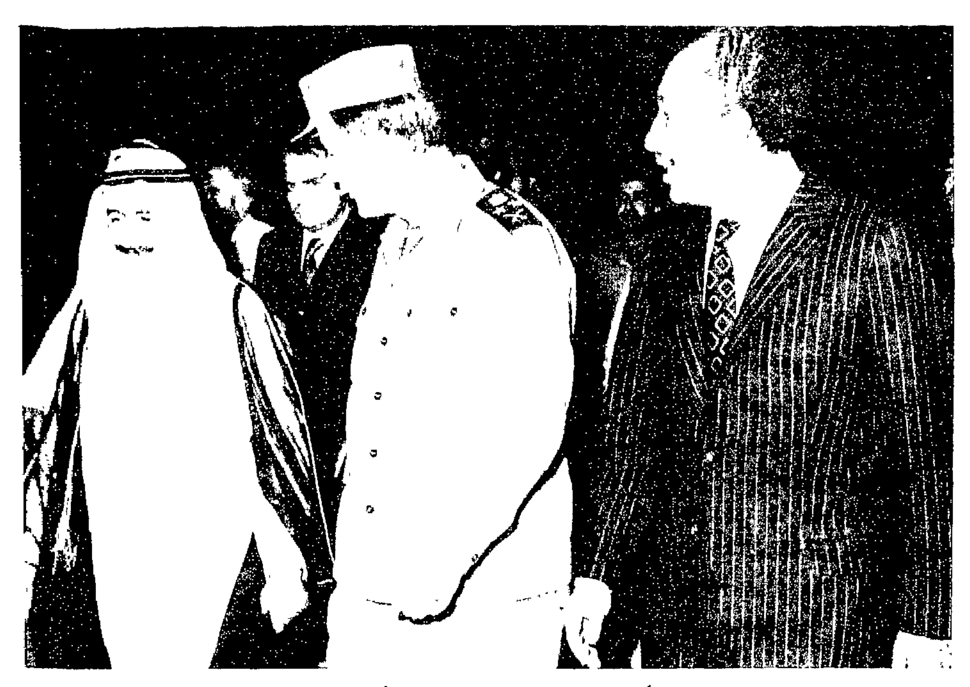
٤ – واستطاع الرئيس « السادات » تلطيف الأجواء فى العلاقات بينه وبين الرئيس « حافظ الأسد » . فقد كان التوتر الذى شاب العلاقات بينهما أثناء المعركة ، سواء بسبب اختلاف العمليات عند التنفيذ عما سبق أن اتفق عليه عند التخطيط ، أو بسبب المشروع الذى طرحه الرئيس « السادات » للسلام فى خطاب يوم ١٦ أكتوبر أمام مجلس الشعب ، أو بسبب قبوله المنفرد بقرار وقف إطلاق النار فى ٢٢ أكتوبر فى مجلس الأمن – قد أثر على شريكى القتال تأثيرا واضحا أحست به العواصم العربية وراحت تلح من أجل تصفيته بسرعة ، خصوصا وأن خطر تجدد القتال كان مازال احتمالا مطروحا . وهكذا رتب الرئيس « السادات » موعدا للقاء الرئيس « حافظ الأسد » فى مطار الكويت يوم أول نوفمبر دام ست ساعات ، وحضر جزءا منه أمير الكويت الشيخ « صباح السالم الصباح » (وقتها) . وقد تعاتب الرئيسان طويلا ، واحتدت المناقشات بينهما كثيرا ، ثم اتفقا على قلب صفحة جديدة استعدادا لما هو قادم من تطورات – شرط التشاور المستمر والتنسيق .

وكان الرئيس « السادات » قد مر بالرياض فى طريق عودته من الكويت . فقد أرسل إليه عدد من الأمراء ، وبينهم الأمير « فهد » (الملك « فهد » الآن) يرجونه أن يجىء لتهدئة الملك « فيصل » لأنه « متشدد جدا » مع الأمريكان ، وهو لا يريد أن يقابل « كيسنجر » عندما يجىء إلى المنطقة « لأن المملكة لم يدخلها فى تاريخها يهودى » .

---

(٤) محفوظات الديوان الملكى السعودى – المكتب الخاص – ملف أعده « عمر السقاف » .

(*) وتوجد فى ملحق صور الوثائق صورة لأصل هذه الرسالة ، وهى منشورة تحت رقم (١٠٤) – على صفحة ٨٤٣ من الكتاب .



الرئيس السادات وأمير الكويت والرئيس حافظ الأسد فى مطار الكويت .

وعندما عاد الرئيس « السادات » إلى القاهرة ، كان يروى باعتداد « أن فيصل سوف يقابل كيسنجر من أجل خاطرى أنا » .

٥ – ومع هذه العوامل الايجابية التى راحت تؤكد نفسها فى الموقف المصرى ، فإن الاتحاد السوفيتى عاد من جديد يطارد أمله فى الحصول على مركز فى الأزمة يتساوى مع حجم مساعداته للعرب كما يراها من وجهة نظره . وهكذا ، فإن الاتحاد السوفيتى بعد مفاجأته بتراجع الرئيس « السادات » عن طلب قوات أمريكية – سوفيتية مما أفرغ المواجهة بين القوتين الأعظم فى ذروة الأزمة من مضمونها – عاد مرة أخرى يمنى نفسه بأنه قادر على المحافظة على مواقعه فى الشرق الأوسط ، والبحر الأبيض ، وإفريقيا . ومع أن ذلك كان أشبه ما يكون بموقف المقامر الذى يدفع بكل رصيده إلى المائدة آملا فى تعويض خسائره ، فإن هذا الموقف – مهما كانت دوافعه – كان مفيدا للموقف العربى فى تلك الأوقات . فقد حافظ على بقاء أزمة الشرق الأوسط عند مستوى القمة الدولية .

٦ – وكان موقف أوروبا الغربية مختلفا بشدة عما كان معهودا من قبل . وعلى سبيل المثال فقد ذهب السفير الألمانى فى القاهرة وقتها إلى مقابلة مع الأمين العام لجامعة الدول العربية السيد « محمود رياض » ، يشكو إليه من أن الإعلام العربى يحمل نبرة تهديد إزاء ألمانيا الغربية تلوح لها بشبح سلاح البترول . ثم سأله : « ماذا تريدون من ألمانيا أكثر من أن تعلن فى كل مناسبة أنها متمسكة بتنفيذ قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ كاملا ؟ » .. ورد عليه السيد « محمود رياض »

من واقع إحساسه بقوة الموقف العربى – قائلا : « يا سعادة السفير ، إن جامبيا ، وهى دولة إفريقية صغيرة وفقيرة ، لم تكتف بأن تقول إنها ملتزمة بتنفيذ قرار مجلس الأمن كاملا ، وإنما وصلت إلى أبعد من ذلك ، فقطعت علاقاتها مع إسرائيل » .

وفى مثال آخر ، فإن السفير البريطانى السير « فيليب آدامز » ، ذهب إلى مقابلة مع الرئيس « السادات » يوم ٣٠ نوفمبر يحمل إليه رسالة شفوية من المستر « ادوارد هيث » رئيس الوزارة البريطانية ، يرجوه فيها أن يرفع الحصار المصرى عن مضيق باب المندب ، لأن استمرار بقائه يؤثر على حركة الملاحة فى البحر الأحمر والمحيط الهندى . وقد وعده الرئيس « السادات » بأن ينظر فى الأمر على ضوء التطورات والتصرفات !

وفى قصر الطاهرة فى ذلك المساء ، كان الرئيس « السادات » يروى تفاصيل مقابلته مع السفير البريطانى ، ورسالة رئيس الوزراء البريطانى إليه ، ووعده بأنه « سوف ينظر فيها ... » .

ثم أبدى الرئيس ملاحظة قال فيها : « الانجليز الآن يستأذنوننا فى حرية الملاحة فى البحار » .

وأبدت السيدة « جيهان السادات » تعليقا قالت فيه على سجيتها : « أما والله حكاية باب المندب دى جت من السماء » (لم تكن بالتأكيد تقصد أنها جاءت مصادفة ، وإنما عنت – وكان ذلك واضحا من لهجتها – أن الفكرة أعجبتها) . وغضب الرئيس « السادات » والتفت إليها قائلا بحدة : جرى ايه يا جيهان ؟ انت فاكراها « ستروبيا » ؟ دى مسألة مترتبة . »(٥)

ومن المفارقات أنه فى نفس مساء هذا اليوم تلقت المخابرات المصرية معلومات عن احتمال هجوم تقوم به « طائرات معادية » على إحدى المدمرات المصرية المشتركة فى الحصار . واتصل الفريق « أحمد اسماعيل » بالرئيس « السادات » يطلب إذنه ليعطى أمرا للمدمرات بأن تبتعد قليلا عن باب المندب وتتوجه إلى ميناء مقديشيو – عاصمة الصومال – فى رحلة تستغرق ثلاثة أو أربعة أيام حتى يتم التأكد من المعلومات وإمكانية صحتها . وكان مطلوبا من الرئيس « السادات » – إلى جانب الإذن – أن يبعث إلى الرئيس الصومالى « محمد سياد برى » رجاء بقبول استضافة المدمرات ، وتوفير حماية كافية لها فى ميناء مقديشيو .(*)

---

(٥) كانت فكرة إثبات وجود مصرى مؤثر وفاعل عند المدخل الجنوبى للبحر الأحمر موجودة فى مشروع الخطة الابتدائية لـ « عبد المنعم رياض » ، وكان المنطق فيها أن يثبت لإسرائيل أن قفل الملاحة عليها فى البحر الآحمر ليس ضروريا أن يجرى عند خليج العقبة .

(*) قبل الرئيس « سياد برى » استقبال المدمرات وكانت تلك مخاطرة من جانبه ، ومع ذلك فإن المدمرات لم تبق طويلا فى ميناء مقديشيو لإحساسها بعدم توافر امكانيات الحماية اللازمة .

٣

وكان الرئيس « أنور السادات » يحتاج – فيما بينه وبين نفسه – إلى عملية من نفس النوع . عملية إعادة تقييم لأدائه ، وترتيب لأفكاره ، وتنظيم لأساليب عمله . فقد كان هو الآخر ينتقل من مرحلة إلى مرحلة فى دوره الوطنى والقومى.

كانت الظروف حتى الآن قد ساعدته ، ومن الإنصاف القول إنه هو أيضا ساعد الظروف باستجابة مرنة للحوادث ، وفكر مفتوح للآراء ، وتوجيه قاعدة اقتصادية اجتماعية سليمة رغم شرخ سنة ١٩٦٧ ، وإدارة قوة فعل سياسى داخلى وخارجى مستمرة من ماض سبقه ، وصحبة مجموعات من الاصدقاء والمستشارين وجد بعضهم أمامه واختار بعضهم الآخر .

لكن هذه العوامل كلها وصلت إلى قرب نهاية طريق ، فقد طرأت مستجدات فى مصر وفى المنطقة وفى العالم ، أصبحت فى حاجة إلى عوامل دفع متجددة .

وبصفة عامة فإنه منذ بدء رئاسته فى أكتوبر ١٩٧٠ – وحتى أكتوبر ١٩٧٣ – كان يواجه فى واقع الأمر مشكلة واحدة :

– **الحل أو الحرب ؟**

ثم إنه طوال هذه الفترة كلها كان يعطى الأولوية لموقف قوة واحدة كان فى يدها أن تساعد أو تعطل قرار الحل أو الحرب ، وهى :

– **القوات المسلحة !**

ولقد كان ما لديه من قبل يكفيه لمواجهة شواغله ، وأما الآن فإنه أمام مهام تتسع ، وأمام خيارات تتعدد مجالاتها فى الداخل وفى الإقليم وفى الخارج .

□

ويقول وزير الخارجية الأمريكية الأسبق « جورج شولتز » (وكان وزيرا للخارجية مع الرئيس « رونالد ريجان » لمدة ست سنوات ، اثنتان من رئاسته الأولى ، وطوال كل رئاسته الثانية – ٤ سنوات) – إن رؤساء الدول نوعان :

- نوع لديه أفكار طازجة ، وهو لذلك يحتاج إلى مطبخ رئاسى لإعدادها .
- ونوع لديه أفكار معلبة محفوظة فى الثلاجات لحين الحاجة إلى الاستهلاك .

وربما أن وزير الخارجية الأمريكية الأسبق لم يتنبه (بسبب تجربته في دولة متقدمة) إلى أن هناك نوعا ثالثا من الرؤساء فى تجربة العالم النامى – قد لا تكون لديه أفكار طازجة ، وقد لا يكون ما لديه كله أفكارا معلبة محفوظة فى الثلاجات .

وعلى سبيل المثال ، فإن الرئيس « السادات » لم تكن لديه – للحق – أفكار طازجة ، ولكنه أيضا لم يكن – للعدل – معتمدا بالكامل على أفكار معلبة .

كان وضعه بين بين ، ولعله كان أقرب إلى رئيس خرج إلى رحلة التجربة ومعه بعض الـ « سندويتشات » (الشطائر) ، لا هي بالطازج ، ولا هي بالمعلب ، وإنما هي شيء بين الاثنين .

لكنه في نهاية حرب أكتوبر ، ومع بداية مرحلة جديدة حاسمة في الحل والحرب وما بعدهما – كان الرئيس « السادات » في حاجة إلى أفكار طازجة ، وإلى مطبخ سياسي يساعده على إعداد ما يحتاج إليه .

وقد كان أظهر الرسميين في مطبخه السياسي اثنين ، هما مستشاره للأمن القومي السيد « حافظ اسماعيل » ، وقائد جيوشه الفريق « أحمد اسماعيل علي » .

□ كان السيد « **حافظ اسماعيل** » شخصية مستقيمة بكل المقاييس ، فقد بدأ عسكريا ، وحصل على أرقى تعليم تتيحه الظروف لمصري سواء في داخل مصر أو خارجها . وعندما ترقى في سلك القوات المسلحة ووصل إلى حد أن يصبح مدير مكتب المشير « عبد الحكيم عامر » لسنوات طويلة – فإن الرجل حاول أن يقوم بواجبه بكفاءة وأمانة . ولعله اكتسب من هذه الفترة بعض ملامح شخصيته كما عرفها الناس فيما بعد ، وكان أبرزها مظهر جاد ، ولهجة في الحديث متأنية ، ونبرة في الصوت تحاول أن تحتفظ لنفسها بمسافة بينه وبين الآخرين ، ولعل ذلك كان من تأثير إحساسه بأنه مضطر للتعامل مع عدد من الضباط السياسيين – من تنظيم الضباط الأحرار – كانوا مازالوا في الجيش ، وكانت سلطتهم الحقيقية بالتأكيد أكبر من رتبهم العسكرية الظاهرة على أكتافهم . وربما أن الرجل أراد أن يحترم نفسه بهذه المسافة بينه وبين من يتعامل معهم . وفي كل الأحوال فإن الملامح التي اكتسبها « حافظ اسماعيل » في هذه المرحلة من عمله أثبتت نفعها في مراحل أخرى عمل فيها الرجل – على غير استعداد – سفيرا ، ثم مديرا للمخابرات ، ثم وزيرا للدولة ، حتى اختاره الرئيس « السادات » مستشارا له لشئون الأمن القومي . وكان المنصب – إلى جانب كل مقتضياته الفنية – منصبا سياسيا . وفي بحر السياسة فإن الرجل كان يحس بالغربة لأن تجربته في معظمها كانت تجربة وظيفية .

ولقد أدى الرجل دوره أثناء حرب أكتوبر وهو يحس بنوع من التمزق الداخلي بلغ أقصاه في مسألة الاتصالات عن طريق القناة السرية ، وكانت كل مراسلاتها بتوقيعه وتحت مسئوليته .

ولقد أطاع الأوامر الصادرة إليه وهو في أعماقه غير مقتنع بما يفعل فيما هو ظاهر من تصرفاته . ولم يكن راضيا عن مسار الحرب ، ولا عن الطريقة التي انتهت إليها الأمور يوم وقف إطلاق النار . ولقد أطاع لأن تجربته الوظيفية في السلك العسكري كانت تفرض عليه أن ينفذ الأوامر أولا ، ثم يتظلم منها إذا شاء بعد ذلك . وقد نفذ بولاء ، لكنه لم يستطع أن يرفع ظلامته ، وحين حاول فقد جرى صده ، وتأزم الرجل إلى درجة أصبحت مرئية في تصرفاته .

وفى كل الأحوال فإن الرئيس « السادات » أحس ، ونقل إليه الإحساس بأن دوره قد انتهى، وقدم الرجل استقالته من منصب مستشار الأمن القومى .

□ وكان الفريق « أحمد اسماعيل على » عسكريا كلاسيكيا بالمعنى الطيب للكلمة (وقد كان في فكره الداخلى يقارن نفسه بالماريشال « مونتجمرى » قائد معركة « العلمين ») — وقد خرج هو الآخر من تجربة الحرب حتى وقف إطلاق النار وهو يشعر على نحو أو آخر أن الإدارة السياسية للحرب لم تحسن استخدام الأداء العسكرى ، خصوصا نتائج الأيام العشرة الأولى . وقد اختلف مع الرئيس عندما رفض الاقتراح البريطانى يوم ١٣ أكتوبر بوقف إطلاق النار فى المواقع، لكنه شغل عن ذلك الخلاف بوقوع الثغرة ، ثم بالصدام بينه وبين الفريق « سعد الدين الشاذلى» على طريقة معالجة الثغرة .

وبعد قرار وقف إطلاق النار ، فإن الفريق « أحمد اسماعيل » زاد شعوره بأن السياسة لم تستطع أن تكفل وقفا حازما لإطلاق النار ، وبالتالى فإن قواته تعرضت لما كان يمكن تجنبه نتيجة إصرار إسرائيل على كسر قرارات وقف إطلاق النار . وكان هو بطبيعة الأمور قد ترك هذه الناحية للعمل السياسى ، وأحس كما قال « أن العمل السياسى لم يسعفنا » .

ثم وقع شد وجذب بين الرجلين فى قصر الطاهرة قبل سفر الرئيس « السادات » إلى الكويت لمقابلة الرئيس « حافظ الأسد » يوم ٣٠ أكتوبر .

وكان موضوع الخلاف أن الرئيس « السادات » طلب إقصاء الفريق « سعد الدين الشاذلى» عن منصب رئيس الأركان فورا . كما طلب تعيين كل من اللواءين « محمد عبد الغنى الجمسى» و « سعد مأمون » مساعدين لوزير الحربية . وكذلك طلب الرئيس إبعاد اللواء « عبد المنعم واصل» قائلا للفريق « أحمد اسماعيل » إنه « من بتوع صادق وأنا حذرتك منه » .

(وذلك رغم حديث سابق له إعجابا باللواء « عبد المعنم واصل » ، وكيف أنه عبر على الجسر فى مقدمة قواته) .

ولكن الفريق « أحمد اسماعيل » أبدى اعتراضه – من ناحية التوقيت – على طلبات الرئيس قائلا : « إنه لا يريد الآن إدخال أى تغيير على هيئة القيادة العسكرية . والفرصة لذلك كله تحين عندما يتأكد أن احتمال العودة إلى القتال قد انتهى تماما . وأما الآن واحتمال العودة إلى القتال قائم، فإنه لايريد إحداث أى هزة فى تركيبة القيادة . »

والواقع فإن الفريق « أحمد اسماعيل » فى ذلك الوقت كان قد بدأ يحس بأعراض مرضه[٦] ، ويتفهم خطورته على حياته . وقد أدرك أن خدمته قرب نهايتها رغم قرار ترقيته إلى رتبة « المشير » .

---

(٦) توفى بسبب هذا المرض بعد ذلك ، وكانت وفاته يوم ٢٥ ديسمبر سنة ١٩٧٤ .

وهكذا فقد كان هناك فراغ قادم أيضا على قمة القوات المسلحة .

□

على المستوى الرسمى أيضا كانت خدمة الدكتور « محمد حسن الزيات » كوزير للخارجية قد انتهت من وجهة نظر الرئيس « السادات » . وقد وقع اختياره فى ذلك الوقت على السيد « اسماعيل فهمى » الذى كان وزيرا للسياحة ، ثم انتدب لخبرته فى السياسة الخارجية كسفير طوال حياته العملية ، ليكون قائما بأعمال وزارة الخارجية فى فترة الحرب بسبب غياب الدكتور « الزيات » فى نيويورك . وقد استطاع بكفاءته أن يلفت إليه نظر الرئيس « السادات » رغم سابق رأيه فيه بسبب اجتهادات سبق أن أبداها فى ندوة عقدت فى « الأهرام » عن حالة اللا سلم واللا حرب ، واستوجبت إعطاءه اجازة مفتوحة . ثم تقرر بعدها - ونتيجة لوساطات مع الرئيس « السادات » - تعيينه سفيرا فى بون . ثم حدث وأن واتته الفرصة لمقابلة مع رئيس الجمهورية قبل سفره إلى بون ، فإذا هو يشرح رأيه فى أزمة الشرق الأوسط باستفاضة أعجبت الرئيس « السادات » وجعلته يعدل عن إرساله إلى بون ، ويختاره وزيرا للسياحة ، ثم بعد ذلك قائما بأعمال وزير الخارجية أثناء غياب وزيرها الأصلى .

وفى غمرة الاتصالات السياسية النشيطة بعد وقف إطلاق النار ، طلب الرئيس « السادات » إلى المهندس « عبد الفتاح عبد الله » وزير شئون رئاسة الجمهورية أن يتصل بالدكتور « الزيات » فى نيويورك ، وأن يبلغه أن الرئيس قرر إجراء « مبادلة فى المناصب بينه وبين اسماعيل فهمى » ، بمعنى أن يحل « اسماعيل فهمى » محل الدكتور « الزيات » فى وزارة الخارجية ، ويحل الدكتور « الزيات » محل « اسماعيل فهمى » فى وزارة السياحة . وفوجىء الدكتور « الزيات » بقرار « المبادلة » وأعتذر عن قبوله ، وقدم استقالته فى التليفون . وعوضه الرئيس « السادات » عن ذلك بتعيينه مستشارا لرئيس الجمهورية ، وكلفه بالسفر إلى باريس لمقابلة الرئيس الفرنسى « جورج بومبيدو » وبعدها بالتوجه إلى الرباط لمقابلة الملك « الحسن » ولكى يشرح للاثنين وجهة نظر الرئيس « السادات » فى احتمالات الموقف .

وفى خطوة تالية تولى « اسماعيل فهمى » - إلى جانب وزارة الخارجية - مهمة الاتصالات عن طريق القناة الثانية .. القناة السرية - بدلا من « حافظ اسماعيل » .

□

لكن الأمور كانت تقتضى تغييرات أوسع ، وفى الفكر قبل المناصب سواء بالتعيين أو بالمبادلة .

ثم إن الحقائق المستجدة كانت تتطلب تحديدات وتنظيمات جديدة :

١ - تأكيدا لمعنى الأمن القومى ، والتزاما بهذا التأكيد لأن التصرفات التى صاحبت إدارة الحرب تجاوزت خطوطا عديدة لابد الآن من إعادة تثبيتها ، أو التفكير فى توصيف جديد للأمن القومى المصرى .

٢ – تحديدا لمجالات العلاقة بين مصر والقوتين الأعظم تحكمها المصالح البعيدة المدى ، ولا تحكمها المشاعر ، وإلا فإن تداعيات الحوادث قد تقود إلى ما يتعدى المقاصد ، وما قد يترتب على ذلك من نتائج قد لا تكون مطلوبة .

٣ – إعادة تنظيم مؤسسة الرئاسة ، وهى المحرك الفاعل فى إدارة الدولة ، وإنشاء مطبخ داخلى لصنع القرار فيها مادامت حقائق الأوضاع فى النظام الرئاسى تركز صنع القرار الخاص بالأمن القومى فى هذه المؤسسة .

٤ – ترتيب الذاكرة المؤسسية للدولة بحيث تتحقق كفالة الاتصال والاستمرار على أسس سليمة ، وليس على الارتجال الذى يتصرف اليوم بما لا علاقة له بالأمس ، ويتصرف غدا بما لا علاقة له باليوم .

٥ – فرزا لأولويات العمل الوطنى فى مرحلة حرجة مقبلة . ومع أن الرئيس « السادات » تنبه مبكرا إلى أن الأولوية القادمة هى لإعادة البناء والتعمير ، فإن هذا التنبه عبر عن نفسه بتعيين المهندس « عثمان أحمد عثمان » وزيرا للتعمير ، وكانت تلك إشارة إلى شكل ما هو قادم فى مجال العمل الداخلى . ولم تكن الإشارة مرضية .

□

وواقع الأمر أن الرئيس « السادات » لم يعط نفسه الفرصة ، وربما أيضا أن الظروف لم تمنحه الفرصة ، للتفكير بما فيه الكفاية فى المرحلة المقبلة . وكان العنصر الضاغط عليه هو وضع الجيش الثالث وخوفه من محاصرته . وفى ذلك الوقت استولت عليه فكرة غريبة مؤداها أن الجيوش المحاصرة تتحول إلى بؤرة لصنع الانقلابات على السلطة القائمة ، وكانت فى ذهنه تجربة « جمال عبد الناصر » فى حصار الفالوجة سنة ١٩٤٨ . والواقع أن الظروف كانت مختلفة ، لكن العبرة هنا ليست بحقائق الأمور ، وإنما بالنظر إليها من موقع أصحابها .(٧)

(٧) أثناء الجلسة التقليدية كل ليلة على شرفة قصر الطاهرة مساء يوم ٢٩ أكتوبر ، وفى حضور الرئيس « السادات » والسيدة « جيهان السادات » والمهندس « سيد مرعى » ، والمهندس « عبد الفتاح عبد الله » الذى دخل يعرض بعض التقارير ، والدكتور « أشرف مروان » ، وإحدى كريمات الرئيس وخطيبها ، و« محمد حسنين هيكل » – راحت السيدة « جيهان السادات » تروى تفاصيل عن مشاهداتها فى المستشفيات لزيارة الجرحى العائدين من الميدان ، وكانت مأخوذة بما رأت ، وقد أسهبت فى وصف ما لاحظته من مشاعر الضباط والجنود ، ثم اتسعت دائرة الحديث وشارك فيها الجميع ، ثم انتقل محور الكلام إلى الجبهة ثم إلى أوضاع الجيش الثالث ، وأبدى الرئيس « السادات » ملاحظة عن الجيوش المحاصرة كبؤر للسخط والتمرد ، وارتفع صوت يقول :

– « لا ... إذا كان كده اليهود يخلصونا منه أحسن » !

ثم تنبه الصوت إلى فداحة ما قاله ، وجرت محاولة لتلطيف أثره .

(ولا أريد أن أحدد هنا مصدر الصوت لأن الهدف هو إظهار جو نفسى ، وليس الحساب عن ملاحظة أفلتت بالتأكيد دون قصد) .

ولعل موقف الجيش الثالث ، وهواجس الرئيس عن الجيوش المحاصرة ، هو الدافع الذى جعله يقبل على عجل اقتراح إسرائيل عن طريق « كيسنجر » بالبدء على الفور فى محادثات مباشرة عسكرية مع إسرائيل على الكيلو ١٠١ من طريق السويس .

وقد طلب إلى وزير الدولة المهندس « عبد الفتاح عبد الله » أن يتصل باللواء « محمد عبد الغنى الجمسى » وأن يطلب إليه « فتح خط اتصال مع الجنرال ياريف » رئيس المخابرات العسكرية الإسرائيلية الذى تقرر أن يرأس وفد المفاوضات العسكرية من الجانب الإسرائيلى فى محادثات الكيلو ١٠١ .

وقد فوجىء اللواء « الجمسى » بالطلب ، ولم يعرف لماذا وقع الاختيار عليه ، ثم قابله الرئيس « السادات » بعد ذلك وأقنعه بقوله « إنه كمدير للعمليات يعرف أكثر من أى ضابط آخر فى الجيش أين كانت بالضبط مواقع ٢٢ أكتوبر عندما لم يكن هناك خطر حصار على الجيش الثالث .»

ثم أضاف الرئيس « السادات » قائلا للواء « الجمسى » :

« لاحظ أن ياريف هو رجل ديان ، وديان على خلاف مع جولدا مائير ، وعليك أن تسعى إلى تعميق التناقض بين الاثنين . »

وكان اللواء « الجمسى » متأذيا من المهمة كلها ، ولعله لم يتنبه فى البداية إلى ملاحظة الرئيس « السادات » فى ذلك الوقت ، لكن الرئيس عاد فأكدها وأبرز أهميتها وما يعلقه من آمال عليها !

وكانت ترتيبات اللقاء على الكيلو ١٠١ تسير فى مجراها .

وكتب السيد « حافظ اسماعيل » رسالة منه إلى الدكتور « هنرى كيسنجر » على القناة السرية – نصفها عن ترتيبات اللقاء ، ونصفها عن أوضاع الجيش الثالث – وكان نصها كما يلى : (*)

« من السيد حافظ اسماعيل

إلى الدكتور هنرى كيسنجر

لقد تلقيت رسالتكم المؤرخة ٢٧ أكتوبر ، وأود إخطاركم بموقف حكومتنا فيما يتعلق بالمقترحات الإسرائيلية المبلغة إلينا بواسطتكم .

١ – إن الحكومة المصرية على استعداد لإيفاد ممثل للقوات المسلحة المصرية برتبة اللواء للاتصال بمندوب عسكرى إسرائيلى من نفس الرتبة . ومن المفهوم أن كلا منهما سوف يكون برفقته عدد مناسب من المساعدين . وسوف يجتمعون تحت إشراف الأمم المتحدة سعت ١٥,٠٠ بتوقيت

(*) فى ملحق صور الوثائق توجد صورة لأصل هذه الرسالة ، وهى منشورة تحت رقم (١٠٥) – على صفحة ٨٤٤ من الكتاب .

القاهرة المحلى ، فى الكيلو ١٠١ على طريق القاهرة – السويس ، وسوف يوضع مكان اجتماعهم تحت إشراف قوة حفظ السلام التابعة للأمم المتحدة .

٢ – وسوف يكون الغرض من الاجتماع بحث النواحى العسكرية فى تنفيذ قرارات مجلس الأمن رقم ٣٣٨ و٣٣٩ بتاريخ ٢٢ و ٢٣ أكتوبر ١٩٧٣ .

٣ – ونحن ننتظر أن وقفا كاملا للقتال يكون فعالا اعتبارا من سعت ١٣,٠٠ بالتوقيت المحلى يوم ٢٧ أكتوبر ١٩٧٣ ، ويجب أن يكون مراقبو الأمم المتحدة فى الموقع فى الوقت المحدد ، للإشراف على ذلك .

٤ – يجب السماح لقافلة تحمل إمدادات غير عسكرية للسويس ولتشكيلات الجيش الثالث شرق القناة ، بالوصول إلى مكان وصولها سعت ١٥,٠٠ بالتوقيت المحلى ، تحت إشراف الأمم المتحدة والصليب الأحمر .

فإذا كانت هذه التدابير موضع قبول ، فإن من المنتظر أن ردا فوريا سوف يجىء فى الوقت المناسب ، لكى يتاح اتخاذ الإجراءات اللازمة .

ونحن نتوقع ممارسة نفوذ الولايات المتحدة لتسهيل تطور هذه المحادثات .»

ورد الدكتور « كيسنجر » برسالة كان نصها كما يلى :

« من الدكتور هنرى كيسنجر
إلى السيد حافظ اسماعيل

لقد تم إبلاغ رسالتكم مع تأييدنا الشديد إلى الإسرائيليين على أساس الحد الأقصى من الاستعجال ، وفى خلال ساعات قلائل يجب أن يكون قد ورد رد ، وسوف نبلغه إليكم فورا . »

الفصل الثانى

عند الكيلو ١٠١



كان العالم العربى مفاجأ وبشدة عندما عرف من وسائل الإعلام الدولية والمحلية أن هناك مفاوضات مباشرة بين مصر وإسرائيل سوف يقوم بها وفدان عسكريان يلتقيان على الكيلو ١٠١ من الطريق بين السويس والقاهرة .

كان مبعث الدهشة أن المعارك لم تنته بعد على جبهة القتال - ثم إن هذه المباحثات المباشرة لم تكن لها سابقة فى الصراع العربى - الإسرائيلى .

وكانت الحيرة هى الشعور السائد لدى جماهير الناس فى القاهرة وفى كل العواصم العربية . ولم يكن فى مقدور أحد أن يتجاوز الشعور بالحيرة إلى التوجس بالشك ، لأن وهج المعارك كان لايزال مضيئا على الآفاق ، كما أن اللواء « الجمسى » الذى اختير لرئاسة الوفد المصرى فى المحادثات ، كان واحدا من أظهر نجوم ٦ أكتوبر .

وكان الفاصل بين الدهشة والشك خيطا رفيعا ، لأن العواطف كانت جياشة وتقلبات الحرب كانت مثيرة للدوار فى بعض مراحلها .

وكان الرئيس « السادات » رغم كل الضغوط الواقعة عليه - يدرك أن المزاج العربى العام متغير بسرعة ومتقلب ، وهو لا يريد أن يصطدم مع المشاعر الجارفة ، وفى نفس الوقت فإنه لا يستطيع أن يسايرها ومن ثم يقبل بقيود على حركته .

ثم إن الرئيس « السادات » كان يواجه فى نفس الوقت مشكلة أقرب إليه من مزاج الرأى العام . فقد كانت الدائرة المحيطة به مباشرة تتفرق ، فبعض مستشاريه جرى استهلاكهم ، وبعضهم الآخر جرى استبدالهم ، وبعضهم الثالث على خلاف معه . وكان أسوأ ما يمكن حدوثه هو ظهور انقسام فى الآراء بالقرب منه ، وكان مثل هذا الانقسام كفيلا بتحويل دهشة الرأى العام إلى شك .

وإذن فإن الرئيس « السادات » كان عليه أن يجد أسلوبا لا يصطدم به مع الشعور العام ، وفى نفس الوقت لا يقيد حركته . ثم يكون من شأن هذا الأسلوب أن يتيح له فعل ما يريد دون أن يؤدى إلى زيادة الخلخلة فى الدائرة المباشرة من حوله .

وفى تلك الأوقات ابتدع الرئيس « السادات » – لعلاج هذا كله وتطويقه – أسلوبا فى العمل تطور بالممارسة والصقل حتى أصبح فنا سياسيا من نوع خاص !

كان مؤدى أسلوبه الجديد بسيطا ، وقد استطاع فعلا أن يفى بالغرض .

كان أسلوبه الجديد أن يفصل بين الخطاب العام وبين الفعل المباشر ، بمعنى أنه كان فى كلامه على استعداد لأن يقول ما يتوقع منه الناس قوله – ولكنه من ناحية أخرى كان مصمما على أن يفعل ما يريد هو أن يفعله .

والغريب أن الرأى العام المصرى لمح هذا الأسلوب بسرعة ، وأيامها جرت النكتة المشهورة عن « أن الرئيس السادات يطلب من سائق سيارته أن يعطى إشارة إلى اليسار ثم يدخل إلى اليمين » !

□

لم يكن الطريق إلى الكيلو ١٠١ سالكا حتى على الأرض – فضلا عن مشاعر الناس – فقد بدأ الوفد العسكرى المصرى برئاسة الفريق « الجمسى » رحلته إلى الموقع المحدد للقاء ، فإذا القوات الإسرائيلية تعترضه قبل عدة كيلو مترات من مكان الاجتماع . وعاد الوفد إلى القاهرة يبلغ الرئيس « السادات » بما حدث . ونشطت القناة السرية ودبت فيها الحياة مرة أخرى ، وكتب الرئيس « السادات » إلى « نيكسون » الرسالة التالية :(*)

« رسالة عاجلة جدا
من الرئيس أنور السادات
إلى الرئيس ريتشارد نيكسون

١ – طبقا لما جاء برسالة الدكتور كيسنجر إلى السيد حافظ اسماعيل يوم ٢٧ أكتوبر يخطره فيها بقبول إسرائيل للموقف المصرى بجملته بصدد الاقتراح الإسرائيلى المبلغ عن طريق الولايات المتحدة ، حدث أن المندوب المصرى توجه فى الوقت المتفق عليه إلى مكان الاجتماع المتفق عليه .

(*) فى ملحق صور الوثائق توجد صورة لأصل هذه الرسالة ، وهى منشورة تحت رقم (١٠٦) – على صفحة ٨٤٥ من الكتاب .

٢ – وإلى الآن ، والساعة ١٧,٣٥ بتوقيت القاهرة المحلى ، توقف القوات الإسرائيلية مجموعة الفريق المصرى على مسافة ١٥ كيلو مترا من مكان الاجتماع ، وتمنع تقدم سيره بدعوى أن القوات الإسرائيلية لم تتلق أوامر تقضى بالسماح لهم بالمضى إلى غايتهم .

٣ – ومن جهة أخرى ، فإن عناصر من القوة الدولية أوقفت منذ ظهر اليوم خارج مدينة السويس ، ومنعت من دخول المدينة .

٤ – وهكذا بينما يفى الجانب المصرى بما وعد ، فإن الجانب الإسرائيلى لايزال يلجأ إلى أساليب معوقة ، وينكث بالتزاماته ، على أمل أن يتيح لنفسه الوقت لتحقيق مزيد من المكاسب الإقليمية ، التى يتخيل أنها فى متناول يده .

٥ – إن مثل هذه التصرفات يقضى على أى أساس للثقة بالالتزامات الإسرائيلية ، ويشكل سابقة للطرق التى تعتزم إسرائيل اللجوء إليها ، فى مواجهة ما لدى مصر من نية طيبة .

٦ – وبناء على ذلك ، أرجو منكم اتخاذ موقف حاسم وواضح ، بالنسبة لطرق الخداع الإسرائيلية المستمرة هذه .

٧ – وأنا جار إخطار الاتحاد السوفيتى بمحتويات هذه الرسالة .»

وقد تقاطعت معها على الطريق رسالة من الدكتور « كيسنجر » إلى السيد « حافظ اسماعيل » كان نصها :(*)

« رسالة عاجلة بصفة خاصة
من الدكتور هنرى كيسنجر
إلى السيد حافظ اسماعيل

لقد أخطرتنا الحكومة الإسرائيلية أن مندوبيها كانوا فى الانتظار فى الكيلو ١٠١ على طريق القاهرة – السويس منذ سعت ١٥,٠٠ بتوقيت القاهرة ، وحتى الآن لم يظهر أحد من الجانب المصرى .

وكما توضح برسالتى السابقة ، فإن الجانب الإسرائيلى على استعداد لتنفيذ كل الشروط بالنسبة لقافلة للإمدادات غير العسكرية ، ولكن المفهوم لدينا أنه ما من قافلة ظهرت بعد .

أرجو إحاطتنا علما بما إذا كان هناك شىء آخر نستطيع عمله فى هذا الصدد .

تحيات حارة .»

وحين تلقى « هنرى كيسنجر » رسالة الرئيس « السادات » التى تقاطعت مع رسالته إلى السيد « حافظ اسماعيل » ، عاد يبعث بالرسالة التالى نصها :(**)

« من الدكتور هنرى كيسنجر
إلى السيد حافظ اسماعيل

لقد علمت قبيل تلقى رسالة الرئيس السادات رقم ١٠ ، أنه لأسباب لم أستطع التحقق منها ، أن الاجتماع المتفق على انعقاده فى موعد مبكر اليوم لم يتم ، كما علمت أيضا أن قافلتكم لم يجاز مرورها إلى السويس والجيش الثالث المصرى .

(*) فى ملحق صور الوثائق توجد صورة لأصل هذه الرسالة ، وهى منشورة تحت رقم (١٠٧) – على صفحة ٨٤٦ من الكتاب .

(**) فى ملحق صور الوثائق توجد صورة لأصل هذه الرسالة ، وهى منشورة تحت رقم (١٠٨) – على صفحة ٨٤٧ من الكتاب .



الوفدان المصرى بقيادة اللواء الجمسى والاسرائيلى بقيادة اهارون ياريف عند لقائهما لتوقيع اتفاقية وقف إطلاق النار يوم ١١ نوفمبر ١٩٧٣ عند الكيلو ١٠١ .

وعلى هذا فقد تحدثت شخصيا ، وبأقوى العبارات مع رئيسة الوزراء مائير وأصررت على اتخاذ تدابير ، حتى إذا كان مندوبوكم سيظهرون فى سعت ٢٢,٠٠ بتوقيت القاهرة اليوم فى الكيلو ١٠١ على طريق القاهرة - السويس ، يمكن لقاؤهم بالمندوبين الإسرائيليين ، وسوف يكون مكان اللقاء تحت إشراف قوة حفظ السلام التابعة للأمم المتحدة .. كما أنى أبديت إصرارى للسيدة مائير على أن قافلة مصرية تحمل إمدادات غير عسكرية إلى السويس وتشكيلات الجيش الثالث شرق القناة ، يجب السماح لها باجتياز الخطوط الإسرائيلية سعت ٢٢,٠٠ بتوقيت القاهرة المحلى اليوم ، تحت إشراف الأمم المتحدة والصليب الأحمر .

وقد علمت من الزيات وزير الخارجية ، بعد قليل من محادثتى مع السيدة مائير ، أن سعت ٢٤,٠٠ وقت أكثر مناسبة ، لاجتماع المندوبين المصريين والإسرائيليين ولتحرك قافلتكم عبر الخطوط الإسرائيلية . وقد أكدت الحكومة الإسرائيلية لى الآن أن تحديد سعت ٢٤,٠٠ وقت مقبول لكلا الحدثين .

ولعلكم علمتم فعلا بهذا من الزيات وزير الخارجية ، ولكنى أردت أن أؤكده لكم ، كما أود أيضا أن تعلموا أن لديكم التأكيد الوافى من حكومة الولايات المتحدة ، بأننا عملنا - وسنواصل عمل - كل ما نستطيع لضمان أن هذه التدابير سوف تنفذ .

مع التحيات الحارة .»

ورأى « نيكسون » أن يرد على رسالة الرئيس « السادات » إليه ، فكتب إليه الرسالة التالية :(*)

(*) فى ملحق صور الوثائق توجد صورة لأصل هذه الرسالة ، وهى منشورة تحت رقم (١٠٩) - على صفحة ٨٤٨ من الكتاب

* من الرئيس ريتشارد نيكسون
إلى الرئيس أنور السادات

لقد علمت بفشل التدابير التى تم وضعها بواسطة مساعينا الحميدة بين مصر وإسرائيل قبيل أن أتلقى رسالتكم رقم ١٠ ، وقد أصدرت التعليمات للوزير كيسنجر لاتخاذ خطوات فورية لتصحيح الموقف .

ولقد أخطر الوزير السيد اسماعيل فعلا بالتصرفات التى قام بها ، وسوف لا أكرر ذكرها فى رسالتى هذه ، غير أنى أود فعلا إخطاركم بأننا نأخذ هذا الموضوع مأخذ الجدية إلى أقصى حد ، كما أود أن أعزز تأكيد الوزير كيسنجر الموفور ، بأن حكومتى سوف تفى بتعهداتها .،

٢

بدأ اللقاء الأول على الكيلو ١٠١ بعد منتصف الليل يوم ٢٨ أكتوبر ١٩٧٣ ، وبعد أن سويت إشكالات تنسيق المواعيد والمواقع عن طريق رسائل بين الرئيس « السادات » والرئيس « نيكسون » والسيد « حافظ اسماعيل » والدكتور « هنرى كيسنجر » . ومنذ الدقيقة الأولى فى الاجتماع ، حاول الجنرال « ياريف » أن يكون مهذبا ، كما أن اللواء « الجمسى » حاول أن يكون مجاملا طبقا للتوجيهات الصادرة إليه من الرئيس « السادات » بأن « يفتح خطا مباشرا مع ياريف ، وأن يحاول عن طريقه تعميق التناقضات بين جولدا مائير وديان » .

وكان واضحا - برغم أدب « ياريف » من ناحية ، ومجاملة « الجمسى » من ناحية أخرى - أن المسائل أعقد مما بدا فى القاهرة ، ومما أوحت به رسائل « كيسنجر » بما فيها تلك الرسالة التى نقلها عن الحكومة الإسرائيلية .

كان الهدف المقرر للاجتماع أصلا ، وبنصوص الوثائق الدولية التى مهدت لانعقاده ، هو :

- تحديد خطوط وقف إطلاق النار يوم ٢٢ أكتوبر - وهى خطوط لم يكن فيها الجيش الثالث محاصرا أو قريبا من حالة حصار .
- بحث وسائل تموين الجيش الثالث بالاحتياجات اللازمة له ، حتى يتم الاتفاق على تحديد خطوط ٢٢ أكتوبر ، ومن ثم ينفصل الفرعى فى المشاكل عن الأصلى منها .

ومع ذلك فقد كان أهم ما قاله الجنرال « ياريف » فى الاجتماع هو ما ذكره صراحة من أنه « ليست لديه أى صلاحية لبحث موضوع خطوط ٢٢ أكتوبر ، ولا مشاكل تموين الجيش الثالث ، فيما عدا قافلة واحدة سبق عليها اتفاق سياسى من قبل » .

وكان المحضر الرسمى الكامل للجلسة (كما كتبه وقدمه اللواء « الجمسى ») يروى القصة كاملة . وكان نص هذا المحضر على النحو التالى :(١)

« بسم الله الرحمن الرحيم

سرى للغاية

محضر الجلسة الأولى(*)

للوفد العسكرى المصرى مع الجانب الإسرائيلى

يوم ٢٨ أكتوبر ١٩٧٣

□ أولا : الحاضرون :

١ - من الجانب المصرى :

أ - لواء محمد عبدالغنى الجمسى

ب - عقيد أح أحمد فؤاد هويدى

جـ - وزير مفوض عمر سرى

د - مستشار فوزى الابراشى

٢ - من الجانب الإسرائيلى :

أ - جنرال ياريف	Maj. Gen. A.YARIV
ب - عقيد سيون	Col. D. SION
جـ - مقدم تراوب	LtC. A.TRAUB
د - مقدم بن آرى	LtC. I. BEN ARI

٣ - من الأمم المتحدة :

أ - مقدم أوليس	LtC. AULIS KEMPPAINEN
ب - نقيب جوزيف	Capt. JOSEF FALLON

□ ثانيا : الوقت والمكان :

٤ - تم الاجتماع فى الفترة من ٠١٤٥ ٢٨ حتى ٠٤٠٠ ٢٨

٥ - وذلك فى منطقة كم ١٠١ طريق السويس / القاهرة .

(١) محفوظات رئاسة الجمهورية ، والأصل موجود فى أرشيف وزارة الحربية ، وتوجد نسخ منه فى وزارة الخارجية والمخابرات العامة .

(*) فى ملحق صور الوثائق توجد صورة من الصفحة الأولى والصفحة الأخيرة من أصل هذا التقرير الذى كتبه وقدمه اللواء « الجمسى » ، وهما منشورتان تحت رقم (١١٠) - على صفحة ٨٤٩ من الكتاب .

ثالثا : نص ما دار فى الجلسة :

٦ - بدأت الجلسة بكلمة من الجنرال ياريف جاء فيها :

أ - إننا فى غاية التأثر very impressed بفرصة اللقاء معكم ، فقد كنا خلال ثلاثة أسابيع فى حرب ضارية حارب كل منا فيها بشرف ... ونحاول الآن الحفاظ على وقف إطلاق النار ... ونولى بالاهتمام قرار مجلس الأمن ٣٣٨ وخاصة الفقرة الثالثة منه ... ولدينا اهتمام بالدخول فى أسرع وقت ممكن فى مفاوضات تؤدى إلى سلام دائم وعادل فى المنطقة .

ب - من المهم وجود وقف إطلاق نار سليم والإبقاء عليه .

جـ - نرى أنه من المهم الإفراج عن أسرى الحرب بأسرع ما يمكن .. ونحن لم نتسلم حتى الآن كشفا بأسمائهم رغم طلبنا ذلك عن طريق الصليب الأحمر .

د - كرر مؤكدا النقاط التى يراها هامة كموضوع للبحث والوصول إلى قرار وهى :

(١) الإبقاء على وقف إطلاق النار .

(٢) تبادل أسرى الحرب والبحث عن القتلى وترتيب تسليم جثثهم .

(٣) رفع الحصار البحرى عن باب المندب وحرية الملاحة فى خليج السويس .

(٤) عمل ترتيبات بين القادة المحليين بإجراء اتصالات بينهم للمحافظة على وقف إطلاق النار وتبادل تسليم الجثث .

(٥) تحديد خطوط وقف إطلاق النار كما هى الآن ... علما بأننا نرى أن هذه الخطوط مؤقته ، وسيتم الارتداد منها تدريجيا إلى خطوط الحدود النهائية التى ستتقرر فى المفاوضات .

(٦) ترتيب الفصل بين القوات لتجنب المصادمات العسكرية وتهيئة المناخ اللازم للعودة إلى الحياة السليمة المدنية .

(٧) بحث ترتيبات تثبيت الموقف ...Standstill arrangements .

هـ - طرح اقتراحا ، بأن يسحب كلا الجانبين قواته - الإسرائيليين إلى الضفة الشرقية - والمصريين إلى الضفة الغربية من القناة .. كل على مسافة ١٠ كم من القناة . وبذلك تتوفر منطقة عازلة Buffer zone تحتلها قوات الطوارىء الدولية .. وهذا هو اقتراحنا للفصل بين القوات ... حتى يتم تحديد الحدود النهائية ... وهو اقتراح للبحث .

و - طلب تفصيلات عن قول الإمداد ... معتذرا عن تأخير إتمام عملية الإمداد بنقص الترتيبات والمعلومات .

ز - أشار مرة أخرى إلى الحاجة إلى استخدام كل إمكانيات أجهزة الأمم المتحدة فى الإبقاء على وقف إطلاق النار ، والتحرك نحو مفاوضات عملية تؤدى إلى سلام دائم طبقا للفقرة الثالثة من القرار ٣٣٨ حتى يمكن إقامة علاقات عادية بين بلدينا وبين شعوب المنطقة .

٧ - رد اللواء محمد عبد الغنى الجمسى بكلمة الجانب المصرى وجاء فيها :

أ - نبادلكم نفس الروح الطيبة التى أبديتموها .. وأتمنى أن تنتهى المناقشات بيننا إلى إيقاف إطلاق النار بطريقة فعالة والوصول إلى النتائج التى يرجوها الطرفان .

ب – والغرض من هذه الجلسة هو مناقشة الجوانب العسكرية لتطبيق قرارى مجلس الأمن ٣٣٨ ، ٣٣٩ تحت إشراف هيئة الأمم المتحدة .

جـ – أحب أن أؤكد سريان وقف إطلاق النار نهائيا بين الجانبين اعتبارا من الساعة ١٣٠٠ ٢٧ ، وقد علق الجنرال ياريف على ذلك« بأنه مفهوم ويتفق معه فى هذه النقطة » .

د – أكد أن أول خطوة يجب أن تكون تنفيذ القرار ٣٣٩ فيما ينص العودة إلى خطوط وقف إطلاق النار وقت سريانه طبقا للقرار ٣٣٨ فى الساعة ١٨٥٢ ليلة ٢٢ أكتوبر ٧٣ .

هـ – ومن المفهوم أننا سنمد قواتنا على الضفة الشرقية للقناة بالمؤن والمياه والمطالب الطبية ... وكذلك تموين مدينة السويس باحتياجاتها اللازمة .

و – إن الرد على كلام جنرال ياريف يجب أن يسبقه أن نتفق على الخطوط الرئيسية لتطبيق قرارى مجلس الأمن ٣٣٨ ، ٣٣٩ . كما نفهم أن القتال دار بيننا حتى سعت ١٨٥٢ يوم ٢٢ / ١٠ / ٧٣ حيث توقف القتال . وخلال يومى ٢٣ ، ٢٤ تغيرت بعض المناطق نتيجة للقتال فى الوقت الذى كان قرار مجلس الأمن قد حدد وقف إطلاق النار وعلى الخطوط التى عليها القوات ، ولذلك نود أن نتفق على الخطوط التى يجب أن تعود إليها القوات الإسرائيلية وهى ما كانت عليه يوم ٢٢ / ١٠ / ٧٣ . وذلك سيحل الكثير من المشاكل المعلقة التى أثارها الجنرال ياريف .

ز – أما باقى النقاط الأخرى التى أثارها الجنرال فإننا لا نمانع إطلاقا فى بحثها مثل الأسرى والقتلى وباب المندب وخلافه . وعلى هذا الأساس نشعر أن الخطوة الأولى هى أن نتفق على أسلوب تنفيذ قرار مجلس الأمن ٣٣٩ وبالتالى نصل إلى باقى النقاط الأخرى . وإذا وافق الجنرال نبحث توقيتات تنفيذ انسحاب القوات الإسرائيلية إلى خطوط ٢٢ / ١٠ .

٨ – رد الجنرال ياريف بأنه تفهم ما ذكره اللواء الجمسى ، ويعتقد أن النقطة الرئيسية – من وجهة النظر المصرية – هى مسألة خطوط وقف إطلاق النار ، وهو ليس لديه الصلاحية لبحث هذا الموضوع وبالتالى لن يدخل فى مناقشة حولها ، وإن كان ما حدث بعد ليلة ٢٢/ ١٠ كان نتيجة لبادرات من وحدات الجيش الثالث الذى سبب تطورات الموقف بمهاجمة الدبابات ليلة ٢٣ / ١٠ .. I have no authority to discuss واقترح الانتقال إلى بحث موضوع التموين ، مشيرا إلى أنه مفوض لبحث ترتيبات قول تموين اليوم فقط وليس لديه صلاحيات لمناقشة ترتيبات دائمة للتموين ... وإن كان من الممكن تقديم المقترحات بشأنها حتى يتم الرد فى أقرب فرصة .

٩ – تبودلت مناقشات بشأن الإمداد ، وأبرز الجانب المصرى ضرورة عمل ترتيبات لها صفة الاستمرار بالنسبة للإمداد يوميا ، بينما كرر الجانب الإسرائيلى أنه غير مفوض لبحث ذلك ووعد برفع الأمر إلى رئاسته والإفادة . وفى نفس الوقت تم الوصول إلى الترتيبات التالية بالنسبة لقول الإمداد اليومى فى مناقشات تدخل فيها مستوضحا جانب الأمم المتحدة .

أ – يتحرك القول إلى نقطة المراقبة الإسرائيلية بواسطة سائقين مصريين .

ب - يتولى سائقين من الأمم المتحدة قيادة السيارات إلى نقطة كم ١٣٨,٥ من القناة .

جـ - يتم عبور ١٠ أفراد مصريين غير مسلحين من الضفة الشرقية إلى هذه النقطة حيث يقومون بتفريغ اللوارى ثم تحميل الإمداد فى وسائلهم لعبورها إلى الجانب الشرقى .

د - يتم التفتيش من الجانب الإسرائيلى على العبوات فى منطقة التفريغ بواسطة ١٠ أفراد غير مسلحين .

هـ - يتواجد مندوب من الأمم المتحدة على جانبى القناة فى المنطقة التى يتم فيها التفريغ وإعادة الشحن حتى انتهاء المهمة .

وقد أهتم الجانب المصرى بتأكيد مراعاة عدم احتكاك الأفراد المصريين والإسرائيليين فى أثناء تنفيذ هذه العملية .

كما اهتم ممثل الأمم المتحدة بتأكيد عدم وجود أسلحة فى هذه النقطة على جانبى القناة ومع الأفراد .

١٠ - أعاد كلا الجانبين طرح نقاطه الرئيسية كما يلى :

أ - أكد الجانب المصرى على حتمية العودة إلى خطوط ١٠/٢٢ وأن ذلك يحل كل المشاكل المعلقة والتى يهتم بها الجانب الإسرائيلى (الأسرى - المؤن - باب المندب - خليج السويس) . وقد رد الجانب الإسرائيلى بأن هذا الموضوع شائك وصعب ، وأنه سيرفع الأمر للسلطات حيث أنه ليس مفوضا . وقد علق الجانب المصرى بأنه يلاحظ أن الجنرال ياريف غير مفوض لبحث حدود ١٠/٢٢ ولا ترتيب إمداد مستمر ، وأن ذلك يعنى أن الموضوعات الرئيسية للبحث لن يتم تقدم بشأنها حيث أن الوفد المصرى له صلاحيات كاملة لمناقشتها .

ب - اعاد الجانب الإسرائيلى تأكيد أهمية موضوع الأسرى ووعد الجانب المصرى بالنظر فيه رابطا ذلك بحل الموضوع الرئيسى الخاص بخطوط ١٠/٢٢ . وعلق الجانب الإسرائيلى مطالبا بعدم الربط فيما يخص الحصول على كشوف بأسماء الأسرى على الأقل بموضوع خطوط وقف إطلاق النار ، وأنهم قد قدموا كشفا بأسرانا إلى الصليب الأحمر من تلقاء أنفسهم .

ثم عاد الجانب الإسرائيلى وطرح اقتراحه بالانسحاب لكلا الطرفين ١٠ كم شرق وغرب القناة ، وأن ذلك إجراء مؤقت وسيجعل وقف إطلاق النار ليس مشكلة . ورد الجانب المصرى بأنه سيرفع هذا الاقتراح ، وإن كان يستطيع الآن الرد بأن ذلك غير مقبول وأننا يجب أن نلتزم بقرار مجلس الأمن وبالعودة إلى خطوط ٧٣/١٠/٢٢ .

جـ - طلب الجانب المصرى إخلاء جرحى القوات بالضفة الشرقية إلى القاهرة برا أو جوا ، ولم يعارض الجانب الإسرائيلى فى ذلك رابطا تنفيذه بإعادة جرحى إسرائيل الأسرى فى المستشفيات المصرية ، وطلب أن يتم فى أسرع وقت ممكن زيارة ممثلى الصليب الأحمر لهؤلاء الجرحى فى مستشفياتنا . وقد

أشار الجانب المصرى إلى وجوب التفرقة بين الجرحى المصريين فى الضفة الشرقية ، وبين الجرحى الإسرائيليين الذين هم أسرى فى مصر .

١١ – أنهى الجانب الإسرائيلى الجلسة بالاشارة إلى أن هناك خلاف فى الرأى ، ولكن الوضوح بين الجانبين هام على الأقل . ورد الجانب المصرى بتمنى تحقيق تقدم حقيقى نحو تطبيق قرارات مجلس الأمن ، ووعد الجانب الإسرائيلى بالاتصال فى أسرع وقت ممكن لتحديد لقاء تالى يتم فيه الرد على أسئلة ومقترحات الجانب المصرى .

١٢ – وتم الاتفاق على الصيغة التالية كإعلان عن الاجتماع بوسائل الإعلام :

The U.N. Suggested a meeting between the Egyptian and Israeli military representatives. Both sides accepted, and the meeting took place under U.N. auspices. (*)

□ رابعا : التعليق :

١ – كان جو الاجتماع موضوعيا مهذبا وغير متوتر ، وليس فيه أى نوع من الغطرسة الإسرائيلية المعتادة .

٢ – وضح أن العدو يحتاج إلى مساعدتنا فى موضوعات لها تأثير قوى عليه أكبر مما يظهر ، وهى الأسرى والجرحى والقتلى وتمثل ضغطا داخليا لديه ، وفتح الملاحة فى باب المندب .

٣ – من الواضح أن مشروع انسحاب الطرفين إلى مسافة ١٠ كم شرق وغرب القناة غير جدى ولا يتوقع قبولنا له ، وإن كان يطرحه كنوع من المساومة .

٤ – كان الجانب الإسرائيلى مرنا يقبل المناقشة فى كل شىء ، ولكنه أوضح أنه غير مفوض فى مناقشة الموضوعين التاليين على مستواه :

أ – العودة إلى خطوط ٢٢ أكتوبر ٧٣ .

ب – عمل ترتيبات مستديمة لإمداد وإعاشة الجيش الثالث فى شرق القناة .

٥ – يعتبر الجانب الإسرائيلى أن إمداد الجيش الثالث يوم ٢٨ / ١٠ / ٧٣ بادرة طيبة عملية من جانبه وينتظر شىء مماثل من جانبنا (كشف الأسرى على الأقل) .

٦ – العدو هو الذى سيطالب بالمقابلة التالية ، وسيرد فيها على امكانية استمرار إمداد الجيش الثالث ، وينتظر أن ترد خلالها على موضوع الأسرى ومشروع الانسحاب ١٠ كم على ضفتى القناة للطرفين .

٧ – إن ما تم إنجازه فى الجلسة الأولى هو المناقشة التفصيلية لإمداد الجيش الثالث بقول إدارى واحد يوم ٢٨ / ١٠ / ٧٣ نتيجة لموافقة سياسية سابقة عن هذا الموضوع .

٨ – لا نتوقع نجاحا فى نقاط البحث الرئيسية على المستوى الذى تمت فيه الجلسة الأولى ، بل يجب أن يكون هناك اتفاق مسبق بالنسبة للموضوعات الرئيسية .

التوقيع :	التوقيع :
عقيد أ.ح : أحمد فؤاد هويدى	لواء : محمد عبد الغنى الجمسى ،

(*) ترجمتها : « إن الأمم المتحدة اقترحت عقد اجتماع للممثلين العسكريين المصريين والإسرائيليين . وقد وافق الطرفان ، وانعقد الاجتماع تحت رعاية الأمم المتحدة . »

لسبب ما كان الرئيس « السادات » فى عجلة من أمره . فالوفد العسكرى المصرى برئاسة اللواء « الجمسى » عاد من اللقاء الأول على الكيلو ١٠١ مع الجانب الإسرائيلى - عند الفجر من يوم ٢٩ أكتوبر . لكنه عند الظهر من نفس اليوم عاد إلى هناك مرة أخرى لاجتماع ثان فى أقل من ٢٤ ساعة . وكانت هناك تعليمات مشددة للواء « الجمسى » بأن « يفتح أكثر مع ياريف » . وبالفعل ، فإن اللواء « الجمسى » طلب أن يجتمع على انفراد بالجنرال « ياريف » لكى يمكن أن يدور حديث شخصى مباشر بين رجل ورجل . ومع ذلك فإن الجنرال « ياريف » فى هذا الاجتماع المنفرد عاد فكرر ما قاله فى الاجتماع العام ، وأهم ما فيه هو « **طلب لقاء سياسى على مستوى عال بين مصر وإسرائيل ، وأن هذا وحده هو السبيل إلى حل المشاكل** » . ثم أضاف « ياريف » إلى ذلك طلبا محددا أظهر أنه تهمه الاستجابة إليه دون أن يفصح أكثر - وهو الإفراج عن أسير إسرائيلى اسمه « دان أفيدان شمعون » .

كان نص المحضر الرسمى للجلسة كما يلى :(*)

سرى للغاية

وزارة الحربية

٢٩ /١٠/ ١٩٧٣

محضر

الجلسة الثانية

للوفد العسكرى المصرى مع الجانب الإسرائيلى

٢٩ أكتوبر ١٩٧٣

☐ **أولا : الحاضرون :**

١ - من الجانب المصرى :

أ - لواء محمد عبد الغنى الجمسى

ب - عقيد أ. ح أحمد فؤاد هويدى

٢ - من الجانب الإسرائيلى :

أ - جنرال أ . ياريف

ب - عقيد د . سيون

(*) فى ملحق صور الوثائق توجد صورتان للصفحة الأولى والصفحة الأخيرة من تقرير اللواء « الجمسى » ، وهما منشورتان تحت رقم (١١١) - على صفحة ٨٥١ من الكتاب .

٣ - من الأمم المتحدة :

أ -

ب -نقيب جوزيف فالون

□ ثانيا : الوقت والمكان :

٤ - تم الاجتماع فى الفترة من سعت ١٢٠٠ ٢٩ أكتوبر حتى سعت ١٥٠٠ ٢٩

٥ - وذلك بناء على طلب الجانب الإسرائيلى .

٦ - تم الاجتماع فى منطقة كم ١٠١ طريق القاهرة / السويس .

□ ثالثا : نص ما دار فى الجلسة :

٧ - بدأ الجنرال ياريف بالحديث معربا عن سعادته بتوفر فرصة هذا اللقاء الثانى . وتساءل مباشرة عما إذا كان لدينا رد على مشروعهم السابق طرحه فى الجلسة الماضية بانسحاب قوات الدولتين ١٠ كم شرق وغرب القناة . وذكر أن ذلك يحل مشاكل كثيرة حالية ، ويسهل العودة إلى الحالة العادية Normalization للموقف .

٨ - ورد اللواء الجمسى بأن هذا الاقتراح موضع اعتبار وننظر إليه على أنه فكرة لفض الاشتباك بين القوات .. Disengagement ونرى أن الأسلوب العملى لذلك من وجهة نظرنا هو سحب القوات الإسرائيلية إلى أوضاع ٢٢ / ١٠ حيث أن ارتداد القوات المصرية هو حتى من وجهة النظر الإسرائيلية مؤقت تعود بعده إلى خطوطها فى سيناء .

٩ - علق الجنرال ياريف بأنه يقدر أنه إذا لم تكن هذه المقترحات يمكن بحثها على مستوانا ، فإن تعليمات حكومته أن يتم ذلك على مستوى سياسى ... وأضاف ... أن المباحثات السياسية تكون أفضل وهم فى ظروف عسكرية مناسبة ... وفى هذا المجال فإن مقترحهم لفض الاشتباك قائم ويطلبون لقاءا على المستوى السياسى الذى نراه لبحثها .

١٠ - قرر الجانب المصرى تفادى مزيد من الحديث فى هذا الموضوع ، وأن يتم مناقشته مع الجنرال ياريف شخصيا فى وقت لاحق من الجلسة حيث كان هناك عدد آخر من كبار ضباط الجيش الإسرائيلى من خارج الوفد .

١١ - انتقل الحديث إلى موضوع الأسرى، الجرحى من الأسرى ومن القوات فى رأس كوبرى الجيش الثالث ، جرحى مدينة السويس . وأبرز الجنرال ياريف :

أ - أن الجانب الإسرائيلى قد وافق على نقل مواد طبية إلى مدينة السويس ، وأنهم قدموا كشوفا بأسماء الأسرى المصريين وهم كما ذكر أكثر من ٦٠٠٠ فرد ، كما سمحوا للصليب الأحمر بزيارة الأسرى الجرحى .

ب -أنهم حتى الآن لم يحصلوا على كشف أسماء الأسرى ولم يسمح للصليب الأحمر بزيارة الجرحى .

جـ - أنه لذلك قررت الحكومة الإسرائيلية عدم الموافقة على إخلاء جرحى مدينة السويس ، الجيش الثالث .

د - أنه يرجو أن نوافق وبأسرع ما يمكن على :

(١) تقديم كشوف أسرى الحرب

(٢) زيارة الصليب الأحمر للجرحى من الأسرى
(٣) سرعة تبادل جرحى الحرب من الأسرى بالإضافة إلى إخلاء حالات الجرحى الخطيرة من الجيش الثالث . ورجا أن يشمل هذا التبادل الأسير دان أفيدان شمعون .
(٤) عمل جدول زمنى لتبادل كامل الأسرى .

١٢ - علق اللواء الجمسى بالآتى :

أ - سيتم خلال أيام تقديم كشوف بأسماء الأسرى للصليب الأحمر .
ب -لا نوافق على تبادل كامل للأسرى إلا ضمن ترتيبات العودة إلى خطوط ٢٢ / ١٠ واستمرار إمداد الجيش الثالث .
جـ - سيعرض الجانب المصرى على السلطات المختصة :
(١) زيارة الجرحى الأسرى بواسطة الصليب الأحمر .
(٢) تبادل الأسرى الجرحى إلى جانب إخلاء جرحى الجيش الثالث من الحالات الخطيرة .

وسيتم الإخطار برد السلطات المصرية اليوم ٢٩ / ١٠ .

١٣ - انتقل الحديث إلى إمداد الجيش الثالث .. وكرر الجنرال ياريف أنهم وفوا بما التزموا به ، وأنهم لم يحدث من جانبهم أى تعويق للعملية ..وبمناقشة الموقف تبين أن عملية التفريغ والعبور تتم بامكانيات ضعيفة لا تمكن من إنجاز نقل الإمدادات . وبذلك تقرر :

أ - نقل القول إلى منطقة ٣ كم من المعبر .
ب -تحريك عربات القول فى مجموعات طبقا لمعدل السحب إلى نقطة التفريغ .
جـ - أن يعمل ٥ مركبة برمائية فى عملية النقل إلى الجانب الشرقى بدلا من مركبة واحدة كان قد اتفق عليها فى الجلسة السابقة .
د - وأن يعبر لعملية التفريغ وتحميل المركبة البرمائية ٥٠ فردا من قواتنا بدلا من ١٠ كان قد اتفق عليها فى الجلسة السابقة .

وقد صدرت التعليمات بذلك أثناء الاجتماع من الجانب الإسرائيلى إلى قواته فى منطقة كم ١٣٨,٥ .

١٤ - وأفاد الجانب المصرى أهمية استمرار إمداد الجيش الثالث ، ورد الجانب الإسرائيلى بأن ذلك مرتبط باللقاء السياسى لحل مشكلة فض الاشتباك .. ثم مع المناقشة قال الجنرال ياريف إنه شخصيا وليس رأى حكومته - يرى أن حل موضوع الأسرى الجرحى وتبادلهم سيساهم فى تسهيل موافقة السلطات الإسرائيلية على الاستمرار فى إمداد الجيش الثالث .

١٥ - فى حديث شخصى مع الجنرال ياريف تبودلت الآراء التالية :

أ - أعرب عن اهتمام القيادة السياسية الإسرائيلية العليا باستمرار هذه الاتصالات وبوصولها إلى نتائج ايجابية .
ب -كرر أنه يلزمهم موقف عسكرى مناسب للبدء فى العمل السياسى .
جـ - عرضت عليه فكرة فك الاشتباك من وجهة نظرنا وهى ، إخلاء منطقة السويس

والمحور الجنوبى من القوات الإسرائيلية ، والارتداد إلى منطقة نتفق عليها حول الدفرسوار ، » وأن ذلك يحل مشكلة إمداد الجيش الثالث ويبقى لهم موقفا عسكريا مناسبا » بالوجود غرب القناة » . وقد أبدى تفهمه لوجهة نظرنا ووعد بنقلها إلى أعلى مستوى سياسى .

د - توضح له بصراحة تامة أن موضوع تبادل الأسرى « غير الجرحى » لن يتم إلا بحل مشكلة إمداد الجيش الثالث والارتداد إلى المنطقة التى سنتفق عليها مع إخلاء منطقة السويس ومؤخرة الجيش الثالث .

هـ - أعرب عن اهتمام القيادة السياسية الإسرائيلية فى لقاء مستوى سياسى ، وقد ذكر أنهم يقبلون المستوى الذى نقترحه والمكان .. وأن هدف مثل هذا اللقاء هو البت فى فك الاشتباك بمقترحاتهم أو بمقترحات مضادة منا .

و - اقترح اتصالا لاسلكيا مباشرا لسرعة تبادل المعلومات وتحديد المواعيد ومتابعة نتائج اللقاءات .

ز - ترك تحديد موعد ومكان الجلسة التالية لنا .

(إمضاء)	(إمضاء)
عقيد أ ح : أحمد فؤاد هويدى	لواء : محمد عبد الغنى الجمسى
	نائب رئيس أركان الحرب
	ورئيس هيئة عمليات القوات المسلحة »

□

ورأى اللواء « الجمسى » أن يرفق مع المحضر الرسمى للجلسة ملحقا يعطى فيه انطباعاته خصوصا فيما يتعلق باللقاء المنفرد بينه وبين الجنرال « ياريف » . وكتب اللواء « الجمسى » تحت عنوان « التعليق » ما نصه :

« ١٦ - نرى أن الموقف الإسرائيلى وإن كان يبدى المرونة إلا أنه يسعى إلى الإبقاء على الوضع العسكرى الحالى للجيش الثالث حتى يستثمره فى المباحثات السياسية المقترحة .

١٧ - هناك اتفاق على فكرة فض الاشتباك من ناحية المبدأ ، والفرق بين وجهتى النظر هو :

أ - وجهة النظر الإسرائيلية تهدف إلى تصفية المكاسب العسكرية المصرية والتفاوض من مركز القوة .

ب - وجهة نظرنا تعنى الاحتفاظ بمكاسبنا العسكرية وثقلها على الجانب السياسى مع تقليل قيمة وجود العدو فى الغرب . وعلى ضوء المناقشات السياسية المقترحة يمكن الوصول إلى الوضع العسكرى الذى ستبدأ منه المفاوضات للوصول إلى حل نهائى للأزمة . ويعتبر لهذه الخطوة أهمية خاصة بالنسبة للطرفين من وجهة النظر العسكرية والسياسية .

١٨ - يربط الجانب الإسرائيلى استمرار إمداد الجيش الثالث بالتبادل الكامل للأسرى ،

بينما يربط الجانب المصرى التبادل الكامل للأسرى بعودة القوات الإسرائيلية إلى منطقة ما حول الدفرزوار وإخلاء منطقة السويس ، ولذلك يجب حل الموضوعات الثلاث (استمرار إمداد الجيش الثالث - عودة القوات الإسرائيلية إلى منطقة الدفرزوار - التبادل الكامل للأسرى) فى صفقة سياسية واحدة .

١٩ -تحسنت بلقاء اليوم معدلات تدفق قول إمدادات الجيش الثالث . ويحتمل باستمرار الاتصالات السياسية والعسكرية أن تكون هناك فرصة أفضل لمزيد من الإمداد .

٢٠ -نقترح الآتى :

أ - الموافقة على إعطاء المباحثات صفة سياسية .

ب -الموافقة على تبادل الأسرى الجرحى مقابل حصولنا على أسرانا الجرحى ، وإخلاء جرحى الجيش الثالث من رأس الكوبرى الذين فى حاجة إلى رعاية طبية أفضل .

جـ - تسليم الأسير دان أفيدان شمعون كدعم شخصى للجنرال ياريف والتيار الذى يمثله .

د - أن يتم الاجتماع الثالث فى أسرع وقت ممكن ، علما بأن تحديد الموعد والمكان متروك لنا .

هـ - تأجيل البث فى اتصال لاسلكى مباشر فى الوقت الحاضر » .

وربما كان أهم ما فى هذا التعليق من وجهة نظر اللواء « الجمسى » هو اقتراحه بـ « الموافقة على إعطاء المباحثات صفة سياسية » . ولعل اللواء « الجمسى » بهذه الفقرة من تعليقه كان يريد أن ينقل الموضوع كله من اختصاصه إلى اختصاص غيره .

ولكن الرئيس « السادات » قرأ محضر الجلسة وقرأ تعليق اللواء « الجمسى » بعدها ، واتخذ قرارا بإعلان تعيين اللواء « الجمسى » مساعدا لوزير الحربية للشئون السياسية .

ولم تكن هذه هى القضية . فالمسميات هى جسم الحقيقة ، والأسماء أردية ظاهرة . ثم إن أحدا لم يتوقف ليتذكر أنه إذا تحولت صفة اللواء « الجمسى » من عسكرى إلى سياسى - فإن صفة الجنرال « ياريف » لم تتغير ، وسوف يكون أسهل الأشياء عليه أن يقول للواء « الجمسى » إن « محادثاتهما مازالت تحتاج إلى تصحيح لاختلاف وصف كل طرف من طرفيها » !

٣

عاد اللواء « محمد عبد الغنى الجمسى » إلى اجتماعات الكيلو ١٠١ على طريق السويس لاجتماعه الثالث مع « ياريف » - يوم ٣٠ أكتوبر - وكان الداعى للاجتماع هو الجانب المصرى تحت صفة جديدة هذه المرة : « الوفد السياسى العسكرى المصرى » .

وقد حمل الوفد السياسى والعسكرى معه إلى الاجتماع هدية أو عربون حسن نية هو الملازم « دان أفيدان شمعون » .

كما أن الوفد بصفته السياسية حمل معه مشروعا لفض الاشتباك بين القوات المصرية والقوات الاسرائيلية يقضى بـ :

١ - انسحاب القوات الإسرائيلية لمسافة ثلاثين كيلو مترا من شرق القناة .
٢ - تحل قوات من الأمم المتحدة فى منطقة عازلة بين الطرفين .
٣ - إمكان البحث فى حجم وتسليح القوات المصرية التى ستبقى فى الخطوط الحالية فى الضفة الشرقية .

(وكان ذلك أقل بكثير مما كانت تجرى مناقشته قبل الحرب حين كان وزير الخارجية الأمريكى ، ويليام روجرز ، يعرض انسحابا إسرائيليا عمقه ٤٠ كيلومترا ، بينما كان الرئيس « السادات » يصر على انسحاب يصل إلى ما وراء العريش) .

وكان محضر الاجتماع على النحو التالى :(*)

سرى للغاية

محضر الجلسة الثالثة

للوفد السياسى العسكرى المصرى مع الجانب الإسرائيلى

٣٠ أكتوبر ١٩٧٣

□ **أولا : الحاضرون :**

١ - من الجانب المصرى :

أ - لواء محمد عبد الغنى الجمسى — **مساعد وزير الحربية للشئون السياسية**

(*) فى ملحق صور الوثائق توجد صورتان للصفحة الأولى والصفحة الأخيرة من محضر هذه الجلسة ، وهما منشورتان تحت رقم (١١٢) - على صفحة ٨٥٣ من الكتاب .

ب – عقيد أ.ح أحمد فؤاد هويدى
جـ – مستشار فوزى الابراشى — ممثلا لوزارة الخارجية

٢ – من الجانب الإسرائيلى :

أ – جنرال أ . ياريف — مساعد رئيس أركان حرب
ب – عقيد د . سيون — من ضباط الأركان العامة
جـ – عقيد أ . ليفران — من ضباط الأركان العامة

٣ – من الأمم المتحدة :

أ – مقدم أ . ونجرل — L.T. E. WEINGERL
ب – نقيب جوزيف فالون — CAP . JOSEF FALLON

□ ثانيا : الوقت والمكان :

٤ – تم الاجتماع بناء على طلب الجانب المصرى فى الفترة من سعت ١٢٠٠ ٣٠ حتى سعت ١٤٥٠ ٣٠ .
٥ – وذلك فى منطقة كم ١٠١ طريق السويس / القاهرة .

□ ثالثا : نص ما دار فى الجلسة :

٦ – بدأت الجلسة بكلمة من اللواء الجمسى أعلن فيها الصفة السياسية والعسكرية للوفد ، وبتعيينه مساعدا لوزير الحربية للشئون السياسية ، وصلاحية الوفد لمناقشة الموضوعات السياسية والعسكرية .
٧ – رد الجنرال ياريف بتفهمه لذلك ، وطلب تحديد موقفنا من الموضوعات التى نوقشت فى الجلسة السابقة وأساسا موضوع الأسرى .
٨ – رد الجانب المصرى بما يلى :

أ – قبلنا تبادل الأسرى الجرحى إلى جانب إخلاء الحالات الخطيرة من مدينة السويس والجيش الثالث .
ب – سلمنا الصليب الأحمر كشفا بأسماء الجرحى الأسرى وسمحنا بزيارتهم .
جـ – نطلب أسماء الجرحى من الأسرى المصريين .
د – سنطلب من الصليب الأحمر التوجه إلى كل من الجيش الثالث شرق القناة ومدينة السويس لحصر حالات الاصابة الخطيرة Seriously wounded.
هـ – سيتم التبادل عن طريق الصليب الأحمر .
و – أحضرنا الملازم دان أفيدان كبادرة من جانبنا ، وهو موجود فى آخر نقطة مصرية على طريق السويس .
ز – سيتم تسليم الجثث الموجودة طرفنا وعددها ٦ إلى الجانب الإسرائيلى عن طريق الصليب الأحمر ، وباقى الجثث غير محصورة ومتناثرة فى المواقع ، ونحن على استعداد لبحث أسلوب التصرف بشأنها .

٩ – أبدى الجانب الإسرائيلى امتنانه بالنسبة لذلك ، وخاصة إحضار الملازم دان أفيدان ، وتساءل عن موقف كشوف أسماء الأسرى ، وأبدى اهتماما شديدا

بإنهاء هذا الموضوع فى أقرب فرصة – وقد رد الجانب المصرى بأن كشفا جديدا سيتم تسليمه اليوم لا يتضمن كل الأسرى ، وجارى حصر وإعداد باقى الكشوف وستسلم تباعا . وستسمح بزيارة من الصليب الأحمر بالنسبة لمن تضمنتهم الكشوف المسلمة .

١٠ – أثار الجانب المصرى ما يلى :

أ – أن القوات الإسرائيلية قد قامت فجأة أمس بقطع المياه عن مدينة السويس .

ب – أن مدينة السويس تحتاج إلى إمداد بأطباء ومواد طبية ومواد غذائية . وأضاف الجانب المصرى أنه يعتبر قطع المياه مسألة خطيرة لتأثيرها على المدنيين من سكان المدينة – كما يعتبر إمداد مدينة السويس مسألة هامة أيضا بالنسبة للسكان المدنيين بها .

١١ – رد الجنرال ياريف بالآتى :

أ – طلب تفصيلات عما حدث بالضبط فى موضوع قطع المياه ، وذكر أن معلوماته فى هذا الشأن أنه قد نسفت الترعة الحلوة منذ ٢١ أكتوبر ، ويحتمل أن المياه تكون قد نضبت الآن ، ووعد ببحث الموضوع فورا والإفادة .

ب – طلب تحديد حاجة مدينة السويس من الأطباء والمواد الطبية والغذائية للنظر فى الموافقة عليها .

جـ – أضاف بأنه وردهم منا عن طريق الصليب الأحمر وجود قوات أو أفراد فى داخل دشم فى منطقة العجرود ، وبتفتيش المنطقة لم يجدوا أحدا ، ويطلب تفصيلات تمكن من التوجه إلى مكان محدد للبحث فيه .

د – وردا على استفسار من الجانب المصرى حول معتقلات للمدنيين فى المنطقة غرب القناة ، نفى ذلك تماما ، وقال إنه على استعداد لتقصى حقيقة أى حدث نود أن نستفسر عنه .

١٢ – انتقل اللواء الجمسى بالحديث إلى مناقشة المسائل السياسية وقال :

أ – نعتبر أنفسنا فى مرحلة افتتاحية من المفروض أن يليها مراحل أخرى من المباحثات على مستويات أعلى للوصول إلى تسوية نهائية للموقف طبقا لقرار مجلس الأمن ٢٤٢ .

ب – نعتبر أن هذه المرحلة تتضمن ثلاث نقاط أساسية :

(١) وقف إطلاق النار وذلك سارى حتى الآن .

(٢) اتخاذ قوات الأمم المتحدة أماكنها بين قوات الطرفين .

(٣) انسحاب القوات الإسرائيلية إلى المواقع التى كانت عليها يوم ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣ طبقا لقرار مجلس الأمن .

جـ – واقرار هذه النقاط فى هذه المرحلة هو الذى سيمهد للمباحثات المقبلة على المستوى الأعلى .

١٣ – رد الجنرال ياريف أنه بالنسبة لهذا الموضوع سيحاول إعادة توضيح موقفه بما لا يدع مجالا للشك :

أ - أن حكومته تؤمن بضرورة إجراء فض اشتباك حقيقى بين القوات Serious disengagement.

ب - أنهم حازمون جدا very firm فيما يخص رأيهم فى أسلوب فض الاشتباك ، والذى سبق أن أوضحه بالانسحاب المتبادل للقوات ١٠ كم ، أو مسافة يتم الاتفاق عليها شرق وغرب القناة مع وجود منطقة فاصلة Buffer zone تشغلها قوات الأمم المتحدة ، ويمكن مناقشة أشكالها modalities إذا كنتم تشكون فى نوايا عدوانية لنا .

جـ - أنه من المستحيل Impossibleفى حالة عدم موافقتنا على ذلك الانتقال من الموقف الحالى إلى خطوط ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣ ، وأنهم يرون الابقاء على الوضع الحالى Status quo لحين اتخاذ خطوة كبيرة Major move ، وأضاف أن مسألة خطوط ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣ ستأخذ مناقشات طويلة ، وممثلى الأمم المتحدة عاجزون حتى عن تحديد الخطوط الحالية .

د - أنه متفهم تماما لصعوبات الموقف الحالى من الناحيتين العسكرية والسياسية - ولماذا إذن لا نتخلص من هذه الصعوبات باتخاذ خطوة أساسية تخلق موقفا جديدا - مشيرا إلى الانسحاب المتبادل - وحكومته أعلنت من قبل عام ١٩٧١ أن ذلك لن يعنى خطوطا نهائية ، ولكنها مرحلة تنسحب منها قواتهم إلى الحدود التى سيتم التفاوض بشأنها .

هـ - لذلك فهو غير مفوض ببحث موضوع خطوط ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣ I am not authorized to discuss ...

و - وعلق .. يبدو أننا وصلنا إلى طريق مسدود Dead lock .

١٤ - رد اللواء الجمسى بأنه فهم وجهة النظر الإسرائيلية ، ولماذا فعلا لا تتخذ خطوة كبيرة Major move وذلك بالانتقال بالقوات الإسرائيلية من الموقف الحالى إلى خط شرق القناة يبعد مسافة لا تقل عن ٣٠ كم من القناة ، بينه وبين قواتنا منطقة فاصلة تشغلها قوات الأمم المتحدة ، مع احتفاظ قواتنا بمواقعها الحالية فى الضفة الشرقية مع إمكان البحث فى حجم وتسليح القوات المصرية التى ستبقى فى الخطوط الحالية فى الضفة الشرقية .

١٥ - رد الجنرال ياريف أنه اقتراح جاد Serious وأنه ليست لديه صلاحية مناقشته ، ولكنه سيرفعه بنفس الجدية إلى رئاسته ، وسيخطرنا بالرد علي ذلك .. وأن ذلك سيأخذ بعض الوقت للرد ولكنه لن يتأخر عن الأحد أو الاثنين القادم (٤ - ٥ / ١١) .. وارجو ألا يفهم من ذلك أننى موافق أو ليس لدينا اعتراض على هذا الاقتراح .

١٦ - أثار الجنرال ياريف بعد ذلك موضوع جثث القتلى الإسرائيليين ، واقترح إرسال أى عدد نحدده من أفراد الصليب الأحمر للبحث عن الجثث فى المواقع والدبابات واخلائها - وأنه إذا وافقنا على ذلك فيمكن تحديد المناطق وأسلوب التنفيذ ، وكذلك يمكن عمل نفس الترتيبات بالنسبة لجثث شهدائنا فى المناطق التى يسيطرون عليها - وقد رد الجانب المصرى بأنه لا اعتراض من حيث المبدأ ، ويمكن بعد موافقة السلطات بحث التفاصيل .

١٧ - نوقشت بعد ذلك الموضوعات المعلقة حتى الآن ، ورتبت كما يلى :

أ – موضوع الاقتراح المصرى بارتداد القوات الإسرائيلية إلى مسافة لا تقل عن ٣٠ كم شرق القناة ، وموضوع استمرار إمداد الجيش الثالث ، وقد وعد الجانب الإسرائيلى بالرد عليها قبل يوم الاثنين المقبل .

ب – موضوع قطع المياه ، ومطالب مدينة السويس من الأطباء والمواد التموينية والطبية ، وقد التزم الجانب المصرى بإرسال تفاصيل عن مشكلة قطع المياه وتحديد مطالب المدينة برقيا اليوم ٣٠ / ١٠ / ١٩٧٣ . ووعد الجانب الإسرائيلى بالرد على ذلك فى أسرع وقت ممكن .

١٨ – طلب الجانب المصرى عدم نشر أو إذاعة خبر تسليم الأسير الملازم دان أفيدان حتى يبدأ تبادل الأسرى الجرحى . ووعد الجانب الإسرائيلى بمراعاة ذلك .

١٩ – ترك تحديد موعد ومكان الاجتماع القادم للجانب الإسرائيلى .»

ومرة أخرى أضاف اللواء « الجمسى » تعليقا على المحضر عرض فيه عددا من ملاحظاته ، ثم ألحقها بمجموعة من التوصيات وصل فيها إلى القول بأنه « قد تنشأ الحاجة إلى تشكيل ضغط عسكرى على العدو مع احتمال استئناف القتال » . وكان نص التعليق على النحو التالى :

٢٠ – أوضح اجتماع اليوم موقف الطرفين من أهم موضوعات المرحلة الحالية ، وهو أوضاع القوات لبدء المفاوضات :

أ – الموقف الإسرائيلى يرفض الانتقال من الموقف العسكرى الحالى إلا إلى موقف عسكرى أنسب يلغى المميزات العسكرية المصرية .

ب – الموقف المصرى يرفض الارتداد من شرق القناة ويحتفظ بالمكاسب العسكرية لصالح الحل السياسى .

٢١ – اقتراحنا بخصوص الانسحاب الإسرائيلى إلى خط شرق القناة مع بحث حجم الوجود العسكرى المصرى داخل الحدود الحالية لرؤوس الكبارى يبدو أفضل مخرج من الموقف الحالى للطرفين – ونرى أنه سيحدث انقسام فى الرأى حوله داخل القيادات العليا الإسرائيلية .

٢٢ – رفض هذا الاقتراح من الجانب الإسرائيلى يكشف عن عدم جدية إسرائيل فى المباحثات الحالية بالنسبة لموضوع الانسحاب ، وأن قبولها للمباحثات هو بغرض حل المشاكل التى تمثل ضغطا داخليا عليها ، وخاصة موضوع الأسرى والجرحى والموتى .

٢٣ – كان الجانب الإسرائيلى موضوعيا ومتجاوبا فى الموضوعات الفرعية .

التوصيات :

٢٤ – إلقاء أكبر ثقل ممكن للضغط سياسيا لقبول إسرائيل لاقتراحنا بالنسبة لفض الاشتباك والخطوط التى تكون عليها القوات فى نهاية المرحلة الحالية .

٢٥ – استغلال موضوع الأسرى والجرحى والموتى فى ربطه بموضوع الخطوط التى يجب الوصول إليها وليس بالموضوعات الفرعية .

٢٦ – قد تنشأ الحاجة إلى تشكيل ضغط عسكرى على العدو ، ونرى أن يكون ذلك فى صورة مقاومة شعبية من سكان المناطق التى يسيطر عليها فى الضفة الغربية

"للقناة ، ويحتاج ذلك إلى إعداد وتخطيط من الآن بجانب استعداد القوات المسلحة لاستئناف القتال .

(إمضاء)

لواء / محمد عبد الغنى الجمسى "

وهكذا تأكد عمليا أن إعطاء الصفة السياسية للوفد العسكرى لم ينجح فى إحداث الأثر الذى كان يتشوق إليه الرئيس " السادات " .

□

ويوم أول نوفمبر كان الطرف الإسرائيلى هو الذى يطلب اجتماعا على الكيلو ١٠١ . وقد بدأ الاجتماع عند الظهر تماما ، واستمر حتى الساعة الثالثة بعد الظهر . وكان الذى يرأس الوفد الإسرائيلى هذه المرة هو الجنرال" يسرائيل تال " نائب رئيس الأركان ومدير العمليات . ومن الواضح أن الهدف من مجىء الجنرال " تال " كان إبلاغ اللواء " الجمسى " فى حديث خاص بين الاثنين بعيدا عن مائدة الاجتماع العام - بأن المشروع المصرى لفك الاشتباك بين مصر وإسرائيل ، والذى عرضه اللواء " الجمسى " على الجنرال " ياريف " فى الجلسة الماضية ، " يجرى الآن بحثه جديا ، وقد تم عرضه على السلطات السياسية ، بما فى ذلك رئيسة الوزراء ، وسيتخذ قرار سياسى فى الموضوع فور عودتها من أمريكا . "

كان نص محضر الجلسة الرابعة من محادثات الكيلو ١٠١ على النحو التالى(*) :

سرى للغاية

هيئة عمليات القوات المسلحة

١ نوفمبر ١٩٧٣

محضر الجلسة الرابعة

للوفد العسكرى المصرى مع الجانب الإسرائيلى

١ نوفمبر ١٩٧٣

□ **أولا : الحاضرون :**

١ - من الجانب المصرى :

أ - لواء محمد عبد الغنى الجمسى — **نائب رئيس أركان حرب ورئيس هيئة العمليات**

(*) فى ملحق صور الوثائق توجد صورة للصفحة الأولى من محضر هذه الجلسة ، وهى منشورة تحت رقم (١١٣) - على صفحة ٨٥٥ من الكتاب .

ب -عقيد أ ح أحمد فؤاد هويدى

٢ - من الجانب الإسرائيلى :

أ - الجنرال يسرائيل تال — نائب رئيس الأركان ومدير العمليات

ب -عقيد د . سيون

جـ - عقيد أ . ليفران

٣ - من الأمم المتحدة :

أ - مقدم أ . ونجرل

ب -نقيب جوزيف فالون

□ ثانيا : الوقت والمكان :

٤ - تم الاجتماع بناء على طلب الجانب الإسرائيلى فى الفترة من سعت ١٢٠٠ ٠١ حتى سعت ١٥٠٠ ٠١

٥ - وذلك فى منطقة كم ١٠٣ طريق السويس / القاهرة .

□ ثالثا : نص ما دار فى الجلسة :

٦ - بدأ الجنرال تال بتقديم نفسه ، وأضاف أنه يرغب فى متابعة ما بدأه الجنرال ياريف من مناقشة ، وأنه يرغب فى بحث الموضوعات التالية :

أ - تبادل الأسرى الجرحى

ب -الحصول على كشوف بأسماء الأسرى

جـ - تبادل جثث الموتى

د - إمداد المدنيين فى السويس بالمواد التموينية والطبية

هـ - قول إمداد الجيش الثالث

و - فض الاشتباك

ز - شكوانا من معاملة المدنيين

٧ - اتفق بعد مناقشة أثار فيها الجانب الإسرائيلى أهمية موضوع الأسرى والجرحى بالنسبة لهم ، والضغوط التى يتعرضون لها من جانب الأسر والرأى العام — على ما يلى :

أ - بالنسبة للأسرى الجرحى وجرحى الجيش الثالث ومدينة السويس :

(١) يتم مبادلتهم تحت إشراف الصليب الأحمر

(٢) تتم المبادلة بالنسبة للأسرى الجرحى جوا ، وإخلاء جرحى الجيش الثالث ومدينة السويس برا .

(٣) تسلم ٢٧ جريحا إسرائيليا فى دفعة ، ثم باقى جرحى العدو وعددهم ١٨ بعد تمام تسليم أفراد قواتنا

(٤) يعقد مؤتمر لتنظيم عملية التسليم باكر ٢ / ١١ يحضره ممثلون للجانبين والصليب الأحمر الدولى .

هذا وقد سلمنا العدو كشفا يتضمن أسماء ٤٠٠ جريح مصرى فى مستشفيات إسرائيل ، كما كان يجرى بواسطة الصليب الأحمر خلال وجودنا حصر حالات الجرحى فى الجيش الثالث ومدينة السويس .

ب -بالنسبة لتبادل الأسرى :

(١) أخطر الجانب المصرى بأنه تم اليوم تسليم كشف بعدد من الاسرى الاسرائيليين إلى الصليب الأحمر (عددهم ٤٦) .

(٢) علق الجانب الإسرائيلى بأنهم قد سلموا سعت ١٠٠٠ اليوم ١ / ١١ كشوفا بأسماء ٦٧٩٦ أسيرا مصريا إلى الصليب الأحمر . ويرجون بإلحاح استلام كشوفا بالأسماء الكاملة لأسراهم .

(٣) وعدنا بالنظر فى الموضوع دون ذكر الرقم الحقيقى لعدد الأسرى أو توقيت تسليم الكشوف .

جـ - بالنسبة لجثث الموتى :

تم الاتفاق على بحث ذلك فى مؤتمر باكر بين ممثلى الجانبين والصليب الأحمر .

٨ - انتقل الحديث إلى موضوع مدينة السويس وإمداد سكانها بالمياه والمواد التموينية والطبية ، وعرض الجانب المصرى مطالب الإمداد اليومية (٧ لورى يوميا) إلى جانب مشكلة إصلاح الترعة الحلوة كحل مستديم ، وتشغيل خط الأنابيب عبر الزيتية للإمداد العاجل بالمياه . وكان موقف الجانب الإسرائيلى كما يلى :

أ - لايمكن إنكار حق المدنيين فى هذه الإمدادات

ب -كيف يمكن التأكد من عدم انتقال هذه الإمدادات إلى الجيش الثالث

جـ - يمكن إرسال قول إمداد غدا ٢ / ١١ بصفة مؤقتة حتى يتم الرد علينا بالنسبة لتوقيتات إمداد دائمة للمدنيين

د - وقد رفضنا الترتيبات المؤقتة وطلبنا أن يكون إمداد المدينة مستمرا (إمداد - طبى - مياه) حيث أنه حق للمدنيين ولا يمكن قبول التساهل فيه . وقد وعد الجانب الإسرائيلى بالرد فى الاجتماع القادم .

٩ - بالنسبة لإمداد الجيش الثالث :

أ - سيتم الرد بالنسبة لإمداد الجيش الثالث بصفة مستديمة فى الموعد الذى حدده الجنرال ياريف (٤ - ٥ / ١١ / ٧٣) حيث أن ذلك مرتبط بموضوع فض الاشتباك وأسلوب تنفيذه .

ب -تم إقرار زيادة إمكانيات العبور باستخدام فتحتين أو توسيع الفتحة الحالية لتسمح بعمل ١٠ مركبات ١٠٠ فرد ، بدلا من خمسة مركبات ٥٠ فرد .

١٠ - أثار الجانب الإسرائيلى مشكلة تسرب فردى لبعض الأفراد من قواتنا من الجانب الشرقى للقناة ، وطلب السيطرة على مثل هذه الأعمال لمنع الاحتكاكات . ورد الجانب المصرى بإثارة التصرفات المماثلة من جانب العدو . وعلق الجنرال تال بأن الأمر يحتمل أن يكون سببه هو وجود قوات لنا أو لهم لم تكتشف بواسطة أى من الجانبين ، واعتبر أن بحث فض الاشتباك هو الحل الجذرى لهذه المشكلة مع تأكيد الجانب الإسرائيلى بعدم إجراء قواته لتحركات لكسب أرض واستعدادهم لبحث أى حالة محددة .

١١ - أثار الجانب المصرى موضوع الضباط الأربعة الأسرى الذين وقعوا فى الأسر يوم ٢٨ / ١٠ / ٧٣ بمنطقة عتاقة ، واعترف الجانب الإسرائيلى بحدوث ذلك بعد تقصى الأمر ووعد بالرد على موقفهم فى الاجتماع القادم ، وقد اقترح مبادلتهم بصفة خاصة بأى عدد من أسراه فى مدينة السويس على أن يتم ذلك مباشرة بين الجانبين .

١٢ - قرر الجانب الإسرائيلى أنه كان هناك فعلا احتجاز لبعض المدنيين فى معسكرات بمنطقة فايد وكبريت .. الخ . ولما لفت الجانب المصرى نظرهم لذلك تم الإفراج عنهم فورا والعودة لمنازلهم ومزارعهم ، وأبدى استعداده لبحث أى ملاحظات لنا فى هذا الشأن .

١٣ - تمت مناقشة اقتراح الجانب المصرى لفض الاشتباك بانسحاب القوات الإسرائيلية إلى خط شرق القناة فى حديث خاص بين اللواء الجمسى والجنرال تال ، ويفهم من الحديث أن المشروع تم بحثه جديا بواسطة العسكريين المختصين وتم عرضه على السلطات السياسية بما فى ذلك رئيسة الوزراء ، وسيتخذ قرار سياسى فى الموضوع فور عودتها من أمريكا .

١٤ - تم الاتفاق على الاجتماعات التالية :

أ - اجتماع باكر ٢ / ١١ / ٧٣ بين ممثلى الجانبين والصليب الأحمر سعت ١٢٠٠ فى نفس المكان لبحث البرنامج الزمنى لتبادل الأسرى الجرحى وإخلاء جرحى مدينة السويس وجرحى الجيش الثالث .
وتم تلقين مندوبنا فى هذا الاجتماع بألا يرتبط بتوقيتات التنفيذ (يضع المخطط فقط) إلا بعد الرجوع لنا حتى تكون قد اتضحت نية العدو بالنسبة لإمداد مدينة السويس بكل احتياجاتها ، حيث أنه من المقترح ربط الموضوعين ببعضهما .

ب - اجتماع يوم ٣ /١١ بين الجانبين سعت ١٢٠٠ فى نفس المكان لبحث موقف الإمداد المستمر لمدينة السويس والضباط الأربعة الأسرى وأى نقاط أخرى .

(إمضاء)
لواء : محمد عبد الغنى الجمسى
نائب رئيس أركان الحرب
ورئيس هيئة عمليات القوات المسلحة .

الفصل الثالث

رحلة إلى واشنطن

١

مع مطالع شهر نوفمبر ١٩٧٣ كان الزحام شديدا بين التحركات والتوجهات والخطط والأفكار :

– كانت هناك محادثات الكيلو ١٠١ ، وفيها قدم الوفد السياسى العسكرى المصرى برئاسة اللواء « محمد عبد الغنى الجمسى » مشروعا لفك الارتباط .

– وكانت « جولدا مائير » رئيسة وزراء إسرائيل قد هرعت إلى واشنطن لمقابلة مع الرئيس « نيكسون » ومع « هنرى كيسنجر » بالطبع .

– وكان « هنرى كيسنجر » يستعد لأول زيارة يقوم بها إلى العالم العربى .

– وكان الرئيس « السادات » قد قرر إرسال وزير خارجيته الجديد السيد « اسماعيل فهمى » إلى واشنطن ليقابل « نيكسون » و« كيسنجر » ، وليواجه أية ضغوط تكون « جولدا مائير » قد ركزتها على واشنطن فى هذه الفترة الحرجة والحساسة ، وليبحث أيضا فى موضوع عودة العلاقات الدبلوماسية بين مصر والولايات المتحدة .

– وكانت العواصم السياسية فى العالم العربى مشدودة تحاول أن تتابع ما يجرى على الساحة ، والإشاعات والأقاويل كثيرة ، والحقائق الموثوق بها قليلة ، والكل ينتظر .

- وكان الرأى العام العربى ضائعا وسط هذا الخضم من التطورات التى بدت مفاجئة وتسارعت وتائرها حتى لم يعد فى مقدور أحد أن يتابع فضلا عن أن يفهم .

□

وكان الترتيب لزيارة السيد « اسماعيل فهمى » إلى واشنطن قد بدأ برسالة على القناة السرية من السيد « حافظ اسماعيل » إلى « هنرى كيسنجر » بدأت بالشكوى من الإسرائيليين فى البند الأول ، انتهت بزيارة السيد « اسماعيل فهمى » إلى واشنطن فى البند الثالث . وكان نصها على النحو التالى :(*)

« من السيد حافظ اسماعيل
إلى الدكتور هنرى كيسنجر

أود إحاطتكم علما بالتطورات الآتية :

١ - لئن كان طابور التموين قد سمح له من حيث المبدأ بمواصلة السير إلى الجهة التى يقصدها ، إلا أنه تأخر بفعل الإسرائيليين الذين أوجدوا مصاعب فنية ، وأطلقوا النار آخر الأمر على الطابور .

٢ - ولقد عقد أخيرا الاجتماع الذى تحدد لانعقاده سعت ٢٤,٠٠ يوم ٢٧ / ١٠ / ١٩٧٣ ، غير أن الإسرائيليين أصروا على القول بأنهم غير مفوضين لبحث تنفيذ قرارات مجلس الأمن بصدد إعادة الوضع إلى خط ٢٢ / ١٠ / ١٩٧٣ . وقد أدخلوا إلى المباحثات عناصر جديدة بصدد تبادل أسرى الحرب ، وموضوع خطوط المواصلات البحرية فى البحر الأحمر ، غير أنه لابد لى من الاعتراف بأن الاجتماع كان متسما بالكرامة . ولم يتحدد موعد لاجتماع جديد ، وإن كنا نوافق على الاجتماع مرة أخرى بأسرع ما يمكن .

٣ - لقد قرر الرئيس السادات أن يوفد إلى واشنطن فورا الوزير اسماعيل فهمى ، وبرفقته السفير العريان ، للاجتماع بكم ، ولاحاطتكم علما بأحداث الأيام القلائل الماضية ، وكذلك لكى يقدما لكم - استعدادا لزيارتكم القادمة لمصر - المفهوم المصرى لإقامة سلام دائم وعادل ، بحيث يمكن خلال زيارتكم للقاهرة ، تحقيق نتائج هامة » .

□

ورد « هنرى كيسنجر » على هذه الرسالة شاكرا على تقرير وصله من مصر عن الاجتماعات السياسية العسكرية على الكيلو ١٠١ ، وملحا مرة أخرى على ضرورة البدء فى إطلاق سراح الأسرى الإسرائيليين ، ثم واصلا فى النهاية بدوره إلى زيارة السيد « اسماعيل فهمى » المقترحة . وكان نص رده على النحو التالى :(**)

(*) فى ملحق صور الوثائق توجد صورة لأصل هذه الرسالة ، وهى منشورة تحت رقم (١١٤) - على صفحة ٨٥٦ من الكتاب .

(**) فى ملحق صور الوثائق توجد صورة لأصل هذه الرسالة ، وهى منشورة تحت رقم (١١٥) - على صفحة ٨٥٧ من الكتاب .

« من الدكتور هنرى كيسنجر
إلى السيد حافظ اسماعيل

شكرا لرسالتكم رقم ١٢ بتاريخ ٢٨ أكتوبر .

مفهوم لدينا أن طابور التموين قد سمح له الآن بالتحرك ، وأنا مغتبط بأن أول ثمرة لمجهودنا التعاونى هذا ، يكتب لها النجاح .

ونحن شاكرون لتقريركم عن أول اجتماع مع المندوب الإسرائيلى ، وفى ظننا أنه اتجاه بناء جدا من جانبكم ، أن تكونوا راغبين فى الاجتماع مرة أخرى بأسرع ما يمكن . ولقد أبلغنا رغبتكم فى الاجتماع بأسرع ما يمكن إلى الحكومة الإسرائيلية ، مشفوعة بتوصيتنا المؤيدة لها . وإنه ليـدر بكم أن تكونوا مدركين أن مقدرتنا على التأثير على إسرائيل تتعرض للضعف فعلا بعدم موافقة مصر على إطلاق سراح أسرى الحرب ، تلك الموافقة التى أدى بنا مسار الأمور إلى الاعتقاد بأنها كانت جانبا من التفاهم الذى تم التوصل إليه أخيرا فى المباحثات التى أدت إلى وقف القتال بتاريخ ٢٢ أكتوبر .

ونحن شاكرون للفتة الرئيس السادات بإيفاد الوزير فهمى والسفير العريان إلى واشنطن ، استعدادا لزيارتى للقاهرة ، ولعل لى أن أقترح ألا يصلا قبل يوم الأربعاء ، حتى يمكن الإعلان عن رحلتى مع وصولهما ، غير أنه إذا كان يتراءى لكم بعض الفائدة فى وصول الوزير فهمى فى وقت مبكر عن ذلك ، فإن هذا أمر يمكن قطعا تدبيره .

وفيما يتعلق بالجهود التى تبذل فى سبيل تحقيق سلام عادل ودائم فى الشرق الأوسط ، من المهم أن نكون واقعيين فى تفكيرنا ، كما لا يصح أن يبرح عن البال وجود برنامج معقول يمكن حقيقة تنفيذه ، ولكم تأكيداتنا ببذل مجهود جدى فى هذا الصدد .

مع التمنيات الطيبة الحارة . »

□

ولاحظ السيد « حافظ اسماعيل » أن « هنرى كيسنجر » يشير فى رسالته إلى موضوع أسرى الحرب وكأنه أمر سبق الاتفاق عليه . كما أنه أحس قرب آخر رسالته أنه يريد تأجيل زيارة « اسماعيل فهمى » إلى واشنطن ، وهكذا كتب إليه الرسالة التالية :(*)

« من السيد حافظ اسماعيل
إلى الدكتور هنرى كيسنجر

١ ـ شاكر لرسالتكم المؤرخة ٢٨ أكتوبر ١٩٧٣ ، وفيما يتعلق بطابور التموين يؤسفنى إخطاركم بأن إسرائيل لا تزال تلجأ إلى أساليب تعويق متعمد مما تسبب فى الحيلولة فعلا دون وصول طابور التموين سريعا ، إلى المكان الذى يقصده .

إن الجانب الإسرائيلى لا يفى بالتزاماته فى هذا الصدد ، بينما نحن لم نتراجع عن أى التزام من جانبنا . ويود السيد اسماعيل أن يؤكد أن موضع الخلاف ليس طابور تموين واحد ، بل ضرورة الترتيب لفيض متواصل من التموين غير الحربى للجيش الثالث .

(*) فى ملحق صور الوثائق توجد صورة لأصل هذه الرسالة ، وهى منشورة تحت رقم (١١٦) – على صفحة ٨٥٨ من الكتاب .

إنه لتفادى الخطوات المربكة التى تشمل استخدام سيارات الشحن فى التموين ، ولتفادى أى مزيد من التأخير ، نقترح استخدام طائرات هليوكوبتر لا علامات عليها لهذه المهمة ، والسيد اسماعيل يكون شاكرا كثيرا لو أن الدكتور كيسنجر بذل مجهودا عاجلا للحصول على قبول إسرائيلى لهذا الاقتراح .

٢ ـ يود السيد اسماعيل أن يشير إلى أن رغبتنا فى عقد اجتماع ثان مع المندوب الإسرائيلى إنما هى بفهم أن الغرض من الاجتماع هو تنفيذ قرارات مجلس الأمن ٣٣٨ و٣٣٩ للعودة إلى خطوط ٢٢ أكتوبر . ومع ذلك فإن المندوب المصرى فى الاجتماع سيكون مزودا بتعليمات بمناقشة أى نواحى عسكرية أخرى .

ولقد أثار الدكتور كيسنجر موضوع أسرى الحرب ، ويود السيد اسماعيل أن يؤكد للدكتور كيسنجر أن مصر لم تكن على علم بأى تفاهم من قبيل ما أشير إليه فى رسالة الدكتور كيسنجر .

غير أن موضوع الحرب والتفاهم المتعلق به كان مرتبطا ارتباطا وثيقا بالشروط التى قدمت قبل ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣ ، وقد خلق الانتهاك الإسرائيلى لقرارات مجلس الأمن رقم ٣٣٨ و٣٣٩ موقفا جديدا . والعودة إلى الموقف الذى كان سائدا فى وقت دخول إيقاف القتال فى حيز التنفيذ يوم ٢٢ أكتوبر شرط أساسى لحل مرضٍ لموضوع أسرى الحرب .

ولسوف يكون المندوب المصرى مستعدا لكى يزود الجانب الإسرائيلى فى اجتماعهم القادم بصورة من القائمة الأولى لجرحى أسرى الحرب . وحين تستعاد خطوط ٢٢ أكتوبر ، سنكون موافقين على التبادل الكامل لأسرى الحرب .

٣ ـ وقد حدث وقت استلام رسالة الدكتور كيسنجر ، أن الوزير فهمى كان فعلا قد غادر القاهرة فى طريقه إلى واشنطن .

وفى اعتقادنا أن مباحثاته مع الدكتور كيسنجر سوف تتيح فرصة ممتازة لكى يقدم إليه فكرة مصر بصدد نهج شامل لتحقيق سلام عادل ودائم فى الشرق الأوسط . »

ورد الدكتور « هنرى كيسنجر » عارضا لبعض مشاكل التموين على جبهة قناة السويس ، ومرحبا بزيارة السيد « اسماعيل فهمى » . وكان نص رسالته كما يلى :

« من الدكتور هنرى كيسنجر
إلى السيد حافظ اسماعيل

يشكر الدكتور كيسنجر للسيد اسماعيل رسالته مساء الأحد ٢٨ أكتوبر .

وبصرف النظر عما قد كان هناك من تأخير ، فإن المفهوم لدى الدكتور كيسنجر أن طابور التموين إلى الجيش الثالث المصرى قد وصل الآن إلى غايته . أما مسألة استمرار إعادة تموين الجيش الثالث المصرى ، فهذا موضوع أنسب ما تجرى عليه مناقشته يكون فى محادثات مباشرة بين الجانبين المصرى والإسرائيلى ، ولا يظن الجانب الأمريكى أنه يجب أن يتدخل بشأن طرق بالذات ، أو غير ذلك من نواحى الموضوع ، وإن كنا دائما على استعداد لتقديم إشرافنا الحميد فى المسائل التى تكتنفها الصعوبة .

ويتطلع الدكتور كيسنجر قدما إلى زيارة الوزير فهمى لواشنطن لتبادل الآراء ، ويأمل أن تسجل هذه الزيارة خطوة هامة إلى الأمام ، نحو سلام عادل ودائم فى الشرق الأوسط » .

□

وبينما كان « اسماعيل فهمى » فى طريقه إلى واشنطن ، عادت القناة السرية تنشط حاملة رسالة من الدكتور « كيسنجر » تثير موضوعا بدا غريبا . فقد طرح بدون مقدمات موضوع الإفراج عن الجواسيس الإسرائيليين الذين ضبطوا وحوكموا وصدرت عليهم أحكام فى مصر . وكان اهتمامه ظاهرا بواحد منهم اسمه « باروخ مزراحى » . وكان نص رسالته كما يلى :

« من الدكتور هنرى كيسنجر

إلى السيد حافظ اسماعيل

إن الحكومة الإسرائيلية أخطرت الدكتور كيسنجر بنقطتين :

١ - أنها مستعدة للسماح بإمدادات غير عسكرية بالذهاب إلى كبريت .

٢ - وهى أيضا على استعداد للسماح بوصول إمدادات غير عسكرية إلى مدينة السويس .

ولكنها تربط هذه الموافقة على شرط أن تتعهد الحكومة المصرية بإطلاق سراح المستر باروخ مزراحى ، وهو - كما جرى شرحه للوزير - مدنى اعتقلته السلطات اليمنية منذ عدة شهور ، ثم قامت بتسليمه إلى مصر حيث جرى وضعه فى السجن حتى الآن . »

ثم أضاف « كيسنجر » إلى ذلك « أن هناك قائمة بأسماء يهود وإسرائيليين محكوم عليهم فى مصر فى قضايا تجسس ، وترى الحكومة الإسرائيلية - كما أبلغتنا - انه مما يساعد على تحسين أجواء السعى من أجل السلام أن يوضع الإفراج عن هؤلاء جميعا تحت البحث الجاد ، وبنية طيبة » .[1]



على الطريق إلى واشنطن توقف وزير الخارجية الجديد السيد « اسماعيل فهمى » فى باريس . وقد وجد هناك تقارير من وزارته عن المصاعب التى تواجه عمل قوات المراقبين الدوليين على خطوط القتال . ورأى أن يتصل من العاصمة الفرنسية تليفونيا بالسكرتير العام للأمم المتحدة « كورت فالدهايم » فى نيويورك ، ويبحث معه هذه المشكلة .

ومن باريس كتب إلى الرئيس « السادات » البرقية التالية :[2]

---

(١) كانت تلك بداية زادت بعدها محاولات الإلحاح على الإفراج عن الجواسيس الإسرائيليين وغير الإسرائيليين ، وخصوصا من الذين عملوا فى خدمة وكالة المخابرات المركزية الأمريكية .

(٢) البرقية رقم ٨٠٣٩ (خ) وأصلها محفوظ فى وزارة الخارجية . كما توجد نسخ منها فى محفوظات رئاسة الجمهورية ووزارة الحربية .

« سرى جدا(*)

جمهورية مصر العربية

برقية رمزية

إلى السيد الرئيس
من الوزير اسماعيل فهمى

١ - وصلت باريس الآن واتصلت تليفونيا بالسكرتير العام حيث لم أتمكن من ذلك قبل مغادرتى القاهرة .

٢ - طلبت منه إرسال أكبر عدد من قوات الطوارئ إلى مصر والضفة الشرقية فورا . فوعدنى بذلك ، وذكر أنه سيصل مصر يوم الثلاثاء ٣٠ / ١٠ ستمائة فرد سويديين ثم بعد ذلك - أى النصف الثانى من الأسبوع - يصل ٧٠٠ فرد فنلنديين ويتبعهم عدد جديد من النمساويين .

٣ - شرحت له بالتفصيل الصعوبات التى يلاقيها قائد قوات الطوارئ من الجانب الإسرائيلى بخصوص نقل الغذاء إلى الجيش الثالث والصعوبات الأخرى ، وهى كلها تدل على عدم تعاون إسرائيل مع قائد قوات الطوارئ مما اضطر القائد أن يذهب يوم الاثنين الحالى إلى تل أبيب لبحث تواجد قوات الطوارئ فى الضفة الشرقية بينها وبين القوات الإسرائيلية . علق على ذلك فالدهايم بأنه أمر ضرورى ، وسوف يتحدث إلى تكواه سفير إسرائيل فى الأمم المتحدة ويبعث لقائد قوات الطوارئ بتعليماته بضرورة التواجد فى الضفة الشرقية .

٤ - أخبرت فالدهايم بتعاون قائد قوات الطوارئ وشكرته على ذلك ، ثم أخبرته بأنه بالرغم من ذلك فإن التعليمات التى ترسل إليهم من نيويورك ليست كافية ، وفى بعض الأحيان ليست واضحة مما أدى إلى تمنع قائد قوات الطوارئ حضور الاجتماع الثانى الذى تم عند الكيلو ١٠١ ثم قبوله الحضور كحارس للجانب المصرى . وأضفت أن المفروض حسب قرارات مجلس الأمن أن وظيفة قوات الطوارئ هى التواجد مع الأطراف ، وتتم الاجتماعات تحت إشراف علم الأمم المتحدة . أقر لى على ذلك السكرتير العام بذكر أن ذلك - مهمتهم - فطلبت إليه أن يبرق عن ذلك للقائد العام فى القاهرة بأن جميع الاجتماعات القادمة تتم تحت إشراف الأمم المتحدة علما ، فوافق على ذلك .

٥ - أخبرت السكرتير العام كذلك عن أن الإسرائيليين بعد أن يتفقوا على أشياء كثيرة منها تمرير الغذاء أو الأدوية والدم ، يلجأوا إلى المراوغة ولا يعطون التعليمات إلى وحداتهم وتبدأ عملية المماطلة والتعطيل .

٦ - ذكر السكرتير العام أنه سيتحدث فى ذلك إلى سفير إسرائيل ، وإنما طلب تعاوننا مع الصليب الأحمر لأن الإسرائيليين يتحججون بذلك وخاصة بخصوص قوائم الأسرى .

٧ - اتفقنا على أن نتقابل فى نيويورك لوضع الأسس والتفاصيل لانتشار وعمل قوات الطوارئ

(*) وفى ملحق صور الوثائق توجد صورة للصفحة الأولى من هذه البرقية ، وهى منشورة تحت رقم (١١٧) - على صفحة ٨٥٩ من الكتاب .

وفقا لقرارات الأمم المتحدة ، وذلك بعد انتهاء مهمتى فى واشنطن . وعلى العموم سوف أتصل به تليفونيا من واشنطن كلما استدعى ذلك ووصلتنى تعليمات جديدة من سيادتكم لحل أى مشكلة . »

□

ووصل السيد « اسماعيل فهمى » إلى واشنطن . ومن هناك بعث بأول برقية عن مهمته فى العاصمة الأمريكية . وكان نصها كما يلى :(٣)

« سرى جدا

جمهورية مصر العربية

برقية رمزية

محظورة

إلى السيد الرئيس
من الوزير اسماعيل فهمى

وصلت واشنطن سعت ١٥,٣٠ بالتوقيت المحلى وكان سيسكو فى انتظارى . وبالرغم من أن مقابلتى مع كيسنجر تحددت الساعة الثانية عشر باكر الثلاثاء يتبعها غذاء عمل ، إلا أننى فضلت مقابلته مقابلة تمهيدية مساء اليوم حتى لا يضيع الوقت ، ولأهيىء ذهنه للمسائل الأساسية التى لها طابع خاص وتتعلق أساسا بموضوع التسكين (يقصد تثبيت مواقع القوات بالطبع على خطوط ٢٢ أكتوبر) الذى وافقوا عليه . هذا لأعطيه فرصة لإجراء اتصالات مع الجانب الإسرائيلى ، وللضغط عليه لاحترام إيقاف إطلاق النار والتعاون مع قوات الطوارىء وتسكينها شرقا وغربا ، وموضوع الجيش الثالث على أساس انتظام تموينه بصفة مستمرة وليس مرة واحدة ، حتى لا يستعمل هذا الموضوع بالذات للمساومات معنا فى مسائل أخرى . الغرض من ذلك أيضا هو بعد أن أتحقق من رد فعل كيسنجر وما سيحققه قبل اجتماعى به باكر ، سأبدأ فتح بقية الموضوعات معه شيئا فشيئا حتى أربط بين موضوع التسكين وموضوع الـ Disengagement وكذلك التعليمات المفصلة التى أصدرتموها إلىّ قبل سفرى من القاهرة .

وسأوافى سيادة الرئيس عقب كل اجتماع بمحضر كامل عن الاجتماع ، ثم أنتظر تعليمات اذا رأيتم ذلك قبل الاجتماعات المتتالية مع كيسنجر . »

□

ومساء يوم وصوله إلى واشنطن التقى السيد « اسماعيل فهمى » بالدكتور « هنرى كيسنجر » فى المقابلة التمهيدية التى أرادها . وقد كتب بعد انتهائها تقريرا عنها إلى

---

(٣) البرقية رقم ٨٠٧١ من واشنطن ، وأصلها محفوظ فى وزارة الخارجية . كما توجد نسخ منها فى محفوظات رئاسة الجمهورية ووزارة الحربية .

الرئيس « السادات » ، وقصد أن يكون تقريره فياضا وضافيا ، عارفا أن تلك أول مهمة له كوزير للخارجية يريد تأكيد كفاءته أمام رئيس الجمهورية . وكان نص تقريره كما يلى :(٤)

« سرى جدا(*)

جمهورية مصر العربية

برقية رمزية

إلى السيد الرئيس
من الوزير اسماعيل فهمى

قابلت كيسنجر الساعة السادسة مساء ٢٩ / ١٠ ..

دامت المقابلة ساعة وأربعون دقيقة وحضرها من الجانب الأمريكى سيسكو وكيل الوزارة المساعد لشئون الشرق الأوسط ، ومن الجانب المصرى السفير العريان ..

١ - ذكر كيسنجر أنه سعيد بالترحيب بى فى وزارة الخارجية الأمريكية ، وأنه يأمل أن تكون هذه الزيارة خطوة طيبة فى مستقبل التفاهم بين البلدين ، وأعرب عن تفضيله أن يتم الإتصال بيننا مباشرة وليس عن طريق الروس .

٢ - ذكرت إلى كيسنجر أننى أحمل معى تحيات السيد الرئيس للرئيس نيكسون وإليه فبادلنا التحية .

٣ - فأضاف كيسنجر أن استمرار الاتصالات بين الحكومتين خلال هذه الأزمة كان له أهمية كبرى ، وعندما ألمحت إلى أن السيد الرئيس قد استمر فى هذه الاتصالات بالرغم من الصعوبات التى نشأت عن إمدادهم إسرائيل بالأسلحة والعتاد الحربى ، عقب كيسنجر بأنهم يقدرون ما أحرزه الرئيس السادات ويعجبون بشجاعته .

٤ - أوضحت أن الاعتقاد لدى الجماهير فى مصر وفى العالم العربى أن إسرائيل تمكنت بالقيام بما حققته فى الأيام الأخيرة من الحرب بسبب المساعدات الأمريكية الضخمة وبأسلحة متطورة ، إلا أن الرئيس سواء على الصعيد الداخلى أو الصعيد العربى يتخذ القرارات التى يعتقد أنها صوابا وبشجاعة ، وأنه لايحجم عن اتخاذ الخطوات التى يقررها بعد تفكير ودراسة ، وأنه يحاول بعد ذلك إقناع الأصدقاء بل وأحيانا الخصوم بها . وأضفت أن الأزمة الحالية قد برهنت إلى أى حد - على خلاف ما توقعه الآخرون - تضامنت الدول العربية (والتفوا) حول السيد الرئيس ، وهذا ظاهر فى البترول . ويتصل بهذا ما قامت به أغلب الدول الإفريقية من قطع علاقاتها بإسرائيل ، وهو نتيجة للجهود السياسية للسيد الرئيس .. وإذا أضفنا إلى كل ذلك موقف دول عدم الانحياز الأخرى ، وعدم رضاء الدول الأوروبية عن

(٤) برقية رقم ٨٠٨٤ (خ) من واشنطن ، وأصلها محفوظ فى وزارة الخارجية . كما توجد نسخ منها فى محفوظات رئاسة الجمهورية ووزارة الحربية .

(*) فى ملحق صور الوثائق توجد صورة للصفحة الأولى من أصل هذه البرقية ، وهى منشورة تحت رقم (١١٨) - على صفحة ٨٦٠ من الكتاب .

سلوك إسرائيل لتوصلنا إلى حقيقة هامة وهى أن إسرائيل أصبحت معزولة تماما بسبب تعنتها وعدوانها .

٥ - أشرت إلى أننا قد وصلنا إلى مفترق طريق ليس فقط بالنسبة للمشكلة وبالنسبة للموقف الدولى ، ولكن أيضا بالنسبة للعلاقات بين أمريكا ومصر ، وأنه يتعين استعادة الثقة كأساس للعلاقات بين البلدين ونفتح صفحة جديدة .. فوافقني كيسنجر على كل هذا . كما ذكرت أن عنصر الثقة يلزم أيضا أن يتوفر لإمكان نجاح محادثات السلام مع إسرائيل ، وأن الأركان الأساسية لهذه الثقة هى احترام وقف إطلاق النار وعودة (القوات) الإسرائيلية إلى موقع ٢٢ أكتوبر . وإلى أن يتم توافرها بالكامل فالأمر لا يمنع أن نبدأ فى نفس الوقت الحديث عن تنفيذ الخطوات الأخرى .

٦ - أكدت أهمية استمرارهم فى استعمال نفوذهم مع إسرائيل لحملها على احترام قرارات مجلس الأمن وتوفير جو الثقة اللازم ، وأشرت إلى أن الرئيس واثق أن الإسرائيليين ما كانوا يوافقون على الشروط التى وضعناها لاجتماع العسكريين من الجانبين لو لم يكن الأمريكيون قد استعملوا نفوذهم ، وأنه لهذا فبالرغم من الآثار التى ترتبت على إمداد أمريكا لإسرائيل بالأسلحة والعتاد الحربى فإن السيد الرئيس حرص على استمرار الإتصال بهم . فأجاب كيسنجر بأن هذا التصرف كان حكيما ، وأنه يود أن يشيد بالمهارة التى أدار بها الرئيس الأزمة ، وأن ما أحرزناه عسكريا أدهشه فى الواقع ولكنه أعجب أيضا بالمجهود الدبلوماسى الذى صاحب العمل العسكرى .

٧ - أكد كيسنجر أننا نستطيع أن نثق بأنهم سيستمرون فى مباشرة نفوذهم مع إسرائيل ، وأنه عندما تلقى من القاهرة ما يفيد بأن الوفد العسكرى المصرى لم يمكنه الإسرائيليون من الوصول إلى المكان الذى كان محددا للاجتماع ، اتصل شخصيا برئيسة وزراء إسرائيل ، ولم يناشدها فقط بل وجه إليها طلبا محددا بشأن ضرورة الاجتماع وإرسال قول واحد إدارى إلى الجيش الثالث .

٨ - فذكرت له أننا لم نقل قول إدارى واحد One وإنما ردنا استعمل حرف a بمعنى إقرار مبدأ يستمر على أساسه إرسال المؤن إلى الجيش الثالث . فعلق كيسنجر أنه لم يفهم من الرد هذا ، وإنما استعمال حرف a فهم على أنه قول واحد .

٩ - ذكر كيسنجر أنه يود أن يؤكد لى بكل أمانة أننا سنرى فى الأيام القلائل القادمة خطوات نشيطة Energetic مع الإسرائيليين على أعلى المستويات بغية الوصول إلى وقف إطلاق نار فعلى ومفاوضات سلام ... وأكد أنه لا بد من توفير عنصر الثقة ، لأن الجانبين لا يمكن لأحدهما أن يخدع الآخر لأن أى أسلوب للخداع سيكشفه الجانب الآخر فيزول عنصر الثقة . كما أكد أيضا أهمية العمل بسرعة ، وأنه يعترف بأنه أخطأ فى محادثاته مع السيد المستشار حافظ إسماعيل عندما اعتقد (كلمة غير مقروءة) أمام الوقت الكافى للمناورة ، ولم يكن يتصور أن القتال سينشب بهذه السرعة .

١٠ - وفجأة ذكر كيسنجر أنه يود أن يكون صريحا معه بأنهم لا يرتاحون لأسلوب الضغط الذى يهدد به البعض ، وأشار مباشرة إلى موضوع البترول والصعوبات التى يواجهونها فى أزمة الطاقة داخليا ، وأنهم إذا كانوا سيضطرون إلى تحديد الاستهلاك فى الداخل فهذا يشكل موقفا خطيرا ، كما يضغط عليهم حلفاؤهم فى أوروبا ضغطا رهيبا ، وأن كل هذا يستهلك جهدا كبيرا منهم

وبذلك لا يتمكنون من التفرغ إلى مشكلة الشرق الأوسط .

١١ - ذكر كيسنجر أن موقفهم سواء بالنسبة لوقف إطلاف النار أو التسوية لن يرضى إسرائيل ، وأنه يود أن يقول بصراحة إن إسرائيل لا تريد التخلى عن الأرض التى احتلتها ، ولهذا فستحتاج أمريكا إلى استخدام كثير من النفوذ لحمل إسرائيل على تغيير موقفها هذا .

١٢ - وذكر كيسنجر أننا لعلنا غير راضين عما قدمت أمريكا من مساعدات لإسرائيل أثناء الحرب ، ولكن ما قدموه كان أقل ما يمكن أن يفعلوه وذلك بالنظر للضغط الشديد داخل أمريكا . أشار إلى الهجوم الشخصى الذى وجهه إليه عضو الشيوخ جاكسون واليهود فى أمريكا .. وأضاف أن أمريكا لم تقدم أى عون لإسرائيل فى السبعة أيام الأولى وكانت مستعدة لكى يوافق مجلس الأمن على قرار بإيقاف وقف إطلاق النار ومصر منتصرة على أن يتقدم بهذا القرار الانجليز فيمتنع عليه الروس والأمريكان ، وأمكن لأمريكا إقناع إسرائيل بقبول ذلك الوضع ولكن بريجنيف وجروميكو أخطراه بأن مصر ترفض قبول إيقاف إطلاق النار .. وأكد ذلك لهم الانجليز ، ثم أضاف أنه حقيقة لم يجد تفسيرا على الإطلاق لموقف مصر ، وكانت واشنطن متضايقة للغاية بعد أن بذلت ٣٦ ساعة فى الضغط على إسرائيل لقبول هذا المشروع ، ولكن عاد البريطانيون وذكروا للأمريكان أنهم لن يتقدموا بالمشروع ، وفهمنا أن مصر كانت تريد أن تضمن المشروع النقطة الخاصة بالعودة إلى خطوط ٥ يونيو ١٩٦٧ وهو أمر من الصعب الحصول عليه فى الوقت الحاضر مع إسرائيل .

رددت عليه بأن شرحت له الظروف التى أحاطت بهذا الموضوع ، وهو رفض سوريا ، فعقب كيسنجر على هذا بأنه يبدو أن بعض سوء الفهم قد اعترض الموضوع .

١٣ - فذكرت أنه لا يجب الرجوع إلى الماضى ، والمهم قيامهم بدور فعال لإزالة الأثر الذى أحدثه إمدادهم الأسلحة لإسرائيل لدى الرأى العام فى مصر وفى البلاد العربية .. لأن العالم كله يعلم أن الحرب كانت تسير تماما فى صالحنا لمدة ١٣ يوما ، ولكن الأسلحة الجديدة التى أعطيت لإسرائيل وصور استطلاع أراضينا التى قدمت لها أمريكا هى التى مكنت إسرائيل من عمليات الاختراق .

١٤ - ذكر كيسنجر أن مشكلته مع العرب أنهم ينظرون إلى ما فعله فى الأزمات الأخرى ويقولون له إنه يستطيع أن يفعل نفس الشىء فى مشكلة الشرق الأوسط ، وأنهم يتناسون السنوات العديدة من المفاوضات التى سبقت الخطوات الحاسمة التى اتخذها بالنسبة لفيتنام إذ دامت ٤ سنوات ، والانفتاح مع الصين ودام عامين ، وأن أسلوبه هو الإعداد ثم الحركة بعد أن يكون الجو مهيأ للحل . وأنه لايريد التعجل بإعداد مبادرة يحدث لها ما حدث للمبادرة الأمريكية فى عام ١٩٧٠ . ثم أضاف أنه يرجو ألا يفهم من ذلك أن الأزمة فى الشرق الأوسط يجب أن تستغرق نفس المدة ، وإنما قد يحتاج حلها ستة أشهر أو ثلاثة (إذا) تعاون الجميع .

١٥ - أكدت لكيسنجر أن المهم أولا هو التوصل إلى أساس . عندما تساءل كيسنجر عن الأساس ، أجبته أنه تنفيذ ما ورد فى قرارات مجلس الأمن بشأن وقف إطلاق النار والمراقبين وقوات الطوارىء وعودة القوات الإسرائيلية إلى مواقع ٢٢ أكتوبر ، وهنا أوضحت محاولات العرقلة من الجانب الإسرائيلى ، وأنه فى الاجتماع الذى تم معهم منذ بضعة أيام لم يتحدثوا فى الخطوات الخاصة بتنفيذ قرارات مجلس الأمن ، وهم ملتزمون بها أولا ولا يجب فى نظرى المساومة على تنفيذها أو الخروج عنها أو مطالبتنا بتنازلات مقابل تنفيذ إسرائيل هذه

القرارات . والذى حدث فى الاجتماع بين الطرفين فى الكيلو ١٠١ ، ذكر الإسرائيليون أنهم غير مفوضون لبحث هذه الأمور ثم ذهبوا إلى أبعد من ذلك وتبين أنهم مفوضون باقتراح سياسى جديد وخطير أى انسحاب القوات المصرية إلى الغرب والإسرائيليين إلى الشرق إلى بعد ١٠ كيلو من الضفتين ، أى اقتراح الانجليز والفرنسيين عام ١٩٥٦ ، وهذا أمر مرفوض بطبيعة الحال . فضحك كيسنجر وذكر لى « انت تعرف أسلوبهم » .

١٦ - ذكر كيسنجر أنه يود أن يقول لى بصراحة إن الإسرائيليين يعتقدون أننا ننوى إرسال معدات حربية للجيش الثالث تحت ظروف وقف إطلاق النار ، فأكدت له أن هذا غير صحيح وأن الجيش الثالث لا يحتاج إلى أسلحة إنما يحتاج إلى الماء والطعام ، وأنه لن يستسلم فى أى ظرف من الظروف ، فذكر كيسنجر بأن فكرة استسلام الجيش الثالث ضد سياسة أمريكا ، وأنهم يعتقدون أنها ليست فى صالح أى طرف ، واستفسر كيسنجر عما إذا كنا نتعهد بعدم إرسال معدات حربية إلى الجيش الثالث حتى بعد عودة القوات الإسرائيلية إلى مواقع ٢٢ أكتوبر ، فرددت بالإيجاب وأن المطلوب إرساله وعلى أساس دائم وفورى المواد غير الحربية ، وأننا على استعداد لأن يتم ذلك ، فلا بديل إلا القيام بعمل عسكرى ، ثم طلبت إليه أن يتدخل وسريعا كوعدهم .

١٧ - ذكر كيسنجر أنه سيتحدث إلى الرئيس نيكسون ليلا ، ويكون فى مقابلته لى باكر فى وضع يبلغنى فيه بقراره على أساس دائم ، مما سمح له بمبادرة الضغط على الإسرائيليين لتمكيننا أن نرسل بصفة منتظمة الإمدادات غير الحربية Non-military للجيش الثالث طبقا لما اتفق عليه .

شكرته على ذلك إلا أننى طلبت منه أن يتصل بإسرائيل اليوم ليوافقوا على إرسال قول إدارى ثانى باكر حتى يتم اتفاق مع نيكسون على ضرورة استمرار امداد الجيش الثالث بالمؤن بدون معوقات .

١٨ - ثم أثار كيسنجر موضوع الأسرى ، وذ أن هذا الموضوع كان محل اتفاق بينهم وبين السوفيت كأساس لتقديم المشروع المشتر، 'وقف إطلاق النار ، وأن بريجنيف تعهد للأمريكان بأنه سيضغط على مصر ليتم تبادل الأس ى بالكامل بمجرد وقف إطلاق النار . وأن الروس أكدوا للأمريكيين أنهم سيبذلون كل جهد مع مصر للموافقة على هذا . فأجبت بأننا لم نقدم مثل هذا الالتزام . فعقب كيسنجر بأنه سيكون من الصعب إحراز أى تقدم نحو مفاوضات السلام ما لم يتم تبادل الأسرى ، وأنه يرجو أن نفكر فى هذا الموضوع . وهنا أجبته بأننى مفوض بأن أذكر له أننا على استعداد لأن نقدم فى الاجتماع القادم مع الإسرائيليين قائمة بأسماء الجرحى تعطى صورة منها للصليب الأحمر ، وأننا مستعدون أيضا لبحث تبادل الجرحى وإعطاء قوائم بشكل منظم بأسماء الأسرى ، فاجأنى كيسنجر أنه تلقى هذا الكلام مباشرة من المستشار حافظ اسماعيل .

١٩ - شرحت له الظروف التى أحاطت بوصول خمسين سوفيتيا وعشرين مترجما لهم للعمل كمراقبين ، وأننا فهمنا من السوفيت أن أمريكا وافقت على إرسال مراقبين . فرد كيسنجر بأن هذا غير صحيح ، وأن بريجنيف أرسل لهم يخطرهم بأن المراقبين السوفيت قد وصلوا إلى مصر ، ويطلب من أمريكا أن تشترك معهم ، وأضاف كيسنجر بأنهم لا يعتقدون أن من المصلحة وجود ممثلين من الدول الكبرى فى عمل المراقب نتيجة للإصرار الشديد من جانب السوفيت . يخطرنى لأول مرة بأن أمريكا على استعداد - وطلب منى أن أبلغ السيد الرئيس

بأن أمريكا توافق فقط على ٣٢ شخص من أمريكا ومثلهم من الروس ، ويرجو السيد الرئيس بإقناع الروس بعودة ١٨ من الخمسين الموجودين فى مصر إلى موسكو ، وأضاف أن أمريكا إذا طلب فالدهايم منها ذلك فسوف تشترك فقط بعدد ٣ ولكن أمريكا مصممة على ألا يكون السوفيت أكثر من هذا العدد ، وإن كان يفضل عدم تواجد الروس على الإطلاق .

٢٠ - اتضح فى خلال مناقشاتى مع كيسنجر أن هناك خلافات بين المعلومات التى تصل لهم عن موقفنا أو التى تصل لنا عن موقفهم عن طريق الروس ، وقد أكد كيسنجر أكثر من مرة أنه من الضرورى أن يكون الاتصال مباشرة بين أمريكا ومصر لكى لا تكون هناك أى فرصة للتأويل والتحريف ، فأثرت فى هذا المحتوى وبصفة عابرة فكرة إرسالهم لشخصية كبيرة إلى القاهرة (برقيتكم ١٢٧ فى ٢٩ / ١٠) فرد كيسنجر أنه يفضل أن يبحث هذا عندما يجىء إلينا فى القاهرة ويعلن ذلك بعد إنهاء الزيارة .

٢١ - ذكر كيسنجر أن نائب وزير خارجية سوريا سيحضر لمقابلته يوم الأربعاء ، وتساءل عما إذا كان لدىّ أى اعتراض على ذلك ، وأضاف أنه يعتقد أن مقابلته لنائب وزير خارجية سوريا فى صالحنا لكى لا نكون وحدنا فى هذا المضمار ، وأكد لى أن هذه المقابلة لن تتم إذا كان لدىّ مانع فرددت بأنه ليس لدىّ مانع .

٢٢ - وهنا ذكر كيسنجر أنه مغرم بالآثار المصرية ويرغب زيارة الأهرام والمتحف ، وهو سعيد بقدومه إلى مصر ، وسوف يقضى فيها ليلتين ويوم واحد بينما مكث فى إسرائيل ثلاث ساعات فقط ، وأضاف بهذه المناسبة أن عائلته خائفه عليه من ناحية الأمن ، فطمأنته بالكامل وعرضت عليه أن يبقى مدة أطول فى مصر حتى يتمكن من إجراء محادثات شاملة والقيام بالزيارات التى يرغبها . فأجاب بأنه قد يحضر يوما مبكرا وسيخطرنى بذلك ، وإنما لا يستطيع أن يغير برنامج زيارته للصين حيث سيذهب إليها من مصر .

٢٣ - أخبرنى كيسنجر برغبته فى مقابلتى عدة مقابلات ولفترات ممتدة ليعرض على أفكاره المحددة بالنسبة للسلام ، ولذلك سيجتمع بى على انفراد باكر الثلاثاء الساعة ١١,٣٠ صباحا ثم نحدد بعد ذلك مواعيدنا .

٢٤ - وهنا أبلغنى كيسنجر أن الرئيس نيكسون يود مقابلتى يوم الأربعاء .

□ ملاحظات :

١ - تركيزى على التسكين يغلب أن يأتى نتيجة ايجابية بخصوص الجيش الثالث ، وعلى أساس دائم ، وبذلك يمكن أن أفاتحه شيئا فشيئا بالنسبة لمشروع السيد الرئيس الكامل بعد أن نطمئن على الجيش الثالث .

٢ - كان كيسنجر صريحا ويطلعنى على مستندات رسمية تؤكد ما قاله .

٣ - كان صريحا فى رغبة أمريكا الأكيدة لفتح صفحة جديدة مع مصر ولأجل طويل .

٤ - ذكر بصراحة أن نيكسون قرر أن الوضع فى الشرق الأوسط لن يعود إلى ما كان عليه فى ١٩٦٧ ويتحتم تغيير الوضع من هدنة ٦٧ إلى سلام دائم .

٥ - أنهم سيمارسون الضغط اللازم والحازم على إسرائيل .

٦ - عبر أكثر من مرة نيابة عن نيكسون وعن نفسه اقتناعهم بمكانة السيد الرئيس ، وضرورة إقامة

علاقات وصفحة جديدة على أساس من الثقة والصراحة والاتصال المباشر .

٧ – كان مرحبا ومجاملا للغاية ، إذ صمم أمام الجميع على النزول من مكتبه فى الدور السابع لتوصيلى إلى باب السيارة أمام رجال الإعلام وموظفى وزارة الخارجية . »

وتلقى السيد « اسماعيل فهمى » فى واشنطن برقية من السيد « حافظ اسماعيل » ينقل إليه فيها اقتراحا من الرئيس « السادات » يتضمن فكرة طرأت له ، وهو أن يقوم كل من الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة بإرسال شخصية سياسية على مستوى عال إلى القاهرة ، والبقاء فيها لمراقبة تنفيذ قرار مجلس الأمن . ورد السيد « اسماعيل فهمى » ببرقية أخرى موجهة إلى السيد « حافظ اسماعيل » يناقش فيها هذا الاقتراح الذى تلقاه نقلا عن الرئيس « السادات » . وكانت برقيته على النحو التالى :(٥)

« سرى جدا(*)

جمهورية مصر العربية

برقية رمزية

من واشنطن رقم البرقية ٨٠٧٢ مجموعة الوقت والتاريخ ٣٠ / ١٠ / ١٩٧٣

محظورة

إلى السيد المستشار حافظ اسماعيل
من الوزير اسماعيل فهمى

بالنسبة لطلب السيد الرئيس أن يفد كل من الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة شخصية سياسية على مستوى عال لمراقبة وتنفيذ قرار مجلس الأمن .

- أولا : أرجو ايضاح المقصود ، إذ أننى أتصور أن المطلب أن يفد كل منهما شخصية كبيرة للبقاء فى مصر ليكون حلقة اتصال بين حكومته وبين السيد الرئيس فيما يتعلق بكل ما يرتبط بأزمة الشرق الأوسط .

- ثانيا : أن قرار مجلس الأمن ومراقبة تنفيذه محليا فهو أصلا من سلطة السكرتير العام وممثل المجلس وهو قائد قوات الأمم المتحدة ، وعليه فليس لأى شخص من إحدى الدولتين سلطة على ذلك .

أما إذا كان المقصود هو ما جاء فى أولا ، فأعتقد أن ذلك سهل تنفيذه بالنسبة للسوفيت ، أما بالنسبة للأمريكان فالوضع يختلف ، فلا يسمح نظامهم إرسال وزير أو نائب وزير إلا إذا كان المقصود شخصية سياسية كبيرة يختارها الرئيس نفسه . ليس هذا فقط وإنما لو افترضنا أن أمريكا استطاعت أن تحصل على موافقة إسرائيل على مشروع السيد الرئيس بخصوص الـ Disengagement

(٥) برقية رقم ٨٠٧٢ من واشنطن ، وأصلها محفوظ فى وزارة الخارجية ، كما توجد نسخ منها فى محفوظات رئاسة الجمهورية ووزارة الحربية .

(*) فى ملحق صور الوثائق توجد صورة للصفحة الأولى من أصل هذه البرقية ، وهى منشورة تحت رقم (١١٩) – على صفحة ٨٦١ من الكتاب .

(فك الارتباط) فسوف نتبادل التمثيل السياسى مع أمريكا كما ذكر السيد الرئيس قبل مغادرتى القاهرة .

فأرجو توضيح المقصود ، والعرض على السيد الرئيس بأننى أقترح تأجيل هذا الطلب بالنسبة لأمريكا حتى حضور كيسنجر إلى القاهرة ، وسيتم ذلك فى ظرف عشرة أيام ، ولا أنتظر أنه بمجرد إعلان زيارة كيسنجر يوم ٣١ يمكن اختيار شخصية أمريكية سياسية وإرسالها إلى مصر لهذا الغرض . وأخشى أن يعتبر كيسنجر أن هذا الطلب انعكاس عليه شخصيا أو على زيارته . »

٣

فى اليوم التالى توجه السيد « اسماعيل فهمى » إلى وزارة الخارجية واجتمع بالدكتور « هنرى كيسنجر » على انفراد – بناء على طلب « كيسنجر » كما قال فى تقريره إلى الرئيس « السادات » . وأثناء المقابلة اكتشف « اسماعيل فهمى » أن المرحلة السابقة من محادثات الكيلو ١٠١ وصلت إلى أكثر مما كان يعرفه قبل مغادرته القاهرة . وقد فوجىء حينما ذكر له « كيسنجر » أنه سمع أن الجانب المصرى فى هذه المحادثات قد تقدم بمشروع متكامل لفك الارتباط . كما أنه – أى الوفد المصرى فى محادثات الكيلو ١٠١ – أظهر ما فهمه الطرف الإسرائيلى على أنه موافقة على تبادل الأسرى ، وسأله « كيسنجر » عما إذا كان ما سمعه صحيحا ، ولم يكن عنده رد عليه . وكان « اسماعيل فهمى » على اقتناع كامل بضرورة تركيز الخيوط كلها فى يد واحدة .

وهكذا كتب إلى الرئيس « السادات » تقريرا عن المقابلة كان أظهر ما فيه إحساسه بالمفاجأة (إزاء إعطاء الإسرائيليين مشروعا كاملا لفك الارتباط خلال محادثات الكيلو ١٠١) . وكان نص تقريره على النحو التالى :(*)

« برقية رمزية رقم ٢١١
من واشنطن .. بتاريخ ٣١ / ١٠ / ١٩٧٣

برقية محظورة ولا توزع إطلاقا

إلى السيد الرئيس
من الوزير اسماعيل فهمى

١ – اجتمعت اليوم ٣٠ / ١٠ مع كيسنجر لمدة أربعة ساعات متتالية على انفراد بناء على طلبه .

٢ – أخطرنى أنه حتى يكون تأثير الرئيس نيكسون مباشرة على جولدا مائير ، وحتى يضعها فى الصورة ، وبالرغم من أنها سبق أن طلبت مرارا الحضور ورفض الجانب الأمريكى ، إلا أن الرئيس

(*) فى ملحق صور الوثائق توجد صورة للصفحة الأولى من أصل هذه البرقية ، بما فى ذلك تأشيرة الرئيس « السادات » بخط يده عليها ، وهى منشورة تحت رقم (١٢٠) – على صفحة ٨٦٢ من الكتاب .

وافق على حضورها ومقابلتها يوم الخميس حتى يتم ما اتفق عليه بيننا بسرعة . ويستعمل الرئيس نيكسون نفوذه عليها . وحتى تأتى بموافقة مجلس الوزراء الإسرائيلى فسوف يبرق إليها اليوم بما اتفق عليه ، ويعتقد الرئيس نيكسون أنه منطقى ومعقول وقابل للتنفيذ فورا ، وأن يتم قبل حضور كيسنجر إلى القاهرة .

٣ - وارتباطا بزيارة جولدا مائير لواشنطن حذرت كيسنجر من أن إسرائيل تخشى دائما تحسن العلاقات بين مصر وأمريكا وتطورها ، ولذلك أنتظر أن تضغط عن طريق النفوذ اليهودى هنا ، أو القيام بخطوات تهدف أساسا إلى إيقاف تحسن العلاقات . وذكرت كيسنجر بقضية لافون ، فذكر أنهم فى واشنطن عالمون ذلك وسيستمرون فى تطوير علاقاتهم بنا بالرغم من محاولات إسرائيل .

٤ ـ واستمر الحوار بأسلوب بناء ، واتبعت نفس التكتيك الذى وافق عليه السيد الرئيس بحيث لا أعرض عليه مشروع السيد الرئيس كاملا إلا بعد الحصول من الولايات المتحدة على موافقتها خطوة خطوة .

٥ ـ ويسرنى إبلاغكم أننى تمكنت من أخذ موافقته وموافقة إسرائيل على إرسال قول إدارى جديد مكون من خمسين لورى تصل إلى الضفة الشرقية إما اليوم أو باكر .

٦ ـ ويسرنى كذلك أن أنقل إليكم أننى أقنعته بحتمية موافقة إسرائيل على استمرار إرسال المواد الغير عسكرية بصفة دائمة إلى الجيش الثالث ، على أن يتم ذلك تحت إشراف قوات الطوارىء .

٧ ـ واتصالا بذلك أقنعته أنه إذا لم تعد الطرق البرية نتيجة إنسحاب إسرائيل إلى مواقع إيقاف النار يوم ٢٢ أكتوبر ، فيتحتم تفاديا للمضايقات الإسرائيلية أن تتواجد قوات الطوارىء فى العشرين كيلو فى دوريات مستمرة فى المواقع التى تتواجد فيها إسرائيل حاليا فى طريق مصر ـ السويس ، لتتحقق بنفسها من أن ما ينقل إلى الجيش الثالث ليس من المواد الحربية ، وأنه إذا كانت نتيجة انسحاب إسرائيل إلى خطوط ٢٢ أكتوبر عودة هذه الطرق كلها إلينا فلا مانع من تحقق قوات الطوارىء من التزامنا بعدم إرسال مواد حربية . فعلق كيسنجر أن هذا معقول ويسهل الاتفاق .

٨ ـ وبعد حوار طويل بالنسبة لموافقتنا على تسليم الأسرى فور إتمام انسحاب إسرائيل إلى خطوط ٢٢ أكتوبر ، وأننى سأحاول إقناع السيد الرئيس بذلك وأعد كيسنجر باستجابة السيد الرئيس « لعلمى مسبقا أن هذا هو نص تعليمات سيادتكم فى المشروع المتكامل الذى أحمله » ، وحتى يشعر كيسنجر أننا نتنازل عن شىء كبير يجب أن أحصل منه وعن طريقه من إسرائيل عن مقابل ، فوجئت بأن الجانب المصرى تعدى فى حديثه مع الإسرائيليين موضوع تبادل كشوف الأسرى والجرحى إلى الموضوع الأساسى وهو قبولنا مسبقا بتسليم الأسرى . فأرجو من سيادة الرئيس أن يوافق على أن ما أحمله معى ينفذ فى واشنطن .

٩ ـ بعد أن علم بموافقتنا المسبقة فى مصر على تبادل الأسرى ، أضاف كيسنجر فجأة شرطا جديدا وطالب بموافقة السيد الرئيس على أن نفك الحصار من جانبنا فى باب المندب بمجرد إتمام انسحاب إسرائيل إلى خطوط ٢٢ أكتوبر .

١٠ ـ ذكرت له أن هذا الطلب جديد خصوصا وأن كيسنجر يعلم أنه ليس لدينا سلطة كاملة على باب المندب ، وإنما الموضوع فى يد اليمنيين والروس(*) . فذكر أن لنا ٣ قطع حربية وغواصات ،

(*) لم يكن لليمنيين أو الروس دخل فى ذلك سوى أن ميناء الحديدة اليمنى كان قاعدة لعمل القطع البحرية المصرية القائمة بالحصار ، كما أن الروس كانت لهم اتفاقية تسهيلات فى ذلك الميناء .

فعلقت على ذلك أنه حتى لو افترض أن مصر طلبت من قواتنا عدم التعرض لناقلات البترول الإسرائيلية فهذا لن يغير من الوضع شيئا . فطلب أن نتحدث فى ذلك إلى الروس واليمنيين .

١١ ـ ولما كانت تعليمات سيادتكم أن فك الحصار فى البحر الأحمر يأتى فى مرحلة الـ (لاتينى) « دى اى اس نى أن جى ايه جى ام نى ان تى » (Disengagement فك الإرتباط) أى يرتبط ببدء انسحاب القوات الإسرائيلية شرق القناة إلى منطقة الـ (لاتينى) « دى اى اس نى ان جى ايه جى ام نى ان تى » ، فإننى أحتاج إلى تعليمات فى هذه النقطة على أن تصلنى قبل اجتماعى به باكر لمدة ساعة ابتداء من الساعة ١٤٠٠ بتوقيت محلى ، وبعد ذلك سأقابل الرئيس نيكسون سعت ١٥٠٠ .

١٢ ـ فأرجو أن يوافق السيد الرئيس على ما تقدم خصوصا أنه من المحتمل أن يضغط الأمريكان على الروس مباشرة من ورائنا ويوافقوا على الطلب الأمريكى خوفا على الوفاق بالإضافة أن ما ينقل إلى إسرائيل عن طريق باب المندب هو بترول يأتى من إيران ، وعلى أى حال البترول يأتيها بكميات كبيرة عن طريق حيفا ، خصوصا وأن الحصار فى باب المندب له أهمية ثانوية غير مضمون أن يستمر بسبب ما سبق أن أوضحت .

١٣ ـ (ضاعت من البرقية .....)

١٤ ـ وأرجو موافقة السيد الرئيس على أننى لا أبدأ فى الحديث عن الـ (لاتينى) « دى اى اس نى ان جى ايه جى ام نى ان تى » قبل حصول الرئيس نيكسون على النقاط السابقة من جولدا مائير ، وألا تعلق جميع الأمور وتفوت فرصة من ضمان تموين الجيش الثالث بصفة مستمرة بما يلزمه وتسكين قوات الطوارىء على الطرق الرئيسية وتنفيذ انسحاب إسرائيل لمواقع ٢٢ أكتوبر .

١٥ ـ ولذلك سوف أبدأ فى مفاتحة كيسنجر فى موضوع السيد الرئيس الشامل بالنسبة للـ (لاتينى) « دى اى اس نى ان جى ايه جى ام نى ان تى » بعد مقابلة جولدا مائير للرئيس ، وتأكدى من موافقتها على النقاط الثلاثة السابقة .

١٦ ـ أملى كبير حتى أضمن نجاحا فى المفاوضات الدقيقة الدائرة الآن أو تنفيذ مشروع السيد الرئيس بالكامل ـ فى ألا يبوح به السوفيت من وراء ظهرنا إلى الجانب الأمريكى لعلمهم به قبل سفرى من القاهرة . وسوف يقابل السفير الروسى اليوم نيكسون فى كامب دافيد ومعه كيسنجر بناء على طلب الروس .

– واتصالا بهذا أرجو إن وافقتم عدم مد الروس بأى أشياء إضافية إلا بعد أن نبلغ سيادة الرئيس بالموافقة عليها هنا ، وبذلك يوضعون فى الصورة فى وقت مناسب ، ولا يتمكنون من تفسير مواقفنا للجانب الأمريكى ويدخل الاثنان فى مساومات على حسابنا ، خصوصا وأن كيسنجر فى أكثر من مناسبة لمح لى أن الروس قالوا لهم عن موقفنا كذا وكذا ، ثم لما أفهمته بأن التعليمات تصدر من القاهرة طلب منى فى إلحاح أن يستمر الإتصال بيننا مباشرة .

١٧ – سألنى كيسنجر عن الطرف المصرى الذى سيتقابل معه فى مصر ، فذكرت له أن السيد الرئيس سيستقبله ، وسأكون حاضرا هذا الاجتماع بالإضافة إلى أى شخص آخر يراه السيد الرئيس .

١٨ – استفهم أيضا عما إذا كنت سأستمر فى إجراء الحوار معه فى القاهرة وبعد ذلك عندما تصل الأمور إلى موضع تنفيذ البرنامج الشامل ، فذكرت له أنه بناء على تعليمات السيد الرئيس لى أن هذا هو الذى سيحدث .

١٩ - بعث إلىّ كيسنجر الآن سيسكو وأخبرنى أن خط سير كيسنجر هو الآتى : من واشنطن إلى الرباط ويصل القاهرة فى نفس الموعد المتفق عليه ، ثم عمان ومنها إلى الرياض فطهران فإسلام أباد فى طريقه إلى بكين ثم طوكيو .

٢٠ - فى تقدير كيسنجر أن مرحلة التسكين الأولى ممكن الانتهاء منها قبل حضوره إلى القاهرة ، إلا أنه لما كان يرغب فى أن يتولى بنفسه موضوع أزمة الشرق الأوسط فى إطارها الشامل ، فهو يعتقد أنه من الأفضل البدء فى الحوار بينى وبينه بالنسبة للخطوات التالية ابتداء من ١٨ أو ١٩ نوفمبر .

٢١ - هذا وقد دار بينى وبينه حوار كبير بالنسبة للدول الكبرى التى تحضر المؤتمر ، وأقنعته أنه من صالح الولايات المتحدة نفسها بعد أن لمست ونمسنا جميعا إلى أى درجة يشعر الانجليز والفرنسيين بإساءة أمريكا لهما ، وإلقاء اللوم فى هذا كله على كيسنجر ، وتعمد إبعادهما ، أنه من صالح الولايات المتحدة ألا تعترض على انضمامهما خصوصا أن الحقيقة المعروفة للجميع أن الذى يخشى انضمام فرنسا وانجلترا هى إسرائيل وأن أمريكا تحاول مجاملة إسرائيل . أضفت أيضا أن انضمام فرنسا وانجلترا رسميا لا يمنع على الإطلاق أن يستمر المحرك الرئيسى للأمور فى الكواليس بين الأطراف والولايات المتحدة ، وذلك لاشباع الرغبة الأمريكية فى أن يظهر للعالم فى النهاية أنها هى التى أعادت عن طريق كيسنجر السلام فى الشرق الأوسط .

تفهم كيسنجر كل هذا ، وعلق بأن هذا كله معقول ووعدنى بمراجعة موقفهم . وعليه لم يظهر بمعالجتى هذه النقطة بهذا الأسلوب لكيسنجر أن القاهرة لها مصلحة خاصة فى هذا ، وإنما هى مصلحة أمريكا .

٢٢ - تعليماتكم ، مع العلم بأنه من الأفضل بعد مقابلة جولدا مائير وأضمن تنفيذ عودة إسرائيل إلى ٢٢ أكتوبر والمسائل المرتبطة بها ، أن أبدأ فى مفاتحة كيسنجر فى المشروع المتكامل للسيد الرئيس شيئا فشيئا على أساس ما قد ينقله إلى كيسنجر من أفكار جديدة .

٢٣ - وكتعليماتكم قبل مغادرتى القاهرة سوف لا أترك واشنطن قبل وصول توجيهاتكم ، مع العلم بأننى سأمر على نيويورك لمقابلة فالدهايم لأنهى معه جميع المشاكل الخاصة بالقوات على أن أصل القاهرة إن شاء الله قبل وصول كيسنجر إليها .

□ ملاحظة :

سأقابل دوبرينين صباح باكر بناء على طلبى ويكون قد عاد من كامب دافيد فأحصل منه على آخر طبعة .

أحمد توفيق خليل ،

□

وعندما وصل هذا التقرير إلى القاهرة واطلع عليه الرئيس « السادات » كتب على الورقة الأولى منه وبخط يده تعليقا مطولا قال فيه بالنص :

« - المشروع المتكامل لفك الارتباط Disengagement عند الروس ، وعند الانجليز وعند الفرنسيين ، وعند جولدا مائير عن طريق ياريف الذى اشترك فى المحادثات العسكرية - وهو معها (الآن) فى واشنطن .

- أدخل على المشروع مباشرة مع كيسنجر بالطريق الذى تراه على أساس هذه المعلومات .

- باب المندب يدخل فى المرحلة التالية للتسكين ، ولابد أن تتشدد فى ذلك . وكما قلت فهو فى المشروع الذى عند الجميع بما فيهم مائير . والهدف هو أن ننتقل مباشرة إلى مرحلة كبيرة هى الفصل بين القوات - والإسرائيليين على لسان ياريف يتفهمون ذلك .

أوافق على خط سيرك كما أوضحت لك الآن ، وأبرق لى أولا بأول . »

الفصل الرابع

البحث عن ضمان !

١

وفى اليوم التالى كان « اسماعيل فهمى » على موعد مع الرئيس « نيكسون » . وقد خطر له أن يطلب « ضمانا كتابيا من الولايات المتحدة تتعهد فيه بعدم قيام إسرائيل بأى عمليات عسكرية فى أى صورة فى الضفة الغربية (من قناة السويس) حتى يمكن الانتقال إلى مرحلة فك الارتباط Disengagement » . وكان « اسماعيل فهمى » قد أشار إلى هذا المطلب فى نهاية مقابلته مع « كيسنجر » فى اليوم السابق . وأبدى « كيسنجر » استعداده لقبول الفكرة التى راقت للرئيس « السادات » حينما علم بها (وطلب إلى « اسماعيل فهمى » أن يحصل على هذا الضمان الكتابى من الولايات المتحدة قبل أن يغادر واشنطن) .

وكتب « اسماعيل فهمى » تقريرا عن مقابلته للرئيس « نيكسون » قال فيه بالنص ما يلى :[١]

(١) البرقية رقم ٨١٩٤ من واشنطن ، وأصلها محفوظ فى وزارة الخارجية . كما توجد نسخ منها فى محفوظات رئاسة الجمهورية ووزارة الحربية .

« سرى جدا(*)

جمهورية مصر العربية

برقية رمزية

محظورة

إلى السيد الرئيس

من الوزير اسماعيل فهمى

١ - استقبلنى الرئيس نيكسون ، ودامت المقابلة لمدة ساعة ثم أصر على توصيلى إلى باب السيارة . وكان الاجتماع صريحا للغاية وواضحا أكثر مما كنت أنتظر .

٢ - وبعد أن نقلت إليه تحيات سيادتكم ذكر أنه يبادلكم التحية ، وأنه معجب بأسلوب سيادتكم فى معاجلة النواحى العسكرية والسياسية ومتتبع لقراراتكم ، ويشكر استمرار تبادل التعاون والاتصال المباشر .

٣ - ذكر أيضا أنه لا يملك إلا أن يعترف بإعجابه بالجيش المصرى وبسالته لأنه يحترم المقاتلين الشجعان ويجل التضحية فى سبيل الوطن .

٤ - طلب منى أن أبلغ سيادة الرئيس أنه يرغب فى مقابلتكم ، وإن كان لا يقصد بذلك فورا إذ يمكن الاتفاق على الموعد فى المستقبل ، فذكرت له أننى سأنقل هذه الرغبة إلى سيادتكم ، وأننى متأكد من أن سيادة الرئيس سيتلقى رغبة نيكسون لمقابلته بالترحيب والتقدير .

٥ - فأخبرنى بعد ذلك بأن كيسنجر أطلعه منذ دقائق على مشروع السلام المتكامل للسيد الرئيس ، وهو يريدنى أن أنقل إليكم أنه مقتنع بأن هذا المشروع Constructive بناء ، أى يذهب فى ذلك أبعد مما سبق أن ذكره لى كيسنجر من قبل بأنه معقول Reasonable .

٦ - ثم طلب منى نيكسون أن أنقل إلى سيادة الرئيس أنه فى تاريخ الولايات المتحدة الحديث لم يوجد من الرؤساء الأمريكيين من يستطيع أن يأخذ قرارات لا تتمشى مع مصالح إسرائيل وذلك للضغوط الداخلية فى الكونجرس وفى الدوائر اليهودية ونفوذها وأموالها ، إلا ايزنهاور لأسباب معروفة ونيكسون . وليس معنى ذلك أن نيكسون لا يهتم بنفوذ الأقليات القوية التأثير أو الكونجرس ، وإنما عندما تصل الأمور إلى وضع يهدد المصلحة القومية الأمريكية فهو يتخذ القرارات لحمايتها بصرف النظر عن رغبات إسرائيل ، وهو قد قرر ذلك وأعطى التعليمات لكيسنجر بتنفيذها ، وأن كيسنجر سيذهب إلى القاهرة وهو مفوض لمحادثتكم على هذا الأساس .

٧ - ثم طلب منى نيكسون أيضا أن أنقل إليكم أن مشروعكم للسلام يتضمن مراحل عديدة منها المرحلة الأولى الخاصة بالتسكين وضرورة تنفيذها بسرعة ، وهو سيرغم إسرائيل على الإمتثال لها فورا ، وسيكون حديثه مع جولدا مائير شديدا وحاسما ، وهنا انتهزت فرصة كلامه هذا وأشرت إلى مطلبى من كيسنجر بتسليمى ضمان كتابى تتعهد فيه الولايات المتحدة بعدم قيام إسرائيل بأى عمليات عسكرية فى أى صورة فى الضفة الغربية حتى يمكن الانتقال إلى مرحلة Disengagement فأيد كيسنجر تعهده لى وقبوله تسليم الضمان الكتابى . وأصدر الرئيس نيكسون إلى كيسنجر تعليماته بأن يتم ذلك فورا ، وأن أتسلم الضمان الكتابى قبل سفرى ، أكرر بأن يتم ذلك فورا .

(*) وفى ملحق صور الوثائق توجد صورة للصفحة الأولى من هذه البرقية ، وهى منشورة تحت رقم (١٢١) - على صفحة ٨٦٣ من الكتاب .

٨ - ذكر نيكسون أنه يهمه أن أنقل إليكم أنه يرغب فى تبادل التمثيل السياسى مع مصر سريعا ، لأنه كان ولا يزال خاصة بعد ما حققته القوات المصرية بقيادتكم من قلب الأوضاع فى المنطقة مقتنعا بأنه لا يوجد فى المنطقة دولة لها مكانة مصر أو نفوذها على الأحداث فى المنطقة وتطورها ، ومن هذا المنطلق ستقوم سياسة الولايات المتحدة فى المستقبل .

٩ - ذكر أنه يعلم قدرات مصر بالرغم من أنها لا تمتلك بترولا كثيرها إلا أنها تمتلك طاقة بشرية على مستوى علمى يشع فى جميع البلاد العربية ، وقد لمس ذلك بنفسه عندما زار عددا كبيرا منها ، وحيثما يذهب كان يقابل الخبراء والمدرسين والمربيين المصريين . واتصالا بذلك ذكر أنه يعلم تمام العلم رغبتكم فى البناء والتركيز على رفع مستوى المعيشة ، وهو لا يريد أن يدخل فى التفاصيل الآن وإنما ستجده يتجاوب تجاوبا سريعا ، إذ أن نيكسون مقتنع بضرورة الإنفاق الضائع بغير حدود على التسليح وأن ذلك سوف لا يكون له ضرورة قصوى بعد حلول سلام عادل فى المنطقة .

١٠ - ثم ذكر أنه يقدر تمام التقدير تخطيطكم وما حققتموه من تحسين علاقاتكم بجميع الدول العربية بصرف النظر عن الأوضاع فيها ، وبصفة خاصة مع الملك فيصل بالرغم من ضغوط الرئيس القذافى عليكم ، ولذلك يجد فيكم ما لم يجده فى الرئيس عبد الناصر من تركيزه على الاتصال بالمتطرفين فى المنطقة ، بينما يلاحظ أنكم تفتحون صدركم وبحكمة لتحسين العلاقات مع جميع الدول العربية وربطها حولكم .

١١ - وهنا انتقل فجأة فذكر أنه يعلم أن كثيرين فى العالم العربى كانوا ولا يزالون يضغطون عليكم لعدم قبول وقف إطلاق النار ، وزاد هذا الضغط والتشكيك من شجاعتكم فى الاتصال بالدول العظمى للانتقال إلى مرحلة السلام من الناحية العملية دون المساس بمبادئكم . فهو يقدر الضغوط التى تعيشونها ، وهو يجد نفسه هنا فى واشنطن تحت ضغوط كبيرة داخليا ومن دول أوروبا الغربية بسبب موضوع البترول ، وبالرغم من ذلك فهو لا يطالبكم بإيقاف الحظر البترولى وإنما يرجو وبصفة هادئة غير معلنة ومن الناحية العملية التخفيف وعدم المبالغة فى هذا الموضوع . وهو يرجوكم أن تستعملوا بالقدر الذى ترونه نفوذكم عند بعض الدول المنتجة للبترول ، ويخبركم أيضا بأنه بعث للملك فيصل فى هذا الشأن ، وسوف يقف كيسنجر فى الرياض خصيصا لهذا الموضوع .. كما أن كيسنجر سيتحدث إليكم فى مصر فى نفس الشيء .

١٢ - وعدته بأن أنقل كل ما تقدم إلى سيادة الرئيس ، إلا أننى رغبت قبل أن أترك نيكسون أن أحدثه بصراحة فى أنه فى الماضى تعود العالم العربى بعد مقابلة جولدا مائير لنيكسون فى كل مرة أن تعلن واشنطن إما مباشرة أو بطريق غير مباشر عن مد إسرائيل بأسلحة جديدة أو معونات جديدة ، أو أن تصرح جولدا مائير بتصريحات تنسبها إلى نيكسون على أنه موافق على سياسة إسرائيل ، ورجائى فى ضوء ما ذكره لى نيكسون أن لا يتكرر ذلك عندما يقابل جولدا مائير .

١٣ - فرد نيكسون فورا وبدون تردد قائلا إن جولدا مائير عنيدة وذكية ، وانه لا يمكن أن يمنعها من الاتصال برجال الكونجرس أو من بعض الجمعيات التى لها نفوذ كما فعلت فى الماضى ، وإنما يتعهد لى بأنه لن يتكرر من نيكسون ما كان يحدث فى الماضى ، بل بالعكس تماما ستفاجأ جولدا مائير بحديث شديد صريح قاطع لا تردد فيه .

١٤ - فشكرته على ذلك ، وأضفت أننى زيادة فى مصارحته أنقل إليه ما يردده البعض منذ وصولى إلى هنا من أن جولدا مائير قادمة لتؤثر عليك كما حدث فى الماضى ، وإن لم تجد تجاوب ستحاول أن تؤلب عليك الرأى العام الداخلى بأن تصب المزيد من الزيت على مشكلة ووترجيت بقصد إحراجك ، فذكر أنه سمع بذلك ويرغب أن يؤكد لى أنها ستكون الخاسرة وعلى وجه

القطع . وأضاف أنه ملتزم بكل كلمة قالها لى ، وطلب نقلها حرفيا إلى سيادة الرئيس ، وأنه وكيسنجر يعلمان كيف يعالجان الكونجرس فى الوقت المناسب فيسكت الجميع عندما تأتى المصلحة القومية الأمريكية .

١٥ - وفى نهاية المقابلة كررت شكرى لهذه المقابلة الصريحة ، وطلبت إليه أن يوافق لحين إعادتنا للعلاقات الدبلوماسية أن يختار شخصية سياسية تذهب إلى مصر بناء على طلب السيد الرئيس ، فأصدر تعليماته بذلك إلى كيسنجر .

١٦ - وأثناء توصيل نيكسون لى حتى السيارة طلب إلىّ أن أبقى فى واشنطن للاجتماع بكيسنجر أكثر من مرة بعد زيارة جولدا مائير ، فذكرت له أننى سأبقى وفقا لطلبه .

١٧ - ثم تساءل نيكسون عن المكان الذى أقيم فيه الآن ، فأجبته أنه فى الفندق ، فذكر أنه يرجو أنه عندما أأتى لواشنطن فى المرة القادمة أن أقيم فى السفارة المصرية وبها السفير المصرى ، فذكرت له أننى آمل أن يتم ذلك قريبا .

١٨ - أرجو أن يصلنى من السيد الرئيس أى توجيه أو تعليمات بخصوص ما جاء فى هذه البرقية ، وخاصة رد فعل السيد الرئيس على رغبة نيكسون لمقابلتكم فى الوقت المناسب ، ما جاء ببند ٤ من هذه البرقية » .»

كان الرئيس « السادات » مهتما بالدرجة الأولى بأمر مشروعه لفك الارتباط « الذى وصل إلى الروس والانجليز والفرنسيين وجولدا مائير عن طريق ياريف » طبقا لنص تأشيرته المكتوبة بخط يده . وقد بعث إلى « اسماعيل فهمى » بتعليمات بالعودة إلى مقابلة « كيسنجر » وإفهامه « بطريقة خفيفة » أن مشروعة لفك الارتباط وصل فعلا إلى كل الأطراف . وعاد « اسماعيل فهمى » إلى طلب مقابلة « كيسنجر » . وكتب إلى الرئيس « السادات » تقريرا[٢] كان نصه على النحو التالى :(*)

«سرى جدا

جمهورية مصر العربية

برقية رمزية

من واشنطن رقم البرقية ٨١٩٩ مجموعة الوقت والتاريخ ١ / ١١ / ١٩٧٣

إلى السيد الرئيس

من الوزير اسماعيل فهمى

١ - عندما عاودت الاجتماع بكيسنجر كنت على يقين بأن كينسجر والرئيس نيكسون يفضلان استمرار الاتصال مباشرة بهما وتسليمهما مشروع السيد الرئيس حتى يقدماه إلى جولدا مائير على أنه أفكار أمريكية ، فلا ترفضه جولدا مباشرة . وحاولت خفيفا خفيفا أن أفهم كيسنجر أن المشروع قد يكون قد وصل إلى الإسرائيليين ، فكان رد كيسنجر التلقائى هو تكون نكبة

(٢) البرقية رقم ٨١٩٩ من واشنطن ، وأصلها محفوظ فى وزارة الخارجية . كما توجد نسخ منها فى محفوظات رئاسة الجمهورية ووزارة الحربية .

(*) فى ملحق صور الوثائق توجد صورة للصفحة الأولى من هذه البرقية ، وهى منشورة تحت رقم (١٢٢) . على صفحة ٨٦٤ من الكتاب .

لأن معنى هذا أنها ستعرضه على مجلس الوزراء الإسرائيلي وتأتى إلى واشنطن بقرار برفضه .
أما إذا كان قدم إليها هنا فى واشنطن على أنه مجهود أمريكى يمكن أن يتمشى معه الرئيس السادات فلا يكون أمامها مفر من قبوله مع توقع التقدم ببعض تعديلات طفيفة .

٢ - ذكرت له أن شعورى أيضا أنه قد تكون فرنسا وانجلترا قد حصلت عليه ، فقال كيسنجر إن هذا يضيف إلى النكبة نكبتين لأنهما لا يمتلكان أى قوة أو سلطة للضغط على إسرائيل ، وبعد أن تتدخل واشنطن وترغم إسرائيل على قبوله تحاول هاتان الدولتان أن تنسبا لنفسهما الفضل فى الوصول إلى حل دائم .

٣ - علقت على ذلك بأننى أرجوه ألا ينزعج ، وأن هذه أمور شكلية وقد يكون فى مصلحة أمريكا فى النهاية أن توضع كل من فرنسا وانجلترا فى الصورة حتى لا ينفران من العزلة بإبعاد أمريكا لهما .

وهنا أضفت أننى أرغب فى طمأنته ، وعن طريقه الرئيس نيكسون ، لأننا نعلم تماما أن الولايات المتحدة وحدها تستطيع أن تنهى الوضع وتضغط على إسرائيل ، وسوف يجد منا فى المستقبل البرهان على ذلك مع وعينا الكامل لدور الولايات المتحدة ومكانتها فى الوصول إلى حل سريع للأزمة .

٤ - وخلصت من ذلك أننى طلبت إليه أن يهدأ إذ المهم أنه كما سبق أن ذكر لى فإن مشروع السيد الرئيس مشروع إيجابى معقول ، فوافق على ذلك .

٥ - وأضفت أن المهم أن تنفذ سريعا مرحلة التسكين حتى تبدأ فورا مرحلة الـ Disengagement فوافق على ذلك .

٦ - واستطرد كيسنجر قائلا حيث أنه يتولى بنفسه موضوع أزمة الشرق الأوسط ، وحيث أنه سيبدأ فى التغيب عن واشنطن ابتداء من يوم ٥ لمدة عشرة أيام تبدأ بزيارته لمصر ، فهو يرجو أن نوافق ما دام مجلس الأمن قرر تكوين قوات طوارىء قوتها سبعة آلاف وأعطى الصلاحيات كاملة للسكرتير العام ، لذلك يرجو أن تهدأ اجتماعات مجلس الأمن فى غيابه إلا إذا جد شىء خطير يستدعى طلبنا اجتماع فورى للمجلس ، فوافقته مبدئيا على ذلك . »

٢

كانت القوات المصرية تواجه مواقف صعبة على طول خطوط القتال . فالأوامر الصادرة إليها من ناحية تطلب منها مراعاة قرارات وقف إطلاق النار الصادرة عن مجلس الأمن ، خصوصا وأن المحادثات على الكيلو ١٠١ تحت اشراف اللواء « الجمسى » ما زالت جارية ، وزاد عليها أن الاتصالات نشطت فى واشنطن بواسطة وزير الخارجية الجديد السيد « اسماعيل فهمى » .

وكانت المشكلة أن القوات الإسرائيلية لم تعتبر قرارات وقف إطلاق النار قيدا عليها ، وإنما اعتبرتها فرصة لها . وعندما كان قادة التشكيلات المقاتلة يطلبون من القيادة المصرية أن تعطيهم الفرصة للعمل ضد الإسرائيليين بما هو أكثر من مجرد الدفاع الثابت - وعندما كانت القيادة تعيد

توجيه هذه الطلبات إلى الرئيس « السادات » – فإن الرد كان يجيء دائما بـ « التزام الدفاع الثابت عند الضرورة وتجنب توسيع مواقع القتال » . وكانت وجهة نظر الرئيس « السادات » :

١ – أنه لا يريد لأى اعتبارات فرعية الآن أن « تلخبط له الغزل » حسب تعبيره مرة للفريق « أحمد اسماعيل » .

٢ – أن ما تقوم به إسرائيل ليست له فائدة . فهى مرغمة فى النهاية (حسب فهمه من الاتصالات مع « كيسنجر » ومن قرارات مجلس الأمن) – على العودة إلى خطوط ٢٢ أكتوبر . وبالتالى ، فكل ما تفعله الآن نوع من « المهوبصة »(٣) لا فائدة منها .

كان الرئيس « السادات » يترجم قرارات مجلس الأمن ، ومحادثات الكيلو ١٠١ ، واتصالات واشنطن – طبقا لمنظوره للأمور ، وربما وفق ما كان يتمناه لخط سيرها . فى حين أن إسرائيل لم تكن تترجم النصوص ، حتى وإن كانت جلية ، وإنما كانت تعيد صياغتها بصنع واقع جديد على الأرض . ومن ذلك مثلا أنه حين بدا أن موضوع إطلاق سراح أسراها فى مصر لا زال معطلا ، أقدمت القوات الإسرائيلية فى منطقة القناة على اعتقال ٥٧٠٠ مواطن مصرى – بينهم كثيرون من الفلاحين خطفوا من حقولهم – للاحتفاظ بهم كرهائن يجرى استعمالهم فى الضغط من أجل إطلاق سراح الأسرى الإسرائيليين . واستقر الرأى تجاه هذه الاستفزازات الإسرائيلية الجديدة – على عدم إبلاغ مجلس الأمن طالما أن « كيسنجر » نفسه بدأ يتولى الأمر ، ثم إنه قادم بنفسه إلى المنطقة . وقد كلف الرئيس « السادات » كلا من الدكتور « عبد القادر حاتم » نائب رئيس الوزراء ، والسيد « حافظ اسماعيل » مستشاره للأمن القومى ، بأن يبعثا بالتفاصيل كاملة بما فيها كشوف بأسماء المخطوفين إلى وزير الخارجية السيد « اسماعيل فهمى » لكى يقوم بإبلاغها إلى الدكتور « كيسنجر » .

وبعث « اسماعيل فهمى » إلى القاهرة يستأذن فى إبلاغ رئيس مجلس الأمن بالموضوع ، حتى وإن لم يكن ذلك الإبلاغ مصحوبا بطلب عرض المشكلة على مجلس الأمن . ووافق الرئيس « السادات » على الاقتراح ما دام أن الأمر لن يكون موضوع مناقشات مفتوحة فى المجلس ، لأنه لا يريد لأى عارض جانبى (فى تقديره) أن يؤثر على زيارة « كيسنجر » للقاهرة .

□

وكتب « اسماعيل فهمى » – وهو يدرك أولوية زيارة « كيسنجر » فى خطط الرئيس « السادات » – برقية رمزية من واشنطن إلى السيد « ممدوح سالم » نائب رئيس الوزراء قال فيها : (٤)

---

(٣) كانت هذه الكلمة تعبيرا أثيرا لدى الرئيس « السادات » ، وقد تبين أن لها أصلا عربيا فصيحا وهو « هوبص » أى قام بحركة لا معنى لها .

(٤) البرقية رقم ٨٢٣٢ من واشنطن ، وأصلها محفوظ فى وزارة الخارجية . كما توجد نسخ منها فى محفوظات رئاسة الجمهورية ووزارة الحربية .

« إلى السيد النائب ممدوح سالم
من الوزير اسماعيل فهمى

كما تعلمون يصل كيسنجر ومجموعته بطائرة خاصة مساء يوم ٦ / ١١ وسوف يقيم فى أحد القصور التى يتفق عليها وليس فى فندق . وبالنسبة لما قد يحاوله الكثيرون لأسباب مختلفة من الاعتداء عليه ، فقد ذكر لى كيسنجر نفسه ضرورة توفير الأمن أثناء إقامته وانتقالاته مع العلم بأنه ينتظر أن يزور الأهرامات والمتحف المصرى . فأرجو أن تصدروا تعليماتكم لتوفير جميع أسباب الأمن ، وتخصيص عدد كبير من رجال الأمن الظاهرين والسريين وعدد من السيارات والموتوسيكلات لمرافقته بصفة مستمرة ، والتحقق من اثباط أى محاولات للاعتداء عليه أو الاتصال به خشية ما يسببه ذلك من آثار دولية . وعلى أن تتخذ الترتيبات اللازمة لكى يركب سيارته عند باب الطائرة فور وصولها ، ونفس الشيء عند سفره .

أرجو التنسيق مع السيد المستشار حافظ اسماعيل .

مع تحياتى . »

□

وكانت إسرائيل تمضى فى محاولة فرض واقع جديد . ولم تقتصر محاولاتها على ميادين القتال فقط ، وإنما راحت تتحدى الحصار على باب المندب بناقلة بترول تحمل علم ليبيريا . وفى الظروف المتغيرة ، فإن قوة الحصار المصرية على باب المندب طلبت تأكيد ما لديها من تعليمات عن التعرض للبواخر الذاهبة إلى إسرائيل . وطارت إليها أوامر سريعة من القاهرة تطلب إليها السماح بمرور الناقلة . وأشر الرئيس « السادات » على طلب التعليمات بعبارة قال فيها :

« يبلغ الموضوع إلى وزير الخارجية لإبلاغه لكيسنجر مع توضيح أننا فعلنا ذلك لتسهيل مهمته فقط » .

وكتب « اسماعيل فهمى » من واشنطن برقية (٥) تخطر بتنفيذ التعليمات فيما يتعلق بالناقلة الليبيرية ، وأضاف إليها أيضا ما طلب إليه إبلاغه إلى « كيسنجر » عن استمرار قيام الطائرات الإسرائيلية بضرب مواقع الصواريخ المصرية - وكان نصها كما يلى : (*)

« من الوزير اسماعيل فهمى
إلى السيد الرئيس

- وصلتنى برقيتك الخاصة بناقلة البترول التى تحمل العلم الليبيرى ، فأبلغت مضمونها تليفونيا لكيسنجر وأوضحت له أن هذا الإجراء تم لتسهيل مهمته دون أن يمثل سابقة ، فكان واضحا من

---

(٥) البرقية رقم ٨٢٤٢ من واشنطن ، وأصلها محفوظ فى وزارة الخارجية . كما توجد نسخ منها فى محفوظات رئاسة الجمهورية ووزارة الحربية .

(*) فى ملحق صور الوثائق توجد صورة لأصل هذه البرقية ، وهى منشورة تحت رقم (١٢٣) - على صفحة ٨٦٥ من الكتاب .

تعليقه ارتياحه ، فطلبت إليه أن يبلغ ذلك إلى الرئيس نيكسون الذى سافر فجأة إلى فلوريدا ، فأجاب أن ذلك سيتم فورا .

- ثم أبلغته أيضا بخرق الطائرات الإسرائيلية مجالنا الجوى وضربها موقع الصواريخ ، وطلبت إليه أن ينقل ذلك أيضا إلى رئيسه نيكسون ، وأبلغته بأننى سأخطر مجلس الأمن بذلك ، كما طلبت إليه أن يتصل بجولدا مائير فى نيويورك وأن يبلغها بما تم ويطلب إليها عدم تكرار ذلك .
- أخبرنى كيسنجر أيضا أن عند قدومه لمصر سيعلن عن اسم الشخصية الأمريكية التى ستوفد إلى القاهرة وفقا لطلب السيد الرئيس ومعه ، إما السفير Buffum أو المساعد الأول لسيسكو روجرز دافيز ، وإما سفيرهم السابق فى السعودية « هيرمان آيلتس » . »

□

كانت القاهرة لا تزال مأخوذة بالترتيب لزيارة « كيسنجر » . وقد راحت تلح فى معرفة أسماء الوفد والمرافقين لكى تتمكن من إعداد كل الإجراءات اللازمة لتسهيل وجودهم وعملهم فى مصر أثناء الزيارة . وتلقت وزارة الخارجية من مكتب المشرف على شئون المصالح الأمريكية فى مصر قائمة بالمرافقين لـ « كيسنجر » كانت على النحو التالى :

« الاسم	رقم جواز السفر ونوعه		تاريخ الميلاد	جهة العمل
هنرى كيسنجر	دبلوماسى	X050226	٢٧ / ٥ / ١٩٢٣	وزير الخارجية
جوزيف سيسكو	دبلوماسى	X024769	٣١ / ١٠ / ١٩١٩	وكيل وزارة الخارجية لشئون الشرق الأوسط
ألفريد آثرتون	دبلوماسى	X007217	٣١ / ١٠ / ١٩١٩	مساعد وكيل وزارة الخارجية
هارولد سوندرز	دبلوماسى	X020547	٢٧ / ١٢ / ١٩٣٠	نائب مساعد وكيل وزارة الخارجية
روبرت لابان	دبلوماسى	X034948	٦ / ٢ / ١٩٢١	البيت الأبيض
روبرت ماكلوسكى	دبلوماسى	X055638	٢٥ / ١١ / ١٩٢٢	وزارة الخارجية
جون ريدى	دبلوماسى	X008219	١٢ / ٨ / ١٩٢٧	البيت الأبيض
توماس بيكرينج	دبلوماسى	X001816	٥ / ١١ / ١٩٣١	وزارة الخارجية
تشارلز بوتس	دبلوماسى	X039009	٣ / ١١ / ١٩٣٢	البيت الأبيض
ونستون لورد	دبلوماسى	X077661	٤ / ٨ / ١٩٣٧	وزارة الخارجية (مدير التخطيط والتنسيق)
ويليام درسكول	دبلوماسى	X033323	١٦ / ٩ / ١٩٤٠	البيت الأبيض
وولتر بوتى	دبلوماسى	X039007	١٠ / ٢ / ١٩٤١	البيت الأبيض
دونالد ستبنز	دبلوماسى	X058156	٢ / ٧ / ١٩٤١	البيت الأبيض
ل . بول بريمر	دبلوماسى	X036721	٣٠ / ٩ / ١٩٤١	وزارة الخارجية
ريتشارد كامبل	دبلوماسى	X077658	٢٥ / ٢ / ١٩٤٤	وزارة الخارجية
ليون مور	رسمى	Y981373	٢ / ٨ / ١٩٣٤	البيت الأبيض
رالف سيجلر	رسمى	Y1178655	٣ / ١٢ / ١٩٤٣	البيت الأبيض

الاسـم		رقم جواز السفر ونوعه	تاريخ الميلاد	جهة العمل
بيتر رودمان	عادى	B2263181	٢٤ / ١١ / ١٩٤٣	مجلس الأمن القومى (رئيس السكرتارية)
مورى ماردر	عادى	C169248	٨ / ٨ / ١٩١٩	جريدة الواشنطن بوست
هيلين توماس	عادى	D1420524	٤ / ٨ / ١٩٢٠.	وكالة اليونايتد برس
جون ماليكين	عادى	B657041	١٧ / ٧ / ١٩٢٢	مجلة تايم
ادوارد جيلمان	عادى	K148753	٣ / ١٠ / ١٩٢٢	محطة أى . بى . سى . التلفزيونية
جيمس ستانلى كارتر	عادى	B1493569	٦ / ٤ / ١٩٢٦	جريدة نيويورك ديلى نيوز
هربرت كابلو	عادى	A1194154	٢ / ٢ / ١٩٢٧	محطة أى . بى . سى .
داريوس جايفالا	عادى	J162242	١ / ٧ / ١٩٢٨	جريدة البوستون جلوب
روبرت توث	عادى	Z942586	٢٤ / ١٢ / ١٩٢٨	جريدة لوس آنجلوس تيمس
جيمس كيت	عادى	D1330764	٢٥ / ١٢ / ١٩٢٩	جريدة البالتيمور صن
مارفن كالب	عادى	D1873289	٩ / ٦ / ١٩٣٠	محطة سى . بى . اس .
بارى شوايد	عادى	D1327193	٣٠ / ٧ / ١٩٣٢	وكالة الاسوشيتد برس
ريتشارد فاليريانى	عادى	D2094185	٢٩ / ٨ / ١٩٣٢	ناشيونال بى . سى .
برنارد جويرتزمان	عادى	C1004504	٣ / ٥ / ١٩٣٥	جريدة النيويورك تيمس
فرانك ستار	عادى	C1007134	١٦ / ٣ / ١٩٣٨	جريدة شيكاجو تريبيون
جون والاك	عادى	C1378563	١٨ / ١ / ١٩٤٣	مجموعة صحف هيرست
جيمى وات	عادى	B1495076	٢ / ٢ / ١٩٤٣	محطة ان . بى . سى .
جريجورى كوك	عادى	A700436	١١ / ٣ / ١٩٤٦	محطة سى . بى . أس .

– ٤٠ دبلوماسى من موظفى وزارة الخارجية سوف يعملون من مكتب العلاقات فى القاهرة .

□ ملاحظات :

– سوف تصل سيارتين مصفحتين بدروع مضادة للرصاص إلى القاهرة بطائرة خاصة قبل يومين من موعد الزيارة .

– سوف تصل ٢ هليوكوبتر بأطقمهما لتكونا فى القاهرة فترة وجود كيسنجر فيها ، وقد طلب مكتب العلاقات إعطاء الإذن الضرورى لعمل السيارتين المصفحتين وطائرتى الهليوكوبتر .»

□

وبدت إسرائيل مصممة على مواصلة سياستها . وكتب « اسماعيل فهمى » من واشنطن يقول إنه تحدث فى كل الشكاوى التى وصلته من القاهرة مع « كيسنجر » فى جلسة بينهما مساء اليوم (٢ نوفمبر) . وذكر « اسماعيل فهمى » فى بداية برقيته (٦) أن « كيسنجر » قال له « إنه سوف

(٦) البرقية رقم ٨٣١١ من واشنطن ، وأصلها محفوظ فى وزارة الخارجية . كما توجد نسخ منها فى محفوظات رئاسة الجمهورية ووزارة الحربية .

يرى جولدا مائير الساعة العاشرة مساء اليوم ، وأنه سوف يبذل كل جهده ليحصل منها على ردود إيجابية بشأن الشكاوى المصرية . ولكنه لا يتوقع منها أن تعطيه ردا يمثل التزاما ثابتا إلا بعد أن تجتمع بمجلس وزرائها يوم الأحد القادم . » ثم مضى « اسماعيل فهمى » فى برقيته يقول : (*)

« - أخطرته أن السيد الرئيس يتوقع منه أثناء زيارته للقاهرة أن يكون على استعداد لمناقشة مرحلة الـ Disengagement فرد كيسنجر بأنه يود أن يناقش مع السيد الرئيس المنهج العام للتسوية General Approach وأن يقدم للرئيس تقييمهم الأمين للموقف Honest Apraisal ولقدراتهم Capabilities وسوف يعمل كيسنجر على إعداد رجال الكونجرس وحتى وانما قد يحتاج ذلك إلى وقت طويل ، ثم بعد ذلك سوف لا تتردد أمريكا فى التقدم باقتراحها الكامل . وهنا قارن أمام سيسكو والعريان بينه وبين روجرز وسيسكو وطريقة عملهما ، فذكر أن روجرز لم يكن حائزا على تأييد الرئيس نيكسون ، ولا يعرف كيف يهيىء الرأى العام الأمريكى ، ولذلك فكل ما كان يقترحه هو وسيسكو كان بمجرد أن يقترحه وتعترض إسرائيل يذهب فى الهواء .

- عقبت بأنه يهمنا أن نعرف ما سيرتبط به الأمريكان لضمان التوصل إلى التسوية Commitments فرد كيسنجر بأنه لا يعتقد أنه يستطيع تقديم ارتباطات الآن بالنسبة لمشروع محدد ، ولكن يمكنهم تقديم ارتباطات بالنسبة للاتجاه الذى تسير فيه الجهود . وعاد وأكد بأنه يأمل أنه عندما يغادر القاهرة يكون لدى السيد الرئيس صورة واضحة عما يستطيع الأمريكان أن يفعلوه .

- أكدت لكيسنجر أن لهم كل التأثير على إسرائيل إذ أن أمريكا هى التى أنقذت إسرائيل فى الأيام القلائل الأخيرة فى الحرب ، وأن العالم بأجمعه يعرف ذلك ، ولا يمكن أن يصدق أحد فى أوروبا وآسيا وإفريقيا أن أمريكا ليس لها سلطة آمرة على إسرائيل . عقب كيسنجر على ذلك بأن للإسرائيليين جهازهم المنظم Apparatus داخل أمريكا وأن لهم قوتهم ، ولكنه عاد فكرر مؤكدا أن أمريكا تستطيع أن تفعل الكثير وأكثر مما كانت تعتقد أنها تستطيع وأنها ستؤدى مهمتها .

- عقبت بأنهم سيثيرون العقبات الواحدة بعد الأخرى ويضيعون فرصة طالما طالبوا بها وهى التسوية والسلام ، وها نحن مستعدون للوصول إلى التسوية السلمية ولكنهم يلجأون مرة أخرى إلى أسلوب المناورة وعرقلة الأمور .

- طلب كيسنجر أن أنقل إلى السيد الرئيس بأن السياسة الأمريكية التى حدد لى خطوطها فى اجتماعاتنا السابقة هى سياستهم الثابتة ، وأنهم عازمون على المضى فيها وتنفيذها مهما كانت الصعاب وبصرف النظر عن موقف إسرائيل ، وأن أمريكا ستضطلع بدورها الكبير Major فى تحقيق التسوية الشاملة للمشكلة وتحقيق السلام فى المنطقة .

- ذكرت لكيسنجر أن أسلوب المماطلة الذى تتبعه إسرائيل سيترتب عليه تأخير وصول الأسرى الإسرائيليين إلى إسرائيل ، فعقب كيسنجر بأنهم لعلهم يريدون الأسرى بدون مقابل . فرددت بأن هذا لن يحدث ، وأن الطيارين الإسرائيليين الذين أسرناهم فى حرب الاستنزاف لا يزالون فى مصر عدة سنوات ، ولم نرسل إلى إسرائيل سوى طيار واحد بسبب حالته الصحية السيئة ، فلعلها تتذكر ذلك .

- ذكرت أننى لا أفهم موقف إسرائيل ، وخاصة فى ضوء ما ذكره كيسنجر من أن أمريكا سعت لوقف إطلاق النار يوم ١٣ أكتوبر ووافقت إسرائيل ، ولم يكن عندئذ لإسرائيل أى تواجد فى الضفة الغربية للقناة . فعقب كيسنجر بأنها مأساة أن مصر لم تقبل وقف إطلاق النار يوم ١٣ أكتوبر ،

(*) فى ملحق صور الوثائق توجد صورة لأصل هذه البرقية ، وهى منشورة تحت رقم (١٢٤) - على صفحة ٨٦٦ من الكتاب .

وأنه أخطأ شخصيا فى عدم تقديم مشروع القرار مباشرة لنا بدلا من تقديمه عن طريق الروس . فشرحت ما عاناه العرب بسبب التاريخ الطويل لإسرائيل فى إساءة استغلال قبول العرب لقرارات وقف إطلاق النار فى الماضى ، ثم خرقها لوقف إطلاق النار بعد تحويل الموقف العسكرى لصالحها تحت ستار وقف إطلاق النار وتلقى المعونات من أمريكا .»

□

وكان مقررا أن يعود « اسماعيل فهمى » إلى القاهرة يوم السبت ٣ نوفمبر . لكن الرئيس « السادات » بعث إليه بتعليمات نقلها إليه السيد « حافظ اسماعيل » فى واشنطن ، وجاء فيها :

« ١ - يرجى بقاؤكم فى واشنطن لحين انتهاء زيارة جولدا مائير .
٢ - بالنسبة لزيارة الدكتور كيسنجر :

□ أولا : يستقبل الرئيس الدكتور كيسنجر بعد وصوله مباشرة يوم ٦ نوفمبر .
□ ثانيا : يقيم سيادته مأدبة عشاء للدكتور كيسنجر ومعه عضوان من الوفد .
□ ثالثا : تستمر مباحثات الدكتور كيسنجر مع السيد الرئيس صباح يوم ٧ نوفمبر . »

ثم لحقت بهذه البرقية برقية أخرى تطلب من السيد « اسماعيل فهمى » أن يحصل على الضمان الذى سبق الحديث عنه قبل ذلك (**وهو الضمان الخاص بتعهد أمريكا بألا تقوم إسرائيل بأية عمليات عسكرية ضد القوات المصرية فى الضفة الغربية من قناة السويس**) .

وأبرق « اسماعيل فهمى » بسرعة يقول « أبلغت كيسنجر بضرورة تسليمى الضمان الذى سبق أن اتفقنا عليه وأقره الرئيس نيكسون » .

□

كان « كيسنجر » يريد أن يعطى نفسه صفحة بيضاء فى القاهرة يخط عليها ما يريد . وقد طلب وقف اجتماعات محادثات الكيلو ١٠١ حتى انتهاء زيارته ، أو قصر البحث فيها على الجوانب العسكرية دون الاقتراب من أية موضوعات سياسية . وفى نفس الوقت ، فقد بدأ يطلب بطريق غير مباشر أن تنحصر محاولات البحث عن حلول وصيغ فى إطار مهمته . وكتب « اسماعيل فهمى » من واشنطن برقية (٧) إلى السيد « حافظ اسماعيل » يقول فيها : (*)

« من الوزير اسماعيل فهمى

إلى السيد المستشار حافظ اسماعيل

١ - أرجو التشديد على أن يقتصر الحديث فى الاجتماعات التى تتم على المستوى العسكرى على المسائل التى لها طابع عسكرى أو التخفيف الخاص بالجرحى وغيره ، وذلك لأن أى حديث فى

---

(٧) برقية رقم ٨٢٩٧ خ من واشنطن ، وأصلها محفوظ فى وزارة الخارجية . كما توجد نسخ منها فى محفوظات رئاسة الجمهورية ووزارة الحربية .

(*) فى ملحق صور الوثائق توجد صورة لأصل هذه الرسالة ، وهى منشورة تحت رقم (١٢٥) - على صفحة ٨٦٧ من الكتاب .

نطاق هذه الاجتماعات العسكرية من جانبنا يوحى بتنازلات سياسية ، أو يكشف بعض أو جميع أوراقنا ويسبب متاعب كثيرة فى المفاوضات ، وهى كما تعلمون ستكون مفاوضات عميقة وملفوفة وفيها أطراف كثيرة منها الدولتين الأعظم وأطراف النزاع ، ورغم ذلك فإنه ليس من المستحيل بل من الممكن تحقيق أغلب ما جاء بمشروع السيد الرئيس .

٢ - هذا ورجائى ملحا أن لا يطلب من أى دولة أن تتحدث باسمنا مع الدول الأخرى ، إذ إن هذا يضيع الوقت ويعقد الأمور ويقلل الثقة فى الاتصالات المباشرة مع الأمريكان ، ويجعلهم يتشككون فيما يصلهم منا مباشرة وعلى أعلى مستوى فى شكل رسائل أو خلافه ، ومثال ذلك تكرار كيسنجر لى بأن الروس يقولون إنهم مكلفون من القاهرة فى محادثة واشنطن فى كذا وكذا .. ومرة أخرى ذكر لى أن الانجليز يفعلون نفس الشىء . واليوم ذكر لى سفير فرنسا أن دوبرينين قد ذكر له أن مصر قد قبلت تسليم الأسرى فور وقف إطلاق النار وليس بعد رجوع إسرائيل إلى خطوط ٢٢ / ١٠ .

كل ما تقدم يثير البلبلة ثم يؤدى فى النهاية سواء من جانب أمريكا أو إسرائيل لمطالبة بتنازلات جديدة ، وأرجو مراجعة تسلسل برقياتى واجتماعاتى مع كيسنجر ونيكسون قبل حضور جولدا مائير إلى واشنطن ثم بعد حضورها .»

☐

ولم تكن كل الأطراف الدولية على استعداد لقبول احتكار « كيسنجر » لجهود الحل - وتوجه السفير الفرنسى فى واشنطن « موريزيت » إلى مقابلة مع السيد « اسماعيل فهمى » ، قائلا له [٨] :

« إن فرنسا تريد أن تكون على بينة من حقائق الموقف وتطوراته . وهم يسمعون عن مسائل تم الاتفاق عليها بين موسكو وواشنطن ، وعن ارتباطات أعطتها مصر لروسيا ، وعن اتصالات بين مصر والأمريكان ، واتصالات بين الأمريكان وإسرائيل . وإن فرنسا تريد أن تقوم بدورها . ولكى تستطيع الاضطلاع بهذا الدور ، فإنها تحتاج أن تكون فى الصورة . وهى لا تريد اقتحام الباب عنوة ، ولا تريد التسلل للاستماع والتصنت .»

ورد عليه السيد « اسماعيل فهمى » قائلا « إننا لا نعرف نحن أنفسنا دائما ماذا يتم الاتفاق عليه بين موسكو وواشنطن . ولهذا فأرجو ألا يفترض أننا نعلم دائما بهذه الاتصالات .»

وتوجه السفير « موريزيت » بسؤال مباشر إلى وزير الخارجية المصرى عن معلومات وصلت إليهم بأن « مفاوضات مباشرة سوف تبدأ فى جنيف تحت إشراف سفير أمريكى وسفير سوفيتى » ؟ ورد عليه وزير الخارجية المصرى بقوله « إنه ليس لديه علم بذلك ، وبما أنه لا يعلم به فهو إذن غير صحيح » . ورد السفير الفرنسى بقوله « إنه يريد أن يسجل أن المسألة بالنسبة لفرنسا ليست مسألة كبرياء ، ولكنها تتعلق بنجاح المحادثات لأنهم يعتقدون أن اشتراك الروس والأمريكان وحدهم لا يساعد على الحل الذى يرجونه للأزمة .»

---

(٨) البرقية رقم ٨٣٠٠ من واشنطن ، وأصلها محفوظ فى وزارة الخارجية . كما توجد نسخ منها فى محفوظات رئاسة الجمهورية ووزارة الحربية .

٣

كان موعد زيارة « كيسنجر » للقاهرة يقترب ، وكان لا بد للسيد « اسماعيل فهمى » أن يغادر واشنطن ليسبقه ويكون فى انتظاره عندما يجىء . وقد تلقى تعليمات من القاهرة تأذن له بالعودة ، وتخطره بآخر الترتيبات المقررة فى الزيارة ، وبينها « إن دعوتك (أى « اسماعيل فهمى ») للضيف (أى « كيسنجر ») على الغداء كاقتراحك يمكن أن تتم يوم ٧ نوفمبر علما بأن الحاضرين سوف يحددهم السيد الرئيس » .

وتوجه « اسماعيل فهمى » إلى مقابلة أخيرة فى واشنطن مع « هنرى كيسنجر » هدفه الأساسى منها الحصول على « الضمان » الذى كثر الحديث عنه ، وكتب « اسماعيل فهمى » برقيتين من واشنطن بعد هذا الاجتماع .

● ● أولا - برقية كان نصها كما يلى :(٩)

« من الوزير اسماعيل فهمى (*)
إلى السيد الرئيس

□ أولا : فى نهاية اجتماعى بكيسنجر اليوم سألته عما إذا كان يخفى عنى شيئا فنفى ، فذكرته بالتصريح الذى سبق أن أدلى به قبل حضورى إلى واشنطن عن اتفاقه مع دوبرينين بخصوص جميع التفاصيل الخاصة بالمؤتمر ، فاعتذر وذكر أنه كان يعتقد أن الروس أخبرونا به . ثم أضاف أنه تم الاتفاق عندئذ بينهما على ما يأتى :

● أن يكون المؤتمر تحت الإشراف المشترك للدولتين الأعظم ، على أن يحضرا الاجتماع الرسمى الأول ثم لا يحضران إلا فى المسائل المتعذر حلها .

● أنه تم الاتفاق على جنيف كمقر .

□ ثانيا : ذكرت له أنه يعرف موقفنا الذى أبلغته إليه بناء على تعليمات السيد الرئيس وأننا نفضل نيويورك .

□ ثالثا : أضاف كيسنجر أن هذه الاجتماعات كلها شكلية ، والمهم الاتصالات الجانبية وما تقوم به أمريكا ضمن اتصالات مباشرة بالجانبين ، إذ الأساس أنه لا توجد دولة (أخرى) يمكن أن تلعب نفس الدور . »

□

---

(٩) البرقية رقم ٨٣٧٥ من واشنطن ، وأصلها محفوظ فى وزارة الخارجية . كما توجد نسخ منها فى محفوظات رئاسة الجمهورية ووزارة الحربية .

(*) فى ملحق صور الوثائق توجد صورة لأصل هذه البرقية ، وهى منشورة تحت رقم (١٢٦) - على صفحة ٨٦٨ من الكتاب .

● ● ثانيا – وكانت البرقية الثانية (١٠) خاصة بالضمان المكتوب المطلوب . وكتب « اسماعيل فهمى » فيها بالنص : (*)

« من الوزير اسماعيل فهمى
إلى السيد الرئيس

بعد حوار طويل سلمنى كيسنجر الضمان المكتوب ، وكان يود فى أول الأمر عدم توقيعه بالحروف الأولى ثم وقعه ، وأضاف ضاحكا بأنه يرجو ألا ينشر الضمان فى « الأهرام » .

ويشير الضمان (**) إلى أنه « اتصالا بأى اتفاق يتم بين مصر وإسرائيل بخصوص تنفيذ (الفقرة الأولى من) قرار مجلس الأمن رقم ٣٣٨ ، تضمن الولايات المتحدة بأنها ستفعل أقصى ما تقدر عليه لمنع عمليات عسكرية هجومية تقوم بها القوات الإسرائيلية فى الضفة الغربية ضد القوات المصرية أثناء تواجد القوات الإسرائيلية فى الضفة الغربية .»

كان الضمان المطلوب والذى جرى الإلحاح عليه مكتوبا بالآلة الكاتبة على ورقة بيضاء . وقد ذيل بالحروف الأولى من اسم « كيسنجر » الكامل «.H.A.K» (« هنرى ألفريد كيسنجر ») ، ووقعه « هنرى كيسنجر » بالحرفين الأولين من اسمه المشهور « .H.K» (« هنرى كيسنجر ») .

ويظهر أن السيد « اسماعيل فهمى » أبدى ملاحظة على نوع الورق الذى كتب عليه الضمان ، ونوع التوقيع المختصر (الحروف الأولى التى ذيل بها) – وتفهم « كيسنجر » وساوس وزير الخارجية المصرى . وهكذا فإنه وعده بأنه سوف يسلمه نسخة جديدة من هذا الضمان مكتوبة على الأوراق الرسمية لوزارة الخارجية الأمريكية وبتوقيع كامل منه ، وليس فقط بالحروف الأولى وذلك عندما يجىء إلى القاهرة يوم ٦ نوفمبر .

وكانت تلك (سواء بالحروف الأولى أو بتوقيع كامل) وثيقة من أعجب وأغرب الوثائق سواء فى شكلها أو لغتها أو طريقة تقديمها . وفى كل الأحوال فإنها كانت أقل كثيرا من حجم الحقائق وحجم الموقف ، وحجم وقيمة وإنجاز الطرف الذى طلبها وألح عليها حتى قدمت إليه فى النهاية !!

---

(١٠) البرقية رقم ٨٣٧٤ من واشنطن ، وأصلها محفوظ فى وزارة الخارجية . كما توجد نسخ منها فى محفوظات رئاسة الجمهورية ووزارة الحربية .

(*) وفى ملحق صور الوثائق توجد صورة لأصل هذه البرقية ، وهى منشورة تحت رقم (١٢٧) ـ على صفحة ٨٦٩ من الكتاب .

(**) كما توجد فى ملحق صور الوثائق صورة لأصل هذا الضمان ، وهى منشورة تحت رقم (١٢٨) ـ على صفحة ٨٦٩ من الكتاب .

الفصل الخامس

كيسنجر فى القاهرة

١

راح « كيسنجر » يعد لرحلته الموعودة إلى الشرق الأوسط وهو يشعر بسعادة غامرة لم يكن قادرا على إخفائها عمن حوله ، ولا حاول حجبها فى كل ما كتبه من وثائق فى هذه الفترة . وكانت دواعى سعادته متعددة المصادر : ذاتية وموضوعية .

● **فمن الناحية الذاتية** كان الصبى اليهودى المنطوى على نفسه والخائف فى ألمانيا النازية - والذى هاجر إلى الولايات المتحدة وعمره تسع سنوات - على وشك أن يمسك فى يده ، وفى يده وحده ، بأزمة الشرق الأوسط التى رآها فى خياله امتدادا لما عاناه اليهود فى ألمانيا التى عاش صباه فيها . فقيام إسرائيل كان فى وجدانه مرتبطا بأساطير الجحيم (Holocaust) الذى نصبه « هتلر » لليهود . والآن ، فذلك الصبى المهاجر هو نفسه منقذ شعبه (اليهودى) وصانع السلام فى الأرض المقدسة !

ولقد كان دائما يرد نفسه فى الظاهر عن أزمة الشرق الأوسط باعتبار يهوديته . وكان يريد أن يسبق الآخرين برد نفسه قبل أن يقوموا هم برده . لكنه طول الوقت كان يتحرق إلى الاقتراب من المنطقة - والآن فإن أصحاب الأزمة أنفسهم هم الذين يتوسلون إليه ليجىء « مخلصا » وإلى درجة أنهم يقبلون منه قصاصة ورق باعتبارها ضمانة أمن .

● **ومن الناحية الموضوعية** ، فقد أحس أنه أمام فرصة هائلة يثبت فيها مرة أخرى قدرته كصانع معجزات . وإذا نجح فى حل أزمة الشرق الأوسط ، فإن نجاحه الجديد يمكن أن يكون ألمع وأسطع من كل ما سبق إليه فى حل أزمة فيتنام ، وفتح باب العلاقات مع الصين ، وبناء جسور

الوفاق مع الاتحاد السوفيتى . ذلك أن منطقة الشرق الأوسط بموقعها ومواردها وأراضيها المقدسة هى قلب العالم التاريخى والاستراتيجى . وهى أكبر الجوائز فى الصراع على النفوذ العالمى .

□

وقد بدت أحلام « كيسنجر » لصاحبها طموحه إلى درجة أورثته إحساسا زائدا بالأهمية الذاتية . وتبدى له فى بعض الأحيان أنه لا يستطيع أن يذهب إلى الشرق الأوسط بدون مخاطر شديدة تلاحقه هناك من مصادر متعددة . واتصل به والداه وطلبا إليه أن يضع سلامته الشخصية فى الاعتبار وهو ذاهب إلى « هناك » . وقد أشار إلى هذا الموضوع فعلا قبل أن يودع السيد « اسماعيل فهمى » . وقد أكد له « اسماعيل فهمى » أنه ليس هناك ما يخشى منه فى القاهرة ، وأنه يستطيع أن يمشى فى شوارعها على قدميه دون أن يضايقه أحد بكلمة ، فضلا عن أن يهدده بفعل ، بل العكس . وكان ذلك التأكيد هو ما دعاه إلى أن يطلب الإقامة فى فندق بدلا من أن ينزل - كما اقترح الرئيس « السادات » من قبل - فى قصر ضيافة . وكان الرئيس « السادات » قدا اختار له فعلا قصر « العروبة » .

وبدأ « كيسنجر » يقرأ عددا من التقارير تصور أن يتعرف من خلالها على المنطقة . والملاحظ - طبقا لروايته - أن تقريرين بالذات لفتا نظره واستحوذا على اهتمامه . وقد طلب وضعهما فى ملفاته التى حملها معه إلى الشرق الأوسط .

كان التقرير الأول بعنوان « **الشيخ والخيمة** » . وقد تحدث هذا التقرير عن عملية صنع القرار التقليدية فى العالم العربى ، وكيف أنها فى العادة فى يد شيخ القبيلة ، سواء كان هذا الشيخ يضع فوق رأسه « عقالا » أو « قبعة » عسكرية . فالقرار فى كل الأحوال تحت سلطة رجل واحد ، يسمع من خاصته حكايات تقترب - وتشرد - من موضوعات اهتمامه ، وترتد إلى حكايات الماضى البعيد والقريب ، وتعود إلى آمال المستقبل الهائمة والحالمة - كل هذا والشيخ يسمع ما يقال ويهز رأسه ، ثم ينطق فى النهاية بالحكمة المقطرة ، وتتحول هزات رأسه لتصبح لها قوة القانون . وكانت العبرة التى استخلصها « كيسنجر » من هذا التقرير أن القرار العربى فى يد رجل واحد لا يلتزم بشىء إلا بما يهز به رأسه فى النهاية . وإذن ، فإن عليه أن يركز على « الشيخ » الجالس فى وسط الخيمة ، ولا يضيع وقتا مع غيره .

وكان التقرير الثانى يحمل عنوان « **السوق** » . وقد تعرض لأسلوب التفاوض العربى ، وكيف أنه فى معظم الأحيان مزايدات ومناقصات غير مترابطة وغير متسقة تبدأ فى المطالبة بالمستحيل المستمد من عوالم الأمانى والأوهام ، ثم تروح « تفاصل وتساوم » بنفس أسلوب الصياح ، وهى تظهر الغضب أحيانا ، وأحيانا أخرى تظهر الحزن ، وتكرر القسم بعد القسم على حسن بضاعتها ، ثم تصل فى خاتمة المطاف إلى البيع بنصف الثمن الذى بدأت به ، وأحيانا بربعه .

وقد أضاف « كيسنجر » إلى هذين التقريرين عبارة التقطها من مقال لـ « محمد حسنين هيكل » جاء فيها « **أن الفارق بين الفكر الاستراتيجى الإسرائيلى والفكر الاستراتيجى العربى هو أن**

الإسرائيليين يلعبون الشطرنج ، فى حين أن العرب يلعبون الطاولة » . وقد أعجبه التعبير طبقا لروايته .

□

وقبل أن تقلع الطائرة بـ « هنرى كيسنجر » إلى الشرق الأوسط صباح ٥ نوفمبر ، كان قد استقر على الخطوط الاستراتيجية التالية : [١]

١ - بدلا من تضييع الوقت فى البحث عن خطوط وقف إطلاق النار فى ٢٢ أكتوبر ، فإن من الأفضل إقناع مصر بأن تتقدم مباشرة إلى خطوة بعيدة ، وهى اتفاق لفك الاشتباك بينها وبين إسرائيل .

٢ - بدلا من تسكين القوات (أى تثبيت مواقع القوات على الناحيتين وضمان التزامها بوقف إطلاق النار) من خلال محادثات تحت الرعاية المشتركة للاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة والأمم المتحدة ، فإن من الأفضل إبقاء الاتحاد السوفيتى بعيدا ، والإعداد لمؤتمر سلام فى جنيف فى شهر ديسمبر ، خصوصا وأن ذلك يؤدى إلى إرساء مبدأ المفاوضات المباشرة السياسية بين العرب وإسرائيل . لكن هذا المؤتمر يجب أن يظل مجرد مظهر just for show ولا ينبغى أن يسمح له بالتدخل فى دوره الخاص (دور « كيسنجر ») كصانع للسلام .

٣ - أنه ينبغى إرساء مبدأ أن الولايات المتحدة وحدها - وليس الاتحاد السوفيتى المشاكس ، ولا أوروبا الغربية (التى لا تملك عمودا فقريا spineless حسب تعبير « كيسنجر ») - هى التى تمسك بمفاتيح السلام . ورتب « كيسنجر » على ذلك « إن استراتيجيتنا يجب أن تقوم على أنه عندما يضغط الاتحاد السوفيتى أو الانجليز أو الفرنسيون ، فإننا نحن يجب أن نعطل حتى يعرف الجميع أننا وحدنا نملك القدرة على التنفيذ » . هكذا شرح « كيسنجر » بنفسه أسلوبه أثناء غداء مع وزير الدفاع « شليزنجر » وعدد من كبار مساعديه . وقد أضاف إلى ذلك قوله « إن العرب جميعا يهرولون إلينا » .

٤ - أنه بدلا من البحث عن تسوية شاملة لكل جوانب الصراع العربى الإسرائيلى ، فلا بد من اعتماد سياسة جديدة تقوم على أساس « الخطوة خطوة » بحيث تجرى المفاوضات كل مرة لتحقيق هدف محدود يتم الوصول إليه بقيادة أمريكية ، حتى يتعود العرب خطوة بعد خطوة على توجيه أمريكى لمسار الأزمة وإدارتها . ثم إن تحقيق هذا الهدف المحدود يجب أن يتم مع كل دولة عربية على حدة ، أى عن طريق مفاوضات ثنائية مع مصر ، ثم مع سوريا ، وربما مع الأردن ، على أن تؤجل جميع القضايا الحساسة إلى آخر المراحل ، ومنها مشكلة

---

(١) دراسة « والتر ايزاكسون » الهامة بعنوان « كيسنجر : قصة حياة » . وقد صدرت فى كتاب سنة ١٩٩٢ عن دار « سيمون وشوستر » بنيويورك - صفحة ٥٣٨ .

الفلسطينيين ، ومسألة حدود إسرائيل النهائية ، ومستقبل القدس - وبهذا تساعد حلول القضايا الأولية على خلق الجو المناسب للبت فى المسائل الحساسة على نحو أو آخر .

٥ - أن الولايات المتحدة (و« كيسنجر » بالذات) هى التى تقوم بالتفاوض بدون مشاركة من الاتحاد السوفيتى ، وبما يؤدى إلى تقليص الوجود والنفوذ السوفيتى فى المنطقة ، وحصره وطرده فى خاتمة المطاف من المنطقة كلها .

□

وركب « هنرى كيسنجر » طائرته من واشنطن ، وعبر المحيط متوقفا فى الرباط أولا لمقابلة تمهيدية مع الملك « الحسن » الذى كان قد التقاه من قبل عدة مرات ، وأنشأ علاقات وثيقة معه من موقعه كمستشار للأمن القومى لرئيس الولايات المتحدة .

وأثناء لقاء « كيسنجر » بالملك ، طلب إليه « بتواضع شديد » أن يعطيه درسا فى مادتين :

- كيف يستطيع أن يزيل شكوك العرب فى كونه يهوديا ، ومع ذلك فهو الآن مسئول عن حل صراعهم مع إسرائيل ؟ - وكيف يقنعهم بحسن نواياه ؟ - وكيف يتفاوض معهم بدون عقد ؟
- ثم - كيف يتعامل مع الرئيس « أنور السادات » وهو أول من يتفاوض معه من الزعماء العرب ، فضلا عن أنه رئيس أكبر دولة عربية ، كما أنه الطرف الأكبر فى الحرب التى لا تزال دائرة بين العرب وإسرائيل ؟ وقال « كيسنجر » إن رأيا سابقا له فى الرئيس « السادات » كان يجنح إلى التهوين من شأنه . وهو يعلم أن وصفه الشهير لـ « السادات » كـ « بهلوان سياسى » قد نقل بالفعل إلى الرئيس المصرى .

وتلقى « كيسنجر » درسه الأول المباشر فى السياسة العربية . وبعده طلب من الملك « الحسن » أن يتصل بالرئيس « السادات » بسرعة وقبل لقائه معه « يوصيه خيرا بزائره « اليهودى » ! »



فى الوقت الذى كان فيه « كيسنجر » يعد نفسه للقائه المنتظر مع الرئيس « السادات » - فإن الرئيس « السادات » كان بدوره يحاول أن يعد نفسه للقائه مع « كيسنجر » .

ويوم ٤ نوفمبر مساء دعا الرئيس « السادات » « محمد حسنين هيكل » إلى لقائه . وكان موضوع المناقشة المتفق عليه من قبل هو الإعداد لزيارة « هنرى كيسنجر » .[٢]

كان لدى الرئيس « السادات » شاغلان بالتحديد :

١ - « من الذى يجلس معه على المائدة للتفاوض مع « كيسنجر » ؟ »

٢ - « ما هو الأسلوب الأمثل للتفاوض مع « كيسنجر » ؟ »

□

كان الرد بالنسبة للتساؤل الأول هو أنه « على أية حال لا ينبغى أن يكون الرئيس السادات بشخصه هو المفاوض الرئيسى مع وزير الخارجية الأمريكية » . وقد دهش الرئيس « السادات » من هذا الرأى ، وأبدى شكا فى صوابه . وكان التفسير الذى قدم له هو :

« إن كيسنجر يعرف مسبقا أن لديك سلطات واسعة . وسوف يركز قصارى جهده فى الضغط عليك لتقديم تنازلات دون أن تملك فرصة للرد عليه بطلب فسحة للتفكير فيما يعرضه ، أو بالرجوع فيه إلى سلطة أعلى كما يمكن أن يحدث مع أى مفاوض آخر .»

وكان تعليق الرئيس « السادات » على ذلك هو أن « كيسنجر » يتفاوض مع الرؤساء من أمثال « بريجنيف » و « ماو تسى تونج » مثلا . « وأن يجىء إلى مصر ولا أتفاوض معه مباشرة ، فمعنى ذلك أننى تعمدت التقليل من قيمته » .

وكان الرد أنه فى هذه الحالات التى ذكرها الرئيس « السادات » وفى غيرها - فإن مفاوضات « كيسنجر » مع هؤلاء الرؤساء جاءت نتيجة لجهد تفاوضى طويل بين الخبراء جرى فيه « طحن القضايا » بحيث لم يتبق منها إلا نقاط فرعية يمكن تسويتها عن طريق اجتماعات مباشرة على القمة . وأما فى « حالتنا » ، فهذا أول لقاء جدى وحقيقى يجرى فيه التفاوض بين مصر والولايات المتحدة ، وفى أعقاب قتال يمكن أن يتجدد فى أى لحظة . ومع ذلك ، فإنه مراعاة لحساسية « كيسنجر » يمكن ترتيب الأمور بحيث يكون الرئيس « السادات » هو رئيس الوفد المصرى المفاوض . ثم يكون الأفضل بعد ذلك أن يقتصر حضوره على جلسة افتتاحية للإعلام وللرأى العام ولكبرياء « كيسنجر » . ثم تعقد جلسة عمل أو جلستين بدون حضور رئيس الوفد ، فينوب عنه من يختار ، وبحيث تكون هناك فرصة لسماع « كيسنجر » وبحث اقتراحاته على مهل . وعندما تستقر الخطوط وتتضح ، يحضر الرئيس « السادات » بنفسه الجلسة الختامية للمحادثات .

وكان الاقتراح المحدد بعدها هو أن الرئيس « السادات » يستطيع أن يختار :

---

(٢) كان الرئيس « السادات » قد ناقش هذا الموضوع مع آخرين ، بينهم السيد « حافظ اسماعيل » مستشار الرئيس للأمن القومى ، والسيد « اسماعيل فهمى » وزير الخارجية .

● إما وفدا موسعا يضم تحت رئاسته كلا من الدكتور « محمود فوزى » والسيد « حافظ اسماعيل » والسيد « اسماعيل فهمى » - وعددا من المستشارين والخبراء .

● وإما وفدا مضيقا يكتفى فيه بواحد من هؤلاء الثلاثة يقع عليه اختيار الرئيس - ومعه عدد من المستشارين والخبراء .

وفى كلتا الحالتين ، فإن حضور الرئيس « السادات » يكون مقصورا على الجلسة الافتتاحية والجلسة الختامية ، ثم يترك بحث الموضوعات وتفاصيلها إلى هؤلاء جميعا ، أو إلى واحد بالذات منهم ، بحيث يعطى الرئيس نفسه الفرصة للمتابعة والمراجعة ووزن الأمور ، خصوصا وأن المرحلة بالغة الدقة والحساسية .

ولم يقتنع الرئيس « السادات » بهذا المنطق . وكان رده عليه بعد مناقشة طويلة هو إصراره على أن يقوم هو بنفسه بالتفاوض مع « كيسنجر » ، وأنه أكثر من ذلك سوف يقابله tête à tête (أى مباشرة ووحدهما ، وقد قال التعبير هكذا باللغة الفرنسية) .(٣)

□

وقد راح الرئيس « السادات » يتحدث بطريقة مرسلة بانت من خلالها بعض خواطره فى تلك الساعات الحاسمة .

قال أولا :

« إنه لا بد لنا من الوصول إلى حل مع كيسنجر ، فهو الرجل الوحيد الذى يملك أن يقول لهذه « الولية » (يقصد « جولدا مائير ») أن تخرج من أرضنا ولا يكون أمامها إلا أن تطيع .»

وكان الرد عليه هو أن ذلك تصور يجنح إلى كثير من المبالغة . وفى الحقيقة فإنه تصور تعترضه مجموعة من التساؤلات :

● هل « كيسنجر » يريد أن يأمر « جولدا مائير » بالخروج من أرضنا فتطيع ؟

● هل « كيسنجر » يستطيع ؟ على فرض أنه يريد ؟ بل وهل تستطيع « جولدا مائير » وهى مضطرة إلى العودة فى أى قرار تتخذه إلى مجلس وزراء ، وإلى برلمان ، وإلى حزب ، وإلى رأى عام ، وقبل هذا كله وبعده إلى مؤسسة عسكرية ؟

---

(٣) تضايق الرئيس السادات بعد ذلك حينما كتبت مقالا تحت عنوان « أسلوب التفاوض الإسرائيلى » نشر فى الأهرام يوم ١٨ يناير ١٩٧٤ ، قلت فيه بالحرف : « من القواعد العلمية للتفاوض أن لا يتعرض للتفاصيل - وليس القرار النهائى - شخص يملك سلطة واسعة . ذلك لأن هذا الشخص سوف يكون دائما مطالبا بتنازلات يعرف الذين يفاوضونه أن أمرها على الأرجح فى يده ، ومن ثم فإن الإلحاح عليه يكون مركزا ومكثفا . ويرتبط بذلك أن تكون هناك مساحة محددة للحركة أمام مفاوض ولا يكون فى سلطته أن يخرج عنها ، ولا يعيبه فى هذه الحالة أن يقول « إن القرار فى هذه النقطة يتجاوز صلاحياتى ، ولا بد لى أن أعود به إلى سلطة أعلى أتلقى توجيهها .»

ثم زاد الرد على ذلك بأن مثل هذا التصور لا يمكن أن يكون صحيحا ، لأن أى واحدة من القوتين الأعظم لا تملك بالقطع حقا مطلقا على أى طرف إقليمى تتعامل معه . والدليل على ذلك تجربة الرئيس « السادات » نفسه مع الاتحاد السوفيتى . ففى ذروة تواجد الاتحاد السوفيتى فى مصر ، ملك الرئيس « السادات » لنفسه من حرية المناورة ، وبالتالى من حرية القرار ، ما جعله يطلب من الخبراء السوفيت أن يرحلوا من مصر ، وكان له ما أراد . ومعنى ذلك أن أى طرف محلى أو إقليمى يملك إزاء القوة الأعظم التى يتعامل معها مجالا واسعا للمناورة يعطيه الفرصة أن يقول « لا » أو « نعم » على ضوء ما يجده ضروريا من رؤاه الوطنية والأمنية . والشاهد أن حرية إسرائيل تجاه الولايات المتحدة - مع وجود قوى الضغط الصهيونى ، ومع وجود أنصار لإسرائيل فى الكونجرس وفى الإعلام الأمريكى - هى أكبر من حرية مصر إزاء الاتحاد السوفيتى . ومع ذلك ، فإن مصر فى لحظة من اللحظات ، وبلسانه هو شخصيا ، وقفت للاتحاد السوفيتى وقالت له « لا » ، وكانت كلمتها هى النافذة .

وكان الرئيس « السادات » يواصل الاسترسال فى حديثه قائلا « إنه من المغامرة مسايرة القائلين بأنه فى الإمكان العودة إلى استئناف القتال . ومثل ذلك إذا حدث قفز للمجهول ، وقد أجد نفسى بعده فى وضع المضطر ، فإما أن أضطر للتعامل مع إسرائيل مباشرة ، وهذا لا أقبله - وإما أن أجد نفسى مضطرا للعودة إلى الاعتماد على الاتحاد السوفيتى مرة ثانية ، وهذا ما لا أريده بأى حال من الأحوال - وإما أن أجد نفسى مضطرا للتعامل مع الأمريكان ، وها هم أمامى الآن . فلماذا أضيع الفرصة وأدخل فيما لا أول له ولا آخر . »

وكان الرد عليه « أنه محق فى تجنب المجهول ، لكن واقع الأمر يفرض علينا أن نعرف أن فى أيدينا أوراقا مؤثرة ، ومن المفيد جدا أن تكون هذه الأوراق ظاهرة أمامنا ، وأن نكون على استعداد لحسابها فى معادلة وموازين التفاوض مع « كيسنجر » . » وجرى عد بعض هذه الأوراق من باب التذكير والتأكيد حتى تكون فى فكر الرئيس « السادات » قبل أن يتفاوض مع « كيسنجر » - وكانت على النحو التالى :

١ - أن الجبهة العسكرية المصرية اليوم ، وبعد التعزيزات التى تلقتها فى أعقاب وقف إطلاق النار أصبحت فى حالة تماسك وتوازن لم تكن متوافرة لها عند وقف إطلاق النار يوم ٢٢ أكتوبر .

٢ - أن الخطوط الإسرائيلية طالت من « سعسع » قرب دمشق إلى « السخنة » جنوب السويس . وهى مسافة تزيد على أكثر من ٥٠٠ كيلو متر . وهو خط لا تستطيع القوات الإسرائيلية أن تحافظ عليه ، أو تدافع عنه ، أو تقاتل مرتكزة إليه ، لأنه هش بلا عمق . وهذا وضع خطر بالنسبة لإسرائيل ، لكنه بالنسبة للطرف المقابل - ميزة تفاوضية كبيرة .

٣ - أن الاقتصاد الإسرائيلى كله معطل مع استمرار حالة التعبئة العامة . وإسرائيل متلهفة أكثر منا للوصول إلى أى حل يسمح لها بفك التعبئة العامة وإعادة رجالها إلى المزارع والمصانع . ومن الأفضل أن تجرى أى مفاوضات من أى نوع فى ظل ضغط حالة التعبئة العامة .

٤ – أن الخلافات الداخلية فى إسرائيل متفجرة بين العسكريين والمدنيين ، وبين المدنيين وبعضهم والعسكريين وبعضهم ، وبين هؤلاء جميعا وبين الرأى العام الإسرائيلى . وكل هذا فى جو انتخابات عامة تفتحت فيها الجراح وتطايرت التهم . بينما صدمة الأيام العشر الأولى من القتال قد تحولت إلى كابوس على صدر المجتمع الإسرائيلى . وهكذا فإن الحكم فى إسرائيل متلهف أكثر منا إلى « نوع من الاتفاق » قبل الانتخابات .

٥ – أن العالم العربى بأسره واقف وراء مصر وسوريا . وليس هناك طرف فيه يملك أن يماطل أو يؤجل فى طلب تتقدم به الجيوش المحاربة . ومن ثم فهى فرصة لا تعوض للحركة السياسية من موضع قوة .

٦ – أن سلاح البترول ، وبصرف النظر عن أسباب للقصور فى تطبيقه ، أعطى نتائج تتخطى ما كان مقدرا بل وما كان متصورا ، وهذه النتائج – اقتصادية وسياسية ومعنوية – تمنح الموقف العربى هيبة واحتراما وكلمة مسموعة ومؤثرة ، سواء على الولايات المتحدة ، أو على أوروبا الغربية واليابان .

٧ – أن الاتحاد السوفيتى متنبه لحجم ما تحقق له فى العالم العربى ، خصوصا بعد احتمالات المواجهة النووية بينه وبين الولايات المتحدة . وقد أصبح الآن مرهفا أكثر تجاه أية طلبات نتقدم بها . ومن الواضح أن هناك معسكرا قويا فى الاتحاد السوفيتى على استعداد لأن يمارس كل نفوذه لمواجهة أى تردد من جانب معسكر (سوفيتى) آخر يبدو حرصه على الوفاق متهالكا . ولأن الموازين حساسة بين المعسكرين فى الكرملين ، فإن الولايات المتحدة لا بد لها أن تتصرف بحرص وحذر .

٨ – أن هناك موضوع الأسرى الإسرائيليين ، وهو موضوع لا تكف « جولدا مائير » (ولا « كيسنجر » استجابة لها) عن الإلحاح عليه إلى درجة التسول أحيانا . وهناك ٣٦ طيارا ضمن هؤلاء الأسرى فى حوزة مصر . وهذه ورقة قوية ربما تكفى وحدها للمساومة على المشاكل التى تحيط بالجيش الثالث .

٩ – أن هناك أيضا ورقة حصار باب المندب ، وهى وحدها أيضا كافية للمساومة على مشاكل الجيش الثالث . وهذه المشاكل هى العامل الضاغط على أعصاب الرئيس « السادات » وسبب ضيقه .

١٠ – أن هناك كذلك ورقة الشرعية الدولية المؤيدة لقرار الرجوع إلى خطوط ٢٢ أكتوبر . وهذه الشرعية ليست مسألة عائمة ، وإنما هى تجسد أيضا ما هو متوافر من إرادة أوروبا الغربية التى تريد أن تشارك بشكل ما فى جهود حل الأزمة .

١١ – هناك إضافة إلى هذا كله ورقة فتح قناة السويس ، وهى مسألة تهم التجارة الدولية كلها ، خصوصا بين الغرب والشرق .

١٢ – وأخيرا ، فإن هناك ورقة إعادة العلاقات الدبلوماسية مع الولايات المتحدة . وهى ميزة للولايات المتحدة تستطيع مصر تقديمها بعد أن تتشاور مع دول عربية أخرى قطعت علاقاتها بواشنطن تضامنا مع القاهرة فى ظروف سنة ١٩٦٧ .

وكان الرئيس « السادات » يتكلم ويسمع ، وكان واضحا أن خياراته قد تشكلت فعلا .

□

وفيما يتعلق بالأسلوب الأمثل للتفاوض مع « كيسنجر » ، فإن « محمد حسنين هيكل » قدم للرئيس « السادات » تقريرا كتبه المستشار « أسامة الباز » تحت عنوان « كيف يفكر كيسنجر ويتحرك دبلوماسيا » ، وقد وجده « هيكل » من أفضل التقارير عن هذا الموضوع . وكان نص التقرير كما يلى :(*)

« كيف يفكر كيسنجر ويتحرك دبلوماسيا

من خلال قراءة معظم كتابات كيسنجر وحضور كثير من المحاضرات التى كان يلقيها فى جامعة هارفارد عندما كان أستاذا بها ، يمكن أن أجمل منهجه وأسلوبه فيما يلى :

□ أولا : يهتم كيسنجر اهتماما كبيرا بالدور الذى تلعبه القوة فى صنع السياسة الخارجية ، ومن هنا جاء تركيزه على العلاقات بين القوى الأعظم كأهم مكونات الواقع السياسى الدولى المعاصر .

□ ثانيا : يعتبر كيسنجر من الأساتذة الأمريكيين الذين يقرون المدرسة التقليدية فى أن هناك « سياسة خارجية » ، على عكس أساتذة آخرين يرون أن هناك « قرارات متعلقة بالشئون الخارجية » وليس « سياسة » .

□ ثالثا : ورغم أن أساسه النظرى قوى ومتأثر كثيرا بالخلفية الألمانية له ، إلا أنه اكتسب من المجتمع الأمريكى الاهتمام بالحلول العملية ، وليس بالتصورات النظرية المجردة .

□ رابعا : يرى كيسنجر أن الدول فى علاقاتها الخارجية ، شأنها فى ذلك شأن الأفراد فى معاملاتهم – تسير على مبدأ الأخذ والعطاء ، فلا بد أن يكون هناك مقابل لكل شىء يعطى أو يؤخذ ، وهو ما يعبر عنه بالاصطلاح اللاتينى quid pro quo ، ولا يفهم أن يعطى أحد شيئا دون مقابل .

□ خامسا : ولكى يكون الأطراف قادرين على الأخذ والعطاء ، فيجب أن يكون لدى كل منهم : عصا وجزرة طوال الوقت stick and carrot ، فيستخدم الشدة (العصا) إذا وجد أنها ستؤدى بالخصم إلى الوقوف موقفا مقبولا ، كما أنه يضع الجزرة أمامه دائما للترغيب .

□ سادسا : وهو – كمعظم المفكرين السياسيين فى الولايات المتحدة – يؤمن بأن من أفضل السبل لحل المنازعات أن تفتت إلى جزئيات صغيرة يسهل التعامل معها واحدة تلو الأخرى ، وهى عملية يطلقون عليها اصطلاح fractionating international disputes .

(*) فى ملحق صور الوثائق توجد صورة لأصل هذا التقرير بخط المستشار « أسامة الباز » ، وهى منشورة تحت رقم (١٢٩) . على صفحة ٨٧٠ من الكتاب .

وهناك افتراض قوى بأن هذا التفتيت للمشاكل سيسهل التعامل معها عمليا ، كما أنه يقلل من حدة الخلاف ، لأن درجة عدم الاتفاق توزع على جزئيات عديدة فتتوزع حدة الاختلاف وتتشتت ، فيمكن أن يرى النزاع العربى الإسرائيلى فى مرحلته الحالية على أنه مركب من نقاط فرعية كثيرة يجب أن تطرح كلها للبحث والمناقشة ، ومن خلال هذا الطرح تكتمل الصورة الكلية ، وذلك بدلا من البدء بالتصور الشامل والاطلال منه على النقاط الفرعية . وعيب منهج كيسنجر فى هذا الشأن أن المرء – كما يقول المثل الأمريكى – قد يصبح قادرا على النظر إلى الأشجار شجرة شجرة دون أن يرى الغابة ككل .

□ سابعا : ومن أوجه خطورة منهجه أنه يستخدمه بذكاء كبير للتخفيف من حدة المشاكل عن طريق تمييعها على النحو التالى :

بعد أن يفتت المشكلة إلى عدة نقاط أو مشاكل صغيرة ، يفصل بينها فصلا تحليليا analytical separation ، وحيث أن معظم المشاكل تتعلق بأكثر من طرفين ، فإنه يذهب إلى كل طرف على حدة ويتحدث معه فى عدد من النقاط الفرعية وليس فيها كلها . وهو يجرى هذا عمدا بدعوى تفتيح المسائل ، أو التفكير فيها بصوت مرتفع وتبادل وجهات النظر ، ثم يلعب لعبته بأن يرتبط مع هذا الطرف حول بعض النقاط ، ولا يمانع فى أن يكون هذا الارتباط مكتوبا أو مضمونا بأى ضمان ، ثم يذهب للطرف الثانى ويثير نقاطا فرعية فيها ما بحثه مع الطرف الأول ، وفيها ما لم يبحثه مع الطرف الأول ، ثم يرتبط معه حول نقاط غير تلك التى ارتبط فيها مع الأول بحيث لا يكون هناك تناقض صريح بين الارتباطين أو الالتزامين commitments ، غير أن الوضع فى معظم الحالات ينتهى إلى أن تكون الارتباطات الثانية ذات أثر بالغ على الارتباطات الأولى رغم أنه لا يوجد تعارض ظاهرى بينهما .

وإذا نحن طبقنا هذا على قضيتنا ، فإننا نجد أن من الجائز أن كيسنجر قد طبق هذا الأسلوب مع : الاتحاد السوفيتى ومصر وإسرائيل ، بحيث فتح مع طرف عديدا من النقاط ثم أبرم ارتباطا أو قطع على حكومته عهدا فى نقاط معينة ، ثم انتقل إلى الطرف الثانى وأثار عددا من النقاط (قد يكون هناك تداخل بين النقاط ولكنها ليست هى هى بالضرورة) وعقد ارتباطا فى نقاط أخرى غير تلك التى شملها الارتباط الأول ، وفعل نفس الشىء مع الطرف الثالث ، وتكون النتيجة أنه ارتبط مع الاتحاد السوفيتى حول وقف القتال وحث الأطراف على التفاوض الجدى لتنفيذ قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ ، ثم ارتبط معنا حول السعى لإعادة إسرائيل إلى خطوط ٢٢ أكتوبر والضغط عليها لعدم خرق اتفاق وقف إطلاق النار ، ثم ارتبط مع إسرائيل حول موضوعى أسرى الحرب والمفاوضات المباشرة .

□ ثامنا : كمعظم خبراء السياسة الغربيين – وبخاصة الأمريكيين – يعتقد كيسنجر أنه لا يكفى أن يكون موقف أحد الأطراف معقولا reasonable حتى يحظى هذا الموقف بدعم الولايات المتحدة ، بل يجب أن يكون أى موقف قابلا للأخذ والرد والتزحزح ، أى يكون قابلا للتفاوض negotiable ، بمعنى أن الطرف فى نزاع معين يجب ألا يبدأ بإعلان حده الأدنى أو ما يعتبره ضروريا must ، بل يفترض أن كل طرف يعلن حده الأقصى maximum حتى لو قال غير هذا وتظاهر بأنه بذل كل ما فى وسعه لكى يكون معقولا ومتعاونا ، ونتيجة ذلك أن أى طرف يجب أن يقبل النزول عن هذا الحد الذى أعلنه فى البداية .

☐ اقتراحات

على ضوء هذا العرض الموجز ، أقدم بعض الاقتراحات للتعامل معه أثناء زيارته :

١ - يكون مفيدا إذا شعر أن يهوديته (هو عادة يشير إليها بأن « أصله « يهودى) لا تؤثر أبدا فى معاملتنا له بود صادق ، وأننا نقبله - كشخص - قبولا تاما لا تحفظ فيه .

٢ - ويكون مفيدا أيضا أن نعرف بدقة النقاط التى ارتبط فيها باسم بلاده مع الاتحاد السوفيتى ونتابعها معه ، ثم نحاول أن نعرف استعداده للارتباط معنا فى المسائل التى تهمنا :

هل هو على استعداد للارتباط فيما يتعلق بإجبار إسرائيل على الارتداد إلى خطوط ٢٢ أكتوبر (الارتباط المطلوب هو ارتباط من حيث المبدأ ، وإذا ثار خلاف حول تحديد الخطوط فيمكن أن يعالج بطرق عملية شتى ، أو حتى يحل حلا وسطا أو توفيقيا compromise) ؟

ما هو الجزاء الذى تتعهد أمريكا بتوقيعه على إسرائيل إذا لم تفعل ذلك ؟

هل يضمنون عدم خرق إسرائيل لوقف إطلاق النار على نطاق واسع ؟

وما هو الجزاء الذى تتعهد أمريكا بتوقيعه عليها إذا انتهكته ؟

هل ترى أمريكا أن الانسحاب من سيناء يجب أن يكون كاملا شاملا أم لا ؟

وما هى بالضبط محصلة محادثاته مع جولدا مائير ؟

هل الحكومة الأمريكية مستعدة لوقف إمداد إسرائيل بالسلاح إذا وقفت موقفا متشددا intransigent ؟

٣ - من المستحسن ألا نبدأ معه من منطلق المواقف التى قبلناها حتى الآن ، وإنما نبدأ بمواقف أكثر شدة ، لأن ما قبلناه فى الماضى كان معلقا على شرط واقف هو استجابة إسرائيل والتقائها معنا فى منتصف الطريق ، لأننا إذا بدأنا من حيث انتهينا حتى الآن ، فسوف يتوقع منا أن ننزل إلى حد أدنى ... وهكذا .

٤ - كما أنه يجب أن يشعر أننا نمسك بالعصا فى يد والجزرة فى يد أخرى ، وذلك لكل من إسرائيل والولايات المتحدة ، وعصانا بالنسبة للولايات المتحدة هى الصخرة العربية الصلبة وإيذاء المصالح الأمريكية ، أما الجزرة فهى القدرة على تغيير الموقف العربى من أمريكا ، والتعاون مع الولايات المتحدة فى حذف الشرق الأوسط من قائمة المشاكل التى تسبب قلقا لأمريكا وللأمريكيين ، وبخاصة رئيسها الذى لا نريد أن نثقل كاهله فى هذا المنعطف .

٥ - ويكون مفيدا أن يستشعر دفء العلاقات بين القاهرة وموسكو ، وأن يحس بأننا نستطيع ممارسة قدر كبير من الضغط على الاتحاد السوفيتى .

٦ - وإذا أمكن ، يستحسن أن يطلب إليه التركيز على نقاط معينة والوصول فيها إلى قرار أو تفاهم صريح ، بدلا من التحدث حول كل النقاط وتفتيحها وعدم الوصول إلى شىء محدد فى أى منها ، لأن المرحلة الحالية اجتازت هذا الأسلوب ولم تعد ملائمة لهذا .»

وقد مر الرئيس « السادات » بعينيه على سطور هذا التقرير ، ولم يعلق عليه .[٤] وأحس

---

(٤) قدمت إلى الرئيس « السادات » تقرير المستشار « أسامة الباز » بخط يده ، ولم أشأ أن أطلب نقلها على الآلة الكاتبة لأن خط كاتبها كان مقروءا ، وقد اشتهر بوضوحه وبتجويده .

« هيكل » أن الرئيس « السادات » قرر لنفسه أسلوبا فى التفاوض مع « كيسنجر » بنفسه ، ثم إنه لا يريد أن يناقشه مع أحد .

وصباح اليوم التالى ، توجه « هيكل » إلى لقاء مع الدكتور « محمود فوزى » يشاوره فى الأمر ، ويرجوه أن يتحدث مع الرئيس « السادات » فى مفاوضاته مع « كيسنجر » . وكان الدكتور « فوزى » مصرا على الموقف الذى التزمه منذ فترة ، وهو أن يبتعد قدر ما هو ممكن عن المسرح . ودار حوار طويل بين الاثنين ، وعاد « هيكل » إلى مكتبه ، وبعدها تلقى من المستشار « أسامة الباز » مذكرة كان نصها كما يلى :(*)

« بعد التحية :

هذه صورة من المذكرة التى أعددتها أمس الأول عن : الخط الإعلامى المقترح فى هذه الفترة ، وأعتقد أن فيها بعض النقاط الهامة التى تستحق انتباهكم .

وإذا كان فى النية أن يتكلم السيد الرئيس للشعب(٥) اليوم أو غدا ، فأرجو أن نراعى ما يلى :

أ - أن الشعور الشعبى العام هذه الأيام يتميز بالاكتئاب والمرارة

ب - أن هناك شعورا بأن بياناتنا الأخيرة لم تكن صادقة

جـ - أن هناك شعورا كذلك بأننا قد « استغفلنا » بقبول وقف إطلاق النار

د - أن المطلوب الآن هو إعطاء الناس مزيدا من الثقة ، ومزيدا من الطمأنينة والثبات النفسى

وقد بلغنى من مكتب الدكتور فوزى أنك كنت هناك بالأمس (قبل حضورى إلى مكتبكم) وقد غادرت مكتبه وعليك دلائل الوجوم والاكتئاب ، فإن صح ذلك فإنه يكون غريبا ، وقد قلت لهم إن هذا غير معقول وأننى قد رأيتك بعد ذلك وكنت كعادتك concerned but optimistic (معنى بالأمر ولكن متفائل) . »

٣

ووصل « كيسنجر » أخيرا إلى القاهرة . وكان وصوله إليها عند منتصف ليل يوم ٦ نوفمبر . وأحس بحرارة الاستقبال من اللحظة الأولى . وقد استطاع تحفيظ نفسه جملة باللغة العربية قالها لممثلى الإعلام المصرى فور نزوله ، فقد قال لهم « اللى فات مات » . وقد قصد بذلك التعبير عن رغبته فى بداية صفحة جديدة .

(*) فى ملحق صور الوثائق توجد نسخة من أصل هذه المذكرة بخط المستشار « أسامة الباز » ، وهى منشورة تحت رقم (١٣٠) - على صفحة ٨٧١ من الكتاب .

(٥) كان من المحتمل أن يتحدث الرئيس فى خطاب من الإذاعة والتليفزيون لمواجهة حالة القلق العام ، وذلك بعد اجتماعه مع « كيسنجر » وعقب إعلان أى نتائج .

وتوجه « كيسنجر » ومعه السيد « اسماعيل فهمى » إلى فندق هيلتون فى القاهرة ، ونزل فى الجناح الرئاسى الأيسر فى الدور الثانى عشر . وعقد على الفور اجتماعا مع فريق المقدمة الذى سبقه إلى القاهرة ، شارك فيه السفير « هيرمان آيلتس » الذى جاء قبله بأيام ليستطلع الأجواء ويكون مسئولا عن مكتب رعاية المصالح فى القاهرة .

وقد سأل « كيسنجر » عن المواعيد المرتبة له فى القاهرة . وأبلغ أن اجتماعه الأول مع الرئيس « السادات » سوف يكون فى الساعة العاشرة من صباح غد فى قصر الطاهرة . وطلب « كيسنجر » ترتيب اجتماعات له مع كل من السيد « اسماعيل فهمى » وزير الخارجية ، والسيد « حافظ اسماعيل » مستشار الرئيس للأمن القومى ، و « محمد حسنين هيكل » .

وراجع « كيسنجر » بعد ذلك عددا من البرقيات التى كانت فى انتظاره فى القاهرة . والغريب أنه كانت من بينها برقية من السفارة الأمريكية فى تل أبيب عن مقابلة بين السفير « كينيث كيتنج » وبين زعيم المعارضة فى الكنيست الإسرائيلى ، وهو وقتها « مناحم بيجين » . وقد طلب « بيجين » فى هذه المقابلة إلى السفير الأمريكى فى إسرائيل أن ينبه « هنرى كيسنجر » إلى أن يأخذ حذره من الرئيس « السادات » لأنه - على حد تعبيره - « فلاح مصرى خبيث يتظاهر بالموت لكى يفلت من العقاب ثم ما يلبث أن يقوم واقفا ويجرى ، وهو يحمل كل الخصائص الموروثة من التجربة المريرة للفلاح المصرى » .

ولم يكن « كيسنجر » فى حاجة إلى هذه النصيحة . فقد كان يحس لأسباب متعددة لديه أن المسرح فى القاهرة مهيأ لظهوره عليه ، وقد سجل هو فيما بعد إحساسه على النحو التالى :

١ - إن إلحاح الرئيس « السادات » على طلب ضمان مكتوب من الولايات المتحدة « بالتعهد بعدم قيام إسرائيل بأى هجوم على القوات المصرية فى الغرب » - يظهر أن الرئيس « السادات » ليس مطمئنا إلى موقفه العسكرى .

٢ - إنه من كل الشواهد أمامه ، فإن العلاقات بين الرئيس « السادات » والاتحاد السوفيتى ليست طيبة ، بل على العكس فإن الشكوك بين الجانبين زائدة إلى حد ظاهر ومكشوف .

٣ - إن الرئيس « السادات » يشعر بضغوط من شركائه العرب ، وفى مقدمتهم الرئيس « الأسد » والعقيد « القذافى » و « ياسر عرفات » . وهم جميعا فى مزاج يسمح بأن يدركوا أن مجرد استقبال « كيسنجر » فى القاهرة فى هذه الظروف هو تحد سافر لهم - وتلك حالة تجعل الرئيس « السادات » متلهفا على نجاح زيارة وزير الخارجية الأمريكى مهما كان الثمن !

☐

واتصل السيد « اسماعيل فهمى » بالرئيس « السادات » يبلغه بانطباعاته عن لقائه الأول فى القاهرة مع « هنرى كيسنجر » . وكان تقدير وزير الخارجية أن « كيسنجر » وضع لنفسه فى القاهرة ثلاث مهام :

- التسكين - بمعنى تأكيد قرار وقف إطلاق النار - كمقدمة ضرورية لأى تقدم بعد ذلك .
- ضرورة إيجاد حل لمشكلة تحديد مواقع ٢٢ أكتوبر - طبقا لقرار مجلس الأمن ٣٣٨ .
- العمل بكل الوسائل على بناء قاعدة للثقة بين مصر والولايات المتحدة مع فجر مرحلة جديدة تماما فى العلاقات بين واشنطن والقاهرة .

وكان الرئيس « السادات » أشد ما يكون تشوقا إلى اجتماع الغد .

الفصل السادس

الساحر والسحر

١

صباح يوم ٧ نوفمبر استيقظ « هنرى كيسنجر » مبكرا ، ودعا عددا من مستشاريه إلى فنجان قهوة فى الساعة السابعة صباحا . وقد انضم إلى المجتمعين المستر « يوجين ترون » الذى كان مندوبا لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية فى القاهرة ، وكان حلقة الاتصال المعتمدة لرسائل القناة الثانية (السرية) . وفى هذا الاجتماع عرف « كيسنجر » أن هناك رغبة من الرئيس « السادات » فى أن يخصص جزء هام من جلسة المفاوضات المقررة صباح اليوم فى قصر الطاهرة - لاجتماع خاص ومغلق بينه وبين الرئيس « السادات » وحدهما . واعتبر « كيسنجر » أن تلك علامة طيبة ، فهى من ناحية ظاهرة ثقة وهى من ناحية أخرى فرصة متاحة له لكى يحدث أكبر قدر من التأثير على مفاوضه الرئيسى مباشرة ، ودون وجود مسرح كبير مزدحم بالممثلين والمتفرجين . وقد طلب « كيسنجر » إبلاغ الرئيس « السادات » أنه حاضر تحت أمره ، وأنه باعتباره رئيس دولة ومضيفا يملك وضع الترتيبات التى يرغب فيها وكما يشاء .

ثم توجه « كيسنجر » إلى غرفة كانت قد أعدت للاتصالات ولحل الشفرة ملاصقة لجناحه فى الدور الثانى عشر من فندق هيلتون . وقد أراد هناك أن يطلع على آخر الرسائل الواردة إليه دون انتظارها حتى توضع فى ملفات ترسل إلى جناحه بعد أن تمر فى طريقها على عدد من مساعديه . وقد وجد « كيسنجر » بين ما وصل إليه من رسائل برقية من مساعده « برنت سكوكروفت » كان نصها كما يلى :[1]

---

(١) صفحة ٦٣٤ من مذكرات « هنرى كيسنجر » - الجزء الثانى - بعنوان « سنوات القلاقل » .



التقى الرئيس السادات مع هنرى كيسنجر فى اجتماع مغلق بينهما دام ٣ ساعات فى قصر الطاهرة
يوم ٧ نوفمبر ١٩٧٣

« بعد اجتماع للوزراء فى البيت الأبيض فاجأ الرئيس (نيكسون) جميع الحاضرين بحديث قصير عن أزمة الشرق الأوسط . وقد قال الرئيس إنه لا يريد تسجيل محضر أو نقط للمناقشة حول ما يريد طرحه ، فهو يريد أن يعرف وزراؤه أنه قد يكون من الضرورى فى الأيام القادمة ممارسة ضغوط على إسرائيل حتى لا يتسبب عنادها فى أزمة طاقة خطيرة . ثم قال الرئيس إن جولدا أظهرت فى بداية الأمر بعض المرونة ، ولكنها تحولت إلى موقف عناد شديد معتقدة أن إسرائيل تستطيع البقاء طويلا فى الأراضى التى تحتلها الآن . وقال الرئيس أيضا إنه قد يكون ضروريا على الولايات المتحدة أن تمارس هذه الضغوط على إسرائيل من داخل الأمم المتحدة ومن خارجها . وقال أنه يأمل ألا تضطرنا الظروف إلى مثل هذه الضغوط على إسرائيل ، ولكنه يريد أن يفهم وزراؤه حقائق الموقف ، وأن يمنحوه تأييدهم مهما حدث .»

وأضاف « سكوكروفت » فى رسالته لـ « كيسنجر » أن « إثارة الرئيس لهذا الموضوع كانت بمثابة صاعقة من الفضاء . وليس أمامنا إلا أن نأمل ألا يتسرب شيء مما قاله إلى وسائل الإعلام . »

وأظهر « كيسنجر » تبرمه وتأففه من هذه التطورات التى حدثت فى البيت الأبيض أثناء غيابه . وكان تقديره « إننا لا نستطيع أن نضغط على إسرائيل بسبب نقص إمدادات البترول ، وإلا كنا نهزم أهدافنا بالسماح لسلاح البترول أن يكون مؤثرا على موقفنا السياسى . إذ معنى ذلك أننا ببساطة نسلم العرب أداة قوة ينبغى أن نأخذها من أيديهم .»

وقد أدرك « كيسنجر » بذكاء أن أقوال رئيسه لا تعنى شيئا إذا هو استطاع أن يحقق فى القاهرة ما يريد أن يحققه !

وكانت هناك رسالة ثانية أقلقت « كيسنجر » ، وهى الأخرى متصلة بتأثير استعمال العرب لسلاح البترول . فقد وجد فى غرفة الاتصالات إعلانا صادرا عن دول المجموعة الأوروبية يطالب إسرائيل بضرورة الانسحاب إلى خطوط ٢٢ أكتوبر طبقا لقرارات مجلس الأمن . واعتبر « كيسنجر » أن ذلك البيان عمل غير ودى تجاه مهمته فى القاهرة . بل وأكثر من ذلك ، سجل فى مذكراته (٢) أن هذا البيان الأوروبى كان عملا غير ودى تجاه الرئيس « السادات » لأنه يقلل من حريته فى المناورة ، « فهو لا يستطيع أن يقبل بأقل مما تطالب به دول المجموعة الأوروبية » !

□

وصل « كيسنجر » إلى قصر الطاهرة فى الساعة العاشرة صباحا ، وكان القصر شعلة من النشاط . فقد اختلط مئات الحراس مع مئات الصحفيين مع مئات الموظفين فى الساحة الخارجية للقصر ، وفى أروقته المؤدية إلى مدخله . ولقى « كيسنجر » استقبالا حارا من الجميع اعترف أنه أدهشه « باعتباره الرجل الذى أعطى لإسرائيل كل السلاح الذى طلبته لتغيير الموازين لصالحها فى معركة ضد الجيش المصرى لم تتوقف آثارها حتى هذه الساعة » . وقد أدهشه أيضا أن كثيرين من مستقبليه الرسميين المصريين أخذوه بالأحضان والقبلات . ولعلهم أرادوا أن يتباروا فيما بينهم وبين بعضهم حول أيهم يعرفه أكثر من قبل- ! - وقد دخل مع ثلاثة من كبار مستقبليه وهم السيد « حافظ اسماعيل » مستشار الرئيس للأمن القومى ، والسيد « اسماعيل فهمى » وزير الخارجية ، والدكتور « أشرف غربال » المشرف على مكتب شئون المصالح المصرية فى واشنطن - إلى الصالون الرئيسى فى القصر .

وما كادوا يجلسون حتى دخل الرئيس « السادات » مرتديا زيه العسكرى . وقد أقبل على « كيسنجر » مرحبا بحرارة شديدة . ومرة أخرى أبدى « كيسنجر » دهشته من « هذه الحرارة التى جاءت بعد أسبوعين اثنين من حرب قمنا فيها بتسليح جيش معاد لمصر . وأكثر من ذلك فقد كدنا فى نهاية هذين الأسبوعين ندخل فى مواجهة نووية مع الاتحاد السوفيتى كان محتملا أن تؤدى بنا إلى تدخل عسكرى مباشر فى مصر .»

---

(٢) صفحة ٦٣٥ من مذكرات « هنرى كيسنجر » - الجزء الثانى - بعنوان « سنوات القلاقل »

وبدأ الجزء الرسمى من الاجتماع ، فتوجه الرئيس « السادات » ومعه ضيفه من الصالون إلى غرفة اجتماعات – هى فى الواقع غرفة المائدة فى قصر الطاهرة . وقد جلس الرئيس « السادات » فى ناحية منها ومن حوله السيد « حافظ اسماعيل » والسيد « اسماعيل فهمى » والسفير « أشرف غربال » واللواء « محمد عبد الغنى الجمسى » (باعتبار مسئوليته عن محادثات الكيلو ١٠١) . وجلس فى المقابل وزير الخارجية الأمريكى « هنرى كيسنجر » ومن حوله « جوزيف سيسكو » و « ألفريد آثرتون » و «هارولد سوندرز » . ودعى المصورون لالتقاط صور الاجتماع بينما راح الطرفان يتبادلان بعض عبارات المجاملة لكى تظهر صورهم أثناء ما يبدو أنه حديث ناطق وحى . وفى الواقع فإن ما دار خلال هذه الفترة لم يزد على عبارات مجاملات مرحة وترحيب دافىء من جانب المضيف بضيفه . ثم طلب إلى المصورين مغادرة القاعة . وبعد دقائق – وكانت الأحاديث ما زالت فى دائرة المجاملات المرحة والترحيب الدافىء – التفت الرئيس «السادات » لأعضاء الوفدين ، وقال لهم إنه سيأخذ الدكتور « كيسنجر » إلى اجتماع مغلق بينهما . وحدث ، واستمر اجتماعهما معا ثلاث ساعات . وفى ربع الساعة الأخير منه انفتح باب الصالون الذى كانا فيه وحدهما ، ودعى « جوزيف سيسكو » إلى المجىء ومعه حقيبة أوراقه . وفتح « سيسكو » الحقيبة بطلب من « كيسنجر » وأخرج منها ملفا صغيرا يضم مجموعة نسخ من مشروع فى صفحة واحدة . وكانت هى نقط ما عرف فيما بعد بالنقاط الست لفك الارتباط . وألقى « كيسنجر » نظرة على الورقة ، ثم ناولها للرئيس « السادات » الذى قرأها بدوره فى أقل من دقيقه ، ثم هز رأسه إيجابا . ثم دعى أعضاء الوفدين بهيئتهما الكاملة التى كانا عليها عندما جرى عقد الجلسة الافتتاحية وتصويرها . والتأم الشمل على جانبى مائدة الاجتماع ، وقال الدكتور « كيسنجر » للجميع إنه « ناقش مع الرئيس السادات مشروعا لفك الارتباط من ست نقاط ، وأن الرئيس السادات وافق عليه ، وأن مساعده جوزيف سيسكو سوف يذهب به إلى السيدة جولدا مائير لعرضه عليها والحصول على موافقتها » . ثم راح يتلو النقاط الست ، وكانت نصوصها على النحو التالى :

١ – توافق مصر وإسرائيل على الاحترام الدقيق لوقف إطلاق النار الذى أمر به مجلس الأمن .

٢ – يوافق الطرفان على مناقشة موضوع العودة إلى مواقع ٢٢ أكتوبر فى إطار الموافقة على الفصل بين القوات المتحاربة ، وذلك تحت إشراف الأمم المتحدة .

٣ – تتلقى مدينة السويس يوميا إمدادات من الغذاء والماء والدواء ، وجميع الجرحى المدنيين فى مدينة السويس يتم ترحيلهم .

٤ – يجب ألا تكون هناك أى عقبات أمام وصول الإمدادات غير العسكرية للضفة الشرقية .

٥ – نقط المراقبة الإسرائيلية على طريق القاهرة – السويس يستبدل بها نقط مراقبة من الأمم المتحدة . وفى نهاية طريق السويس يمكن لضباط إسرائيليين الاشتراك مع الأمم المتحدة فى الإشراف على أن الإمدادات التى تصل القنال تكون ذات طبيعة غير عسكرية .

٦ – بمجرد تولى الأمم المتحدة نقاط المراقبة على طريق القاهرة – السويس يتم تبادل جميع الأسرى بما فيهم الجرحى .

وكان أسوأ ما فى هذه النقط الست أنها تجمد الخطوط العسكرية عند اللحظة الراهنة ، وتفتح الباب للمناقشة فى فصل القوات فى ظل هذه الظروف الضاغطة – ثم إنها تعطى لإسرائيل كل ما تريده من فك التعبئة العامة إلى استعادة أسراها – مضافا إلى ذلك ما لحق بالاتفاقية من تعهدات سرية ، وأهمها تخفيف – ورفع – اجراءات الحصار عن باب المندب .

ولاحظ « كيسنجر » أن أعضاء الوفدين كليهما قد أخذوا على غرة بالتوصل – سريعا وفى جلسة مغلقة واحدة – إلى اتفاق كامل كان فى واقع الأمر مكتوبا ومطبوعا ومعدا فى حقيبة « جوزيف سيسكو » من قبل الاجتماع ، ومن قبل الوصول إلى القاهرة . ورأى « كيسنجر » أن يقدم ايضاحا للموجودين على الجانبين ، فقال « إنه والرئيس « السادات » اتفقا على « خطوة كبيرة » وهى المضى مباشرة إلى فك الارتباط بدلا من تضييع الوقت فى تحديد المواقع المتحركة والمائعة فى الرمال لخطوط ٢٢ أكتوبر . » ثم أخذ الرئيس « السادات » زمام الحديث فقال إن « رأيه كان من البداية القيام بخطوة واسعة لتجاوز التعقيدات الصغيرة والمضيعة للوقت التى يقتضيها تحديد خطوط ٢٢ أكتوبر . ومن الأفضل تجاوز ذلك والدخول مباشرة إلى عملية الفصل بين القوات ، وأنه سعيد لأن أفكاره التقت مع أفكار الدكتور كيسنجر بالضبط فى هذا الموضوع .»

ويبدو أن « كيسنجر » أحس أن ما قاله هو ، وما قاله الرئيس « السادات » لم ينجح تماما فى تبديد مفاجأة التوصل إلى اتفاق جاهز وسريع على هذا النحو . فراح يقول ضاحكا : « إن جو (يقصد « جوزيف سيسكو ») سوف يذهب الليلة إلى جولدا (« مائير ») ليعرض عليها مشروع النقاط الست . وحتى الآن فإننا سوف نسمى هذا المشروع « مشروع سيسكو » . ولكنه بعد أن ينجح ويوافق عليه الطرف الآخر بعد أن وافق عليه الرئيس « السادات » ، سوف يتغير اسمه ليصبح « مشروع كيسنجر » . » وضحك الجميع وانفض الاجتماع .



ولكن الكل كان يدرك أن هناك تحولا أساسيا فى الموقف حدث فى الجلسة المغلقة بين الرجلين ، وكان الكل ينتظر أن يعرف من « رئيسه » ما يمكن أن يعرفه من التفاصيل .

وقد اختلفت الروايات ، وسوف تظل مختلفة إلى زمان طويل ، فى حقيقة ما دار فى هذا الاجتماع الذى استغرق قرابة ثلاث ساعات بين الرجلين على انفراد عند هذه النقطة التى تحولت إلى منحنى على الطريق فى السياسة المصرية . فالاجتماع بين الاثنين كان مقصورا عليهما ، ولم

يحضره طرف ثالث ، ولا كان هناك تسجيل له بأية وسيلة . ولقد روى كل من الرئيس « السادات » والدكتور « كيسنجر » كثيرا من التفاصيل فى عديد من المناسبات عما دار فى هذا الاجتماع . كما أن « كيسنجر » سجل بعض النقاط الرئيسية فيه وأودعها فى ملفات مجلس الأمن القومى ، وعرض بعض ملامحها عندما كتب مذكراته . كما أنه حكى كثيرا فى القاهرة وفى واشنطن عن جوانب لفتت نظره فيما دار بينه وبين الرئيس « السادات » .

وهكذا فإن العثور على صورة شبه كاملة لا يمكن أن يتأتى إلا بمحاولة استعراض ومقارنة التفاصيل فيما كتبه أو رواه كل من الرئيس « السادات » والدكتور « كيسنجر » .

□ □ □

□ الرئيس « السادات » ورواياته عن مقابلته لـ « كيسنجر » يوم ٧ نوفمبر ١٩٧٣ :

● فى كتابه « البحث عن الذات » كتب الرئيس « السادات » صفحة واحدة عن لقائه مع « كيسنجر » .(٣)

« كان أول لقاء لى مع كيسنجر بعد وقف إطلاق النار الذى تم فى الساعة السابعة مساء ٢٢ أكتوبر سنة ١٩٧٣ .. وخرق إسرائيل لوقف إطلاق النار بعد ذلك بساعتين فقط .. فقد كانت أمريكا بالتضامن مع روسيا مسئولة عن وقف إطلاق النار فأرسلت إلى القوتين نداء أحملهما فيه مسئولية ما فعلت إسرائيل ، وأعلن أننى رغم التزامى بوقف إطلاق النار إلا أننى أعتبر نفسى فى حل من التزامى ، فإما أن يعيدا اليهود إلى خط ٢٢ أكتوبر سنة ١٩٧٣ ، وهو الخط الذى كان قائما وقت وقف إطلاق النار وتعرفه أمريكا وروسيا بأقمارهما الصناعية ونعرفه نحن وإسرائيل على الأرض .. وإما أن أعيدهم أنا بيدى - كيسنجر أرسل يطلب الحضور إلى مصر فقلت على الرحب .. وأتى ..

كان ذلك فى أواخر أكتوبر سنة ١٩٧٣ واستغرقت الجلسة الأولى ثلاث ساعات .. بعد الساعة الأولى شعرت أنى أمام عقلية جديدة وأسلوب جديد فى السياسة ، وأنى أرى لأول مرة وجه أمريكا الحقيقى الذى كنت فيما مضى أتمنى أن أراه - لا الوجه الذى صنعه دالاس ودين راسك وروجرز ..

وأعتقد أنه لو رآنا أحد بعد الساعة الأولى من اجتماعنا بقصر الطاهرة لاعتقد أننا أصدقاء منذ سنوات وسنوات .

لم تكن هناك أية صعوبة فى التفاهم ، فاتفقنا على النقاط الستة ومن ضمنها إقرار أمريكا بخط ٢٢ أكتوبر فى إطار فض الاشتباك .»

. . . .

. . . .

● وفى حديث تليفونى مع « محمد حسنين هيكل » عقب انتهاء الاجتماع مع « كيسنجر » - كان الرئيس « السادات » أكثر استفاضة فى التفاصيل . وقد بدأ فقال :

---

(٣) صفحة ٣٨٧ من كتاب « البحث عن الذات » .

« إنه كان اجتماعا رائعا ، وقد توصلنا فيه إلى اتفاق (يقصد النقاط الست) سوف تجيئك نصوصه بعد قليل ، وسوف تجدها مرضية تماما . وهى نقطة بداية نستطيع أن نبنى عليها .»

ثم ترك الرئيس هذه المقدمة الافتتاحية للحديث التليفونى وراح يدخل فى التفاصيل ، فقال :

« إنه دعا كيسنجر إلى اجتماع مغلق اقتصر عليهما وحدهما . وأن كيسنجر حاول أن يبدأ الحديث بموضوع العودة إلى خطوط ٢٢ اكتوبر . وهنا قلت له (أى لـ « كيسنجر ») هنرى .. لا تضيع وقتك الآن فى هذه التفاصيل . لقد توقعت منك ما هو أهم وأكبر من ذلك . أنت رجل استراتيجى وأنا استراتيجى مثلك ، فدعنا لا نقف عند هذه الجزئيات . وكان هو ينظر إلىّ مبهورا . وطرحت عليه رؤية استراتيجية كاملة لمستقبل المنطقة ، وقلت له إن المستقبل ليس فى خطوط ٢٢ أكتوبر ، ولكن المستقبل معلق بسؤال واحد : هل نستطيع أن نكون أصدقاء أو لا نستطيع ؟ .. إذا كنا نستطيع أن نصبح أصدقاء فما ينتظرنا أهم بكثير من خطوط ٢٢ أكتوبر . وأنا أريد أن نكون أصدقاء . وإذا أصبحت مصر صديقة لكم ، فإن المنطقة كلها تصبح مفتوحة أمامكم . وأنا لا أريد أن يتكرر خطأكم الذى وقعتم فيه عندما لم تفهموا مبادرتى بطرد الخبراء السوفيت فى يوليو العام الماضى . فطرد الخبراء السوفيت كان رسالة موجهة لكم معناها أننى صديق . وأنتم تصورتوها مناورة ، وأنا رجل لا أناور .»

ثم توقف الرئيس « السادات » لحظة ، وسأل محدثه : « ماذا تظن أن كيسنجر قال لى ؟ » وراح « هيكل » يحاول أن يتصور ما يمكن أن يكون « كيسنجر » قد قاله للرئيس « السادات » فى التعليق على ما سمعه . وأراحه الرئيس « السادات » من عناء التفكير فقال له : « عفريت كيسنجر . كان متحيرا فيما أقول . وقد قال لى :

« عندى رجاء ياسيادة الرئيس . قبل أن ندخل فى أى تفاصيل فأنا أريدك أولا وقبل كل شيء أن تحكى لى كيف تمكنت من أن تضحك علىّ ، وتضحك على مخابراتنا ، وتضحك على إسرائيل وعلى مخابرات إسرائيل ، وفى الواقع على العالم كله ؟ كيف استطعت أن تفاجئنا بحرب لم نتوقعها ؟ وكيف استطعت أن ترتب لهذه الحرب فى غفلة منا جميعا ؟ هذه أول مرة فى تجربتى السياسية يستطيع أحد أن يفاجئنى بهذه الطريقة وإلى هذه الدرجة » - وقضيت ساعة كاملة أحاول أن أشرح له خطتى منذ البداية . وكان يجب أن تراه وهو فاتح فمه من الذهول دون أن يقاطعنى مرة واحدة . لم يكن قادرا على تصديق ما فعلناه ، وكان تعليقه فى النهاية أن ما فعلناه قمة .»

وقاطع الرئيس « السادات » روايته بنفسه معلقا « ومع ذلك ، فبعض « الحيوانات » من عندنا لم يفهموا بعد قيمة ما فعلناه » !

وعاد الرئيس « السادات » إلى رواية تفاصيل مقابلته مع « كيسنجر » فقال :

« الحقيقة أن هنرى طرح علىّ بعد ذلك فكرته عن فك الاشتباك ، وقال لى إن الجهد الذى سوف تبذله أمريكا فى إرغام إسرائيل على العودة إلى خطوط ٢٢ أكتوبر هو نفسه الجهد الذى سوف تبذله فى الضغط على إسرائيل لسحب كل قواتها من الغرب (غرب قناة السويس) لتحقيق فض الاشتباك . وإذا قاموا بهذا الجهد كله فى سبيل هدف محدود وهو العودة إلى خطوط ٢٢ أكتوبر ، فمعنى ذلك أنهم سوف يستهلكون جزءا كبيرا من قدرتهم على الضغط والهدف محدود - فلماذا لا يكون خيالنا أوسع ونستعمل هذا الضغط فيما هو أكبر ؟ وقد وافقته على هذا الرأى .»

وحاول « محمد حسنين هيكل » أن يبدى رأيا مفاده أن « الانتقال مباشرة إلى فك الاشتباك تحت تأثير إحساس الرئيس بالضغط الواقع على الجيش الثالث يجعل مشكلة آنية تفرض ظلها على مساحة من الأزمة أكبر منها . وبالتالى فربما كان من الأفضل التركيز على خطوط ٢٢ أكتوبر والتفاوض مع « كيسنجر » بعد ذلك لما هو أبعد ، أى فض اشتباك بينما الجيش الإسرائيلى مشدود على خطوط طويلة ، والتعبئة العامة فيه قائمة ، والحصار على باب المندب مفروض ، وأسراها فى حوزة مصر ... إلى آخره . وتكون إسرائيل هى الواقعة تحت ضغوط ظروفها بأكثر مما هو واقع تحت تأثير مخاوفه على الجيش الثالث . »

وقاطعه الرئيس « السادات » قائلا : « مرة ثانية أنت لا تزال تتكلم على قديمه ، لأن دخول كيسنجر فى الأزمة بنفسه بداية مختلفة عن كل ما سبقها . كان يجب أن تراه وهو يتصرف . واسأل اسماعيل فهمى أو غيره ممن شاهدوا الطريقة التى أعطى بها النقاط الست لسيسكو لكى يذهب ويعرضها على جولدا مائير . كان يأمر وينهى كما يشاء ، وقد سمعته ... سمعناه جميعا يقول لسيسكو « **قل لجولدا إن هذه النقط وافق عليها الرئيس نيكسون ولا يمكن لها أن تغير فيه حرفا** » . وقال له أيضا « **قل لجولدا لا داعى لتضييع الوقت ، فنحن لدينا جدول أعمال طويل فى المنطقة وهذه نقطة بداية** » . « **قل لجولدا إننا إذا وقفنا أمام كل نص لنعدل حرفا ونضيف فاصلة ونضع نقطة فإننا لن ننتهى ، وأنا لست مستعدا أن أضيع وقتى فى مثل هذا** » . « قل **لجولدا إنه لا الرئيس نيكسون ولا أنا نريد الدخول فى حلقات مفرغة أعرف أنهم بارعون فى صنعها** » . »

ثم يستطرد الرئيس « السادات » مأخوذا : « **كان هنرى يتكلم بسلطة الآمر الذى يعرف أنه يعطى كل شىء لإسرائيل من رغيف العيش إلى الصاروخ** .»

ثم انتقل الرئيس « السادات » إلى ملاحظة أخرى قال فيها : « **فتح معى كيسنجر مسألة الحصار على باب المندب ، وقلت له إننى لن أناقش هذا الموضوع الآن** » . ثم قاطع نفسه قائلا « **ياه .. طلع ان العملية بتاعة البترول معوراهم تعويرة سودة ، هم والأوروبيين . لكن هنا خلاف كبير بينهم وبين الأوروبيين . ولما كيسنجر اتكلم عن الأوروبيين كان غريب ، كا** « **ممغوص** » **من غرب أوروبا ، وقال لى احنا مستعدين نسيبهم يتحرقوا من غير بترول لك بالنسبة لأمريكا موضوع البترول صعب قبوله . والراجل قال لى بصراحة : أنا خايف ان بـ شهرين المواطن الأمريكى ، مع دخول الشتاء الجامد ، يبتدى يحس بنقص البترول ويعد موضوع البترول يبتدى ينقلب ضدكم . وبعدين سألنى تقلبوها على نفسكم ليه ؟ لكن بالنس لأوروبا الغربية بقى ، قال دول ناس منافقين ، لما يحسوا بخطر السوفيت يجروا علينا ، وا يبقوا مطمئنين يسيبونا ويجروا على السوفيت . حتى ألمانيا الغربية ، كان شعوره ضد الألم برضه انهم يتحرقوا من غير بترول** .»

هكذا كتب وهكذا تحدث الرئيس « السادات » ...

□ □ □

□ « هنرى كيسنجر » ورواياته عن مقابلته مع الرئيس « السادات » يوم ٧ نوفمبر ١٩٧٣ :

● في مذكراته وصف « كيسنجر » اجتماعه المغلق مع الرئيس « السادات » على النحو التالى :(٤)

« (بعد الاجتماع المفتوح بين الوفدين ، وقد استغرق دقائق) دعانى الرئيس « السادات » وحدى إلى غرفة كبيرة في قصر الطاهرة كان يستخدمها كمكتب خاص له . وشاهدت من نافذتها حديقة القصر ، وقد وضعت فيها بعض المقاعد الصيفية التي جلس عليها بعض مساعدينا يتمتعون بأشعة الشمس . وفور أن دخلنا وحدنا في الغرفة الكبيرة راح الرئيس « السادات » يحشو غليونه بالتبغ ويشعله . ثم وجه حديثه إلىّ قائلا « لقد كنت من زمن طويل أتشوق لهذه الزيارة » . ثم استطرد « إن لدىّ خطة سأحدثك عنها ، ونستطيع أن نسميها « خطة كيسنجر » .» ثم دعانى إلى جانب من الغرفة وضعت فيه بعض الخرائط وقد رسم عليها خط فك الارتباط كما يتصوره . وكان الخط يمتد في سيناء من العريش شمالا إلى رأس محمد جنوبا . وقد استغربت هذا الخط لأن الرئيس « السادات » كان لا بد يعرف أن انسحاب إسرائيل لهذا الخط مهمة مستحيلة . لقد كان يعرف صعوبة أن نقنع إسرائيل بالتراجع بضعة كيلو مترات إلى خطوط ٢٢ أكتوبر على الضفة الغربية من قناة السويس . وإذا كان الأمر كذلك ، فكيف يخطر بخياله إذن أن إسرائيل يمكن أن تتراجع في الشرق إلى هذا المدى البعيد ؟ فتترك قناة السويس ومنطقة الممرات ومعظم سيناء لتنسحب إلى قرب خط الحدود المصرية . وقد سألته « وما الذى ستحصل عليه إسرائيل في مقابل هذا الخط ؟ » وكان رده عائما بما أقنعنى أنه كان يختبر نواياى . وبعد سؤالى له ، راح يسحب أنفاسا متصلة من غليونه ، ثم سألنى ما هو رأيى ؟

ولم أكن أريد أن أبدأ معه برفض مقترحاته حتى مع اعتقادى بأنها غير عملية . وهكذا رأيت أن أغير الموضوع . وقلت له « قبل أن نتحدث فيما هو أمامنا الآن ، فإننى أريدك أن تروى لى كيف استطعت تحقيق مفاجأة السادس من أكتوبر » ؟

وكان سؤالى هذا نقطة التحول في حديثنا . وقد ضاقت عيناه وهو يستعيد ذكرياته ، وراح ينفث دخان غليونه . ثم ابتسم مدركا أننى أقدم له إطراء يعطيه قيمته وينقل إليه الإحساس بأنه لا يتفاوض من موقع ضعف ، وإنما هو مفاوض كسب موقعه من مركز قوة وشرف واحترام للنفس .

وكانت روايته في البداية بطيئة ، ثم راحت التفاصيل تتسارع وتتدفق وهو يروى لى حكاية صناعته منفردا – لقراره . فقال إنه توصل بعد فشل مبادرة روجرز إلى أنه لا يستطيع التفاوض مع إسرائيل بينما هى شاعرة بالتفوق العسكرى . ثم أسهب في وصف خيبة أمله في الاتحاد السوفيتى ، ثم تطرق إلى ارتهان السوفيت للوفاق مع الولايات المتحدة . ثم روى لى كيف كان

(٤) صفحة ٦٣٦ و ٦٣٩ من مذكرات « هنرى كيسنجر » – الجزء الثانى – بعنوان « سنوات القلاقل » .

يريد أن يبدأ هجومه على إسرائيل فى نوفمبر ١٩٧٢ ، لكن قادته العسكريين لم يكونوا على استعداد ، واضطر أن يفصل وزير حربيه . ومضى فى التنسيق مع سوريا بجد حتى يكون قادراً على الهجوم إما فى ربيع أو خريف ١٩٧٣ . ثم فاجأ العالم .»

ويمضى « كيسنجر » بعد ذلك فيقول : « إننى قاطعته بسؤال « لماذا لم تنتظر مبادرتى الدبلوماسية لحل الأزمة وقد وعدت بها » (يقصد وعده للدكتور الزيات) ؟ ورد السادات « لكى أعلم إسرائيل درسا بأن الأمن لا يتحقق بالسيطرة » . ثم قال لى السادات إن لديه بذلك « هدفين لا ثالث لهما : أن أستعيد أرضى «my territory» وأن أصنع السلام » . وقد روى لى كيف روض نفسه على الصبر لكى يحقق هدفه ، وأنه تعلم الصبر فى السجن الذى وضعه فيه البريطانيون .

ثم علق « كيسنجر » فى مذكراته قائلا : « إننى لم أكن متأكدا وأنا أسمعه يتحدث عن الصبر بأن لديه رصيدا منه يكفيه لكى يجتاز مرحلة مفاوضات طويلة تصل به إلى حدود ١٩٦٧ فى سيناء – وإلى سلام مع إسرائيل . ولهذا فقد تركت حديث الصبر إلى المشاكل التى تواجهنا فعلا . ورحت لمدة نصف ساعة أحدثه فى تصوراتى النظرية لحل المشكلة ، وقد فهمنى تماما عندما قلت له إن السلام فى الشرق الأوسط لا يمكن أن يتحقق بهزيمة حلفاء الولايات المتحدة وأصدقائها (يقصد إسرائيل) بسلاح سوفيتى يقاتل به العرب . وفيما عدا ذلك فأنا لا أرى خلافا بيننا . وحاولت أن ألح عليه بأن العقبات الحقيقية التى تحول دون السلام مع إسرائيل هى عقبات نفسية أكثر منها عقبات سياسية . وقلت له إنه إذا استطاعت مصر بنفوذها أن تفتح الطريق إلى تسوية على مراحل ، فإن ذلك قد يقود إلى شرق أوسط مختلف . وكان «السادات » يسمعنى باهتمام وهو لا يزال ينفث دخان غليونه . وقد قاطعنى بعد فترة قائلا « ولكن ماذا عن جيشى الثالث ؟ «my third army» . وماذا عن خط ٢٢ أكتوبر ؟ » وقد رددت عليه بحزم قائلا له أمامك خيارين :

– إما أن تعتمد على المساعدات السوفيتية وعلى بيانات الأوروبيين وتصر على العودة إلى خطوط ٢٢ أكتوبر ، وتجرب ما يمكن لذلك أن يحققه – ومن وجهة نظرى فإن ذلك سيكون رهانا لا فرصة له .

– وإما أن تقبل مشروعنا لفك الارتباط وتنسحب إسرائيل بضعة كيلو مترات غرب قناة السويس ضمن اتفاق لفك الارتباط ، ثم يتكرر الانسحاب فى مراحل متوالية مع بناء إجراءات السلام وضمانات الثقة بينك وبين إسرائيل . »

وراح « كيسنجر » يصف نوايا الرئيس « السادات » كما أعرب له عنها ، فقال « إن الجيش الثالث ليس هو لب المشكلة فى واقع الأمر ، فأنا أريد أن أفرغ من مشكلته لأتحول إلى مهام أكبر . فأنا مصمم على إنهاء ميراث عبد الناصر (determined to end Nasser's legacy) ، وأريد أن أعيد العلاقات مع الولايات المتحدة الأمريكية وبأسرع ما يكون . وعندما يتم ذلك تكون حركتنا متجهة إلى بناء صداقة وثيقة بين البلدين على أساس جديد » . وراح يشكو لى من « إخوانه « العرب الذين لا يفهمون رؤيته الاستراتيجية الواسعة ، وانتهى بأن أكد لى أنه « ليس مستعدا لقبول ابتزازهم » . ثم أكد لى أنه سوف يكون على استعداد لأن يعلن اتفاقنا على الفور . وكان ثابت

الأعصاب فيما يقول ، وقد سألنى عن اقتراحاتى فى أسلوب حركتنا المقبلة قائلا لى « أنت تعرف إسرائيل أكثر مما أعرفها ، فقل لى بوضوح ما الذى يمكن أن تقبله إسرائيل أو لا تقبله ؟ » وحينئذ حدثته عن النقاط الست التى أحملها معى ، وحدثته عن خطوط فك الارتباط كما نتصورها للمرحلة الأولى . »(*)

ثم وصل « كيسنجر » بعد تفاصيل طويلة تحدث فيها عن وعد أخذه من الرئيس « السادات » برفع الحصار عن باب المندب تدريجيا – إلى جو التفاهم الذى حل بينه وبين الرئيس « السادات » بعد حديث دام قرابة ثلاث ساعات ، وقال : « إننى بعد ذلك طلبت منه أن يعمل على ضرورة إخراج البترول العربى بالكامل من هذه الأزمة بحيث يرفع الحظر تماما عن الدول التى فرض عليها ، بما فيها الولايات المتحدة » . ورد الرئيس « السادات » على ذلك بأن « حججه يمكن أن تكون مقنعة عندما يرى العرب أن تقدما أمكن إحرازه فى المفاوضات » . »

ثم روى « كيسنجر » أنه بعد أن انتهت هذه المواقف الأخيرة فى الحوار بينهما ، « صفق الرئيس « السادات » بيده فدخل أحد المرافقين المصريين ، فطلب منه الرئيس دعوة « جوزيف سيسكو » الذى كان جالسا فى الحديقة يستمتع بأشعة الشمس مع بقية أعضاء الوفدين . وكنا نستطيع أن نراهم من نافذة الصالون الذى جلسنا فيه . »

« وطلب الرئيس « السادات » من المرافق أيضا أن يستدعى « اسماعيل فهمى » . وجاء الاثنان بالفعل على عجل . وقلت للرئيس إننى سأبعث بـ « جوزيف سيسكو » و «هارولد سوندرز » إلى « جولدا مائير » بمشروع النقاط الست للحصول على موافقتها النهائية عليه . ثم خرجنا نحن الاثنين (الرئيس « السادات » و « كيسنجر ») إلى مؤتمر صحفى حاشد ، وكان السؤال الأول الذى وجه للرئيس « السادات » فيه هو : « سيادة الرئيس ، هل أخذت وعدا من الدكتور كيسنجر بأن الولايات المتحدة سوف توقف الجسر الجوى الذى يحمل الأسلحة إلى إسرائيل ؟ » ورد الرئيس « السادات » ضاحكا « إن هذا السؤال يجب أن يوجه إلى الدكتور كيسنجر » . »

وعلق « كيسنجر » على هذا بقوله إن « الرئيس السادات بهذا الرد أظهر لباقته ، فقد كنت أخطرته ونحن خارجين من اجتماعنا المنفرد بأن ذلك الجسر الجوى لإمداد إسرائيل سوف يتوقف خلال أيام قليلة . » ثم عقب « كيسنجر » على ذلك بقوله فى مذكراته : « الحقيقة أن هذا الجسر كان قد استنفد أغراضه ، وكنا قد قررنا إيقافه ، ولكننا تركناه يعمل لعدة أيام أخرى حتى ألتقى بالرئيس السادات وتكون لى فرصة أن أخطره شخصيا – إذا توصلنا لاتفاق – بأن هذا الجسر سوف يتوقف . »

. . . .

. . . .

(*) كانت النقاط الست باعتراف « كيسنجر » من أفكار وصياغة إسرائيل ، ويروى فى مذكراته أنه سأل « جولدا مائير » بصراحة عما تعنيه هذه النقاط الست ؟ وقالت له « لا شىء nothing » . وأضاف فى مذكراته : « ومع ذلك فقد قبلت هذه النقاط منها عن اعتقاد بأنه يمكن أن تكون بداية لحركة ، ولأنها مثل كل الاتفاقيات الجيدة تعطى لكل طرف شيئا » .

● وفى حديث خاص له مع الصحفى الأمريكى الشهير « جوزيف كرافت »(٥) روى « كيسنجر » تفاصيل إضافية عن اجتماعه المغلق مع الرئيس « السادات » لم ترد فى مذكراته . وطبقا لما قاله « جوزيف كرافت » عن رواية « كيسنجر » له ، فإن الرئيس « السادات » قال لـ « كيسنجر » إنه وصل إلى آخر الشوط مع العرب ومع السوفيت ، وأنه يريد أن يقوم بتغييرات أساسية فى توجهات السياسة المصرية . وبالتالى فقد عرض عليه :

□ علاقة استراتيجية جديدة مع الولايات المتحدة تكفل تنسيقا مصريا أمريكيا كاملا فى الشرق الأوسط وفى إفريقيا .

□ أنه خلال الحركة من أجل تنفيذ هذا الاتفاق الاستراتيجى ، فإن الرئيس « السادات » يريد من الولايات المتحدة تعهدات بحماية نظامه وحماية شخصه فى فترة يتوقعها حافلة بالقلاقل والمشاكل .

وكان تساؤل « كيسنجر » طبقا لرواية « جوزيف كرافت » - عما إذا كان مركز الرئيس « السادات » فى مصر يسمح له بإجراء التحولات الاستراتيجية التى يتحدث عنها فى الأوضاع الداخلية فى مصر ، وفى توجهاتها الخارجية ، وفى المنطقة ، وحتى فى علاقاتها الدولية ؟

وكانت الملاحظة الأهم من ملاحظات « كيسنجر » - طبقا لرواية « جوزيف كرافت » - هى « أن كيسنجر كان « محتارا » (bewildered) فى الأسباب التى كانت تدعو الرئيس السادات إلى ذلك كله . »

٣

بعد ظهر يوم ٧ نوفمبر كانت الأجواء فى القاهرة عاصفة . فقد أذيعت النقاط الست وعرفت نصوصها ، كما أذيع بعدها بيان برفع درجة القائمين على شئون الرعايا فى البلدين ، وهما السفير « أشرف غربال » فى واشنطن ، والسفير « هيرمان آيلتس » فى القاهرة - إلى درجة السفراء المعتمدين تمهيدا لعودة سريعة للعلاقات بين البلدين . وبدت تلك كلها مفاجآت غير متوقعة ومتلاحقة فى إيقاعها إلى درجة تثير الدهشة .

---

(٥) لقاء ممتد مع « جوزيف كرافت » فى بيته بضاحية « جورج تاون » فى واشنطن فى شهر سبتمبر ١٩٧٥ .

وكان « محمد حسنين هيكل » بين الذين فوجئوا بنصوص النقاط الست عندما وصلته من رئاسة الجمهورية قبل إعلانها رسميا بساعة واحدة . فقد بدت له خطوة واسعة غير مبررة ، وأحس بأنها تمثل اتجاها مختلفا عن كل ما سبقها . وكان إحساسه بعدها أنه لا يريد أن يحضر عشاء دعى إليه في المساء مع الدكتور « هنرى كيسنجر » (ومع آخرين) - فى بيت السيد « اسماعيل فهمى » وزير الخارجية . كما يفكر فى الاعتذار عن موعد نحدد له مع الدكتور « كيسنجر » فى جناحه بفندق هيلتون فى الساعة الحادية عشرة مساء بعد العشاء فى منزل وزير الخارجية . وكان شعوره أنه لا يريد المشاركة فى خطوات تتبدى له غير واضحة ، خصوصا وأن الرئيس « السادات » فى حديثه معه بعد انتهاء اجتماعه بـ « كيسنجر » - أشار إلى « نقاط ست » ، ولكنه تجنب الدخول فى تفصيلاتها مكتفيا بالقول « إنك ستراها ، وهى قادمة إليك فى دقائق » .

وبطريقة ما ، فإن الرئيس « السادات » أحس أو عرف بما يعتمل من أحاسيس ومشاعر ، لكنه لم يتصل بـ « هيكل » مباشرة ، وإنما قام السفير « أشرف غربال » بالاتصال به وإبلاغه أن الرئيس « السادات » يذكره بضرورة حضور العشاء والحفاظ على موعده مع الدكتور هنرى كيسنجر ، « حتى لا يشعر الرجل بأن هناك فى القاهرة خلافات حول النتائج التى توصلت إليها محادثاته مع الرئيس السادات . »

□

كان العشاء فى بيت « اسماعيل فهمى » مزيجا من الإثارة والدهشة وخيبة الأمل على اختلاف مواقع ورؤى المدعوين . وقد كادت تحدث مشادة بين « هنرى كيسنجر » والسفير السوفيتى « فلاديمير فينوجرادوف » الذى كان بين المدعوين على العشاء . فقد راح السفير السوفيتى يتوجه إلى كل من قابلهم من المدعوين المصريين بسؤال متكرر : « ماذا أخذتم من الولايات المتحدة فى مقابل عودة العلاقات الدبلوماسية معها » ؟ ولم يتلق ردا من أحد ، أو كان الصمت هو الرد فى معظم الأحيان ، وفى أقلها كان الرد إشارة أو هزة رأس . وسمعه الدكتور « هنرى كيسنجر » وهو يلقى السؤال مرة على أحد الضيوف ، فتقدم نحوه يقول له « أنا أرد على هذا السؤال .. إنهم أخذوا السلام إذا تم تطبيق ما توصلنا إليه اليوم » . وسأله « فينوجرادوف » مشدودا : « ومتى يتحقق هذا السلام » ؟ ورد عليه « كيسنجر » بسرعة : « عندما تتوقفون أنتم عن شحن الأسلحة للعرب » . واحتقن وجه السفير السوفيتى ، لكنه تمالك أعصابه . وأحس « كيسنجر » أنه ضغط على السفير السوفيتى بأكثر مما ينبغى ، فاستدرك يقول له : « إننى كنت أريد أن أقابلك لأتحدث معك فى تفاصيل ما توصلنا إليه بنفسى . ولكن لأن جدول مقابلاتى مشحون ، فإنى سوف أرسل لك « هيرمان آيلتس » غدا وأطلب منه أن يضع نفسه تحت تصرفك فى أى سؤال يخطر لك أن تسأله . »

وهدأت الأعصاب قليلا ، ولكن الجو كان متوترا لأن المناقشة الحادة جرت بين الاثنين على مسمع من بعض الضيوف الذين تجمعوا حلقة من حول الاثنين .

وتوجه « هنرى كيسنجر » ناحية « محمد حسنين هيكل » ، وكانت الساعة قد بلغت العاشرة والنصف ، وقال له « ما رأيك أن ننسحب نحن الاثنين فى دقائق وأن نتوجه إلى الهيلتون » ؟

كان السيد « اسماعيل فهمى » هو الذى أعد ترتيبات اللقاء بين الاثنين ، وقد طلب إلى « كيسنجر » أن ينسحب أولا باعتذار أنه متعب بعد سفر طويل ويوم عمل شاق . وبالفعل انسحب « كيسنجر » وهو ضيف الشرف .

وبعد دقائق انسحب ضيف آخر من العشاء دون أن يلحظ أحد .

وكان الاثنان على موعد للقاء !

الفصل السابع

«حوارات كيسنجر»

١

كان واضحا أن قراءات « كيسنجر » عن أساليب التعامل مع الشرق مؤثرة على تصرفاته . لقد بالغ فى الترحيب بالكل ومجاملتهم إلى حدود بدت أخاذة وساحرة .

بدأ حديثه المنفرد مع الرئيس « السادات » مثلا بأن رجاه أن يشرح له « معجزة المفاجأة » .

وقال للسيد « حافظ اسماعيل » حينما التقاه فى مطار القاهرة واقفا ضمن مستقبليه ، إنه « الرجل الذى تلقى عنه أول درس فى أزمة الشرق الأوسط » .

وقال لـ « اسماعيل فهمى » إنه يرجو ألا يعصره بدبلوماسيته الماهرة فى القاهرة كما عصره من قبل فى محادثاتهما قبل أيام فى واشنطن .

ومع « محمد حسنين هيكل » فى أول لقائهما ، فقد بدأ ترحيبه به قائلا : « إنه من كثرة ما قرأ له يشعر أنه يعرفه منذ عشرين سنة على الأقل » . ثم حدثه عن مقال له سبق قبل أيام تحت عنوان « الدور الأمريكى ... قيمته وقدرته » مشيرا إلى أنه ناقش هذا المقال مع « اسماعيل فهمى » أمس ، كما ناقشه اليوم مع الرئيس « السادات » .[1]

---

(١) اعترافا بالضعف البشرى فلا بد أن أقول إن هذا الأسلوب كان مؤثرا ونافذا ، بدليل أننى أشرت إلى ما قاله « كيسنجر » فى هذا الصدد فى مقدمة مقال نشرته فى حوارى معه تحت عنوان « مناقشة مع كيسنجر » ظهر على صفحات « الأهرام » بتاريخ ١٦ نوفمبر ١٩٧٣ .

ثم كان لدى « كيسنجر » بعد ذلك سؤال قال فيه لضيفه « لماذا اعتذرت قبل سنتين تقريبا عن اجتماع كان مرتبا للقاء بيننا بواسطة « دونالد كندال » ؟ .. إن دونالد كان يتصرف بحسن نية ، ولكنى أوافقك أن الوقت لم يكن مناسبا أيامها » . وقبل أن يرد الضيف على سؤال مضيفه ، اقتحم عليهما الغرفة « روبرت ماكلوسكى » المتحدث الرسمى باسم وزارة الخارجية ، الذى اقترب يهمس فى أذن « كيسنجر » بشىء . والتفت « كيسنجر » إلى ضيفه وسأله « هل يضايقك لو تركتك عشر دقائق أذهب فيها إلى لقاء مع الصحفيين الأمريكيين الذين صحبونى إلى القاهرة ؟ لديهم أسئلة وهم يريدون منى أن أحدثهم عن آخر ما وصلنا إليه . وأنت تعرف ضغوط الصحافة .»

وذهب « كيسنجر » وعاد بعد عشر دقائق . لكنه لم يكد يجلس حتى قوطع مرة أخرى وعاد يلتفت إلى ضيفه قائلا : « سوف أستأذنك مرة أخرى فى الذهاب إلى غرفة استقبال الرسائل . يظهر أن جوزيف سيسكو يطلبنى من تل أبيب برسالة من مسز مائير . إننى بعثت إليها معه بالنقاط الست التى اتفقنا عليها اليوم ، ويظهر أن لديها تعليقا على مقترحاتى .»

(كتب « كيسنجر » فى مذكراته فيما بعد أن « سيسكو » أبلغه بأن « جولدا مائير » لديها تحفظات على النقاط الست . وقد صرخ فيه « كيسنجر » عندما سمع ذلك وقال له : « ما الذى تريده الآن ؟ .. ألم تكن هى التى وضعت هذه النقاط الست » ؟ ثم هدأ وقال لـ « سيسكو » بضيق : « غريبة ، إن إسرائيل كما هو ظاهر الآن فوجئت بقبول مصر لمقترحاتها ، ومن ثم تريد أن تعيد التفاوض فيما سبق لها أن اقترحته بنفسها .»)(٢)

وعاد « كيسنجر » من غرفة الرسائل وقال لضيفه : « لن يقاطعنا أحد بعد الآن ، فقد طلبت إليهم أن يتركونا دون إزعاج » . ثم ضحك وأضاف : « إلا إذا ظهرت بوادر تشير إلى أن حربا نووية على وشك أن تقوم » .

كان الحوار حيا ، وقد اتصل بدون مقاطعة - بعد ذلك - لأكثر من ساعتين .

□ قال « كيسنجر » : « منذ بداية إدارة نيكسون لم أكن أريد أن أقترب من أزمة الشرق الأوسط . وفى الواقع أنها كانت من اختصاص روجرز وسيسكو . لكن الاثنين تعثرا على الطريق . روجرز تعثر لأنه كان يتبع أسلوبا غريبا ، « أنا لا أفهم وزير خارجية يعرض مشروعا من عنده دون موافقة مسبقة من الأطراف نتيجة لاتصالات ومفاوضات تقرب بين المواقف وتبنى جسورا فوق الخلافات . لكن روجرز تجاهل هذه الحكمة الذهبية فى العلاقات الدولية ، وطرح مشروعا من عنده ، وانتظر رأى الأطراف عليه . وبالطبع وجد نفسه فى « خناقة » معهم جميعا .

أما سيسكو فهو حرفى دبلوماسى ، وكفاءته يمكن أن تبدو فى التكتيك وليس فى الرؤية الاستراتيجية لأن ذلك ليس اختصاصه .

ونتيجة لأخطاء الاثنين ، فإن السياسة الأمريكية فى الشرق الأوسط تعثرت .»

. . . .

. . . .

---

(٢) صفحة ٦٥٢ و ٦٥٤ من مذكرات « هنرى كيسنجر » - الجزء الثانى - بعنوان « سنوات القلاقل » .

□ وقال « كيسنجر » : « عندما قامت الحرب يوم ٦ أكتوبر فوجئت ، وقد اعترفت للرئيس السادات اليوم أنه فاجأنى . صحيح أننى فوجئت ، ولكنى تصورت أن العرب سوف يجيئون بعد يوم واحد صارخين فى طلب وقف لإطلاق النار بعد هزيمة ساحقة سوف تلحق بهم . لكن الإسرائيليين بعد ساعات من القتال اعترفوا لنا بأنهم يواجهون ما لم يكن فى حسبانهم . وقد فزعت عندما بدأت أسمع من إسرائيل عن خسائرهم . وقد أعجبت بالاستراتيجية العربية .. هذا صحيح . كان ما قمتم به مثيرا للإعجاب بصرف النظر عما إذا كنا نرضى به أو لا نرضى . وقد بدأنا مساعى لوقف إطلاق النار فى المواقع بعد عدة أيام من بدء القتال . وقال لنا الروس « ان المصريين لن يطلبوا وقف إطلاق النار ، وإنما سوف يقبلون به إذا تقدم بطلبه أحد غيرهم » . وحاولنا عن طريق الانجليز ، ورفض « السادات » ، وضاعت عليكم فرصة كان يمكن أن تمسكوا بها . فى هذا الوقت بعثت لـ « حافظ اسماعيل » أسأله « ما رأيك الآن فى وقف إطلاق النار » ؟ ورد علىّ « حافظ اسماعيل » باقتراح خطة للسلام . ولم يكن ذلك هو الذى يعنينى وقتها . فقد كنت أريد خطة لوقف إطلاق النار وليس خططا لصنع السلام .

ما كنا نحتاجه هو خطة لوقف إطلاق النار ، فذلك كان الممكن الوحيد فى ذلك الوقت . أما خطط السلام . فإن الوقت كان مبكرا جدا لبحثها .»

. . . .
. . . .

□ وقال « كيسنجر »: « كنت أحس فى ذلك الوقت ، ولا أزال أحس حتى الآن ، أن العرب لديهم إيمان بالمعجزات . يريدون معجزات طول الوقت . ما لا يملكونه فى رأيى – وأرجوك ألا تتضايق – هو الصبر . الصبر بمعناه الإيجابى وليس بمعناه السلبى ... الصبر ليس بمعنى قبول القضاء والقدر ، ولكن بمعنى التحرك إلى هدف سنتيمتر واحد بعد سنتيمتر واحد ومهما اقتضى بلوغ الهدف من وقت .

الغريب أننى أرى أن الإحساس بالتاريخ لديكم عميق . ولديكم كثير منه . ولذلك تعودتم عليه إلى درجة أنكم تعيشون فيه أحيانا وتنسون أنفسكم فى تفاصيله أحيانا أخرى . وقد حاولت مع كل من قابلت من العرب أن أقول لهم إننى لا أريد أن أسمع أحاديث التاريخ من الماضى ، وتجاربهم المريرة فى مراحل سابقة منه ، لكنهم كانوا يصممون دائما على رواية قصة ما جرى من أولها . وكل عربى قابلته وتحدثت معه عن المشكلة الفلسطينية بدأ معى بوعد بلفور ، وربما ضايقه أن أقول له إننى لا أريد أن أسمع هذه الحكايات . وإنما أريد أن أعرف أين نحن الآن وإلى أين غدا ؟ أما الحكايات عن وعد بلفور وقبله وبعده ، فإنى أستطيع أن أجدها فى الكتب والقواميس !

لقد كنت أنوى فتح ملف أزمة الشرق الأوسط ، وكنت أتصور أن هذه الأزمة تنتظر دورها مع أزمات أخرى تطرح نفسها على المجتمع الدولى . لكن النجاح الكبير الذى حققتموه هو أنكم فرضتم الأزمة على الجميع – وأنا بينهم – حتى وإن لم نكن مستعدين بعد لقراءة ملفاتها . دعونا

نقرأ ملفاتها معا ، ودعونا نبحث كيف نعالجها مدركين أنه لا ينبغى لنا أن نترك تاريخ الماضى وحده يقودنا فى عملية البحث ، وإنما لا بد أن نجعل حقائق الواقع وضرورات المستقبل تقودنا .»

. . . .

. . . .

☐ وقال « كيسنجر » : « تقول لى إن دورى يحيرك . وتسألنى من أنت ؟ وما هو دورك ؟ تسألنى هل أنا طرف فى الصراع كما كنت مع فيتنام ومع الصين ومع الاتحاد السوفيتى ؟ أو هل أنا مفاوض ، أو هل أنا وسيط ؟ وأنت ترى أننى لست طرفا كما أننى لست وسيطا . وأنا أفهم دواعيك فى هذه التساؤلات ، ولذلك فسوف أختصر الطريق وأقول إننى فى هذه الأزمة لست طرفا ولا وسيطا ، وإنما أنا رجل « مهتم » ... أمثل اهتمام الولايات المتحدة بأزمة خطرة تدور فى منطقة حساسة بالنسبة لها . منطقة لنا فيها مصالح استراتيجية – سياسية واقتصادية وأمنية – ونحن نريد المحافظة على هذه المصالح . وذلك بالطبع إلى جانب اهتمامنا بالسلام العالمى .

(عندما ذكر « كيسنجر » كلمة « السلام » بدا وكأنه تذكر شيئا . وقد ضحك وشرد عن سياق حديثه قائلا « قبل أن أسافر فى هذه الرحلة إلى الشرق الأوسط حكى لى ابنى ديفيد حكاية وقعت له فى مدرسته . فقد قال له أحد زملائه فى الفصل أنه سمع مدرستهم تقول « إن أبيك لا يستحق جائزة نوبل للسلام » ، ورد عليه ابنى على الفور قائلا « إن أمى أيضا قالت لى نفس الشىء » .)

. . . .

. . . .

☐ وقال « كيسنجر » : « لنتفق على ما يلى :

١ – أننا دولة عظمى لها مصالح استراتيجية فى المنطقة .
٢ – أن هناك قوة عظمى أخرى هى الاتحاد السوفيتى لها مصالح أيضا فى هذه المنطقة .
٣ – أننا نحاول إقامة نظام عالمى جديد – ! – يقوم على الوفاق بعد انتهاء عصر الحرب الباردة . ولكن الوفاق لن يجعلنا نترك المنطقة لنفوذ القوة العظمى الثانية .
٤ – أننا لا نريد أن تتصاعد أى أزمة لكى تؤثر على الوفاق ، لأن مخاطر ذلك أفدح من أن تتحملها البشرية بأسرها .
٥ – أن لنا علاقة خاصة بإسرائيل ، ونحن ملتزمون بحماية أمنها .
٦ – بالتوازى مع ذلك تماما فإن لنا مصلحة حيوية خاصة فى العالم العربى ، وهى تتمثل فى البترول .
٧ – أننا لا نجد تعارضا بين تعهدنا بحماية إسرائيل وبين مصالحنا الحيوية فى العالم العربى . والسبيل إلى التوفيق بين هذين المطلبين هو احترام السيادة بين الأطراف وتنمية الصداقة بيننا .
٨ – أننا لا نريد أن نكون بمفردنا – ولا بالمشاركة مع غيرنا – أوصياء على المنطقة ، ولكننا

نريد لشعوب هذه المنطقة أن تقيم نظام حياتها وأمنها وفق ما تراه وبانسجام مع حقائق العالم . هذا ما يتصوره الرئيس نيكسون وما أتصوره أنا .
وتحقيقه - كما قد تتفق معى - يقتضى وقتا . »

. . . .
. . . .

☐ وقال « كيسنجر » : « كل من قابلت من العرب يرفضون حساب عامل الوقت . وكلهم بلا استثناء جاءونى وقالوا لى « إننى صانع معجزات ، وأننى فعلت كذا وكذا مع فيتنام ، وفعلت كذا وكذا مع الاتحاد السوفيتى ، وفعلت كذا وكذا مع الصين . » وكان ردى عليهم أنهم ركزوا بالدرجة الأولى على الأيام الأخيرة من أى أزمة ، ونسوا ما سبق الأيام الأخيرة من شهور وسنوات .. نحن نحتاج إلى وقت .. حتى فى الخطوات الأولى نحتاج إلى وقت .. لا أظن أننا نستطيع حتى بالنسبة للمرحلة الأولى (فك الارتباط) أن نصل إلى شىء قبل ستة إلى ثمانية شهور ، وربما سنة ! والحقيقة أننى أجد أن مشكلة هذه المنطقة أصعب من فيتنام ومن الاتحاد السوفيتى ومن الصين . وأريد أن أقول لك بصراحة إننى حتى الآن لا أعرف كيف أتناول هذه الأزمة ، ولا من أين أبدأ ؟ وأريد أن أقول لك شيئين عن طريقة تناولى للمشاكل :

☐ **الشىء الأول** : أننى لا أحب أن أقترب من مشكلة إلا إذا أحسست أن عناصرها الأساسية فى يدى . وكان ذلك متوافرا لى فى حرب فيتنام ، وأوله أن الرأى العام الأمريكى كان يريد نهاية لتلك الحرب . كان ذلك أيضا متوافرا لى فى موسكو وفى بكين لأن حقائق العصر الجديد كانت تسير فى الاتجاه الذى أسير فيه .

☐ **والشىء الثانى** : هو أننى رجل يكره الفشل . إن لدىّ رصيدا من النجاح ولا أريد أن أفرط فيه . وأنا أستطيع أن أعد لك قائمة بأسماء عشرات من السياسيين والدبلوماسيين ذبحتهم أزمة الشرق الأوسط . ولا أريد أن أذبح عندكم كما ذبح غيرى كثيرون من قبل .

هكذا ترى أننى فى أزمة الشرق الأوسط أواجه معضلة تبدو لى حتى الآن بلا حل : ليست فى يدى عناصر أعتمد عليها ، وفى نفس الوقت فأنا كما قلت لا أريد أن أذبح .. يكفى أن أتعذب فقط .»

. . . .
. . . .

☐ وقال « كيسنجر » :

« إننى تعذبت بالفعل كثيرا ونحن لا نزال فى المراحل الأولى من أزمة الشرق الأوسط . قبل أسبوع بالضبط كانت مسز مائير (« جولدا مائير ») فى واشنطن . وقد ذهبت لمقابلتها فى فندقها وتقديرى المسبق أننا سوف نتحدث لمدة ساعة . لكنها كانت معبأة بكثير تريد أن تقوله ،

كما أنها كانت غاضبة من الجميع ، وأنا بينهم . واضطررت للبقاء معها حتى الفجر . وصباح اليوم التالى أيقظنى الرئيس نيكسون من النوم يسألنى عن النتيجة ؟ وقلت له « سيادة الرئيس .. قل لى ماذا أستطيع أن أفعل فى ليلة بأكملها مع امرأة واحدة ، وأن تكون هذه المرأة هى جولدا » ؟

(روى له « هيكل » قصة سمعها من « جورج براون » الذى كان وزيرا لخارجية بريطانيا ، وهى قريبة الشبه من حكايته مع « جولدا مائير » . فقد حدث عندما قام الزعيم السوفيتى « نيكيتا خروشوف » بزيارة بريطانيا سنة ١٩٥٥ ، أن تقابل الضيف السوفيتى فى إحدى الحفلات مع الأمير « فيليب » دوق أدنبرة . وبما أن وزير الخارجية « جورج براون » كان هو مرافق « خروشوف » أثناء الزيارة ، فقد تولى مهمة تقديم الأمير « فيليب » إلى الزعيم السوفيتى قائلا « إنه دوق أدنبرة » ، وسأله « خروشوف » : « ماذا يفعل » ؟ ورد « جورج براون » هامسا فى أذن « خروشوف » : « إنه زوج الملكة » ، ثم كررها مرتين لكى يتأكد أن « خروشوف » سمع همسه . وبدا ضيق الصدر على « خروشوف » ، ورد على « جورج براون » بصوت عال قائلا : « فهمت ، فهمت .. ولكن ماذا يفعل بالنهار » ؟ وكاد أن يغمى على وزير الخارجية البريطانى .)

. . . .

. . . .

□ وقال « كيسنجر » : « أنت تبدى قلقك من أن الرئيس « نيكسون » يواجه مشاكل بسبب فضيحة « ووترجيت » ، وقد لا تمكنه هذه المشاكل من متابعة حل أزمة الشرق الأوسط ووضع نفوذ الرياسة وهيبتها وراء مثل هذا الحل ، وقد تؤدى إلى عزله . وأنا أخالفك الرأى فيما أبديت من شكوك حول ضعف موقف الرئيس . إن « ريتشارد نيكسون » لم يرتكب جريمة ولم يخالف القانون ، ولا تصدق ما يقال عن امكانية استقالته أو إقالته . وحتى الذين يتهمونه بوضع الميكروفونات للتسمع على خصومه يعرفون أن كل السياسيين فى العالم فعلوا نفس الشيء . ومشكلة « ريتشارد نيكسون » أنه عهد بهذه المهمة إلى مساعدين غير أكفاء سمحوا لأنفسهم أن يضبطوا متلبسين !!

لدىّ مشاكل بالطبع مع عدد من المحيطين بالرئيس . وأنا لا أستطيع التظاهر أمامك بغير ذلك لأنك تتابع . وعلى أى حال ، فلكم أن تطمئنوا إلى « ريتشارد نيكسون » . ولعلمكم جميعا فإنه أعطانى تفويضا كاملا بالتحرك فى أزمة الشرق الأوسط . ولذلك فأنا أقول لك ، وتستطيع أن تنقلها للرئيس « السادات » ، أنه فى إمكانكم التعامل معى فى أزمة الشرق الأوسط باعتبار أن لدىّ سلطة الرئاسة فيما يتعلق بالسياسة الخارجية للولايات المتحدة ، والشرق الأوسط بالذات . »

. . . .

. . . .

□ وقال « كيسنجر » : « أكبر عقبة سوف تواجهونها فى الولايات المتحدة هى اليهود . ولا يخطر ببال أحد منكم جميعا مدى قوة جماعات الضغط اليهودى(Jewish Lobby) (تحدث « كيسنجر » كثيرا عن « اليهود » فى هذه المقابلة ، وحتى عندما كان يشير إلى إسرائيل فقد كانت إشارته فى أغلب الأحيان إلى « اليهود » ولم يبد فى أى مناسبة أنه يعتبر نفسه منهم) . لهذا ، فإن هناك نقطة أريد أن ألفت نظركم لها ، وهى أننى أستطيع أن أتعامل مع جماعات الضغط اليهودى ،

إن بعض الناس لا زالوا يأخذونه بخفة ، وهم فى ذلك مخطئين . فهو ذكى ومناور من الطراز الأول . وقد قال لى اليوم فكرة أعجبتنى ، فقد طلب إلىّ أن نكف عن تقديم مقترحات ومبادرات تحمل اسم الولايات المتحدة أو علمها ، وقال لى « إذا جاءتكم فكرة أو خطرت لك مبادرة ، فاعطوها لى وأنا أقوم بطرحها باعتبارها اقتراحا أو مبادرة مصرية » . ثم شرح لى الرئيس « السادات » أسبابه قائلا « إن شعوب المنطقة ترسب لديها شك كبير فى أى شىء تتقدمون به أو تتقدم به إسرائيل .

إذا تقدمت إسرائيل باقتراح وقبلته أنا ، فسوف أجد من يصيح فى وجهى بأن القبول باقتراح إسرائيل خيانة .

وإذا تقدمتم أنتم - أمريكا - باقتراح أو مبادرة وقبلته أنا ، فسوف أجد من يصيح فى وجهى بأن هذه تبعية .

وأما إذا تقدمت أنا باقتراح أو مبادرة ولم يعجب الآخرين ، فأقصى ما يمكن أن يقولوه إنه خطأ . ولكن عندما تقبلون أنتم اقتراحى أو مبادرتى ، وتقبله إسرائيل ، فإن هذا القبول سوف يبين أن رأينا هو الذى ساد ، وهذا فى حد ذاته يعطى المصريين نوعا من الرضا كفيل بتهدئة المشاعر ، وتجاوز الشكوك » . »

□

وكانت لدى « كيسنجر » أسئلة كثيرة استدعت حوارات متصلة .

● سأل (وبطريقة مباشرة) : « ما هى استراتيجيتكم تجاه إسرائيل ؟ هل هى مرحلة أولى تحولون فيها إسرائيل إلى دولة أصغر وأضعف ، ثم تنقضون عليها فى مرحلة ثانية بعد ١٠ - ١٥ سنة لتصفية وجودها ؟ .. إن « جولدا مائير » قالت لى إنك كتبت مقالة بهذا المعنى فعلا ، وقد قلت لها إننى لم أطلع عليها .»

● سأل : « ما هى قدرة الرئيس « السادات » على السير نحو تسوية سلمية خطوة بخطوة ؟ »

● سأل : « ما هى سلطة الرئيس « السادات » فى إحداث تغييرات أساسية فى النظام الاجتماعى فى مصر ؟ »

● سأل : « ما هى فرصة « المتطرفين العرب » فى نسف امكانيات التحرك نحو السلام ، ونحو إقامة علاقات صداقة متينة مع الولايات المتحدة ؟ »

● سأل : « هل تنجح المحاولات التى تجرى الآن لعقد اجتماع على مستوى القمة بين الرؤساء العرب ؟ إننى أتمنى أن لا يكون هناك مؤتمر . إذا انعقد مؤتمر قمة عربى الآن فهذه ستكون كارثة (disaster) - لأن مؤتمرات القمة لا بد أن تنجح بسبب ضرورات الهيبة اللازمة

للمشاركين فيها ، وهذا يجعل نجاحها مرهونا بالتوصل إلى قاسم مشترك يتراضى معه الكل . ومثل هذا الآن قد يعطل خطط الرئيس « السادات » - فهل ترى أن احتمال عقد هذا المؤتمر قوى ؟ »

- سأل : « منذ متى كانت سيناء مصرية ؟ »

- سأل : « فهمت أن لك اعتراضات على النقط الست التى توصلنا إليها اليوم فما هى اعتراضاتك ؟ »

- سأل : « ما الذى تظن أن الاتحاد السوفيتى قادر على فعله مع الرئيس « السادات » فى مرحلة جديدة من العلاقات « بيننا وبينه » ؟ »

(أضاف أنه لم يكن يتصور أن العلاقات بين الرئيس « السادات » وبين الاتحاد السوفيتى قد تردت إلى هذا الحد ، وأن الرئيس « السادات » فاجأه بحملة عنيفة على الاتحاد السوفيتى إلى درجة أنه اضطر للدفاع عن السوفيت قائلا للرئيس « السادات » : « أنا لست معجبا بالنظام السوفيتى ، ولكنى لا أستطيع أن أرتب علاقات الولايات المتحدة الدولية على أساس ما إذا كان الآخرون خفيفى الظل أو ثقيلى الدم . اننا نضع ترتيبات علاقاتنا مع الاتحاد السوفيتى على أساس حقائق القوة وحدها » .)

- سأل : « إننى غدا مسافر إلى عمان ، وليست عندى مشكلة مع الملك « حسين » ، فأنا أعرفه وتعاملت معه . ولكن مشكلتى فى المحطة التالية بعد عمان ، وهى المقابلة مع الملك « فيصل » . وأنا متشائم من هذه المقابلة ، وأشعر أننى لا أستطيع أن أتعامل مع « فيصل » لأنه يبدو لى رجلا شديد التعصب . فهل تنصحنى بطريقة ما للتعامل معه ؟ »

(ولم يكن هناك أكثر من تذكيره بأن القدس هى الموضوع الحساس بالنسبة للملك « فيصل » ، وأنه إذا استطاع أن يعطيه إشارة مطمئنة عن القدس . فطريقه إلى الملك « فيصل » يمكن أن يكون مفتوحا . ورد « كيسنجر » مرددا مرتين « القدس .. هذه أكبر العقد فى المشكلة كلها » . ثم أضاف : « يظهر أن الطريق إلى فيصل مسدود ، ولا مفر أمامى من أن أسمعه مرة أخرى فى محاضرة عن العلاقة بين الصهيونية والشيوعية .. وتلك نظريته العظيمة فى تفسير التاريخ » !!)

٢

فى اليوم التالى ٨ نوفمبر كان « محمد حسنين هيكل » على موعد مع الرئيس « السادات » فى قصر الطاهرة لحديث شامل عن الموقف ، بما فى ذلك البحث فى النتائج التى أسفرت عنها زيارة « كيسنجر » واستخلاص ما يمكن استخلاصه منها .

وقد فوجىء « هيكل » عندما وصل إلى قصر الطاهرة فى الموعد المتفق عليه ، فوجد السيد « فوزى عبد الحافظ » سكرتير الرئيس ينتظره على باب القصر . واتجه إليه السيد « فوزى

عبد الحافظ «يقول له» اننا سندخل من باب جانبى لنصعد إلى الدور الثانى دون مرور على الدور الأول لأن السيد «حسين الشافعى» جاء طالبا مقابلة مع الرئيس فورا ، والرئيس لا يريد أن يقابله ، وهو مصمم أن ينتظر فى الصالون حتى يراه .»

. . . .

. . . .

[كان منظر السيد «حسين الشافعى» ، فى هذا الموقف ، داعيا لتأملات مثيرة للقلق بشأن عملية صنع القرار السياسى فى تلك الساعات الفاصلة من تاريخ مصر .

فهذا هو نائب الرئيس فى الدور الأول من قصر الطاهرة مصمم على انتظار مقابلة رئيسه ...

وفى الدور الثانى من القصر هناك الرئيس الذى صمم بدوره على ألا يقابل نائبه .

كان المنظر فى حد ذاته إشارة إلى أن عملية صنع القرار السياسى قد وصلت إلى مأزق شديد لم تصل إليه منذ٢٣ يوليو ١٩٥٢ حين قامت الثورة .

وقبل ٢٣ يوليو لم يكن صنع القرار المصرى من اختصاص أهل البلاد ، وإنما كان قسمة موزعة بين السفارة البريطانية والقصر الملكى .

وبعد الثورة فقد انتقل صنع القرار الوطنى لأول مرة إلى أهل البلاد ، وإن كان الإنصاف يستوجب القول أن هذه العملية الحيوية فى توجيه المصائر لم تتكرس داخل مؤسسات – لكنه من العدل فى نفس الوقت أن يقال إن العملية كانت تجرى فى إطار دوائر متصلة تتفاعل فيها الآراء ، ويجرى التشاور ، وتتلاقى الاجتهادات .

فى مرحلة من المراحل كانت هناك دائرة مجلس قيادة الثورة ، ثم دائرة المجلس المشترك بين مجلس قيادة الثورة ومجلس الوزراء ، ثم أضيفت إلى ذلك دائرة التنظيم السياسى ، ثم ظهرت مجموعات من الوزراء الفنيين اكتسبوا أسبابا للقوة السياسة («محمود فوزى» – «عزيز صدقى» – «عبد المنعم القيسونى» – «سيد مرعى» – «عبد القادر حاتم» – «مصطفى خليل» – «حسن عباس زكى» – «محمود رياض» – «صدقى سليمان» – «ثروت عكاشة» – وغيرهم) – ثم برزت دائرة أخرى يمثلها رؤساء المؤسسات الكبرى ، كمجلس الانتاج ، ومجلس الخدمات ، وهيئة قناة السويس ، والهيئة العامة للتصنيع ، والهيئة العامة للبترول .

ثم توافق ظهور هذه الدوائر كلها مع ظرف وجد فيه صانع القرار المصرى نفسه مسئولا أمام دائرة أوسع من مدى سلطته ، وهى محيط الرأى العام العربى العريض الذى كان سندا رئيسيا لأى قرار مصرى دون أن يملك القرار المصرى أمامه غير منطق الإقناع الذى يتحقق فى حالة واحدة فقط ، وهى أن يكون القرار فى حد ذاته مقنعا .

وكانت هذه الدوائر المتعددة كلها تضم نخبا سياسية مختلفة ومتنوعة ، داخلة على نحو أو آخر فى عملية صنع القرار .

لكن هذه النخب بدلا من أن تتحول إلى العمل داخل مؤسسات ، راحت مع الأيام تتفرق وتتباعد – وتتضاءل بالتالى قيمتها وتأثيرها على القرار .

ولم يعد باقيا على الساحة إلا أجهزة بيروقراطية نزفت حيويتها ، واستكانت إلى فلسفة تقبل تنفيذ ما يطلب منها وتعفى نفسها من مسئوليته .

وفى العالم المتقدم فإن بيروقراطية الدولة تعتبر مستودع الخبرة المتراكمة ، وهذا اعتبار يفرض على صانع القرار السياسى احترامها ، خصوصا إذا كان اعتمادها فيما تفتى أو تشير به يقوم على أسس من الثوابت الوطنية التى لا يجوز للقرار السياسى أن يتجاوز خطوطها المرسومة والمقررة .

لكن البيروقراطية المصرية كانت سيئة الحظ . فمن سلطة الاحتلال ، إلى سلطة القصر . إلى سلطة الثورة ، إلى السلطة الفردية وأحيانا الشخصية – تعودت هذه البيروقراطية أن تطيع ولا تناقش متعللة بأن مسئوليتها هى التنفيذ على طريقة « عبد المأمور » .

وهكذا راحت فكرة « الحكم » تنكمش وتنكمش ، وتضيق دوائرها وتضيق حتى تحولت إلى ما يشبه حلقة خاتم يوضع فى أصبع رجل !

ووصل الأمر إلى حد أن نائب الرئيس فى صالون قصر الطاهرة مصمم على لقاء رئيسه .

والرئيس فى غرفة نومه لا يريد مقابلة نائبه .

والمنظر فى حد ذاته شاهد على مأزق – لكن تسارع الحوادث لا يترك الوقت فسيحا للتأملات لزائر يدخل من باب جانبى فى قصر الطاهرة صاعدا على السلم من الدور الأول إلى الدور الثانى !]

. . . .

. . . .

كان الرئيس « السادات » ينتظر ضيفه (« محمد حسنين هيكل ») فى غرفة النوم الرئيسية فى قصر الطاهرة ، وكان خارجا لتوه بعد حمام دافىء ، كما أن ثوب الاستحمام (البرنس) الأبيض كان لا يزال يلفه وقد دخل به بين أغطية الفراش . وقد بادر بإظهار تعبه بعد الجهد الذى بذله فى الأسبوع السابق كله فى محاولة تثبيت وقف إطلاق النار وفى الاستعداد لزيارة « كيسنجر » . وبالفعل كان له الحق أن يكون متعبا .

كان الرئيس « السادات » متحفظا ، وكان يعرف بالطبع أن ضيفه كانت له ملاحظات على شكل وموضوع ما حدث بالأمس مع « هنرى كيسنجر » . وبالتأكيد فقد زادت عليها ملاحظات إضافية بعد مقابلته لـ « كيسنجر » . وحين حاول « هيكل » أن يبدأ بملاحظاته طلب إليه الرئيس « السادات » أن ينتظر (ولا داعى لدبدبة حوافر الخيل فى الأرض بالتحفز قبل أن تنطلق إلى السباق) حتى ما بعد فنجان شاى أو نعناع . وفى هذه الفسحة من الوقت كان الرئيس « السادات » يروى هادئا بعض انطباعاته من مقابلته لـ « كيسنجر » . وكان من المحقق أن وزير الخارجية الأمريكى قد تحول فى خيال الرئيس « السادات » إلى بطل أسطورى قادر على شق طريقه بقوة من نجاح إلى نجاح فى خط متصل حتى نهاية الأفق .

ثم جاء الدور على « هيكل » فبدأ من حيث انتهى الرئيس « السادات » ، قائلا « إن الرجل فعلاً يستحق الإعجاب ، لكننا يجب أن نفصل بين الإعجاب العام أو الخاص وبين المصلحة الوطنية

والقومية » .(٣) ثم قال : « إننى واحد من المعجبين مثلك بهنرى كيسنجر ، وأنا أعتقد أنه ربما ينجح فى حل أزمة الشرق الأوسط . وربما أقول بدقة إننى أخشى أن ينجح كيسنجر فى حل أزمة الشرق الأوسط ، ومبعث خشيتى هو أن نجاحه سوف يكون وفق قانونه هو وليس وفق أى قانون آخر . أى أن نجاحه قد لا يكون بالضرورة نجاحا لنا . ولذلك فإنه من ألزم الأشياء أن نسأل أنفسنا : « ما هى أهداف كيسنجر فى أزمة الشرق الأوسط وفى محاولته الراهنة لحلها » ؟ »

ثم قال « هيكل » : « إن معى الآن مجموعة الأوراق التى كتبتها حتى الفجر بتفاصيل حوارى مع « كيسنجر » ، وبما استطعت استخلاصه من هذا الحوار . وأريد أن أقول لك بأمانة انطباعاتى :

١ – إن الهدف الأول لـ « هنرى كيسنجر » فى الشرق الأوسط هو حماية وضمان أمن إسرائيل .

٢ – « هنرى كيسنجر » قد لا يوافق على توسع إسرائيل حتى الخطوط التى احتلتها حتى ٥ أكتوبر ١٩٧٣ ، لكنه لا يوافق على عودة إسرائيل إلى خطوط ما قبل ٥ يونيو ١٩٦٧ .

٣ – مطلب « كيسنجر » الأساسى من العرب هو استمرار تدفق البترول دون انقطاع ، وبأسعار معقولة . ومع أن البترول فى هذه اللحظة ليس قضية موت أو حياة ، فإنه فى مطلق الأحوال مطلب للقوة الاستراتيجية والقوة الاقتصادية يريدون احتكار أمره فى أيديهم بغير شريك .

٤ – إن « كيسنجر » يهدف إلى إعادة تثبيت النفوذ الأمريكى كاملا ومنفردا فى المنطقة .

٥ – إن « كيسنجر » يهدف إلى طرد الاتحاد السوفيتى من المنطقة بالكامل ، بادئا بإخراج السلاح السوفيتى منها . ونظرا لالتزامه بسياسة الوفاق وحرصه عليها ، فإن الولايات المتحدة لن تكون هى المتصدرة لعملية طرد الاتحاد السوفيتى من المنطقة ، وإنما هى تريد أن تترك هذه المهمة للقوى المحلية من دول المنطقة .

٦ – إن أول مطالب « هنرى كيسنجر » فى هذه اللحظة هى بدء مفاوضات مباشرة بين العرب وإسرائيل ، عسكرية – عسكرية ، وسياسية – سياسية ، وغدا اقتصادية – اقتصادية ، ومقصده من ذلك انتهاز الفرصة لكسر الحاجز النفسى الذى يمنع العرب من التعامل مع إسرائيل . يريد أن يجعل هذا التعامل المباشر ممكنا ، ثم يريده بعد ذلك عادة يتقبلها الرأى العام دون حساسية ، ثم يريد فى النهاية أن يحول العادة إلى أمر طبيعى يمارس فى حياة كل يوم . وهو يظن أن كسر الحاجز النفسى سوف يترتب عليه كسر حالة التعبئة المعنوية بالضرورة . والحواجز النفسية مواد غير مرئية . شفافة كأنها الزجاج . وهى مثله ، إذا انكسرت استحالت استعادتها مرة أخرى فى صلابتها الأصلية .

٧ – إن « هنرى كيسنجر » لا يريد التعامل مع أزمة الشرق الأوسط ككل ، وإنما يريد أن يتعامل مع كل دولة على حدة بعد عزلها والانفراد بها بعيدا عن الآخرين .»

---

(٣) نشرت كل الحجج التى أبديتها فى هذا اللقاء مع الرئيس « السادات » فى مقال بعنوان « كيسنجر ومعنى النجاح » ظهر فى « الأهرام » يوم ٤ يناير ١٩٧٤ .

كان الرئيس « السادات » يسمع ممددا فى فراشه وقد غطته الملاءات البيضاء حتى وسطه ، بينما كان رداء ما بعد الاستحمام الأبيض أيضا يغطى صدره حتى رقبته . وكان كما يفعل أحيانا قد أسدل جفنيه على عينيه يسمع . ومع ذلك ، فإن بعض الخلجات من تعبيرات وجهه كانت تعكس نوعا من نفاد الصبر مما يسمعه . وكان تعليقه ، بعد فترة من الصمت ، أن كل ما سمعه ليس فيه جديد عليه ، فهو يعرفه كله ويتوقعه . والمشكلة أن محدثه ليس على نفس الموجة معه . وقد شرح موقفه أكثر بقوله : « أنت تتصور أننى أقوم بفك اشتباك مع إسرائيل ، وليس ذلك ما أفعله . وهذا هو الغلط الذى وقعت فيه . ما أقوم به هو فك اشتباك مع أمريكا وليس مع إسرائيل . ونحن تمادينا فى الاشتباك مع أمريكا إلى درجة ما حدث لنا سنة ١٩٦٧ . وأنت كنت تكتب كثيرا وتطالب بـ « تحييد أمريكا » ، وذلك ما أفعله الآن ، لكنك لم تفهم قصدى . أخذته على ظاهره وتصورت أننى أفك الارتباط مع إسرائيل ، وأنا فى الواقع أفك الارتباط مع أمريكا . هل أنا واضح ؟ » ودارت مناقشة بدا فيها اختلاف وجهات النظر شديدا مع الاتفاق على نقط بداية لم يكن عليها خلاف :

١ - أن تحييد أمريكا هدف مطلوب ، فنحن لا نستطيع أن نتحمل تكاليف صراع مباشر بـ « التناطح » مع الولايات المتحدة .

٢ - أن المتغيرات العالمية تقتضى بالفعل سياسات متوازنة فى العلاقات الدولية خصوصا إزاء سياسات الوفاق وانتهاء الحرب الباردة .

٣ - أن المجتمع المصرى يحتاج فعلا إلى نظرة سياسية واجتماعية واقتصادية أوسع لأن قوى هذا المجتمع نتيجة لتجارب التنمية والصراع ، قد أصبحت أكبر من كل الاجتهادات والتنظيمات المطروحة أو العاملة على الساحة - تسعى لتوجيه حركة هذه القوى .

٤ - أن التحدى الذى ينتظره هو : كيف يستطيع تحقيق هذه الأهداف دون أن ينزلق من فك الاشتباك مع الولايات المتحدة إلى شىء آخر ، وكيف يتم له ذلك دون أن يجد نفسه معزولا عن غيرها ومحصورا فى ذات الدائرة مع إسرائيل ، وكيف دون أن يجد نفسه بعيدا عن العالم العربى غير قادر على تحقيق التنمية ، وهى مستحيلة فى إطار بلد عربى واحد حتى وإن كان أكبر البلاد العربية وأقواها ؟

وأبدى الرئيس « السادات » أنه متنبه وواع للتحديات ، وسوف يواجهها كما واجه أكتوبر « بالضبط » - وأن له طريقه وطريقته الخاصة ، ومن الواجب أن يعطيه الآخرون هذه الفرصة .

وفى نهاية نقاش صريح ، كان ذلك حقه ، ثم إن سلطته الشرعية والدستورية تعطيه هذا الحق .

٣

كان المقرر أن يكون التوقيع بين مصر وإسرائيل على اتفاق النقاط الست فى إطار محادثات الكيلو ١٠١ على طريق السويس . وكان ذلك اقتراح « كيسنجر » . وفى يوم ٨ نوفمبر التقى الجانبان المصرى والإسرائيلى فى الموعد المحدد وفى المكان المتفق عليه . ولكن « جوزيف سيسكو » كان لا يزال فى إسرائيل لأن السيدة « جولدا مائير » كانت تبدى التمنع فى الموافقة على بعض الكلمات فى النقاط الست .

(رغم أنها صاحبة فكرتها ومشاركة فى صياغتها طبقا لمذكرات « هنرى كيسنجر ») .

ومع ذلك فقد باشر الاجتماع العسكرى عند الكيلو ١٠١ عمله فى مناقشات حول مجمل النقاط الست ، لأن كلا الوفدين لم يكن يعرف تماما نتيجة مباحثات « سيسكو » حول النصوص النهائية . وكان المحضر الرسمى الذى كتبه اللواء « الجمسى » لهذا الاجتماع على النحو التالى :(*)

« **سرى للغاية**

هيئة عمليات القوات المسلحة

٨ نوفمبر ١٩٧٣

محضر الجلسة السادسة

للوفد العسكرى المصرى مع الجانب الإسرائيلى

٨ نوفمبر ١٩٧٣

☐ **أولا : الحاضرون :**

١ - من الجانب المصرى :

أ - لواء محمد عبد الغنى الجمسى

ب - عقيد أح أحمد فؤاد هويدى

٢ - من الجانب الاسرائيلى :

أ - جنرال ا . ياريف

ب - عقيد د. سيون

جـ - عقيد ا . ليفران

(*) فى ملحق صور الوثائق توجد صورة من أصل هذا المحضر ، وهى منشورة تحت رقم (١٣١) . على صفحة ٨٧٣ من الكتاب .

٣ - من الأمم المتحدة :

أ - مقدم ميرجولا

ب - نقيب كافين

□ ثانيا : الوقت والمكان :

٤ - تم الاجتماع بناء على طلب الجانب الإسرائيلى فى الفترة من سعت ١٥٠٠ ٠٨ حتى سعت ١٦٣٠ ٠٨.

٥ - وذلك فى منطقة كم ١٠٣ طريق السويس / القاهرة .

□ ثالثا : ملخص لما دار فى الجلسة :

٦ - بدأ الجنرال ياريف الجلسة قائلا إنه ليس سرا أن المستر سيسكو فى إسرائيل ، ولم تنتهى بعد المناقشات حول المقترحات التى يحملها .

وقد رأينا أن يتم الاجتماع رغم ذلك لتبادل الأفكار حول الموضوعات المطروحة .

٧ - نوقشت موضوعات تبادل الأسرى الجرحى ، وموقف الأسرى الباقين ، وجثث القتلى ، وإمداد مدينة السويس ، واستمرار إمداد الجيش الثالث ، ووضحت الأفكار التالية لكلا الجانبين :

أ - اتفق الجانبان على أن موضوع العودة إلى خطوط ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣ وفض الاشتباك هو الموضوع الأساسى والذى بحله تحل كل المشاكل الأخرى ، وهو ما ذكر فى البند ٢ من المقترحات الأمريكية ، وأن يبدأ بحثه فى الجلسة القادمة حيث ما زال موضع دراسة الحكومة الإسرائيلية .

ب - بالنسبة للأسرى الجرحى :

(١) أكد الاتفاق السابق على تبادل الجرحى الأسرى الإسرائيليين (٤٤ فردا) مقابل الجرحى الأسرى المصريين + حالات الإصابة الخطيرة فى كل من مدينة السويس ورأس كوبرى الجيش الثالث (٧١٤ فردا) .

(٢) أثار الجانب المصرى ضرورة إخلاء كافة الجرحى من مدينة السويس من المدنيين والعسكريين ، وهم حوالى ١٢٠٠ حالة ، حيث أوصى الصليب الأحمر بحاجتهم جميعا إلى الإخلاء ، وعلق الجانب الإسرائيلى بارتباط ذلك بموضوع كشوف أسماء الأسرى .

جـ - بالنسبة لموضوع كشوف أسماء الأسرى الإسرائيليين فى مصر وتبادلهم ، فقد أوضح الجانب المصرى ارتباط ذلك بموضوع فض الاشتباك .

د - وافق الجانب المصرى على مبدأ تسليم جثث القتلى على أن يبحث أسلوب تنفيذ ذلك بين ممثلى الجانبين والصليب الأحمر .

هـ - بالنسبة لمدينة السويس :

(١) أوضح الجانب المصرى نظرته إلى أسلوب معاملة المدينة كما يلى :

(أ) يتم إمداد يومى للمدينة بـ ١٦٠ طن من المواد التموينية والطبية والملابس والمياه .

(ب) يسمح بحرية حركة المدنيين من وإلى المدينة بلا قيود .

(ج) يسمح بالمواصلات التليفونية والخدمات البريدية للمدينة .

(د) تعود الحياة الطبيعية للمواطنين بها .

(هـ) يتم التأكد من طبيعة الإمدادات فى المدينة بواسطة نقط تفتيش الأمم المتحدة فقط .

(٢) علق الجانب الإسرائيلى بالآتى :

(أ) إن الاقتراح الأمريكى شمل فقط الإمداد بالمواد التموينية والطبية والمياه إلى جانب إخلاء الجرحى .

(ب) إن مطالب الجانب المصرى بالنسبة للمدينة جديدة تماما وستنقل إلى القيادات المختصة .

علما بأن الجانب الاسرائيلى يرى أنها مدينة معزولة ... « cut off city » .

و - بالنسبة للإمداد المستمر للجيش الثالث :

(١) أوضح الجانب المصرى أن مفهوم الاقتراح الأمريكى هو :

(أ) الإمداد اليومى المستمر إلى الجيش الثالث بالمواد الغير عسكرية وبدون قيود على الكميات .

(ب) التفتيش للتأكد من طبيعة الإمداد يتم من الجانب الإسرائيلى فى منطقة التفريغ والشحن على الضفة الغربية للقناة .

(جـ) يستمر السائقون المصريون فى قيادة العربات حتى منطقة التفريغ والتحميل .

(٢) علق الجانب الإسرائيلى بأنهم يتصورون الموقف كما يلى :

(أ) يستمر الإمداد بالكميات التى يتفق عليها الجانبان ، ويطلبون مقترحاتنا فى هذا الشأن .

(ب) تستمر الترتيبات الجارية حاليا من حيث تولى سائقى الأمم المتحدة قيادة العربات من نقطة التفتيش الإسرائيلية (كم ١٠١) حتى منطقة التفريغ والشحن .

ز - بحث موضوع طريق القاهرة / السويس وطرح الجانبين رأى كل منهما كما يلى :

(١) يرى الجانب المصرى أن الطريق سيخلى تماما من جانب القوات

الإسرائيلية ، ويوضع تحت إشراف الأمم المتحدة التى تباشر التفتيش للتأكد من طبيعة الإمداد إلى مدينة السويس والجيش ، وأن الجانب الإسرائيلى يتواجد له فقط ضابط أو أكثر فى نقطة التفريغ والتحميل لإمدادات الجيش الثالث غرب القناة للتأكد من طبيعة الإمدادات إلى الجيش شرق القناة فقط .

(٢) وكان رأى الجانب الإسرائيلى أن الطريق توضع عليه نقط تفتيش للأمم المتحدة ، ولكن تستمر حركة القوات الاسرائيلية على الطريق ، وكذلك نقاط تفتيشها مع الموافقة على تفتيش إمدادات الجيش الثالث فى منطقة التفريغ والتحميل على الضفة الغربية ، وإنهم يرون تفتيش الإمدادات إلى مدينة السويس .

٨ - اعتبر الجانبان هذا الاجتماع تبادلا لوجهات النظر بالنسبة لمفهوم كل منهما للاقتراح الأمريكى ، على أن يبدأ الاجتماع القادم فى بحث أسلوب تنفيذ الاقتراح ككل بعد أن يكون قد تم الموافقة رسميا عليه من الجانب الإسرائيلى .

٩ - اتفق على أن يتم الاجتماع القادم يوم السبت ١٠ / ١١ الساعة ١٤٠٠ فى نفس المكان .

التوقيع :
لواء / محمد عبد الغنى الجمسى
نائب رئيس أركان حرب
ورئيس هيئة عمليات القوات المسلحة »

□

ويوم ٩ نوفمبر وافقت « جولدا مائير » على نصوص النقاط الست . وتقرر أن يتم التوقيع عليها خلال اجتماع لمحادثات الكيلو ١٠١ بحضور قائد قوات الطوارىء الدولية الجنرال « سيلاسيفو » ، ذلك لأن الدكتور « هنرى كيسنجر » رأى أن تتم الخطوة الأخيرة فى اتفاق فك الارتباط داخل إطار تتواجد فيه الأمم المتحدة بشكل من الأشكال . لكن ما يستوقف النظر أنه أحال النقاط الست إلى « كورت فالدهايم » السكرتير العام للأمم المتحدة مرفقة بخطاب منه بدأه بالعبارة التالية :

« عزيزى السكرتير العام

لى الشرف أن أخطركم بأن حكومتى مصر وإسرائيل على استعداد لقبول الاتفاق التالى بهدف تطبيق المادة الأولى من قرار مجلس الأمن ٣٣٨ والمادة الأولى من قرار مجلس الأمن ٣٣٩ . ونص اتفاقهما هو كما يلى :»

(أى أن « كيسنجر » - باسم الولايات المتحدة - هو الذى يتولى ومنفردا إخطار السكرتير العام للأمم المتحدة بنصوص اتفاق جرى التوصل إليه بين البلدين تحت رعايته) .

وبدأت الجلسة السابعة من جلسات محادثات الكيلو ١٠١ . ومن الغريب أن الخلافات بين الوفدين تفجرت أثناء اجتماع التوقيع على الاتفاق إلى درجة أن الجنرال « سيلاسيفو » اقترح رفع الجلسة حتى يقوم هو بمفاوضات مع كل فريق من الفريقين على حدة بغية تقريب وجهات النظر . وقد ظلت اختلافات وجهات النظر قائمة ، ولكن ذلك لم يؤخر توقيع الاتفاق (!) وكان محضر الجلسة على النحو التالى :

« سرى للغاية

جمهورية مصر العربية

وزارة الحربية

هيئة عمليات القوات المسلحة

التاريخ : ١١ / ١١ / ١٩٧٣

محضر الجلسة السابعة(*)

للوفد العسكرى المصرى مع الجانب الإسرائيلى

١١ نوفمبر ١٩٧٣

□ أولا : الحاضرون :

١ - من الجانب المصرى :

أ - لواء محمد عبد الغنى الجمسى	وزارة الحربية
ب - عقيد أح أحمد فؤاد هويدى	وزارة الحربية
ج - المستشار فوزى الابراشى	وزارة الخارجية
د - سكرتير ثالث محمد اسماعيل	وزارة الخارجية

٢ - من الجانب الاسرائيلى :

أ - جنرال ياريف
ب - جنرال أيال
ج - عقيد سيون
د - عقيد افيران

٣ - من الأمم المتحدة :

أ - الجنرال سيلاسيفو	قائد قوات الطوارىء الدولية

(*) فى ملحق صور الوثائق توجد صورة للصفحة الأولى من محضر هذا الاجتماع ، وهى منشورة تحت رقم (١٣٢) - على صفحة ٨٧٢ من الكتاب .

ب - المستر جورجيه	المستشار السياسى للقوات
جـ - المستر جونا	المستشار القانونى للقوات

□ ثانيا : الوقت والمكان :

٤ - تم الاجتماع بناء على اقتراح من السكرتير العام للأمم المتحدة لتوقيع اتفاق النقاط الست التى تم الاتفاق عليها مسبقا بين كل من حكومة جمهورية مصر العربية وإسرائيل .
تنفيذا للبند الأول من قرارى مجلس الأمن ٣٣٨ ، ٣٣٩ بتاريخ ٢٢ ، ٢٣ أكتوبر ١٩٧٣ .

٥ - وذلك فى الفترة من سعت ١٥٠٠ ١١ حتى سعت ١٧٣٠ ١١ فى منطقة كم ١٠١ طريق القاهرة / السويس تحت إشراف الأمم المتحدة وبرئاسة الجنرال سيلاسيفو مندوبا عن السكرتير العام للأمم المتحدة .

ثالثا : ملخص لما دار فى الجلسة :

٦ - افتتح الجلسة الجنرال سيلاسيفو بكلمة ذكر فيها أنه ممثلا للسكرتير العام للأمم المتحدة يرأس هذا الاجتماع لتوقيع اتفاق النقاط الست التى أرسلت إلى السكرتير العام من وزير الخارجية الأمريكى دكتور كيسنجر .

٧ - تم توقيع الاتفاق على النموذج الذى أعدته سكرتارية الأمم المتحدة من ثلاث أصول باللغة الانجليزية ، والمرفق صورته متضمنا النقاط الست السابق الاتفاق عليها بين الحكومتين .

وقد وقع عن الجانب المصرى اللواء محمد عبد الغنى الجمسى وعن الجانب الإسرائيلى الجنرال أ . ياريف ، وعن الأمم المتحدة الجنرال سيلاسيفو .

٨ - ذكر الجنرال سيلاسيفو بعد التوقيع على الاتفاق أن الاتفاقية تنص فى البند "E" منها على دور يتعين على الأمم المتحدة القيام به ، وأن تفسيره لهذا البند هو أن قوات الطوارىء الدولية تحل محل نقط التفتيش الإسرائيلية على طريق السويس ، وإخلاء الطريق من كم ١٠١ حتى مدينة السويس وقناة السويس من القوات والتحركات الإسرائيلية العسكرية ، وأنه بمجرد اتمام ذلك يتعين على الجانب المصرى التنفيذ الفورى لتبادل الأسرى بما فيهم الجرحى وفقا للبند "F" من الاتفاقية .

٩ - رد الجنرال ياريف بأن هذا التفسير من جانب الجنرال سيلاسيفو لا يمكن قبوله بواسطة الجانب الإسرائيلى ، ولا يوجد فى الاتفاقية نص على ذلك . وكل ما نصت عليه هو استبدال نقط التفتيش الإسرائيلية بنقط تفتيش من قوات الطوارىء الدولية . كما لا يمكن قبول إيقاف التحركات العسكرية الإسرائيلية على الطريق .

١٠ - طلب الجنرال سيلاسيفو تفسير الجانب المصرى لهذا البند ، ورد اللواء الجمسى بأنه يجب إخلاء الطريق نهائيا من القوات والتحركات الإسرائيلية ، ويوضع فى المنطقة من كم ١٠١ حتى السويس والقناة تحت اشراف الأمم المتحدة .

١١ - طلب الجانب المصرى مناقشة إمداد مدينة السويس والإمدادات إلى الضفة الشرقية للقناة جنبا إلى جنب مع النقاط السابقة .

وقد رد الجانب الإسرائيلى أن تبدأ المناقشة بموضوع تبادل الأسرى الجرحى وغير الجرحى وجرحى مدينة السويس .

١٢ - نظرا للتعارض فى وجهات النظر اقترح الجنرال سيلاسيفو رفع الجلسة ، وأن ينتظر كل جانب فى مقره (خيمة) ويقوم هو بمناقشات غير رسمية مع كل جانب على حدة لتقريب وجهات النظر .

١٣ - ونتيجة للمناقشات مع الجانبين اقترح الجنرال سيلاسيفو الآتى :

أ - من الضرورى البدء فورا فى استبدال نقط التفتيش الإسرائيلية بنقط تفتيش من هيئة الأمم .

ب - أن يكون تموين مدينة السويس والقوات بالضفة الشرقية للقناة عن طريق قولات تحت حراسة هيئة الأمم .

جـ - لا يسمح بالتحركات المصرية الفردية على الطريق منعا للاحتكاكات .

د - أن يتم الإمداد والتحركات نهارا فقط .

هـ - أن يخلى الطريق من التحركات العسكرية الإسرائيلية أثناء سير القولات للمدينة والقوات على الضفة الشرقية .

و - يسمح باشتراك الضباط الإسرائيليين فى التفتيش على الإمدادات التى ترسل إلى الضفة الشرقية للقناة على أن يتم ذلك على الضفة الغربية للقناة .

١٤ - وقد أوضح الجانب المصرى أن إمداد مدينة السويس يجب ألا يكون قاصرا على الأصناف الثلاثة التى وردت فى الاتفاقية وهى المواد الغذائية - والمياه - والأدوية ، بل يجب أن يشمل جميع المواد غير العسكرية التى تحتاجها المدينة ، وألا يكون هناك قيود على الكميات التى ترسل إلى المدينة ، وأن يسمح بحرية الخروج والدخول من وإلى المدينة للمدنيين ، وأن يكون سائقو العربات مصريين .

وفيما يختص بإمداد القوات على الضفة الشرقية أوضح الجانب المصرى أنه لا قيود على الكميات أو الأصناف الغير عسكرية ، وأن يكون السائقون مصريين .

١٥ - بعد أن أجرى الجنرال سيلاسيفو مشاوراته الجانبية مع الجانب الإسرائيلى عاد وقدم المقترحات التالية كمحاولة للتوفيق :

أ - تفتح نقط تفتيش مشتركة من قوات الطوارىء والقوات الإسرائيلية على طريق مصر / السويس فى المنطقة من كم ١٠١ وشرقا .

ب - يقدم الجانب المصرى للجانب الإسرائيلى كشفا يتضمن جميع أسماء الأسرى الإسرائيليين . ويتفق على جدول زمنى لتبادل جميع الأسرى .

جـ - تسحب إسرائيل قواتها من نقط التفتيش المشتركة فى الوقت الذى تبدأ فيه

تحرك الطائرات التى تحمل الفوج الأول من الأسرى الجرحى للجانبين الذين سيتم تبادلهم .

١٦ - أكد الجانب المصرى موقفه المذكور بالبند « ١٤ » وذكر أنه يرى تنفيذ البنود الأربعة الأخيرة من الاتفاقية (مدينة السويس وإمداد القوات شرق القناة - نقطة تفتيش الأمم المتحدة - تبادل الأسرى بما فيهم الجرحى) فى صفقة واحدة لا تتجزأ .

١٧ - اتفق على عقد اجتماع باكر ١٢ / ١١ / ١٩٧٣ سعت ١٢٠٠ فى نفس المكان لمناقشة البنود الأربعة كصفقة واحدة .

وذلك بعد عودة كل جانب إلى رئاسته للرأى .

☐ المقترحات :

١٨ - تنفيذا للاتفاقية التى تم توقيعها اليوم ١١ / ١١ / ٧٣ ولضمان استمرار إمداد مدينة السويس والقوات شرق القناة ، نقترح فى حالة اتفاق وجهتى النظر البدء فى التنفيذ الفعلى للاتفاقية اعتبارا من سعت ٠٨٠٠ يوم ١٣ / ١١ / ٧٣ على النحو التالى :

أ - تبدأ نقط تفتيش قوات الأمم المتحدة عملها بعد إخلاء الطريق من جميع نقط التفتيش الإسرائيلية .

ب - يتم تسليم الجانب الإسرائيلى كشف بجميع أسرى الحرب الإسرائيليين .

جـ - يتم تسليم الجانب المصرى كشف بباقى الأسرى المصريين .

د - مرور قول الإمداد الأول إلى مدينة السويس .

هـ - مرور قول إمداد إلى الجيش الثالث .

و - بدء تبادل الأسرى الجرحى جوا طبقا للبرنامج الزمنى الموضوع (يستغرق حوالى ٧ أيام)

ز - بدء إخلاء جرحى مدينة السويس .

١٩ - بعد الانتهاء من تبادل الأسرى الجرحى ، وجرحى مدينة السويس ، يستمر تبادل باقى الأسرى طبقا لبرنامج زمنى يوضع ويتفق عليه بحيث يسلم آخر أسير إسرائيلى مع وصول آخر أسير مصرى .

٢٠ - يتم الاتفاق مع الجانب الإسرائيلى على البدء فورا فى المناقشة لتنفيذ البندين أ ، ب من الاتفاقية .

التوقيع :

لواء / محمد عبد الغنى الجمسى

نائب رئيس أركان حرب

ورئيس هيئة عمليات القوات المسلحة .

الفصل الثامن

مابعد المهرجان !

١

كانت القاهرة أثناء زيارة « كيسنجر » لها تعيش سياسيا فى جو أشبه ما يكون بأجواء مهرجان كبير يأخذ بمشاعر الناس دون أن يتيح لهم فرصة للتفكير فى حقائق ما يجرى وراء الأصوات العالية والألوان الصاخبة والعروض المثيرة . لكن المهرجانات مثل العواصف لا بد لها بعد ذلك من لحظة حقيقة يصحو فيها الناس للتفكير فيما عاشوه أو شاهدوه ، خصوصا إذا كان عليهم أن يتحركوا بعد السهر إلى ضرورات الواقع الذى ينتظرهم .

كان الرئيس « السادات » بعد انتهاء المهرجان أمام مشكلة حقيقية إزاء الرأى العام المصرى . ولم يكن واثقا أن هذا الرأى العام جاهز ومستعد لكى « يبلع » كل الميزات التى حصل عليها « هنرى كيسنجر » . وإذن فإن علامات استفهام كبيرة سوف تظهر دون جدال على آفاق السياسة المصرية ، وقد تتحول هذه العلامات إلى ما يتعدى الاستفهام ويتجاوزه :

● **فمثلا** – كيف يمكن أن يتقبل الرأى العام المصرى عودة العلاقات الدبلوماسية – بهذه العجلة – مع الولايات المتحدة ، وهى البلد الذى زود إسرائيل ، ولا يزال يزودها بمدد مستمر من السلاح حتى أثناء معركة لا يختلف أحد على هدفها المشروع طبقا للقانون الدولى نفسه – وهو هدف زحزحة احتلال أمسك بخناق أرض عربية ومصرية .

● **ومثلا** – كيف يمكن أن يتقبل الرأى العام المصرى تعهدا برفع الحصار البحرى عن باب المندب – دون حصول مصر على شىء فى مقابل هذا التعهد .

● ومثلا - كيف يمكن أن يتقبل الرأى العام المصرى فكرة الدعوة لمؤتمر « سلام تفاوضى » ، مما يظهر أن كلمة المؤتمر هى مجرد شكل ، وأما وصف التفاوض فهو القصد المطلوب . وكيف يمكن الرضا بذلك بينما الأرض ما زالت محتلة .

وأمثلة كثيرة أخرى .

□

وفيما يبدو فإن الرئيس « السادات » ناقش أسباب الحرج الذى يمكن أن تثيره هذه التساؤلات وغيرها فى أوساط الرأى العام المصرى - مع وزير خارجيته السيد « اسماعيل فهمى » . ويظهر ذلك جليا من نص مذكرة كتبها وزير الخارجية ، وجاء فيها - ضمن ما جاء - ما يلى بالحرف :(*)

« سرى للغاية
٨ نوفمبر ١٩٧٣
مذكرة للعرض على السيد الرئيس

أتشرف بأن أرفق مع هذا :

□ أولا - نص البيان الذى اتفق عليه بين مصر والولايات المتحدة فيما يتعلق برفع درجة رئيس قسم رعاية المصالح بين البلدين والموافقة من حيث المبدأ على إعادة العلاقات الدبلوماسية (مرفق رقم ١) .

- وقد توافقون سيادتكم على أن يكون تفسير هذا القرار هو أنه يمثل استجابة الولايات المتحدة لطلبنا تعيين ممثلين على مستوى عال للدولتين الأعظم فى القاهرة ، وقد سبق أن استجاب الاتحاد السوفيتى على تعيين ممثل على مستوى عال . وقد حضر بالفعل إلى القاهرة كوزينتسوف النائب الأول لوزير الخارجية السوفيتى - وأن تطور الأحداث وأهميتها استدعى رفع تمثيلنا فى واشنطن واختياركم الدكتور أشرف غربال لتمثيلنا هناك ، وأن حقيقة ما حدث هو أن مصر لم تعيد التمثيل الدبلوماسى الآن . هذا والموافقة من حيث المبدأ على إعادة التمثيل الدبلوماسى هى أمر طبيعى من الناحية الدبلوماسية ، فقد كانت العلاقات قائمة فى الماضى ومن المفروض أن تعود فى المستقبل .

□ ثانيا - . . . .

وأتشرف بأن أذكر أنه فى اجتماعى صباح اليوم (الخميس ٨ نوفمبر) مع كيسنجر أصررت على أن يبعث برسالة من الطائرة إلى تل أبيب يطلب فيها من إسرائيل عدم الإعلام عن موضوع التراخى فى باب المندب relaxation (بمعنى رفع الحصار) ، وأن موضوع التراخى فى باب المندب سيتم بهدوء . وقد وافقنى كيسنجر على ذلك .

(*) فى ملحق صور الوثائق توجد صورة للصفحة الأولى من مذكرة السيد « اسماعيل فهمى » ، وهى منشورة تحت رقم (١٢) . على صفحة ٨٧٤ من الكتاب .

- طلب مستر كيسنجر عدم إبلاغ حلفاء الولايات المتحدة وبالذات فرنسا وبريطانيا بشيء ، وأن يترك للولايات المتحدة القيام بمهمة إبلاغهم إرضاء لهم .

□ ثالثا - طلبت من كيسنجر أن يضع النقاط التى تم الاتفاق عليها بالنسبة لمؤتمر السلام كتابة تسجيلا لما اتفق عليه . وعندما قابلته الساعة السادسة والنصف من صباح اليوم (لتوديعه فى المطار) قمت بتعديل المشروع الذى أعده على الوجه التالى (المرفق رقم ٣) :

١ - حذفت كلمة « مفاوضات » كلية مع الاكتفاء بذكر المؤتمر .

. . . .

. . . .

هذا وقد حذفت جزءا كان واردا فى الورقة الأولى التى أعدها كيسنجر يحتوى على إشارة إلى الفقرة الثالثة من القرار رقم ٣٣٨ وهى الفقرة التى تشير إلى المفاوضات . وحذف كلمة « مفاوضات » من جميع الفقرات التى تشير إلى المؤتمر ، وذلك تمشيا مع الموقف العام .»

□

وهكذا كانت الممارسة العملية فى هذه الظروف تضيف قاعدة أخرى إلى مجموعة « القواعد الذهبية فى الأساليب السياسية » .

● **قبل زيارة « كيسنجر »** - جرى التوصل إلى قاعدة مقتضاها : « إنه يمكن للسياسى أن يقول للناس ما يظن أنهم يريدون سماعه ، ولكن هذا السياسى يستطيع أن يتصرف بالفعل وفى الواقع وفق ما يريده هو . »

● **وأثناء زيارة « كيسنجر »** - تم إرساء قاعدة ثانية مقتضاها : « إنه لا داعى لأن تقدم الأطراف الأخرى (أمريكا وإسرائيل) مبادرات تحمل أسماءها ، بل إنه من الأفضل أن يتقدم الجانب المصرى وتحت اسمه بكل المبادرات المقترحة . فهذا أسلم وأضمن .»

● **وبعد زيارة « كيسنجر »** - وقع اكتشاف قاعدة ذهبية ثالثة مقتضاها : « إن الكلمات والجمل أدوات طبيعية يمكن استعمالها مثل بعض أنواع الجوارب الجاهزة للاستعمال لكل المقاسات ، فهى قابلة للتضييق قابليتها للتوسيع . ومن هنا فإن بعض التعهدات يمكن إخفاؤها عن الناس ، وبعض الكلمات يمكن حذفها من البيانات ، وبعض النصوص يمكن تأويلها بحيث تصبح خيوطا مطاطية لها شكل الحرير وملمسه ، لا تجرح ولا تخدش ! »

□

وبعد يومين من مهرجان وعاصفة القاهرة ، كان « هنرى كيسنجر » فى بكين ، وقد ألح ممثلو الصحافة الذين كانوا معه فى القاهرة أن يشرح لهم بالتحديد ما أمكن التوصل إليه فى أزمة الشرق الأوسط .

وجلس « كيسنجر » فى بيت الضيافة الذى خصص لإقامته فى بكين – ساعة ونصف الساعة يشرح للوفد الصحفى المرافق له ما يظن أنه تحقق فى القاهرة . وقد ظهرت أقواله فى ملخص غير رسمى وغير مصرح بتداوله أو النقل عنه منسوبا إلى صاحبه ، بمعنى أن للصحفيين حق استعمال ما فيه من معلومات دون التزام بالنصوص ، وبغير إشارة صريحة إلى القائل .

وفى هذا الاجتماع بدأ « كيسنجر » بتقسيم ما أمكن تحقيقه فى القاهرة إلى قسمين ، أطلق على الأول منهما وصف « المستوى الاستراتيجى » ، وأطلق على الثانى وصف « المستوى السياسى أو التكتيكى » .(١)

● ● ● **وعلى المستوى الاستراتيجى** حدد « كيسنجر » ما توصل إليه فى القاهرة على النحو التالى :

١ – أن مصر فى طريقها إلى سلام مع إسرائيل . ومع أن خطى هذا السلام بطيئة ، فإن مجرد وضع القاطرة على القضبان الحديدية معناه أن القاطرة واصلة إلى نهاية الخط . ثم أنه أحس بأن الرئيس « السادات » من ناحيته لن يسمح لأحد أن يضع « كتل خشب بالعرض » على القضبان .

٢ – أنه بسير مصر على طريق السلام فإن إمكانية الحرب فى المنطقة قد انتهت . ذلك لأنه لا يمكن لأى دولة عربية أو تحالف بين عدد من الدول العربية أن يقبل مخاطر الدخول فى معركة دون مشاركة مصر .

٣ – أن الرئيس « السادات » قام باختيار استراتيجى رئيسى وعلق مصيره الآن بالولايات المتحدة الأمريكية ، وأنه لا يوجد فى مصر طرف أو معسكر يستطيع أن يقاوم هذا الاختيار .

٤ – أن الاختيار الاستراتيجى بالصداقة مع الولايات المتحدة سوف تستتبعه بالضرورة خيارات داخلية فى مصر . وهنا يكمن التحدى الذى قد يواجهه الرئيس « السادات » فى المستقبل . لكنه (أى « كيسنجر ») يعتقد أن فرص نجاح « السادات » كبيرة لأن الذى حدث هو أن سلفه « ناصر » حاول إحداث تغييرات جذرية فى المجتمع المصرى ، وقد سمحت له الظروف بإسقاط الأوضاع القديمة ، لكن القوى الجديدة التى كان يحلم أن يقيم عليها نظاما اجتماعيا جديدا لم تظهر بعد ، ولم تتمكن من جعل قوتها فاعلة أو محسوسة فى الشئون المصرية ، وبالتحديد فى عملية صنع القرار .

٥ – أن الاتحاد السوفيتى سوف يستنتج من كل ما سوف يرى أن الرئيس « السادات » توصل إلى اختياره ومشى فيه ، وأن هذا الاختيار معاد له (للاتحاد السوفيتى) . وقد قصد « كيسنجر » أن يجعل هذا التغيير الكبير فى مصر مرئيا رأى العين أمام الاتحاد السوفيتى . ولذلك فقد حرص أن يكون إخطار « فالدهايم » بالاتفاق على النقاط الست بادئا بتبليغ منفرد منه هو كوزير لخارجية

---

(١) المحضر الرسمى لهذا الإيجاز غير الرسمى صادر عن مكتب وزير الخارجية بتاريخ ١٠ نوفمبر ، وقد صدر بمقدمة من المتحدث الرسمى روبرت ماكلوسكى ينبه الصحفيين إلى توخى الحذر فى النقل عنه .

الولايات المتحدة ، ومشيرا على هذا النحو إلى أن الاتفاق جرى تحت رعايتها . وأن الاتحاد السوفيتى عندما يعى هذه الحقيقة تماما « لن يترك الرئيس » . وسوف يدرك « السادات » بدوره أن الاتحاد السوفيتى « وراءه » . وبإضافة هذه المستجدات إلى سوابق مضت فى العلاقات ، فإن معركة « السادات » القادمة سوف تكون ضد أصدقائه القدامى .. وليس أعدائه القدامى !

٦ - أن غيبة احتمالات الحرب وبداية التحرك نحو السلام سوف تجعل استعمال سلاح البترول إجراء لا معنى له لأنه أصبح بلا هدف يضغط من أجله . وإذا انتهى سلاح البترول الآن ، فإنه سوف يختفى إلى الأبد لأن ما حدث لن يتكرر ، كما أن عنصر المفاجأة فيه لم يعد قادرا على تكرار نفسه !

٧ - أن هذه الاعتبارات كلها سوف تؤدى إلى نتيجة هامة ، وهى فك حالة التعبئة النفسية العامة ضد إسرائيل التى امتلأ بها الرأى العام العربى طوال حقب متلاحقة من الصراع . وأن هذا النوع من التعبئة إذا جرى فكه فسوف يصبح من المستحيل العودة عنه فى منتصف الطريق . وحتى إذا تأخرت عملية صنع السلام فإن ما سوف يحل محلها يصعب أن يكون تعبئة من أجل الحرب ، وإنما يصير حالة من حالات القلق أو الغضب أو الإحباط .. نوع من الـ malaise (الإحساس بالدوار) .

● ● ● **وعلى المستوى السياسى أو التكتيكى** حدد « كيسنجر » ما توصل إليه على النحو التالى :

١ - أن موضوع العودة إلى خطوط ٢٢ أكتوبر قد انتهى أمره لأنه أصبح جزءا لا يتجزأ من اتفاق أوسع لفك الارتباط ، وبالتالى فإن إسرائيل تدخل إلى مرحلة التفاوض وهى فى أكثر الأوضاع ملاءمة لها .

٢ - أنه بعد توقيع النقاط الست بين العسكريين من مصر وإسرائيل ، فإن الخطوة التالية سوف تكون على مستوى سياسى لبحث موضوعات فك الاشتباك بما فيها الخطوط الجديدة للجيوش التى كانت تحارب بعضها . والمتفق عليه أن هذا المستوى السياسى سوف يتخذ شكل مؤتمر سلام فى جنيف .

٣ - أن الاتفاق على عودة العلاقات الدبلوماسية بين مصر والولايات المتحدة سوف يؤدى إلى عودة طبيعية ورسمية للوجود والنفوذ الأمريكى فى المنطقة .

٤ - أن الرئيس « السادات » ، وهو على اتصال وثيق بالرئيس « حافظ الأسد » ، قد وعده بأن سوريا سوف تسير معه على نفس خطاه . وقد أثار معه بالفعل امكانية التوصل مع سوريا إلى فك اشتباك على الجبهة السورية . كما أنه أبدى ثقته فى أن « الأسد » يمكن أن يشارك فى مؤتمر السلام المنتظر .

٥ - أنه استطاع إقناع « السادات » بأن تبذل مصر مساعيها لرفع سلاح البترول من الصراع

العربى - الإسرائيلى ، باعتبار أن الإقدام عليه من الأساس كان سياسة تهزم نفسها بنفسها self-defeating .

٦ - أن « السادات » اقتنع معه بأن إسرائيل لا يمكن أن تشارك فى مؤتمر للسلام إذا شارك فيه الفلسطينيون . وقد أقر « السادات » إرجاء اشتراك الفلسطينيين فى عملية السلام إلى مرحلة أخرى .

٧ - أن إسرائيل حصلت على أهم ما كانت تريده ، وهو استعادة أسراها فى مصر دون انتظار لفك الاشتباك أو لمؤتمر السلام . كما حصلت على تعهد مصرى برفع الحصار عن باب المندب دون انتظار لمقابل .

وبرغم إلحاح « كيسنجر » على أن حديثه للعلم فقط ، فإن بعض النقاط مما قاله ، وخصوصا النقطة الأخيرة ، تسربت وظهرت فى برقيات المراسلين من بكين منسوبة إلى « كيسنجر » . واستوجبت برقية عتاب بعث بها السيد « اسماعيل فهمى » إلى « كيسنجر » فى بكين يبلغه أن الرئيس « السادات » أحرج من تسرب تعهد كان الاتفاق أن يجرى تنفيذه بهدوء ودون إعلان .

(نسب « كيسنجر » هذا التسرب إلى الصحفى الأمريكى « مارفين كالب » ، وقد حبكته النكتة فقال للناطق الصحفى باسمه « روبرت ماكلوسكى » إن « كالب » له نصيب كبير من صفات اسمه باللغة العربية كما تعلم فى القاهرة (يقصد « كلب ») . ووصلت الملاحظة إلى المعنى بها ، ووقعت مشادة بينه وبين وزير الخارجية الأمريكى .)



كان الرئيس « أنور السادات » مضطرا كذلك إلى أن يشرح لأطراف أخرى فى العالم العربى نتائج ما توصل إليه مع « كيسنجر » . ولم يكن الرئيس « السادات » يحتاج إلى إعطاء إيجاز صحفى مغلق أو مفتوح ، ولا كان قادرا على الإخفاء أو التأويل أو حذف بعض الألفاظ ، بل كان مطالبا بأن يضع عددا من رؤساء الدول العربية فى الصورة ، خصوصا إذا كان بعض ما تعهد به لـ « كيسنجر » يرتهن بموافقتهم عليه . وهكذا قرر الرئيس « السادات » أن يبعث بمدير مكتبه للمعلومات الدكتور « أشرف مروان » بطائرة خاصة تحمله بسرعة إلى دمشق ، ثم الرياض ، ثم الكويت ، ثم الجزائر ، فطرابلس . وكان الدكتور « أشرف مروان » يحمل رسالة[٢] مكتوبة أملاها الرئيس « السادات » بنفسه ، وكان نصها على النحو التالى :(*)

---

(٢) محفوظات رئاسة الجمهورية - مجموعة ملفات نوفمبر ١٩٧٣ - مكتب الرئيس للمعلومات .

(*) وتوجد فى ملحق صور الوثائق صورة لأصل هذه الرسالة ، وهى منشورة تحت رقم (١٣٤) . على صفحة ٨٧٥ من الكتاب .

« فيما يلى النقاط التى انتهت إليها محادثاتى مع الدكتور كيسنجر وزير الخارجية الأمريكى :

☐ أولا تم الاتفاق منذ بدء المباحثات على أن الحديث فى العودة إلى خطوط ٢٢ أكتوبر يتساوى فى الأهمية تماما مع الحديث فى فصل القوات ، وعلى ذلك تم الدخول مباشرة فى الحديث عن مرحلة فصل القوات .

☐ ثانيا : طبقا للاتفاق الذى تم مع الرئيس الأسد فى الكويت ، فإن الاتفاق مع كيسنجر هو أن كل خطوة تتم بالنسبة لفصل القوات فى الجبهة المصرية يجب أن تقابلها خطوة مماثلة لفصل القوات فى سوريا .

☐ ثالثا : لما كان الاتفاق قد تم على أن الحديث فى فصل القوات هو الخطوة التى نسعى إليها بدلا من الكلام فى العودة إلى خطوط ٢٢ أكتوبر بالنسبة لكيسنجر ، فإن كيسنجر تحدث فى موضوع تبادل الأسرى والجرحى لأن مثل هذا الأمر - فى رأيه - يمثل عملية حساسة ومتعبة بالنسبة لإسرائيل .. وقد أبدى السيد الرئيس استعداده لبحث هذا الأمر تحت علم الأمم المتحدة بمندوبين عن مصر وإسرائيل بشرط أن تتخلى إسرائيل عن بعض المواقع حول السويس - وعلى طريق السويس - وهى التى احتلتها بعد وقف إطلاق النار .

وقد أرسل كيسنجر سيسكو إلى إسرائيل (اليوم) لإخطارها بذلك وبموافقة امريكا أيضا على هذا .

☐ رابعا : حاول كيسنجر أن يساوم على عودة الجيش الثالث من شرق سيناء فى مقابل عودة القوات الإسرائيلية إلى الضفة الشرقية ، فرفض الرئيس مؤكدا أن كل جندى مصرى عبر إلى الضفة الشرقية لن يعود .. وأنه ما دام هناك حديث عن الفصل بين القوات فإن الفصل سيكون داخل سيناء .

☐ خامسا : اشترط السيد الرئيس لعقد مؤتمر السلام أن يكون بحضور روسيا وأمريكا بعد أن كان اتفاق الدولتين (روسيا وأمريكا) هو أن يحضرا افتتاح المؤتمر فقط ، ولكن الرئيس اشترط اشتراك الدولتين اشتراكا كاملا وإلا أصبحت المفاوضات مباشرة ، وقد وافق كيسنجر على ذلك .

☐ سادسا : وافق الرئيس على أن يبدأ مؤتمر السلام فى أوائل ديسمبر لكى لا تعطى إسرائيل فرصة لتجميد الموقف ، على أن يكون النقطة الأولى والأساسية فى جدول الأعمال هو الفصل بين القوات على الجبهتين . وفى هذه الحالة لن يدعى وفد فلسطين للحضور ، وإنما سيكون الحضور قاصرا على مصر وسوريا والأردن والاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة الأمريكية وسكرتير عام الأمم المتحدة ، على أنه بعد الاتفاق على مرحلة الفصل بين القوات على الجبهتين تقوم روسيا والولايات المتحدة بدعوة الوفد الفلسطينى لكى يشترك فى مشروع السلام .

☐ سابعا : ركز كيسنجر فى حديثه مع السيد الرئيس على المشاكل الخطيرة التى يسببها وقف البترول العربى بالنسبة لأمريكا ، وقد أجابه السيد الرئيس بأن هذا من أوراق الضغط التى يمكن لأمريكا أن تستخدمها ضد إسرائيل . إلا أن كيسنجر أبدى انزعاجه من أن يحل الشتاء على المواطن الأمريكى وهو يخضع لمثل هذه القيود ،

وخاصة أن الرئيس نيكسون سيعلن (اليوم) قيود على استخدام الطاقة ويخشى أن تستخدمها الدوائر الصهيونية ضد قضيتنا .. وقد أجابه السيد الرئيس بأن موضوع البترول يخص العرب جميعا ، وأن الانسحاب أمام البترول . إذن فليسرعوا بالانسحاب .

☐ ثامنا : تم الاتفاق على عودة العلاقات مع الولايات المتحدة فى وقت يحدد فيما بعد بناء على تطور الأحداث (تنفيذ القرارات) وسيصدر بيان بذلك . كما تم الاتفاق على أن يرأس قسم رعاية المصالح فى كل البلدين مسئول بدرجة سفير .

☐ تاسعا : أوضح السيد الرئيس أنه لن نقبل أى سيادة إسرائيلية على القدس .

☐ عاشرا : وعد كيسنجر بأن الولايات المتحدة ستساعد بكل امكانياتها فى المراحل المقبلة ، وأن تبدأ صفحة جديدة معنا ومع المنطقة العربية .

☐ حادى عشر : خرج السيد الرئيس من مقابلته مع كيسنجر بانطباع بأن الرجل كان صادقا ولم يلتزم بشىء لا يستطيع أن ينفذه ، وأنه أوضح بأن كل ما يلتزم به ينفذه . «

☐

وقد عاد الدكتور « أشرف مروان » من رحلته الخاطفة وكتب للرئيس « السادات » تقريرا عن لقاءاته مع الرئيس « الأسد » ، والملك « فيصل » ، والشيخ « سعد العبد الله الصباح » وزير الدفاع والداخلية الكويتى (قابله بدلا من أمير الكويت الذى كان خارج المدينة فى ذلك الوقت) ، والرئيس « هوارى بومدين » .

● كان رد فعل **الرئيس « الأسد »** طبقا للتقرير الذى كتبه له الدكتور « أشرف مروان » على النحو التالى :

« - يرى الرئيس الأسد بأن موضوع تبادل الأسرى مقابل انسحاب القوات الإسرائيلية عن بعض المواقع حول السويس هى مسألة رخيصة وبسيطة .

- أن اسرائيل ربحت بهذه الاتفاقية .
- أن الرئيس السادات لا بد وأن يصمم على عودة القوات الإسرائيلية إلى خطوط ٢٢ أكتوبر مقابل تبادل الأسرى وعودة المواقع إلى القوات المصرية ، وليست لقوات الأمم المتحدة .
- بالنسبة لوضع مدينة السويس من الممكن قبول تبادل الجرحى والأسرى .
- تبادل الأسرى بالكامل يجب ألا يتم إلا فى إطار تسوية شاملة ، لأنه يشكل ضغط على الحكومة الإسرائيلية كما حدث بالنسبة للأسرى فى فيتنام .
- يتم تبادل الأسرى عن طريق الصليب الأحمر .
- بالنسبة لسوريا فقد عرض عليها إعادة المواقع التى احتلتها القوات الإسرائيلية بعد ٢٢ أكتوبر مقابل تبادل الأسرى . وسوريا تطالب بتنفيذ اتفاقية جنيف التى تنص على :

☐ عودة السكان المدنيين إلى قراهم .

□ تبادل أسماء الأسرى ثم بعد الانسحاب يتم تبادل الأسرى .

- بالنسبة لمؤتمر السلام يرى الرئيس الأسد :

● يفضل حضور بعض دول أوروبا الغربية بعد موقفهم المشرف لأن فى اشتراكهم تدعيم للموقف العربى .

● أنه فى أسوأ الحالات يجب العودة إلى الأسلوب الذى اتبع خلال اجتماعات رودس .

● أنه لا يوافق على تكوين لجان مباشرة كاقتراح السيد حافظ اسماعيل (لجنة مصرية / إسرائيلية - لجنة سورية / إسرائيلية) وإنما يرى أن تكون هناك لجنة واحدة (عربية / إسرائيلية) .

● سيحاسبنا التاريخ إذا ما وجدت مفاوضات مباشرة فى أية مرحلة من المراحل .

● أنه لا بد من وضع رد الفعل العربى فى الحسبان .

● لا بد من حضور الفلسطينيين مؤتمر السلام منذ الدقيقة الأولى لأنه لا سلام بدون فلسطين ، كما أن مسألة فصل القوات لا يتنافى أو يتعارض مع وجودهم .

● أن أى سلام بدون إيجاد حل للقضية الفلسطينية لن يتم ، وستكون النتيجة أننا سنتعرض للشبهة ولا يجوز بعد كل هذا النضال أن نتهم بالشبهة ..

ملاحظة :

طلب الرئيس الأسد أن أنقل للسيد الرئيس رجاءه بعدم إبلاغ هذا الكلام لأى بلد عربى وإلا سيتفرق الصف العربى .

□ بالنسبة لعودة العلاقات :

● من رأى الرئيس الأسد بأن عودة العلاقات مع أمريكا بالصورة التى أعلنت سوف تفتت الصف العربى وستثير الشبهات ، وأن الرئيس هوارى بومدين قد أبدى تأثره له من هذا الموضوع فى مقابلته له ، ويخشى أن يؤثر ذلك على موقف الملك فيصل .

□ بالنسبة لزيارة كيسنجر :

● استفسر الرئيس الأسد عن الاستفادة التى استفادها العرب من زيارة كيسنجر ، وما هى النتائج التى أسفرت عنها وما هى الالتزامات التى التزم بها كيسنجر .

ومن رأيه أن الزيارة كانت لمصلحة إسرائيل ، وأن إسرائيل قد حصلت منها على ما تريده .

□ رأيه فى موقف القيادة العسكرية المصرية :

● فى تقديره بالنسبة لموقف القيادة العسكرية المصرية أنها اهتزت منذ بداية مرحلة التطوير ، وأنهم كانوا يعطون صورة سيئة للسيد الرئيس بحيث تؤثر فى قراراته السياسية .،

□

● وكان تعليق **الملك** « **فيصل** » طبقا لنص التقرير :

« — عدم ثقة بالولايات المتحدة الأمريكية إلى أن يتم الانسحاب .

— التمسك بعروبة القدس .

— يفضل حضور الفلسطينيين منذ أول اجتماع لمؤتمر السلام .

— ضرورة التنسيق مع سوريا .

— أكد الملك لكيسنجر أنه لا تراجع فى قراره بوقف الضخ للولايات المتحدة إلا بانسحاب إسرائيل من جميع الأراضى العربية ، وبعد الانسحاب من الممكن زيادة الانتاج بأى كمية تحتاجها الولايات المتحدة .

— من رأى السيد رشاد فرعون مستشار الملك إمكان التلويح بالإفراج الجزئى عن الضخ عند انتهاء عملية فصل القوات .

— يتساءلون عن الضمانات الأمريكية لتنفيذ ما اتفق عليه .

— كما يتساءلون عن الوضع بالنسبة لسوريا ، وهل ستقبل سوريا ما تتفق عليه مصر .

— سيقومون بشراء ١٠٠ دبابة روسية (ت ٦٢) لتسليح القوات السعودية المتواجدة فى سوريا .»

□

● وكان تعليق الشيخ « **سعد العبد الله الصباح** » طبقا لتقرير الدكتور « أشرف مروان » على النحو التالى :

« - تمت المقابلة مع الشيخ سعد وزير الدفاع والداخلية ، لتواجد أمير دولة الكويت خارج المدينة . وفيما يلى أهم النقاط التى أثارها :

- يفضلون حضور الفلسطينيين مؤتمر السلام منذ أول جلسة وأول مرحلة .

- أبدوا دهشتهم من عودة العلاقات مع الولايات المتحدة الأمريكية .

- تساءلوا عن الضمانات التى منحتها لنا أمريكا لتنفيذ هذه الاتفاقية .

- ضرورة التنسيق مع سوريا حتى لا تشعر بأنها تابعة لمصر .

- سيقومون بشراء ١٠٠ دبابة (ت ٦٢) عن طريق سوريا لتسليح القوات الكويتية الموجودة فى سوريا .

- سيوقعون عقد الميراج خلال أسبوع .

- يرون أهمية فى ضرورة وضعهم فى الصورة باستمرار .»

□

● وأخيرا كان رد فعل الرئيس « هوارى بومدين » :

« - الدهشة من عودة العلاقات مع أمريكا بهذه السرعة ، ويرى الرئيس بومدين أن فى مثل هذا الأمر إحراج لموقفه داخليا .

- تساءل عن الضمانات الأمريكية التى قدمت لكى ينفذ ما تم الاتفاق عليه .

- الانسحاب لخطوط ١٩٦٧ هو الهدف ، وهل إسرائيل ستترك كل هذه الأراضى دون الحصول على مقابل .

- يخشى أن يكون الاتفاق الذى تم فخ أمريكى / إسرائيلى .

- يرون ضرورة استمرار الحشد العسكرى طوال مرحلة مؤتمر السلام وتنفيذ عملية الانسحاب .

- التركيز على أهمية حضور الفلسطينيين منذ أول جلسة لمؤتمر السلام .

- لا داعى لحضور الأردن أول جلسة ، لأنه إذا كان سيتم فصل القوات فى الضفة الغربية فالضفة الغربية تعتبر فلسطينية .

- ضرورة التنسيق مع سوريا فى كافة المجالات العسكرية والسياسية لأنهم فى سوريا يشعرون بالتبعية لمصر .

- يرون أن سياسة مصر هى التى تجمع شمل العرب أو تفرقهم .

- ضرورة عقد مؤتمر القمة اعتبارا من يوم ٢٤ الجارى .

- لا بد من إيجاد جبهة قوية واحدة تضم مصر وسوريا والفلسطينيين .

- تصرفات المسئولين فى ليبيا هى تصرفات صبيان صغار .»

٣

كان « هنرى كيسنجر » لا يزال فى بكين ، وكانت رسائله تتوالى على القاهرة موجهة إلى وزير الخارجية « اسماعيل فهمى » . وكانت أولاها رسالة[٣] بتاريخ ١٣ نوفمبر تقول بالنص :(*)

« لقد تلقيت هنا فى بكين إشارة بأن النقاط الستة قد جرى توقيعها اليوم . وإنى أبعث بتهنئتى إلى الرئيس السادات ولك على بعد النظر والحكمة التى جعلت ذلك ممكنا . فهذا الاتفاق مهم فى حد ذاته ، كما أنه يعكس الحقيقة الجديدة وهى أن مصر وإسرائيل تنظران الآن إلى المستقبل بدلا من

(٣) وثائق وزارة الخارجية الأمريكية ، وهذه البرقية محفوظة ضمن مجموعة أوراق الرئيس « ريتشارد نيكسون » الخاصة ، ومؤشر أعلاها بالحروف الأولى من اسمه R.M.N.

(*) وتوجد فى ملحق صور الوثائق صورة لأصل هذه الرسالة ، وهى منشورة تحت رقم (١٣٥) - على صفحة ٨٧٦ من الكتاب .

النظر إلى الماضى . وأن المناقشات العقيمة قد انتهت وأصبحت الآن من مخلفات الماضى . وأنا أثق أن ذلك سوف يكون أسلوبنا فى المرحلة القادمة . وأثق أيضا أن الممثلين العسكريين سوف يتوصلون إلى تطبيق النقاط الست بنفس الروح . »

ثم انتقل « كيسنجر » بعد ذلك مباشرة ليحدد مطلبين :

□ **الأول** – أنه يريد التعجيل بعملية تبادل الأسرى (والذى يهمه بالطبع هم الأسرى الإسرائيليين) .

□ **الثانى** – رفع الحصار عن باب المندب .

ثم وصل « كيسنجر » فى نهاية خطابه إلى جملة لها معنى ، فقد قال :

« إننى فهمت من تقارير تلقيتها هنا أن الدكتور الزيات يقوم ببحث عناصر الخطة المصرية لفك الارتباط فى عواصم أوروبية معينة . وكما قلت للرئيس السادات فإن تداول أى اقتراحات الآن على نطاق واسع سوف يجعل من الصعب على الولايات المتحدة أن تمارس نفوذها فى مساعدة المفاوضات .

كذلك بلغنى أنه يجرى الترتيب الآن لاجتماع يعقده وزراء خارجية منظمة الوحدة الإفريقية . كما أن هناك أخبار عن مؤتمر قمة عربى . ولا أخفى عليك أن ذلك يثير قلقى لأن اشتراك أطراف كثيرة على هذا النحو فيما نقوم به ليس عمليا . وأنا أرحب بأن أسمع آراءك فى هذه المسائل ، وسوف أكون فى واشنطن يوم الجمعة . وحتى قبل يوم الجمعة فإن أى رسالة منك عن طريق السفير آيلتس يمكن أن تصلنى فوراً سواء هنا فى بكين أو فى طوكيو – وهى محطتى القادمة – أو فى الطائرة عائدا إلى واشنطن . »

(كان « كيسنجر » يتسرع فى تحقيق المطالب التى تهم إسرائيل (الأسرى وباب المندب) – وفى نفس الوقت كان يبذل جهده لإبعاد العرب أولا ، ثم الأوروبيين والأفارقة ، عن الدائرة التى يجرى فيها بحث المشكلة) .

□

كانت اجتماعات العسكريين عند الكيلو ١٠١ لا تزال مستمرة بعد إتمام التوقيع على النقاط الست . وقد تصور الوفد العسكرى المصرى أنه يستطيع أن يبدأ بمناقشة خطوط فك الاشتباك ، لكنه اكتشف أنه فى مواجهة حائط مسدود . فقد بدأت جلسة ٢٢ نوفمبر وقال الجنرال « سيلاسيفو » قائد قوات الطوارىء الدولية إن هذه الجلسة مخصصة للبند « ب » من اتفاقية النقط الست ، وهى الخاصة بخطوط ٢٢ أكتوبر وفض الاشتباك .

وطبقا لتقرير اللواء « الجمسى » فقد بدأ الجنرال « ياريف » قائلا :(*)

(*) فى ملحق صور الوثائق توجد صورة للصفحة الأخيرة من أصل تقرير اللواء الجمسى عن هذا الاجتماع ، وهى منشورة تحت رقم (١٣٦) على صفحة ٨٧٧ من الكتاب .

« إنه سيعرض المقترحين الرسميين المقدمين من الحكومة الإسرائيلية ، وهما :

أ - انسحاب قوات الجانبين إلى ١٠ كم شرق وغرب القناة على أن تعمل قوات الأمم المتحدة فى المنطقة الفاصلة بين قوات الجانبين .

ب - انسحاب قوات كلا الجانبين من المناطق التى احتلت خلال عمليات أكتوبر ١٩٧٣ على أن تشغل قوات الأمم المتحدة هذه المناطق وتعود الحياة المدنية إلى منطقة القناة ، مع رفع الحصار عن باب المندب وفتح القناة للملاحة الدولية .

٧ - رد اللواء الجمسى بأن كلا الاقتراحين الإسرائيليين سبق عرضهما ومناقشتهما ومرفوضين ، وأن الجانب المصرى قد قدم اقتراحا رسميا هو انسحاب القوات الإسرائيلية إلى خط فض اشتباك من ٣٠ كم شرق العريش شمالا إلى نبق جنوبا ، وأن تتقدم القوات المصرية إلى خط العريش « داخل » شمالا إلى رأس محمد « داخل » جنوبا ، وأن تعمل قوات الأمم المتحدة فى الفاصل بين الخطين . وعرض الاقتراح المصرى الرسمى الثانى وهو انسحاب القوات الإسرائيلية إلى الخط « ١٠ » كم شرق العريش شمالا إلى نبق جنوبا ، وأن تتقدم القوات المصرية إلى الخط « ١٠ » كم غرب العريش شمالاً إلى رأس محمد « داخل » جنوبا ، وتعمل قوات الأمم المتحدة فى الفاصل بين الخطين بما فى ذلك مدينة العريش .

وقد رفض الجانب الإسرائيلى هذين الاقتراحين .

٨ - وقد دارت مناقشات بعد ذلك لمدة حوالى ٤ ساعات عرضت فيها الأفكار التالية بصفة غير رسمية :

أ - أوضح الجنرال ياريف أن مفهوم كل من الجانبين عن خطوط فض الاشتباك ''Disengagement'' تختلف عن الآخر ، فبينما يرى الجانب الإسرائيلى أن خطوط فض الاشتباك هى خطوط مؤقتة تفصل بين القوات نتيجة لعمليات أكتوبر ١٩٧٣ والوصول إلى موقف يسمح ببدء محادثات السلام ، بينما المشروعين المقدمين من الجانب المصرى يعنيان تغييرا جوهريا فى الخطوط التى كانت عليها القوات قبل عمليات أكتوبر ١٩٧٣ وذلك يتطلب طبقا للمشروعات المصرية انسحابا فوريا إلى مسافات طويلة ، وهو الأمر الذى لا تستطيع الحكومة الإسرائيلية الحالية الإقدام عليه حيث أنها غير مفوضة بالبت فيه لظروف الانتخابات التى ستجرى يوم ٣١ ديسمبر ١٩٧٣ .

ب - كما أوضح الجنرال ياريف أنه ليس مفوضا لمناقشة الخطوط النهائية لفض الاشتباك ، وأنه مفوض لمناقشة الخط الأول لفض الاشتباك والذى تبقى عليه القوات لفترة زمنية مؤقتة (٣ - ٦ شهور قابلة للمناقشة) على أن يتم مناقشة وتحديد الخطوط التالية والانتقال إليها دون ارتباط بين هذا الموضوع وتقدم أعمال مؤتمر السلام .

جـ - أن الوزارة الإسرائيلية لم تصل بعد إلى تحديد الخط النهائى لفض الاشتباك . وأن الخط الأول المؤقت لفض الاشتباك والجارى مناقشته حاليا يجب أن يحدد بحيث يكون مقبولا للرأى العام الداخلى فى إسرائيل .

د - وترتيبا على ذلك فإنه يرى :

(١) تنسحب القوات الإسرائيلية إلى خط على مسافة « ١٠ - ١٢ كم » شرق القناة على أن يبدأ التنفيذ فوراً

(٢) أن تكون القوات المصرية على الضفة الشرقية أقل ما يمكن (قوات رمزية) .

(٣) أن تعمل قوات الأمم المتحدة داخل قطاع القوات المصرية (١٢ - ١٥ كم من القناة) .

(٤) لا توضع مدفعية إسرائيلية بعيدة المدى على مسافة أقل من « ٣٥ » كم من القناة . لإتاحة الفرصة لتعمير مدن القناة .

(٥) تبقى القوات على هذا الخط فترة من « ٣ - ٦ شهور » (وهى قابلة للمناقشة) .

هـ - وقد رفض الجانب المصرى الاقتراح عاليه حيث أنه لا يفض الاشتباك بين القوات ، ولا يؤمن القوات فى رؤوس الكبارى ولا مدن القناة ولا عمليات فتح القناة .

و - وأوضح الجانب المصرى أن أى خط تنسحب إليه القوات الإسرائيلية (رغم أنه الخط الأول المؤقت لفض الاشتباك) يجب ألا تقل مسافته عن « ٣٥ » كم من الحد الأمامى لقواتنا فى رؤوس الكبارى . كما أن حجم القوات المصرية شرق القناة يتوقف على بعد هذا الخط شرقا من القناة . فكلما اتسعت هذه المسافة كلما قلت الحاجة إلى وجود حجم كبير من القوات والعكس صحيح .

ز - قدم الجانب المصرى تصورا للخط الأول المؤقت لفض الاشتباك دون ارتباط رسمى به يتلخص فى أنه ترتد القوات الإسرائيلية إلى خط على مسافة « ٦٠ » كم من الحد الأمامى لقواتنا شرق القناة . (٢٠ كم نطاق أمن مصرى + ٢٠ كم لقوات الأمم المتحدة + ٢٠ كم نطاق أمن إسرائيلى) .

وقد أبدى الجانب الإسرائيلى عدم إمكان موافقة الحكومة الإسرائيلية عليه .

٩ - خلال المناقشات التى دارت وتعارض وجهات النظر المختلفة فيما يخص المساحة التى تعمل فيها قوات الأمم المتحدة بين قوات الجانبين ، علق الجنرال سيلاسيفو أن عمل قوات الأمم المتحدة حاليا يختلف عن عملها السابق حيث أنها أنشئت بقرار من مجلس الأمن ولن تسحب إلا بموافقة المجلس .

التوقيـع :

لواء / محمد عبد الغنى الجمسى

نائب رئيس أركان حرب

ورئيس هيئة عمليات القوات المسلحة »

وانجه البحث إلى قضايا فرعية محصورة فى خلافات حول المواقع وحول كشوف الأسرى من الجانبين ، وحول مطالب إسرائيل بتسليمها بعض جواسيسها المحكوم عليهم فى مصر . وقد أثار الجنرال « ياريف » رغبة إسرائيل فى الحصول على جاسوسين آخرين ، أولهما اسمه « باروخ » والثانى اسمه « يورى ليفى » . وقد رفض اللواء « الجمسى » مناقشة هذا الموضوع فى جلسه عقدها الوفدان بتاريخ ١٤ نوفمبر قائلا « إن هؤلاء ليسوا أسرى حرب ، وتلك مسألة خارجة عن نطاق عمل هذه الاجتماعات ، ويمكن مناقشتها بعد ذلك منفصلة فى سياق آخر » .

□

وكتب « اسماعيل فهمى » من القاهرة إلى « هنرى كيسنجر » فى بكين رسالة يخطره فيها بتعثر المفاوضات العسكرية ، وبضيق الرئيس « السادات » من هذا التعثر . فقد كان يأمل أن يتم الاتفاق على خطوط لفك الاشتباك ، بما يظهر معه أن تقدما جرى إحرازه بحيث يخف الضغط الشعبى والعربى عندما يجد ردا إيجابيا وعمليا على الأرض .

وكتب « كيسنجر » من بكين إلى « اسماعيل فهمى » يقول له :(٤)

عزيزى وزير الخارجية ،(*)

إننى آسف ولكنى لست مندهشا لهذه المصاعب التى اعترضت طريق عمل اللجنة العسكرية . ولكنى أنصح بالاستمرار فيها لأن الأمور معقدة ولا ينبغى أن نتوقف أمام أول مأزق نقابله . ولعلمك ، فإننى على اتصال بمسز مائير . » ثم انتقل « كيسنجر » بدون مقدمات فى خطابه قائلا :

« هناك أمر آخر أجد من الضرورى أن أشير إليه . فقد عرفت أن عدد « الأهرام » الصادر بتاريخ ١١ نوفمبر حمل مقالا للسيد هيكل (يقصد محمد حسنين هيكل) تحدث فيه عن الحوار الخاص الذى دار بيننا ، وأشار فيه إلى أننى قلت له إن التوصل لاتفاق على فك الارتباط قد يستغرق ما بين ستة أشهر إلى سنة ، وأن مؤتمر السلام قد ينعقد فى الجزء الثانى من شهر ديسمبر .(٥) وفى واقع الأمر فإننى تجنبت باستمرار تحديد مواقيت . وأنا أريد أن أحذر مرة أخرى من أية تنبؤات أو مناقشات حول خطط السلام ، فمثل ذلك يمكن أن يجعل تحقيق أهدافنا أكثر صعوبة . . »

□

وعادت اجتماعات اللجنة العسكرية تنعقد مرة أخرى رغم ما واجهها من صعوبات – وكان ذلك بالدرجة الأولى بناء على طلب « كيسنجر » .

وفى جلسة تالية بتاريخ ٢٦ نوفمبر سجل اللواء « الجمسى » فى تقريره عن الاجتماع أن الجنرال « ياريف » أبلغه بما يلى :

« ١ – أن أى خطوط لفك الاشتباك يجب أن تعكس حجم « نتائج عمليات أكتوبر ١٩٧٣ » .

٢ – أن الحكومة الإسرائيلية لا يمكن أن تقبل بأى انسحاب لقواتها فى الوقت الراهن طبقا لأى تصور بشأن فك الاشتباك ، لأن أى انسحاب الآن مهما كان مداه ، سيعتبره الشعب الإسرائيلى هزيمة . ولا يمكن للحكومة أن تفسره للشعب خصوصا فى فترة الانتخابات المقبلة .

٣ – أن الحكومة الإسرائيلية ترى أنه ليس فى وسعها أن تتخذ أى خطوة على طريق فك الاشتباك إلا إذا تعهدت الحكومة المصرية بالبدء فورا فى تعمير مدن القناة ، لأن إسرائيل تعتبر أن « بدء التعمير وعودة الحياة المدنية لمدن القناة أحد ضمانات الأمن الهامة » (بمعنى أن إسرائيل تريد بدء التعمير وعودة المهجرين لمدن القناة حتى يتأكد لها أن مصر لن تفكر مرة أخرى فى أية اشتباكات مسلحة ، وإلا تعرضت عملية التعمير والسكان المدنيون لمخاطر لا تريدها) .

---

(٤) أرشيف وزارة الخارجية – مجموعة R.M.N. .

(*) توجد فى ملحق صور الوثائق صورة لأصل هذه البرقية ، وهى منشورة تحت رقم (١٣٧) ـ على صفحة ٨٧٨ من الكتاب .

(٥) قال « كيسنجر » ذلك كما قلت فى مقالى ، ثم إن ذلك كان ما حدث فعلا بعد ذلك .

٤ – أن الوقت قد أصبح مناسبا للتوجه إلى مؤتمر للسلام لبحث المسائل السياسية . فقد شعر وهو يطلب تعليماته لهذا الاجتماع أن الحكومة الإسرائيلية تعتبر أن لقاءات الكيلو ١٠١ قد استنفدت أغراضها .

٥ – أن الجنرال ياريف نفسه لن يحضر أى اجتماع آخر على الكيلو ١٠١ لأنه مرشح فى القائمة الانتخابية الجديدة . وسوف يتفرغ لإدارة حملته الانتخابية . وهو على وشك أن يخلع بدلته العسكرية ويتحول إلى رجل مدنى . »

□

وبدأ الرئيس « السادات » يقلق من هذا التعثر الذى أدى إلى شبه توقف للمحادثات العسكرية على الكيلو ١٠١ . فقد كان أمله – لا يزال – أن تتمكن هذه المحادثات من الاتفاق على خطوط جديدة لفك الاشتباك تنسحب إليها القوات الإسرائيلية بحيث يستطيع أن يقول قبل توجهه إلى مؤتمر السلام فى جنيف إن خطوة هامة قد تحققت له أولا بانسحاب – مهما كان محدودا – للقوات الإسرائيلية خصوصا فى غرب قناة السويس . وقد أضاف إلى ضيقه أن تعهده برفع الحصار عن باب المندب تسرب عقب الإيجاز الصحفى لـ « كيسنجر » فى بكين . إلى جانب أن ردود الفعل العربية الرسمية والشعبية بدت أمامه نذر عزلة عن العالم العربى لم يكن يريدها يقينا فى ذلك الوقت – على الأقل . وزاد عبء الحرج الذى يستشعره عندما أعلن فى واشنطن أن موعدا مبدئيا قد تحدد لمؤتمر السلام فى جنيف ، وهو يوم ١٨ ديسمبر .

ثم تلقى الرئيس « السادات » رسالة من « هنرى كيسنجر » يرجوه فيها أن يقبل هذا الموعد بناء على إلحاح من الحكومة الإسرائيلية التى تظن أن انعقاد مؤتمر السلام فى جنيف ، ولو لجلسة افتتاحية واحدة قبل الانتخابات الإسرائيلية – التى كان موعدها يوم ٣١ ديسمبر – يعطيها فرصة تحتاج إليها . وكان اقتراح « كيسنجر » أن يقبل الرئيس « السادات » هذا الموعد المقترح لتخفيف الضغط عن الحكومة الإسرائيلية ، ولتحسين فرص الائتلاف الحزبى المشارك فيها إزاء الناخب الإسرائيلى . وقد كانت تقارير استطلاع الرأى العام كلها تشير إلى أن أحزاب الائتلاف الحكومى تواجه ضغطا شديدا من المعارضة ومن واقع الحال . فلو أن الائتلاف ذهب الآن إلى الصناديق محتكما إليها ، فإن الناخب ليس فى ذاكرته غير صدمة الأيام الأولى للحرب ، وعلى أساسها فإنه سوف يسحب ثقته من هؤلاء الذين تسببوا فيها . وأما إذا ذهب الناخب الإسرائيلى إلى الصناديق عقب انعقاد مؤتمر السلام ، فإن الناخب الإسرائيلى قد يصوت بطريقة مختلفة لأن آماله فى السلام تبدو قريبة من متناول يده ، وسوف يكون اتجاهه على الأغلب هو الاحتفاظ بالفريق الذى يستطيع أن يجىء بالسلام والذى وصل فعلا إلى أبواب مؤتمره .

وكانت أسباب الحيرة والتردد تظهر فى تصرفات الرئيس « السادات » . فقد أحس أنه لا يملك ما يكفيه لكى يذهب إلى مؤتمر السلام . وزاد شعوره بالحرج لأنه كان على الطريق إلى مؤتمر قمة عربى فى الجزائر يوم ٢٦ نوفمبر ١٩٧٣ . ومن محصلة هذه الأسباب كلها فإنه كلف متحدثا رسميا باسمه أن يطلق ما يوصف عادة بأنه « بالون اختبار » ويصدر تصريحا يقول فيه :

- أن الحصار على باب المندب لا يزال قائما .
- أنه يتصور أن اجتماعات الكيلو ١٠١ لا بد أن تتوصل إلى خطوط جديدة لفك الاشتباك قبل التوجه إلى مؤتمر السلام .
- أنه يفكر فى العودة إلى اقتراحه السابق بطلب ممثل عن كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى يقيمان فى القاهرة لمتابعة تنفيذ قرارات مجلس الأمن .

ولم تكن واشنطن راضية ، ولا كان الاتحاد السوفيتى مستعدا لأن يسمع شيئا آخر عن مناورة يراد استعماله ورقة من أوراقها أو حركة فى لعبتها . وكان تعليق السفير السوفيتى « فلاديمير فينوجرادوف » عند سماعه بهذا التصريح هو قوله « تانى ؟! .. إن أحدا لا يستطيع ببساطة استغلال قوة عظمى على هذا المستوى التكتيكى » !

□

ولم يكن رد الفعل فى واشنطن على هذا المستوى التلقائى . وهكذا كتب الرئيس الأمريكى « ريتشارد نيكسون » رسالة إلى الرئيس « أنور السادات » – شاع الحزم فى عباراتها ، وجرت سطورها على النحو التالى بالنص :(٦)

« البيت الأبيض

الرئيس

١ ديسمبر ١٩٧٣

عزيزى الرئيس السادات(*)

لقد كنت أتابع عن كثب تطورات الأمور فى المنطقة بما فى ذلك دوركم القيادى فى هذه الأيام الحاسمة . وأنا أعلم أنكم عدتم للتو من اجتماع هام مع زملائكم فى العالم العربى (يقصد مؤتمر القمة العربى فى الجزائر فى الفترة من ٢٦ – ٢٨ نوفمبر) وأعتقد أن نتائج هذا الاجتماع لا بد أن تكون قد عكست آمال ورغبات الأغلبية الكبرى من شعوب العالم العربى – والشعوب كلها فى كافة أرجاء الأرض من أجل سلام عادل ودائم فى الشرق الأوسط على أساس قرار مجلس الأمن ٢٤٢ .

إننا – يا سيادة الرئيس – فى مرحلة هامة بالنسبة لنا جميعا . وآمل أن يسود فيها العقل والشجاعة برغم أية صعوبات . ذلك أنه من الضرورى أن نظل جميعا ملتزمين بالطريق الذى رسمتموه مع وزير خارجيتى كيسنجر أثناء اجتماعكم به فى القاهرة .

إننا نريد أن يكون واضحا أن اتفاق النقط الستة هو حزمة متكاملة Package ، ولا نعتقد أن بعض عناصره يمكن تنفيذها فى حين أن عناصر أخرى يمكن أن تترك للذبول والنسيان بلا نهاية .

---

(٦) مجموعة وثائق وزارة الخارجية الأمريكية ، وهى معنونة بحروف R.M.N

(*) فى ملحق صور الوثائق توجد صورة لأصل هذه البرقية ، وهى منشورة تحت رقم (١٣٨) ـ على صفحة ٨٧٩ من الكتاب .

لكننا نظن أن مقترحات فك الاشتباك التى عرضت فى اجتماعات الممثلين العسكريين المصريين والإسرائيليين تجاوزت حدودها أكثر من اللازم . وكنا نشعر ، وقد أبلغناكم بذلك ، أن اتفاقا على هذا النحو يصعب التوصل إليه قبل مؤتمر السلام . ومع ذلك فإننى أؤكد لك أن هناك أساسا تم وضعه فى اجتماعات الممثلين العسكريين ، وأن جهدهم لن يذهب هباء . ثم إننا سنبذل كل جهدنا للتأكد من أن الأفكار التى طرحت لفك الاشتباك ونوقشت فى ذلك الاجتماع سوف يكون لها وزنها واعتبارها فى مؤتمر جنيف .

وأنا أريد أن أعزز ما نقله وزير الخارجية كيسنجر إلى حكومتكم من أنه إذا تراجعنا الآن فى الاتفاق الذى توصلنا إليه بشأن تخفيف الحصار فى البحر الأحمر - وإذا تركنا خيبة أملنا فى عدم احراز تقدم كاف فى مباحثات الكيلو ١٠١ تعطلنا عن التوجه إلى مؤتمر السلام يوم ١٨ ديسمبر . فاننانكون قد سمحنا بوقوع نكسة خطيرة العواقب بالنسبة للجميع . وفوق ذلك فإننى أود ابلاغكم - وبكل الاحترام اللازم - أن أى طلب من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى بالمجىء إلى المنطقة لمتابعة تنفيذ قرارات مجلس الأمن سوف يكون خطوة خطيرة لا يمكن أن تخدم مصالح بلادكم ولا مصالح السلام الدولى عموما .

إن وزير الخارجية كيسنجر سوف يكتب بالتفصيل إلى وزير خارجيتكم فهمى . وأنا لا أريد أن أنهى هذا الخطاب بدون أن أشركـكم معى فى فكرة ختامية . إننى ملتزم ببذل جهد رئيسى للوصول إلى سلام عادل ودائم فى الشرق الأوسط . وسوف تكون هناك إحباطات كثيرة على الطريق . وأنت وأنا نعلم أن الطريق سوف يكون صعبا وشاقا لأن هناك رصيدا من الشكوك العميقة وضياع الثقة فى المنطقة . إن محادثات الكيلو ١٠١ ليست الساحة الأساسية للحل ، وإنما الساحة الأساسية هى مؤتمر السلام . فهناك فى هذا المؤتمر يمكن للولايات المتحدة أن تكون فى مركز يسمح لها باستخدام نفوذها البناء من أجل السلام القائم على قرار مجلس الأمن ٢٤٢ . وفى هذا المؤتمر يمكن للولايات المتحدة أن تمارس نفوذها بنشاط من أجل تحقيق مبادىء فك الارتباط التى نوقشت بينكم وبين وزير الخارجية . ومن ثم فإننى آمل - يا سيادة الرئيس - أنكم سوف تقبلون بالمؤتمر كوسيلة نحو التحقيق السريع لفك الارتباط وللسلام القائم على القرار ٢٤٢ .

وكما كتب وزير الخارجية كيسنجر إلى وزيركم فهمى فإن الشروط الموضوعية لمؤتمر سلام هى اليوم أفضل مما كانت فى أى وقت من تاريخ هذه المشكلة العويصة . وسوف يكون الأمر مأساويا إذا تركنا هذه الفرصة تضيع . ولو أنه حدث أى تأثير على قرار وقف إطلاق النار ، فإن ذلك سوف يدعونا إلى موقف مواجهة تضيع معه هذه الفرصة ويجرى تدميرها بلا رجعة .

لقد طلبت من وزير الخارجية هنرى كيسنجر أن يقوم برحلة أخرى إلى المنطقة ، وأن يجعل من القاهرة محطته الأولى . وإننى لآمل أن توافق على استقباله يوم ١٣ أو يوم ١٤ ديسمبر . وحتى يتم ذلك فإننى أطلب ضبط النفس من كل الأطراف حتى نتأكد من أن كل عناصر ما تمت مناقشته بيننا لا زالت داخلة فى إطار الروح التى تحدثت بها معه ، وبالطبع ، فإننى سوف أطلب من إسرائيل بدورها أن تمارس ضبط النفس .

(امضاء)
ريتشارد نيكسون »

الفصل التاسع

المشى نحو السراب

١

كان فكر الرئيس « السادات » وقلبه قد استقرا على خياراته الاستراتيجية الجديدة . وقد وجد أنه ليس أمامه إلا أن يرحب بزيارة « كيسنجر » الثانية إلى القاهرة ، وأن يوافق على اليوم المحدد لانعقاد مؤتمر السلام (١٨ ديسمبر) وبحيث يتم انعقاد الجلسة الافتتاحية على الأقل لهذا المؤتمر قبل الموعد المحدد للانتخابات الإسرائيلية ، وهو ٣١ ديسمبر ، حتى يساعد على زيادة فرص النجاح بالنسبة لحزب العمل الحاكم والذى ترأسه « جولدا مائير » . وقد راودته تصورات بأن ذلك عربون حسن نية مقدم يهديه لرئيسة وزراء إسرائيل لتلطيف أجواء اتصالات الإدارة الأمريكية بها !

وهكذا أصدر الرئيس « السادات » تعليمات إلى السفير « أشرف غربال » بأن يطلب مقابلة « كيسنجر » لإبلاغه موافقته على مقترحات الرئيس « نيكسون » ، وأيضا استجابة لإلحاحه هو (الدكتور « كيسنجر ») .

وظهر يوم ٧ ديسمبر توجه السفير « أشرف غربال » إلى مقابلة « هنرى كيسنجر » وكتب إلى القاهرة تقريره التالى :[١]

---

(١) برقية رمزية رقم ٩٩٦٢١ من واشنطن - محفوظات وزارة الخارجية المصرية - كما توجد نسخة منها فى محفوظات رئاسة الجمهورية .

« قابلت بعد ظهر اليوم كيسنجر . وحضر سيسكو وسترنر وأحمد خليل (المندوب المصرى المناوب فى مجلس الأمن وقتها) . حرص على أن يرحب بى أمام المصورين فى مكتبه . ذكر أنه بذل منذ عودته من زيارته للشرق الأوسط جهودا مكثفة ومستمرة لتهيئة الرأى العام الداخلى ، وخاصة لدى الكونجرس والصحافة ، تمهيدا للخطوات المقبلة .

أضاف أنه بانعقاد مؤتمر السلام فى جنيف فإن المسائل ستتحرك بطريقة ملموسة .

رجا أن يخفف السكرتير العام للأمم المتحدة ضغطه اليومى عليه » .

(كان « كورت فالدهايم » السكرتير العام للأمم المتحدة يتصل يوميا بوزير الخارجية ، وكان حريصا على دور الأمم المتحدة فى مؤتمر السلام بحيث ينعقد هذا المؤتمر تحت رعايتها .)

. . . .

. . . .

وواصل السفير « أشرف غربال » تقريره يقول :

« أضاف كيسنجر أنه لا يرى داعيا لانعقاد رسمى لمجلس الأمن تفاديا للمشاكل التى من الممكن تجنبها بحصول السكرتير العام على موافقة أعضاء المجلس دون انعقاده » .

(كان « كيسنجر » لا يريد دورا للأمم المتحدة سواء جاء هذا الدور عن طريق إبلاغ السكرتير العام بالنقاط الست بدون عرضها على مجلس الأمن ، أو البدء فى ترتيب مؤتمر السلام دون قرار أو مشاركة من المجلس .)

. . . .

. . . .

ومضى تقرير السفير « أشرف غربال » :

« أبلغته (أى كيسنجر) ترحيب الرئيس بزيارته للقاهرة . ونقلت إليه رسالة سيادته الشفوية . وركزت على ما لدى السيد الرئيس من تساؤلات حول موقف الولايات المتحدة حتى الآن فى ضوء التعنت الإسرائيلى بالنسبة للفقرة (ب) من النقاط الست (العودة إلى خطوط ٢٢ أكتوبر) – وما يضفيه ذلك من ظلال على الثقة التى بدأت تتشكل بين الدولتين (يقصد مصر والولايات المتحدة) ونصحت كيسنجر أن يعير اهتمامه الخاص بهذه الناحية .

أشرت إلى موقف السيد الرئيس منذ بداية ١٩٧١ (سرد السفير « أشرف غربال » بالتفصيل محاولات الرئيس « السادات » طوال سنتين مع الولايات المتحدة) . »

ويمضى السفير « أشرف غربال » فى تقريره فيقول :

« إن موقف الرئيس الإيجابى تمثل فى الموافقة على تبادل الأسرى من البداية بغض النظر عن ردود الفعل فى الأوساط المختلفة . وذكرته بأن الفيتناميين رفضوا حتى تسليم قوائم الأسرى إلا بعد وضع التسوية بالكامل . وكيسنجر نفسه خبر هذه المشكلة . وأما نحن فقد تجاوبنا . وأما ما يثيره كيسنجر عن الانتخابات فى إسرائيل فإنه يواجهه من الناحية العربية رأى عام له بدوره تساؤلاته . ومن هنا فإن السيد الرئيس يرى أهمية وضرورة تحقيق المرحلة الأولى من فصل القوات قبل مؤتمر السلام حتى يمهد له بصفة إيجابية . أشرت فى هذا المجال إلى أن موضوع فصل القوات كان اقتراح كيسنجر نفسه الذى أعترف فى مؤتمر صحفى أن إسرائيل احتلت بالفعل مناطق إضافية بعد ٢٢ أكتوبر ، وهذا

يعنى أنه يعرف أين تقع هذه الخطوط . وبالتالى فالتساؤل لدى الرئيس هو هل كانت هناك عمليات استدراج من جانب أمريكا ؟ »

واستطرد السفير « أشرف غربال » يقول فى تقريره ، وقد انتقل فيه الآن إلى ردود « كيسنجر » عليه ، فقال :

« ركز كيسنجر فى رده على أنه يقدر تماما صراحة الحديث ويحرص على تبادلها معى . وبين أنه فى اتصالاته السابقة بى ، كما أنه باتصالاته مع المستشار حافظ اسماعيل حرص دائما على أن يبرز الفرق بين الممكن وغير الممكن دون أى خداع . وأكد أنه مستمر على اتباع هذا الموقف معنا . أوضح أن استراتيجيته تحتاج لبعض الوقت يهيىء فيه الجو المناسب داخل الولايات المتحدة ، وخاصة الكونجرس والصحافة . وكذلك العمل على فصل المعتدلين من اليهود فى أمريكا عن إسرائيل .

ذكر أنه لا يستبعد أن نسمع من جهات كثيرة أن الأمريكيين يغررون بنا . ولكنه يؤكد أن الثقة المتبادلة بيننا والتى يأمل أن تتطور إلى صداقة ، هى مفيدة للطرفين . وأعاد امتداح سياسة السيد الرئيس وحكمته .

ردا على تساؤلى ذكر أن معونتهم العسكرية إلى إسرائيل مستمرة بمعدلها العادى . أشرت إلى انعكاس ذلك على ناحية الثقة ، وعلى ما ذكره آنفا خاصة فى ضوء موقف إسرائيل حتى الآن . ولا بد وأن كيسنجر يعلم بانخفاض معدل المساعدات السوفيتية لنا ، وهو ليس بسر . ذكر أن الكوبرى الجوى الأمريكى لإسرائيل توقف . وحاول تبرير موقفهم الحالى (استمرار إمداد إسرائيل بالأسلحة) بأن إسرائيل قبل ٦ أكتوبر كانت تتصور أنه يمكنها أن تقوم بعمليات عسكرية وتنتصر ، ثم تستعوض ما فقدته عقب ذلك . إنما وضح لها بعد ٦ أكتوبر أنه لا يمكنها أن تحقق ذلك ، بل يتعين عليها الاعتماد على استمرار تدفق المساعدات الأمريكية منذ بداية العمليات (وعلى أى حال) فهذا يعطى الولايات المتحدة نفوذا على إسرائيل .

بين أهمية قيامى بإجراء اتصالات من الأسبوع المقبل سيعاون على ترتيبها مع فولبرايت (رئيس لجنة الشئون الخارجية بمجلس الشيوخ) وكبار الشخصيات فى الشيوخ والكونجرس ونائب الرئيس الجديد فورد لإبراز موقف مصر الذى وصفه بأنه معقول وبناء .

دامت المقابلة ٤٥ دقيقة . »

□

فى طائرته إلى القاهرة مساء يوم الجمعة ١٣ ديسمبر عقد « كيسنجر » مؤتمرا سريعا لمجموعة الصحفيين المرافقين له أثناء الرحلة ، وكان عددهم قد ازداد لأن أزمة الشرق الأوسط ودور « هنرى كيسنجر » فيها راحت تحتل كل عناوين الصفحات الأولى ، ومكان الصدارة فى نشرات الأخبار على الإذاعة والتليفزيون .

والحقيقة أن « هنرى كيسنجر » كان قد ركز جهده على أزمة الشرق الأوسط : كانت عينه عليها من زمن ، وواتته الفرصة أخيرا . وقد اكتشف أن أبواب القاهرة مفتوحة على مصراعيها



الرئيس السادات يودع كيسنجر وظهر خلفهما سيسكو مساعد وزير الخارجية الأمريكية واسماعيل فهمى .

نتيجة لأن الرئيس « السادات » كان مقبلا بغير موانع ولا حدود . وهكذا رهن « كيسنجر » سمعته الأسطورية بالأزمة التى أطاحت قبله برؤوس كثيرين من الوزراء ، بل والرؤساء .

ومع ذلك فقد شعر « كيسنجر » ببعض القلق وهو فى الطائرة . وطبقا لما رواه فى مذكراته(٢) ، فقد تلقى نص مقال نشره « الأهرام » حوى تحذيرا من رفع حظر البترول العربى قبل انسحاب الإسرائيليين من كافة الأراضى العربية . وقد أقلقته فى هذا المقال عبارة جاء فيها : « إن حل أزمة الشرق الأوسط لا يكمن فى العثور على صياغات لدبلوماسية مغلفة بمعانى مزدوجة تتيح لكل طرف أن يفسرها على النحو الذى يخدم أهدافه » . وكان تساؤل « كيسنجر » هو ما إذا كان هذا الرأى يعبر عن نفاد صبر فى القاهرة سوف يجده فى انتظاره . وقد راح فى مؤتمره الصحفى فى الطائرة يدافع عن نفسه قائلا : « إننى لا أتبع سياسة مكيافيللية » .

لكن أعصاب « كيسنجر » هدأت عندما قابل الرئيس « السادات » (فى استراحة القناطر هذه المرة) ، ووجد أن عواطفه مازالت حيث تركها فى اللقاء السابق بين الاثنين يوم ٧ نوفمبر ، بل ولعلها زادت لأن الرئيس « السادات » استقبله معانقا ومقبلا ، وقائلا له أمام الجميع بمن فيهم الصحفيون أنه « يعتبره أكثر من صديق .. يعتبره أخا » . (وقد أصبح تقبيل « كيسنجر » بعدها « عادة » حتى أنه يروى فى مذكراته أنه قال للرئيس « نيكسون » فيما بعد « أنه اصبح يشك فى نفسه بسبب كثرة من قبلوه من الرجال فى مصر » !!)

وقد انتهى الاجتماع بموافقة الرئيس « السادات » على خطة « كيسنجر » ، ذلك أن وزير الخارجية الأمريكى استطاع إقناعه بأن « جولدا مائير » لا تزال مهزوزة الأعصاب لا تصدق أن السلام يطرق أبواب إسرائيل . وخير ما يفعله الآن هو أن يطمئن مخاوفها ، وأن يعاملها « كأم يهودية » حريصة على أبنائها تضمهم إليها باستمرار ، وتريد أن تطمئن عليهم طول الوقت ، وقد أفزعها ما لاقوه فى الحرب ، وهى فى حاجة إلى أن تستعيد ثقتها بالناس ، ولابد لها من وقت لتنسى ليالى الفزع التى عاشتها فى بدايات الحرب . »

وتحمس الرئيس « السادات » ومضى إلى أكثر مما طلب إليه « كيسنجر » ، وقرر أن يبعث برسالة مكتوبة بخط يده إلى السيدة « جولدا مائير » ، وقد كتبها أمام « كيسنجر » وسلمها له ليقوم بتوصيلها . وقد جاء فى الرسالة بالنص(٣)

« عندما أتكلم عن السلام الآن فأنا أعنى ما أقول . إننا لم نتقابل من قبل ، ولكن لدينا الآن جهود الدكتور كيسنجر . فدعينا فى هذه الأوقات نستخدم هذه الجهود ونتحدث إلى بعضنا من خلاله . »

---

(٢) صفحة ٧٦٧ من مذكرات الدكتور « كيسنجر » - الجزء الثانى - بعنوان « سنوات القلاقل » .

(٣) اطلع على الرسالة فى أوراق « جولدا مائير » الدكتور « والتر ايزاكسون » . وقد أورد نصها فى كتابه عن « كيسنجر » - صفحة ٥٤٩ - وقد صدر عن دار « فابر وفابر » سنة ١٩٩٢ .

وطبقا لمذكرات « كيسنجر » فإن الرئيس « السادات » قال لـ « هنرى كيسنجر » إنه (يوجه هذه الرسالة إلى « جولدا مائير ») لأنه خلال الأسابيع الأربعة الأخيرة أصبح مقتنعا بالرأى الذى سمعه منه وهو أن « مشكلة السلام مع إسرائيل هى بالدرجة الأولى عقدة نفسية(٤) ، ولكن العقد ليست مقصورة على الطرف الإسرائيلى وحده وإنما الأطراف العربية هى الأخرى مصابة بها . » ثم أضاف الرئيس « السادات » وفق رواية « كيسنجر » أنه « سوف يمضى فى الطريق وحده إذا اقتضى الأمر » . وفهم « كيسنجر » معنى الإشارة ، وترجمها على الفور بأن الرئيس « السادات » عقد عزمه على صلح منفرد مع إسرائيل إذا لم يكن هناك سبيل آخر . ثم روى « كيسنجر » أن الرئيس « السادات » سأله بعد ذلك فجأة « عما إذا كان يعتقد أن جولدا مائير قوية إلى درجة كافية لعقد اتفاقية سلام معه » ؟ وقد رد « كيسنجر » عليه بقوله إنه « إذا كان يبحث عن القوة فإن جولدا مائير هى رجله » !

٢

لم يكن الرئيس « السادات » مستعدا لأن يمضى فى طريق الصلح المنفرد قبل أن يخلى مسئوليته على الأقل مع طرفين رئيسيين فى العالم العربى :

- **أولهما** – الرئيس « حافظ الأسد » وسوريا .
- **وثانيهما** – السيد « ياسر عرفات » ومنظمة التحرير الفلسطينية .

□

كان الرئيس « الأسد » فور علمه بالاتفاق على مؤتمر للسلام ، قد اندفع مع موجة من التصريحات الصحفية ترفض الفكرة ، وتعلن تصميم سوريا على مقاطعة المؤتمر . ورد الرئيس « السادات » بتصريحات أبدى فيها تفاؤله من المؤتمر القادم ، وأمله الكبير فى أن يتحقق عن طريقه شىء . لكن المبارزة العلنية بشأن المؤتمر : حضوره أو مقاطعته – ما لبثت أن انتقلت بمراجعة النفس والخوف من تصاعد الخلاف إلى درجة الصدام بسبب التصريحات العلنية . وكتب الرئيس « حافظ الأسد » إلى الرئيس « السادات » رسالة كان نصها كما يلى :(*)

---

(٤) صفحة ٨٦٨ و ٨٦٩ من مذكرات « هنرى كيسنجر » - الجزء الثانى - بعنوان « سنوات القلاقل » .

(*) فى ملحق صور الوثائق توجد صورة لأصل هذه الرسالة ، وهى منشورة تحت رقم (١٣٩) - على صفحة ٨٨٠ من الكتاب .

« من الرئيس حافظ الأسد

إلى الرئيس أنور السادات

أخي السيد الرئيس

إنني لا أرى في الأمر ما يبعث على التفاؤل في ذهابنا إلى مؤتمر السلام من حيث أنه سيحقق تطلعاتنا العادلة . ويبدو لي من خلال موقف بعض الدول الكبرى ، ومن خلال تصرفات وتصريحات المسئولين في إسرائيل والتي مازال طابعها الصلف والتكبر الفارغان أنه ليس من حقنا أن نعلق آمال كبيرة على هذا المؤتمر . وقد يكون علينا أن نعيد النظر لموقفنا منه . ولا أعني أن نرفض المؤتمر مباشرة طالما أننا قبلنا بالقرار رقم ٣٣٨ ، بل أن نتمسك بتنفيذ القرار ككل . فالقرار نص في مادته الثانية على التنفيذ الفوري للقرار رقم ٢٤٢ القاضي بالانسحاب . ونص أيضا في مادته الثالثة على البدء فورا بالاتصال لتعاجل عقد مؤتمر للسلام . فلماذا نعمل من أجل المادة الثالثة ونتجاوز المادة الثانية ؟ فأرى ألا نذهب لمؤتمر للسلام قبل البدء بتنفيذ الانسحاب طبقا للمادة الثانية . وهذا الموقف لن يكون مرفوضا من قبل العالم . إنه عادل ومتطابق مع قرارات الأمم المتحدة ومع القرار رقم ٣٣٨ بالذات .

وتقبلوا فائق تحيتي .

(إمضاء)

حافظ الأسد »

ورد الرئيس « أنور السادات » على رسالة الرئيس « حافظ الأسد » برسالة قال فيها بالنص :(*)

« الأخ السيد الرئيس حافظ الأسد

لقد تلقيت شاكرا برقيتكم الخاصة بمؤتمر السلام والتي قرأتها بالإمعان الواجب . وإني لأشارككم الرأي في أن موقف بعض الدول الكبرى من خلال تصرفاتها ، وكذلك تصريحات المسئولين في إسرائيل قد لا تبعث على تفاؤل كبير .

وإني لأشترك معكم في الرأي كذلك أنه لا يمكننا رفض المؤتمر مباشرة طالما قبلنا بالقرار رقم ٣٣٨ . ولعلكم تتفقون معي في أن الهدف من المؤتمر هو تنفيذ القرار رقم ٣٣٨ ، أي العمل على تنفيذ القرار رقم ٢٤٢ الوارد ذكره في الفقرة الثانية من ذلك القرار . كما أود أن أضع أمامكم أن القرار رقم ٢٤٢ ، وهو الذي يقضي بالانسحاب كما ذكرتم في برقيتكم ، إنما ينص كذلك على أمور أخرى مرتبطة بالانسحاب ، وأن الاتجاه كان دائما إلى أن ينظر إلى القرار ككل – أي أن ينفذ في جميع بنوده . وبذا فإن الانسحاب إلى خطوط ٤ يونيو ١٩٦٧ سيكون من الأمور التي سيبحثها المؤتمر ، وأنه بالتالي لا يمكن تحقيقه قبل بدء المؤتمر . هذا وأنني لواثق من أنكم ملمون بمدى

(*) في ملحق صور الوثائق توجد صورة لأصل هذه الرسالة ، وهي منشورة تحت رقم (١٤٠) ـ على صفحة ٨٨١ من الكتاب .

إلحاح الاتحاد السوفيتى وتشاركه فى ذلك الولايات المتحدة على الأطراف لحضور مؤتمر السلام فى جنيف ابتداء من ١٨ ديسمبر الجارى .

ويتوازى مع هذا اهتمام العالم بالمؤتمر والآمال المعقودة عليه . ويهمنى ارتباطا بذلك أن أشير إلى رد الفعل العكسى الذى سيحدث إذا ما تغيبنا عن المؤتمر .

ومع أخذى فى الاعتبار لكل هذه العوامل ، وحيث أننى لا أرى تعارضا بين الاستعداد العسكرى والعمل فى المحيط السياسى ، بالرغم مما يكتنف المجال الأخير من أشواك وصعاب - فلعلكم توافقون على أنه لا يوجد ضرر من الذهاب إلى المؤتمر ما دام القرار فى النهاية فى أيدينا نقبل ما نرضاه ونرفض ما لا يتمشى مع مصالحنا القومية .

. . . .

(إمضاء)
أنور السادات »

كان ظاهرا أنه لا التصريحات العلنية ولا تبادل الرسائل السرية كاف لإحداث تغيير فى معضلة الاتفاق على مبادىء قبل المؤتمر ، أو الذهاب إلى المؤتمر للاتفاق على مبادىء ، ورغم كل المناقشات العقيمة التى تكاد تشبه سابقة شهيرة لها فى التاريخ الطبيعى عن أيهما أسبق : البيضة أو الدجاجة !

□

ولم يكن الحال أفضل فى الاتصالات مع السيد « ياسر عرفات » . فقد كان شرط « كيسنجر » القاطع والمسبق هو أنه لا مكان للمنظمة ولا للفلسطينيين فى المؤتمر القادم للسلام . لكن قضية فلسطين كانت لاتزال لب الصراع وجوهره . وكان الرئيس « السادات » يلح فى شىء يستطيع تقديمه للفلسطينيين . والغريب أنه فى ذلك الوقت بعث إليه « هنرى كيسنجر » بورقة تتضمن رأيه (أى رأى « هنرى كيسنجر ») فيما يمكن للفلسطينيين أن يفعلوه ، وما ينبغى أن يكون عليه موقفهم . وقرر الرئيس « السادات » من باب طمأنة الفلسطينيين ، أن يبعث للسيد « ياسر عرفات » بصورة من ورقة « كيسنجر » كما تلقاها ، ناصحا بإمعان النظر فيها والتصرف على أساس أنها قد تكون طريقا إلى موقف عاقل وبناء .

وكانت ورقة « كيسنجر » ورقة غريبة فى جو مزدحم ومثقل بالأوراق الغريبة .

كانت ورقة « كيسنجر »- وهى على ورق أبيض مطبوعة بالآلة الكاتبة بدون توقيع - تقترح على الفلسطينيين ما يمكن أن يفعلوه فى الموقف الذى يواجههم - وكان نصها بالحرف :(*)

(*) فى ملحق صور الوثائق توجد صورة من أصل هذه الورقة ، وهى منشورة تحت رقم (١٤١) . على صفحة ٨٨٢ من الكتاب . ومن المفارقات أن اللغة الجارية فيها هى اللغة التى ما زالت مستعملة حتى الآن - بعد أكثر من عشرين سنة - أثناء محادثات السلام الإسرائيلى - الفلسطينى التى بدأت بعد مؤتمر مدريد سنة ١٩٩١ واستمرت عشر جولات - حتى كتابة هذه السطور .

« ١ – اقيموا اتصالا مباشراً مع H K (« هنرى كيسنجر ») بسرعة .

٢ – كونوا محددين وعمليين فى التصريح بما هو مطلوب من الولايات المتحدة .

٣ – كونوا مستعدين لشرح مواقفكم أكثر عن النقاط التالية :

– القرار ٢٤٢ وأى الأجزاء فيه – إذا كانت هناك أجزاء – يمكن أن تكون مقبولة من جانبكم .

– تصوركم للتسوية السلمية .

– وجود الدولة اليهودية فى فلسطين .

– علاقتكم بالأردن والملك حسين .

٤ – ما هى الخطوات العملية الأولية التى يمكن اتخاذها لوضع إطار عمل وقوة دفع لخطوات مقبلة ؟

٥ – ما هو التنسيق المرغوب فيه بينكم وبين السادات – الأسد – بومدين – فيصل ؟

□ نقاط عامة للملاحظة :

١ – الولايات المتحدة مفتوحة العقل open-minded وليست هناك نتيجة جرى استبعادها حتى الآن . وليست هناك وعود سرية قطعت لأحد .

٢ – الولايات المتحدة على استعداد للدخول فى حوار جدى فى مستقبل قريب .

٣ – الولايات المتحدة ليست لديها النية للتخلى عن إسرائيل أو الملك حسين ، ولكن هذا لا يعنى أنها على استعداد لتأييدهم فى كل النقط .

٤ – الولايات المتحدة سوف تبدى اهتماما بأية مواقف تؤيدها الدول العربية الرئيسية ، وبالذات مصر وسوريا والجزائر والسعودية .

٥ – الولايات المتحدة تعارض بشدة أية « مسرحيات إرهابية » "Terrorist spectaculars" جديدة .

٦ – الولايات المتحدة جادة عندما تقول إن مصالح الفلسطينيين يجب أخذها فى الاعتبار فى أية تسوية شاملة . وهذا لا يعنى قضية اللاجئين فقط . الولايات المتحدة مستعدة لمناقشة أبعد حول هذه المصالح .

٧ – الولايات المتحدة لم تضع نظرية لخطة سلام ، وإنما سوف تمارس عملية تقوم على خطوة بعد خطوة . وهى لا تعد فى أى مرحلة إلا بما تستطيع عمله . إننا سوف نكون مختصرين جدا فى الخطابة . ولكننا سوف ننفذ أى تعهدات نقدمها . . »

وكانت هذه الورقة مثل كثير غيرها تكرر فيما بعد تجديدا فى الوسائل الدبلوماسية . وبمقتضاه ، فإن أحد أطراف الصراع (الطرف الأقوى) يقدم للطرف الآخر (الطرف الأضعف) نصائحه بشأن ما يجب عمله وما يمكن قوله ، وكيف يجرى العمل والقول ؟ ومع من ؟ ومتى ؟ !

٣

حمل « هنرى كيسنجر » رسالة الرئيس « السادات » المكتوبة بخطه إلى رئيسة الوزراء الإسرائيلية السيدة « جولدا مائير » ، التى استقبلته فى مكتبها وقد أحاط بها عدد من وزرائها وقوادها وبينهم « ييجال آللون » و « موشى ديان » . وكان ذلك يوم ١٦ ديسمبر . وأمسكت « جولدا مائير » برسالة الرئيس « السادات » وراحت تقرؤها وتعيد قراءتها :

« عندما أتكلم عن السلام الآن فأنا أعنى ما أقول . إننا لم نتقابل من قبل ، ولكن لدينا الآن جهود الدكتور كيسنجر . فدعينا فى هذه الأوقات نستخدم هذه الجهود ونتحدث إلى بعضنا من خلاله . »

وقد ناولت الرسالة إلى « ييجال آللون » ليقرأها ، والتفتت إلى « كيسنجر » قائلة له بالحرف(٥) وبنبرة معبأة بالشك والحيرة :

« هذا شىء طيب ، لكن ما أستغربه هو لماذا يفعل ذلك ؟ »

وكان سؤالها منشطا لخبرة « كيسنجر » كأستاذ سابق فى « هارفارد » ، وقد راح يرد عليها - طبقا لنصوص محضر الجلسة(٦) - بأسلوب ولهجة أستاذ فى « هارفارد » - قائلا وكأنه يحاضر :

« إن تفسيرى لموقفه مركب بعض الشىء .

دعونا نفكر أولا فى الموقف الذى يواجهنا الآن . فنحن الآن نتحدث عن هدف محدود ، وهو اتفاق لفك الارتباط تنسحبون بمقتضاه إلى مدى معين فى سيناء . والهدف المعين الذى نتحدث عنه ، وهو اتفاق فك الارتباط ، يعطيكم ميزة ويعطينا ميزة .

ميزته بالنسبة لكم أنه يعطيكم وقتا ويعفيكم الآن من الحديث عن خطوط الحدود النهائية ، وعن كامل ترتيبات السلام التى تريدونها .

أما الميزة بالنسبة لنا فهى بدء علاقة استراتيجية جديدة مع مصر ، ورفع حظر البترول عن الولايات المتحدة ، وإنهاء التهديد به (بالبترول) بالنسبة لأصدقائنا وحلفائنا فى أوروبا الغربية .

وأنتم كما أعرف لا تريدون الانسحاب من سيناء إلى مدى يستطيع السادات قبوله . فأنتم تريدون الاحتفاظ بالمضايق ، وهو لا يستطيع قبول أقل من ذلك . نصيحتنا إليكم كانت ولا تزال أن تعملوا على إنجاح اتفاق لفك الارتباط بينكم وبينه ، فهذا وحده كفيل بتخفيف الضغط الواقع عليكم من أوروبا الغربية واليابان . ولا ينبغى لأحد منكم هنا فى إسرائيل أن يراوده الشك فى أن فشل

---

(٥) صفحة ٥٤٩ من كتاب « والتر ايزاكسون » الذى اطلع على المحضر الرسمى للاجتماع .

(٦) نشر محضر الجلسة بالكامل فى كتاب « ماتى جولان » بعنوان « المحادثات السرية لهنرى كيسنجر فى إسرائيل » ، وقد صدر عن دار كوادرانجل المملوكة لجريدة نيويورك تيمس سنة ١٩٧٦ . وقد صودر الكتاب وظل مصادرا لوقت طويل حتى أفرج عنه بعد حذف أجزاء منه .

محادثات فك الارتباط سوف يؤدى إلى فتح خزانات هائلة للضغوط على إسرائيل . ولن تكو
الضغوط من أجل انسحاب جزئى ، وإنما سوف تكون من أجل انسحاب كامل إلى خطوط
١٩٦٧ ».

كان « كيسنجر » يتكلم والجميع يصغون إليه بانتباه ، وقد استطرد يقول بالحرف :

« إن رئيسة الوزراء تسأل « لماذا يفعل الرئيس السادات ما يفعله الآن » ؟ - والحقيقة شخصيا مندهش amazed من مسلكه . إن الرئيس المصرى لا يبدو حتى الآن مستعدا لاستعما السياسية الكاملة التى تعطيها له حقائق موقفه . كما أنه لا يأخذ الموقف الدولى الجديد فى ا وهو يتفاوض .»

ثم استطرد « كيسنجر » قائلا :

« إننى أعتقد أن الرئيس السادات كان فى استطاعته أن يستخدم ما لديه لتحقيق اتفا بانسحابكم على شروطه وإلى خطوط ٤ يونيو ١٩٦٧ . وحتى إذا خاطر باحتمال تجدد القتال ، فإ كله سوف ينحى باللوم على إسرائيل . »

ثم تساءل « كيسنجر » فى عرضه أمام « جولدا مائير » ووزرائها الأقربين قائلا :

« لماذا إذن لا يستعمل السادات كل عناصر موقفه ليضغط من أجل انسحاب إسرائيلى ك

ثم أجاب « كيسنجر » بنفسه على سؤاله وتساؤلات الآخرين قائلا :(*)

« السبب - فى رأيى - أن السادات قد وقع ضحية للضعف الإنسانى man Weakness فى الحالة النفسية لسياسى يتشوق إلى أن يرى نفسه وبسرعة سائرا فى موكب نصر فى مكشوفة عبر مدينة السويس ، وآلاف الناس على الجانبين يصفقون له كمنتصر .»

ثم راح « كيسنجر » يضيف التفاصيل إلى نظريته قائلا :

« إن السادات لديه أحد خيارين :

□ الأول - أن يحاول الوصول إلى اتفاق بمساعدة الولايات المتحدة فى جو مريح .

□ والثانى - أن يحاول الوصول إلى هدفه بمساعدة الانجليز والفرنسيين واليابانيين وال وفى مناخ دولى متأزم تجد الولايات المتحدة نفسها فيه مجرورة وراء سيا أخرى .

وإذا أخذ السادات هذا الخيار الثانى ، فهو لن يكون محتاجا إلى استئناف الحرب . تكف حوادث محدودة مع مواصلة حظر البترول - ثم يكون له فى الغالب ما يريد .»

وخلص « كيسنجر » إلى النتيجة التى يجب أن يستوعبها فى رأيه قادة إسرائيل فى هذا فقال لهم :

« أعتقد أنكم يجب أن تفكروا جديا فى انسحاب يعطيه المضايق . وأنا أشعر أن مشكلة دائما هى أنها لا تعرف متى تعطى . ولكنكم الآن أمام ضرورة الاختيار . وهذا فى صالحك

(*) فى ملحق صور الوثائق توجد صورة لصفحة من محضر هذه الجلسة بين « كيسنجر » والقادة الإسرائيليين - « ماتى جولان » (صفحة ١٥٢) - وهى منشورة تحت رقم (١٤٢) - على صفحة ٨٨٣ من الكتاب .

نخدع أنفسنا . فالموقف الدولى ليس ملائما لكم . وانتشار القوات الإسرائيلية من غرب قناة السويس إلى قرب دمشق يجعل خطوطكم العسكرية مرهقة over extended . ثم إن هناك اعتبارات أخرى يجب أن تفكروا فيها . فهناك فى وزارة الخارجية الأمريكية وفى البنتاجون (وزارة الدفاع) أعداد كبيرة من المسئولين الأمريكيين ينتظرون الفرصة لإعادة توجيه السياسة الأمريكية من موقف موال لإسرائيل إلى موقف متعاطف مع العرب باعتبار أن المصالح الأمريكية هناك ، وأن العداء لأمريكا فى العالم العربى يمكن أن ينتهى بتوجهات السادات الجديدة .»

ويسجل المحضر الرسمى للاجتماع أنه عند هذا الحد من كلامه ، قامت السيدة « جولدا مائير » بمقاطعة « هنرى كيسنجر » قائلة بغضب :

« ماذا تريد منا أوروبا ؟ يظهر أن العدل لم يعد يساوى شيئا هذه الأيام .»

ثم واصلت رئيس وزراء إسرائيل حديثها قائلة :

« إن العالم يريد من إسرائيل أن تتراجع إلى خطوط سنة ١٩٦٧ . أو ، لنكن صرحاء فإن العالم يريد البترول معتقدا أنه يستطيع الحصول عليه إذا انسحبت إسرائيل بالكامل . ولكن هذا العالم لا يعرف أن سلاح البترول يمكن أن يستخدم مرة أخرى ومرات . ولكن إسرائيل تعرف . ومن الأفضل لها أن تدخل فى المواجهة الآن ، بينما الظروف لا تزال مواتية لها . فقناة السويس ما زالت تحت رحمتها ، كما أن القوات الإسرائيلية على بعد مائة كيلو متر من القاهرة . وإذا تخلت إسرائيل عن هاتين الميزتين كأوراق مساومة ، فإن العالم سوف يكون فى وضع يسمح له فعلا بأن يضغط عليها للعودة إلى خطوط ١٩٦٧ .»

ثم زادت عصبية « جولدا مائير » وهى تقول لـ « كيسنجر » :

« إن أسوأ ما فى الأمر هو أن العالم ليس معنيا بتحديد من هو المعتدى ، وقد وضع المعتدى والضحية فى نفس القارب . بل أسوأ من ذلك ، فالمعتدى هو وحده الذى يركب القارب والضحية فى الماء تغرق لأن المعتدى لديه البترول ، وبالتالى لديه الحق . مثل هذا العالم لا يمكن أن يكون عادلا مع إسرائيل .»

وراح « كيسنجر » يوضح موقفه قائلا لها :

« إنه مثلها لا يثق فى الأخلاقيات الدولية - لكنه أكثر منها فى هذه اللحظة يعرف الحقائق . فقد التقى أخيرا برئيس الوزراء اليابانى « كاكوى تاناكا » وعاتبه على موجة العداء التى اجتاحت اليابان ضد إسرائيل فى أجواء الحرب الأخيرة ، وما صاحبها فيما يتصل بالبترول . وشرح له « تاناكا » أنه على أبواب انتخابات عامة وأنه مضطر للدفاع عن مصالح اليابان ، كما أنه ليس فى اليابان يهود ، وبالتالى فهو لا يخشى على أصوات انتخابية يمكن أن تضيع منه .»

وعقب « كيسنجر » على ذلك قائلا لـ « مائير » :

« إن ذلك كان أسوأ تعبير معاد للسامية سمعته فى السنين الأخيرة . وهو لم يدهشنى ، وأنا لا أثق فى اليابانيين عموما . ومع ذلك فإن موقف اليابان حقيقة من حقائق القوة لا يجب نسيانها .»

واتصلت المناقشة ، واتضح أن العسكريين - وعلى رأسهم « ديان » - يريدون اتفاقا بأسرع ما يمكن (ربما لفك حالة التعبئة العامة) . وأبدى « كيسنجر » ملاحظة قال فيها « إن السادات لا يستطيع أن يقبل خطوط فك الاشتباك التى تقترحها إسرائيل » . ورد عليه الجنرال « موشى ديان » وزير الدفاع طالبا منه « ألا يتحدث بالنيابة عن السادات ، وأنه قد يكون من الأفضل للجميع أن يعرض

عليه مقترحات إسرائيل كما هى حتى وإن بدت له (أى لهنرى كيسنجر) أقل مما يستطيع السادات قبوله .»

وكان تحليل « موشى ديان » أن الرئيس « السادات » يريد اتفاقا بأى ثمن لعدة أسباب :

١ - لأنه قلق من الحالة النفسية للجيش المصرى .

٢ - لأنه يتوجس شرا من الاتحاد السوفيتى .

٣ - لأنه يريد أن تكون يداه طليقتين لمواجهة المتشددين العرب .

٤ - ثم أنه (أى « ديان ») يوافق على ما سبق لـ « كيسنجر » نفسه أن قاله من أن الرئيس « السادات » يريد أن يرى نفسه وبسرعة فى موكب المنتصر وسط جماهير تهلل له وتصفق فى مدن القناة أو فى غيرها .

□

وفيما بعد ، وفى اجتماع فى بيت « موشى ديان » فى ضاحية « زحالا » من ضواحى تل أبيب ، دخل « كيسنجر » مع كل من « ديان » و « سيسكو » والجنرال « اليعازر » إلى غرفة نوم « ديان » حيث كانت هناك خريطة كبيرة للمواقع على الجبهة المصرية . ومشى « ديان » بقلم رصاص على الخط الذى تقترحه إسرائيل لفك الاشتباك . ولم يكن « كيسنجر » مقتنعا به . وألح عليه « ديان » أن يعرضه على الرئيس « السادات » ، وأن يكون محايدا فى عرضه . وقبل « كيسنجر » . وكانت المفاجأة حتى بالنسبة له أن الرئيس « السادات » قبل بهذا الخط بشرط واحد ، وهو الإعلان عنه باعتباره اقتراحا أمريكيا وليس اقتراحا إسرائيليا .

وعندما قبل الرئيس « السادات » بهذا الخط ، أظهر بعض مساعدى « كيسنجر » مخاوفهم من أن يكون « كيسنجر » قد مارس ضغطا على الرئيس « السادات » حتى يجعله يقبل . وكان بين الذين أظهروا القلق السفير « هيرمان آيلتس » الذى عين مشرفا على بعثة المصالح الأمريكية فى القاهرة ، ثم أصبح أول سفير للولايات المتحدة فى القاهرة بعد العودة الكاملة للعلاقات . ورد عليه « كيسنجر » بأن الرئيس « السادات » قبل « باختياره وبدون ضغط » . وكان « آيلتس » لا يزال غير قادر على إخفاء ضيقه ، فقال لـ « كيسنجر » بحيرة : « ولكن هذا الخط قد يحرجه أمام جيشه ، وقد لاحظت بنفسى أن اللواء الجمسى أصيب بصدمة وهو يسمع التفاصيل » . ورد عليه « كيسنجر » بسخرية قائلا : « هيرمان .. يظهر أنك أصبحت « من أبناء البلد « Herman, you became native » . واعتبر السفير « هيرمان آيلتس » ملاحظة « كيسنجر » إهانة له ، فخرج ليكتب استقالة من سطر واحد . وقد رفضها « هنرى كيسنجر » . وذهبت « نانسى » زوجة « كيسنجر » تطيب خاطره . واستدعاه « كيسنجر » ليؤكد له مرة أخرى أنه لم يمارس أى ضغط من أى نوع على الرئيس « السادات » .

كان التساؤل الذى طرحته « جولدا مائير » بقولها « لماذا يفعل ذلك ؟ لا يزال قائما . ولعل

الإجابة عليه زادت غموضا . فلم يكن يكفى فى تفسيره تحليل « هنرى كيسنجر » عن الضعف الإنسانى لسياسى يريد أن يرى نفسه فى موكب منتصر وسط حشد من جماهير شعبه . ولا كانت تكفى أسباب الجنرال « موشى ديان » عن القلق فى الجيش المصرى والتخوف من الاتحاد السوفيتى والتفرغ للمتشددين العرب !!

□ □ □

وبعد عشرين سنة[7] على حرب أكتوبر كان التساؤل الذى طرحته « جولدا مائير » أثناء اجتماعها ووزرائها مع « هنرى كيسنجر » فى ديسمبر ١٩٧٣ لا يزال قائما :

« لماذا يفعل ذلك ؟ »

« لماذا فعل ذلك ؟ ! »

ولم تكن الأسباب التى طرحها حضور ذلك الاجتماع - بمن فيهم « كيسنجر » - كافية لتفسيره .

ولا كانت نافعة فى تفسيره نظرية المؤامرة التى استهوت كثيرين فى العالم العربى ، وراحوا يتوصون فيها إلى أعمق كلما استعصت عليهم الأسباب .

وربما كانت الحقيقة أبسط ، ولذلك بدت أعقد ... فلعلها كنت إنسانية ، تتصل برجل ولا تتصل بمؤامرة ، تتصل بإنسان وبشخصيته ، وتصوراته وتقديراته ، وأحلامه وطموحاته - أكثر من اتصالها بأى شىء آخر .

والحاصل أن الرئيس « السادات » خرج مقتنعا بعد تجربته الهائلة فى أكتوبر ١٩٧٣ بعدة مقولات :

- أن الصراع العربى - الإسرائيلى نفسى - على الأقل بنسبة ٧٠ ٪ منه (وكان هذا حسابه) .
- وأن حرب أكتوبر هى آخر الحروب .
- وأن ٩٩ ٪ من أوراق حل أزمة الشرق الأوسط فى يد الولايات المتحدة الأمريكية .
- وأن موضع وموقع مصر ليس فى العالم العربى ، وإنما هو فى الغرب أو معه بشكل ما فى مكان ما !
- وأن هناك علاقة خاصة يمكن أن تتوثق بين مصر والولايات المتحدة بالتحديد ، وهذه العلاقة يمكن أن تزيد على العلاقة الخاصة بين السعودية والولايات المتحدة ، كما أنها يمكن أن تتساوى مع العلاقة بين إسرائيل والولايات المتحدة !

---

(٧) كتبت فصول هذا الكتاب سنة ١٩٩٣ - فى ذكرى مرور عشرين سنة على حرب أكتوبر .

وبصرف النظر عما إذا كانت هذه المقولات صحيحة ، أو كانت ممكنة بحقائق الأشياء ، فإن هذه المقولات كانت لها بالطبع مقتضياتها ونتائجها والآثار المترتبة بالضرورة على هذ المقتضيات والنتائج معا .

□

ومهما يكن فإنه منذ ذلك الوقت وحتى الآن – تدفقت مياه كثيرة – ودماء – من تحت الجسور .

وكانت قصة أكتوبر ١٩٧٣ هى اقتحام « جسور العبور » إلى الشرق لتحرير أرض وتحرير إرادة .

وفى أعقاب الحرب فإن القصة تحولت إلى سباق على « عبور » الجسور – كل الجسور إلى مجالات وامكانيات بدت سهلة ومتاحة .. مطلوبة وقريبة .

والذى حدث أن الذين اقتحموا « جسور العبور » على قناة السويس ، لم يكونوا هم أولئك الذين تسابقوا إلى « عبور » كل الجسور الأخرى البعيدة عن قناة السويس .

« جسور العبور » كانت قبولا مجيدا وعظيما بالتضحيات المطلوبة لوطن وأمة .

و « عبور » الجسور الأخرى كان جريا سريعا ونشيطا إلى آفاق تفتحت واسعة ومغرية

وكانت جسور السويس مخضبة بالدم .

وكانت الجسور الأخرى مفروشة بالورد !

وانطوت صفحة من تاريخ مصر وتاريخ الأمة .. وبدأت صفحة مختلفة !

وكانت « عبقرية المكان » على وشك الدخول مرة أخرى فى امتحان صعب وعسير ، فى زمان متقلب ومتغير !

الملحق الوثائقى

سري للغاية

رقم التقرير: من مصر السيد الرئيس أنور السادات
رقم الملف: الى عمان جلالة الملك حسين
رقم الشريط: ٧٠٧ ٢٠١٨٠٣ — رقم التليفون: ٦٧٦٦٧
الوقت والمدة: ١ ساعة — العنوان:
التاريخ: ٦/١٠/١٩٧٢ — نوع الحديث: عادي

نص المحادثة

يوضع ... في ١٩٧٢/١٠/٦

— سيادة الرئيس موجود

ص ألو سيادة الأخ أنا حسين الشافعي

— يا أهلا يا أخ حسين كيف الأحوال

ص إزيك انت وإزي الحال

— الله يبارك فيك الحمد لله ... أحسن ما يكون

ص السلام الرئيس أنور جاي يكلمك حالا دلوقتي

— طيب يا سيدي

ص وإنتم كلكم جميعا

— الحمد لله الكل بخير وأفكارنا معاكم وإن شاء الله
الله ياخذ باليد
الله يبارك فيك

ص دقيقة واحدة يكلمك

— طيب يا أخي

□ **وثيقة رقم (١)** □

صورة تقرير لمحادثة تليفونية بين الملك حسين والرئيس السادات .

سري للغاية

رقم التقرير —		من الجزائر هواري بومدين
رقم التذكرة	١٩٠٨٤٩	الى مصر الرئيس محمد أنور السادات
رقم الشريط	٨١ ج	رقم التليفون ٦٧٠٩١٦٧
الوقت والمدة	١ س ١٦ ق	العنوان
التاريخ	٦ / ١٠ / ١٩٧٣	نوع الحديث تليفوني عربي

يعرض
عبد الرحمن ...
١٩٧٣/١٠/٦

نص المحادثة

— الريس السادات
هـ أهلا وسهلا يا أخي هواري
— كيف أحوالكم
ص الحمد لله بخير كيفك إنت
— الآن أنا ما سامعك كويس
ص أنا سامعك كويس
— كيف الحالة
ص الحمد لله الحالة طيبة
— وإيه أخباركم
ص الحمد لله طيبة يا أخي هواري
— طيبة
ص الحمد لله القوات عبرت
— إنتم عبرتم القناة
ص القوات عبرت القناة القوات الحمد لله
— إن شاء الله يكون نصركم كويس
ص الحمد لله المركز كويس هيا ستبقى معاك الخطة بعدما ساعدتنا فيها الحمد لله

□ وثيقة رقم (٢) □

صورة تقرير لمحادثة تليفونية بين الرئيس هوارى بومدين والرئيس السادات .

سري للغاية

رقم التقرير — من جلالة الملك حسين

رقم التذكرة — ٨٩٤٠٥٩٠ — الى سيادة الرئيس انور السادات

رقم الشريط — ٩٨٦ — رقم التلفون

الوقت والمدة — [illegible] — العنوان

التاريخ — ٦/٦/٧٢ — نوع الحديث — [illegible]

يرفع
[illegible]
٦/١٠/١٩٧٢

نص المحادثة

مع: ايوه

-: الو. مرحبا سيادة الشيخ

مع: اهلا اهلا. سيادة الشيخ اهلا

-: الحمد لله. كيف احوالكم

مع: الحمد لله بخير. كيف احوالك ؟

-: كويسين. تمام الحمد لله

مع: طيب عال الحمد لله

-: الله يبارك فيكم يا سيادة الرئيس

مع: انا شاكر قوي قوي قوي

-: الله يبارك فيكم ويسلمك يا اخي

مع: [illegible]

-: كل التوصية وسيادة الشيخ لو امرت [illegible] يحطونا في الصورة باستمرار

مع: حاضر

-: [illegible]

مع: حاضر. حاضر

-: تسلم يا سيدي

مع: حاضر حاضر

-: لا توصية ان شاء الله

مع: الله يبارك فيك

-: بشكرك [illegible]

تسجيل: [illegible]

شوهد: [illegible]

٦/٦/٧٢

□ وثيقة رقم (٣) □

صورة تقرير لمحادثة تليفونية بين الملك حسين والرئيس السادات .

سري للغاية

رقم التقرير - من ... البكر
رقم التذكرة ١٩٠٨٢-٥ الى ... السادات
رقم الشريط ١١٧٦ رقم التليفون
الوقت والمدة ... العنوان
التاريخ ٦/١٠/١٩٧٢ نوع الحديث عادي عربي

نص المحادثة

- سيدي بيتكلم
ص - أبو السادات معه ؟
- مساء الخير
ص - مساء الخير
- أحمد أحمد
ص - أهلاً أهلاً يا أبو هيثم
- إيش لونك يا أخي
ص - كيف صحتك
- إيش لونك
ص - الحمد لله والله أنا عايز أهنيك على الولاد وولاد اللي عندي
- بارك الله فيك
ص - نعم ولادك اشتركوا اليوم كانوا موجودين معانا
- دول ولادكم
ص - والله حقيقة نفتخر بيهم كلنا
- إحنا بلغنا السفير ... السفير السوري كان ... حاضر ... الحكومة العراقية ... [illegible]

□ وثيقة رقم (٤) □

صورة تقرير لمحادثة تليفونية بين الرئيس أحمد حسن البكر والرئيس السادات .

رقم التقرير ١٧ من الرئيس بورقيبة

رقم المذكرة ـــ الى الرئيس السادات

رقم الشريط ٦٦

رقم التليفون ـــ

الوقت والمدة ١٠٫٣٠ مساء

العنوان ـــ

التاريخ ٧٣/١٠/٧

نوع الحديث ـــ

نص المحادثة

تونس: سيادة الرئيس السادات، الله يمسيك بالخير.

مصر: صبحك الله بالخير.

تونس: والله مسألة الحرب بينكم وبين إسرائيل والله انشرحنا كثير بالأمر. تونس دائما في جانب مصر والعرب وأنا الآن توا الجانب من الجيش التونسي يستعد للرحيل إلى ميدان القتال.

مصر: شكراً

تونس: وعملت تلفون للقذافي وقلت له أنا بأعمل الواجب بتاعي لكن ربما جيش بالدبابات والمدافع يستلزم ١٧ أيام علشان يوصل، بينما ليبيا عندهم الميراج والدبابات ذات الصواريخ بحيث يقدروا يوصلوا الميدان أقرب وقت أقرب من قوتنا، وكذلك كلمت بومدين وقال كذلك بأن إحنا يد واحدة وإن شاء الله الأمور تمشي كويسة والأخبار تكون تمام والجيش المصري يكون احتل الضفة الشرقية.

مصر: الحمد لله، الحمد لله.

تونس: سيبها يشرق فكر يلزم لابد أن الأزم يكون مقاتل لدولم أنت تعرف عدايزين يعرفوا ويظهروا للعالم أن العرب هم اللي هجموا عليهم واليهود ينقضوا عليكم وتكون كارثة ربنا يقيناها ويحسن الخاتمة.

مصر: إن شاء الله

تونس: المهم النتيجة.

مصر: فعلاً أنا شاكر جداً وكنت عملته إن شاء الله بالتوفيق وربنا يوفقنا

[illegible]: إن شاء الله

تونس: وربنا يلطف

مصر: اللهم آمين، أنا شاكر جدا

تونس: أنا حبيت احذرك من التقلبات لأن إسرائيل عندها قوة جبارة وأمنا توقعنا ضربتها لأن أمريكا طلبت وقف القتال فإسرائيل رفضت حيث عندها نوايا كبيرة

مصر: أيوة. طيب

تونس: فالبد شأن دائما أن يكون الرشاد. بارك الله فيك.

مصر: شاكر جداً. مع السلامة. الله يبارك فيك

تونس يهدد ريتب
تفريغ المحدثات
٧٣/١٠/٧

المفتش [illegible]

□ وثيقة رقم (٥) □

صورة تقرير لمحادثة تليفونية بين الرئيس بورقيبة والرئيس السادات.

سري للغاية

رقم التقرير	من الجزائر — الرئيس بومدين
رقم التذكرة ١٩٦٧٧٧٧	الى مصر — الرئيس السادات
رقم الشريط ٥٤٧	رقم التليفون ٦٩٧٩٦
الوقت والمدة ٢٧/٥٠	العنوان
التاريخ ١٧/١٠/١٩٧٣	نوع الحديث سياسي

يعرض
السيد الرئيس

١٩٧٣/١٠/٧

نص المحادثة

الجزائر	سيادة الرئيس.
مصر	أهلا أهلا سيادة الرئيس يا أخ بومدين
-	كيف أحوالكم.
م	الحمد لله بخير.
-	أخبار المعركة.
م	طيبة خالص.
-	الحمد لله.
مصر	القنطرة سقطت النهارده الجزء الشمالي سقط كله. وكل حاجة ماشية كويس قوي.
-	هادول بيتكلم على هجوم مضاد
م	ده بيحضر عشان بكره هيعمل بكره إن شاء الله.
-	واحنا جاهزين.
مصر	قالوا لي
-	احنا جاهزين على كل حال.
م	عظيم.

للعرض
١٨/١٠/١٩٧٣

□ وثيقة رقم (٦) □

صورة تقرير لمحادثة تليفونية بين الرئيس هوارى بومدين والرئيس السادات .

الأولوية: سري للغاية

رقم التقرير	١٨	من	[illegible]
رقم المذكرة	[illegible]	إلى	[illegible]
رقم الشريط	٩٤٨	رقم التليفون	[illegible]
الوقت والمدة	١٠:٢٠ — ٣٢	العنوان	[illegible]
التاريخ	٨ / ١٠ / ١٩٧٧	نوع الحديث	[illegible]

[illegible]

ص: الأخ الحسن ؟

- أيوه

ص: أهلاً يا صباح الخير

- حالكم طيب ؟

ص: أهلاً وسهلاً

- أهلاً وسهلاً بك يا فخامة الرئيس

ص: كيف صحتك ؟

- الآن الصحة فخامة الرئيس !

ص: الحمد لله طيب كيف صحتك إنت ؟

- الله يعاونكم ويقويكم

ص: الله يحفظكم

- وينصركم ويزيدكم مدد على مدد

ص: الله يبارك فيكم - أنا عاجز عن الشكر والله .

- إحنا على كل حال رهن الإشارة

ص: أنا عاجز عن الشكر يا جلالة الأخ خالص

- لا لا فخامة الرئيس ده الواجب .

ص: والله حقيقة يعني مشاركة وكل تأييدك ومساعدتك . أنا عاجز عن الشكر

- ده واجب وإحنا رهن الإشارة

ص: وأنا وصلني الإخطار الأخير

- أيوه

ص: وأنا ما أبعتلك على طول إن شاء الله علشان المواعيد

- أيوه .

ص: حا ارسلك إن شاء الله على طول علشان المواعيد

- أرسلتم برقية ؟

ص: لا لسه ما ارسل برقية .. ما ارسلك إن شاء الله مع السفارة

والجواب على البرقية اللي أرسلت ليكم - الثانية ؟

□ وثيقة رقم (٧) □

صورة تقرير لمحادثة تليفونية بين الملك الحسن الثانى والرئيس السادات .

سري للغاية

رقم التقرير		من	الجزائر الرئيس بومدين
رقم المذكرة		إلى	مصر الرئيس أنور السادات
رقم الشريط	[illegible]	رقم التليفون	
الوقت والمدة	[illegible]	العنوان	
التاريخ	٨/١٠/١٩٧٢	نوع الحديث	عام عربي

نص المحادثة

للعرض

- سيادة الرئيس

ص - أيوه أهلاً أهلاً

- سيادة السيد

ص - يا سيادة السيد يا أهلاً يا أخ بومدين

- كيف حالك

ص - الحمد لله

ب - إحنا سمعنا إن العلم المصري موجود في المدينة بتاعة القنطرة

ص - آه [illegible]

- يا أخي الرئيس أنا بتكلم معاك علشان نستخبر

ص - أيوه

- إيه أخبارك

ص - الحمد لله كل خير

- [illegible]

ص - [illegible]

□ وثيقة رقم (٨) □

صورة تقرير لمحادثة تليفونية بين الرئيس هواري بومدين والرئيس السادات .

سري للغاية

من: الجزائر الرئيس بومدين

الى: مصر الرئيس محمد أنور السادات

رقم التقرير ——— رقم المذكرة ——— رقم الشريط ٨١٤٨ ——— رقم التليفون ———

الوقت والمدة ١٢:٢٥ ساعة ——— العنوان ———

التاريخ ٩/١٠/١٩٧٣ ——— نوع الحديث عام عربي

نص المحادثة

١٩٧٣/١٠/٩

— ألو سيادة الرئيس

ص أهلا يا سيادة الرئيس يا أخ بومدين

— كيف حالك

ص الحمد لله

— كيف حال القاهرة

ص كله خير

— والقناة

ص كله خير

— أنا شايف أنكم اتقدمتم اليوم

ص احنا يعني دلوقتي الخط على ١٢ تقريبا

— على ١٢

ص آه

— أيوه ما فيش حجم المعركة بتاع اليوم

ص معنا قدامنا كل ساعة معركة في غاية العنف

— أيوه

ص أكثر حوالي من الصبح لغاية دلوقتي دخل المعركة كله أسقطنا طيارات حوالي ٥٠٠

□ وثيقة رقم (٩) □

صورة تقرير لمحادثة تليفونية بين الرئيس هوارى بومدين والرئيس السادات .

سري للغاية

من: الجزائر الرئيس بومدين

إلى: مصر الرئيس السادات

رقم التقرير:

رقم التذكرة:

رقم الشريط: ١٥٢١ — رقم التليفون:

الوقت والمدة: ١ دقيقة — العنوان:

التاريخ: ١٠/١٠/١٩٧٢ — نوع الحديث: عادى خصوصى

يعلم ١٠/١٠/١٩٧٢

نص المحادثة

— ألو صباح الخير

ص أهلا مساء الخير يا أخ بومدين

— أهلا

ص أهلا كيف الحال

— لا إحنا نسأل عليكم على كل حال

ص الحمد لله بكل خير

— والله إحنا بنتابع وكالات الأنباء بكل الأخطار و نقرأها

ص أيوه. لا الحمد لله بكل خير

كيفها الجبهة

ص طيبة الحمد لله لسه آخر هجوم عندى خلص من ساعة

— نعم

ص كانوا هاجمين بلواءين مدرعين

— نعم

ص وخلص من ساعة بس

— خلص من ساعة

ص أيوه

— هم بيقولوا إنهم عملوا هجوم مضاد

□ وثيقة رقم (١٠) □

صورة تقرير لمحادثة تليفونية بين الرئيس هوارى بومدين والرئيس السادات .

للسيد الرئيس من الدكتور محمود فوزى :

١ - استقبلنى الرئيس اليوم الاثنين على حده عقب الاستقبال العام الذى اقيم [illegible] الابيض للوفود التى اشتركت فى جنازة الجنرال ايزنهاور وقد علمت انه [illegible] من رؤساء الوفود اما واحدا فواحدا او فى مجموعات اثنين او ثلاثة .
وكان استقباله لى ودا ومنفتحا .

ستبدو الايام القادمة مدى تعبيره عن السياسة الفعلية للولايات المتحدة . انتهيت اليه من جديد تحية سيادتكم وعزائكم اياه . كان بالغ المجاملة وحيا سيادتكم [illegible] تحية وتذكر زيارته لمصر سنة ١٩٦٣ وقال ان محضر نيكسون قابلت سيادتكم [illegible] لم تحضر الحديث الذى دار بينكما . ثم وجه كلامه لروجرز وكيسنجر [illegible] الاجتماع . ذاكرا ان الرئيس رجل عظيم وله شخصية مؤثرة [illegible] لى أن لديه احساسا بانه والرئيس عبد الناصر سيخرجان بحلول التفاهم [illegible] وهذا احساسه منذ أن زار مصر . ورد الرئيس نيكسون [illegible] مهما لقيتهما من قبل القول بانهم فى عهد جديد وانهم يريدون [illegible] جديدة .

قال انه يود ان يتحدث معى حديثا مستفيضا فى مقابلة قادمة قد [illegible] البقاء فى واشنطون) فى الاسبوع القادم بعد عودته من [illegible]

٢ - سبق استقبال الرئيس نيكسون لى حديث كيسنجر تلاه لقاء [illegible] جميعا لمقابلة نيكسون . لفت نظرى ان كيسنجر لم يتحدث [illegible] الاوسط على غير ما تردد عنه من أنه (يجانب) الكلام عن الشرق [illegible] كيسنجر موضوع اجتماع الاربعة وما يقال عن فرض حل [illegible] هذا موافقا . حتما متى كان الحل السلمى سيصل اليه الاربعة [illegible] الاطراف الذين سيشعرون بان هذا الحل هو البديل من محاولة [illegible] (ترك) هؤلاء وشأنهم .

سأل عما اذا كان من الممكن تصور لحدود الدول العربية بوجود [illegible] بمثل ما ذكرته لرئيس وزراء بريطانيا ويلسون [illegible] انها [illegible] آمنة كما جاء فى قرار مجلس الامن ولا يمكن ان [illegible]

سأل عن مدى فعالية الحل الذى قد يصل اليه الاربعة [illegible] هذا [illegible] مستقبل وتنفذ الحل اذا كان ما يمكن ان نتقدم به الى شعبنا يقبله . سأل كذلك عن امكان اقامة حالة سلام دائم فى المنطقة فقلت له ان السلام يتوقف على [illegible] الاطراف وما يتوفر له من ضمانات . استفسر عن مدى تأثير المتطرفين العرب على قبول الحل وعلقت باننا والاردن متفاهمون فيما يتصل بالحل السلمى [illegible] اذا كان حلا عادلا وامينا . وعند كلامه عن سوريا ومعارضتها ذكر [illegible] مشكلة

٠١ وثيقة رقم (١١) □

صورة تقرير من الدكتور محمود فوزى إلى الرئيس جمال عبد الناصر عن مقابلته مع الرئيس نيكسون بعد جنازة أيزنهاور .

للسيد الرئيس من الدكتور محمود فوزى :

قد لا ترون مانعا من انتهاج الاسلوب التالى فى شأن العلاقات الدبلوماسية المصرية الامريكية اذا اثارها معى باهتمام وبشكل مناسب روجرز او الرئيس نيكسون ، وذلك بان ارد باننا مساهمة منا فى تحسين الجو بين دولتينا مستعدون الآن للاتصال فى هذا الشأن ايجابيا مع الدول العربية الاخرى التى قطعت علاقاتها الدبلوماسية مع الولايات المتحدة .

وقد توافقون على ان هذا الاسلوب زيادة على ما يتيحه لنا من مقدرة اكبر على التحرك وقد تنفعنا . فانه يبقى فى يدنا زمام الامر باستطاعتنا ان نطيل او نقصر مدة الاتصال مع الدول العربية وكذلك مدة تقدمنا باسم سفيرنا . كما يدع لنا الخيار فى عدم ال[illegible] باسم سفير اذا ما حدث تردد جديد فى مواقف الولايات المتحدة .

□ وثيقة رقم (١٢) □

صورة تقرير من الدكتور محمود فوزى إلى الرئيس جمال عبد الناصر يسأل فيه عن الأسلوب الذى يتبعه مع الدكتور كيسنجر إذا أثار معه قضية عودة العلاقات الدبلوماسية بين مصر والولايات المتحدة .

إلى السيد الرئيس من الدكتور محمود فوزى :

قابلت كيسنجر مساء أمس الخميس بالبيت الأبيض حيث عبر عن سروره للالتقاء بي وقال أن الرئيس نيكسون مهتم جدا ببناء علاقات ود وصداقة مع العرب . قلت أننا كذلك نريدها ونرجو أن تحل مشكلة الشرق الأوسط على حال ما اذا كانت مشكلة الشرق الاوسط تقف عقبة أمام تحسين العلاقات . ردت بالايجاب .

ذكر أن واشنطن على أية حال ليست منزعجة من عدم اعادة التمثيل الدبلوماسي معنا اذ أننا الذين نطلبناه . تساءل عما يمكن أن نعمله سويا . قلت أننا على الاقل نشترك في هدف واحد وهو الرغبة في اقرار الاحوال السلمية في منطقة الشرق الاوسط من أجل أن يحيى كل فرد فيه في أمان وأن يعمل لزيادة رفاهيته .

أشار الى أنه منذ ستة أشهر لم يكن يعرف أى شىء عن مشكلة الشرق الاوسط وأنه يرجو أن أفسح له صدرى اذا بدا أن أسئلته ليست دبلوماسية مضيفا أن هذا ما فعله مع الاسرائيليين أيضا .

قال أنه سمع من الملك حسين ومنى أننا نرغب في السلام فهل نحن مستعدون لذكر ذلك علنا .

قلت أن هذا لا يشكل أى مشكلة بالنسبة لنا فلقد أعلنا قبولنا لقرار مجلس الامن وهو يتضمن بكل وضوح عناصر اقامة الحياة السلمية في المنطقة ونحن مستعدون للتصريح به أمام مجلس الامن . ولكن يجب أن تصدر اسرائيل هي الاخرى تصريحها بذلك اذ لا يصح ولا يحتمل أن يرتبط طرف بارتباطات معينة في حين لا يلتزم الطرف الاخر بأى شىء محدد . ولذا يجب أن يرتبط الاطراف كل فيما يخصه من التزامات أمام العالم .

وعندما يتم كل ذلك ويقدم كل طرف الوثيقة المتعلقة به موقعا عليها

□ وثيقة رقم (١٣) □

صورة تقرير من الدكتور فوزى إلى الرئيس جمال عبد الناصر عن مقابلته مع الدكتور هنرى كيسنجر .

الى السيد الرئيس من الدكتور محمود فوزى :

استقبلنى الرئيس نيكسون بعد ظهر اليوم الجمعة وكان معه كيسنجر وسيسكو وسوندرز واصطحبت معى أشرف غربال ومحمد رياض .

قال عبارات ترحيب لطيفة وذكر انها فرصة طيبة لتبادل وجهات النظر حول الموقف الحاضر .

قال انه يهمه جدا تحسين العلاقات مع العرب والوصول الى حل عادل FAIR لمشكلة الشرق الاوسط اذ انها عقبة فى سبيل التعاون المثمر بين شعوبنا ، وأضاف أنه لايتكلم فقط من ناحية العاطفة التى يعتقد انها موجودة ومتبادلة بيننا ولكنه يتكلم من ناحية المصالح السياسية للجميع . اشار الى أنه زار المنطقة ويعرف تماما ظروفها وامكانياتها وهو لذلك لديه صورة واضحة من المشكلة التى بها . أعربت من الشكر لاتاحة هذه الفرصة لى لكى أنقل اليه صورة ماحدث فى منطقتنا منذ عام ١٩٦٧ . قلت أنه يسعدنا نحن كذلك أن تكون علاقاتنا بالولايات المتحدة وشعبها قوية وطيبة الا أن الاحداث التى مرت بنا منذ يونيو ١٩٦٧ تقف فى وجه هذا الاتجاه كما تقف فى وجه اقرار الاحوال السلمية فى المنطقة .

ذكرت أنه قد اتيحت لى خلال مقابلتى مع المسئولين الامريكيين منذ حضورى فرصة التحدث عن المشكلة الحالية بكل تفاصيلها وعن الجهود التى قمنا بها فى سبيل الوصول الى التسوية السلمية ، واننى لا أشك فى انهم نقلوا كل ذلك اليه . الا اننى أود ان أتناول بعض النقاط التى لها اهمية خاصة . قلت أننا نريد السلام العادل وان هذا يتمشى مع برنامجنا فى رفع مستوى معيشة شعبنا وأننا من أ[illegible] قبلنا قرار مجلس الامن الذى صدر بموافقة جميع أعضائه وانه تبعا لذلك [illegible] الأخص من انسحاب القوات الاسرائيلية الى خطوط ٥ يونيو ١٩٦٧ [illegible] وأضفت اننا فى نفس الوقت مستعدون تماما للالتزام بكل مايخصنا ونو[illegible] قرار [illegible] الأمن . ذكر أنه يدرك ان المشكلة الحالية تعوق فرص التعاون وتوثيق العلاقات بين الولايات المتحدة والعرب بالاضافة الى انها تقف أمام تقدم الشعب العربى اقتصاديا واجتماعيا ، وأنه لذلك حتى قبل بداية عهده دائم التفكير فى كيفية حلها الا انه يامل أن نقدر

(يتبع)

☐ وثيقة رقم (١٤) ☐

صورة تقرير من الدكتور فوزى إلى الرئيس جمال عبد الناصر عن مقابلته مع الرئيس نيكسون .

الى السيد الرئيس من الدكتور محمود فوزى :

زرت الملك حسين اليوم (الاحد) ثالثا مالديه منذ تلاقينا يوم الاربعاء ، الملك [illegible] التقدير لى أن هنالك بداية تحرك امريكى فى الاتجاه الصحيح وان الصعاب القائمة لسعى [illegible] وجه هذا التحرك وفى وجه تحركنا نحن كبيرة وأننا على أية حال يجب أن نتحمل مسئولياتنا دائما وان ندعم هذا بمزيد من الاعداد العسكرى ومن الاتصال مع زملاء الدول العربية الاخرى حتى لايقف عقبة فى سبيل الحل السياسى بينما لانستطيع اليوم أو فى مستقبل قريب حلا عسكريا .

اشار الملك الى تزايد استعداد اسرائيل بسرعة واضطراد وقال أن [illegible] ست طائرات فى طائرة واحدة وان لدى اسرائيل من الصواريخ القوية [illegible] لديها من أجهزة حديثة لافساد الرادار لدينا ، وأضاف أنه علم من موارده انباء قائلة بأن اسرائيل تهدف الى تزيد هجومها على مواطن القوة والتجمع البشرى فى الاردن [illegible] العربية المتحدة وأنه يعتقد ان هذه الانباء صحيحة وأنه يوافق على ماذكرته من ان [illegible] كثيرا عدم اكتراث العالم والدول الكبرى بما يحدث لنا من ضرب وتنكيل .

أعرب من انشغاله ازاء البلبلة والتفكك فى العالم العربى والحملات التى ترتكب وعلى الاخص فى العراق مثل أعدامهم اليهود اخيرا وقال أننا مهددون [illegible] من كل ذلك واكثر وانه سمع بان هنالك احتمالا لاعادة الدول التى تدعمنا اقتصاديا [illegible] موقفها من استمرار هذا الدعم .

تكلم من اعمال المقاومة وانها ليست بحال من الضخامة بالقدر الذى [illegible] التهويلات العربية ووسائل الاعلام المغرضة الاجنبية .

ابتسم الملك أنه لم يشر الى ماجاءت الانباء به من تعليقنا [illegible] تصريحاته الاخيرة .

◻ وثيقة رقم (١٥) ◻

صورة تقرير من الدكتور فوزى إلى الرئيس جمال عبد الناصر عن مقابلته مع الملك حسين فى واشنطن .

إلى السيد الرئيس من الدكتور محمود فوزى

قابلت نائب وزير الخارجية ريتشاردسون اليوم في أمريكا ريتشاردسون عن أمله في أن تكون زيارتي هنا ممتعة ومثمرة . علقت بأنها قد تكون ممتعة ولكنها لم تكن مثمرة لأنها لكي تكون مثمرة كذلك يجب أن تكون ناجحة وما أظن أنها كانت .

بدا عليه الانزعاج فقال إذا كنت اعتبرتها غير ناجحة ... قلت أن الفائدة التي أكون قد جنيتها هي أنني صرت أكثر معرفة باتجاه التفكير هنا بأن ما كنت أتصور أن أصل إليه هنا — أجبت بأنني كنت أنوى اعلامهم بنظرتنا للمشكلة وما يدور في أذهاننا ... تتمكن سويا من التعرف على الطريق السليم للوصول للحل السلمى الذى قرره مجلس الأمن — أضفت أنني على أية حال باق مدة أربعة أيام أخرى مابين وشنطن ونيويورك وانني ... التقدم ولو قليلا فانني أعتبر نفسي قد نجحت .

قال أنه يرجو أن يتمكنوا خلال هذه الفترة من أن يجعلونا نقدر وجهة نظرهم وخطهم إزاء هذه المشكلة التى لا شك يتسم بالتحرك وعدم الجمود . علقت بأنني ... ألاحظ أن الأمور بدأت تتحرك بعض الشئ وانها لا تتخذ موقف الركود الذى كانت تتسم به الادارة السابقة .

ذكر أنهم يشعرون بكل وضوح أن عليهم مسئولية من أجل العثور على تسوية عادلة وسلمية والتشجيع على اتباعها وهو ما يتضح من بيان وزير الخارجية روجرز أمام لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ والذى لا شك أنني قرأته . قلت أنه لابد كذلك قد قرأ ... مقابلتي مع روجرز التى أشرت خلالها الى ما جاء من نقاط طيبة ومن نقاط أخرى تبدو غير ... فذكر أنه يريد أن يسمعها منى مباشرة . طلبت من محمد رياض قراءتها من مذكرته ولم يبد باركر الذى كان يدون المقابلة مع روجرز أن هناك تعارض بين ما لدينا وما لديه بالرغم من أن سيسكو بعد ساعتين من مقابلتي مع روجرز أراد أن يتخلص مما ذكره عن اللاجئين . فأخبر باركر محمد رياض وأشرف غربال وقتئذ أنه لم يقل أن الحكومة الأمريكية ملتزمة بقرارات الجمعية العامة الخاصة باللاجئين وناقشناهم حينئذ فى دقة المحاضر التى لدينا — فى مناسبة أخرى وفى ... مقابلتي مع يوست تبين أن بعض موظفى الخارجية الامريكية يفترض أنهم سيسكو ومجموعته من تلاميذ جولدبرج تريد وضع أشياء فى المحضر الذى لديهم لم تحدث — ولذلك رأيت أن هذه مناسبة لاشعارهم باحتياطنا من هذه المحاضر .

لم يبد ريتشاردسون هو الآخر أى اعتراض على ما ... فى الاجتماع مع روجرز — وأضاف أن وجهة نظر الحكومة الأمريكية هى الالتزام بالقرارات الخاصة باللاجئين . قال أنه يريد أن يوضح أن عمله بالوزارة لا يتعلق بما يدور يوميا إزاء مشكلة الشرق الاوسط ولكنه ... عناصرها العامة بالقدر الذى يتيح له أن يلم بها إلم ما حكمت الظروف بذلك فى ...

(يتبع)

□ وثيقة رقم (١٦) □

صورة تقرير من الدكتور فوزى إلى الرئيس جمال عبد الناصر عن مقابلته مع نائب وزير الخارجية الأمريكى اليوت ريتشاردسون .

ثالثا

أوضاع الصراع الحالية

- العدوان سنة ١٩٦٧ لم يحقق هدفه السياسي بسبب تأييد الاتحاد السوفيتي لنا وبسبب موقف جماهير الأمة العربية.

- قوى العدوان لم تفقد الأمل [illegible] المستمرة [illegible] [illegible] فرض الحل السياسي والعسكري والاقتصادي حيث يكون الاستسلام هو [illegible] العدوان أي تحقيق هدفه بفرض الاستسلام

- قوى العدوان التي اشتركت في الخطة هي [illegible] الولايات المتحدة [illegible] التي [illegible] إسرائيل وأعطتها [illegible] لتنفيذ ~~خططها~~
  [illegible] كلام أبا إيبان في الأسبوعين -

- الولايات المتحدة المخططة لهذا العدوان لا تزال [illegible] العالم [illegible]
  - ~~[illegible]~~ تمييع الموقف السياسي
  - تمويه [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

وضعت خطا تحت الكلمات المكتوبة بخط يد الرئيس "جمال عبد الناصر".

□ وثيقة رقم (١٧) □

صورة لصفحة من دفتر نقاط الرئيس جمال عبد الناصر لاجتماعه في الكرملين - بخط محمد حسنين هيكل، وعليها تعديلات بخط الرئيس عبد الناصر.

UNITED ARAB REPUBLIC
MINISTRY OF WAR

Ref. No :
Date :

عزيزى [illegible] الفريق صادق

أهديك سلامى وتحياتى والمشير للرجال جميعا فى هذا الوقت الذى تتعرضون [illegible] العصيب أطيب تحياتى كما أبلغك سلام الأخ [illegible] الى [illegible] الى [illegible] سامى وأرجو أن تطلعه على خطاباتى اليك بصفة مستمرة.

١ - الانتصار الذى حققتموه فى اسقاط ٥ طائرات فانتوم وأربع طائرات سكاى هوك رفع معنويات الرئيس جمال تماما وسيعيد كلامه وطلباته ان نشاركهم دائما وباستمرار.

٢ - السيد بريجنيف سأل لماذا لم [illegible] قائدك شخصيا الذى قابله فى احتفالات الشيادة لذا على تمرير قائدك [illegible]

٣ - السيد بريجنيف يرى ضرورة تعضيد وحماية كل من [illegible] الراسين على قدرة الدبابات حتى تتمكن من الدفاع والدفاع المدنى [illegible] أو [illegible] يعنى [illegible] نشاطكم زيارة مع الصواريخ ٧٥ أو رفع نسبته [illegible] تتشتروا زيادة على التكتيك الذى اتضح أنه ناجح تماما.

٤ - ملاحظ أن اليهود جميعا عدا ديان حاليه يعرضوا تماما ويستنجدوا بالأمريكان وحملة قوية ضد الروس

٥ - [illegible] أن اليهود [illegible] تلك بعدم الوصول الى التحقيق بالقذف بالقنابل واستمروا الصواريخ حتى لا يرتفعوا اطلاقا وهذا يزيد من الاستنزاف والتشليل اذا كانت مرحلة خارج التحقيق [illegible] العدد من الارتفاع وانت من جانبك حاول الضغط على [illegible] علشان [illegible] زيادة ولو من العمق

٦ - لم نلحظ الكذب هنا فى موسكو على موضوع نقل الباخرة [illegible] وتلقت انكشف فى الشيارة هنا خصوصا بعد أن شرح السيد [illegible] سكرتير الحزب [illegible] موقف الخارجية فى مصر وتقاريره الى [illegible] وأن موسكو [illegible] فيه [illegible] أساس . مرة أمام اللجنة الرئيسية فى الاجتماعات الرئيسية ومرة أمامى وأمام السيد على صبرى فى الشيارة. العامة

[illegible]

☐ وثيقة رقم (١٨) ☐

صورة خطاب من الفريق محمد فوزى إلى الفريق محمد صادق يشرح فيه أجواء محادثات موسكو .

بسم الله الرحمن الرحيم



السيد . الفريق

تحياتي والجميع وتمنياتي لسيادة الرئيس حفظه الله ولسيادتكم وادعو الله تعالى أن يديم توفيق سيادته ونصره .

أخبار [illegible] :

١- في اليوم ٧/٤ صباحاً أغار العدو بعدد ١٢ طائرة فانتوم بتشكيل بدأته ٤ طائرات قدمت من رأس البر و ٨ طائرات بالمواجهة وكان الهجوم مركزاً على كتائب الجنب اليسار ولواء الكتيبة المتقدمة والمواجهة للغرب وقد تم إصابة طائرتين أحدهما مؤكد أنه فانتوم والآخر سكاي هوك وبكل طواقمها استطاع الوصول إلى الضفة الشرقية برؤية الفانتوم وهي تصطدم بالأرض ولم تصب الكتائب التي قذفت بأي خسائر

□ وثيقة رقم (١٩) □

صورة خطاب من الفريق محمد صادق بخطه إلى الفريق محمد فوزى فى موسكو عن أهم التطورات فى الموقف العسكرى .

بسم الله الرحمن الرحيم



سري للغاية

رئيس
المخابرات العامة

الموضوع : تفريغ لشريط مسجل بين المستر/ يوجين ترونـــي
و اللــواء بالمعاش/ عبد المنعم أميـــن

السيد / سامـي شـرف

رجـــاء العرض

مع تحياتي ...

□ وثيقة رقم (٢٠) □

صورة لغلاف تفريغ شريط مسجل بين المستر يوجين ترون واللواء عبد المنعم أمين ،
وقد احتوى أيضا على حديث بين الأخير والمستر دونالد بيرجيس .

سرى للغاية

بدأ التسجيل بان اعرب (x) عن اسفه لانه لم يكن لديه علم مسبقا بانه قادم وانه ما كان يتأخر دقيقه واحدة عن مقابلته ولولا وجود المستر / ماسكى هنا والذى كان شغله الشاغل وسافر فى اليوم السابق وانه كان يتطلع لهذا اللقاء .

— وانا ايضا كنت اتطلع لمقابلتك ايضا وانا قلت بدلا من ان اتصل بالسفارة تليفونيا وبعدين مايعرفوش انا عاوز ايه او يفتكروا ان انا واحد كده ولا كده انا فكرت فى واحد كان قال لى بانه عارف احد هناك . وبعدين اسىء فهم الموضوع انا قلت باسرع مايمكن .

x وانا قلت فورا ايضا .

— كويس جدا .

x انا كنت احب انك تحيط رئيس الجمهورية علما بان المقابلتين واللتين تمتا اخيرا . مع اثنين من الشخصيات الامريكية وهما المستر / وارين كرونكيت والمستر / ماسكى وان الاثنين اعجبا جدا بالرئيس وهما شخصيتين امريكيتين لهما اهميتهما . وان الاثنين اعربا عن أطيب تمنياتهما للرئيس ويتمنيان له كل توفيق .

— حسنا حسنا

شوف الموضوع اثير امام الرئيس السادات بشأن ماقاله حول عداء امريكا انا كنت باقول بان امريكا كانت دايما ودية معانا . وبعدين قلت بانها (يقصد امريكا) لا هى عاوزه حرب ولا هى عاوزه الموضوع يتطور الى ماهو عليه الان كل ما هناك انهم مسرورين فقط لعدائنا الطويل لامريكا وهو رد وقال لا انا لا اعتقد بانهم وديين وذلك لان افعالهم ولا حتى محايدين . وانا قلت له هم واقفين على جنب . ورد هو وقال لى كلا — هم ليسو حتى محايدين لانهم يريدون ان يقدموا كل شىء لاسرائيل .

وبعدين انا قلت مافيش دول صديقه من غير الدول الاربع تقدر تقوم بالتفاهم مع امريكا ؟ ورد على بقوله كلا — وبعدين انا قلت له اذا انت ارسلت احد من طرفك او تجد احد يسافر لامريكا او ما تسمح لهيكل او اى انسان آخر يتصل بهم ؟ وبعدين هو قال لى : اذا كنت تحب تشوف انت بنفسك ايه الاحتمالات روح وقابل المستر / بيرجس وادعيه للحضور فى المنزل . وعلشان كده انا جيت وفكرت من الاولى ان الاحسن نتقابل بطريقة غير رسمية بدلا من

سرى للغاية

وثيقة رقم (٢١) □

صورة تفريغ لشريط مسجل بين المستر دونالد بيرجيس واللواء عبد المنعم أمين .

سرى للغاية

حديث مسجل بين المستر / يوجين ترونى ويرمز له بالرمز (×) واللواء / عبد المنعم امين ويرمز له بالرمز (ـ) .

× الى اى مدى تستطيع السير ؟
ـ انهما يستطيعان ان يناقشا المواضيع التى يطلبها من وراء ستار
× بعد المناقشه ماذا يتم ؟
ـ ان فى الامكان مناقشة ذلك بعد خروجه وربما يمكن الوصول الى حل لوقف اطلاق النار او الى مد فترة وقف اطلاق النار ، انه ... لا يريد ان يمد وقف اطلاق النار مادام الموقف على ما هو عليه بدون تسجيل اى تقدم فى الموقف نحو حل بدون ان يعرف الى اى مدى سوف يضحى .
× لابد وان يقدم كل طرف من اطراف النزاع تنازلات وهذا ما طلبناه نحن من اسرائيل وقلنا لهم بان هذه التنازلات يجب ان تصدر عنهم لانهم هم المحتلين للاراضى ـ ثم اضاف ـ انهما اذا لم يتفقا فانه يطلب منه شئ واحد وهو ان يظل هذا سر بينهما ـ ثم سأله ـ هل انت على صداقة شخصية مع الرئيس ومع بقية اعضاء الحكومة ؟
ـ انا الآن كما كنت على اتصالات شخصية حتى مع الرئيس ناصر
× اخذ يوضح له كيف ان الجميع وحتى المستر بيرجير لديهم امل كبير فى الرئيس السادات ومشاركته فى الوصول الى حل دائم للازمة الحالية ـ واضاف ـ ايضا الى حاجة البلاد لحل المشاكل الاقتصادية وكيف ان قدر كبير من ميزانية مصر تذهب الى الدفاع الامر الذى لا يتناسب مع اعباء البلاد الاقتصادية ، ولا بد من اتخاذ اللازم نحو تقليل المصروفات الدفاعية والتى لا تتناسب مع دخل البلاد ومع احتياجاتها ولا لزوم لكل هذه المصروفات العسكرية ، وضرب مثلا بامريكا وايطاليا والمانيا ـ وأشار ـ كيف ان امريكا هى التى خسرت فى قضية الشرق الاوسط اكثر من اى طرف آخر بعد العرب طبعا ، واوضح كيف ان هذه الحكومة الحاضرة سئمت من الموقف الحاضر مثلما كانت حكومة جونسون ايضا وقال كل ما نريده انما هو عقد السلام مع حكومة مستقرة وخاصة بعد ان تولت فى مصر حكومة قديرة كى تقود الرأى العام الى تسوية سلمية والوضع الآن هنا احسن مما هو فى ليبيا او فى سوريا بالنسبة للتسوية السلمية ، وكل ما تهدف اليه امريكا هو السلام ومع حكومة مستقرة ان هذا الهدف هو ما اقلقنا فى الحقيقة عقب وفاة ناصر ، ان المشكلة كلها تعتبر مشكلة عاطفية اخذت تجر اذيالها طوال العشرين عاما ، ثم اشار الى سوء احوال الفلسطينيين ، ثم علق على ان سوء

سرى للغاية

☐ وثيقة رقم (٢٢) ☐

صورة تفريغ لشريط مسجل بين المستر يوجين ترون واللواء عبد المنعم أمين .

سري للغاية

محضر

اجتماع السادة :

علي صبري

عبد المحسن أبو النور

محمود رياض

شعراوي جمعة

محمد فائق

الفريق أول محمد فوزي

سامي شرف

في الشقة يوم ٢٠/٣/١٩٧١ من الساعة ١٩٣٠

حتى الساعة ٢١٠٠

—

فيما يلي أهم النقاط التي تحدث فيها السادة المجتمعون..

(بعد ملاحظة أن الشعبين غير راضين ... والآن ما أمكن تجميعه) .

□ **وثيقة رقم (٢٣)** □

صورة مذكرة بخط يد وزير الدولة لشئون رئاسة الجمهورية عن وقائع اجتماع لبحث ما يمكن عمله بعد انتهاء مهلة وقف إطلاق النار .

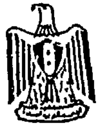
الفريق أول محمد فوزي

- اذا قصدنا بإعادة فتح النيران فسيادته سينفذ بالطاقة الكاملة الحالية .
- ان المعركة القادمة لا يمكن اعتبارها محدودة فقط ويجب الأخذ في الاعتبار أنها قد تتحول الى حرب شاملة .

السيد محمود رياض

- ان تحركنا سياسياً الآن لا فائدة فيه لقد بذل كل ما يمكن من جهود في كسب الرأي العام العالمي حتى وصل الى الذروة المناسبة والذي سيتناقص بعد ذلك في حالة تمديد وقف اطلاق النار .. وأي تحرك سياسي قادم سيكون المقابل له " ما تمددوا وقف اطلاق النار كمان " .. وانه في حالة فشلنا فسوف نخسر الرأي العام والجبهة الداخلية وكل شيء والجيش نفسه سوف لا يكون له قيمة ..

بسم الله الرحمن الرحيم



٤/٣/٧١

١. لدينا موقف سلبي يتحرك بسرعة بين الاربعة والسكرتير العام ولهذا فان المناقشة معنا في هذا الوقت تبقى في حدود عامة

٢. ثانيا - اوضحنا رأيكم عن يارنج بأنه ايجابي ونحن لا نعتقد ان السيد [illegible] رأيه ايجابي

٣. ونحن ننوي مواصلة جهودنا [illegible] ونحن نريد مواصلة حوارنا مع الاسرائيليين .

٤ - نريدكم ان تعرفوا ان هذا سوف لا يتغير وقتيا ومن المهم ان جميع لا تنفعل [illegible] الطرف الآخر اعتبارا استفزازيا

وان رأيكم عن يارنج - ويجب ان تدركوا هذا - قد [illegible] انطباعا عالميا ممتازا ونظن ان جميع لاقامة سلام متوازن اوجدت [illegible] في الالتزام ببيان السكرتير العام بضبط النفس فان هذا سوف يضر بشدة على تأثير رأيكم عن يارنج ويقلل من الفرص لتقدم اكثر في مباحثاته

☐ وثيقة رقم (٢٤) ☐

صورة مذكرة بخط يد وزير الدولة لشئون رئاسة الجمهورية عن مقابلته مع دونالد بيرجيس .

□ وثيقة رقم (٢٥) □

صورة للصفحة الأولى من تقرير رأى عام قوات مسلحة وتأشيرة بخط الرئيس السادات عليها .

مكتب السيد/ محمد حسنين هيكل

الرئيس: [illegible] نعم

هيكل: [illegible]

[illegible]

conclusions [illegible]

[illegible]

ما تفهم [illegible]

[illegible] بريجنيف [illegible]

[illegible]

وثيقة رقم (٢٦) □

صورة تفريغ لحديث تليفونى بين الرئيس السادات
ومحمد حسنين هيكل بعد عودة السادات من موسكو.

بيجوا لنقطة من ناحية ما هو القناة الجانبية أولا

٢- ومعاهم هم متفاهمين مؤتمر جنيف

١- ومعاهم متفاهم مؤتمر الحزب في ٢١

٢- ومعاهم حداع كبير قوي

١- ومعاهم برضه فيه معروف آه من قوي

٥- لو تشوف نقيد [illegible] قوي فيه واحد اسمه لو تشوف طالع في الصحف الأجنبية [illegible] للصحف الأجنبية

١- يعني ماشي انت عارف لا تطلعش تكلم كده بيزود تصورات اللي مشتبه ده من يعني والله الله يسهل بالنسبة [illegible] خسارة - الفايزة الجارية على الطريقة الدبلوماسية ده بقى يعني اعتبرنا ما تكلمهم

٢- ما تكلمهم والله

١- آه سيب تكلمهم هم لوحدهم كله ما تكلمهمش [كلام] أنا مقام أنا حتى اقول للرئيس كده امبارح انتم ما يزيد تتكلموا اتكلموا انتم سوا بالسياسة وعلى ده

٢- لازم كويس ما نقول اخر انت من ملتزم بوقف إطلاق النار ومعاهم [illegible] مستعدين [illegible]

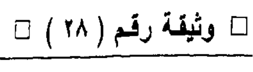
١- آه . ما أنا ابتدي يعني [illegible] في يوم ٧ ولا يوم ٨ يصح ليه ٩ يوم ١٠ يعني تكون في نفس اليوم حتى يعني أذيع عريضة للعالم ان الطلبة تبعهم يقروه - يقروا الطلبة تبعهم وعشان كده أنا بقولك ما يجبش [illegible] يعني ايه خطر العالم كله أمام مسئولياته ونقول أرضنا [illegible] آهو وآدي الموقف آهو كده بالتفاصيل وبالإثباتات وبالتاريخ [illegible] ومعاهم [illegible] [illegible] هم [illegible] بلدنا هنا والعالم حتى [illegible] [illegible] إسرائيل ما نقول أمريكا [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] إسرائيل [illegible] [illegible] [illegible] أنا يعني

٢- معقول قوي يعني ده [illegible] معقول

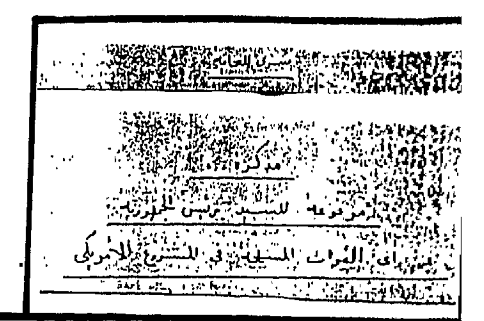
١- لازم أسعد [illegible] بالنسبة لي إنه آه أقنع أنا أقول إنه أنا [illegible]

□ وثيقة رقم (٢٧) □

صورة الصفحة ١١ من نفس الحديث التليفوني المسجل بين الرئيس السادات وهيكل .



□ وثيقة رقم (٢٨) □


سري للغاية
مذكرة
الموضوع : للسيد رئيس الجمهورية
رأي القوات المسلحة في المشروع الأمريكي

صورة لغلاف مذكرة من الفريق محمد فوزى إلى الرئيس السادات بخط اليد عن رأى القوات المسلحة فى المشروع الأمريكى .

سرى للغاية

-٣-

وبالتالي سوف لا يعود الجزء [illegible]

جـ - سوف لن تتمكن القوات المسلحة من التركيز في أو استخدام المعابر الأمامية [illegible] حيا الجبر ، الصالحية ، الإسماعيلية ، أي صوبر وفايد لوقوع هذه المعابر تحت تأثير نيران معظم أسلحة العدو.

د - منطقة رأس سدر والمرتفعات [illegible] المؤدية اليها تعتبر جزءا من المواجهة وبقاء القوات الإسرائيلية بها يؤثر على مدينة ومنطقة السويس

هـ - لا يؤمن هذا المشروع تمركز القوات في غرب القناة بعيدا عن نيران العدو بسبب :-

(١) وجود مدفعية للعدو عيار ١٧٥ م يبلغ مداها ٣٢,٧ [illegible]

(٢) وجود الطيران [illegible] السيطرة والمدفعية [illegible]

سرى للغاية

□ وثيقة رقم (٢٩) □

صورة لصفحة ٣ من نفس مذكرة الفريق فوزى إلى الرئيس السادات .

□ وثيقة رقم (٣٠) □

صورة تفريغ لحديث تليفونى بين الرئيس السادات ومحمد حسنين هيكل .

On one of my recent excavations
I ran across an old exclamation.
It was in Amenhotep's tomb,
The god of medicine of ancient gloom.
It said, "Come and visit my Nile."
And you do not have to stand in file.
For your stomachaches I have a cure
And for your headaches for sure.
How about it, dear Henry,
Shall we make the Middle East a double entry?

□ وثيقة رقم (٣١) □

صورة لقصيدة من الشعر نظمها السفير أشرف غربال بالانجليزية وبعث بها إلى الدكتور هنرى كيسنجر .



DONALD M KENDALL
CHAIRMAN
CHIEF EXECUTIVE OFFICER

June 8, 1971

Mr. Mohamed Hassanein Heykal
Editor, Al-Ahram
Al-Ahram Building
Al-Galaa Street
Cairo, Egypt

Dear Mr. Heykal:

It was a great pleasure to meet you with our mutual friend Zaki Hashem and to have the privilege of discussing with you your views on the current political situation in the world as a whole and with regard to the Middle East crisis in particular. I was very impressed by your first-hand knowledge of the Middle East problem, from its beginnings up to the present time, and your exposition of the factors involved, including the role played by the United States and the part which it should play in solving the problem.

As I explained to you, I feel that it would definitely help to promote the Arab cause that a man of your knowledge of this problem and its ramifications, should come to the United States and expound the Arab point of view to some of the more influential people whose better understanding of this question is desirable in the general interest and in the Arab interest.

With this in mind, and because I am happy to consider myself a friend of the Arab nation and its people, I take great pleasure in extending to you an invitation to come to the United States, where I will arrange for you to meet with some of the people who should be better acquainted with the Arab position on the present situation in the Middle East. I am sure that such a visit will strengthen support for the Arab viewpoint and mutually benefit relations between our two countries.

Since returning to the United States I have had an opportunity to have a good visit with the President about my trip to the Middle East and of course also the chance to go into considerable detail about the discussion I have had with you. I told the President it was my intention to invite you to visit the United States, and he also hoped you will accept my invitation.

With best personal regards,

Sincerely,

Don

□ وثيقة رقم (٣٢) □

صورة رسالة من المستر دونالد كندال إلى هيكل يدعوه فيها إلى الولايات المتحدة .

AHR18

CAIRO 58 25 1826

MR. DONALD KENDALL PEPSICO PURCHASE NEWYORK.

THANK YOU VERY MUCH FOR KIND INVITATION STOP
APPRECIATE ARRANGEMENTS WHICH GIVES ME AYE RARE
OPPORTUNITY FOR THOUROUGH DISCUSSION STILL EYE
WOULD BE GRATEFUL IF WE CAN MAKE IT UP NOVEMBER
WHICH WOULD BE MORE CONVEIENT FROM MANY POINTS
OF VIEW STOP ANXIOUSLY WAITING YOUR REPLY STOP
BEST REGARDS.

MOHAMED HASSANEIN HEIKAL

COL O/D PURCHASE.NEWYORK
SENT BY R.H AT 1827
PLS ZAP+?
[illegible]BY ZF AT 1835 25/9 TKS

وثيقة رقم (٣٣) □

صورة لبرقية اعتذار من هيكل إلى دونالد كندال .

EMBASSY OF INDIA
UNITED ARAB REPUBLIC INTERESTS SECTION
2310 DECATUR PLACE, N.W.
WASHINGTON, D. C. 20008

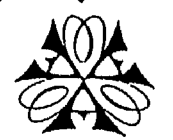
١٠/٩/٧٠

أخي العزيز محمد
تحياتي وأحر أشواقي - وقد أسعدتني الأنباء
التي حملتها لي الحاجة، والتي تطمئن عن الرئيس
وأنه لم يكن ذلك في القريب.
المهم أسعدني أن أعلم وصاياك والوالد والوالدة على أحسن
صحة وعافية.
اتصل بي كندال رئيس البيبسي كولا - وبلغ إلحاحاً
شديداً في ضرورة ضيافة عليه في ضيعته في كونيتيكت
لتقابل مع هنري كيسنجر في عطلة آخر الأسبوع الأول
من أكتوبر أي ٢ و ٣ أكتوبر - وقد قبل كيسنجر
ضيفيه الموسيقيين لمقابلتك.
وقد أبلغت كندال أنك وجدت من الصعب في الظروف
الحاضرة التغيب عن القاهرة وأنك شاكر له كريم الدعوة
إلا أنه سأل عما إذا كنت لا ترى أن فرصته فائتة.
وكانت الشرح بأن الأمر لا يبدو أكثر من استضافته في
محادثة في الأمور الحاضرة لمن يتقن ... حول
الخارجية. وإنه تفكر في ... في الأزمة
في زيارة أو كذلك للعنف (؟).
ذكر كندال أنه يعتقد أنك وكيسنجر متشابهين في

☐ وثيقة رقم (٣٤) ☐

صورة خطاب من السفير أشرف غربال إلى هيكل عن إلحاح
كندال لتدبير لقاء بين الدكتور هنري كيسنجر وهيكل.

TWA Ambassadors Club



نيويورك ٢١/١٠/١٩٧١

JOHN F. KENNEDY INTERNATIONAL AIRPORT

السيد الدكتور محمود فوزي رئيس الوزراء

سيدي الرئيس

طلب الىّ أمس [illegible] الدكتور كيسنجر [illegible] ، [illegible]

[illegible] ، أن انقل رسالة الى السيد رئيس الجمهورية مباشرة

[illegible] ، وقد [illegible] الأمين العام [illegible]

الى القاهرة [illegible] فرجوته أن يبعث هذه الرسالة [illegible] ،

[illegible] بالنظر في [illegible] السيد الرئيس .

ومن [illegible] المستر [illegible] المستر دونالد كندال رئيس مجلس ادارة

شركة بيبسي كولا ، وقد طلب أمس أن نتناول الغداء يوم

الثلاثاء ٢٦ اكتوبر الماضي ، [illegible] حديث عام قال انه يعتقد

أنه لابد من قيام اتصال بين مصر وبين البيت الأبيض [illegible]

الاتصالات الرسمية والعلنية ، [illegible] المطلوب من

امريكا [illegible] اسرائيل [illegible] يحسن أن يكون

الاتصال بكيسنجر [illegible]

[illegible] ، وقال كندال ان كيسنجر [illegible]

[illegible]

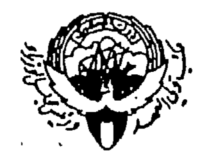
[illegible]

[illegible] كندال [illegible] مصر [illegible]

كيسنجر ، وله صلات ، [illegible]

□ وثيقة رقم (٣٥) □

صورة رسالة من الدكتور محمد حسن الزيات مندوب مصر بالأمم المتحدة إلى الدكتور محمود فوزى بخصوص رغبة الدكتور كيسنجر فى لقاء هيكل .



بسم الله الرحمن الرحيم

الكويت في ٧ جمادى الاولى ١٣٩٢
الموافـــق ١٨ يونيـــــو ١٩٧٢

سيادة الاخ الرئيس محمد انور الســـــادات حفظه اللـــه
رئيس جمهورية مصر العربيـــــة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد ،

فيسرني أن أبعث الى سيـــادة الاخ العزيز بخالص التحيات راجيا أن تكونوا متمتعين بموفـــــور الصحـة والعافيـــــة.

وأود أن أطلع سيادتكم على ما تم بشأن الموضوع الـــذى بحثه معنا السيد كمال ادهم ،فقد تبين بعد دراسة الامر مع مختلف الجهـات المختصة هنا أن من الصعب قيام مؤسسة الخطوط الجويـــة الكويتيـة بشراء طائرات للشقيقة مصرأو حـتى قيامهـا بالكفالة لهـــذا الغرض لأنّ هذا يتطلب صدور قانون ،حكمـه في ذلـك حكـم القـرض المباشـــر .

ونظـرا لما تعلمونه سيادتكم من حرصنا على مصلحة الاشقاء في مصـر فقد حاولنا ايجاد وسيلة اخرى نحقق بها الغاية في حـدود امكاناتنا ،فبحثنا الامـر مع مندوبـين من شركة (بوينـغ) ونائـــب مؤسسة (كيدر بيـبودى) على أساس أن تقوم هذه المؤسسة بعمليـــة الترويـــج لسندات مصرية مضمونة من قبل بنك مصـر والبنك المركـــزى المصرى ،وتهيئ لشرائهـا مجموعة من المؤسسات المالية الاجنبيـــــة، على أن تشترى الكويت الحصة الكبرى من هذه السندات ،وقد سافـــر

يتبع ... / ٢

□ وثيقة رقم (٣٦) □

صورة رسالة من ولى عهد الكويت يعتذر فيها عن قبول اقتراح السيد كمال أدهم بشراء الكويت طائرات بوينج لمصر ويقترح طريقا آخر لتنفيذ الاقتراح .



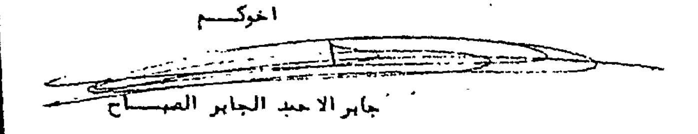
بالفعل نائب رئيس مؤسسة (كيدز بيبودي) الى جمهورية مصر العربية الشقيقة حيث وضع بالاشتراك مع الجهات المختصة فيها الخطوط العريضة لعمليـــة الاصــــدار .

هـــذا ونحن من جانبنــا بانتظار انتهاء اجراءات الاصدار . كما ان شركة (بوينـــغ) علـــى علـــم بهذه الترتيبات ، وهـــي مهيـــأة لهـــذه العمليـــة ، وربما يتم انجاز الامـــر خلال الاسابيع القليلـــــــــة القادمـــــــة .

واغتنم هذه الفرصة لاعرب لسيادتكم عن اطيب التمنيـــــــات بدوام الصحة والتوفيـــــق .

مـــع وافر التحية واسمى التقديـــر ،

اخوكـــم



جابر الاحمد الجابر الصبـــاح

سري جدا



رئاسة الجمهورية العربية المتحدة

(تابع ٣٥) صورة رقم (

لواء محمود عبد الرحمن فهمي : انا عاوز أتكلم على وسيلة من وسائل الضغط على الاتحاد
السوفيتي .. يمكن هي مشكلة انا عايشها في الاسكندرية ..
وجود الاتحاد السوفيتي في البحر الابيض مرهون بكلمة واحدة
من سيادتك .. وجودهم في البحر الابيض وجود رئيسي يمكن
من العوامل الرئيسية اللي هم بيحاولوا فيها في اوقات مختلفة
تواجد الاسطول السوفيتي في البحر الابيض .. احنا ممكن
نبتدي هذا الضغط من دلوقت ان احنا نحدد عدد الوحدات
السوفيتية اللي تدخل في الموانى بتاعتنا كوسيلة للضغط حتى
يمكن لحد ما سيادتك تسافر وبعدين بالتدرج نحدد الموانى اللي
تدخل فيها الوحدات السوفيتية وبعدين بالتدرج نمنعها خالص .
اعتقد ان هذا الضغط هو ضغط مؤثر على الاتحاد السوفيتي
يا اما المساعدة يا اما التواجد بتاعهم بالكامل في البحر الابيض
اللي هم بيحرصوا عليه من سنة ١٩٦٦ .

السيد الرئيس : بس انا ماوصلتش لسة للمرحلة دي يا محمود .

لواء محمود عبد الرحمن : نظهر نوع من الضغط ..

السيد الرئيس : لا انا ماوصلتش للمرحلة دي .. أيوه اتفضل

استراتيجية اسرائيل ما اعتقدش انها مبنية على الاعتماد على
امريكا هي بتعتمد اساسا على انها حتصنع وتوزع في سوق افريقيا
اللي هو الان الوحيد اللي ممكن دولة صغيرة مثل اسرائيل تسوق
فيه منتجاتها .. الدولة الوحيدة القادرة على مقاومة اسرائيل
في هذا الاتجاه هي جمهورية مصر .. بالمصانع الموجودة عندها

(يتبع)

□ وثيقة رقم (٣٧) □

صورة لصفحة من محضر اجتماع المجلس الأعلى للقوات المسلحة مع الرئيس السادات .

رئاسة الجمهورية العربية المتحدة

سري جدا

(تابع ١٢)

اذا استطاع افراد الجيش استخدام جيد لوسائل الدفاع لا عطيناها اكثر .. نحن من اجل مساعدتكم ولكنا ضد التقليل من اهمية التسليح ..

هل هذا الجيش قادر على القيام بعمليات واسعة .. هذا أمر آخر ، سمعه لنا جريتشكو من أركانكم العسكرية .

جريتشكو: احب ان ارد على كلام الرئيس بأنكم على خطوتين وراء العدو .. استعداد القوات المسلحة يعتمد على ٣

١ — نوع وتأثير السلاح .

٢ — الوضع المعنوي والسياسي .

٣ — تعداد الجيش .

اذا كانت هذه العناصر الثلاث موجودة .. كانت طريق النجاح .

اذا عملنا مقارنة بين هذه العوامل الثلاثة .. بين جيشكم واسرائيل ، فانكم تتفوقون على الجيش الاسرائيلي .

فمثلا التعداد = مصر ٦٢٠ ألف جندي

سوريا ١٥٠ " "

اسرائيل ١٨٠ ألف جندي

تعبئة كاملة لاسرائيل ٤٠٠ " "

الدبابات = مصر ٢٠٠٠ دبابة

سوريا ١٥٠٠ "

اسرائيل ١٥٠٠ "

عندكم ٦٥٠ دبابة " ت ٥٥ " وهي احسن الدبابات

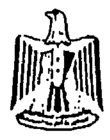
اسرائيل = باتون سنتريون — شيرمان .. وكلها أنواع قديمة .

(يتبع)

☐ وثيقة رقم (٣٨) ☐

صورة لصفحة من محضر اجتماع بين الرئيس السادات والفريق محمد صادق ، وبين القيادة السياسية والعسكرية السوفيتية .

بسم الله الرحمن الرحيم



وزير الحربية

بسم الله الرحمن الرحيم

- يارب بصرني وأتم نعمتك علىّ واهدي
قلبي وطهره واجعل مني نفعا للناس.
- يارب اهدني خير الطريق واهدني
الى ما فيه خير الناس واهدني في رسالة
السماء وافتح علىّ فتوح من يعرف
الله وقوي إيماني برسول الله.
- على بركة الله وقوة من رسول الله
أعمل بالخير وللخير والسلام دائما
ابدا ودائما اعمل.

□ وثيقة رقم (٣٩) □

صورة لدعاء بخط الفريق محمد صادق أعطاه لهيكل للوقاية من الشر .

□ وثيقة رقم (٤٠) □

صورة لغلاف تقرير عن زيارة الفريق أول أحمد إسماعيل إلى سوريا .

تقريـــــر

عن زيارة الفريـــق اول / احمد اسماعيــــل علـــى وزير الحربية والقائد العام للقوات المسلحة الاتحاديــــة

الفترة من ١٠ نوف الى ١٣ نوف ١٩٧٢

الى سوريـــــا

سرى للغاية

- ٦ -

وأن نأخذ فى الاعتبار أن العدو قد يبدأ من جانبه المعركة .. لذلك يجب أن نحصر قدراتنا ونخطط لعمل جدى ونعد قواتنا معتمدين أساسا على ما فى أيدينا نحن الاثنين وفى حدود امكاناتنا وكل ما يجيئنا من الدول الاخرى نعتبره مردا اضافيا .

(٢) تخصيص المهام بواسطة القائد العام للقوات المسلحة الاتحادية :

خصص الفريق أول أحمد اسماعيل على قائد القوات المسلحة الاتحادية المهام التالية للقوات المسلحة السورية :

(أ) أن نطمئن تماما على خطتنا الدفاعية بحيث نكون جاهزين تماما لصد أى عدوان .. وفى نفس الوقت نجهز مواقعنا للهجوم - تحت ستار الدفاع - وحدد للانتهاء من هذه المهمة نهاية نوفمبر ١٩٧٢ .

(ب) التخطيط لعمليات تنشيط وردع واعداد القوات لها لتنفيذها فى الوقت المناسب وحدد للانتهاء من هذه المهمة نهاية نوفمبر ١٩٧٢ .

(جـ) التخطيط واعداد القوات للعملية الهجومية العامة بحيث تكون القوات مستعدة تماما لتنفيذها وحددت التوقيتات الآتية :

١٥ ديسمبر ١٩٧٢ للانتهاء من التخطيط وعرض الخطط

٣١ ديسمبر ١٩٧٢ استعداد القوات للعملية الهجومية

(٣) توضيح للمهام السابقة :

(أ) بالنسبة للخطة الدفاعية

- يجب استكمال الدفاعات بأسرع ما يمكن وخاصة وأننا فى الدفاع منذ خمس سنوات وفى نفس الوقت تجهيز مواقع الهجوم تحت ستار الدفاع .

سرى للغاية

□ وثيقة رقم (٤١) □

صورة للصفحة السادسة من تقرير الفريق أول أحمد إسماعيل عن زيارته لسوريا وفيه الإشارة إلى اقتراح مواعيد العمليات الذى توصل إليه الرئيس السادات .

□ وثيقة رقم (٤٢) □

صورة لغلاف محضر الجلسة الأولى من اجتماع الدكتور هنرى كيسنجر والسيد حافظ اسماعيل .

للعرض على السيد رئيس الجمهورية

الموضوع

محاضـــر

مباحثـــات السيد المستشار مع كيسنجر (٢٥ ـ ٢٦ فبراير ١٩٧٣)

مستشار رئيس الجمهورية

محضـــــــر

الجلسة الأولـــى

(٢٠ / ٢ / ١٩٧٣)

ســـت ١٠ ٢٥

كيسنجـــــــــر :

اســـلوب العمـــل :

١ ـ ان ما تعرضت له المفاوضات السابقة بشأن الشرق الاوسط من صعوبات يرجع الـــى انها كانت تأخذ شكل مناقشات " باهرة " علنية ، تغلبت النظريات علـــى الاستراتيجية العملية فلم يحدث تقدم .

٢ ـ ان البيت الابيض سبق له في حالات سابقة ذات اولوية التدخل مباشرة (الاتحـــاد السوفيتي ـ الصين ـ فيتنام ـ مع فرنسا اثناء ازمة النقد في عام ١٩٧١) . ولكـــن تدخل البيت الابيض يستلزم انضباطا كبيرا وسرية تامة لان النشر قد يحقق فرصـــة دعائية ولكنه يهزم الغرض الاساسي ويتيح الفرصة لضغوط مختلفة .

٣ ـ ان بدء امريكا الحوار على هذا المستوى لا معنى له الا استعدادها لتحقيق التقـــدم ، ولو كان الهدف تضييع الوقت فهناك اجهزة اخرى اقدر على هذا .

٤ ـ انه في تناوله للمسائل لا يعد الا بما ينفذه . وقد يستغرق ذلك وقتا طويـــــلا ولكنه يفي دائما او يبذل جهدا كبيرا للوفاء بما يعد به . وهو لا يقلق في الحـــوار بمسائل نظرية الا اذا عرف تماما : ما هو المطلوب تحقيقه ، وما هو الممكـــن عملـــه ونقطة الوصول . لانه بغير ذلك يضيع الوقت وتنشأ عدم الثقة تسوء العلاقات .

٥ ـ ليس لديه شيء محدد يقدمه ، ويعتقد ان مصر لم تكن تتوقع ذلك . ولكن الغرض هـــو تبادل الآراء ، مع الأخذ في الاعتبار انه اولا الرغبة في اجراء مناقشات جـــادة للغاية في محاولة للقضاء على الجمود IMPASSE لما ظهر من الاستمرار الخطر .

٦ ـ ولذا فهو يقترح خلال اليومين تبادل للآراء بصراحة تامة ، ثم يكون الطرفان بعد ذلـــك على استعداد للقاء آخر يتفق عليه .

□ وثيقـــة رقـــم (٤٣) □

صورة للصفحة الأولى من محضر الاجتماع بين الدكتور هنـــرى كيسنجر والسيد حافظ اسماعيل .

بسم الله الرحمن الرحيم

[illegible]
[illegible]
[illegible]

لفخامة الاخ الرئيس محمد أنور السادات

رئيس جمهورية مصر العربية

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد ،

لقد استلمت كتاب فخامتكم المؤرخ في ١٧ ربيع الآخر سنة ١٣٩١

الذي حمله اليّ الاخ كمال ادهم واني اذ اشكركم على خالص ودكم وجميل مشاعركم ارجو من الله العلي القدير ان يمنّ على الامة العربية بنصره وتأييده . وان يلهم قادتها طريق الحق والصواب .

ولا شك بأن فخامتكم واثق كل الوثوق بأن المملكة العربية السعودية لن تدخر وسعا في دعم جمهورية مصر العربية تحت قيادة فخامتكم وستقف جانب شقيقاتها العربيات بكافة امكاناتها .

هذا ولقد أوضح لنا الاخ كمال مرئياتكم في جميع الامور وأوضحنا له وجهة نظرنا حيالها لنقلها لفخامتكم .

متمنيا لفخامتكم الصحة والتوفيق والله يحفظكم ،

اخوكم

فيصل

وثيقة رقم (٤٤) □

صورة رسالة من الملك فيصل إلى الرئيس السادات .

وزارة الخارجية
ادارة الرمز

سرى للغاية

برقية رمزية واردة

- ذكرت عند اجتماعى بزاهدى فى اليوم التالى (١٩٧٣/٨/٢٥) أننى قرأت الورقة بامعان واننى ألاحظ عليها أنها :

(١) حوت بعض تعبيرات ايجابية :

أ - حرص أمريكا على أن تعمل بفاعلية .

ب - وان تعمل بهدوء حتى يتوفر لها امكانية وجود موقف علنى يمكنها أن تدافع عنه .

جـ - أهمية انسحاب القوات الاسرائيلية من مواقعها الحالية .

د - ضرورة ألا ينشأ عن الخطوة الاولى تجمد للموقف .

هـ - تفهم أمريكا لمشكلة الرئيس السادات فى هذا الشأن .

ذكرت أن كل هذه نقاط تعبر عن نوايا طيبة .

(٢) انما الورقة كما هى لا تبين كيف نصل الى الاهداف المنشودة وهناك تساؤلات ...

كيف يمكن حسب التفكير الامريكى :

أ - التقدم خطوة بخطوة .

ب - الابقاء على الموقف فى حالة سيولة بدلا من جموده الحالى .

جـ - ألا تؤدى الخطوة الاولى الى اعادة تجميد الوضع .

د - كيف ترى أمريكا تحقيق التسوية الشاملة العادلة فى النهاية .

هـ - ما هو المقصود بمرونة تكتيكية أكثر من جانب مصر .

و - كيفية التقدم من المرحلة الاولى للمراحل اللاحقة .

ز - ذكرت أننى فهمت منه أن الورقة أمريكية ، انما أجد فى الفقرة (٦)

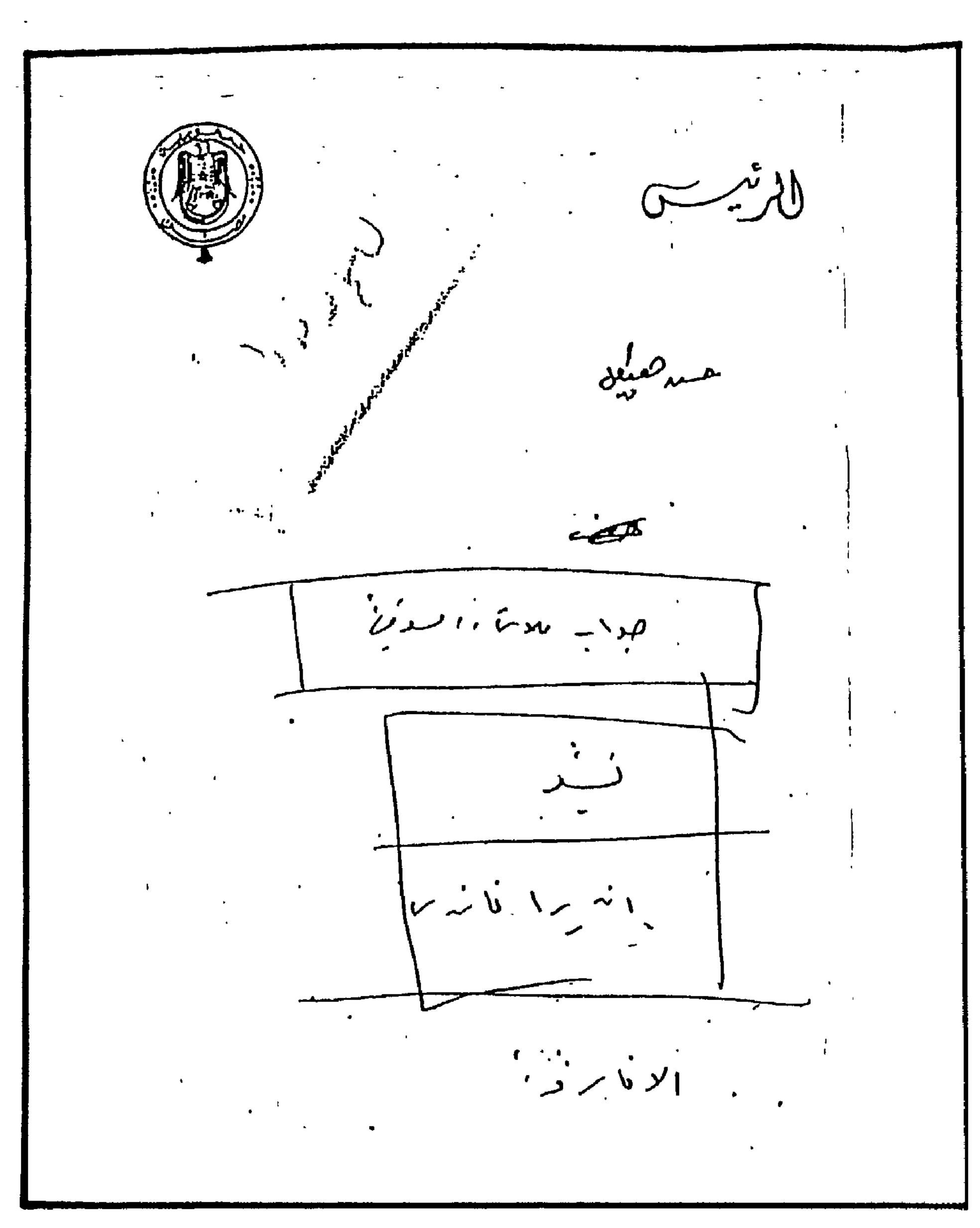
We judge that the U.S. is serious in wanting a settlement and is serious in trying to find a workable way of achieving one.

لمن المقصود بـ " we "

أضفت أننى احتاج الى معاونته فى الرد على هذه الاستفسارات كى يمكن أن تكتمل لدى الصورة للعرض على القاهرة .

☐ وثيقة رقم (٤٥) ☐

صورة لصفحة من تقرير السفير أشرف غربال عن اجتماعه مع السفير أردشير زاهدى فى مونترو .



الرئيس

حسن هيكل

□ وثيقة رقم (٤٦) □

صورة ورقة تحمل شعار الدولة بها رؤوس موضوعات كتبتها أثناء جلسة التحضير السياسى والإعلامى لحرب أكتوبر فى استراحة كنج مريوط ، ويلاحظ وجود عبارة ، حسن هيكل ، بخط يد الرئيس السادات .

كما أن العبارة الظاهرة تحت شعار الدولة وتحتها خط تقول ، كنج مريوط ، إشارة إلى المكان الذى عقد فيه الاجتماع .

الرئيس

تحدى نظرية الامن الاسرائيلى وذلك عن طريق عمل عسكرى (حسب امكانيات القوات المسلحة) يكون هدفه الحاق اكبر قدر من الخسائر بالعدو واقناعه انه مواصلة احتلاله لاراضينا يفرض عليه ثمنا لا يستطيع دفعه .. وبالتالى فان نظريته فى الامن – على اساس التخويف النفسى والسياسى والعسكرى – ليس درعا من الفولاذ يحميه الان او فى المستقبل .

واذا استطعنا بنجاح أن نتحدى نظرية الامن الاسرائيلى فان ذلك سوف يؤدى الى نتائج محققة فى المدى القريب وفى المدى البعيد .

ومع العزلة الدولية للعدو .. ومع الغرور الذى يسود عنده بتراكمات الانتكاسات العربية ومرارات الشكوك – فان احتمالات الفرصة المناسبة تصبح الان أمامنا .

القاهرة ٥ رمضان ١٣٩٣
اول اكتوبر ١٩٧٣

رئيس الجمهورية
القائد الأعلى للقوات المسلحة

□ وثيقة رقم (٤٧) □

صورة التوجيه السياسى الذى يتضمن أمر القتال الصادر من القائد الأعلى للقوات المسلحة وعليه تعديلات بخط الرئيس السادات .

وزارة الخارجية
ادارة الرمز

سري للغاية

برقية رمزية واردة

من : فيينا — ت٠و٠أ — ٧٣/١٠/٤ — ٢٣١٠
رقم : ٦٨١٠ — ت٠و٠و — ٧٣/١٠/٥ — ٠١١٥

رسالة الى السيد الرئيس من السيد الوزير اسماعيل فهمي .

قابلني المستشار كرايسكي اليوم بعد ساعتين من وصولي واخذ بالطيار سائرين من مكتبه لاستقبالي ودامت المقابلة ساعة وخمسة واربعين دقيقة وكانت ودية للغاية وصريحة . نقلت الى دكتور كرايسكي تحيات السيد الرئيس وأطيب تمنياته وسلمته الرسالة فقرأها على مهل وبامعان ثم طلب الى ان انقل الى السيد الرئيس تحياته وسروره لايفاد مبعوثا خاصا في هذا الوقت . شرح كيفية صدور قرار الحكومة النمساوية الخاص باغلاق معسكر تجميع المهاجرين اليهود السوفيت ذاكرا :

١ ـ ان الفكرة كانت فكرته والقرار قرار الحكومة النمساوية وكان الدافع الاساسي لاتخاذه له جانبين :

الاول : هو ماتحدث عنه السيد الرئيس في رسالته من تجنب وقوع ضحايا وبذلك امكن انقاذ حياة ثلاثة يهود واثنين عرب ونمساويا .

الثاني : هو المحافظة على أمن النمسا عن طريق ايقاف اجراءات غير العادية التي كانت سارية بخصوص المهاجرين السوفيت وارتباطها بهذا المعسكر بحيث لا يدخل النمسا أي مهاجر يهودي أو غير يهودي روسي أو غير روسي الا من طريق حصوله على تأشيرة دخول ولهؤلاء جميعا حرية العبور الى النمسا والبقاء فيها حتى يقرروا مايتخذونه بشأن الجهة التي يودون

.../...

وثيقة رقم (٤٨) □

صورة برقية من السيد اسماعيل فهمي إلى الرئيس السادات عن لقائه مع المستشار كرايسكي فى فيينا .

جمهورية مصر العربية

سري جداً

صورة (   )

رسالة معلومات عاجلة

اعداد : مكتب الشئون العسكرية

الموضوع : نشاط العدو الاسرائيلي على الجبهات العربية الفترة من ١ الى ١٠/٥

المصدر : تقارير وملاحظات المخابرات الحربية والاستطلاع

عام :

- عمد العدو خلال الفترة الاخيرة وحتى يوم ١٠/٢ الى اظهار واعلان استعدادات كل من سوريا ومصر بحشد قواتهما على الجبهتين السورية والمصرية في الوقت الذي لم يبدي فيه ردود فعل من جانبه بهدف اخفاء نواياه مع استمرار متابعته النشاط على الجبهتين بترقب وحذر .
- واعتبارا من يوم ١٠/٣ ظهرت ردود فعل العدو بصورة واضحة حيث نشط استطلاعه واستدعى الاحتياط ورصدت بعض الشواهد للتعبئة العامة — هذا مع تدعيم الجبهة المصرية والسورية والاردنية بالقوات ووسائل الدفاع الجوي والقوات الجوية .

ابرز ما رصد لنشاط العدو خلال الفترة :

من المنتظر ان يتم العدو استدعاء احتياطه واستكمال التعبئة الشاملة قبل يوم ١٠/٢ .

القوات البرية :

- رصد للعدو تجميع قوة ٢ ل أحدهما مشاه في منطقة بير سبع .
- رصد للعدو تجميع قوة ٢ ل غير مميز شمال ايلات .
- دعم العدو قطعه اللوية في جنوب سيناء مع احتمال تدعيم القطاع الشمالي لجبهة القناة بلواء (رصد لاسلكيا) .
- تنشيط للداوريات والكمائن ونقط الملاحظة نهارا وليلا .

القوات البحرية :

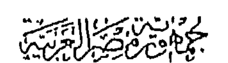
- انتشار للقطع البحرية في موانى العدو بالبحر الابيض .

(يتبع)

□ وثيقة رقم (٤٩) □

صورة رسالة معلومات عاجلة من مكتب الشئون العسكرية عن نشاط العدو على الجبهات .

سري جدا



صورة (   )

(تابع ٢)

- تكثيف عمليات التأمين البحري والدوريات البحرية وخاصة في منطقة خليج السويس والعقبة .
- دعم رادارات الانذار البحرية وخاصة في خليج السويس .

القوات الجوية :

- وقف الطيران المدني الداخلي والخارجي في اسرائيل اعتبارا من ظهر يوم الجمعة ١٠/٥ وحتى غروب يوم السبت ١٠/٦ .
- دعم مطار الطور بسيناء .
- اختبار مطار تمادة بسيناء .
- تنشيط الاستطلاع الجوي الالكتروني والتصوير للجبهة المصرية والسورية .

قوات الدفاع الجوي :

- دعم مواقع الهوك في سيناء بعدد ٢ موقع (اجمالي المواقع الآن ١٥ موقع) .
- دعم شبكات الانذار الجوي في سيناء .

التحليل :

- وضح من نشاطات العدو واجراءاته المختلفة خلال الفترة توقعا من جانبه لاحتمالات نوايا عدوانية من جانب كل من مصر وسوريا .
- من المتوقع أن يتم العدو استدعاء الاحتياط واستكمال التعبئة الشاملة قبل يوم ١٠/٧ .
وتعتبر القوات الجوية الاسرائيلية حاليا جاهزة ومستعدة لتنفيذ مهام العمليات .
- من المنتظر ان يستمر العدو في تنشيط وسائل استطلاعه المختلفة لمتابعة الموقف ونشاط القوات على الجبهات العربية .

١٩٧٣/١٠/٦

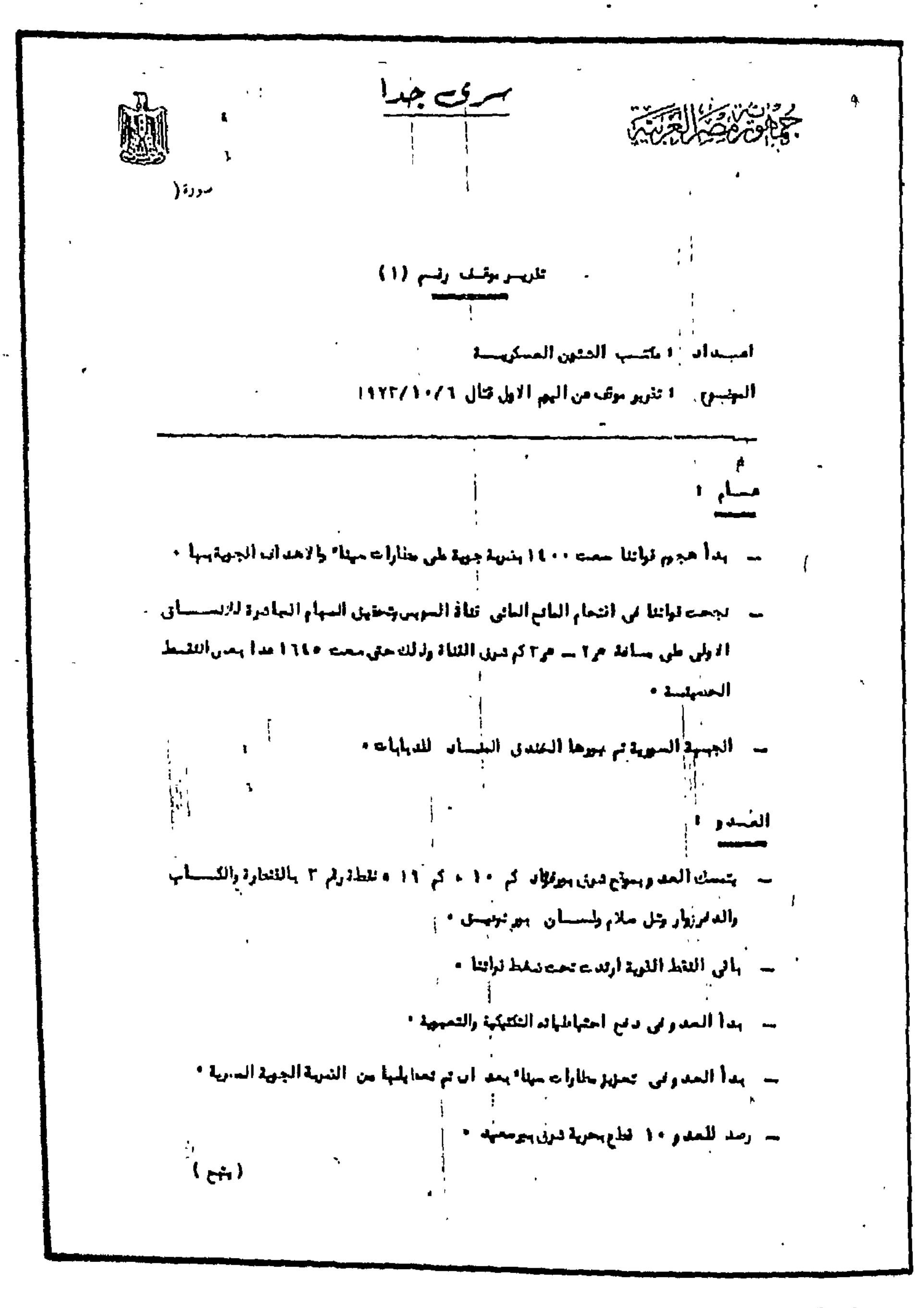
military option which required serious diplomatic action. Instead of doing something we joked about the shoes the Egyptians left behind in 1967.

"Do you remember," he went on, "when I reported to you on my meeting with Hafez Ismail in Washington? What [illegible] do in those conversa[illegible] talked [illegible] him about the weather and every subject in [illegible] world just so we wouldn't get to the subject the minister thought most important. I played with him. I toyed with him. My aim was to gain time and postpone the serious stage for another month, another [illegible]ear."

Kis[illegible]ntinued: "You know what? I rem[illegible]ber now that Ismail told me several times that the present situation could not continue. He asked me whether the United States did not understand that if there weren't some agreement then there would be war. He expressed surprise that the United States didn't do something about it."

□ وثيقة رقم (٥٠) □

صورة من صفحة ١٤٥ من « المحادثات السرية للدكتور هنرى كيسنجر فى إسرائيل » وقد نشرها كاملة الصحفى الإسرائيلى المشهور ماتى جولان .



جمهورية مصر العربية

سري جدا

صورة

تقرير موقف رقم (١)

اعداد : مكتب الشئون العسكرية

الموضوع : تقرير موقف عن اليوم الاول قتال ١٩٧٣/١٠/٦

عام :

- بدأ هجوم قواتنا بعدد ١٤٠٠ ضربة جوية على مطارات سيناء والاهداف الجوية بها .
- نجحت قواتنا في اقتحام المانع المائي قناة السويس وتحقيق المهام المباشرة للانساق الاولى على مسافة م٢ - م٣ كم شرق القناة وذلك حتى ساعة ١٦٤٥ عدا بعض النقط الحصينة .
- الجبهة السورية تم عبورها الخندق المضاد للدبابات .

العدو :

- يتمسك العدو بمواقع شرق بورفؤاد كم ١٠ ، كم ١٩ ، نقطة رقم ٣ بالقنطرة والكاب والدفرسوار وتل سلام ولسان بور توفيق .
- باقي النقط القوية ارتدت تحت ضغط قواتنا .
- بدأ العدو في دفع احتياطياته التكتيكية والتعبوية .
- بدأ العدو في تجهيز مطارات سيناء بعد ان تم تدميرها من الضربة الجوية المصرية .
- رصد للعدو ١٠ قطع بحرية شرق بورسعيد .

(يتبع)

□ وثيقة رقم (٥١) □

صورة تقرير موقف رقم (١) عن اليوم الأول قتال ٦ / ١٠ / ١٩٧٣ .

وزارة الحربية
ادارة الشئون المعنوية
نشرة التوعية الدينية
رقــم ٧٨

بسم الله الرحمن الرحيم

رســول الله معنا فى المعركة

ياجند الله ...

ان المعركة التى تخوضونها بعزيمة المؤمنين ويقين الصادقين ترفرف من حولها البشائر ... الصادقة التى تملأ الصدور بالامل بالنصر العزيز . وتشير القلوب بالثقة فى وعد الله بالفتح المبين .

وفيما نعرف من حديث رسول الله ((صلى الله عليه وسلم)) ان من راى رسول الله فى نومه فكانما رآه فى يقظته .

وقد راى اكثر من واحد من الصالحين رسول الله ((صلى الله عليه وسلم)) قبل بدء المعركة يشير الى سيناء اشارات معبرة عن تحريرها .

كما راى بمقدم رسول الله يمشى فيها بين جنودنا مشرق المحيا واضح الابتسامة .

كما راى احد الصالحين ان رسول الله ((صلى الله عليه وسلم)) فى منزل شيخ الازهر الدكتور عبد الحليم محمود . فذهب الرائى اليه فى القرية المجاورة ليخبره بمقدم رسول الله فوجده يصلى فانتظر الى ان انتهى من صلاته ... ثم اخبره . فقال انى اعرف ... لاننى ذاهب معه الى سيناء ... يقول الرائى : ثم رايت شيخ الازهر برافق الرسول الى سيناء حيث يشرق بنوره الكريم هنالك واخذا يتنقلان معا بين الجنود .

ياجند الله ...

ان البشائر الصادقة برى مؤذنة بيوم النصر القريب ..

فعلى بركة الله شدوا على اعداء الانسانية اعداء الله .. طهروا تراب الوطن العزيز من رجس الغاصب .. انصروا الله ينصركم .. والامة كلها من ورائكم مؤمنة بان النصر باذن الله حليفكم .

والله معكم .. يحميكم .. ويرعاكم .. ودعوات الصالحين الخالصة بالنصر المؤزر والفتح المبين .. ((ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله)) .

□ وثيقة رقم (٥٢) □

صورة منشور مرفق بالتقرير رقم (١) من إدارة الشئون المعنوية ـ نشرة رقم ٧٨ .

من نيويورك .... برقية رمزية واردة .... برقم ١٨٦٢

٢/١٠/١٩٧٢م

سـري للغاية

... وبعد ...

١/ [illegible] بي كيسنجر [illegible] ان [illegible] بعد احداث الشرق الاوسط [illegible] السابع ./. وذكر الاوسط ./.

أ – [illegible] انه كان مسرورا [illegible] ان يبدأ [illegible] بالتعاون [illegible] لتسوية مشكلة الشرق الاوسط [illegible] حديثه [illegible] ٢٦ اكتوبر .

وقال [illegible] احداث اليوم [illegible] ./. وهو يرى ان القتال اذا لم يتوقف في وقت معقول فان الامر سيخرج [illegible] ايدينا .

ب – وقال ان معلوماتهم وتقديرهم ./. [illegible] يكونوا [illegible] ولا اننا نحن الذين بدأنا هجوم اليوم ./. وثانيا [illegible] القتال اذا استمر [illegible] الجانب الاخر – الاسرائيليين – وتقديرهم [illegible] سيقوم بهجوم مضاد كبير خلال اليومين القادمين .

جـ – وقال انه يود ان يذكر لي من جديد [illegible] اذا [illegible] يوافقون على احتلال اسرائيل لاراضي جديدة .

د – [illegible] عن استحسان بكرة [illegible] قرار [illegible] الامن [illegible] اعادة الحالة على ما كانت عليه .

[illegible] وقال [illegible] مناقشة في الجلسة العامة [illegible]

[illegible] من [illegible]

☐ وثيقة رقم (٥٣) ☐

صورة برقية من الدكتور محمد حسن الزيات إلى الرئيس السادات عن مقابلة له مع الدكتور هنرى كيسنجر .

Message from Mr. Hafez Ismail
To Dr. Henry Kessinger

I - Dr. Zayat has convoyed to us the talks and discussions that have taken place, between the two of you in the last few days.

II - I would like, in conformity with the spirit of frankness that prevailed in our meetings, to make a few remarks concerning the points which were brought up during your discussions:

1 - The engagements taking place at present in the area should not arouse any surprise to all those who have followed the continous Israeli provocations not only on the Syrian and Lebanese lines but also on the Egyptian front. We have many times drawn the attention to such provocations which never ceased in spite of international condemnation.

2 - Egypt therefore had to take a decision to confrant any new Israeli provocations with firmness, and consequently took the necessary precautions in order to face any such Israeli action similar to that over Syria on 13th. September 1973.

3 - The clashes that occured on the Canal front as a result of the Israeli provocations, were intended from our side to show to Israel that we were not afraid or helpless and that we refuse to capitulate to the conditious of an aggressive planning to retain our land as hostage for bargaining.

4 - As a result of the engagements a new situation has been created in the area and although it is natural to expect new developments within the coming few days, we would like to define the framework of our position.

5 - Our basic objective remains as always, the achievement of peace in the Middle East and not to achieve partial settlements.

□ وثيقة رقم (٥٤) □

صورة برقية من السيد حافظ اسماعيل إلى الدكتور هنرى كيسنجر يوم ٧ أكتوبر ١٩٧٣ تتضمن قول الرئيس السادات بأنه « لن يعمق مدى الاشتباكات » .

6 - We do not intend to deepen the engagements or widen the confrontation.

III- I reckon you have received from Mr. Rockfeller our President's reply to your message, in which reply our position as pointed out since our first contact was reaffirmed. Allow me to make it clear once more:

1 - Israel has to withdraw from all occupied territories.

2 - We will be then prepared to participate in a pease conference in the U.N. in whatever agreable form, whether it be under the auspices of the Secreasary General or the representatives of the permanent members of the Security Council or any other suitable body.

3 - We agree to the freedom of navigation in the Straits of Tiran and we accept, as a guarantee, an international presence for a limited period.

IV - I feel confident that you will appreciate that this re-explanation of our position emanates from a real and genuine desire for the realization of peace and not from readiness to start a series of concessions. In fact we remember that Mr. Rogers impaired peace chances when he mistakingly interpreted our peace initiative of February 1971 in such a manner that deviated it from its true nature and objective.

Please accept my best wishes.

Hafez Ismail

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
الديوان الملكي
المكتب الخاص

الرقم ....
التاريخ ....

هذه الرسالة من جلالة الملك فيصل
الى : معالي الوزير هنري كيسنجر ، وزير خارجية الولايات المتحدة الامريكيه .

تلقيت رسالة معاليكم المستندة الى تقرير وردكم من اسرائيل بأن القوات المصرية والسوريه تنوي شن هجوم منسق على القوات الاسرائيليه .

ولدى بدء الاشتباك فعلا بين القوات المصرية والسورية من جهة والقوات الاسرائيليه من جهة اخرى في البر والجو فأن معاليكم تأكد بأن البادئ بهذا الهجوم هي اسرائيل وفي اعتقادي ان هذا الهجوم حلقة من حلقات السياسة الاسرائيليه لتنفيذ الخطة التوسعية التي رسمتها لتطبيق سياستها العدوانيه ضد الدول العربيه . لأن العرب لم يقوموا بأي عدوان ضد اسرائيل من تاريخ نشأتها وان العدوان كان دائما من قبل اسرائيل لتكسب في كل عدوان مساحة من الارض وفقا لمخططاتها المرسومه . فاذا لم تقم الولايات المتحدة بردع اسرائيل من التمادي في غيها وعدوانها فسوف يتفجر البركان الهائج حتى الآن في منطقة الشرق الاوسط وسوف لا يقتصر تدميره على المنطقة لوحدها بل سيتعداها الى حرب عالمية شاملة تمتد الى جميع دول العالم بأثارها على الرغم مما نصت عليه اتفاقيات عدم المجابهه بين الدول الكبرى . واننا نرى أن المسئولية الكبرى في هذا الصراع القائم في المنطقة تقع على عاتق اسرائيل ، وعلى الولايات المتحدة الامريكيه ان تجبر اسرائيل على الانسحاب من الارض العربية واعطاء الشعب الفلسطيني حقه في ارضه ووطنه ....

□ وثيقة رقم (٥٥) □

صورة رسالة من الملك فيصل إلى الدكتور هنرى كيسنجر مع بدء حرب أكتوبر .

بسم الله الرحمن الرحيم

الرئاسة العامة
الديوان الملكي
المكتب الخاص

الرقم ....

التاريخ ....

مذكره شفويه تسلمت للسفاره الامريكيه لارسالهـا
لفخامة الرئيس نيكسون من جلالة الملك فيصل .

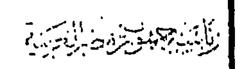
فخامة الرئيس : ـ

لقد اندلعت نار الحرب للمره الرابعه في منطقة الشرق الاوسط نتيجة لمخطط توسعي تقوم اسرائيل بتنفيذه تنفيذا للتعليمات الصهيونيه العالميه . ولقد اسدينا النصح لكل من اجتمعنا به من اصدقائنا الامريكان وكذا لفخامتكم ولفخامة سلفكم الرئيس جونسون بان الحرب لاتيه لامحاله اذا لم تسارع امريكا بالضغط على اسرائيل بعدم التمادى في غيها وغطرستها والاقلاع عن تحديها لقرارات الامم المتحده والرأى العام العالمي وانه من شأن هذه الحرب اذا استمرت لسوف تضطر جميع الدول العربيه بخوض غمارها ومن بعدهـا الدول الاسلاميه والدول الصديقه وستكون حربا شرسه تدمر حضارة القرن العشرين وجميع الامم الانسانيه ، كما ان تكون الدول الكبرى بمنأى عنها حفاظا على مصالحها في هذا الجزء الحساس من العالم .

واننا لنناشد الولايات المتحده الامريكيه ان تنظر لهذا الموضوع بعين الحكمه والعقل لان هـذه الحرب ليست كالحروب السابقه لأن المشاعر العربيه ملتهبه والصبر لدى العرب بلغ مداه ولهذا فاننا ننصح ان تجبر الولايات المتحدة اسرائيل بالانسحاب من الاراضي المحتله وتطبيق قرارات الامم المتحده التي والتت عليها الدول المعنيه . ونأمل من الولايات المتحدة ان لاتزود اسرائيل بالسلاح لئلا يطول امد الحـرب وتتعقد ويلاتها ولكي لاتنتشر الشيوعية في المنطقـة ...

☐ وثيقة رقم (٥٦) ☐

صورة مذكرة شفوية من الملك فيصل إلى الرئيس نيكسون .




السكرتارية الخاصة

١٩٧٣/١٠/٨

النقاط المقترحه التى تتضمنها كلمـــة السيد الرئيس بأعلان أستردادنـــــا لمدينة القنطرة شـــرق .

١ـ أعلان تحرير أول مدينة مصريـــة فى سيناء (القنطرة شرق)

٢ـ كيفية تحريـــر المدينه .. ثم حصارهـــا داخليا وخارجيا .. اقتحـــام مشاركتها القتال داخل المدينة فى الشوارع والمبانى . استعادة المدينه بالكامـــــل .

٣ـ القبض على افـراد العدو الذين استسلموا بعد أنهيارهم امام اصـــرار وعنف قتال الجندى المصرى وأسـر كميات كبيره من معدات العـــدو سليمة منها بعض الدبابات السنتوريون .

٤ـ فرحة المواطنين المصريين داخل المدينة ـ تقدم اخوانهم افراد القـوات المسلحة المصرية ومعاونتهم للقوات المصرية .

٥ـ نداء الى المواطنين المصريين فى القنطرة شـرق وتهنئتهم بتخلصهـــم من نير الاحتلال الصهيونى .

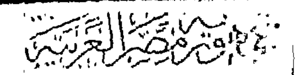
٦ـ تحيـــة لافـــراد القوات المسلحة .

٧ـ العزم والتصميم على تحرير كل مـدن سيناء وكل شبر فيها .

٨ـ نداء الى أهالى ســيناء لمعاونة القوات المســلحة المصرية وانتظارهـــا فهى فى طريقها اليهم لتحريرهـــم .

□ وثيقة رقم (٥٧) □

صورة من النقاط المقترحة لخطاب الرئيس السادات كما أملاها بنفسه على سكرتاريته الخاصة ، وبواسطتها أرسلت إلى هيـكل .



سري جداً

نص الحديث التليفوني

بين سيادة الرئيس أنور السادات والعقيد معمر القذافي

السيد الرئيس: أهلاً .. ازيك يامعمر .

العقيد القذافي: اهلا .. نريد صورة عن الموقف .

السيد الرئيس: ابعت لنا حد يامعمر .. من عندك يقعد معانا وينقل لك الصورة .

العقيد القذافي: احنا بس عاوزين نطمئن .

السيد الرئيس: الموقف بخير .. خلصنا القنطرة .. والجزء الشمالي من القناة .. ماشيين الحمد لله زي ما احنا .. كويسين .

العقيد القذافي: ياريس شدوا حيلكم .

السيد الرئيس: احنا ماشيين يامعمر .

العقيد القذافي: ياريس .. الاذاعة بتوضح العمليات امام العدو .. بلاش الاذاعة احنا هنا متضايقين .. لازم يكون فيه اسلوب متفق عليه بواسطة الاذاعة .

السيد الرئيس: كل حاجة عال .. ابعت لنا حد يقعد معانا يومين ويأتي ويرجع تاني عندك .. علشان يبلغك اول بأول .. يعني حد يوصل يومين ويرجع وهكذا .

العقيد القذافي: أنباء سوريا ايه ؟

السيد الرئيس: الطيارة المغرب اخدوا موقع اهم من جبل الشيخ .

العقيد القذافي: وأخبار القنيطرة .

السيد الرئيس: القنيطرة خلاص .

(يتبع)

□ وثيقة رقم (٥٨) □

صورة الصفحة الأولى من تقرير لمحادثة تليفونية بين الرئيس السادات والرئيس القذافي

8 October 1973

Dear Mr Ismail,

"I very much appreciate your taking the time amidst your present heavy preoccupations to share with me your thinking concerning developments in the Middle East.

"Even before the outbreak of the current hostilities, I had told Foreign Minister Zayat that I was prepared to explore seriously and intensely with all parties, and especially with Egypt, what the United States might be able to do to assist the parties in bringing peace to the Middle East. This offer still stands.

"Obviously, such an effort can best succeed in the calmest possible atmosphere. It is for this reason that the United States has attempted to bring about a ceasefire without at the same time taking a position which might produce a confrontation with the Egyptian side.

"With respect to the specifics in your note of October 7, there are two questions. First, the U.S. side is not clear as to whether the first point in the position of the Egyptian side, that Israel has to withdraw from all occupied territories, must be implemented before a conference can take place or whether agreement in principle to such a condition is what is anticipated. Secondly, the U.S. side has received the following message from its Ambassador in Tehran:

Prime Minister Hoveyda, at Shah's instruction, summoned me at 215 (1415) local to read me cable to Shah from President Sadat transmitted via Iranian Ambassador to Cairo who saw Sadat early afternoon Egyptian time October 7. To summarize, cable gives optimistic description of Egyptian Military Position on East

☐ وثيقة رقم (٥٩) ☐

صورة خطاب من الدكتور هنرى كيسنجر إلى السيد حافظ إسماعيل يستوضح فيه موقف مصر بعد نشوب القتال .

جمهورية مصر العربية

من الرئيس أنور السادات

الى الرئيس حافظ الاسد

....

تحياتي ،

ابلغني السفير السوفييتي اليوم بأنكم طلبتم الى السوفييت التدخل لوقف اطلاق النار في اجتماع مجلس الامن لاسباب تتعلق بسير المعركة في سوريا .. وأريد أن اضع امامك في هذه اللحظات المصيرية هذه اعتبارات :

١ - ان وقف اطلاق النار مع احتفاظنا بمواقعنا الان سيعيدنا الى وضع اسوأ مما كنا فيه وستزداد غطرسة اسرائيل واستعداداتها وطلباتها بأكثر مما كانت ولن تحل القضية الا بشروطها وفي الوقت الذي تراه .

٢ - لقد أكد لي السفير السوفييتي ان الاتحاد السوفييتي قرر تعويضكم بالكامل عن كل ما فقدتموه من العتاد .

٣ - ان وقف اطلاق النار سيحرمنا من استنزاف العدو وهي الهدف الاساسي الذي يجب ان نحرص عليه وهو مالا تحتمله اسرائيل مما لابد وأن يغير من الموقف فقط مطلوب منا الصمود .

٤ - ارجو الا يكون الهدف في هذه المرحلة هو الارض .. والهدف هو كسر وقف اطلاق النار واستنزاف العدو وعلينا ان نتحمل الخسائر المترتبة على ذلك .

٥ - لهذه الاعتبارات مجتمعة فانني كما عودتك القول لك انني لا اتفق معك في الرأي على وقف اطلاق النار في المرحلة الحالية ، وبعد مراجعة القائد العام الذي افاد أن الضباط والجنود السوريين على درجة عالية من الكفاءة والروح العالية .. لذلك فانني انصح بدفع الفرقة

(يتبع)

وثيقة رقم (٦٠) □

صورة للصفحة الأولى من نص الرسالة التي بعث بها الرئيس السادات إلى الرئيس الأسد بتاريخ ٨ / ١٠ / ١٩٧٣ .

سري جداً

جمهورية مصر العربية

برقية رمزية

من	دمشق	رقم البرقية ٣ (ش.س.م.)	مجموعة الوقت والتاريخ ٩/١٠/٧٣
الى	للتنفيذ		
	للعلم		

من الرئيس حافظ الاسد

الى السيد الرئيس السادات

تحياتي .

الحالة :

١- لم اطلب من السوفييت التدخل لوقف اطلاق النار واريب ان يتحدث السفير بهذا الشكل وقد كان (الذى قلته لهم) ان وقف اطلاق النار مرتبط بتحرير الارض .

٢- ليست هناك اى اسباب فى المعركة تدعوا لوقف اطلاق النار ، فالمعركة تسير بشكل جيد ، ونلحق بالقوات الاسرائيلية اكبر الخسائر بالرجال والعتاد وقد تم حتى الان تحرير اكثر من ثلث مرتفعات الجولان .

٣- خسائرنا فى الحدود الطبيعية ويجرى بشكل منتظم استعواض خسائرنا .

٤- ليس للعراق علاقة باستعواض خسائرنا فليس فى العراق فائض مما نحتاج اليه .

٥- موضوع كموضوع وقف اطلاق النار لايتم الا بالاتفاق بيننا ولا اعتقد ان هناك ما لا الان لنبحث هذا الموضوع .

وختاما ، اتمنى لكم النصر المبين .

أخوكم

(حافظ الاسد)

٩-١٠-١٩٧٣ م

□ وثيقة رقم (٦١) □

صورة برقية رمزية من الرئيس الأسد إلى الرئيس السادات يبدى فيها تفاؤله من سير المعارك .

FROM HAFEZ ISMAIL

TO DR. H. KISSINGER

DR. ISMAIL WISHES TO THANK DR. KISSINGER FOR HIS MESSAGE DATED 8th OCT 73 HE WISHES ALSO TO EXPRESS OUR APPRECIATION FOR THE U.S. GOVERNMENT'S GOOD INTENTIONS AND ITS PREPAREDNESS TO PARTICIPATE IN EFFORTS TO BE DEPLOYED TO REACH PEACE IN THE MIDDLE EAST .

DR. ISMAIL'S MESSAGE OF 7th OCT 73 WAS INTENDED, FIRSTLY TO RE-ESTABLISH CONTACTS ON THAT SPECIAL CHANNEL BETWEEN THE WHITE HOUSE AND THE PRESIDENCY . AND, SECONDLY TO CLARIFY, DIRECTLY TO THE U.S. GOVERNMENT THE EGYPTIAN POSITION WITH RESPECT TO THE RECENT DEVELOPMENTS IN THE MIDDLE EAST. EGYPT NEED NOT RESORT TO OTHER CHANNELS ON QUESTIONS SO SERIOUS AND URGENT AS THOSE RAISED IN OUR MESSAGE. I DO HOWEVER WISH TO CONFIRM AGAIN :

1 - ISRAEL SHOULD WITHDRAW TO THE 5 th JUNE 67 LINE. A PEACE CONFERENCE WILL THEN BE HELD TO WORK OUT A FINAL PEACE AGREEMENT .

2 - THERE HAS NEVER BEEN ANY TALK ABOUT PLACING THE TERRITORIES EVACUATED BY ISRAEL UNDER INTERNATIONAL OR ANY OTHER " CONTROL " . THIS WOULD INFRINGE UPON EGYPT'S SOVEREIGNTY.

3 - THE PROVISION OF AN INTERNATIONAL PRESENCE FOR A LIMITED DURATION IN SHARM EL SHEIKH IS ACCEPTABLE TO SUPERVISE FREEDOM OF NAVIGATION IN THE STRAITS OF TIRAN .

DR. ISMAIL WOULD LIKE TO SEIZE THIS OPPORTUNITY TO DRAW DR. KISSINGER'S ATTENTION TO THE FOLLOWING DEVELOPMENTS :

1 - THE MOVEMENTS OF THE AMERICAN 6 th FLEET IN THE EASTERN MEDITERRANEAN .

□ وثيقة رقم (٦٢) □

صورة للصفحة الأولى من رسالة السيد حافظ اسماعيل إلى الدكتور هنرى كيسنجر يعلق فيها على تحركات الأسطول السادس الأمريكى وتدفق المتطوعين على إسرائيل .

From Dr. Kissinger to Mr. Hafiz Isma'il – 10 October 1973

"Dr. Kissinger expresses his appreciation to Mr. Isma'il for his prompt reply and friendly words in his message of 9 October 1973.

"The U.S. side trusts that the Egyptian side understands that what the United States has done thus far in the current crisis is the absolute minimum action it could take in view of the public pressure to which the U.S. Government is exposed. As a result of the explanation in Mr. Isma'il's message, the U.S. side now understands clearly the Egyptian position with respect to a peace settlement.

"The U.S. side is less clear, however, as to the views of the Egyptian side on how the present fighting can be brought to an end. These views would be very useful to the U.S. side in formulating its position in the current debate in the Security Council. In the hope of hearing the views of the Egyptian side, the U.S. side will hold off as long as possible in presenting a definitive U.S. position in the Security Council.

"The U.S. side wishes to reiterate its willingness to consult urgently with the parties concerned in order to achieve a just peace settlement in the Middle East. In these difficult times, it is important to keep this long-term perspective in mind and to avoid confrontations and bitter debate as we seek to resolve the present crisis.

"This will be the guiding principle of the U.S. side, and we hope that it will likewise motivate the actions of the Egyptian side.

"Warm personal regards."

□ وثيقة رقم (٦٤) □

صورة رسالة من الدكتور هنرى كيسنجر إلى السيد حافظ اسماعيل يبحث فيها إمكانية وقف القتال .

جمهورية مصر العربية

سري جدا

برقية رمزية

من	طرابلس	رقم البرقية ٩١ (شوسم)	مجموعة الوقت والتاريخ
إلى	للتنفيذ		
	للعلم		

مــن : العقيد القذافــى

الــى : السيد الرئيس السادات

بعد التحية :

فى الطريق اليكم الصواريخ الكروتال المطلوبة معها حامية [illegible] ونحاول نقل كتيبة صواريخ سام الى طبرق لتحل محل الكروتال .

أصدرت الامر بنقل اللواء المدرع باطقمه الى مصر فورا ، سنحاول تشكيل لواء بدلا منه ، قد تحتاج طواقم تدريب قدر الامكان تحت ضغط الظروف ، النقد تحت تصرفكم واعتبروه نقداكم ، نرسل لكم أوائل من الادوية قدر المستطاع والمؤن بقدر ماتيسر لنا فى السوق والمخازن .

المدافع الـ [illegible] ٤٠٠ فى الطريق اليكم .

سمعت انك مستاء من بعض كلامى " انا قلت حتى لو تأثرت نتيجة القتال فى غير صالحنا لاسمح الله فذلك اذا حصل يرجع لتطور الاسلحة وليس لمعدن الرجال ، يكفى ان الجندى الاسرائيلى يفر الان امام الجندى المصرى " ان هذا الكلام له معانى بعيدة خارج مصر وفيه اطراء لمصر [illegible] ان أقول غير ذلك فى مثل هذه الظروف ، ان شعبنا سيادة الرئيس مستاء هو الاخر من تجاهل دوره السياسى والاشادة بالنيل فى كل نشرة من نشرات القاهرة دون ذكر ليبيا ، وليس خافى مايجرى الان فى افريقيا واوروبا .

../..

☐ وثيقة رقم (٦٥) ☐

صورة برقية رمزية من الرئيس القذافى إلى الرئيس السادات .

OCTOBER 11.

THE EGYPTIAN SIDE THEREFORE HAS AN IMPORTANT DECISION TO MAKE. TO INSIST ON ITS MAXIMUM PROGRAM MEANS CONTINUATION OF THE WAR AND THE POSSIBLE JEOPARDY OF ALL THAT HAS BEEN ACHIEVED. THE OUTCOME WILL THEN BE DECIDED BY MILITARY MEASURES. THE U.S. SIDE WILL NOT SPECULATE ON THIS OUTCOME BUT DOUBTS WHETHER IT WILL BE CLEAR-CUT. IN ANY EVENT, CIRCUMSTANCES FOR A U.S. DIPLOMATIC EFFORT WOULD NOT BE PROPITIOUS.

IF DIPLOMACY IS TO BE GIVEN A FULL OPPORTUNITY, A CEASE-FIRE MUST PRECEDE IT. ONLY IN THESE CIRCUMSTANCES CAN THE PROMISED U.S. DIPLOMATIC EFFORT BE DEVELOPED. EGYPT WILL FIND THE GUARANTEES FOR THE SERIOUSNESS OF THIS EFFORT IN THE FORMAL PROMISE OF THE U.S. SIDE TO ENGAGE ITSELF FULLY, AS WELL AS IN THE OBJECTIVE SITUATION.

THE GOAL MUST BE TO ACHIEVE A CEASEFIRE AND TURN IT RAPIDLY INTO A REAL AND JUST PEACE WHICH RECONCILES THE PRINCIPLES OF SOVEREIGNTY AND SECURITY.

THE U.S. SIDE BELIEVES THAT PROGRESS COULD BE MADE ON THE BASIS OF A CEASEFIRE IN PLACE, ACCOMPANIED BY AN UNDER-TAKING BY THE PARTIES TO START TALKS UNDER THE AEGIS OF THE SECRETARY GENERAL WITH A VIEW TO ACHIEVING A SETTLEMENT IN ACCORDANCE WITH SECURITY COUNCIL RESOLUTION 242 IN ALL OF ITS PARTS, INCLUDING WITHDRAWAL OF FORCES ENVISAGED BY THAT RESOLUTION.

DR. KISSINGER GREATLY APPRECIATES THE THOUGHTFUL INVITA-TION OF THE EGYPTIAN SIDE TO VISIT EGYPT. ONCE A CEASEFIRE HAS BEEN ACHIEVED, HE WOULD BE GLAD TO GIVE THAT INVITATION THE MOST SERIOUS AND SYMPATHETIC CONSIDERATION AS PART OF A SERIOUS EFFORT TO BRING A LASTING PEACE TO THE MIDDLE EAST.

WITH WARMEST REGARDS;

□ وثيقة رقم (٦٦) □

صورة رسالة من الدكتور هنرى كيسنجر إلى الرئيس السادات عن طريق السيد حافظ إسماعيل يعد فيها ببذل جهود دبلوماسية فى حالة وقف القتال .

11 October, 1973

Dear Dr. Kissinger,

I am sending you this very urgent message to draw your attention to a very serious development which will render the situation extremely more grave and serious.

On the 10^{th} and 11^{th} of October, Israeli aircraft attacked civilian targets inside the Delta of the Nile. The casualties amount to approximately 500 dead and wounded.

I also wish to recall my message of October 9, in which I brought to your notice the bombing by Israel of Port Said which lasted from 9^{th} to 11^{th} October.

President Sadat has directed me to send you this message in the hope that American influence will be exercised to restrain Israel from such actions. Furthermore, the President has directed me to make it clear that, should these bombings continue, Egypt will feel at liberty to take whatever action is required.

With my best regards.

Hafez Ismail

☐ وثيقة رقم (٦٧) ☐

صورة رسالة من السيد حافظ اسماعيل إلى الدكتور هنرى كيسنجر يبلغه فيها بقصف إسرائيل لأهداف مدنية .

12/10/73

Thank you f r your mes age of 11 October 1973. The contents were, o course, immediately passed to President NIXON, Z.

You are aware, of course, of the fact that the United States is not familiar with the details of any Israeli military operations and is not informed in advance of those operations.

"However, the United States will use its maximum influence to preven any attack on civilian targets. Strong representations to that effect have been made to the Israeli Government.

"In this connection, it is important to point out that falsification and outright lies with regard to U.S. activities in the present crisis make matters very difficult. Cairo press reports that United States forces are involved in military operations are totally and outrageously false. No United States forces are involved in Military operations. No United States Forces will be involved in any way unless other powers intervene from outside the area of military action.

The United States wishes to emphasize again that it will do its utmost to conduct itself so as to be able to play a useful role in the resolution of the problems of the Middle East, both in ending current hostilities as well as in bringing a permanent peace based on justice. The United States stands ready to consider any Egyptian efforts towards ending hostilities with understanding and goodwill. It will attempt to be helpful when hostilities are ended. Whatever the inevitable pressures of the moment the U.S. hopes that both sides will not lose sight of this objective. Warm personal regards.

Dr. K.

□ وثيقة رقم (٦٨) □

صورة من رد الدكتور هنرى كيسنجر إلى السيد حافظ اسماعيل ينفى فيه التقارير الصحفية الصادرة من القاهرة بتدخل أمريكا فى العمليات العسكرية .

وزارة الخارجية
ادارة الرمز

سري للغاية

من : نيويورك
رقم : ٧٥٦٢

ت.و.أ : ١٠/١٨ ٠٧٠٠
ت.و.و : ١٠/١٨ ١٥٠٥

١ — عاد وزراء خارجية السعودية والكويت والمغرب والجزائر مساء اليوم (الاربعاء) بعد ان قابلهم كيسنجر وحضر معهم مقابلة نيكسون ثم واصلوا الحديث مع كيسنجر وذلك في مقابلة حضرها سيسكو . وقد ذكروا لي ان مقابلتهم مع نيكسون سجلت في البيت الابيض وأنه سيرسل لهم غدا الى محضرا " ترانسكريبت " للاجتماع ونظرا لانهم لم يأخذوا نقطا بما تم اثناء المقابلة فأنهم يفضلون الانتظار لاعطائنا نسخة من المحضر ويفضلون كذلك الانتظار قبل ارسال أية تقارير للعواصم .

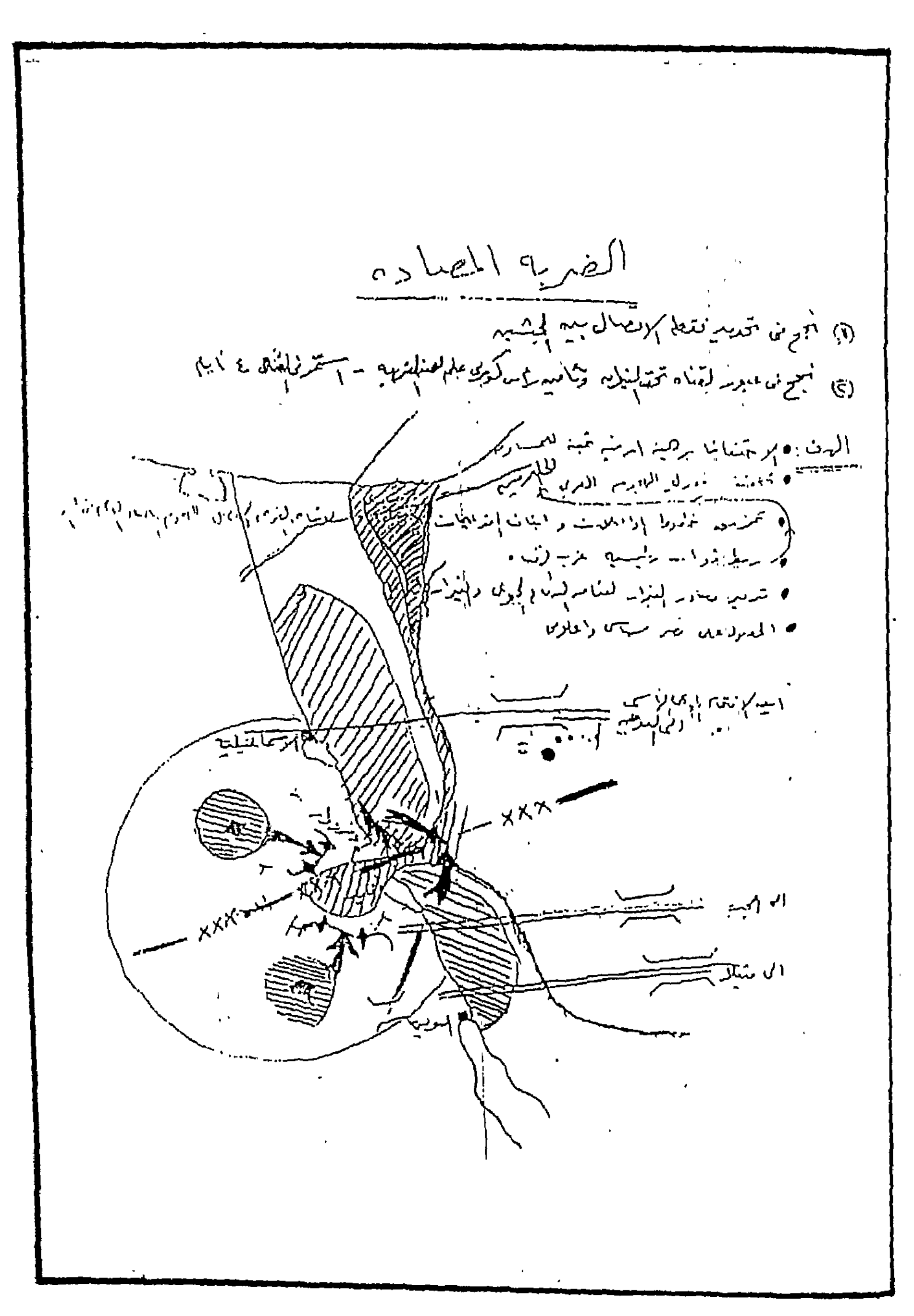
٢ — على أنه في اجتماع ضمهم وحضره معي ومع نائب وزير خارجية سوريا كل من وزراء خارجية السودان والاردن ولبنان واليمن والامارات تحدث كل منهم عما دار في المقابلة وكانت احاديثهم تتقاطع من الحاضرين بالاسئلة وتتفرع عنها مناقشات مختلفة ومع ذلك يمكن أن نستخلص منها المعلومات الاتية التي رأيت الابراق لكم بها فورا .

أولا : كانت مقابلة نيكسون لهم ودية جدا واحسوا انهم يدخلون رأس الرؤوس وان نيكسون يعاملهم باحترام وقد بدأوا المقابلة بأن تلا وزير خارجية السعودية السقاف كلمة عامة كانوا حضروها ورد نيكسون فأخبرهم انه يعرف البلاد العربية وأكثر رؤساءها وبلاده لها علاقات ناشئة مع الكثير منها وأنه يتطلع الى معرفة من لايعرفه من الرؤساء والى اعادة العلاقات مع الدول التي ليس لامريكا معها علاقات مثل الجزائر ومصر وسوريا وقال لهم أنه لايعمل الا لصالح أمريكا ويهتم بالامن الدولي ولايدير سياسته في الشرق الاوسط على أساس اعتبارات السياسة المحلية الامريكية وهذا هو شأن وزير الخارجية مع أنه من أصل يهودي كما أشار الى مسز مائير فوصفها بالقاسية والتشدد وقال ان مواقفها المتشددة كانت تستند الى شعورها بالقوة العسكرية التي كانت تستشعرها والان تغير الموقف ويعتقد ان امريكا الان أصبحت أكثر قدرة على التحرك وقد اشار نيكسون ايضا اثناء حديثه الى ان بلاده لاتريد ان يتسبب الموقف الحاضر في الشرق الاوسط في قيام صراع بين بلاده وبين الاتحاد السوفيتي .

..... % .....

□ وثيقة رقم (٦٩) □

صورة للصفحة الأولى من محضر اجتماع وزراء الخارجية العرب عن مقابلتهم مع نيكسون والدكتور كيسنجر ، كتبه الدكتور الزيات .



□ وثيقة رقم (٧٠) □

صورة لخريطة أعدها أحد ضباط مكتب الشئون العسكرية لرئيس الجمهورية عن عمليات الثغرة فى الدفرسوار .

جمهورية مصر العربية

سرى جداً

برقية رمزية

من	دمشق	رقم البرقية ٦	(ش س م ٠)	مجموعة الوقت والتاريخ ١٩/١٠/٧٣
الى	للتنفيذ			
	للعلم			

من الرئيس حافظ الاسد

الى الرئيس السادات

كنت اتمنى ونحن فى خضم المعركة ان اطلع على المشروع الوارد فى خطابكم الاخير امام مجلس الشعب قبل اعلانه على الناس ، لا لاننى ارغب ان أكون المقيد التلقائى مع المشروع او ضده ولكن لان من حق كل منا ان يطلع الاخر على آرائه وتصوراته قبل ان يسمعها من الاذاعة . لم أكن اود ان أكتب هذه الكلمات ولكن فعلت وبعد مضى يومين على الخطاب ان لا اخفى عنك رأى ومشاعرى سيما ونحن نخوض معركة الحياة او الموت .

الأخ / الرئيس حافظ .

المشروع قائم على الأسس التي [illegible] عليها وهو الملحق . [illegible]

١٩٧٣/١٠/١٩

وما دعاني الى المبادرة به هو [illegible] ضرورة ان ندفع بالمعركة السياسية مع المعركة العسكرية [illegible] المبادرة السياسية التي [illegible] معركتنا [illegible] اما اذا كان هناك تغيير [illegible] التشاور قبل عمل اي شئ . واشكرك لانك لم تخف هذا الموضوع حتى لا يحدث بيننا [illegible]

مع اطيب تمنياتي

انور السادات

☐ وثيقة رقم (٧١) ☐

صورة برقية من الرئيس الأسد إلى الرئيس السادات ورد الرئيس عليها بخطه .

السيد الدكتور [illegible] الرئيس · المعلومات

رجاء الالحاق فورا بالرسالة التالية الى دمشق

من السيد الرئيس

الى الرئيس حافظ الاسد

تحية أخوية عربية وبعد

انتهت مباحثاتنا مساء امس مع الرفيق كاسيجين ولقد رأيت ان ابعث لكم بمبعوث خاص يحمل مع تحياتي النتائج التي توصلت اليها حول الجهد الدبلوماسي السوفييتي في المرحلة القادمة وسوف نخطركم غدا بموعد وصول المبعوث ·

مع اطيب التحيات لكم يا اخي المناضل ··

محمد أنور السادات

الراسل مكتب المستشار ·· نبيل عبدالخالق

المستلم يا

◻ وثيقة رقم (٧٢) ◻

صورة برقية من الرئيس السادات إلى الرئيس الأسد عن محادثاته مع إليكسي كوسيجين .

Message to Mr. Hafiz Isma'il from Dr. Kissinger

20 October 1973

"1. SECRETARY KISSINGER WANTS TO INFORM YOU THAT HE HAS ACCEPTED AN INVITATION FROM THE SOVIET GOVERNMENT TO COME TO MOSCOW IMMEDIATELY TO CONTINUE THE DISCUSSIONS WHICH HAVE BEEN CARRIED ON THROUGH DIPLOMATIC CHANNELS WITH THE SOVIET GOVERNMENT, OF WHICH YOU ARE FULLY INFORMED. HE WILL BE LEAVING AT MIDNIGHT WASHINGTON TIME OCTOBER 19. HE WILL WANT TO STAY IN TOUCH WITH YOU THROUGHOUT THE PERIOD, AND IF YOU WISH TO COMMUNICATE WITH HIM, THE FASTEST AND MOST EFFECTIVE WAY WOULD BE BY MEANS OF THIS SPECIAL CHANNEL. ANY SUCH MESSAGES WILL BE TRANSMITTED TO DR. KISSINGER PROMPTLY IN MOSCOW.

2. DR. KISSINGER WANTS TO STRESS THAT OUR OBJECTIVE CONTINUES TO BE THE ONE PREVIOUSLY EXPRESSED TO YOU: TO HELP BRING ABOUT AN IMMEDIATE CEASEFIRE AND TO BEGIN PROMPTLY A DIPLOMATIC PROCESS TO MOVE TOWARD FUNDAMENTAL SETTLEMENT.

3. DR. KISSINGER'S TRIP WILL BE ANNOUNCED AFTER HE HAS LEFT WASHINGTON.

WITH WARMEST REGARDS."

□ وثيقة رقم (٧٣) □

صورة رسالة من الدكتور كيسنجر إلى السيد حافظ اسماعيل يبلغه فيها بقبوله دعوة لزيارة الاتحاد السوفيتى ويدعوه إلى استمرار المراسلات عن طريق القناة السرية .

جمهورية مصر العربية



برقيـــة

رقم ٢٠ بتاريـــخ ٢٠ / ١٠ / ١٩٧٣

الى الرئيس حافظ الاسد

لقد حاربنا اسرائيل الى اليوم الخامس عشر . وفى الاربعة الايام الأولى كانت اسرائيل وحدها فكشفنا موقفها فى الجبهة المصرية والسورية وسقط لهم باعترافهم ٨٠٠ دبابة على الجبهتين واكثر من مائتى طائرة .

اما فى العشرة الايام الاخيرة فاننى على الجبهة المصرية أحارب امريكا بأحدث مالديها من اسلحة . اننى ببساطة لا استطيع أن أحارب امريكا أو أن أتحمل المسئولية التاريخية لتدمير قواتنا المسلحة مرة اخرى .

لذلك فاننى أخطرت الاتحاد السوفيتى باننى أقبل وقف اطلاق النار على الخطوط الحالية بالشروط التالية :

١- ضمان الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة لانسحاب اسرائيل. كما عرض الاتحاد السوفيتى .

٢- بدء مؤتمر سلام فى الامم المتحدة للاتفاق على تسوية شاملة كما عرض الاتحاد السوفيتى .

ان قلبى ليقطر دما وانا أخطرك بهذا ولكننى أحس أن مسئوليتى تحتم على اتخاذ هذا القرار . وسوف أواجه شعبنا وأمتنا فى الوقت المناسب لكى يحاسبنى الشعب .

مع أطيب تحياتـــى .

□ وثيقة رقم (٧٤) □

صورة برقية من الرئيس السادات إلى الرئيس الأسد يخطره فيها بقبوله لوقف إطلاق النار .

جمهورية مصر العربية

سري جداً

برقية رمزية

الهيئة العامة لشئون المطابع الاميرية ١٩٧١٠١١٤٦ ...

من	جـــدة	رقم البرقية ٣٩ (ش.س.م ٠)	مجموعة الوقت والتاريخ ١٩ /٧٣/١٠
الى	للتنفيـــذ		
	للعـــلم		

من السيد كمال ادهم

الى السيد أشرف مروان

الاخبار عن معركة القناة اقلقتنا كثيرا . ارجو تطميننا عـــن الوضـــع للاهميـــــة .

الموقف دقيق بسبب تدفق العتاد الامريكي المباشر للدبابات والطائرات من امريكا اساسا ومنه ما ياتي اوروبا وقد اعترف الطيار الاسير بان الطائرات الاسرائيلية [illegible] بطيارين امريكان ولذا لا [illegible] وسنتصدى [illegible] لكل ناقلة لحاجة الجيش [illegible] ما هو [illegible]

والله هو الموفق

١٩٧٣/١٠/١٩

س

□ وثيقـة رقـم (٧٥) □

صورة برقية من الملك فيصل عن طريق السيد كمال أدهم إلى الرئيس السادات عن طريق الدكتور أشرف مروان ، والتأشيرة الموجودة عليها هى بخط الرئيس أنور السادات .

October 21 , 1973

ESSAGE FROM HAFEZ ISMAIL
O DR. HENRY KISSINGER

Mr. Ismail thanks Dr. Kissinger for his message of October 19th.

– Mr. Ismail appreciates Dr. Kissinger's definition of the U.S. overnment's policy with respect to :

a) help bring about an immediate cease fire,

b) begin promptly a diplomatic process to move towards a undamental settlement .

– As previously explained, Egyptian experience , especially in 1970, oes not encourage the Egyptian side. However, a linkage between a cease ire and a final settlement may be assured if the two Super Powers do uarantee the speedy conclusion of such a settlement.

– On that basis, taking into consideration that military action, by itself, does not resolve the situation, the Egyptian Government sets out the following stand with respect to the present conflict:

a) A cease fire on the present lines,

b) Convening a Peace Conference with the object of reaching a undamental settlement ,

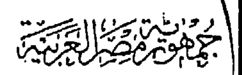
c) A guarantee by the United States and the Soviet Union of the cease fire and the withdrawal of Israeli troops .

– Mr. Ismail believes that the presence of Dr. Kissinger in Moscow now, will be helpful in reaching an agreement on the above mentioned lines.

With greatest regards ;

□ وثيقة رقم (٧٦) □

صورة رسالة من السيد حافظ اسماعيل إلى الدكتور هنرى كيسنجر يعرض فيها التركيز على وقف القتال وعقد مؤتمر سلام والربط بين إيقاف القتال وبين تسوية نهائية .





برقيـــــة

رقم ٢١ بتاريـــخ ٧٣/١٠/٢١

من الرئيس حافظ الاســـد

الى الرئيس أنور السادات

تلقيت رسالتكم امس ببالغ التأثر يا أخى بعد وصول البرقية " أود " أن اعيد النظر مرة اخرى فى الموقف العسكرى على الجبهـــة الشمالية وعلى ضفتى القناة وخرجت باستنتاج وهو أن الوضع لايدعـــو الى التشاؤم وانه بالامكان ان يستمر الصراع مع القوات المعادية سواء منها تلك التى اجتازت القناة الى الضفة الغربية أما تلك الموجودة امام قواتنا فى الضفة الشرقية . يمكن ان يؤدى استمرار القتال وتطويره الى تدمير القوات المعادية التى عبرت القناة .

أخى الســـادات

قد يكون من الضرورى رفع معنويات اخواننا العسكريين فبمجرد خرق العدو للجبهة لايعنى ان النصر اصبح فى جانبه . فقد خـــرق الجبهة الشمالية منذ ايام ولكن الصمود المستمر والقتال العنيف فى الخطوط والمواقع المختلفة يدفعنا الى مزيد من التفاؤل يـــوم بعد يوم . فقد اوقفنا الخرق عند مواقع معينة واننى واثـــق اننا سنستعيد منطقة الخرق فى الايام القليلة المقبلة . فـــى تقديرى ان المهم بالنسبة لنا جميعا ان تصمد جيوشنا بمعنويـــات عاليـــة .

(يتبع)

□ وثيقة رقم (٧٧) □

صورة رد من الرئيس الأسد على برقية الرئيس السادات إليه .

22/10/73

Message from Dr. Kissinger :

1 - Secretary of State Kissinger wanted you to know that he will in the next few hours be leaving for Israel. We want your Government to understand clearly the purpose of this trip. It is to help insure that the Security Council resolution submitted by the U.S. and the USSR will be implemented promptly and to arrange for US - Soviet auspices of the subsequent peace efforts.

2 - I hope that we can count on the full cooperation of the Egyptian Government in this regard. I look forward to maintaining our contacts .

Warm regards.

□ وثيقة رقم (٧٨) □

صورة رسالة من الدكتور هنرى كيسنجر إلى السيد حافظ اسماعيل يبلغه فيها أنه ذاهب إلى إسرائيل .

MESSAGE FROM Mr. HAFEZ ISMAIL
TO Dr. HENRY KISSINGER

Mr. Ismail has received Dr. Kissinger's Message of October 22 and would like to inform him that the Egyptian Government understands the purpose of his visit to Israel. The Egyptian Government considers that it would serve the same purpose if Dr. Kissinger visits Cairo after his trip to Israel.

Best Regards

22 October 73

□ وثيقة رقم (٧٩) □

صورة رد من السيد حافظ اسماعيل على رسالة الدكتور كيسنجر بتفهم الحكومة المصرية للأسباب التى دعت لذهابه لإسرائيل .

Message from Mr. HAFEZ ISMAIL

To Dr. Henery Kissinger

" I would like to inform you that orders have been issued for a ceasefire in place at 1852 hours Cairo time.

These orders will be carried out if the other side respect the ceasefire.

Warm Regards.

□ وثيقة رقم (٨١) □

صورة رسالة من السيد حافظ اسماعيل إلى الدكتور كيسنجر بشأن أوامر وقف إطلاق النار .

Message for Mr. Hafiz Isma'il from Dr. Kissinger

"YOUR MESSAGE TO ME IS GREATLY APPRECIATED. THE INFORMATION CONCERNING A CEASEFIRE HAS BEEN CONVEYED TO THE ISRAELIS AND THEIR RESPONSE IS AS FOLLOWS:

"THE ORDERS HAVE BEEN ISSUED FOR A CEASEFIRE IN-PLACE AT 1852 HOURS TEL AVIV TIME. THOSE ORDERS WILL BE CARRIED OUT IF THE OTHER SIDE CARRIES OUT THE ORDERS THEY REPORTEDLY HAVE ISSUED."

"WARM REGARDS,

"HENRY A. KISSINGER".

□ وثيقة رقم (٨٢) □

صورة رسالة من الدكتور هنرى كيسنجر إلى السيد حافظ اسماعيل تتضمن رد إسرائيل بشأن وقف إطلاق النار .

Mr. Ismail would like to inform Dr. Kissinger that the Israeli forces have broken the cease - fire and are attempting to exploit Egyptian compliance with Security Council Resolution 338 of 22 Oct. 1973, by occupying new positions. If what is happening now has any indication, it certainly reflects the degree of worthiness to be attached to any future Israeli committment.

On its part Egypt is taking all necessary measures to ensure its security.

The Egyptian side would like to know what measures will be taken by the U.S. and the U.S.S.R. to ensure Israeli compliance and full respect of the cease fire.

□ وثيقة رقم (٨٤) □

صورة رسالة من السيد حافظ اسماعيل إلى الدكتور هنرى كيسنجر عن انتهاك إسرائيل لوقف إطلاق النار .

From Mr. Hafez Ismail

To Dr. Kissinger

The following message is requested to be conveyed urgently from President Sadat to President Nixon:

" In the light of the developments of the situation on the Egyptian - Israeli front and the messages exchanged with the White House I am formally asking you to intervene effectively even if that necessitates the use of forces, in order to guarantee the full implementation of the cease fire resolution in accordance with the joint U.S.A. U.S.S.R. agreement. We were asked to comply with the cease fire resolution with the full understanding of the effectiveness of the joint guarantee. I hope that this intervention would be immediate and direct because Israel is taking advantage of the cease fire to change completely the situation on the military front.

The Egyptian Government will consider the U.S. Government fully responsible for what is happening at present inspite of your guarantees and of the Security Council resolution co-sponsored by the U.S.A. and the U.S.S.R. as well as of our acceptance of the resolutión on that basis.

I hope that you would also take the necessary measures with the President of the Security Council for the immediate implementation of the cease fire in accordance with the Security Council Resolution of Oct. 22 nd. 1973.

What is now happening on the military front cannot contribute to the efforts towards reaching the peace which we uphold.

Moreover, what is happening now, in the light of your guarantees, does not induce confidence in any other future guarantees."

With warmest regards.

□ وثيقة رقم (٨٦) □

صورة رسالة من الرئيس السادات إلى الرئيس نيكسون عن طريق القناة السرية يطلب منه التدخل رسميا لضمان تنفيذ وقف القتال .

MESSAGE FROM PRESIDENT SADAT
TO PRESIDENT NIXON

I HAVE RECEIVED YOUR TWO MESSAGES OF OCTOBER 24, 1973. I WOULD LIKE TO REAFFIRM THE FACT THAT THE ISRAELI FORCES ON THE WEST SIDE OF THE CANAL WERE RESPONSIBLE FOR VIOLATING THE CEASE FIRE AND MOUNTING OFFENSIVE OPERATIONS IN AN ATTEMPT TO ISOLATE THE THIRD EGYPTIAN ARMY EAST OF THE CANAL. I WOULD LIKE TO INFORM YOU THAT WE AGREE TO THE IMMEDIATE DISPATCH OF AMERICAN OBSERVERS OR TROOPS FOR THE IMPLEMENTATION OF SECURITY COUNCIL RESOLUTIONS OF OCTOBER 22 AND 23, 1973. I HAVE INFORMED THE U.S.S.R. ABOUT THE MESSAGES EXCHANGED BETWEEN US AND I AM ALSO FORMALLY ASKING THE SOVIET UNION TO TAKE SIMILAR ACTION.

□ وثيقة رقم (٩٠) □

صورة رسالة من الرئيس السادات إلى الرئيس نيكسون عبر القناة السرية يبلغه فيها بعزمه على طلب مراقبين من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى لتنفيذ قرارات مجلس الأمن .

24 OCTOBER 1973

MESSAGE FOR MR. ISMAIL FROM DR. KISSINGER

AS THE EGYPTIAN SIDE HAS UNDOUBTEDLY LEARNED, DR. KISSINGER WILL BE VISITING THE PEOPLE'S REPUBLIC OF CHINA DURING THE PERIOD 10 - 13 NOVEMBER. IT OCCURS TO DR. KISSINGER THAT THIS TIME PERIOD MIGHT BE A VERY GOOD OPPORTUNITY TO ACCEPT THE KIND INVITATION OF THE EGYPTIAN SIDE TO VISIT CAIRO. A VISIT AT THIS TIME WOULD SEEM TO OFFER AN EXCELLENT OPPORTUNITY TO REVIEW THE SITUATION AND PLAN APPROPRIATE ACTIONS TOWARD A PERMANENT SETTLEMENT.

BY FAR THE BEST OPPORTUNITY FOR DR. KISSINGER TO VISIT CAIRO COULD BE 7 NOVEMBER ON THE WAY TO PEKING ALTHOUGH IT MIGHT CONCEIVABLY BE POSSIBLE FOR HIM TO VISIT ON THE RETURN FROM PEKING, AROUND NOVEMBER 15. WE WOULD APPRECIATE THE RESPONSE OF THE EGYPTIAN SIDE AS SOON AS POSSIBLE.

THE U.S. SIDE BELIEVES IT ESSENTIAL THAT PRIOR TO DR. KISSINGER'S VISIT, US-EGYPTIAN RELATIONS BE CONDUCTED IN SUCH A MANNER AS TO MAINTAIN AN ATMOSPHERE CONDUCIVE TO CONSTRUCTIVE DISCUSSIONS.

AS SOON AS AN AFFIRMATIVE EGYPTIAN RESPONSE IS RECEIVED, THE SIDES CAN THEN AGREE ON A TIME FOR THE ANNOUNCEMENT AND OTHER TECHNICAL DETAILS.

□ وثيقة رقم (٩١) □

صورة رسالة من الدكتور هنرى كيسنجر إلى السيد حافظ اسماعيل يلوح فيها بزيارة إلى مصر

MESSAGE TO MR. ISMA'IL FROM DR. KISSINGER 24 OCTOBER 1973

DR. KISSINGER WISHES TO INFORM MR. ISMAIL OF THE URGENT STEPS WHICH THE U.S. SIDE HAS TAKEN TO STOP THE RENEWED OUTBREAK OF FIGHTING IN THE MIDD E EAST:

(1) THE ISRAELI GOVERNMENT WAS INFORMED THAT ANY FURTHER OFFENSIVE OPERATIONS WOULD LEAD TO A SEVERE DETERIORATION OF RELATIONS BETWEEN THE ISRAELI AND THE U.S. GOVERNMENTS.

(2) THE UNITED STATES REQUESTED THAT ITS OWN MILITARY ATTACHE PERSONNEL FROM THE U.S. EMBASSY IN TEL AVIV PERSONALLY OBSERVE ISRAELI MILITARY ACTIVITY IN THE AREA OF RENEWED FIGHTING TO INSURE THAT NO OFFENSIVE ACTION WAS TAKEN BY ISRAELI FORCES.

(3) THE PRESIDENT PERSONALLY INTERVENED WITH THE PRIME MINISTER OF ISRAEL TO HALT THE FIGHTING.

"THE UNITED STATES HAS SINCE RECEIVED THE FOLLOWING FORMAL ASSURANCES:

-- THE U.S. MILITARY ATTACHE HAS BEEN INVITED TO THE FRONT.

-- AT NO PLACE SINCE THE BEGINNING OF THE CEASEFIRE AT 7:00 A.M. TODAY HAVE THE ISRAELIS TRIED TO ADVANCE. THEY WILL NOT TRY TO DO SO.

-- AT 7:00 A.M. LOCAL TIME TODAY THE ISRAELIS ASKED THE UN OBSERVERS TO MOVE INTO PLACE ON ALL ROADS LEADING FROM THE CANAL WESTWARD SO THAT THEY WOULD ASCERTAIN THAT THERE WERE NO TROOP MOVEMENTS.

□ وثيقة رقم (٩٢) □

صورة رسالة من الدكتور هنرى كيسنجر إلى السيد حافظ اسماعيل عن الخطوات التى اتخذتها الولايات المتحدة لوقف تجدد القتال والتأكيدات الإسرائيلية بعدم قيام قواتها بأية تحركات .

October 24,1973

FROM DR. KISSINGER

TO MR. ISMAIL

SECRETARY KISSINGER REQUESTS THAT MR. ISMAIL PASS THE FOLLOWING URGENT COMMUNICATION FROM PRESIDENT NIXON TO PRESIDENT SADAT,

" I HAVE JUST LEARNED THAT A RESOLUTION MAY BE INTRODUCED INTO THE SECURITY COUNCIL THIS EVENING URGING THAT OUTSIDE MILITARY FORCES - INCLUDING THOSE OF THE U.S AND THE USSR - BE SENT TO THE MIDDLE EAST TO ENFORCE THE CEASE-FIRE. I MUST TELL YOU THAT IF SUCH A RESOLUTION IS INTRODUCED INTO THE SECURITY COUNCIL IT WILL BE VETOED BY THE U.S. FOR THE FOLLOWING REASONS :

- IT WOULD BE IMPOSSIBLE TO ASSEMBLE SUFFICIENT OUTSIDE MILITARY POWER TO REPRESENT AN EFFECTIVE COUNTER WEIGHT TO THE INDIGENOUS FORCES NOW ENGAGED IN COMBAT IN THE MIDDLE EAST ,

- SHOULD THE TWO GREAT NUCLEAR POWERS BE CALLED UPON TO PROVIDE FORCES, IT WOULD INTRODUCE AN EXTREMELY DANGEROUS POTENTIAL FOR DIRECT GREAT POWER RIVALARY IN THE AREA,

- IT IS OUR VIEW THAT AN EFFECTIVE IMPLEMENTATION OF THE CEASE-FIRE ALREADY CALLED FOR BY THE SECURITY COUNCIL WOULD BE BY THE RAPID INTRODUCTION OF UNITED NATIONS OBSERVERS PERSONEL,

□ وثيقة رقم (٩٣) □

صورة رسالة من الرئيس نيكسون إلى الرئيس السادات عن طريق القناة السرية يخطره فيها بعزم أمريكا استخدام حق الفيتو فى مجلس الأمن ضد أى مشروع قرار يتضمن إرسال قوات عسكرية خارجية إلى منطقة الصراع .

October 24, 1973.

MESSAGE FROM MR. HAFEZ ISMAIL
TO DR. HENRY KISSINGER

I - MR. ISMAIL HAS RECEIVED DR. KISSINGER'S MESSAGE OF OCTOBER 24, 1973 IN WHICH HE PROPOSES TWO POSSIBLE DATES FOR HIS VISIT TO CAIRO.
THE EGYPTIAN GOVERNMENT IS AGREEABLE TO RECEIVING DR. KISSINGER AT EITHER DATE WHILE PREFERING THAT OF NOVEMBER 7.

2 - MR. ISMAIL WISHES TO ASSURE DR. KISSINGER THAT EGYPT HOPES THAT THE EFFORTS OF OUR TWO COUNTRIES TOWARDS REACHING A SPEEDY, ~~EQUAL AND~~ JUST and durable SETTLEMENT TO THE CONFLICT WILL SERVE PROMOTE THEIR MUTUAL DESIRE TO MAINTAIN THEIR RELATIONS IN AN ATMOSPHERE CONDUCIVE TO CONSTRUCTIVE DISCUSSIONS.

3 - DR. KISSINGER WOULD AGREE WITH MR. ISMAIL THAT AN IDEAL ATMOSPHERE FOR THE VISIT WOULD BE ATTAINED WHEN THERE IS A GENUINE FEELING THAT AN AMERICAN MAJOR EFFORT TOWARDS A JUST SETTLEMENT IS BEARING FRUIT. AS AN ESSENTIAL FIRST STEP, THE STRICT COMPLIANCE BY ISRAEL with ~~TO~~ SECURITY COUNCIL RESOLUTION OF THE 23rd OF OCTOBER IS IMPERATIVE.

□ وثيقة رقم (٩٤) □

صورة رسالة من السيد حافظ اسماعيل إلى الدكتور هنرى كيسنجر
بخصوص زيارة وزير الخارجية الأمريكى القادمة إلى مصر .

Received

0655 October 25, 1973

SECRETARY KISSINGER REQUESTS THAT MR. ISMAIL PASS THE FOLLOWING URGENT COMMUNICATION FROM PRESIDENT NIXON TO PRESIDENT SADAT :

" WE HAVE RECEIVED A PROPOSAL FROM THE SOVIET UNION TO DESPATCH A JOINT CONTINGENT OF AMERICAN/SOVIET FORCES TO THE MIDDLE EAST TO ENFORCE THE CEASE FIRE.

THIS IS A PROPOSAL TO WHICH WE WILL NOT BE ABLE TO AGREE, FOR THE REASONS OUTLINED IN MY EARLIER MESSAGE. FORCES TO BE EFFECTIVE WOULD HAVE TO BE SO LARGE THAT THEY COULD OVERPOWER ON BOTH SIDES .

I ASK YOU TO CONSIDER THE CONSEQUENCES OF YOUR COUNTRY IF THE TWO GREAT NUCLEAR COUNTRIES WERE THUS TO CONFRONT EACH OTHER ON YOUR SOIL.

I ASK YOU FURTHER TO CONSIDER THE IMPOSSIBILITY FOR US FOR UNDERTAKING THE DIPLOMATIC INITATIVE WHICH WAS TO START WITH DR. KISSINGER'S VISIT TO CAIRO ON NOVEMBER 7th IF THE FORCES OF ONE OF THE GREAT NUCLEAR POWERS WERE TO BE INVOLVED MILITARILY ON EGYPTIAN SOIL .

WE ARE AT THE BEGINNING OF A NEW PERIOD IN THE MIDDLE EAST. LET US NOT DESTROY IT AT THIS MOMENT. IN THE MEANTIME, AS WE HAVE POINTED OUT TO YOU, WE WILL USE OUR INFLUENCE WITH ISRAEL TO BRING ABOUT THE STRICTEST OBSERVANCE OF THE SECURITY COUNCIL RESOLUTION .

□ وثيقـة رقـم (٩٥) □

صورة رسالة من الرئيس نيكسون إلى الرئيس السادات عن طريق القناة السرية يبدى فيها عدم موافقة الولايات المتحدة على إرسال قوة أمريكية ـ سوفيتية مشتركة إلى الشرق الأوسط .

25 October 1973

MESSAGE FROM PRESIDENT SADAT
TO PRESIDENT NIXON

I HAVE RECEIVED YOUR TWO MESSAGES OF OCTOBER 25. I UNDERSTAND THE CONSIDERATIONS YOU HAVE PUT FORWARD WITH RESPECT TO THE USE OF A JOINT US/USSR FORCE AND WE HAVE ALREADY ASKED THE SECURITY COUNCIL FOR THE SPEEDY DISPATCH OF AN INTERNATIONAL FORCE TO THE AREA TO ENSURE THE IMPLEMENTATION OF THE SECURITY COUNCIL RESOLUTIONS.

THIS WE HOPE WILL PAVE THE WAY TOWARDS FURTHER MEASURES AS ENVISAGED IN THE OCTOBER 22nd. RESOLUTION OF THE SECURITY COUNCIL AIMED AT ESTABLISHING A JUST PEACE IN THE AREA.

□ وثيقة رقم (٩٦) □

صورة رسالة من الرئيس السادات إلى الرئيس نيكسون عبر القناة السرية يتراجع فيها عن طلب قوات أمريكية - سوفيتية مشتركة .

MESSAGE TO MR. ISMA'IL FROM DR. KISSINGER 25 OCTOBER 1973

DR. KISSINGER REQUESTS MR. ISMAIL TO PASS THE FOLLOWING MESSAGE FROM PRESIDENT NIXON TO PRESIDENT SADAT:

WE HAVE RECEIVED THE MESSAGES FROM YOU AND MR. ISMAIL OF 25 OCTOBER 1973.

WE GREATLY APPRECIATE YOUR STATESMANLIKE APPROACH TO THE ISSUE OF PEACEKEEPING FORCES. WE BELIEVE THAT THE INTRODUCTION OF US-SOVIET COMBAT FORCES WOULD HAVE IN-, CALCULABLE CONSEQUENCES.

THE UNITED STATES IS PREPARED TO SUPPORT AN INTERNATIONAL FORCE, COMPOSED OF FORCES FROM OTHER THAN PERMANENT MEMBERS OF THE SECURITY COUNCIL, FOR DISPATCH TO TH MIDDLE EAST TO OBSERVE THE IMPLEMENTATION OF THE SECURITY COUNCIL RESOLUTION.

THIS WE TRUST WILL SERVE TO CONSOLIDATE THE THE CEASEFIRE AND OPEN THE WAY TOWARD NEGOTIATIONS FOR A JUST AND LASTING PEACE IN THE AREA. THE UNITED STATES REITERATES ITS WILLINGNESS TO PLAY AN ACTIVE ROLE TO START WITH SECRETARY KISSINGER'S VISIT TO CAIRO ON NOVEMBER 7.'"

□ وثيقة رقم (٩٧) □

صورة رسالة من الرئيس نيكسون إلى الرئيس السادات عبر القناة السرية يشكره فيها على سحب طلب قوات أمريكية - سوفيتية مشتركة .

الى ضابط الاتصال بسوريا :

من الرئيس انور السادات
الى الرئيس حافظ الاسد

رد على السوفيت فجر اليوم وارسلوا سبعون مراقب (٠)
ولكننى اوافقك تماما على طلبك قوات سوفيتية اذا كان
الموقف يستدعى ذلك (٠)

□ وثيقة رقم (٩٨) (أ) □

صورة برقية من الرئيس السادات إلى الرئيس الأسد .

ابلغنا ضابط الاتصال بسوريا بما يلى :

اصدر الرئيس العراقى امرا حوالى سعت ٢٢٠٠ الى القوات الجوية العراقية
بسوريا بالعودة باكر طيارين وطائرات الى العراق /٠/ حاول الرئيس حافظ الأسد
الاتصال بالرئيس البكر /٠/ فقيل له انه غير موجود بالقصر /٠/ تطلب سوريا ان يترك
العراقيون ١٠ سوخى ٠
لم يتم حتى الان اتصال لرؤساء ٠

□ وثيقة رقم (٩٨) (ب) □

صورة برقية من المخابرات الحربية السورية عن سحب العراق لطائراته من سوريا .

أبلغنا / ضابط اتصال سوريا بما يلـــــى :

قابلت السيد .. الرئيس حافظ الاسد سعت ١٥٣٠ اليوم (٠) أبلغنى أنه طلب السفير السوفيتى امس وابلغه ان موقف الاتحاد السوفيتى سيكون سيئ جدا فى المنطقة اذا لم يتدخل بقوة واستفسر منه أين اذا الضمانات التى قدمها الاتحاد السوفيتى كما أيد سيادته أرسال قوات سوفيتية ل ج ٠ م ٠ ع فورا وطلب منه الاتصال بموسكو والافاده بالرد (٠) وقد رد السوفيت صباح اليوم ردود ايجابيـــة (٠)

أما بخصوص القوات العراقية أفاد سيادته أنها بدأت تنسحب فعلا من سوريا وبسرعة (٠) وأنه استدعى السفير العراقى وسلمه برقية للرئيس البكر يطلب فيها بقاء قوات كنوع من الدعم المعنوى للجندى السورى وافاد سيادته انــه رغم ان القدره القتاليه للقوات العراقية محدوده الا ان وجودهم من الناحيــــة المعنوية ضرورى (٠) وفى نهاية المقابلة طلب سيادته أرسال البرقية التاليه الى السيد الرئيـــــس السادات (٠) توضيحا للقسم الثانى من برقية سيادتكم (٠) قصدت بسؤالى أن استفسر عن جــــواب السوفيت حول مدنهكم للقوات السوفيتية وقد استدعيت السفير السوفيتى امس لأوكد طلبكم بضرورة وصـــول قوات سوفيتيه ل ج ٠ م ٠ ع (٠) ولم أقصد ان اطلب قوات سوفيتية لسوريا (٠) تحياتى ٠ ٠٠٠

□ وثيقة رقم (٩٨) (جـ) □

صورة برقية من ضابط الاتصال المصرى بسوريا عن مقابلته مع الرئيس الأسد .

الى ضابط اتصـــال سوريـــا

يرجــى ابــلاغ السيد الرئيس الاســـد بمايلــى :

من الرئيس الســـادات

الى الرئيس حافظ الأســـد

فهمت من برقيتكم أمس أن طلب القوات السوفيتية كان لسوريا وذلك عكس البرقيــــة المرسلة منكم (٠) وأيدتكم فى ذلك طالما أن الموقف عندكم يستدعى ذلك (٠) أما الموقــف بالنسبة لنا فلم نطلب قوات سوفيتية وأنما طلبنا مراقبين للاشتراك فى اعمال الرقابـــة علـــى وقف اطلاق النـــار وافـــاد الاتحاد السوفياتى بموافقته على ارسال ٧٠ مراقب (٠) وقـــد اخطرنـــا فالدهايم بذلك فى حينه ٠ تحياتـــى ٠٠٠

□ وثيقة رقم (٩٨) (د) □

صورة برقية من الرئيس السادات إلى الرئيس الأسد .

27 OCTOBER 1973
0310

MESSAGE TO MR. H. ISMAIL
FROM SECRETARY KISSINGER

AS YOU KNOW FROM MY PREVIOUS MESSAGES I HAVE BEEN IN URGENT CONTACT WITH THE ISRAELI GOVERNMENT ABOUT THE SITUATION OF THE EGYPTIAN THIRD ARMY. I HAVE JUST RECEIVED THE FOLLOWING MESSAGE FROM THE ISRAELI PRIME MINISTER:

" WE ARE PREPARED IMMEDIATELY TO ENTER INTO DISCUSSIONS WITH THE EGYPTIANS ON HOW TO SOLVE THIS SITUATION. THE EGYPTIANS SHOULD SUGGEST THE PLACE, TIME AND RANK OF THEIR REPRESENTATIVE. WE ARE PREPARED TO SEND THE CHIEF OF STAFF THE MINISTER OF DEFENCE OR ANY OTHER GENERAL OR OTHER PEPRESENTATIVE FOR THE DISCUSSION. WE BELIEVE WE HAVE SOMETHING TO OFFER THEM-SOMETHING WHICH IS NEITHER SURRENDER NOR HUMILIATION BUT AN HONOURABLE WAY OUT OF THE SITUATION. ALL THE EGYPTIANS HAVE TO DO IS SUGGEST THE TIME, PLACE AND RANK OF THEIR REPRESENTATIVE" END OF ISRAELI MESSAGE.

WE ARE PASSING ON THIS MESSAGE AS AN INTERMEDIARY NOT AS A RECOMMENDATION. FOR ITS PART THE U. S. WILL USE ALL ITS INFLUENC TO PRODUCE AN HONOURABLE SOLUTION TO THIS PROBLEM.

□ وثيقة رقم (٩٩) □

صورة رسالة من الدكتور كيسنجر إلى السيد حافظ اسماعيل ينقل فيها رسالة من رئيسة وزراء إسرائيل بخصوص مشكلة الجيش الثالث تعرض فيها على المصريين «مخرجا مشرفا من الموقف ... ليس الاستسلام ولا المهانة» .

المكالمة التليفونية

بين الرئيس انور السادات والرئيس حافظ الاسد

ساعة ١٨٤٥ يوم الاحد ١٩٧٣/١٠/٢١

(بناء على طلب الرئيس الاسد)

الرئيس الاسد : مرحبا .. السيد

الرئيس السادات : اهلين ... اهلين

الرئيس الاسد : مساء الخير

الرئيس السادات : اهلا مساء الخير يا اخ حافظ

الرئيس الاسد : اهلا محمد

الرئيس السادات : الحمد لله ، كيفك صحتك انت

الرئيس الاسد : بدي نطمن عليك

الرئيس السادات : الحمد لله كل شيء .. كل خير

الرئيس الاسد : قالوا لي كنت نايم من شوية

الرئيس السادات : انا كنت نايم لحد ما صحيت دلوقت .. اهلا

الرئيس الاسد : آه (ضحك) .. كيف امورك

الرئيس السادات : الحمد لله بخير

الرئيس الاسد : ماشي الحال ..

الرئيس السادات : ماشي الحال .

الرئيس الاسد : ماشي كويس .

الرئيس السادات : لا الحمد لله كل خير .

الرئيس الاسد : طيب .. ماشي الحال

الرئيس السادات : طيب

الرئيس الاسد : طيب بس بدي اطمئن عليك

الرئيس السادات : الله يكتر خيرك .. الله يخليك يا حافظ .

الرئيس الاسد : اهلين .. اهلين

الرئيس السادات : اهلين

الرئيس الاسد : سلموا لنا كتير

الرئيس السادات : الله يسلمك

الرئيس الاسد : مع السلامة ..

التاريخ ١٩٧٣/١٠/٢١

ع

□ وثيقة رقم (١٠٠) □

صورة تقرير عن تسجيل لمحادثة تليفونية بين الرئيس السادات والرئيس الأسد .

سري للغاية

جمهورية مصر العربية

برقية رمزية صادرة

من السيد الرئيس إلى الرئيس حافظ الأسد برقم (   )

سررت في ٢٨ / ١٠ / ١٩٧٣ الساعة ....

صدرت في / / ١٩٧ الساعة ....

الى الرئيس حافظ الاسد .

تحياتي .

اخطرت امريكا مصرنا على زياره يقوم بها كيسنجر لمصر يوم ٦ نوفمبر ويعلن يوم ٣١ اكتوبر فى البلدين بيان بهذا الشأن .

أريدك ان تعرف انني ساستمع وأن اية مباحثات ساتناولها لن تكون للجبهه المصريه فقط وانما لجبهتنا السوريه المصريه تحت المبدأين اللذين بدأنا عليهما معركتنا وهما لا تفريط فى شبر من الارض ولا مساومه على حقوق شعب فلسطين .

وكما اخطرتنا دائما فان اى شىء يخص سوريا سيكون مرجعه لكم وسأعلن كيسنجر بذلك .

وأرجو ان لا يذاع من هذه الزياره شىء قبل صدور البيانات الرسميه .

□ وثيقة رقم (١٠١) □

صورة برقية من الرئيس السادات إلى الرئيس الأسد .

VERY URGENT

From President Sadat to President Nixon

1 - It is with respect to the situation on the Southern Sector that I am addressing you expecting your personal and immediate intervention.

2 - The Israelis have exploited the period between the implementation of the cease fire Resolutions of the 22nd. and 23rd. Oct. 1973 to establish themselves astride the lines of communication of the Egyptian Third Army in an attempt to isolate it and oblige it to surrender in humiliation. To this hour the Israelis are preventing U.N. observers from reaching the area involved.

3 - The two super powers bear a major responsibility in seeing that the Security Council Resolutions are being fully and promptly implemented.

4 - I frankly do not see how we can provide for the appropriate atmosphere for constructive discussions with the Secretary of State during his visit of the 6th of November if this situation continues to prevail.

I would like to inform you that, in preparation for this visit, we are working out comprehensive proposals which we hope will provide a turning point towards a final peace settlement.

5 - My responsibilities towards our armed forces oblige me to consider measures to be taken, irrespective of the consequences, to reopen our lines of communication to the 3rd Army. Such measures, we consider, are justified in the light of the Security Council Resolutions.

6 - I am informing the Soviet Union of the above mentioned message.

|| وثيقة رقم (١٠٢) □

صورة رسالة عاجلة من الرئيس السادات إلى الرئيس نيكسون عبر القناة السرية يبلغه فيها بمحاولات إسرائيل حصار الجيش الثالث، ويلوح بإلغاء زيارة وزير الخارجية الأمريكي

Message from Mr. Hafez Ismail
To Dr. Henry Kissinger

I thank you for your message of 25 October 1973 concerning the proposed arrangements for your visit to Egypt on November 6, 1973.

1 - We agree to the text that you suggested for the announcement of the visit, and we shall take the necessary measures to issue it in Cairo on October 31 at 11h00 A.M. Washington time i.e. 18h00 Cairo time.

2 - We shall arrange for you the appropriate meetings in order to ensure the maximum efficacy of your mission.

3 - We will welcome any number of persons, newsmen or others, who will be accompanying you, and will take the necessary administrative arrangements in this respect.

4 - We agree to the temporary augmentation in the number of personnel in the U.S. Interests Section in Cairo which you deem necessary to facilitate your mission in Egypt. The U.S. Interests Section can come into contact with the Foreign Minister's Cabinet for othe technical details .

5 - We will do our utmost to ensure that your visit takes place in a constructive atmosphere and we hope that the U.S. will do the same.

6 - I gather that you have taken cognizance of President Sadat's latest message to President Nixon.

□ وثيقة رقم (١٠٣) □

صورة رسالة من السيد حافظ اسماعيل إلى الدكتور هنرى كيسنجر يستأنف فيها الحديث عن ترتيبات زيارة وزير الخارجية الأمريكى للقاهرة .

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
الديوان الملكي
المكتب الخاص

الرقم ....

التاريخ ....

معالي الدكتور هنري ا. كيسنجر

استلمنا رسالتكم بخصوص مساعيكم لتنفيذ قرارات مجلس الأمن رقم ٣٣٨ و ٢٤٢.

وكما يعلم معاليكم ان الذي يحل الموضوع هو انسحاب اسرائيل من جميع الاراضي العربية المحتلة واعطاء الشعب الفلسطيني حقوقه المشروعة لأن هذا هو اساس المشكلة فاذا لم يسارع بتنفيذ ذلك فستظل هذه المشكلة قائمة ولا فائدة من الحلول الجزئية المؤقتة. ان المهم هو ايجاد الحل العادل الذي ترضى عنه جميع الاطراف المعنية لأنه بدون ذلك سوف تظل هذه الاطراف في حالة الاستعداد لاستئناف القتال قريبا كان ذلك ام بعيدا. ولهذا ينبغي توجيه الجهود لاستئصال هذه المشكلة من جذورها لتنعم المنطقة بالأمن والاستقرار وتلتفت لبناء بلادها وازدهار اقتصادها.

فيصل آل سعود

الرياض في ٢ شوال ١٣٩٣هـ

الموافق ٢٨ اكتوبر ١٩٧٣م

□ وثيقة رقم (١٠٤) □

صورة رسالة من الملك فيصل إلى الدكتور هنرى كيسنجر يطالب فيها بانسحاب إسرائيل من جميع الأراضى العربية المحتلة .

MESSAGE TO DR. KISSINGER

FROM MR. HAFEZ ISMAIL

I HAVE RECEIVED YOUR MESSAGE OF OCTOBER 27. I WISH TO INFORM YOU OF THE POSITION OF THE EGYPTIAN GOVERNMENT WITH RESPECT TO THE ISRAELI PROPOSALS CONVEYED TO US BY YOU.

1 - THE EGYPTIAN GOVERNMENT IS PREPARED TO DISPATCH A REPRESENTATIVE OF THE EGYPTIAN ARMED FORCES OF THE RANK OF MAJOR GENERAL TO COME IN CONTACT WITH AN ISRAELI MILITARY REPRESENTATIVE OF THE SAME RANK. IT IS UNDERSTOOD THAT EACH WILL BE ACCOMPANIED BY THE ADEQUATE NUMBER OF ASSISTANTS THEY WOULD MEET UNDER U.N. SUPERVISION BY 1500 HOURS CAIRO LOCAL TIME AT THE KILOMETER 110 OF THE CAIRO-SUEZ ROAD. THEIR MEETING PLACE WOULD BE PUT UNDER THE SUPERVISION OF THE U.N. PEACE KEEPING FORCE.

2 - THE OBJECT OF THAT MEETING WOULD BE TO DISCUSS THE MILITARY ASPECTS OF THE IMPLEMENTATION OF SECURITY COUNCIL RESOLUTIONS 338 AND 339 OF OCTOBER 22 AND 23, 1973.

3 - WE EXPECT A COMPLETE CEASE FIRE TO BE EFFECTIVE AS OF 1300 HOURS LOCAL TIME OCTOBER 27, 1973. U.N. OBSERVERS SHOULD BE IN PLACE IN TIME TO SUPERVISE THIS.

4 - A CONVOY CARRYING NON MILITARY SUPPLIES FOR SUEZ AND FORMATIONS OF THE THIRD ARMY EAST OF THE CANAL SHOULD BE ALLOWED TO REACH ITS DESTINATION BY 15.00 HOURS LOCAL TIME UNDER U.N. AND RED CROSS SUPERVISION.

IF SUCH ARRANGEMENTS ARE ACCEPTABLE IT IS EXPECTED THAT A PROMPT REPLY WILL BE RECEIVED IN TIME TO ALLOW FOR THE NECESSARY MEASURES TO BE TAKEN.

WE EXPECT THE EXERCISE OF UNITED STATES INFLUENCE TO FACILITATE THE DEVELOPMENT OF THOSE TALKS.

□ وثيقة رقم (١٠٥) □

صورة رسالة من السيد حافظ اسماعيل إلى الدكتور هنرى كيسنجر عن ترتيبات اللقاء عند الكيلو ١٠١ ثم عن أوضاع الجيش الثالث .

VERY URGENT MESSAGE

TO PRESIDENT NIXON
FROM PRESIDENT SADAT

1 - IN ACCORDANCE WITH DR. KISSINGER'S MESSAGE TO MR. H. ISMAIL ON OCTOBER 27 INFORMING HIM OF ISRAEL'S ACCEPTANCE IN TOTAL OF THE EGYPTIAN POSITION WITH RESPECT TO THE ISRAELI PROPOSAL CONVEYED THROUGH THE U.S., THE EGYPTIAN REPRESENTATIVE PROCEEDED AT THE AGREED TIME TOWARDS THE MEETING PLACE AGREED UPON .

2 - UP TILL NOW - 17.35 HOURS CAIRO LOCAL TIME THE EGYPTIAN PARTY IS BEING HELD BY ISRAELI TROOPS AT A DISTANCE OF 15 KMS. FROM THE SITE OF THE RENDEZ VOUS AND PREVENTED FROM PROCEEDING UNDER THE PRETEXT THAT THESE ISRAELI TROOPS HAVE RECEIVED NO ORDERS TO LET THEM PROCEED.

3 - ON THE OTHER HAND ELEMENTS OF THE INTERNATIONAL FORCE ARE SINCE NOON TODAY STOPPED OUTSIDE THE CITY OF SUEZ. PREVENTED FROM ENTERING THE CITY.

4 - THUS WHILE THE EGYPTIAN SIDE HAS KEPT TO ITS WORD, THE ISRAELI SIDE IS STILL RESORTING TO DILATORY METHODS AND RENEGING ITS COMMITTMENTS IN THE HOPE OF ALLOWING ITSELF TIME TO ACHIEVE MORE TERRITORIAL GAINS WHICH IT IMAGINES ARE WITHIN HAND.

5 - SUCH ACTIONS DESTROY ANY BASIS FOR CONFIDENCE IN ISRAELI COMMITTMENTS AND CONSTITUTE A PRECEDENT OF THE METHODS ISRAEL INTENDS TO RESORT TO IN THE FACE OF EGYPT'S GOOD FAITH .

6 - I THEREFORE REQUEST YOU TO TAKE A FIRM AND CLEAR STAND WITH RESPECT TO THESE CONTINUED ISRAELI METHODS OF DECEIPT.

7 - I AM INFORMING THE SOVIET UNION OF THE CONTENTS OF THIS MESSAGE.

□ وثيقة رقم (١٠٦) □

صورة رسالة عاجلة من الرئيس السادات إلى الرئيس نيكسون عن اعتراض القوات الإسرائيلية لمجموعة الفريق المصرى المتجهة للاجتماع عند الكيلو ١٠١ .

PARTICULARLY URGENT MESSAGE

FOR MR. H. ISMAIL

FROM MR. KISSINGER
888

WE HAVE BEEN INFORMED BY THE ISRAELI GOVERNMENT THAT THEIR REPRESENTATIVES HAVE BEEN WAITING AT KM 110 OF THE CAIRO - SUEZ ROAD SINCE 15.00 HOURS CAIRO TIME AND THUS FAR NO ONE FROM THE EGYPTIAN SIDE HAS APPEARED.

AS STATED IN MY PREVIOUS MESSAGE THE ISRAELI SIDE IS PREPARED TO MEET ALL CONDITIONS FOR A CONVOY OF NON MILITARY SUPPLIES BUT IT IS OUR UNDERSTANDING THAT NO CONVOY HAS YET APPEARED.

PLEASE LET US KNOW IF THERE IS ANYTHING FURTHER WE CAN DO IN THIS MATTER.

WARM REGARDS

□ وثيقة رقم (١٠٧) □

صورة رسالة عاجلة من الدكتور هنرى كيسنجر إلى السيد حافظ اسماعيل يبلغه فيها بانتظار الوفد الإسرائيلى للوفد المصرى فى محادثات الكيلو ١٠١ ـ وأيضا بانتظار قافلة الإمدادات غير العسكرية للجيش الثالث .

FROM SECRETARY KISSINGER TO MR. HAFIZ ISMAIL:

I HAD LEARNED, SHORTLY BEFORE RECEIPT OF PRESIDENT SADAT'S MESSAGE NO. 10 TO THE PRESIDENT, THAT FOR REASONS WHICH I HAVE NOT BEEN ABLE TO ASCERTAIN, THE MEETING AGREED TO EARLIER TODAY BETWEEN EGYPT AND ISRAEL FAILED TO TAKE PLACE. I ALSO LEARNED THAT YOUR CONVOY WAS NOT PASSED THROUGH TO SUEZ AND THE EGYPTIAN THIRD ARMY.

I HAVE, THEREFORE, TALKED PERSONALLY, AND IN THE STRONGEST POSSIBLE TERMS, TO PRIME MINISTER MEIR. I INSISTED THAT ARRANGEMENTS BE MADE SO THAT IF YOUR REPRESENTATIVES WERE TO APPEAR AT 2200 HOURS CAIRO LOCAL TIME TODAY AT KILOMETER 110 OF THE CAIRO-SUEZ ROAD, THEY WOULD BE MET BY ISRAELI REPRESENTATIVES, AND THAT THE MEETING PLACE WOULD BE UNDER THE SUPERVISION OF THE UNITED NATIONS PEACEKEEPING FORCE. I ALSO INSISTED TO MADAME MEIR THAT AN EGYPTIAN CONVOY CARRYING NON-MILITARY SUPPLIES FOR SUEZ AND FORMATIONS OF THE THIRD ARMY EAST OF THE CANAL SHOULD BE ALLOWED TO PASS ISRAELI LINES AT 2200 HOURS CAIRO LOCAL TIME TODAY UNDER UNITED NATIONS AND RED CROSS SUPERVISION.

I LEARNED FROM FOREIGN MINISTER EL ZAYYAT, SHORTLY AFTER MY CONVERSATION WITH MRS. MEIR, THAT 2400 HOURS WOULD BE MORE CONVENIENT, BOTH FOR THE MEETING OF EGYPTIAN AND ISRAELI REPRESENTATIVES AND FOR THE MOVEMENT OF YOUR CONVOY THROUGH ISRAELI LINES. I HAVE NOW BEEN ASSURED BY THE ISRAELI GOVERNMENT THAT 2400 HOURS IS AN ACCEPTABLE TIME FOR BOTH EVENTS.

YOU MAY ALREADY HAVE LEARNED THIS INFORMATION FROM FOREIGN MINISTER EL ZAYYAT, BUT I WANTED TO CONFIRM IT TO YOU. I ALSO WANT YOU TO KNOW THAT YOU HAVE THE SOLEMN ASSURANCE OF THE UNITED STATES GOVERNMENT THAT WE HAVE DONE -- AND WILL CONTINUE TO DO -- ALL WE CAN TO ASSURE THAT THESE ARRANGEMENTS WILL BE CARRIED OUT."

□ وثيقة رقم (١٠٨) □

صورة رسالة من الدكتور هنرى كيسنجر إلى السيد حافظ اسماعيل عن جهوده فى حل مشكلة اجتماع الكيلو ١٠١ وقافلة الإمدادات غير العسكرية .

MESSAGE TO MR. HAFEZ ISMAIL
FROM SECRETARY KISSINGER

THE FOLLOWING IS A MESSAGE FROM PRESIDENT NIXON TO PRESIDENT SADAT :

I HAD LEARNED OF THE BREAKDOWN IN THE ARRANGEMENTS WORKED OUT THROUGH OUR GOOD OFFICES BETWEEN EGYPT AND ISRAEL SHORTLY BEFORE I RECEIVED YOUR MESSAGE N° 10 AND HAD INSTRUCTED SECRETARY KISSINGER TO TAKE IMMEDIATE STEPS TO CORRECT THE SITUATION.

THE SECRETARY HAS ALREADY REPORTED TO MR. ISMAIL ON THE ACTIONS HE HAD TAKEN SO I SHALL NOT REPEAT THEM HERE. I DO WANT HOWEVER TO TELL YOU WE TAKE THIS MATTER EXTREMELY SERIOUSLY AND TO REINFORCE SECRETARY KISSINGER'S SOLEMN ASSURANCES THAT MY GOVERNMENT WILL STAND BEHIND ITS COMMITMENTS.

☐ وثيقة رقم (١٠٩) ☐

صورة رسالة من الرئيس نيكسون إلى الرئيس السادات يبلغه فيها باتخاذ خطوات فورية لحل مشكلة اجتماع الكيلو ١٠١ .

"بسم الله الرحمن الرحيم"

سرى للغاية

محضـــر الجلسة الاولـــــى

للوفد العسكرى المصرى مع الجانـــب الاسرائيلـــــى

يوم ٢٨ أكت ١٩٧٣

أولا : الحاضـــرون :

١ – من الجانب المصـرى

أ – لواء محمد عبد الغنى الجمسى

ب – عقيد أ.ح أحمد فؤاد هويـــــــدى

جـ – وزير مفوض عمر ســــــــــرى

د – مستشار فوزى الابراشـــــــتـى

٢ – من الجانب الاسرائيلى :

أ – جنرال ياريف	MAJ. GEN	A. YARIV.
ب – عقيد سيون	COL	D. SION
جـ – مقدم تراوب	LTC	A. TRAUB.
د – مقدم بن آرى	LTC	I BEN ARI

٣ – من الامم المتحدة :

أ – مقدم أوليس	LTC	AULIS KEMPPAINEN.
ب – نقيب جوزيف	CAPT	JOSEF FALLON

ثانيا : الوقت والمكان :

٤ – تم الاجتماع فى الفترة من ٠١٤٥ ٢٨ حتى ٠٤٠٠ ٢٨

٥ – وذلك فى منطقة كم ١١٠ طريق السويس / القاهرة .

ثالثا : نص مادار فى الجلسة :

٦ – بدأت الجلسة بكلمة من الجنرال ياريف جاء فيها :

أ – اننا فى غاية التأثر .. very impressed . فرصة اللقاء بحكـــم
فقد كنا خلال ثلاثة اسابيع فى حرب ضارية حارب كل منا فيها بشـــرف
... ونحاول الان الحفاظ على وقف اطلاق النار ... ونهتم بالاهتمام
قرار مجلس الامن ٣٣٨ وخاصة الفقرة الثالثة منه ... ولدينا اهتمام بالتحول

☐ وثيقة رقم (١١٠) ☐

صورة الصفحة الأولى والصفحة السادسة من محضر الجلسة الأولى لاجتماع الوفد العسكرى المصرى مع الوفد الإسرائيلى .

سرى للغاية

٦

٢ ـ وضح أن العدو يحتاج الى مساعدتنا فى موضوعات لها تأثير قوى عليه أكبر ما يظهر وهى الاسرى والجرحى والقتلى وتمثل ضغطا داخليا لديه وفتح الملاحة فى باب المندب ٠

٣ ـ من الواضح أن مشروع انسحاب الطرفين الى مسافة ١٠ كم شرق وغرب القناة غير جدى ولا يتوقع قبولنا له وان كان يطرحه كنوع من المساومة ٠

٤ ـ كان الجانب الاسرائيلى مرنا يقبل المناقشة فى كل شئ ولكنه أوضح أنه غير مفوض فى مناقشة الموضوعين التاليين على مستواه :

أ ـ العودة الى خطوط ٢٢ أكت ٧٣ ٠

ب ـ عمل ترتيبات مستديمة لامداد واعاشة الجيش الثالث فى شرق القناة ٠

٥ ـ يعتبر الجانب الاسرائيلى أن امداد الجيش الثالث يوم ٧٣/١٠/٢٨ بادرة طيبة عملية من جانبه وينتظر شئ مماثل من جانبنا (كشف الاسرى على الاقل) ٠

٦ ـ العدو هو الذى سيطالب بالمقابلة التالية وسيرد فيها على امكانية استمرار امداد الجيش الثالث وينتظر أن نرد خلالها على موضوع الاسرى ومشروع الانسحاب ١٠ كم على ضفتى القناة للطرفين ٠

٧ ـ أن ماتم انجازه فى الجلسة الاولى هو المناقشة التفصيلية لامداد الجيش الثالث بقول ادارى واحد يوم ٧٣/١٠/٢٨ نتيجة لموافقه سياسية سابقة عن هذا الموضوع ٠

٨ ـ لانتوقع نجاحا فى نقاط البحث الرئيسية على المستوى الذى تمت فيه الجلسة الاولى بل يجب أن يكون هناك اتفاق مسبق بالنسبة للموضوعات الرئيسية ٠

التوقيع :
عقيد أ ح : أحمد فؤاد هويدى

التوقيع :
لواء : محمد عبد الغنى الجمسى

أن حل موضوع الأسرى الجرحى وتبادلهم سيساهم فى تسهيل موافقـــة السلطات الاسرائيليـــة على الاستمرار فى امداد ج ٣ ٠

١٥ ـ فى حديث شخصى مع الجنرال ياريف تبودلت الآراء التاليـــة :

أ ـ أعرب عن اهتمام القيادة السياسية الاسرائيلية العليا باستمـــرار هذه الاتصالات ووصولها الى نتائج ايجابيـــة ٠

ب ـ كرر أن يلزمهم موقف عسكرى مناسب للبدء فى العمل السياسى ٠

جـ ـ عرضت عليه فكرة فك الإشتباك من وجهة نظرنا وهى " اخـــــلاء منطقة السويس والمحور الجنوبى من القوات الاسرائيلية والارتـــداد الى منطقة نتفق عليها حول الدفرزوار " وأن ذلك يحل مشكلـــة امداد ج ٣ ويبقى لهم موقفا عسكريا مناسبا " بالوجود غرب القناة " وقد أبدى تفهمه لوجهة نظرنا ووعد بنقلها الى أعلى مســـتوى سياســى ٠

د ـ توضح له بصراحـــة تامـــة أن موضوع تبادل الأسرى " غير الجرحى لن يتم الا بحل مشكلة امداد ج ٣ والارتداد الى المنطقة الـــتى سنتفق عليهـا مع اخـــلاء منطقة السويس ومؤخرة ج ٣ ٠

هـ ـ أعرب عن اهتمام القيادة السياسية الاسرائيلية فى لقاء مستوى سياسى وقد ذكر أنهم يقبلون المستوى الذى نقترحه والمكان ٠٠ وان هـدف مثل هذا اللقاء هو البت فى فك الاشتباك بمقترحاتهم أو بمقترحـات مضـــادة منـا ٠

و ـ اقترح اتصالا لاسلكيا مباشرا لسرعة تبادل المعلومات وتحديـــد المواعيد ومتابعة نتائج اللقاءات ٠

ز ـ ترك تحديد موعد ومكان الجلسة التالية لنا ٠

عقيد أ.ح / احمد فؤاد هويدى	لواء / محمد عبد الغنى الجمســى نائب رئيس اركان حــــرب ورئيس هيئة عمليات القوات المسلحـــة

انقسام فى الرأى حوله داخل القيادات العليا الاسرائيلية .

٢٢ـ رفض هذا الاقتراح من الجانب الاسرائيلى يكشف عن عدم رغبة اسرائيل فى المباحثات الحاليه بالنسبة لموضوع الانسحاب وأن هدفها للمباحثات هو بغرض حل المشاكل التى تمثل ضغطا داخليا عليها وخاصة موضوع الاسرى والجرحى والموتى .

٢٣ـ كان الجانب الاسرائيلى موضوعيا ومتجاوبا فى الموضوعات الفرعيه .

التوصيات

٢٤ ـ القاء اكبر ثقل ممكن للضغط سياسيا لقبول اسرائيل اقتراحنا بالنسبة لخط الانسحاب والخطوط التى تكون عليها القوات فى نهاية المرحلة الحالية .

٢٥ ـ استثمار موضوع الاسرى والجرحى والموتى فى ربطه بموضوع المبادئ التى يجب الوصول اليها وليس بالموضوعات الفرعيه .

٢٦ـ قد تنشأ الحاجه الى تشكيل ضغط عسكرى على العدو ويمكن ان يكون ذلك فى صورة مقاومه شعبية من سكان المناطق التى يسيطر عليها فى الضفه الغربيه للقناة ويحتاج ذلك الى اعداد وتخطيط مسبق الآن بجانب استعداد القوات المسلحة لاستئناف القتال .

لواء / محمد عبد الغنى الجمسى

MESSAGE FROM MR. H. ISMAIL
TO DR. HENRY KISSINGER

I WISH TO INFORM YOU OF THE FOLLOWING DEVELOPMENTS

1 - ALTHOUGH THE SUPPLY COLUMN HAS BEEN IN PRINCIPLE ALLOWED TO CONTINUE TOWARDS ITS DESTINATION, IT WAS DELAYED BY THE ISRAELIS WHO CREATED TECHNICAL DIFFICULTIES AND FINALLY SHOT AT THE COLUMN.

2 - THE MEETING ARRANGED FOR 24.00 HOURS 27 OCTOBER 1973 WAS FINALLY HELD. HOWEVER THE ISRAELIS INSISTED THAT THEY WERE NOT AUTHORIZED TO DISCUSS THE IMPLEMENTATION OF THE SECURITY COUNCIL RESOLUTIONS CONCERNING THE RESTORATION OF THE LINE OF 22 OCTOBER 1973. THEY INTRODUCED NEW ELEMENTS REGARDING THE EXCHANGE OF PRISONERS OF WAR AND THE QUESTION OF THE MARITIME LINES OF COMMUNICATION IN THE RED SEA. HOWEVER I MUST ADMIT THAT THE MEETING WAS DIGNIFIED. A DATE FOR A NEW MEETING WAS NOT FIXED; THOUGH WE ARE AGREEABLE TO MEET AGAIN AS SOON AS POSSIBLE.

3 - PRESIDENT SADAT HAS DECIDED TO SEND IMMEDIATELY TO WASHINGTON MINISTER ISMAIL FAHMI ACCOMPANIED BY AMBASSADOR EL ERIAN TO MEET YOU AND ACQUAINT YOU WITH THE EVENTS OF THE LAST FEW DAYS AS WELL AS TO PRESENT TO YOU, IN PREPARATION FOR YOUR FORTHCOMING VISIT TO EGYPT, THE EGYPTIAN CONCEPT FOR THE ESTABLISHMENT OF DURABLE AND JUST PEACE SO THAT DURIN YOUR VISIT TO CAIRO SUBSTANTIAL RESULTS CAN BE ACHIEVED

WITH WARM REGARDS .

□ وثيقة رقم (١١٤) □

صورة رسالة من السيد حافظ اسماعيل إلى الدكتور هنرى كيسنجر يشكو فيها من الإسرائيليين ويبلغه بإيفاد الرئيس السادات للسيد اسماعيل فهمى إلى واشنطن .

MESSAGE TO MR. HAFIZ ISMA'IL FROM DR. KISSINGER   28 OCTOBER 1973

"THANK YOU FOR YOUR MESSAGE NUMBER 12 OF OCTOBER 28.

"WE UNDERSTAND THAT THE SUPPLY COLUMN HAS NOW BEEN PERMITTED TO MOVE, AND I AM GLAD THAT THIS FIRST FRUIT OF OUR COOPERATIVE EFFORT IS BEING SUCCESSFUL.

"WE ARE GRATEFUL TO HAVE YOUR REPORT OF THE FIRST MEETING WITH THE ISRAELI REPRESENTATIVE. WE THINK THAT IT IS VERY CONSTRUCTIVE ON YOUR PART TO BE WILLING TO MEET AGAIN AS QUICKLY AS POSSIBLE. WE HAVE TRANSMITTED YOUR WILLINGNESS TO MEET AS SOON AS POSSIBLE TO THE ISRAELI GOVERNMENT WITH OUR FAVORABL RECOMMENDATION. YOU SHOULD BE AWARE THAT OUR ABILITY TO INFLUENCE ISRAEL IS BEING SUBSTANTIALLY WEAKENED BY EGYPTIAN UNWILLINGNESS TO RELEASE THE PRISONERS OF WAR, WHICH WE HAD BEEN LED TO BELIEVE WERE A PART OF THE UNDERSTANDING REACHED RECENTLY IN THE DISCUSSIONS LEADING TO THE CEASE-FIRE AGREEMENT OF OCTOBER 22

"WE APPRECIATE THE THOUGHTFULNESS OF PRESIDENT SADAT IN SENDING MINISTER FAHMI AND AMBASSADOR IRYAN TO WASHINGTON IN PREPARATION FOR MY VISIT TO EGYPT. I WOULD SUGGEST THAT THEY ARRIVE NOT BEFORE WEDNESDAY IN ORDER THAT MY TRIP TO CAIRO COULD BE ANNOUNCED CONCURRENTLY WITH THEIR ARRIVAL. HOWEVER, SHOULD YOU SEE SOME ADVANTAGE IN AN EARLIER ARRIVAL BY MINISTER FAHMI, THAT CAN CERTAINLY BE ARRANGED.

"WITH RESPECT TO EFFORTS TO BRING A JUST AND DURABLE PEACE TO THE MIDDLE EAST, IT IS IMPORTANT FOR US TO BE CONCRETE IN OUR THINKING, AS WELL AS TO HAVE IN MIND A REASONABLE SCHEDULE THAT CAN IN FACT BE CARRIED OUT. YOU HAVE OUR ASSURANCES OF A SERIOUS EFFORT IN THIS REGARD.

"WITH WARM GOOD WISHES."

□ وثيقة رقم (١١٥) □

صورة رسالة من الدكتور هنرى كيسنجر إلى السيد حافظ اسماعيل يشير فيها إلى موضوع أسرى الحرب ، ويلمح برغبة فى تأجيل زيارة السيد اسماعيل فهمى إلى واشنطن .

From : Mr. ISMAIL
To : Dr. KISSINGER

THANK YOU FOR YOUR MESSAGE OF OCT. 28,1973. AS REGA[illegible] THE SUPPLY COLUMN, I REGRET TO INFORM YOU THAT ISR[illegible] IS STILL RESORTING TO DELIBERATE DELAYING TACTIC[illegible] RESULTING IN THE ACTUAL PREVENTION [illegible] ARRIVAL OF THE SUPPLY COLUMN TO ITS DESTINA[illegible] THE ISRAELI SIDE IS NOT CARRYING OUT ITS OBLIGATIO[illegible] IN THIS RESPECT WHILE WE HAVE NOT BACKED AWAY FROM ANY OBLIGATION ON OUR PART. MR. ISMAIL WOULD LIKE [illegible] EMPHASIZE THAT IT IS NOT THE QUESTION OF ONE SUPPLY COLUMN WHICH IS AT ISSUE; RATHER IT IS THE NECESSIT[illegible] TO ARRANGE FOR THE CONTINOUS FLOW OF NON-MILITARY SUPPLY TO THE THIRD ARMY.

IN ORDER TO AVOID THE CUMBERSOME STEPS INVOLV[illegible] SUPPLY BY TRUCKS, AND TO AVOID ANY FURTHER DELAYS [illegible] PROPOSE USING UNMARKED HELICOPTERS FOR THIS JOB MR. ISMAIL WOULD GREATLY APPRECIATE DR. KISSINGER[illegible] AND IMMEDIATE EFFORT IN GETTING ISRAELI [illegible] TO THIS PROPOSAL.

II MR. ISMAIL WOULD LIKE TO POINT OUT THAT OUR WILLING[illegible] TO HOLD A SECOND MEETING WITH THE ISRAELI REPRESENTAT[illegible] IS WITH THE UNDERSTANDING THAT THE OBJECT OF THE MEETING IS THE IMPLEMENTATION OF SECURITY COUNCIL RESOLUTIONS 338 AND 339 FOR THE RESTORATION OF THE

□ وثيقة رقم (١١٦) □

صورة رسالة من السيد حافظ اسماعيل إلى الدكتور هنرى كيسنجر عن تفاصيل إمدادات الجيش الثالث ، وأيضا يخطره فيها بأن السيد اسماعيل فهمى قد غادر القاهرة إلى واشنطن .

سري جداً

جمهورية مصر العربية

برقية رمزية

من : باريس	رقم البرقية ٨٠٣٩ (ع)	مجموعة الوقت والتاريخ ٢٩/١٠/٧٣
إلى : للتنفيذ		
للعلم		

إلى السيد الرئيس من الوزير اسماعيل فهمي :

١ - وصلت باريس الآن واتصلت تليفونيا بالسكرتير العام حيث لم اتمكن من ذلك قبل مغادرتي القاهرة .

٢ - طلبت منه ارسال اكبر عدد من قوات الطوارئ الى مصر والجبهة الشرقية فورا ، فوعدني بذلك وذكر انه سيصل مصر يوم الثلاثاء ١٠/٣٠ ستمائة فرد سويديين ثم بعد ذلك - أي النصف الثاني من الاسبوع يصل ٢٠٠ فرد فنلنديين ويتبعهم عدد جديد من النمساويين .

٣ - شرحت له بالتفصيل الصعوبات التي يلاقيها قائد قوات الطوارئ من الجانب الاسرائيلي بخصوص نقل الغذاء الى الجيش الثالث والصعوبات الاخرى وهي كلها تدل على عدم تعاون اسرائيل مع قائد قوات الطوارئ مما اضطر القائد ان يذهب يوم الاثنين التالي الى تل أبيب لبحث تواجد قوات الطوارئ في المنطقة الشرقية بينها وبين القوات الاسرائيلية . علق على ذلك فالدهايم بأنه أمر ضروري وسوف يتحدث الى تكواه سفير اسرائيل في الامم المتحدة ويبعث لقائد قوات الطوارئ بتعليماته بضرورة التواجد في المنطقة الشرقية .

- أخبرت فالدهايم بتعاون قائد قوات الطوارئ وشكرته على ذلك ثم أخبرته بأنه بالرغم من ذلك فان التعليمات التي ترسل اليوم من نيويورك ليست كافية وفي بعض الاحيان ليست واضحة مما أدى الى

(يتبع)

□ وثيقة رقم (١١٧) □

صورة برقية رمزية بعث بها السيد اسماعيل فهمي من باريس إلى الرئيس السادات .

سرى جداً

جمهورية مصر العربية

برقية رمزية

الهيئة العامة لشئون المطابع الاميرية

من	والمنجلن	رقم البرقية ٨٠٨١ (ع)	مجموعة الوقت والتاريخ ٣٠/١٠/٢٣
الى	للتنفيذ :		
	للعلم		

السيد الرئيس من الوزير اسماعيل فهمى

قابلت كيسنجر الساعة السادسة مساء ١٠/٢٩ ..

دامت المقابلة ساعة واربعون دقيقة وحضرها من الجانب الامريكى سيسكو وكيل الوزارة المساعد لشئون الشرق الاوسط ومن الجانب المصرى السفير العريان ..

١ - ذكر كيسنجر انه سعيد بالترحيب بى فى وزارة الخارجية الامريكية وانه يأمل ان تكون هذه الزيارة خطوة طيبة فى مستقبل التفاهم بين البلدين وأعرب عن تقديره بأن يتم الاتصال بيننا مباشرة وليس عن طريق الروس .

٢ - ذكرت الى كيسنجر اننى احمل معى تحيات السيد الرئيس للرئيس نيكسون واليه لهادلنا التحية .

٣ - اضاف كيسنجر ان استمرار الاتصالات بين الحكومتين خلال هذه الازمة كان له اهمية كبرى وعندما المحت الى ان السيد الرئيس قد استمر فى هذه الاتصالات بالرغم من الصعوبات التى نشأت من امدادهم اسرائيل بالاسلحة والعتاد الحربى علق كيسنجر بأنهم يقدرون ما احرزه الرئيس السادات ويعجبون بشجاعته .

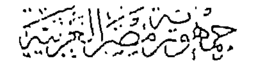
٤ - اوضحت ان الاعتقاد لدى الجماهير فى مصر وفى العالم العربى أن اسرائيل تمكنت بالقيام بما حققته فى الايام الاخيرة من العبور بسبب المساعدات الامريكية الضخمة وبأسلحة متطورة الا أن الرئيس

(يتبع)

سرى جداً

□ وثيقة رقم (١١٨) □

صورة برقية رمزية من السيد اسماعيل فهمى الى الرئيس السادات عن مقابلته مع الدكتور هنرى كيسنجر .



برقية رمزية

من	واشنطن	رقم البرقية ٨٠٧٢	مجموعة الوقت والتاريخ ٣٠/١٠/١٩٧٣
الى	للتنفيذ		
	للعلم		

محظورة

الى السيد المستشار حافظ اسماعيل

من الوزير اسماعيل فهمى

بالنسبة لطلب السيد الرئيس ان يوفد كل من الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة شخصية سياسية على مستوى عال لمراقبة وتنفيذ قرار مجلس الامن .

أولا : أرجو ايضاح المقصود اذ اننى اتصور ان المطلوب ان يوفد كل منهما شخصية كبيرة للبقاء فى مصر ليكون حلقة اتصال بين حكومته وبين السيد الرئيس فيما يتعلق بكل ما يرتبط بأزمة الشرق الاوسط .

ثانيا : ان قرار مجلس الامن ومراقبة تنفيذه عمليا تعتبر اصلا من سلطة السكرتير العام وممثل المجلس وهو منفذ قرارات الامم المتحدة وعليه فليس لان شخص من أحد الدولتين سلطة على ذلك .

أما اذا كان المقصود هو ما جاء فى أولا فاعتقد ان ذلك سهل تحقيقه بالنسبة للسوفييت أما بالنسبة للامريكان فالوضع يختلف فلا يسمح نظامهم ارسال وزير او نائب وزير الا اذا كان المقصود شخصية سياسية كبيرة يختارها الرئيس نفسه . ليس هذا فقط وانما

(يتبع)

□ وثيقة رقم (١١٩) □

صورة برقية رمزية بعث بها السيد اسماعيل فهمى من واشنطن إلى السيد حافظ اسماعيل .

من واشنطن ٥٠ بتاريخ ١٩٧٣/١٠/٢١

برقية محظورة ولا توزع الا بالاسم

الى السيد الرئيس

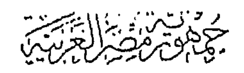
من الوزير اسماعيل فهمى

١ - اجتمعت اليوم ١٠/٢٠ مع كيسنجر لمدة اربعة ساعات متتالية على انفراد بناء على طلبه .

٢ - اخطرنى انه حتى يكون ما شيد الرئيس نيكسون مما عرضه على جولدا مائير وحتى يضعها امام الصورة وبالرغم من انها طلبت ان تحضر مرارا الحضور ورفض الجانب الامريكى الا ان الرئيس وافق على حضورها ... ومقابلتها يوم الخميس حتى يتم ما اتفق عليه بيننا بسرعة وبعمل الرئيس نيكسون نفوذه عليها . وحتى تاتى بموافقة مجلس الوزراء الاسرائيلى الذى سيبرق اليها اليوم بما اتفق عليه ويعتقد الرئيس نيكسون انه منطقى ومعقول ويأمل المتفق ادورا ان يتم مقابل حضور كيسنجر الى القاهرة .

☐ وثيقة رقم (١٢٠) ☐

صورة برقية من السيد اسماعيل فهمى فى واشنطن إلى الرئيس السادات وتأشيرة الرئيس عليها بخطه .



سري جداً

برقية رمزية

الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

من	واشنطن	رقم البرقية ٨١٦٤	مجموعة الرقت والتاريخ ١/١١/٧٣
الى	للتنفيذ		
	للعلم		

محلى سـرية :

الى السيد الرئيس

من الوزير اسماعيل فهمى

١- استقبلني الرئيس نيكسون ودامت المقابلة لمدة ساعة ثم اصر على توصيلي الى باب السيارة وكان الاجتماع صريحا للغاية وواضحا اكثر مما كنت انتظر .

٢- وبعد ان نقلت اليه تحيات سيادتكم ذكر انه يبادلكم التحية وانه معجب باسلوب سيادتكم في معالجة النواحي العسكرية والسياسية ومتتبع لقراراتكم ويشكر استمرار تبادل التعاون والاتصال المباشر .

٣- ذكر ايضا انه لايملك الا ان يعترف باعجابه بالجيش المصري وبسالته لانه يحترم المقاتلين الشجعان ويجل التضحية في سبيل الوطن .

٤- طلب مني ان ابلغ سيادة الرئيس انه يرغب في مقابلتكم وان كان لايقصد بذلك فورا اذ يمكن الاتفاق على الموعد في المستقبل فذكرت له انني سانقل هذه الرغبة الى سيادتكم وانني متأكد من ان سيادة الرئيس سيتلقى رغبة نيكسون لمقابلته بالترحيب والتقدير .

٥- ثم اخبرني بعد ذلك بان كيسنجر اطلعه منذ دقائق على مشروع السلام المتكامل للسيد الرئيس وهو يريدني ان انقل اليكم انه مقتنع بان هذا المشروع CONSTRUCTIVE بناء اي يذهب في ذلك ابعد مما سبق ان ذكره لي كيسنجر من قبل بانه معقول REASONABLE .

(يتبع)

☐ وثيقة رقم (١٢١) ☐

صورة برقية من السيد اسماعيل فهمى إلى الرئيس السادات عن مقابلته مع الرئيس نيكسون .

جمهورية مصر العربية

سري جدا

برقية رمزية

من	واشنطن	رقم البرقية	٨١٩٩	مجموعة الوقت والتاريخ	٧ ١/١١
إلى	للتنفيذ				
	للعلم				

الى السيد الرئيس

من الوزير اسماعيل فهمى

برقية سيادتكم رقم ١١٣٥ بتاريخ ١٠/٣١

١- عندما عاودت الاجتماع بكيسنجر لمدة ثلث ساعة قبل مقابلة الرئيس نيكسون ولما كنت على يقين بان كيسنجر والرئيس نيكسون يفضلان استمرار الاتصال مباشرة بيننا وتسليمهما مشروع السيد الرئيس حتى يقدماه الى جولدا مائير على انه افكار امريكية اثناء زيارة جولدا مباشرة حاولت خلالها حديثا ان افهم كيسنجر ان المشروع قد يكون قد وصل الى الاسرائيليين فكان رد كيسنجر القاطع عدم التأثير نتيجة لان معنى هذا انها ستعرضه على مجلس الوزراء الاسرائيلي وتأتى الى واشنطن بقرار برفضه اما اذا كان قدم اليها هنا فى واشنطن على انه مجهود امريكى يمكن ان يتمشى معه الرئيس السادات فلا يكون امامها مفر من قبوله مع توقع التقدم ببعض تعديلات طفيفة .

٢- ذكرت له ان شعورى ايضا انه قد تكون فرنسا وانجلترا قد علمت [illegible] فقال كيسنجر ان هذا يضيف الى التركيبة تكتيكين لانهما لا تملكان اى قوة او سلطة للضغط على اسرائيل ويجب ان تتدخل واشنطن وترغم اسرائيل على قبوله فتحاول هاتان الدولتان ان تنسبا لنفسيهما الفضل فى الوصول الى حل دائم .

٣- علقت على ذلك بانني ارجوه الا ينزعج وان هذه امور شكلية وقد تكون فى مصلحة امريكا فى النهاية ان تتوقع كل من فرنسا وانجلترا [illegible]

(يتبع)

□ وثيقة رقم (١٢٢) □

صورة برقية من السيد إسماعيل فهمى إلى الرئيس السادات عن مقابلة أخرى له مع الدكتور هنرى كيسنجر .

جمهورية مصر العربية

سرى جدا

برقية رمزية

من : واشنطن	رقم البرقية ٨٣٩٢	مجموعة الوقت والتاريخ ٧٣/١١/٢
الى : للتنفيذ		
للعلم		

الــى الســيد الرئيــس

مــن الوزير اسماعيل فهمى

- بحثت مع ... الخاصة بناقلة البترول التى تحمل العلم الليبيرى سابقا ... تليفونيا لكيسنجر واوضحت له ان هذا الاجراء تم لتسهيل مهمته دون ان يمثل سابقة كما اوضحنا من ... وارتباطه فطلبت اليه ان يبلغ ذلك الى الرئيس نيكسون الذى سافر فجأة الى فلوريدا فأجاب ان ذلك سيتم فورا .
- ثم ابلغته ايضا بخرق الطائرات الاسرائيلية مجالنا الجوى ... وطلبت اليه ان ينقل ذلك ايضا الى الرئيس نيكسون وابلغته باننى سأخطر مجلس الامن بذلك كما طلبت اليه ان يتصل بجولدا مائير فى نيويورك وان يبلغها بما تم ويطلب اليها عدم تكرار ذلك .
- اخبرنى كيسنجر ايضا ان عند قدومه لمصر سيعلن عن اسم الشخصية الامريكية التى سترد الى القاهرة وفقا لطلب السيد الرئيس ... اما السفير Huffum او المساعد الاول لسيسكو ... واخيرا ... السابق فى السعودية " هيرمان ايلتس " .

١٩٧٣/١١/٢

□ وثيقة رقم (١٢٣) □

صورة برقية من السيد اسماعيل فهمى إلى الرئيس السادات بشأن الناقلة الليبيرية .

جمهورية مصر العربية

سرى جدا

برقية رمزية

الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

من	واشنطن	رقم البرقية ٨٣١١	مجموعة الوقت والتاريخ ١٩٧٣/١١/٣
إلى	للتنفيذ		
	للعلم		

محالسفيرة

الى السيد الرئيس

من الوزير اسماعيل فهمى

قابلت كيسنجر مساء اليوم ٢/١١ بناء على طلبه ساعة ونصف .

- ذكر انه سيرى مائير الساعة العاشرة مساء اليوم وانه بالرغم من كل شيء فانه يبذل جهده للحصول على ردا منها ولكنه لا ينتظر منها اعطاء رد قبل ان تجتمع بمجلس وزرائها يوم الاحد .
- اتهمت بانهم سيثيرون المشكلات الواحدة بعد الاخرى ويستحدثون ردودا طالما طالبوا بها وهى التسوية والسلام وها نحن مستعدون للوصول الى التسوية السلمية ولكنهم يلجأون مرة اخرى الى اسلوب المناورة وعرقلة الامور .
- طلب كيسنجر ان انقل الى السيد الرئيس بان السياسة الامريكية التى حدد لى خطوطها فى اجتماعاتنا السابقة هى سياستهم الثابتة وانهم عازمون على المضى فيها وتنفيذها مهما كانت الصعاب وبصرف النظر عن موقف اسرائيل وان امريكا ستواصل دورها الكبير MAJOR فى تحقيق التسوية الشاملة للمشكلة وتحقيق السلام فى المنطقة .

([illegible])

□ وثيقة رقم (١٢٤) □

صورة برقية من السيد اسماعيل فهمى إلى الرئيس السادات عن محادثاته مع الدكتور كيسنجر فى واشنطن .



سري جداً

برقية رمزية

من	واشنطن	رقم البرقية ٨٢٦٧ غ	مجموعة الوقت والتاريخ ٢/١١
إلى	للتنفيذ		
	للعلم		

الى السيد المستشار حافظ اسماعيل

من الوزير اسماعيل فهمي

١ ــ أرجو التشديد على أن يقتصر الحديث في الاجتماعات التي تتم على المستوى العسكري على المسائل التي لها طابع عسكري أو التخوف الخاص بالجرحى وغيره وذلك لأن أي حديث نسمح بأن في هذه الاجتماعات العسكرية من جانبنا يوحي بتنازلات سياسية أو يكشف بعض أو جميع تقديراتنا يسبب متاعب كثيرة في المفاوضات، وهي كما تعلمون ستكون مفاوضات صعبة ولغرفتين ونهما أطراف كثيرة منها الدولتين الاعظم وأطراف النزاع ، ورغم ذلك فانه ليس من المستحيل بل من الممكن تحقيق أغلب ما جاء بمشروع لسيد الرئيس .

٢ ــ هذا ويجب أن نلاحظ أن لا يطلب من أي دولة أن تتحدث باسمنا مع الدول الاخرى اذ ان هذا يضيع الوقت ويعقد الامر ويقلل الثقة في الاتصالات المباشرة مع الامريكان ويجعلهم يتشككون ربما يسلمهم منا مباشرة يأتي إليهم محتوى في شكل رسائل او خلافه ومثال ذلك تكرار كيسنجر لي بان الروس يقولون انهم مكلفين من القاهرة في محادثة واشنطن في كذا وكذا .. ومرة أخرى ذكر لي ان الانجليز يفعلون نفس الشيء واليوم ذكر لي سفير بريطانيا ان دوجلاس هيوم قد ذكر له ان مصر قد قبلت تسليم الاسرى فور وقف اطلاق النار وليس بعد رجوع اسرائيل الى خطوط ٢٢/١٠ .

كل ما تقدم يثير البلبلة ثم يؤدي في النهاية سواء من جانب امريكا او اسرائيل للمطالبة بتنازلات جديدة وارجو مراجعة تسلسل برقياتي واجتماعاتي مع كيسنجر ونيكسون قبل حضور جولدا مائير الى واشنطن ثم بعد حضورها .

□ وثيقة رقم (١٢٥) □

صورة برقية من السيد اسماعيل فهمي في واشنطن إلى السيد حافظ اسماعيل بشأن محادثات الكيلو ١٠١ .

صورة رقم ( ) سري للغاية

من واشنطن برقية رمزية واردة برقم ٨٣٢٥

١٩٧٣/١١/٤

مطــوّرة

السيد الرئيس

من الوزير اسماعيل فهمي

أولاً : في نهاية اجتماعي بكيسنجر اليوم سألته عما اذا كان يعلق شيئاً فيما يتعلق بتذكيره بالتصريح الذي سبق ان ادلى به قبل حضوري الى واشنطن من اتفاقه مع دوبرينين بخصوص جميع التفاصيل الخاصة بالمؤتمر فأنكر وذكر انه كان يعتقد ان الروس اصروا به .

ثم اضاف انه تم الاتفاق فقط بينهما على امرين :

- ان يكون المؤتمر تحت الاشراف المشترك للدولتين الاعظم على ان يحضر الاجتماع الرسمي الاول ثم لا يحضران الا في المسائل المختلف عليها .
- انه تم الاتفاق على جنيف كمقر .

ثانياً : ذكرت له انه يعرف موقفنا الذي ابلغته اليه بناء على تعليمات السيد الرئيس واننا نفضل نيويورك .

ثالثاً : اضاف كيسنجر ان هذه الاجتماعات كلها شكلية والمهم الاتصالات الجانبية وما تقوم به امريكا من اتصالات مباشرة بالجانبين اذ الاساس انه لا توجد دولة يمكن ان تضغط على الدول .

١٩٧٣/١١/٤

☐ وثيقة رقم (١٢٦) ☐

صورة برقية من السيد اسماعيل فهمى إلى الرئيس السادات عن آخر اجتماع له مع الدكتور كيسنجر .

برقية سرية

من واشنطن   برقم : ٨٣٧١   تاريخ ١٩٧٣/١١/١

السيد الرئيس

من الوزير اسماعيل فهمى

بعد حوار طويل سلمنى كيسنجر الضمان المكتوب وكان يود فى أول الامر عدم توقيعه بالحروف الاولى ثم وقعه وقال ضاحكا بأنه يرجو الا ينشر الضمان فى الاهرام .

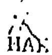
ويشير الضمان الى انه اتصالا بأى اتفاق يتم بين مصر واسرائيل بخصوص تنفيذ قرار مجلس الامن رقم ٣٣٨ تضمن الولايات المتحدة بأنها ستبذل اقصى ماتقدر عليه لمنع عمليات عسكرية هجومية تقوم بها القوات الاسرائيلية فى الضفة الغربية ضد القوات المصرية اثناء تواجد القوات الاسرائيلية فى الضفة الغربية .

□ وثيقة رقم (١٢٧) □

صورة برقية من السيد إسماعيل فهمى إلى الرئيس السادات عن تسلمه « لضمان » من الولايات المتحدة لمنع عمليات عسكرية إسرائيلية ضد القوات المصرية .

In connection with any agreement between Egypt and Israel relating to implementation of paragraph one of Security Council resolution 338:

The United States guarantees that it will do its utmost to prevent offensive military operations by Israeli forces on the West bank against Egyptian forces while the Israeli forces are on the West Bank.



□ وثيقة رقم (١٢٨) □

صورة « للضمان الأمريكى » مكتوب بالآلة الكاتبة على ورقة بيضاء ومذيل بالأحرف الأولى من اسم « هنرى كيسنجر » . وقد وقعه الدكتور كيسنجر بالحرفين الأولين من اسمه « HK ».

كيف يفكر كيسنجر ويتحرك دبلوماسيا

بعد محاولة قراءة معظم كتابات كيسنجر وحضور كثير من المحاضرات التي كان يلقيها في جامعة هارفارد عندما كان أستاذا بها، يمكن أن أجمل منهجه وأسلوبه فيما يلي :

أولا: يهتم كيسنجر اهتماما كبيرا بالدور الذي تلعبه القوة في صنع السياسة الخارجية، وينصب معظم تركيزه على العلاقات بين القوى الأعظم كأهم مكونات الواقع السياسي الدولي المعاصر

ثانيا: يتميز كيسنجر عن الأساتذة الأمريكيين الذين يعتقدون المدرسة التقليدية في أن هناك "سياسة خارجية"، على عكس أساتذة آخرين يرون أن هناك "قرارات متعلقة بالشئون الخارجية" وليس "سياسة"

ثالثا: ورغم أن أساسه النظري قوي ويتأثر كثيرا بالخلفية الألمانية له، إلا أنه اكتسب من المجتمع الأمريكي الاهتمام بالحلول العملية وليس بالتصورات النظرية المجردة

رابعا: يرى كيسنجر أن الدول في علاقاتها الخارجية، شأنها في ذلك شأن الأفراد في معاملاتهم - تسير على مبدأ الأخذ والعطاء، فلابد أن يكون هناك مقابل لكل شيء يعطى أو يؤخذ، وهو ما يعبر عنه بالاصطلاح اللاتيني quid pro quo، ولا يمكن أن يعطى أحد شيئا دون مقابل

خامسا: يمكن تحريك الأطراف قادرين على الأخذ والعطاء، حيث أن تحريك لدى كل منهم: عصا وجزرة طوال الوقت stick and carrot، فيستخدم الشدة (العصا) إذا وجد أنها ستؤدي بالخصم إلى الوقوف موقفا متطرفا "لا أن يضع الجزرة أمامه دائما للترغيب"

سادسا: وهو - كمعظم المفكرين السياسيين في الولايات المتحدة - يؤمن بأن من أفضل السبل لحل المنازعات أن تفتت إلى جزئيات صغيرة تسهل التعامل مع كل واحدة تلو الأخرى، وهي عملية يطلقون عليها اصطلاح fractionating international disputes

وهناك افتراض قوي بأن هذا التفتيت للمشاكل يسهل التعامل معها عمليا كما أنه يقلل من حدة الخلاف، لأن درجة عدم الاتفاق تتوزع على جزئيات عديدة فتتوزع حدة الاختلاف وتتشتت، فيمكننا أن نرى النزاع العربي الإسرائيلي في مرحلته الحالية على أنه مركب من نقاط فرعية كثيرة يجب أن تطرح كلا للبحث

□ وثيقة رقم (١٢٩) □

صورة تقرير المستشار أسامة الباز ـ بخطه ـ عن « كيف يفكر كيسنجر ويتحرك دبلوماسيا » .

بعد التحية :

هذه صورة من المذكرة التي أعددتها أمس الأول عن : الخط الإعلامي المقترح في هذه الفترة ، وأعتقد أن فيها بعض النقاط الهامة التي تستحق انتباهكم

وإذا كان من المنتظر أن يتكلم السيد الرئيس للشعب اليوم أو غداً ، فأرجو أن يراعي ما يلي :

أ) أن الشعور الشعبي العام هذه الأيام هو يتميز بالاكتئاب والمرارة

ب) أن هناك شعوراً بأن بياناتنا الأولى لم تكن صادقة .

ج) أن هناك شعوراً زائداً بأننا قد استغفلنا "بقبول" وقف إطلاق النار

د) أن المطلوب الآن هو إعطاء الناس جرعة من الثقة وجرعة من الطمأنينة والثبات النفسي ..

وقد سمعت من ملكة الدكتورة فوزي أنك كنت هناك بالأمس (قبل حضوري إلى مكتبكم) وقد أدركت ملكته وحالته لأن الموضوع والاكتئاب ، فإن صح ذلك فإن يكون [illegible] غير معقول وإنما فترة انتكاس . بعد ذلك ركزنا concerned but optimistic

□ وثيقة رقم (١٣٠) □

صورة مذكرة بخط المستشار أسامة الباز بعث بها إلى هيكل .

سرى للغاية

هيئة عمليات القوات المسلحــــة

٠٨ نوف ١٩٧٣

محضر الجلسه السادســـه

للوفد العسكرى المصرى مع الجانب الاسرائيلــــى

٠٨ نــوف ١٩٧٣

أولا : الحاضـــرون :

١ ـ من الجانب المصـــرى

أ ـ لواء محمد عبد الغنى الجمســـى

ب ـ عميد أ.ح احمد فؤاد هويـــــدى

٢ ـ من الجانب الاسرائيلـــى

أ ـ جنرال أ. ياريـــــف

ب ـ عقيد د. ســــيون

جـ ـ عقيد أ. ليفـــران

٣ ـ من الامم المتحـــدة

أ ـ مقدم ميرجـــولا

ب ـ نقيب كاليـــن

ثانيا : الوقــت والمكان :

٤ ـ تم الاجتماع بناءا على طلب الجانب الاسرائيلى فى الفترة من سعت ١٥٠٠ ٠٨ حتى سعت ١٦٣٠ ٠٨.

٥ ـ وذلك فى منطقة كم ١٠١ طرالسويس/ القاهرة .

ثالثا : ملخص لما دار فى الجلســـه :

٦ ـ بدأ الجنرال ياريف الجلسه قائلا انه ليس سرا ان المستر سيسكو فـــى اسرائيل ولم تنتهى بعد المناقشات حول المقترحات التى يحملها . وقد رأينـا أن يتم الاجتماع رغم ذلك لتبادل الافكار حول الموضوعات المطروحه .

☐ وثيقة رقم (١٣١) ☐

صورة الصفحة الأولى من محضر الجلسة السادسة للوفد العسكرى المصرى مع الوفد الإسرائيلى .

سرى للغاية

جمهورية مصر العربية
وزارة الحربية
هيئة عمليات القوات المسلحة

التاريخ : ١١ / ١١ / ٧٣

محضر الجلسة السابعة
للوفد العسكرى المصرى مع الجانب الاسرائيلى
١١ نوف ٧٣

أولا : الحاضرون :

١ – من الجانب المصرى :

أ – لواء محمد عبد الغنى الجمسى	}	وزارة الحربية
ب – عقيد أ.ح أحمد فؤاد هويدى		
جـ – المستشار فتوى الابراشى	}	وزارة الخارجية
د – سكرتير ثالث محمد اسماعيل		

٢ – من الجانب الاسرائيلى :

أ – جنرال ياريف
ب – " أيال
جـ – عقيد سيون
د – " أفيران

٣ – من الأمم المتحدة :

أ – الجنرال سيلا سفو	قائد قوات الطوارئ الدولية
ب – المستر جورجيه	المستشار السياسى للقوات
جـ – المستر جونسا	" القانونى "

ثانيا : الوقت والمكان :

٤ – تم الاجتماع بناء على اقتراح من السكرتير العام للأمم المتحدة لتوقيع اتفاق النقاط الست التى تم الاتفاق عليها مسبقا بين كل من حكومة جمهورية مصر العربية وإسرائيل .
تنفيذا للبند الأول من قرارى مجلس الأمن ٣٢٨ ، ٣٢٩ بتاريخ ٢٢ ، ٢٣ أكت ٧٣ .

☐ وثيقة رقم (١٣٢) ☐

صورة الصفحة الأولى من محضر الجلسة السابعة للوفد العسكرى المصرى مع الوفد الإسرائيلى .

سري للغاية

٨ نوفمبر سنة ١٩٧٢

مذكرة
للعرض على السيد الرئيس

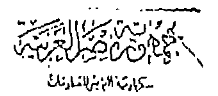
اتشرف بأن أرفق مع هذا :

نص البيان الذي اتفق عليه بين مصر والولايات المتحدة لهما يتعلق برفع درجة رئيس قسم رعاية المصالح بين البلدين والموافقة من حيث المبدأ على اعادة العلاقات الدبلوماسية . (مرفق ١) ؛

وقد تتفقون سيادتكم على أن يكون تفسير هذا القرار هو أنه يمثل استجابة الولايات المتحدة لطلبنا تعيين ممثلين على مستوى عال للدولتين الاعظم في القاهرة ، وقد سبق أن استجاب الاتحاد السوفيتي على تعيين ممثل على مستوى عال وقد حضر بالفعل الى القاهرة كوزنتسوف النائب الاول لوزير الخارجية السوفيتي - وأن تطور الأحداث وأهميتها استدعى رفع تمثيلنا في واشنطن واختياركم الدكتور أشرف غربال لتمثيلنا هناك ، وأن حقيقة

☐ وثيقة رقم (١٣٣) ☐

صورة مذكرة من السيد إسماعيل فهمى للعرض على الرئيس السادات عن إعادة التمثيل الدبلوماسى بين مصر والولايات المتحدة .



سرى جدا

صورة رقم ١

مذكرة

بشأن زيارة السيد أشرف مروان

الى كل من سوريا والسعودية والكويت وابوظبى وطرابلس

فى الفترة من ٧ – ١ نوفمبر

بناء على تعليمات السيد الرئيس توجهت لهذه الدول لابلاغها نتائج المباحثات التى تمت بين السيد الرئيس والدكتور هنرى كيسنجر يوم ٨ الجارى وفيما يلى النقاط التى تمت بابلاغها لرؤساء هذه الدول بشأن المباحثات :

أولا : تم الاتفاق منذ بدء المباحثات على ان الحديث فى العودة الى خطوط ٢٢ اكتوبر يتساوى فى الاهمية تماما مع الحديث فى فصل القوات وعلى ذلك تم الدخول مباشرة فى الحديث عن مرحلة فصل القوات .

ثانيا : طبقا للاتفاق الذى تم مع الرئيس الاسد فى الكويت فان الاتفاق مع كيسنجر هو ان كل خطوة تتم بالنسبة لفصل القوات فى الجبهة المصرية يجب ان تقابلها خطوة مماثلة لفصل القوات فى سوريا .

ثالثا : لما كان الاتفاق قد تم على ان الحديث فى فصل القوات هو الخطوة التى نسعى اليها بدلا من الكلام فى العودة الى خطوط ٢٢ أكتوبر بالنسبة لكيسنجر ، فان كيسنجر تحدث فى موضوع تبادل الاسرى والجرحى لان مثل هذا الامر – فى رأيه – يمثل عملية حساسة ومتعبة بالنسبة لاسرائيل .. ولقد ابدى السيد الرئيس استعداده لبحث هذا الامر تحت علم الامم المتحدة بمندوبين عن مصر ، اسرائيل بشرط ان تتخلى اسرائيل عن بعض المواقع حول السويس وعلى طريق السويس –

(يتبع)

□ وثيقة رقم (١٣٤) □

صورة للرسالة التى حملها مدير مكتب الرئيس للمعلومات الدكتور أشرف مروان إلى بعض الأقطار العربية .

DEAR MR. FOREIGN MINISTER:

I RECEIVED WORD HERE IN PEKING OF THE SIGNING OF THE SIX POINT AGREEMENT ON SUNDAY, AND WANT TO CONGRATULATE PRESIDENT SADAT AND YOU PERSONALLY FOR THE FAR-SIGHTED STATESMANSHIP WHICH MADE THIS OUTCOME POSSIBLE.

THE AGREEMENT ITSELF IS OF COURSE OF MAJOR IMPORTANCE BUT BEYOND THAT, I AM HEARTENED BY THE DETERMINATION IT REFLECTS ON THE PART OF BOTH EGYPT AND ISRAEL, TO LOOK AHEAD TO THE OPPORTUNITY FOR NEGOTIATIONS ON THE BROADER ISSUES BETWEEN YOU, RATHER THAN BACKWARD TO THE STERILE DEBATES AND BITTER EXPERIENCES OF THE PAST. I AM CONFIDENT THE MILITARY REPRESENTATIVES WILL APPROACH THE TASK OF IMPLEMENTING THE SIX POINT AGREEMENT IN THIS SAME SPIRIT.

THE IMPORTANT THING NOW IS TO KEEP OUR EYES FIXED ON THE FORTHCOMING CONFERENCE AND TO AVOID ANYTHING WHICH COULD COMPLICATE ITS GETTING STARTED. I TRUST IN PARTICULAR THAT THE IMMEDIATE QUESTIONS OF THE UN CHECKPOINT, THE UNIMPEDED NON-MILITARY SUPPLY OF THE THIRD ARMY, THE AGREED ARRANGEMENTS FOR SUEZ, AND THE EXCHANGE OF PRISONERS CAN BE WORKED OUT BY THE MILITARY REPRESENTATIVES PROMPTLY AND PRAGMATICALLY IN WAYS THAT TAKE ACCOUNT OF THE ESSENTIAL POLITICAL AND MILITARY REQUIREMENTS OF BOTH SIDES. IF THIS CAN NOW BE ACCOMPLISHED, AND AS THE RED SEA BLOCKADE CEASES TO BE AN ISSUE, CONDITIONS CAN BE QUICKLY CREATED IN WHICH A CONFERENCE CAN BEGIN UNBURDENED BY PROBLEMS NOT RELATED TO THE MAIN QUESTIONS TO BE NEGOTIATED.

FINALLLY, IT SEEMS TO ME THAT THE LESS SAID ABOUT THE SPECIFICS OF A FINAL SETTLEMENT BEFORE THE CONFERENCE BEGINS, THE BETTER, SINCE SUCH DISCUSSION TENDS TO LIMIT LATER NEGOTIATING FLEXIBILITY ON BOTH SIDES. I HAVE IN MIND TWO THINGS IN PARTICULAR.

FIRST, I UNDERSTAND THAT DR. ZAYYAT HAS BEEN DISCUSSING THE ELEMENTS OF AN EGYPTIAN PLAN IN CERTAIN EUROPEAN CAPITALS. AS I SAID IN MY MEETING WITH PRESIDENT SADAT, THE PREMATURE CIRCULATION OF PEACE PLANS OF ANY KIND WILL MAKE IT PARTICULARLY DIFFICULT FOR ALL OF US, BUT ESPECIALLY THE UNITED STATES, WHEN NEGOTIATIONS BEGIN.

SECOND, I AM TOLD THAT THE FOREIGN MINISTER OF THE ORGANIZATION OF AFRICAN UNITY PLANS TO MEET NOVEMBER 19-20, AND THAT THERE IS ALSO TALK OF A POSSIBLE ARAB SUMMIT. I AM CONCERNED THAT SUCH MEETINGS WILL TAKE THE INITIATIVE AWAY FROM THE PARTIES TO THE NEGOTIATIONS AND ADOPT PUBLIC POSITIONS ON SPECIFIC ASPECTS OF A SETTLEMENT THAT WILL MAKE IT ALL THE MORE DIFFICULT TO EXPLORE PRACTICAL WAYS TO MAKE PROGRESS IN THE NEGOTIATIONS THEMSELVES.

I WOULD WELCOME YOUR VIEWS ON THESE MATTERS. I SHALL BE BACK IN WASHINGTON FRIDAY, BUT AM MEANWHILE AT YOUR DISPOSAL THROUGH AMBASSADOR EILTS AT ANY TIME WHILE I AM IN PEKING AND TOKYO ON THE WAY HOME.

WARM PERSONAL REGARDS,

HENRY A. KISSINGER

□ وثيقة رقم (١٣٥) □

صورة رسالة بعث بها الدكتور هنرى كيسنجر من بكين إلى السيد اسماعيل فهمى يطلب فيها تعجيل عملية تبادل الأسرى ويبدى تخوفه من عقد اجتماع لوزراء خارجية منظمة الوحدة الافريقية .

سري للغاية

- ٤ -

هـ - وقد رفض الجانب المصري الاقتراح عاليه حيث أنه لا يفصل الاشتباك بين القوات ولا يؤمن القوات في رؤوس الكباري ولا مدن القناة ولا عمليات فتح القناة .

و - وأوضح الجانب المصري أن أي خط تنسحب اليه القوات الاسرائيلية (رغم أنه الخط الأول المؤقت لفض الاشتباك) يجب الا تقل مسافته عن " ٣٥" كم من الحد الأمامي لقواتنا في رؤوس الكباري . كما أن حجم القوات المصرية شرق القناة يتوقف على بعد هذا الخط شرقا من القناة . فكلما اتسعت هذه المسافة كلما قلت الحاجة الى وجود حجم كبير من القوات والعكس صحيح .

ز - تقدم الجانب المصري تصورا للخط الأول المؤقت لفض الاشتباك دون ارتباط رسمي به يتلخص في انه ترتد القوات الاسرائيلية الى خط على مسافة " ٦٠" كم من الحد الأمامي لقواتنا شرق القناة . (٢٠ كم نطاق أمن مصري + ٢٠ كم لقوات الأمم المتحدة + ٢٠ كم نطاق أمن اسرائيلي) . وقد أبدى الجانب الاسرائيلي عدم امكان موافقة الحكومة الاسرائيلية عليه .

٩ - خلال المناقشات التي دارت وتبادل وجهات النظر المختلفة فيما يخص المساحة التي تعمل فيها قوات الأمم المتحدة بين قوات الجانبين علق الجنرال سيلا سفو أن عمل قوات الأمم المتحدة حاليا يختلف عن عملها السابق حيث أنها انشئت بقرار من مجلس الأمن ولن تنسحب بموافقة المجلس .

١٠ - اتفق على استمرار المناقشات خلال الاجتماع التالي سعت ١١٠٠ يوم ١٩٧٣/١١/٢٣ .

التوقيع :

لواء : محمد عبد الغني الجمسي

نائب رئيس أركان حرب

ورئيس هيئة عمليات القوات المسلحة

☐ وثيقة رقم (١٣٦) ☐

صورة الصفحة الأخيرة من محضر الجلسة الثالثة عشرة للوفد العسكري المصري مع الوفد الإسرائيلي .

November 14, 1973

DEAR MR. FOREIGN MINISTER:

I HAVE RECEIVED YOUR LATEST MESSAGE CONVEYED THROUGH AMB. EILTS AT MIDNIGHT, NOVEMBER 12 IN CAIRO, WHICH SEEMS TO HAVE CROSSED MY MESSAGE TO YOU SENT FROM PEKING YESTERDAY MORNING, NOVEMBER 13, PEKING TIME.

I REGRET, BUT AM NOT TOO SURPRISED, THAT THERE HAVE BEEN INITIAL DIFFICULTIES IN WORKING THE IMPLEMENTATION OF THE SIX POINT AGREEMENT. AS I INDICATED IN MY MESSAGE TO YOU FROM RIYADH ON NOVEMBER 9, THERE ARE MANY DETAILS NOT COVERED BY THE AGREEMENT WHICH WILL HAVE TO BE RESOLVED BY THE MILITARY REPRESENTATIVES IN COORDINATION WITH THE UN REPRESENTATIVES ON THE GROUND.

THE MOST RECENT INFORMATION AVAILABLE TO ME SUGGESTS THAT BY YESTERDAY AFTERNOON THE SITUATION HAD IMPROVED IN SEVERAL RESPECTS. I NOTE THERE WILL BE ANOTHER MEETING OF MILITARY REPRESENTATIVES TODAY AND HOPE FURTHER PRACTICAL PROGRESS WILL BE MADE THERE. IT SEEMS ONLY REALISTIC THAT THIS SHOULD REMAIN THE PRINCIPAL FORUM FOR RESOLVING DIFFERENCES IN INTERPRETATION OF THE SIX POINT AGREEMENT, THOUGH OF COURSE I STAND READY TO HELP IF ANY SERIOUS IMPASSE DEVELOPS.

MEANWHILE, YOU SHOULD KNOW FOR YOUR CONFIDENTIAL INFORMATION THAT I HAVE BEEN IN TOUCH WITH MRS. MEIR TO EMPHASIZE HOW IMPORTANT IT IS FOR HER MILITARY REPRESENTATIVE TO APPROACH THESE IMMEDIATE ISSUES IN A POSITIVE AND FORWARD LOOKING SPIRIT.

THERE IS ONE OTHER MATTER I FEEL I SHOULD MENTION TO YOU. I UNDERSTAND THAT IN THE NOVEMBER 11 ISSUE OF AL-AHRAM, MR. HEYKAL REFERRED TO HIS PRIVATE CONVERSATION WITH ME AND SAID I HAD INDICATED THAT A SETTLEMENT MIGHT TAKE SIX MONTHS TO A YEAR AND THAT THE PEACE CONFERENCE WOULD BEGIN THE SECOND WEEK OF DECEMBER. I HAVE IN FACT CAREFULLY AVOIDED SETTING DEADLINES. I WANT AGAIN TO CAUTION AGAINST SUCH PUBLIC SPECULATION AND DISCUSSION OF VARIOUS PEACE PLANS, WHICH CAN ONLY MAKE THE ATTAINMENT OF OUR OBJECTIVES MORE DIFFICULT.

I LOOK FORWARD TO HEARING THE RESULTS - HOPEFULLY POSITIVE ONES - OF TODAY'S MEETING OF MILITARY REPRESENTATIVES.

WARM PERSONAL REGARDS,

HENRY A. KISSINGER

□ وثيقة رقم (١٣٧) □

صورة رسالة بعث بها الدكتور هنرى كيسنجر من بكين إلى السيد اسماعيل فهمى يشكو فيها من مقال لهيكل فى جريدة الأهرام .

President Sadat:

[illegible] following close [illegible] role of leadership during those [illegible] I know that you have just returned from [illegible] important meeting with your Arab colleagues [illegible] of which, I believe, reflect the hope [illegible] desire of the overwhelming majority of the [illegible] indeed people from all corners of the [illegible] just and durable peace in the Middle [illegible] Security Council Resolution 242 [illegible]

[illegible] at an important stage, Mr. President, and I [illegible] of us have the wisdom and the courage [illegible] difficulties to stay on the course charted [illegible] Secretary Kissinger recently in Cairo.

[illegible] the six-point agreement in a package. [illegible] believe that certain elements can be im- [illegible] others left to languish indefinitely. [illegible] disengagement propo[illegible] military representat[illegible] recent weeks are far- [illegible] we have felt, and have said honestly, to [illegible] final agreement was probably not possible [illegible] the peace conference. I can assure you [illegible] that in our view, the groundwork laid in [illegible] military representatives' talks has not been in [illegible] We will make every effort to ensure that the [illegible] disengagement discussed in that forum will [illegible] over for consideration at the Geneva [illegible]

[illegible] reconforce what [illegible] your Government [illegible]

وثيقة رقم (١٣٨) □

صورة رسالة من الرئيس نيكسون إلى الرئيس السادات تشير إلى عدم قبول الولايات المتحدة للتصريحات الصادرة من القاهرة قبل مؤتمر القمة العربي بالجزائر

رئاسة الجمهورية .

سكرتارية الرئيس للمعلومات .

رسالة .

من .. السيد الرئيس حافظ الاسد .

الى . السيد الرئيس السادات .

الاخ السيد الرئيس السادات انى لا أرى فى الامر ما يبعث على
التفاؤل فى ذهابنا الى مؤتمر السلام من حيث أنه سيحقق
تطلعاتنا العادلة ويبدو لى من خلال موقف بعض الدول الكبرى
ومن خلال تصرفات وتصريحات المسئولين فى اسرائيل والتى ما
زال طابعها العلن والتكبر الفارغان ليس من حقنا أن نعلق
امال كبيرة على هذا المؤتمر وقد يكون علينا أن نعيد
النظرة لموقفنا منه ولا أعنى أن نرفض المؤتمر مباشرة طالما
اننا قبلنا بالقرار //رقم ٢٣٨// بل أن نتمسك بتنفيذ القرار
ككل فالقرار نص فى مادته الثانية على التنفيذ الفورى للقرار
// رقم ٢٤٢// القاضى بالانسحاب ونص أيضا فى مادته الثالثة على
البدء فورا باتصال لتعاجل عقد مؤتمر السلام .
فلماذا نعمل من أجل المادة الثالثة ونتجاوز المادة الثانية
فأرى أن لا نذهب الى مؤتمر السلام قبل البدء بتنفيذ الانسحاب
طبقا للمادة الثانية وهذا الموقف لن يكون// مرفوضا // من قبل
العالم . انه عادل ومتطابق مع قرارات الامم المتحدة ومع القرار
// رقم ٢٣٨// بالذات .

وتقبلوا فائق تحيتى .

.. السيد الرئيس حافظ الاسد ..

□ **وثيقة رقم (١٣٩)** □

صورة رسالة من الرئيس الأسد إلى الرئيس السادات يعرب فيها عن عدم تفاؤله بمؤتمر السلام .

من السيد الرئيس أنور السادات ..

الى السيد الرئيس حافظ الأسد ..

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــ

الأخ السيد الرئيس حافظ الأسد ..

لقد تلقيت شاكرا برقيتكم الخاصة بمؤتمر السلام والتي قرأتها بالامعان الواجب .. وانني لأشارككم الرأي في أن موقف بعض الدول الكبرى من خلال تصرفاتها وكذلك تصريحات المسئولين في اسرائيل قد لا تجعله على مستوى كبير ...

وانني لأشترك معكم في الرأي كذلك انه لا يمكننا رفض المؤتمر مباشرة طالما قبلنا بالقرار رقم / ٣٣٨ / ولعلكم تتفقون معي في أن الهدف من المؤتمر هو تنفيذ القرار رقم ٣٣٨ أي العمل على تنفيذ القرار رقم ٢٤٢ الوارد ذكره في الفقرة الثانية من ذلك القرار . كما أود أن أضع أمامكم أن القرار رقم ٢٤٢ -- وهو الذي يقضي بالانسحاب -- كما ذكرتم في برقيتكم -- ايضا ينص كذلك على أمور أخرى مرتبطة بالانسحاب وأن الاتجاه كان دائما الى أن ينظر الى القرار ككل أي أن ينفذ في مجموع بنوده . وبذا فان الانسحاب الى خطوط ٤ يونيه سنة ١٩٦٧ -- سيكون من الأمور التي سيبحثها المؤتمر وانه بالتالي لا يمكن تحقيقه قبل بدء المؤتمر .. هذا وانني لواثق من أنكم ملمون بمدى الحاح الاتحاد السوفيتي ومشاركة في ذلك الولايات المتحدة على الأطراف لحضور مؤتمر السلام في جنيف ابتداء من ١٨ / ديسمبر الجاري

ويتوازى مع هذا اهتمام العالم بالمؤتمر والآمال المعقودة عليه .

ويهمني ارتباطا بذلك أن أشير الى رد الفعل العكسي الذي سيحدث اذا ما تخلفنا عن المؤتمر .

ومع أخذي في الاعتبار لكل هذه العوامل وحيث انني لا أرى تعارضا بين الاستعداد العسكري والعمل في المحيط السياسي بالرغم مما يكتنف المجال الأخير من أشواك وصعاب .. فلعلكم توافقون على انه لا يوجد ضرر من الذهاب الى المؤتمر ما دام القرار في النهاية في أيدينا نقبل ما نرضاه ونرفض ما لا يتمشى مع مصالحنا القومية .

ولا يفوتني بهذه المناسبة أن أشير الى التعاون البناء الذي لمسه وزير خارجيتنا ومعاونيه من زميله وزير الخارجية السوري ومعاونيه .

وكما أعلم فان التنسيق بين الوزارتين عن طريق الوفد السوري الموجود بالقاهرة في هذه اللحظة يسير بأسلوب بناء يخدم أهدافنا المشتركة .

وتقبلوا فائق تحياتي .

السيد الرئيس

أنور السادات

□ وثيقة رقم (١٤٠) □

صورة رد من الرئيس السادات على رسالة الرئيس الأسد .

1. Establish direct contact with HK soon.

2. Be specific and realistic in stating what is wanted from US.

3. Be prepared to explain further views on following:
   --Resolution 242- what parts, if any, are acceptable?
   --Arab-Israeli peace settlement.
   --Existence of Jewish state in Palestine.
   --Jordan and King Hussein.

4. What practical first steps can be taken to establish framework and momentum for later steps?

5. What coordination is desirable with Sadat, Asad, Boumediene, Faisal?

General Points to note:

1. US is open minded. No particular outcome has been precluded, no secret commitments have been made.

2. US is willing to engage in serious dialogue in near future.

3. US has no intention of abandoning Israel or King Hussein, but this does not mean that it will support them on all points.

4. US will be attentive to any position supported by major Arab countries--especially Egypt, Syria, Algeria, Saudi Arabia.

5. US is strongly opposed to further "terrorist spectaculars".

6. US is serious when it says P interests must be met in any comprehensive peace settlement. This is not just a matter of refugees. US is ready to discuss further how these interests can be met.

7. US has no abstract peace plan. US will pursue step-by-step process, promising no more at any given stage than it is sure it can produce. Will be short on rhetoric, but will deliver on any commitments undertaken.

□ وثيقة رقم (١٤١) □

صورة ورقة بعث بها الدكتور هنرى كيسنجر إلى الرئيس السادات تتضمن مقترحات كيسنجر للفلسطينيين .

To strengthen his argument Kissinger told the Israelis he was amazed by Sadat's behavior. The Egyptian president was so far not using his full political power created by the new international situation in negotiating for an agreement. Indeed, Kissinger thought that Sadat could have used the international situation to achieve an overall agreement on his terms. At the most, said Kissinger, Sadat would have risked a new war, which the whole world would blame on Israel anyway.

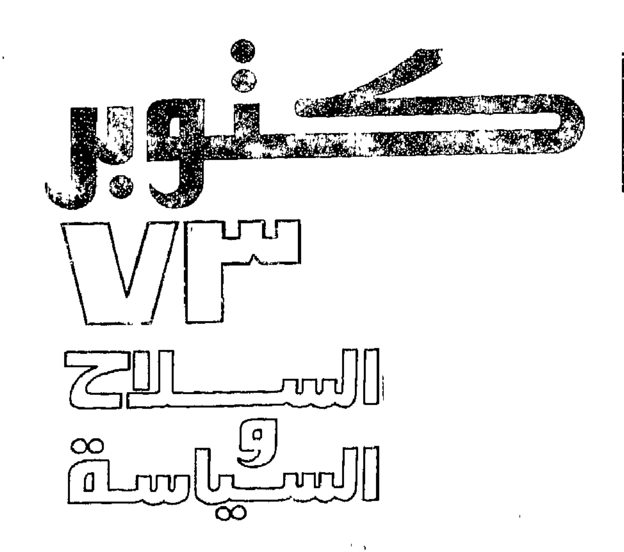
Why, then, didn't Sadat use the situation to press for a total Israeli retreat? Because, Kissinger answered himself, Sadat had fallen victim to human weakness. It was the psychology of a politician who wanted to see himself—and quickly—riding triumphantly in an open car through the city of Suez with thousands of Egyptians cheering him.

In Kissinger's opinion, Sadat had two options: first, to try and achieve an agreement, through the aid of the United States, in a relaxed atmosphere. Second, to try and reach the same goal with the help of the British, the French, the Japanese, and the Soviets, but in a climate of international crisis with the United States being dragged along behind the other states. To take the second option Sadat did not even have to go to war. Several local incidents and a continuation of the oil embargo would be sufficient, Kissinger argued.

□ وثيقة رقم (١٤٢) □

صورة لصفحة من المحاضر السرية التى أوردها ماتى جولان عن المحادثات السرية للقادة الإسرائيليين مع الدكتور هنرى كيسنجر . وفى هذه الفقرة يحاول كيسنجر أن يفسر تقديره للأسباب التى تحرك الرئيس السادات إلى التصرف على هذا النحو .

مطابع الاهرام التجارية - قليوب - مصر



إن تدفق المعلومات ، أى المعرفة بالحقائق ، تضيف إلى حرية الرأى بعداً ثالثاً يجسم الصورة ، وهو أن يكون المتابع للحوار ، قارئاً أو سامعاً ، على علم بما يجرى من حوله الحوار بحيث يكون بدوره قادراً على المشاركة ، موجوداً فى الساحة ، على بينة تسمح له بأن يختار .... والاختيار جوهر الحرية .

نحن ننسى أحياناً أن أى وطن لا بد له أن يتحاور مع نفسه - بل يتفاوض مع نفسه - قبل أن يتحاور مع العالم ، أو يتفاوض معه !

وإذا غابت المعلومات والأخبار والخلفيات ، فإن الكتابة أو الحوار - كائناً من كان الكاتب أو المحاور - تصبح فى واقع الحال نوعاً من الإنشاء (جملاً مرصوصة) - أو نوعاً من الإنشاد (مديحاً فى هذا الطرف أو ذاك !)

مركز الاهرام للترجمة والنشر
مؤسسة الاهرام

التوزيع فى الداخل والخارج :
وكالة الاهرام للتوزيع
ش الجلاء - القاهرة

مطابع الاهرام التجارية - قليوب - مصر

